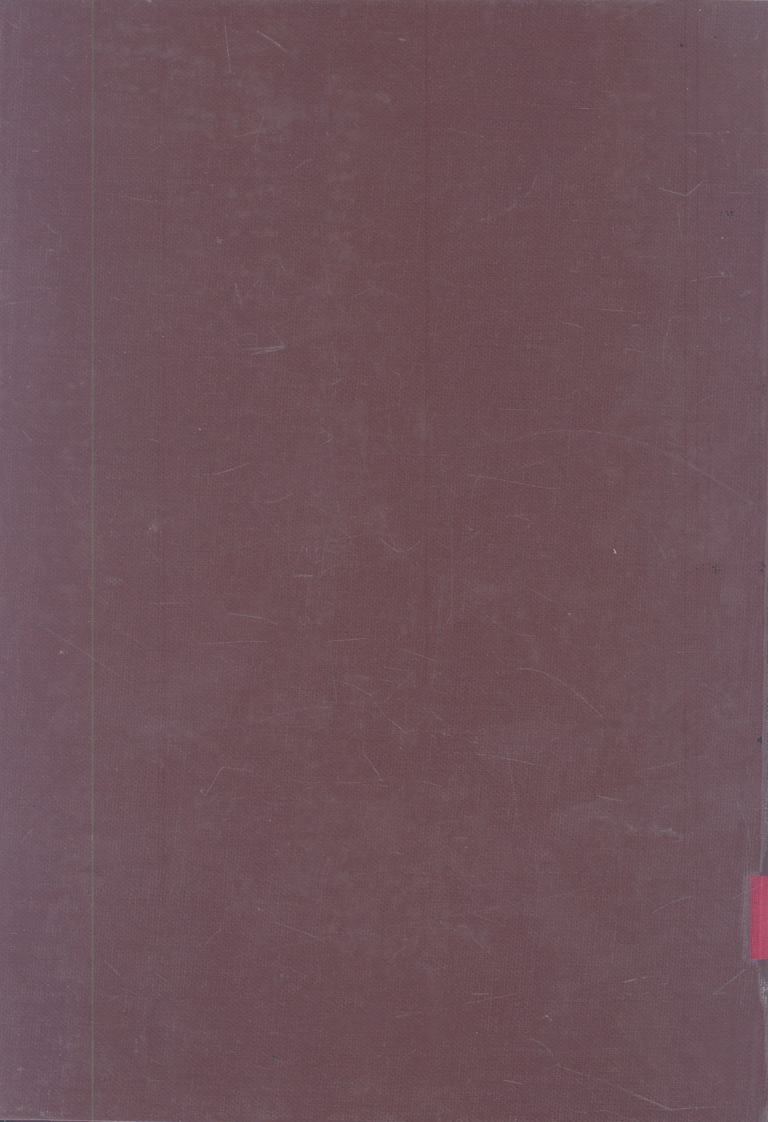


البداية والنهاية

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الحادي عشر

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر



﴿ خلافة المستعين بالله ﴾

وهو أبو العباس أحمد بن محمد المعتصم . بويع له بالخلافة يوم مات المنتصر ، بايعه عموم الناس . ثم خرجت عليه شرذمة من الأتراك يقولون : يامعتزيا منصور . فالتف عليهم خلق ، وقام بنصر المستعين جمهور الجيش ، فاقتتلوا قتالا شديداً أياماً فقتل منهم خلق من الفريقين ، وانتهبت أماكن كثيرة من بغداد ، وجرت فتن منتشرة كثيرة جداً ، ثم استقر الأمر للمستعين فعزل وولى وقطع ووصل ، وأمر ونهى أياماً ومدة غير طويلة . وفيها مات بغا الكبير فى جمادى الآخرة منها ، فولى الخليفة مكانه ولده موسى بن بغا . وقد كانت له همم عالية وآثار سامية ، وغزوات فى المشارق والمغارب متوالية وكان له من المتاع والضياع ما قيمته عشرة آلاف ألف دينار . وترك عشر حبات جوهر قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ، وثلاث جبات سلاذهبا وورق

وفيها عدا أهل حمص على عاملهم فأخرجوه من بين أظهرهم ، فأخذ منهم المستعين مائة رجل من سراتهم وأمر بهدم سورهم . وفيها حج بالناس محمد بن سليمان الزينبى . وفيها توفى من الأعيان أحمد ابن صالح . والحسين بن على الكرابيسى . وعبد الجبار بن العلاء . وعبدالملك بن شعيب . وعيسى ابن حماد . ومحمد بن حميد الرازى . ومحمد بن زنبور . ومحمد بن العلاء أبو كريب . ومحمد بن يزيد أبو هشام الرفاعى

﴿ وأبو حاتم السجستانى ﴾

واسمه سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمى أبو حاتم النحوى اللغوى صاحب المصنفات

الكثيرة وكان بارعا فى اللغة : اشتغل فيها على أبى عبيد والأصمعى، وأكثر الرواية عن أبى زيد الأنصارى . وأخذ عنه المبرّد وابن دريد وغيرهما . وكان صالحاً كثير الصدقة والتلاوة ، كان يتصدق كل يوم بدينار ويقرأ فى كل أسبوع بختمة ، وله شعر كثير منه قوله :

أبرزوا وجهه الجميل * ولاموا من افتتن

لو أرادوا صيانتى * ستروا وجهه الحسن

كانت وفاته فى المحرم ، وقيل فى رجب من هذه السنة

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين ﴾

فى يوم الجمعة للنصف من رجب التقى جمع من المسلمين وخلق من الروم بالقرب من ملطية ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، قتل من الفريقين خلق كثير ، وقتل أمير المسلمين عمر بن عبد الله بن الأقطع ، وقتل معه ألفا رجل من المسلمين ، وكذلك قتل على بن يحيى الأرمنى ، وكان أميراً فى طائفة من المسلمين أيضاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد كان هذان الأميران من أكبر أنصار الاسلام . ووقعت فتنة عظيمة ببغداد فى أول يوم من صفر منها ، وذلك أن العامة كرهوا جماعة من الأمراء الذين قد تغلبوا على أمر الخلافة وقتلوا المتوكل واستضعفوا المنتصر والمستعين بعده ، فنهضوا إلى السجن فأخرجوا من كان فيه ، وجاؤا إلى أحد الجسرين فقطعوه وضربوا الآخر بالنار ، وأحرقوا ونادوا بالنفير فاجتمع خلق كثير وجم غفير ، ونهبوا أماكن متعددة ، وذلك بالجانب الشرقى من بغداد . ثم جمع أهل اليسار أموالا كثيرة من أهل بغداد لتصرف إلى من ينهض إلى ثغور المسلمين لقتال العدو عوضا عن من قتل من المسلمين هناك ، فأقبل الناس من نواحى الجبال وأهواز وفارس وغيرها لغزو الروم ، وذلك أن الخليفة والجيش لم ينهضوا إلى بلاد الروم وقتال أعداء الاسلام ، وقد ضعف جانب الخلافة واشتغلوا بالقيان والملاهى ، فعند ذلك غضبت العوام من ذلك وفعلوا ماذكرنا . ولتسع بقين من ربيع الأول نهض عامة أهل سامرا إلى السجن فأخرجوا من فيه أيضاً كما فعل أهل بغداد وجاءهم قوم من الجيش يقال لهم الزرافة فهزمتهم العامة ، فعند ذلك ركب وصيف وبغا الصغير وعامة الأتراك فقتلوا من العامة خلقاً كثيراً ، وجرت فتن طويلة ثم سكنت .

وفى منتصف ربيع الآخر وقعت فتنة بين الأتراك وذلك أن المستعين قد فوض أمر الخلافة والتصرف فى أموال بيت المال إلى ثلاثة وهم أتامش التركى ، وكان أخص من عند الخليفة وهو بمنزلة الوزير ، وفى حجره العباس بن المستعين يربيه ويعلمه الفروسية . وشاهك الخادم ، وأم الخليفة . وكان لا يمنعها شيئاً تريده ، وكان لها كاتب يقال له سلمة بن سعيد النصرانى . فأقبل أتامش فأسرف فى أخذ الأموال حتى لم يبق ببيت المال شيئاً ، فغضب الأتراك من ذلك وغاروا منه فاجتمعوا

وركبوا عليه وأحاطوا بقصر الخلافة وهو عند المستعين ، ولم يمكنه منعه منهم ولا دفعهم عنه ، فأخذوه صاغراً فقتلوه وانتهبوا أمواله وحواصله ودوره ، واستوزر الخليفة بعده أبا صالح عبد الله بن محمد ابن يزداد ، وولى بغا الصغير فلسطين ، وولى وصيفا الأهواز ، وجرى خبط كثير وشر كثير ، ووهن الخليفة وضعف . وتحركت المغاربة بسامرا فى يوم الخميس لثلاث خلون من جمادى الآخرة ، فكانوا يجتمعون فيركبون ثم يتفرقون . وفى يوم الجمعة لخمس بقين من جمادى الأولى ، وهو اليوم السادس عشر من تموز ، مطر أهل سامرا مطراً عظيما برعد شديد ، وبرق متصل وغيم منعقد مطبق والمطر مستهل كثير من أول النهار إلى اصفرار الشمس ، وفى ذى الحجة أصاب أهل الرى زلزلة شديدة جداً ، وتبعتها رجفة هائلة تهدمت منها الدور ومات منها خلق كثير ، وخرج بقية أهلها إلى الصحراء . وفيها حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الامام وهو والى مكة .

وفيها توفى من الأعيان أيوب بن محمد الوزان . والحسن بن الصباح البزار صاحب كتاب السنن . ورجاء بن مرجا الحافظ . وعبد بن حميد صاحب التفسير الحافل . وعمرو بن على الفلاس

﴿ وعلى بن الجهم ﴾

ابن بدر بن مسعود بن أسد القرشى السامى من ولد سامة بن لؤى الخراسانى ثم البغدادى ، أحد الشعراء المشهورين وأهل الديانة المعتبرين . وله ديوان شعر فيه أشعار حسنة ، وكان فيه تحامل على على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان له خصوصية بالمتوكل ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان وأمر نائبه بها أن يضربه مجرداً ففعل به ذلك ، ومن مستجاد شعره :

بلاء ليس يعدله بلاء * عداوة غير ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه * ويرتع منك فى عرض مصون

قال ذلك فى مروان بن حفصة حين هجاه فقال فى هجائه له :

لعمرك ما الجهم بن بدر بشاعر * وهذا على بعده يدعى الشعرا
ولكن أبى قد كان جاراً لأمه * فلما ادعى الاشعار أوهمنى أمرا

كان على بن الجهم قد قدم الشام ثم عاد قاصدا العراق ، فلما جاوز حلب ثار عليه أناس من بنى كلب فقاتلهم فجرح جرحا بليغا فكان فيه حتفه ، فوجد فى ثيابه رقعة مكتوب فيها :

يارحمتا للغريب بالبلد النا * زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا * بالعيش من بعده وما انتفعا

كانت وفاته بهذا السبب فى هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمسين ومائتين من الهجرة ﴾

فيها كان ظهور أبى الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب ، وأمه أم الحسين فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر ابن أبى طالب . وذلك أنه أصابته فاقة شديدة فدخل سامرا فسأل وصيفاً أن يجرى عليه رزقاً فأغلظ له القول . فرجع إلى أرض الكوفة فاجتمع عليه خلق من الأعراب ، وخرج إليه خلق من أهل الكوفة ، فنزل على الفلوجة وقد كثر الجمع معه ، فكتب محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق إلى عامله بالكوفة - وهو أبو أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان - يأمره بقتاله . ودخل يحيى ابن عمر قبل ذلك فى طائفة من أصحابه إلى الكوفة فاحتوى على بيت مالها فلم يجد فيه سوى ألفى دينار وسبعين ألف درهم ، وظهر أمره بالكوفة وفتح السجنين وأطلق من فيهما ، وأخرج نواب الخليفة منها وأخذ أموالهم واستحوذ عليها ، واستحكم أمره بها ، والتف عليه خلق من الزيدية وغيرهم ، ثم خرج من الكوفة إلى سوادها ثم كر راجعا إليها ، فتلقاه عبد الرحمن بن الخطاب الملقب وجه الفلس ، فقاتله قتالا شديداً فانهزم وجه الفلس ودخل يحيى بن عمر الكوفة ودعا إلى الرضى من آل محمد ، وقوى أمره جداً ، وصار إليه جماعة كثيرة من أهل الكوفة ، وتولاه أهل بغداد من العامة وغيرهم ممن ينسب إلى التشيع ، وأحبوه أكثر من كل من خرج قبله من أهل البيت ، وشرع فى تحصيل السلاح وإعداد آلات الحرب وجمع الرجال . وقد هرب نائب الكوفة منها إلى ظاهرها ، واجتمع إليه أمداد كثيرة من جهة الخليفة مع محمد بن عبد الله بن طاهر ، واستراحوا وجمعوا خيولهم ، فلما كان اليوم الثانى عشر من رجب أشار من أشار على يحيى بن عمر ممن لا رأى له ، أن يركب ويناجز الحسين ابن إسماعيل ويكبس جيشه ، فركب فى جيش كثير فيه خلق من الفرسان والمشاة أيضا من عامة أهل الكوفة بغير أسلحة ، فساروا إليهم فاقتتلوا قتالا شديداً فى ظلمة آخر الليل ، فما طلع الفجر إلا وقد انكشف أصحاب يحيى بن عمر ، وقد تقنطر به فرسه ثم طعن فى ظهره نخر أيضاً ، فأخذوه وحزوا رأسه وحملوه إلى الأمير فبعثوه إلى ابن طاهر فأرسله إلى الخليفة من الغد مع رجل يقال له عمر بن الخطاب ، أخى عبد الرحمن بن الخطاب ، فنصب بسامرا ساعة من النهار ثم بعث به إلى بغداد فنصب عند الجسر ، ولم يمكن نصبه من كثرة العامة فجعل فى خزائن السلاح . ولما جئ برأس يحيى بن عمر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر دخل الناس يهنونه بالفتح والظفر ، فدخل عليه أبو هاشم داود بن الهيثم الجعفرى فقال له : أيها الأمير ! إنك لتهنى بقتل رجل لو كان رسول الله ﷺ حيا لعزى به ، فما رد عليه شيئاً ثم خرج أبو هاشم الجعفرى وهو يقول :

يا بنى طاهر كلوه وبيًّا * إن لحم النبى غير مرى

إن وترا يكون طالبه الا * ه لوتر نجاحه بالحرى

وكان الخليفة قدوجه أميراً إلى الحسين بن إسماعيل نائب الكوفة ، فلما قتل يحيى بن عمر دخلوا الكوفة فأراد ذلك الأمير أن يضع فى أهلها السيف فمنعه الحسين وأمن الأسود والأبيض ، وأطفأ الله هذه الفتنة .

فلما كان رمضان من هذه السنة خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسين بن زيد ابن الحسن بن على بن أبى طالب بناحية طبرستان ، وكان سبب خروجه أنه لما قتل يحيى بن عمر أقطع المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر طائفة من أرض تلك الناحية ، فبعث كاتباً له يقال له جابر ابن هارون ، وكان نصرانياً ، ليتسلم تلك الأراضى ، فلما انتهى إليهم كرهوا ذلك جداً وأرسلوا إلى الحسن بن زيد هذا فجاء إليهم فبايعوه والتف عليه جملة الديلم وجماعة الأمراء فى تلك النواحى ، فركب فيهم ودخل آمل طبرستان وأخذها قهراً ، وجبى خراجها ، واستفحل أمره جداً ، ثم خرج منها طالباً لقتال سليمان بن عبد الله أمير تلك الناحية ، فالتقيا هنالك فكانت بينهما حروب ثم انهزم سليمان هزيمة منكرة ، وترك أهله وماله ولم يرجع دون جرجان . فدخل الحسن بن زيد سارية فأخذ مافيها من الأموال والحواصل ، وسير أهل سليمان إليه مكرمين على مراكب ، واجتمع للحسن بن زيد إمرة طبرستان بكمالها . ثم بعث إلى الرى فأخذها أيضاً وأخرج منها الطاهرية ، وصار إلى جند همذان ولما بلغ خبره المستعين ـ وكان مدبر ملكه يومئذ وصيف التركى ـ اغتم لذلك جداً واجتهد فى بعث الجيوش والأمداد لقتال الحسن بن زيد هذا .

وفى يوم عرفة منها ظهر بالرى أحمد بن عيسى بن حسين الصغير بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب ، و إدريس بن موسى بن عبدالله بن موسى بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب فصلى بالناس يوم العيد أحمد بن عيسى هذا ودعا إلى الرضى من آل محمد ، فحاربه محمد بن على بن طاهر فهزمه أحمد بن عيسى هذا واستفحل أمره . وفيها وثب أهل حمص على عاملهم الفضل بن قارن فقتلوه فى رجب ، فوجه المستعين إليهم موسى بن بغا الكبير فاقتتلوا بأرض الرستن فهزمهم وقتل جماعة من أهلها وأحرق أماكن كثيرة منها ، وأسر أشراف أهلها . وفيها وثبت الشاكرية والجند فى أرض فارس على عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم فهرب منهم فانتهبوا داره وقتلوا محمد بن الحسن بن قارن . وفيها غضب الخليفة على جعفر بن عبد الواحد ونفاه إلى البصرة . وفيها أسقطت مرتبة جماعة من الأمويين [1] فى دار الخلافة . وفيها حج بالناس جعفر بن الفضل أمير مكة .

وفيها توفى من الأعيان أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح . والبزى أحد القراء المشاهير .

---

(١) كذا . ولم نهتد إلى صوابه .

والحارث بن مسكين . وأبو حاتم السجستانى . وقد تقدم ذكره فى التى قبلها . وعياد بن يعقوب الرواجى . وعمرو بن بحر الجاحظ صاحب الكلام والمصنفات . وكثير بن عبيد الحمصى . ونصر بن على الجهضمى .

﴿ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين﴾

فيها اجتمع رأى المستعين و بغا الصغير و وصيف على قتل باغر التركى ، وكان من قواد الأمراء الكبار الذين باشروا قتل المتوكل ، وقد اتسع إقطاعه وكثرت عماله ، فقتل ونهبت دار كاتبه دليل بن يعقوب النصرانى ، ونهبت أمواله وحواصله ، وركب الخليفة فى حراقة من سامرا إلى بغداد فاضطربت الأمور بسبب خروجه ، وذلك فى المحرم . فنزل دار محمد بن عبد الله بن طاهر . وفيها وقعت فتنة شنعاء بين جند بغداد وجند سامرا ، ودعا أهل سامرا إلى بيعة المعتز ، واستقر أمر أهل بغداد على المستعين ، وأخرج المعتز وأخوه المؤيد من السجن فبايع أهل سامرا المعتز واستحوذ على حواصل بيت المال بها فاذا بها خمسمائة ألف دينار ، وفى خزانة أم المستعين ألف ألف دينار ، وفى حواصل العباس بن المستعين ستمائة ألف دينار ، واستفحل أمر المعتز بسامرا . وأمر المستعين لمحمد بن عبد الله بن طاهر أن يحصن بغداد و يعمل فى السورين والخندق ، وغرم على ذلك ثلثمائة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، ووكل بكل باب أميراً يحفظه ، ونصب على السور خمسة مناجيق ، منها واحد كبير جداً ، يقال له الغضبان ، وست عرادات وأعدوا آلات الحرب والحصار والعدد ، وقطعت القناطر من كل ناحية لئلا يصل الجيش إليهم . وكتب المعتز إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يدعوه إلى الدخول معه فى أمره ، و يذكره ما كان أخذه عليهم أبوه المتوكل من العهود والمواثيق ، من أنه ولى العهد بعده ، فلم يلتفت إليه بل رد عليه واحتج بحجج يطول ذكرها . وكتب كل واحد من المستعين والمعتز إلى موسى بن بغا الكبير وهو مقيم بأطراف الشام لحرب أهل حمص يدعوه إلى نفسه و بعث إليه بألوية يعقدها لمن اختار من أصحابه ، وكتب إليه المستعين يأمره بالمسير إليه إلى بغداد و يأمره أن يستنيب فى عمله ، فركب مسرعا فسار إلى سامرا فكان مع المعتز على المستعين . وكذلك هرب عبد الله بن بغا الصغير من عند أبيه من بغداد إلى المعتز ، وكذلك غيره من الأمراء والأتراك . وعقد المعتز لأخيه أبى أحمد بن المتوكل على حرب المستعين وجهز معه جيشا لذلك ، فسار فى خمسة آلاف من الأتراك وغيرهم نحو بغداد ، وصلى بعكبرا يوم الجمعة ، ودعا لأخيه المعتز . ثم وصل إلى بغداد ليلة الأحد لسبع خلون من صفر فاجتمعت العساكر هنالك ، وقد قال رجل يقال له باذنجانة كان فى عسكر أبى أحمد : —

يا بنى طاهر جنود الله * والموت بينها منثور
وجيوش أمامهن أبو أحمد * نعم المولى ونعم النصير

ثم جرت بينهما حروب طويلة وفتن مهولة جداً قد ذكرها ابن جرير مطولة ، ثم بعث المعتز مع

موسى بن ارشناس ثلاثة آلاف مدداً لأخيه أبى أحمد فوصلوا لليلة بقيت من ربيع الأول فوقفوا فى الجانب الغربى عند باب قطربل ، وأبو أحمد وأصحابه على باب الشماسية ، والحرب مستعرة والقتال كثير جداً ، والقتل واقع . قال ابن جرير : وذكر أن المعتز كتب إلى أخيه أبى أحمد يلومه على التقصير فى قتال أهل بغداد فكتب إليه أبو أحمد :

لأمر المنايا علينا طريق * وللدهر فينا اتساع وضيق
وأيامنا عبر للأنام * فمنها البكور ومنها الطروق
ومنها هنات تشيب الوليد * ويخذل فيها الصديق الصديق
وسور عريض له ذروة * تفوت العيون وبحر عميق
قتال مبيد وسيف عتيد * وخوف شديد وحصن وثيق
وطول صياح لداعى الصباح ال * سلاح السلاح فما يستفيق
فهذا طريح وهذا جريح * وهذا حريق وهذا غريق
وهذا قتيل وهذا تليل * وآخر يشدخه المنجنيق
هناك اغتصاب وثم انتهاب * ودور خراب وكانت تروق
إذا ما سمونا إلى مسلك * وجدناه قد سد عنا الطريق
فبالله نبلغ ما نرتجيه * وبالله ندفع ما لا نطيق

قال ابن جرير : هذا الشعر ينشد لعلى بن أمية فى فتنة المخلوع والمأمون ، وقد استمرت الفتنة والقتال ببغداد بين أبى أحمد أخى المعتز وبين محمد بن عبد الله بن طاهر نائب المستعين ، والبلد محصور وأهله فى ضيق شديد جداً ، بقية شهور هذه السنة ، وقتل من الفريقين خلق كثير فى وقعات متعددات ، وأيام نحسات ، فتارة يظهر أصحاب أبى أحمد ويأخذون بعض الأبواب فتحمل عليهم الطاهرية فيزيحونهم عنها ، ويقتلون منهم خلقا ثم يتراجعون إلى مواقفهم ويصابرونهم مصابرة عظيمة. لكن أهل بغداد كلما هم إلى ضعف بسبب قلة الميرة والجلب إلى داخل البلد ، ثم شاع بين العامة أن محمد بن عبد الله بن طاهر يريد أن يخلع المستعين ويبايع للمعتز ، وذلك فى أواخر السنة ، فتنصل من ذلك واعتذر إلى الخليفة وإلى العامة ، وحلف بالأيمان الغليظة فلم تبرأ ساحته من ذلك حق البراءة عند العامة ، واجتمعت العامة والغوغاء إلى دار ابن طاهر والخليفة نازل بها ، فسألوا أن يبرز لهم الخليفة ليروه ويسألوه عن ابن طاهر أهو راض عنه أم لا . وما زالت الضجة والأصوات مرتفعة حتى برز لهم الخليفة من فوق المكان الذى هم فيه وعليه السواد ومن فوقه البردة النبوية وبيده القضيب ، وقال لهم فيما خاطبهم به : أقسمت عليكم بحق صاحب هذه البردة والقضيب لما رجعتم إلى منازلكم

ورضيتم عن ابن طاهر فانه غير متهم لدى . فسكت الغوغاء ورجعوا إلى منازلهم ، ثم انتقل الخليفة من دار ابن طاهر إلى دار رزق الخادم ، وذلك فى أوائل ذى الحجة ، وصلى بهم العيد يوم الأضحى فى الجزيرة التى بحذاء دار ابن طاهر ، وبرز الخليفة يومئذ للناس وبين يديه الحربة وعليه البردة وبيده القضيب وكان يوماً مشهوداً ببغداد على ما بأهلها من الحصار والغلاء بالاسعار ، وقد اجتمع على الناس الخوف والجوع المترجمان لباس الخوع والخوف[1] نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة.

ولما تفاقم الأمر واشتد الحال وضاق المجال وجاع العيال وجهد الرجال ، جعل ابن طاهر يظهر ما كان كامناً فى نفسه من خلع المستعين ، فجعل يعرض له فى ذلك ولا يصرح ، ثم كاشفه به وأظهره له وناظره فيه وقال له : إن المصلحة تقتضى أن تصالح عن الخلافة على مال تأخذه سلفاً وتعجيلا ، وأن يكون لك من الخراج فى كل عام ما تختاره وتحتاجه ، ولم يزل يفتل فى الذروة والغارب حتى أجاب إلى ذلك وأناب . فكتب فيما اشترطه المستعين فى خلعه نفسه من الخلافة كتابا ، فلما كان يوم السبت لعشر بقين من ذى الحجة ركب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى الرصافة وجمع القضاة والفقهاء وأدخلهم على المستعين فوجاً فوجاً يشهدون عليه أنه قد صير أمره إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وكذلك جماعة الحجاب والخدم ، ثم تسلم منه جوهر الخلافة ، وأقام عند المستعين إلى هوى من الليل . وأصبح الناس يذكرون ويتنوعون فيما يقولون من الأراجيف . وأما ابن طاهر فانه أرسل بالكتاب مع جماعة من الأمراء إلى المعتز بسامرا ، فلما قدموا عليه بذلك أكرمهم وخلع عليهم وأجازهم فأسنى جوائزهم . وسيأتى ما كان من أمره أول السنة الداخلة .

وفيها كان ظهور رجل من أهل البيت أيضاً بأرض قزوين وزنجان فى ربيع الأول منها ، وهو الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الأرقط بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ويعرف بالكوكبى . وسيأتى ما كان من أمره هناك . وفيها خرج إسماعيل بن يوسف العلوى ، وهو ابن أخت موسى بن عبيد الله الحسنى ، وسيأتى ما كان من أمره أيضاً . وفيها خرج بالكوفة أيضاً رجل من الطالبيين وهو الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن حسين بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب ، فوجه إليه المستعين مزاحم بن خاقان فاقتتلا فهزم العلوى وقتل من أصحابه بشر كثير . ولما دخل مزاحم الكوفة حرق بها ألف دار ونهب أموال الذين خرجوا معه ، وباع بعض جوارى الحسين بن محمد هذا ، وكانت معتقة .

وفيها ظهر إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب بمكة فهرب منه نائبها جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى ، فانتهب منزله ومنازل أصحابه وقتل جماعة من الجند وغيرهم من أهل مكة ، وأخذ ما فى الكعبة من الذهب والفضة والطيب وكسوة

(١) كذا ولعل فيه تحريفاً .

الكعبة، وأخذ من الناس نحواً من مائتى ألف دينار، ثم خرج إلى المدينة النبوية فهرب منه نائبها أيضاً على بن الحسين بن على بن إسماعيل، ثم رجع إسماعيل بن يوسف إلى مكة فى رجب فحصر أهلها حتى هلكوا جوعا وعطشاً فبيع الخبز ثلاث أواق بدرهم، واللحم الرطل بأربعة، وشربة الماء بثلاثة دراهم، ولقى منه أهل مكة كل بلاء، فترحل عنهم إلى جدة ـ بعد مقامه عليهم سبعة وخمسين يوماً ـ فانتهب أموال التجار هنالك وأخذ المراكب وقطع الميرة عن أهل مكة ثم عاد إلى مكة لاجزاه الله خيراً عن المسلمين. فلما كان يوم عرفة لم يمكن الناس من الوقوف نهاراً ولا ليلا، وقتل من الحجيج ألفا ومائة، وسلبهم أموالهم ولم يقف بعرفة عامئذ سواه ومن معه من الحرامية، لاتقبل الله منهم صرفا ولا عدلا. وفيها وهن أمر الخلافة جداً. وفيها توفى من الأعيان إسحاق بن منصور الكوسج وحميد بن زنجويه. وعمرو بن عثمان بن كثير بن دينار الحمصى. وأبو التقى هشام بن عبد الملك اليزنى

﴿ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائتين﴾

«ذكر خلافة المعتز بالله بن المتوكل على الله بعد خلع المستعين نفسه»

استهلت هذه السنة وقد استقرت الخلافة باسم أبى عبد الله محمد المعتز بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، وقيل إن اسم المعتز أحمد، وقيل الزبير، وهو الذى عول عليه ابن عساكر وترجمه فى تاريخه. فلما خلع المستعين نفسه من الخلافة وبايع للمعتز دعا الخطباء يوم الجمعة رابع المحرم من هذه السنة بجوامع بغداد على المنابر للخليفة المعتز بالله، وانتقل المستعين من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل هو وعياله وولده وجواريه، ووكل بهم سعيد بن رجاء فى جماعة معه، وأخذ من المستعين البردة والقضيب والخاتم، وبعث بذلك إلى المعتز ثم أرسل إليه المعتز يطلب منه خاتمين من جوهر ثمين عنده يقال لأحدهما برج وللآخر جبل. فأرسلهما. وطلب المستعين أن يسير إلى مكة فلم يمكن، فطلب البصرة فقيل له إنها وبيئة. فقال إن ترك الخلافة أوبأ منها. ثم أذن له فى المسير إلى واسط فخرج ومعه حرس يوصلونه إليها نحو من أربعمائة. واستوزر المعتز أحمد بن أبى إسرائيل وخلع عليه وألبسه تاجاً على رأسه. ولما تمهد أمر بغداد واستقرت البيعة للمعتز بها ودان له أهلها وقدمتها الميرة من كل جانب، واتسع الناس فى الأرزاق والأطعمة، ركب أبو أحمد منها فى يوم السبت لثنتى عشرة ليلة من المحرم إلى سامرا وشيعه ابن طاهر فى وجوه الأمراء، فخلع أبو أحمد على ابن طاهر خمس خلع وسيفا ورده من الطريق إلى بغداد. وقد ذكر ابن جرير مدائح الشعراء فى المعتز وتشفيهم بخلع المستعين، فأكثر من ذلك جداً، فمن ذلك قول محمد بن مروان بن أبى الجنوب ابن مروان فى مدح المعتز وذم المستعين كما جرت به عادة الشعراء:

إن الامور إلى المعتز قد رجعت * والمستعين إلى حالاته رجعا

وكان يعلم أن الملك ليس له * وأنه لك لكن نفسَهُ خدعا
ومالك الملك مؤتيه ونازعه * آتاك ملكا ومنه الملكَ قد نزعا
إن الخلافة كانت لا تلائمه * كانت كذات حليل زوجت متعا
ما كان أقبح عند الناس بيعته * وكان أحسن قول الناس قد خلعا
ليت السفين إلى قاف دفعن به * نفسى الفداء لملاح به دفعا
كم ساس قبلك أمر الناس من ملك * لو كان حُمِّل ما حُملته ظَلَعا
أمسى بك الناس بعد الضيق فى سعة * والله يجعل بعد الضيق متسعا
والله يدفع عنك السوء من ملك * فانه بك عنا السوء قد دفعا

وكتب المعتز من سامرا إلى نائب بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر أن يسقط اسم وصيف و بغا ومن كان فى رسمهما فى الدواوين وعزم على قتلهما ، ثم استرضى عنهما فرضى عنهما . وفى رجب من هذه السنة خلع المعتز أخاه إبراهيم الملقب بالمؤيد من ولاية العهد وحبسه ، وأخاه أبا أحمد ، بعدما ضرب المؤيد أربعين مقرعة . ولما كان يوم الجمعة خطب بخلعه وأمره أن يكتب كتابا على نفسه بذلك ، وكانت وفاته بعد ذلك بخمسة عشر يوما ، فقيل إنه أدرج فى لحاف سمور وأمسك طرفاه حتى مات غما ، وقيل بل ضرب بحجارة من ثلج حتى مات بردا و بعد ذلك أخرج من السجن ولا أثر به فأحضر القضاة والأعيان فشهدوا على موته من غير سبب ولا أثر ، ثم حمل على حمار ومعه كفنه إلى أمه فدفنته .

﴿ ذكر مقتل المستعين ﴾

فى شوال منها كتب المعتز إلى نائبه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بتجهيز جيش نحو المستعين فجهز أحمد بن طولون التركى فوافاه فأخرجه لست بقين من رمضان فقدم به القاطول لثلاث مضين من شوال ثم قتل ، فقيل ضرب حتى مات ، وقيل بل غرق فى دجيل ، وقيل بل ضربت عنقه . وقد ذكر ابن جرير أن المستعين سأل من سعيد بن صالح التركى حين أراد قتله أن يمهله حتى يصلى ركعتين ، فأمهله ، فلما كان فى السجدة الأخيرة قتله وهو ساجد ، ودفن جثته فى مكان صلاته ، وخفى أثره وحمل رأسه إلى المعتز فدخل به عليه وهو يلعب بالشطرنج ، فقيل هذا رأس المخلوع . فقال : ضعوه حتى أفرغ من الدست . فلما فرغ نظر إليه وأمر بدفنه ، ثم أمر لسعيد بن صالح الذى قتله بخمسين ألف درهم ، و ولاه معونة البصرة . وفيها مات إسماعيل بن يوسف العلوى الذى فعل بمكة ما فعل كما تقدم من إلحاده فى الحرم ، فأهلكه الله فى هذه السنة عاجلا ولم يُنظره . وفيها مات أحمد بن محمد المعتصم وهو المستعين بالله كما تقدم . و إسحاق بن بهلول ، و زياد بن أيوب ومحمد ابن بشار . وغندر . وموسى بن المثنى الزمن . و يعقوب بن إبراهيم الدورقى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين ﴾

فى رجب منها عقد المعتز لموسى بن بغا الكبير على جيش قريب من أربعة آلاف ليذهبوا إلى قتال عبد العزيز بن أبى دلف بناحية همذان ، لأنه خرج عن الطاعة وهو فى نحو من عشرين ألفاً بناحية همذان ، فهزموا عبد العزيز فى أواخر هذه السنة هزيمة فظيعة ، ثم كانت بينهما وقعة أخرى فى رمضان عند الكرج فهزم عبد العزيز أيضاً وقتل من أصحابه بشر كثير ، وأسروا ذرارى كثيرة حتى أسروا أم عبد العزيز أيضاً ، وبعثوا إلى المعتز سبعين حملا من الرؤس وأعلاماً كثيرة ، وأخذ من عبد العزيز ما كان استحوذ عليه من البلاد . وفى رمضان منها خلع على بغا الشرابى وألبسه التاج والوشاحين . وفى يوم عيد الفطر كانت وقعة هائلة عند مكان يقال له البوازيج ، وذلك أن رجلا يقال له مساور بن عبد الحميد حكم فيها والتف عليه نحو من سبعمائة من الخوارج ، فقصده رجل يقال له بندار الطبرى فى ثلاثمائة من أصحابه ، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل من الخوارج نحو من خمسين ، وقتل من أصحاب بندار مائتان وقيل وخمسون رجلا . وقتل بندار فيمن قتل رحمه الله . ثم صمد مساور إلى حلوان فقاتله أهلها وأعانهم حجاج أهل خراسان فقتل مساور منهم نحواً من أربعمائة قبحه الله . وقتل من جماعته كثيرون أيضاً . ولثلاث بقين من شوال قتل وصيف التركى وأرادت العامة نهب داره فى سامرا ودور أولاده فلم يمكنهم ذلك ، وجعل الخليفة ما كان إليه إلى بغا الشرابى . وفى ليلة أربع عشرة من ذى القعدة من هذه السنة خسف القمر حتى غاب أكثره وغرق نوره ، وعند انتهاء خسوفه مات محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق ببغداد . وكانت علته قروحاً فى رأسه وحلقه فذبحته ، ولما أتى به ليصلى عليه اختلف أخوه عبيد الله وابنه طاهر وتنازعا الصلاة عليه حتى جذبت السيوف وترامى الناس بالحجارة ، وصاحت الغوغاء ياطاهر يا منصور : فمال عبيد الله إلى الشرقية ومعه القواد وأكابر الناس ، فدخل داره وصلى عليه ابنه وكان أبوه قد أوصى إليه . وحين بلغ المعتز ما وقع بعث بالخلع والولاية إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فأطلق عبيد الله للذى قدم بالخلع خمسين ألف درهم . وفيها نفى المعتز أخاه أبا أحمد من سر من رأى إلى واسط ، ثم إلى البصرة . ثم رد إلى بغداد أيضاً . وفى يوم الاثنين منها سلخ ذى القعدة التقى موسى بن بغا الكبير والحسين بن أحمد الكوكبى الطالبى الذى خرج فى سنة إحدى وخمسين عند قزوين فاقتتلا قتالا شديداً ، ثم هزم الكوكبى وأخذ موسى قزوين وهرب الكوكبى إلى الديلم . وذكر ابن جرير عن بعض من حضر هذه الوقعة أن الكوكبى حين التقى أمر أصحابه أن يتترسوا بالحجف ـ وكانت السهم لا تعمل فيهم ـ فأمر موسى بن بغا أصحابه عند ذلك أن يطرحوا ما معهم من النفط ثم حاولوهم وأروهم أنهم قد انهزموا منهم ، فتبعهم أصحاب الكوكبى ، فلما توسطوا الأرض التى فيها النفط أمر عند ذلك

بالقاء النار فيه فجعل النفط يحرق أصحاب الكوكبي ففروا سراعا هاربين ، وكر عليهم موسى وأصحابه فقتلوا منهم مقتلة عظيمةوهرب الكوكبي إلى الديلم ، وتسلم موسى قزوين . وفيها حج بالناس عبد الله ابن محمد بن سليمان الزينبي .

وفيها توفى من الأعيان أبو الأشعث . وأحمد بن سعيد الدارمي . و

﴿ سرى السقطى ﴾

أحد كبار مشايخ الصوفية . تلميذ معروف الكرخي . حدث عن هشيم وأبى بكر بن عياش وعلى ابن عراب ويحيى بن يمان ويزيد بن هارون وغيرهم . وعنه ابن أخته الجنيد بن محمد . وأبو الحسن النورى ومحمد بن الفضل بن جابر السقطى وجماعة . وكانت له دكان يتجر فيها فمرت به جارية قدانكسر إناء كان معها تشترى فيه شيئا لسادتها ، فجعلت تبكى فأعطاها سرى شيئا تشترى بدله ، فنظر معروف إليه وما صنع بتلك الجارية فقال له : بغض الله إليك الدنيا فوجد الزهد من يومه . وقال سرى : مررت فى يوم عيد فاذا معروف ومعه صغير شعث الحال فقلت : ما هذا ؟ فقال : هذا كان واقفا عند صبيان يلعبون بالجوز وهو مفكر ، فقلت له : مالك لا تلعب كما يلعبون ؟ فقال : أنا يتيم ولا شئ معى أشترى به جوزاً ألعب به . فأخذته لأجمع له نوى يشترى به جوزاً يفرح به . فقلت ألا أكسوه وأعطيه شيئاً يشترى به جوزاً ؟ فقال أو تفعل ؟ فقلت : نعم . فقال خذه أغنى الله قلبك . قال سرى : فصغرت عندى الدنيا حتى لهى أقل شئ . وكان عنده مرة لوز فساومه رجل على الكر بثلاثة وستين دينارا ، ثم ذهب الرجل فاذا اللوز يساوى الكر تسعين ديناراً فقال له : إنى أشترى منك الكر بتسعين ديناراً . فقال له إنى إنما ساومتك بثلاثة وستين ديناراً و إنى لا أبيعه إلا بذلك ، فقال الرجل : أنا أشترى منك بتسعين ديناراً . فقال لا أبيعك هو إلا بما ساومتك عليه. فقال له الرجل : إن من النصح أن لا أشترى منك إلا بتسعين ديناراً . وذهب فلم يشتر منه . وجاءت امرأة يوماً إلى سرى فقالت : إن ابنى قد أخذه الحرسى و إنى أحب أن تبعث إلى صاحب الشرطة لئلا يضرب ، فقام فصلى فطول الصلاة وجعلت المرأة تحترق فى نفسها ، فلما انصرف من الصلاة قالت المرأة: اللهالله فى ولدى . فقال لها : إنى إنما كنت فى حاجتك . فما رام مجلسه الذى صلى فيه حتى جاءت امرأة إلى تلك المرأة فقالت لها : ابشرى فقد أطلق ولدك وها هو فى المنزل . فانصرفت إليه. وقال سرى : أشتهى أن آكل أكلة ليس لله فيها على تبعة ، ولا لأحد على فيها منة . فما أجد إلى ذلك سبيلا .و فى رواية عنه أنه قال : إنى لأشتهى البقل من ثلاثين سنة فما أقدر عليه . وقال : احترق سوقنا فقصدت المكان الذى فيه دكانى فتلقانى رجل فقال : ابشر فان دكانك قد سلمت . فقلت : الحمد لله . ثم ذكرت ذلك التحميد إذ حمدت الله على سلامة دنياى و إنى لم أواس الناس فيما

هم فيه ، فأنا أستغفر الله منذ ثلاثين سنة . رواها الخطيب عنه . وقال :صليت وردى ذات ليلة ثم مددت رجلى فى المحراب فنوديت : ياسرى هكذا تجالس الملوك ؟ قال فضممت رجلى وقلت : وعزتك لا مددت رجلى أبداً . وقال الجنيد : ما رأيت أعبد من سرى السقطى . أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعاً إلا فى علة الموت . وروى الخطيب عن أبى نعيم عن جعفر الخلدى عن الجنيد قال : دخلت عليه أعوده فقلت : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى * والذى أصابنى من طبيبى

قال : فأخذت المروحة لأروح عليه فقال : كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق من داخل ؟ ثم أنشأ يقول :

القلب محترق والدمع مستبق * والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له * مماجناه الهوى والشوق والقلق
يارب إن كان شئ لى به فرج * فامنن على به ما دام بى رمق

قال فقلت له : أوصنى ، قال : لا تصحب الأشرار ، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأبرار الأخيار. وقد ذكر الخطيب وفاته يوم الثلاثاء لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد أذان الفجر ، ودفن بعد العصر بمقبرة الشونيزى ، وقبره ظاهر معروف ، وإلى جنبه قبر الجنيد . وروى عن أبى عبيدة بن حربوبة قال : رأيت سريا فى المنام فقلت : ما فعل الله بك؟ فقال غفرلى ولكل من شهد جنازتى. قلت : فانى ممن حضر جنازتك وصلى عليك . قال : فأخرج درجاً فنظر فيه فلم يرفيه اسمى ، فقلت : بلى ! قد حضرت فاذا اسمى فى الحاشية . وحكى ابن خلكان قولا أن سريا توفى سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة ست وخمسين فالله أعلم . قال ابن خلكان : وكان السرى ينشد كثيراً :

ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى * فمالى أرى الأعضاء منك كواسيا
فلاحب حتى يلصق الجلد بالحشى * وتذهل حتى لا تجيب المناديا

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين ﴾

فيها أمر الخليفة المعتز بقتل بغا الشرابى ونصب رأسه بسامرا ثم ببغداد وحرقت جثته وأخذت أمواله وحواصله . وفيها ولى الخليفة أحمد بن طولون الديار المصرية ، وهو بانى الجامع المشهور بها . وحج بالناس فيها على بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد . وتوفى فيها من الأعيان زياد بن أيوب الحسيانى . وعلى بن محمد بن موسى الرضى ، يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ببغداد . وصلى عليه أبو أحمد المتوكل فى الشارع المنسوب إلى أبى أحمد . ودفن بداره ببغداد . ومحمد بن عبد الله المخرمى . ومؤمل بن إهاب .

﴿ وأما أبو الحسن على الهادى ﴾

[فهو] ابن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين الشهيد بن على بن أبى طالب أحد الأئمة الاثنى عشرية ، وهو والد الحسن ابن على العسكرى المنتظر عند الفرقة الضالة الجاهلة الكاذبة الخاطئة . وقد كان عابداً زاهداً نقله المتوكل إلى سامرا فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر . ومات بها فى هذه السنة . وقد ذكر للمتوكل أن بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرة من الناس ، فبعث كبسة فوجدوه جالساً مستقبل القبلة وعليه مدرعة من صوف وهو على التراب ليس دونه حائل ، فأخذوه كذلك فحملوه إلى المتوكل وهو على شرابه ، فلما مثل بين يديه أجله وأعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس الذى فى يده فقال : يا أمير المؤمنين لم يدخل باطنى ولم يخالط لحمى ودمى قط ، فاعفنى منه . فأعفاه ثم قال له : أنشدنى شعراً فأنشده : ــ

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غُلْب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
نادى بهم صارخ من بعد ماقبروا * أين الأسرَّة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهرا وما لبسوا * فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

قال : فبكى المتوكل حتى بل الثرى ، و بكى من حوله بحضرته ، وأمر برفع الشراب وأمر له بأربعة آلاف دينار ، وتحلل منه ورده إلى منزله مكرماً رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين ﴾

فيها كانت وقعة بين مفلح و بين الحسن بن زيد الطالبى فهزمه مفلح ودخل آمل طبرستان وحرق منازل الحسن بن زيد ثم سار وراءه إلى الديلم . وفيها كانت محاربة شديدة بين يعقوب بن الليث و بين على بن الحسين بن قريش بن شبل ، فبعث على بن الحسين رجلا من جهته يقال له طوق بن المغلس ، فصابره أكثر من شهر ثم ظفر يعقوب بطوق فاسره فأسر وجوه أصحابه ، ثم سار إلى على ابن الحسين هذا فأسره وأخذ بلاده ــ وهى كرمان ــ فأضافها إلى ما بيده من مملكة خراسان سجستان : ثم بعث يعقوب بن الليث بهدية سنية إلى المعتز : دواب و بازات وثياب فاخرة . وفيها ولى الخليفة سليمان بن عبد الله بن طاهر نيابة بغداد والسواد فى ربيع الأول منها . وفيها أخذ صالح ابن وصيف أحمد بن إسرائيل كاتب المعتز والحسن بن مخلد كاتب قبيحة أم المعتز وأبا نوح عيسى

ابن إبراهيم ، وكانوا قدتما لؤاعلى أكل بيت المال ، وكانوا دوّاوين وغيرهم ، فضربهم وأخذ خطوطهم بأموال جزيلة يحملونها ، وذلك بغير رضى من المعتز فى الباطن واحتيط على أموالهم وحواصلهم وضياعهم وسموا الكتاب الخونة وولى الخليفة عن قهر غيرهم .

وفى رجب منها ظهر عيسى بن جعفر وعلى بن زيد الحسنيان بالكوفة وقتلا بها عبد الله بن محمد بن دواد بن عيسى واستفحل أمرهما بها .

﴿ موت الخليفة المعتز بن المتوكل ﴾

ولثلاث بقين من رجب من هذه السنة خلع الخليفة المعتز بالله ، ولليلتين مضتا من شعبان أظهر موته . وكان سبب خلعه أن الجند اجتمعوا فطلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم ، فسأل من أن تقرضه مالا يدفعهم عنه به فلم تعطه . وأظهرت أنه لا شئ عندها ، فاجتمع الأتراك على خلعه فأرسلوا إليه ليخرج إليهم فاعتذر بأنه قد شرب دواء وأن عنده ضعفاً ، ولكن ليدخل إلى بعضكم . فدخل إليه بعض الأمراء فتناولوه بالدبابيس يضربونه وجروا برجله وأخرجوه وعليه قميص مخرق ملطخ بالدم ، فأقاموه فى وسط دار الخلافة فى حر شديد حتى جعل يراوح بين رجليه من شدة الحر ، وجعل بعضهم يلطمه وهو يبكى ويقول له الضارب اخامها والناس مجتمعون ثم أدخلوه حجرة مضيقاً عليه فيها . ومازالوا عليه بأنواع العذاب حتى خلع نفسه من الخلافة وولى بعده المهتدى بالله كما سيأتى . ثم سلموه إلى من يسومه سوء العذاب بأنواع المثلات ، ومنع من الطعام والشراب ثلاثة أيام حتى جعل يطلب شربة من ماء البئر فلم يسق ، ثم أدخلوه سرباً فيه جص جير فدسوه فيه فأصبح ميتا ، فاستلوه من الجص سليم الجسد وأشهدوا عليه جماعة من الأعيان أنه مات وليس به أثر ، وكان ذلك فى اليوم الثانى من شعبان من هذه السنة ، وكان يوم السبت ، وصلى عليه المهتدى بالله ، ودفن مع أخيه المنتصر إلى جانب قصر الصوامع ، عن أربع وعشرين سنة . وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً وكان طويلا جسيما وسيما أقنى الأنف مدور الوجه حسن الضحك أبيض أسود الشعر مجعده ، كثيف اللحية حسن العينين ضيق الحاجبين أحمر الوجه وقد أثنى عليه الامام أحمد فى جودة ذهنه وحسن فهمه وأدبه حين دخل عليه فى حياة أبيه المتوكل ، كما قدمنا فى ترجمة أحمد . وروى الخطيب عن على بن حرب قال : دخلت على المعتز فما رأيت خليفة أحسن وجهاً منه ، فلما رأيته سجدت . فقال : ياشيخ تسجد لغير الله ؟ فقلت : حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد النبيل ثنا بكار بن عبد العزيز بن أبى بكرة عن أبيه عن جده « أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ما يفرح به أو بشر بما يسره سجد شكرا لله عز وجل » . وقال الزبير ابن بكار : سرت إلى المعتز وهو أمير فلما سمع بقدومى خرج مستعجلا إلى فعثر فأنشأ يقول : —

يموت الفتى من عثرة بلسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه * وعثرته فى الرجل تبرا على مهل

وذكر ابن عساكر أن المعتز لما حذق القرآن فى حياة أبيه المتوكل اجتمع أبوه والأمراء لذلك وكذلك الكبراء والرؤساء بسر من رأى ، واختلفوا لذلك أياماً عديدة ، وجرت أحوال عظيمة . ولما جلس وهو صبى على المنبر وسلم على أبيه بالخلافة ، وخطب الناس نثرت الجواهر والذهب والدراهم على الخواص والعوام بدار الخلافة ، وكان قيمة ما نثر من الجواهر يساوى مائة ألف دينار ، ومثلها ذهباً ، وألف ألف درهم غير ما كان من خلع وأسمطة وأقمشة مما يفوت الحصر ، وكان وقتاً مشهوداً لم يكن سروراً بدار الخلافة أبهج منه ولا أحسن . وخلع الخليفة على أم ولده المعتز قبيحة خلعاً سنية ، وأعطاها وأجزل لها العطاء ، وكذلك خلع على مؤدب ولده وهو محمد بن عمران ، أعطاه من الجوهر والذهب والفضة والقماش شيئاً كثيرا جدا والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ذكر خلافة المهتدى بالله ﴾

أبى محمد عبد الله محمد بن الواثق بن المعتصم بن هارون ، كانت بيعته يوم الأربعاء لليلة بقيت من رجب من هذه السنة بعد خلع المعتز نفسه بين يديه وإشهاده عليه بأنه عاجز عن القيام بها ، وأنه قد رغب إلى من يقوم بأعبائها . وهو محمد بن الواثق بالله ، ثم مد يده فبايعه قبل الناس كلهم ، ثم بايعه الخاصة ثم كانت بيعة العامة على المنبر ، وكتب على المعتز كتابا أشهد فيه بالخلع والعجز والمبايعة للمهتدى . وفى آخر رجب وقعت فى بغداد فتنة هائلة ، وثبت فيها العامة على نائبها سليمان بن عبد الله ابن طاهر ودعوا إلى بيعة أحمد بن المتوكل أخى المعتز ، وذلك لعدم علم أهل بغداد بما وقع بسامرا من بيعة المهتدى ، وقتل من أهل بغداد وغرق منهم خلق كثير ، ثم لما بلغهم بيعة المهتدى سكنوا ، ـ وإنما بلغتهم فى سابع شعبان ـ فاستقرت الأمور واستقر المهتدى فى الخلافة . وفى رمضان من هذه السنة ظهر عند قبيحة أم المعتز أموال عظيمة ، وجواهر نفيسة . كان من جملة ذلك ما يقارب ألفى ألف دينار ، ومن الزمرد الذى لم ير مثله مقدار مكوك ، ومن الحب الكبار مكوك ، وكيلجة ياقوت أحمر مما لم ير مثله أيضاً . وقد كان الأمراء طلبوا من ابنها المعتز خمسين ألف دينار تصرف فى أرزاقهم وضمنوا له أن يقتلوا صالح بن وصيف فلم يكن عنده من ذلك شئ ، فطلب من أمه قبيحة هذه قبحها الله فامتنعت أن تقرضه ذلك ، فأظهرت الفقر والشح : وأنه لا شئ عندها . ثم لما قتل ابنها وكان ما كان ، ظهر عندها من الأموال ما ذكرنا . وكان عندها من الذهب والفضة والآنية شئ كثير ، وقد كان لها من الغلات فى كل سنة ما يعدل عشرة آلاف ألف دينار ، وقد كانت قبل ذلك مختفية عند صالح بن وصيف عدو ولدها ، ثم تزوجت به وكانت تدعو عليه تقول : اللهم اخز صالح بن وصيف كما هتك سترى

وقتل ولدى وبدد شملى وأخذ مالى وغربنى عن بلدى وركب الفاحشة منى . ثم استقرت الخلافة باسم المهتدى بالله . وكانت بحمد الله خلافة صالحة . قال يوماً للأمراء : إنى ليست لى أم لها من الغلات مايقاوم عشرة آلاف ألف دينار ، ولست أريد إلا القوت فقط لا أريد فضلا على ذلك إلا لاخوتى ، فانهم مستهم الحاجة .

وفى يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان أمر صالح بن وصيف بضرب أحمد بن إسرائيل الذى كان وزيراً ، وأبى نوح عيسى بن إبراهيم الذى كان نصرانيا فأظهر الاسلام ، وكان كاتب قبيحة ، فضرب كل واحد منهما خمسمائة سوط بعد استخلاص أموالهما ثم طيف بهما على بغلين منكسين فماتا وهما كذلك ، ولم يكن ذلك عن رضى المهتدى ولكنه ضعيف لا يقدر على الانكار على صالح بن وصيف فى بادئ الأمر . وفى رمضان فى هذه السنة وقعت فتنة ببغداد أيضا بين محمد بن أوس ومن تبعه من الشاكرية والجند وغيرهم ، وبين العامة والرعاع ، فاجتمع من العامة نحو من مائة ألف وكان بين الناس قتال بالنبال والرماح والسوط ، فقتل خلق كثير ثم انهزم محمد بن أوس وأصحابه فنهبت العامة ماوجدوا من أمواله ، وهو ما يعادل ألفى ألف أو نحو ذلك . ثم اتفق الحال على إخراج محمد بن أوس من بغداد إلى أين أراد . فخرج منها خائفاً طريداً ، وذلك لأنه لم يكن عند الناس مرضى السيرة بل كان جباراً عنيداً ، وشيطانا مريداً ، وفاسقا شديداً ، وأمر الخليفة بأن ينفى القيان والمغنون من سامرا ، وأمر بقتل السباع والنمور التى فى دار السلطان ، وقتل الكلاب المعدة للصيد أيضاً . وأمر بابطال الملاهى ورد المظالم وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وجلس للعامة . وكانت ولايته فى الدنيا كلها من أرض الشام وغيرها متفرقة . ثم استدعى الخليفة موسى بن بغا الكبير إلى حضرته ليتقوى به على من عنده من الأتراك ولتجتمع كلمة الخلافة ، فاعتذر إليه من استدعائه بما هو فيه من الجهاد فى تلك البلاد .

﴿ ذكر خارجى آخر ادعى أنه من أهل البيت بالبصرة ﴾

فى النصف من شوال ظهر رجل بظاهر البصرة زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، ولم يكن صادقاً وإنما كان عسيفا ـ يعنى أجيراً ـ من عبد القيس ، واسمه على بن محمد بن عبد الرحيم ، وأمه قرة بنت على بن رحيب من محمد بن حكيم من بنى أسد بن خزيمة ، وأصله من قرية من قرى الرى . قاله ابن جرير . قال : وقد خرج أيضاً فى سنة تسع وأربعين ومائتين بالنجدين فادعى أنه على بن محمد بن الفضل بن الحسين بن عبد الله بن عباس بن على بن أبى طالب ، فدعا الناس بهجر إلى طاعته فاتبعه جماعة من أهل هجر ، ووقع بسببه قتال كثير وفتن كبار ، وحروب كثيرة ، ولما خرج خرجته هذه الثانية بظاهر البصرة التف عليه

خلق من الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ ، فعبر بهم دجلة فنزل الديناري ، وكان يزعم لبعض من معه أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة ، وكان يدعي أنه يحفظ سوراً من القرآن في ساعة واحدة جرى بها لسانه لا يحفظها غيره في مدة دهر طويل ، وهن سبحان والكهف وص وعم . وزعم أنه فكّر يوماً وهو في البادية إلى أي بلد يسير فخوطب من سحابة أن يقصد البصرة فقصدها ، فلما اقترب منها وجد أهلها مفترقين على شعبتين ، سعدية و بلالية ، فطمع أن ينضم إلى إحداهما فيستعين بها على الأخرى فلم يقدر على ذلك ، فارتحل إلى بغداد فأقام بها سنة وانتسب بها إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد ، وكان يزعم بها أنه يعلم ما في ضمائر أصحابه ، وأن الله يعلمه بذلك ، فتبعه على ذلك جهلة من الطغام ، وطائفة من الرعاع العوام . ثم عاد إلى أرض البصرة في رمضان فاجتمع معه بشر كثير ولكن لم يكن معهم عُدد يقاتلون بها فأتاهم جيش من ناحية البصرة فاقتتلوا جميعا ، ولم يكن في جيش هذا الخارجي سوى ثلاثة أسياف ، وأولئك الجيش معهم عدد وعُدد ولبوس ، ومع هذا هزم أصحاب هذا الخارجي ذلك الجيش ، وكانوا أربعة آلاف مقاتل ، ثم مضى نحو البصرة بمن معه فأهدى له رجل من أهل جبي فرساً فلم يجد لها سرجاً ولا لجاماً ، وإنما ألقى عليها حبلا وركبها وسنف حنكها بليف ، ثم صادر رجلا وتهدده بالقتل فأخذ منه مائة وخمسين دينارا وألف درهم ، وكان هذا أول مال نهبه من هذه البلاد ، وأخذ من آخر ثلاثة براذين ، ومن موضع آخر شيئاً من الأسلحة والأمتعة ، ثم سار في جيش قليل السلاح والخيول ، ثم جرت بينه و بين نائب البصرة وقعات متعددة ، يهزمهم فيها وكل مالأمره يقوى وتزداد أصحابه و يعظم أمره و يكثر جيشه ، وهو مع ذلك لايتعرض لأموال الناس ولا يؤذي أحداً ، وإنما يريد أخذ أموال السلطان . وقد انهزم أصحابه في بعض حروبه هزيمة عظيمة ثم تراجعوا إليه واجتمعوا حوله ، ثم كرّوا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، وكان لا يؤتى بأسير إلا قتله ثم قوى أمره وخافه أهل البصرة ، و بعث الخليفة إليها مدداً ليقاتلوا هذا الخارجي وهو صاحب الزنج قبحه الله ، ثم أشار عليه بعض أصحابه أن يهجم بمن معه على البصرة فيدخلونها عنوة فهجن آراءهم وقال : بل نكون منها قريبا حتى يكونوا هم الذين يطلبوننا إليها و يخطبوننا عليها . وسيأتي ما كان من أمره وأمر أهل البصرة في السنة المستقبلة إن شاء الله . وفيها حج بالناس علي بن الحسين بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن عباس .

وفيها توفي / ﴿ الجاحظ المتكلم المعتزلي ﴾

وإليه تنسب الفرقة الجاحظية لجحوظ عينيه ، ويقال له الحدق وكان شنيع المنظر سيء المخبر رديء الاعتقاد ، ينسب إلى البدع والضلالات ، وربما جاز به بعضهم إلى الانحلال حتى قيل في المثل ياويح من كفره الجاحظ . وكان بارعا فاضلا قد أتقن علوماً كثيرة وصنف كتباً جمة تدل على قوة

ذهنه وجودة تصرفه . ومن أجلّ كتبه كتاب الحيوان ، وكتاب البيان والتبيين . قال ابن خلكان : ومما أحسن مصنفاته وقد أطال ترجمته بحكايات ذكرها عنه . وذكر أنه أصابه الفالج فى آخر عمره ، وحكى أنه قال : أنا من جانبي الأيسر مفلوج لو قرض بالمقاريض ما علمت ، وجانبى الأيمن منضرس لو مرت به ذبابة لآلمتنى ، وبى حصاة ، وأشد ما على ست وتسعون سنة . وكان ينشد :ـ

أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت أيام الشباب

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

وفيها توفى عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمى ، وعبد الله بن هاشم الطوسى . والخليفة أبو عبد الله المعتز بن المتوكل . ومحمد بن عبد الرحيم الملقب صاعقة .

﴿ محمد بن كرّام ﴾

الذى تنسب إليه الفرقة الكرّامية . وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول وأصحابه وغيرهم وهو محمد بن كرام ـ بفتح الكاف وتشديد الراء ، على وزن جمال ـ بن عراف بن حزامة بن البراء ، أبو عبد الله السجستانى العابد ، يقال إنه من بنى تراب ، ومنهم من يقول محمد بن كرام بكسر الكاف وتشديد الراء وهو الذى سكن بيت المقدس إلى أن مات ، وجعل الآخر شيخاً من أهل نيسابور . والصحيح الذى يظهر من كلام أبى عبد الله الحاكم وابن عساكر أنهما واحد ، وقد روى ابن كرام عن على بن حجرد وعلى بن إسحاق الحنظلى السمرقندى ، سمع منه التفسير عن محمد ابن مروان عن الكلبى ، وإبراهيم بن يوسف الماكنانى ، وملك بن سليمان الهروى ، وأحمد بن حرب ، وعتيق بن محمد الجسرى ، وأحمد بن الأزهر النيسابورى ، وأحمد بن عبد الله الجوسارى ، ومحمد بن تميم القاريانى ، وكانا كذابين وضاعين ـ وغيرهم . وعنه محمد بن إسماعيل بن إسحاق وأبو إسحاق بن سفيان وعبد الله بن محمد القيراطى ، وإبراهيم بن الحجاج النيسابورى . وذكر الحاكم أنه حبس فى حبس طاهر بن عبد الله فلما أطلقه ذهب إلى ثغور الشام ثم عاد إلى نيسابور فحبسه محمد بن طاهر بن عبد الله وأطال حبسه وكان يتأهب لصلاة الجمعة ويأتى إلى السجان فيقول : دعنى أخرج إلى الجمعة ، فيمنعه السجان فيقول : اللهم إنك تعلم أن المنع من غيرى . وقال غيره : أقام ببيت المقدس أربع سنين ، وكان يجلس للوعظ عند العمود الذى عند مشهد عيسى عليه السلام واجتمع عليه خلق كثير ثم تبين لهم أنه يقول : إن الأيمان قول بلا عمل فتركه أهلها ونفاه متوليها إلى غور زغر فمات بها ، ونقل إلى بيت المقدس . مات فى صفر من هذه السنة . وقال الحاكم: توفى ببيت المقدس ليلا ودفن بباب أريحا عند قبور الأنبياء عليهم السلام ، وله ببيت المقدس من الأصحاب نحو من عشرين ألفا والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين ﴾

فى صبيحة يوم الاثنين الثانى عشر من المحرم قدم موسى بن بغا الكبير إلى سامرا فدخلها فى جيش هائل قد عباه ميمنة وميسرة وقلباً وجناحين ، فأتوا دار الخلافة التى فيها المهتدى جالساً لكشف المظالم فاستأذنوا عليه فأبطأ الأذن ساعة ، وتأخر عنهم فظنوا فى أنفسهم أن الخليفة إنما طلبهم خديعة منه ليسلط عليهم صالح بن وصيف ، فدخلوا عليه هجماً فجعلوا يراطنونهم بالتركى ثم عزموا فأقاموه من مجلسه وانتهبوا ما كان فيه ، ثم أخذوه مهانا إلى دار أخرى فجعل يقول لموسى بن بغا : مالك ويحك ؟ إنى إنما أرسلت إليك لأتقوى بك على صالح بن وصيف . فقال له موسى : لابأس عليك احلف لى أنك لا تريد بى خلاف ما أظهرت . فحلف له المهتدى فطابت الأنفس وبايعوه بيعة ثانية مشافهة وأخذوا عليه العهود والمواثيق أن لا يمالئ صالحا عليهم ، واصطلحوا على ذلك . ثم بعثوا إلى صالح بن وصيف ليحضرهم للمناظرة فى أمر المعتز ومن قتله صالح بن وصيف من الكتاب وغيرهم ، فوعدهم أن يأتيهم ، ثم اجتمع بجماعة من الأمراء من أصحابه وأخذ يتأهب لجمع الجيوش عليهم ، ثم اختفى من ليلته لايدرى أحد أين ذهب فى تلك الساعة ، فبعثوا المنادية تنادى عليه فى أرجاء البلد وتهددوا من أخفاه فلم يزل مختفياً إلى آخر صفر على ما سنذكر ، وورد سليمان بن عبد الله بن طاهر إلى نيابة بغداد ، وسلم الوزير عبد الله بن محمد بن يزداد إلى الحسن بن مخلد الذى كان أراد صالح بن وصيف قتله مع ذينك الرجلين ، فبقى فى السجن حتى رجع إلى الوزارة .

ولما أبطأ خبر صالح بن وصيف على موسى بن بغا وأصحابه قال بعضهم لبعض : اخلعوا هذا الرجل ـ يعنى الخليفة ـ فقال بعضهم : أتقتلون رجلا صوّاما قواما لا يشرب الخمر ولا يأتى الفواحش ؟ والله إن هذا ليس كغيره من الخلفاء ولاتطاوعكم الناس عليه . وبلغ ذلك الخليفة فخرج إلى الناس وهو متقلد سيفا فجلس على السرير واستدعى بموسى بن بغا وأصحابه فقال : قد بلغنى ماتمالأتم عليه من أمرى ، وإنى والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنط وقد أوصيت أخى بولدى ، وهذا سيفى ، والله لأضربن به ما استمسك قائمه بيدى ، والله لئن سقط من شعرى شعرة ليهلكن بدلها منكم ، أو لينهبن بها أكثركم ، أما دين ؟ أما حياء ؟ أما تستحيون ؟ كم يكون هذا الاقدام على الخلفاء والجرأة على الله عز وجل وأنتم لا تبصرون ؟ سواء عندكم من قصد الابقاء عليكم والسيرة الصالحة فيكم ، ومن كان يدعو بأرطال الشراب المسكر فيشربها بين أظهركم وأنتم لا تنكرون ذلك ، ثم يستأثر بالأموال عنكم وعن الضعفاء ، هذا منزلى فاذهبوا فانظروا فيه وفى منازل إخوتى ومن يتصل بى هل ترون فيها من آلات الخلافة شيئا ، أو من فرشها أو غير ذلك ؟ وإنما فى بيوتنا ما فى بيوت آحاد الناس ، ويقولون إنى أعلم علم صالح بن وصيف ، وهل هو إلا واحد منكم ؟ فاذهبوا فاعلموا

علمه فابلغوا شفاء نفوسكم فيه وأما أنا فلست أعلم علمه . قالوا : فاحلف لنا على ذلك ، قال أما اليمين فانى أبذلها لكم ، ولكن أدخرها لكم حتى تكون بحضرة الهاشميين والقضاة والمعدلين وأصحاب المراتب فى غد إذا صليت صلاة الجمعة . قال : فكأنهم لانوا لذلك قليلا . فلما كان يوم الأحد لثمان بقين من صفر ظفروا بصالح بن وصيف فقتل وجئ برأسه إلى المهتدى بالله وقد انفتل من صلاة المغرب ، فلم يزد على أن قال : واروه . ثم أخذ فى تسبيحه وذكره . ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين رفع الرأس على رمح ونودى عليه فى أرجاء البلد : هذا جزاء من قتل مولاه . وما زال الأمر مضطربا متفاقما وعظم الخطب حتى أفضى إلى خلع الخليفة المهتدى وقتله رحمه الله .

﴿ ذكر خلع المهتدى بالله وولاية المعتمد أحمد بن المتوكل على الله وإيراد شئ من فضائل المهتدى ﴾

لما بلغ موسى بن بغا أن مساور الشارى قد عاث بتلك الناحية فساداً ركب إليه فى جيش كثيف ومعه مفلح وبايكباك التركى فاقتتلوا هم ومساور الخارجى ولم يظفروا به بل هرب منهم وأعجزهم ، وكان قد فعل قبل مجيئهم الأفاعيل المنكرة فرجعوا ولم يقدروا عليه . ثم إن الخليفة أراد أن يخالف بين كلمة الأتراك فكتب إلى بايكباك أن يتسلم الجيش من موسى بن بغا ويكون هو الأمير على الناس وأن يقبل بهم إلى سامرا فلما وصل إليه الكتاب أقرأه موسى بن بغا فاشتد غضبه على المهتدى واتفقا عليه وقصدا إليه إلى سامرا ، وتركا ما كانا فيه . فلما بلغ المهتدى ذلك استخدم من فوره جنداً من المغاربة والفراغنة والأشروسية والارزكشية والأتراك أيضا ، وركب فى جيش كثيف فلما سمعوا به رجع موسى بن بغا إلى طريق خراسان وأظهر بايكباك السمع والطاعة ، فدخل فى ثانى عشر رجب إلى الخليفة سامعا مطيعا ، فلما أوقف بين يديه وحوله الأمراء والسادة من بنى هاشم شاورهم فى قتله فقال له صالح بن على بن يعقوب بن أبى جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين لم يبلغ أحد من الخلفاء فى الشجاعة ما بلغت ، وقد كان أبو مسلم الخراسانى شراً من هذا وأكثر جنداً ، ولما قتله المنصور سكنت الفتنة وخمد صوت أصحابه . فأمر عند ذلك بضرب عنق بايكباك ثم ألقى رأسه إلى الأتراك ، فلما رأوا ذلك أعظموه وأصبحوا من الغد مجتمعين على أخى بايكباك طغوتيا فخرج إليهم الخليفة فيمن معه فلما التقوا خامرت الأتراك الذين مع الخليفة إلى أصحابهم وصاروا إلباً واحداً على الخليفة ، فحمل الخليفة فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ثم حملوا عليه فهزموه ومن معه فانهزم الخليفة وبيده السيف صلتا وهو ينادى : يا أيها الناس انصروا خليفتكم . فدخل دار أحمد بن جميل صاحب المعونة ، فوضع فيها سلاحه ولبس البياض وأراد أن يذهب فيختفى ، فعاجله أحمد بن خاقان منها فأخذه قبل أن يذهب ، ورماه بسهم وطعن فى خاصرته به وحمل على دابة وخلفه سائس وعليه قميص وسراويل حتى أدخلوه دار أحمد بن خاقان ، فجعل من هناك يصفعونه ويبزقون فى وجهه ، وأخذ خطه بستمائة ألف دينار ،

وسلموه إلى رجل فلم يزل يجأ خصيتيه و يطؤهما حتى مات رحمه الله . وذلك يوم الخميس لثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب .

وكانت خلافته أقل من سنة بخمسة أيام ، وكان مولده فى سنة تسع عشرة ، وقيل خمس عشرة ومائتين ، وكان أسمر رقيقا أحنى حسن اللحية يكنى أبا عبـد الله . وصلى عليه جعفر بن عبد الواحد ودفن بمقبرة المنتصر بن المتوكل . قال الخطيب : وكان من أحسن الخلفاء منهباً وأجودهم طريقـة وأكثرهم ورعا وعبادة وزهادة . قال : وروى حديثا واحداً قال : حدثنى على بن هشام بن طراح عن محمـد بن الحسن الفقيه عن ابن أبى ليلى ـ وهو داود بن على ـ عن أبيـه عن ابن عباس قال قال العباس : يارسول الله مالنا فى هـذا الأمر ؟ قال : « لى النبوة ولـكم الخلافة ، بكم يفتح هذا الأمر وبكم يختم » وقال للعباس : « من أحبك نالته شفاعتى ، ومن أبغضك لا نالته شفاعتى » . وروى . الخطيب أن رجلا استعان المهتدى على خصمه فحكم بينهما بالعدل فأنشأ الرجل يقول :

حكمتموه فقضى بينكم * أبلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوة فى حكمه * ولا يبالى غبن الخاسر

فقال له المهتدى : أما أنت أيها الرجل فأحسن الله مقالتك ، ولست أغتر بما قلت . وأما أنا فانى ما جلست مجلسى هذا حتى قرأت (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) قال : فبكى الناس حوله فما رؤى أكثر باكيا من ذلك اليوم . وقال بعضهم : سرد المهتـدى الصوم من حين تولى إلى حين قتل رحمه الله . وكان يحب الاقتداء بما سلـكه عمر بن عبد العزيز الأموى فى خلافته من الورع والتقشف وكثرة العبادة وشدة الاحتياط ، ولو عاش ووجـد ناصراً لسار سيرته ما أمكنه ، وكان من عزمه أن يبيـد الأتراك الذين أهانوا الخلفاء وأذلوهم ، وانتهكوا منصب الخلافة . وقال أحمد بن سعيد الأموى : كنا جلوساً بمكة وعندى جماعة ونحن نبحث فى النحو وأشعار العرب ، إذ وقف علينا رجل نظنه مجنونا فأنشأ يقول :

أما تستحيون الله يامعدن النحو * شغلتم بذا والناس فى أعظم الشغل
إمامكم أضحى قتيلا مجندلا * وقد أصبح الاسلام مفترق الشمل
وأنتم على الأشعار والنحو عكفا * تصيحون بالأصوات فى أحسن السبل

قال فنظر وأرخنا ذلك اليوم فاذا المهتدى بالله قد قتل فى ذلك اليوم ، وهو يوم الاثنين لأربع عشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين

﴿ خلافة المعتمد على الله ﴾

وهو أحمد بن المتوكل على الله ويعرف بابن فتيان ، بويع بالخلافة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة

خلت من رجب فى هذه السنة فى دار الأمير يارجوخ وذلك قبل خلع المهتدى بأيام ، ثم كانت بيعة العامة يوم الاثنين لثمان مضت من رجب ، قيل ولعشر بن بقين من رجب دخل موسى بن بغا ومفلح إلى سر من رأى فنزل موسى فى داره وسكن وخمدت الفتنة هنالك ، وأما صاحب الزنج المدعى أنه علوى فهومحاصر للبصرة والجيوش الخليفية فى وجه دونها ، وهو فى كل يوم يقهرهم و يغنم أموالهم وما يفدإليهم فى المراكب من الأطعمة وغيرها ، ثم استحوذ بعد ذلك على الابلة وعبادان وغيرهما من البلاد وخاف منه أهل البصرة خوفا شديداً ، وكلما الأمره فى قوة وجيوشه فى زيادة ، ولم يزل ذلك دأبه إلى انسلاخ هذه السنة .

وفيها خرج رجل آخر فى الكوفة يقال له على بن زيد الطالبى ، وجاء جيش من جهة الخليفة فكسره الطالبى واستفحل أمره بالكوفة وقويت شوكته ، وتفاقم أمره . وفيها وثب محمد بن واصل التميمى على نائب الأهواز الحارث بن سيما الشرابى فقتله واستحوذ على بلاد الأهواز . وفى رمضان منها تغلب الحسن بن زيد الطالبى على بلاد الرى فتوجه إليه موسى بن بغا فى شوال ، وخرج الخليفة لتوديعه . وفيها كانت وقعة عظيمة على باب دمشق بين اماجور نائب دمشق ــ ولم يكن معه إلا قريب من أربعمائة فارس ــ و بين ابن عيسى بن الشيخ ، وهو فى قريب من عشرين ألفا ، فهزمه اماجور وجاءت ولاية من الخليفة لابن الشيخ على بلاد ارمينية على أن يترك أهل الشام ، فقبل ذلك وانصرف عنهم . وفيها حج بالناس محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور ، وكان فى جملة من حج أبو أحمد بن المتوكل . فتعجل وعجل السير إلى سامرا فدخلها ليلة الأربعاء لثلاث بقيت من ذى الحجة من هذه السنة . وفيها توفى المهتدى بالله الخليفة كما تقدم رحمه الله تعالى .

﴿ والزبير بن بكار ﴾

ابن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الزبيرى قاضى مكة . قدم بغداد وحدث بها ، وله كتاب أنساب قريش ، وكان من أهل العلم بذلك ، وكتابه فى ذلك حافل جداً . وقد روى عنه ابن ماجه وغيره ، ووثقه الدارقطنى والخطيب وأثنى عليه وعلى كتابه . وتوفى بمكة عن أربع وثمانين سنة فى ذى القعدة من هذه السنة .

﴿ محمد بن إسماعيل البخارى ﴾

صاحب الصحيح ، وقد ذكرنا له ترجمة حافلة فى أول شرحنا لصحيحه ، ولنذكر هاهنا نبذة يسيرة من ذلك فنقول : هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفى مولاهم أبو عبد الله البخارى الحافظ ، إمام أهل الحديث فى زمانه ، والمقتدى به فى أوانه ، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه ، وكتابه الصحيح يستقى بقراءته الغمام ، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه ، وكذلك

سائر أهل الاسلام ، ولد البخارى رحمه الله فى ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، ومات أبوه وهو صغير فنشأ فى حجر أمه فألهمه الله حفظ الحديث وهو فى المكتب ، وقرأ الكتب المشهورة وهو ابن ست عشرة سنة حتى قيل إنه كان يحفظ وهو صبى سبعين ألف حديث سرداً ، وحج وعمره ثمانى عشرة سنة . فأقام بمكة يطلب بها الحديث ، ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث فى البلدان التى أمكنته الرحلة إليها ، وكتب عن أكثر من ألف شيخ . وروى عنه خلائق وأمم . وقد روى الخطيب البغدادى عن الفربرى أنه قال : سمع الصحيح من البخارى معى نحو من سبعين ألفاً لم يبق منهم أحد غيرى . وقد روى البخارى من طريق الفربرى كما هى رواية الناس اليوم من طريقه ، وحماد بن شاكر وإبراهيم بن معقل وطاهر بن مخلد . وآخر من حدث عنه أبو طلحة منصور بن محمد بن على البردى النسفى وقد توفى النسفى هذا فى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة . ووثقه الأمير أبو نصر بن ما كولا . وممن روى عن البخارى مسلم فى غير الصحيح ، وكان مسلم يتلمذ له ويعظمه ، وروى عنه الترمذى فى جامعه ، والنسائى فى سننه فى قول بعضهم . وقد دخل بغداد ثمان مرات ، وفى كل منها يجتمع بالامام أحمد فيحثه أحمد على المقام ببغداد ويلومه على الاقامة بخراسان ، وقد كان البخارى يستيقظ فى الليلة الواحدة من نومه فيوقد السراج ويكتب الفائدة تمر بخاطره ثم يطفئ سراجه ، ثم يقوم مرة أخرى وأخرى حتى كان يتعدد منه ذلك قريباً من عشرين مرة . وقد كان أصيب بصره وهو صغير فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال يا هذه قد رد الله على ولدك بصره بكثرة دعائك ، أو قال بكائك ، فأصبح وهو بصير . وقال البخارى : فكرت البارحة فإذا أنا قد كتبت لى مصنفات نحواً من مائتى ألف حديث مسندة . وكان يحفظها كلها . ودخل مرة إلى سمرقند فاجتمع بأربعمائة من علماء الحديث بها ، فركبوا أسانيد وأدخلوا إسناد الشام فى إسناد العراق ، وخلطوا الرجال فى الأسانيد وجعلوا متون الأحاديث على غير أسانيدها ، ثم قرؤها على البخارى فرد كل حديث إلى إسناده ، وقوّم تلك الأحاديث والأسانيد كلها ، وما تعنتوا عليه فيها ، ولم يقدروا أن يعلقوا عليه سقطة فى إسناد ولا متن . وكذلك صنع فى بغداد . وقد ذكروا أنه كان ينظر فى الكتاب مرة واحدة فيحفظه من نظرة واحدة . والأخبار عنه فى ذلك كثيرة . وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه . فقال الامام أحمد : ما أخرجت خراسان مثله . وقال على بن المدينى : لم ير البخارى مثل نفسه . وقال إسحاق بن راهويه : لو كان فى زمن الحسن لاحتاج الناس إليه فى الحديث ومعرفته وفقهه . وقال أبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير : ما رأينا مثله . وقال على بن حجر : لا أعلم مثله . وقال محمود بن النظر بن سهل الشافعى : دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل

البخارى فضلوه على أنفسهم . وقال أبو العباس الدعولى : كتب أهل بغداد إلى البخارى :

المسلمون بخير ما حييت لهم * وليس بعدك خير حين تفتقد

وقال الفلاس : كل حديث لا يعرفه البخارى فليس بحديث . وقال أبو نعيم أحمد بن حماد : هو فقيه هذه الأمة . وكذا قال يعقوب بن إبراهيم الدورقى . ومنهم من فضله فى الفقه والحديث على الامام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وقال قتيبة بن سعيد : رحل إلىّ من شرق الأرض وغربها خلق فما رحل إلى مثل محمد بن إسماعيل البخارى . وقال مرجّى بن رجاء : فضل البخارى على العلماء كفضل الرجال على النساء ــ يعنى فى زمانه ــ وأما قبل زمانه مثل قرب الصحابة والتابعين فلا . وقال هو آية من آيات الله تمشى على الأرض . وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : محمد بن إسماعيل البخارى أفقهنا وأعلمنا وأغوصنا وأكثرنا طلباً . وقال إسحاق بن راهويه : هو أبصر منى . وقال أبو حاتم الرازى : محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق . وقال عبد الله العجلى : رأيت أبا حاتم وأبا زرعة يجلسان إليه يسمعان مايقول ، ولم يكن مسلم يبلغه ، وكان أعلم من محمد بن يحيى الذهلى بكذا وكذا ، وكان حيياً فاضلا يحسن كل شئ . وقال غيره : رأيت محمد بن يحيى الذهلى يسأل البخارى عن الأسامى والكنى والعلل ، وهو يمر فيه كالسهم ، كأنه يقرأ قل هو الله أحد . وقال أحمد بن حمدون القصار : رأيت مسلم بن الحجاج جاء إلى البخارى فقبل بين عينيه وقال : دعنى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث فى علله ، ثم سأله عن حديث كفارة المجلس فذكر له علته فلما فرغ قال مسلم لا يبغضك إلا حاسد ، وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك . وقال الترمذى : لم أر بالعراق ولا فى خراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من البخارى ، وكنا يوماً عند عبد الله بن منير فقال للبخارى : جعلك الله زين هذه الأمة . قال الترمذى : فاستجيب له فيه . وقال ابن خزيمة : ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ ولا أحفظ له من محمد ابن إسماعيل البخارى ، ولو استقصينا ثناء العلماء عليه فى حفظه وإتقانه وعلمه وفقهه وورعه وزهده وعبادته لطال علينا ، ونحن على عجل من أجل الحوادث والله سبحانه المستعان . وقد كان البخارى رحمه الله فى غاية الحياء والشجاعة والسخاء والورع والزهد فى الدنيا دار الفناء ، والرغبة فى الآخرة دار البقاء . وقال البخارى : إنى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد يطالبنى أنى اغتبته . فذكر له التاريخ وما ذكر فيه من الجرح والتعديل وغير ذلك . فقال : ليس هذا من هذا ، قال النبى ﷺ : « إيذنوا له فلبئس أخو العشيرة » ونحن إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا . وقد كان رحمه الله يصلى فى كل ليلة ثلاث عشرة ركعة ، وكان يختم القرآن فى كل ليلة من رمضان ختمة ، وكانت له جدة ومال جيد ينفق منه سراً وجهراً ، وكان يكثر الصدقة بالليل والنهار ، وكان مستجاب الدعوة مسدد

الرمية شريف النفس ، بعث إليه بعض السلاطين ليأتيه حتى يسمع أولاده عليه فأرسل إليه : فى بيته العلم والحلم يؤتى ـ يعنى إن كنتم تريدون ذلك فهلموا إلى ـ وأبى أن يذهب إليهم . والسلطان خالد ابن أحمد الذهلى نائب الظاهرية ببخارى ، فبقى فى نفس الأمير من ذلك ، فاتفق أن جاء كتاب من محمد بن يحيى الذهلى بأن البخارى يقول لفظه بالقرآن مخلوق ـ وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلى و بين البخارى فى ذلك كلام وصنف البخارى فى ذلك كتاب أفعال العباد ـ فأراد أن يصرف الناس عن السماع من البخارى ، وقد كان الناس يعظمونه جداً ، وحين رجع إليهم نثروا على رأسه الذهب والفضة يوم دخل بخارى عائداً إلى أهله ، وكان له مجلس يجلس فيه للاملاء بجامعها فلم يقبلوا من الأمير ، فأمر عند ذلك بنفيه من تلك البلاد ، فخرج منها ودعا على خالد بن أحمد فلم يمض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على خالد بن أحمد على أتان ، وزال ملكه وسجن فى بغداد حتى مات ، ولم يبق أحد يساعده على ذلك إلا ابتلى ببلاء شديد ، فنزح البخارى من بلده إلى بلدة يقال لها خرتنك على فرسخين من سمرقند ، فنزل عند أقارب له بها وجعل يدعو الله أن يقبضه إليه حين رأى الفتن فى الدين ، لما جاء فى الحديث : « و إذا أردت بقوم فتنة فتوفنا إليك غير مفتونين » . ثم اتفق مرضه على إثر ذلك . فكانت وفاته ليلة عيد الفطر ـ وكان ليلة السبت ـ عند صلاة العشاء ، وصلى عليه يوم العيد بعد الظهر من هذه السنة ـ أعنى سنة ست وخمسين ومائتين ـ وكفن فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ، وفق ما أوصى به ، وحين ما دفن فاحت من قبره رائحة غالية أطيب من ريح المسك ثم دام ذلك أياماً ثم جعلت ترى سوارى بيض بحذاء قبره . وكان عمره يوم مات ثنتين وستين سنة . وقد ترك رحمه الله بعده علما نافعاً لجميع المسلمين ، فعلمه لم ينقطع بل هو موصول بما أسداه من الصالحات فى الحياة ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، علم ينتفع به » الحديث رواه مسلم وشرطه فى صحيحه هذا أعز من شرط كل كتاب صنف فى الصحيح ، لا يوازيه فيه غيره ، لا صحيح مسلم ولا غيره ، وما أحسن ما قال بعض الفصحاء من الشعراء :

صحيح البخارى لو أنصفوه * لما خط إلا بماء الذهب
هو الفرق بين الهدى والعمى * هو السد بين الفتى والعطب
أسانيد مثل نجوم السماء * أمام متون لها كالشهب
بها قام ميزان دين الرسول * ودان به العجم بعد العرب
حجاب من النار لاشك فيه * يميز بين الرضى والغضب
وستر رقيق إلى المصطفى * ونص مبين لكشف الريب

فياعالما أجمع العالمو * ن على فضل رتبته فى الرتب
سبقت الأئمة فيما جمعت * وفزت على زعمهم بالقصب
نفيت الضعيف من الناقلـ * ـين ومن كان متهماً بالكذب
وأبرزت فى حسن ترتيبه * وتبويبه عجبا للعجب
فأعطاك مولاك ما تشتهيه * وأجزل حظك فيما وهب

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين ﴾

فيها ولى الخليفة المعتمد ليعقوب بن الليث بلخ وطخارستان وما يلى ذلك من كرمان وسجستان والسند وغيرها . وفى صفر منها عقد المعتمد لأخيه أبى أحمد على الكوفة وطريق مكة والحرمين واليمن وأضاف إليه فى رمضان نيابة بغداد والسواد وواسط وكور دجلة والبصرة والأهواز وفارس ، وأذن له أن يستنيب فى ذلك كله . وفيها تواقع سعيد الحاجب وصاحب الزنج فى أراضى البصرة فهزمه سعيد الحاجب واستنقذ من يده خلقاً من النساء والذرية ، واسترجع منه أموالا جزيلة ، وأهان الزنج غاية الاهانة . ثم إن الزنج بيتوا سعيداً وجيشه فقتلوا منهم خلقا كثيراً ويقال إن سعيد بن صالح قتل أيضاً . ثم إن الزنج التقواهم ومنصور بن جعفر الخياط فى جيش كثيف فهزمهم صاحب الزنج المدعى أنه طالبى ، وهو كاذب . قال ابن جرير : وفيها ظفر ببغداد بموضع يقال له بركة زلزل برجل خناق قد قتل خلقا من النساء كان يؤلف المرأة ثم يخنقها ويأخذ ما عليها ، فحمل إلى المعتمد فضرب بين يديه بألفى سوط وأربعمائة ، فلم يمت حتى ضرب به الجلادون على أنثييه بخشب العُقابين فمات ، ورد إلى بغداد وصلب هناك ، ثم أحرقت جثته . وفى ليلة الرابع عشر من شوال من هذه السنة كسف القمر وغاب أكثره . وفى صبيحة هذا اليوم دخل جيش الخبيث الزنجى إلى البصرة قهراً فقتل من أهلها خلقا وهرب نائبها بغراج ومن معه ، وأحرقت الزنج جامع البصرة ودوراً كثيرة ، وانتهبوها ثم نادى فيهم إبراهيم بن المهلبى أحد أصحاب الزنجى الخارجى : من أراد الامان فليحضر . فاجتمع عنده خلق كثير من أهل البصرة فرأى أنه قد أصاب فرصة فغدر بهم وأمر بقتلهم ، فلم يفلت منهم إلا الشاذ : كانت الزنج تحيط بجماعة من أهل البصرة ثم يقول بعضهم لبعض : كيلوا ـ وهى الاشارة بينهم إلى القتل ـ فيحملون عليهم بالسيوف فلا يسمع إلا قول أشهد أن لا إله إلا الله، من أولئك المقتولين وضجيجهم عند القتل ـ أى صراخ الزنج وضحكهم ـ فانا لله وإنا إليه راجعون . وهكذا كانوا يفعلون فى كل محال البصرة فى عدة أيام نحسات ، وهرب الناس منهم كل مهرب ، وحرقوا الكلأ من الجبل إلى الجبل ، فكانت النار تحرق ما وجدت من شىء من إنسان أو بهيمة أو آثار أو غير ذلك ، وأحرقوا المسجد الجامع [وقد قتل هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان والأدباء والفضلاء . والمحدثين

والعلماء . فانا لله و إنا إليه راجعون[1]] . وكان هـذا الخبيث قد أوقع فى أهـل فارس وقعة عظيمة ، ثم بلغه أن أهل البصرة قد جاءهم من الميرة شئ كثير وقـد اتسعوا بعد الضيق فحسدهم على ذلك ، فروى ابن جرير عن من سمعه يقول : دعوت الله على أهل البصرة فخوطبت فقيل : إنما أهل البصرة خبزة لك تأكلهـا من جوانبها ، فاذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة فأولت الرغيف القمر وانكساره انكسافه ، وقد كان هذا شائعا فى أصحابه حتى وقع الأمر طبق ما أخبر به . ولا شك أن هـذا كان معه شيطان يخاطبه ، كما كان يأتى الشيطان مسيلمة وغيره . قال : ولما وقع ما وقع من الزنج بأهل البصرة قال هـذا الخبيث لمن معه : إنى صبيحة ذلك دعوت الله على أهل البصرة فرفعت لى البصرة بين السماء والأرض ورأيت أهلها يقتلون ورأيت الملائكة تقاتل مع أصحابى و إنى لمنصور على الناس والملائكة تقاتل معى ، وتثبت جيوشى ، و يؤيدونى فى حروبى . ولمـا صار إليـه العلوية الذين كانوا بالبصرة انتسب هو حينئـذ إلى يحيى بن زيد ، وهو كاذب فى ذلك بالاجماع ، لان يحيى ابن زيد لم يعقب إلا بنتا ماتت وهى ترضع ، فقبح الله هذا اللعين ما أكذبه وأفجره وأغدره .

وفيها فى مستهل ذى القعدة وجـه الخليفة جيشا كثيفا مع الأمير محمد ـ المعروف بالمولد ـ لقتال صاحب الزنج ، فقبض فى طريقه على سعد بن أحمد الباهلى الذى كان قد تغلب على أرض البطائح وأخاف السبيل . وفيها خالف محمد بن واصل الخليفة بأرض فارس وتغلب عليها . وفيها وثب رجل من الروم يقال له بسيل الصقلبى على ملك الروم ميخائيل بن توفيل فقتله واستحوذ على مملـكة الروم ، وقـد كان لميخائيل فى الملك على الروم أربع وعشرون سنة . وحج بالناس فيها الفضـل بن إسحاق العباسى . وفيها توفى من الأعيان :

﴿ الحسن بن عرفة بن يزيد ﴾

صاحب الجزء المشهور المروى ، وقـد جاوز المائة بعشر سنين ، وقيل بسبع ، وكان له عشرة من الولد سماهم بأسماء العشرة . وقد وثقه يحيى بن معين وغيره ، وكان يتردد إلى الامام أحمـد بن حنبل ولد فى سنة خمسين ومائة ، وتوفى فى هذه السنة عن مائة وسبع سنين .

وأبو سعيد الأشج . وبريد بن أخرم الطائى . والرواسى ذبحهما الزنج فى جملة من ذبحوا من أهل البصرة . وعلى بن خشرم . أحد مشايخ مسلم الذى يكثر عنهـم الرواية . ﴿ والعباس بن الفرج ﴾ أبو الفضل الرياشى النحوى اللغوى ، كان عالما بأيام العرب والسير وكان كثير الاطلاع ثقة عالما ، روى عن الأصمعى وأبى عبيدة وغـيرهما ، وعنه إبراهيم الحربى ، وأبو بكر بن أبى الدنيا وغيرهما . قتل بالبصرة فى هـذه السنة ، قتله الزنج . ذكره ابن خلـكان فى الوفيات وحكى عنه الاصمعى أنه قال :

(١) زيادة من نسخة أخرى بالأستانة ومن المصرية .

مر بنا أعرابى ينشد ابنه فقلنا له صفه لنا . فقال : كأنه دنينير . فقلنا : لم نره ، فلم نلبث أن جاء يحمله على عنقه أسيود كأنه سفل قدر . فقلت : لو سألتنا عن هذا لأرشدناك ، إنه منذ اليوم يلعب ههنا مع الغلمان . ثم أنشد الأصمعى :

نعمَ ضجيع الفتى إذا برد * الليل سحراً وقرقف العرد
زينها الله فى الفؤاد كما * زين فى عين والد ولد

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين ﴾

فى يوم الاثنين لعشر بقين من ربيع الأول عقد الخليفة لأخيه أبى أحمد على ديار مصر وقنسرين والعواصم ، وجلس يوم الخميس فى مستهل ربيع الآخر فخلع على أخيه وعلى مفلح وركبا نحو البصرة فى جيش كثيف فى عدد وعـدد ، فاقتتلوا هم والزنج قتالا شـديداً فقتل مفلح للنصف من جمادى الأولى ، أصابه سهم بلا نصل فى صـدره فأصبح ميتاً ، وحملت جثته إلى سامرا فدفن بها . وفيها أسر يحيى بن محمـد البحرانى أحد أمراء صاحب الزنج الـكبار ، وحمل إلى سامرا فضرب بين يدى المعتمد مائتى سوط ثم قطعت يداه ورجـلاه من خلاف ، ثم أخـذ بالسيوف ثم ذبح ثم أحرق ، وكان الذين أسروه جيش أبى أحمد فى وقعة هائلة مع الزنج قبحهم الله . ولما بلغ خبره صاحب الزنج أسف على ذلك ثم قال : لقد خوطبت فيه فقيل لى : قتله كان خيراً لك . لأنه كان شرها يخفى من المغانم خيارها وقد كان صاحب الزنج يقول لأصحابه : لقد عرضت على النبوة فخفت أن لا أقوم بأعبائها فلم أقبلها.

وفى ربيع الآخر منها وصل سعيد بن أحمد الباهلى إلى باب الخليفة فضرب سبعمائة سوط حتى مات ثم صلب . وفيها قتل قاض وأربعة وعشرون رجلا من أصحاب صاحب الزنج عنـد باب العامة بسامرا . وفيها رجع محمد بن واصل إلى طاعـة السلطان وحمل خراج فارس وتمهدت الأمور هناك . وفيها فى أواخر رجب كان بين أبى أحمـد وبين الزنج وقعة هائلة فقتـل منها خلق من الفريقين . ثم استوخم أبو أحمد منزله فانتقل إلى واسط فنزلها فى أوائل شعبان ، فلما نزلها وقعت هناك زلزلة شديدة وهدة عظيمة ، تهدمت فيها بيوت ودور كثيرة ، ومات من الناس نحو من عشرين ألفاً . وفيها وقع فى الناس وباء شديد وموت عريض ببغـداد وسامرا وواسط وغـيرها من البلاد ، وحصل للناس ببغـداد داء يقال له القفاع . وفى يوم الخميس لسبع خلون من رمضان ، أخـذ رجل من باب العامة بسامرا ذكر عنه أنه يسب السلف فضرب ألف سوط حتى مات . وفى يوم الجمعة ثامنه توفى الأمير يارجوخ فصلى عليه أخو الخليفة أبو عيسى وحضره جعفر بن المعتمد على الله . وفيها كانت وقعة هائلة بين موسى بن بغا وبين أصحاب الحسين بن زيد ببـلاد خراسان فهزمهم موسى هزيمة فظيعة . وفيها كانت وقعـة بين مسرور البلخى وبين مساور الخارجى فكسره مسرور وأسر من أصحابه جماعـة

كثيرة . وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق المتقدم ذكره . وفيها توفى من الأعيان أحمد بن بديل وأحمد بن حفص . وأحمد بن سنان القطان . ومحمد بن يحيى الذهلى . ويحيى بن معاذ الرازى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين ﴾

فى يوم الجمعة لأربع بقين من ربيع الآخر رجع أبو أحمد بن المتوكل من واسط إلى سامرا وقد استخلف على حرب الزنج محمد الملقب بالمولد ، وكان شجاعاً شهماً . وفيها بعث الخليفة إلى نائب الكوفة جماعة من القواد فذبحوه وأخذوا ما كان معه من المال فاذا هو أربعون ألف دينار . وفيها تغلب رجل جمال يقال له شركب الجمال على مدينة مرو فانتهبها وتفاقم أمره وأمر أتباعه هناك . ولثلاث عشرة بقيت من ذى القعدة توجه موسى بن بغا إلى حرب الزنج ، وخرج المعتمد لتوديعه وخلع عليه عند مفارقته له ، وخرج عبد الرحمن بن مفلح إلى بلاد الأهواز نائبا عليها ، وليكون عونا لموسى بن بغا على حرب صاحب الزنج الخبيث ، فهزم عبد الرحمن بن مفلح جيش الخبيث وقتل من الزنج خلقاً كثيراً وأسر طائفة كبيرة منهم وأرعبهم رعباً كثيراً بحيث لم يتجاسروا على مواقفته مرة ثانية ، وقد حرضهم الخبيث كل التحريض فلم ينجع ذلك فيهم ، ثم تواقع عبد الرحمن بن مفلح وعلى ابن أبان المهلبى وهو مقدم جيوش صاحب الزنج فجرت بينهما حروب يطول شرحها ، ثم كانت الدائرة على الزنج ولله الحمد . فرجع على بن أبان إلى الخبيث مغلوبا مقهوراً ، و بعث عبد الرحمن بالأسارى إلى سامرا فبادر إليهم العامة فقتلوا أكثرهم وسلبوهم قبل أن يصلوا إلى الخليفة .

وفيها دنا ملك الروم لعنه الله إلى بلاد سُمَيساط ثم إلى ملطية فقاتله أهلها فهزموه وقتلوا بطريق البطارقة من أصحابه ، ورجع إلى بلاده خاسئاً وهو حسير . وفيها دخل يعقوب بن الليث إلى نيسابور وظفر بالخارجى الذى كان بهراة ينتحل الخلافة منذ ثلاثين سنة فقتله وحمل رأسه على رمح وطيف به فى الآفاق . ومعه رقعة مكتوب فيها ذلك . وفيها حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن يعقوب بن سليمان بن إسحاق بن على بن عبد الله بن عباس .

وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق أبو إسحاق الجوزجانى خطيب دمشق وإمامها وعالمها وله المصنفات المشهورة المفيدة ، منها المترجم فيه علوم غزيرة وفوائد كثيرة .

﴿ ثم دخلت سنة ستين ومائتين من الهجرة ﴾

فيها وقع غلاء شديد ببلاد الاسلام كلها حتى أجلى أكثر أهل البلدان منها إلى غيرها ، ولم يبق بمكة أحد من المجاورين حتى ارتحلوا إلى المدينة وغيرها من البلاد ، وخرج نائب مكة منها . و بلغ كُرّ الشعير ببغداد مائة وعشرين ديناراً ، واستمر ذلك شهوراً . وفيها قتل صاحب الزنج على بن زيد صاحب الكوفة ، وفيها أخذ الروم من المسلمين حصن لؤلؤة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المذكور قبلها .

وفيها توفى من الأعيان الحسن بن محمد الزعفرانى ، وعبد الرحمن بن شرف . ومالك بن طوق صاحب الرحبة التى تنسب إليه ، وهو مالك بن طوق ، و يقال للرحبة رحبة مالك بن طوق ، وحنين ابن إسحاق العبادى الذى عرّب كتاب اقليدس وحرره بعد ثابت بن قرة . وعرب حنين أيضاً كتاب المجسطى وغير ذلك من كتب الطب من لغة اليونان إلى لغة العرب ، وكان المأمون شديد الاعتناء بذلك جداً ، وكذلك جعفر البرمكى قبله . ولحنين مصنفات كثيرة فى الطب ، و إليه تنسب مسائل حنين ، وكان بارعا فى فنه جداً ، توفى يوم الثلاثاء لست خلون من صفر من هذه السنة . قاله ابن خلكان .

﴿ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين﴾

فيها انصرف الحسن بن زيد من بلاد الديلم إلى طبرستان وأحرق مدينة شالوس لما لأنهم يعقوب بن الليث عليه . وفيها قتل مساور الخارجى يحيى بن حفص الذى كان يلى طريق خراسان فى جمادى الآخرة فشخص إليه مسرور البلخى ثم تبعه أبو أحمد بن المتوكل فهرب مساور فلم يلحق . وفيها كانت وقعة بين ابن واصل الذى تغلب على فارس وبين عبد الرحمن بن مفلح فكسره ابن واصل وأسره وقتل طاشتمر واصطلم الجيش الذين كانوا معه فلم يفلت منهم إلا اليسير ، ثم سار ابن واصل إلى واسط يريد حرب موسى بن بغا فرجع موسى إلى نائب الخليفة وسأل أن يعفى من ولاية بلاد المشرق لما بها من الفتن ، فعزل عنها وولاها الخليفة إلى أخيه أبى أحمد . وفيها سار أبو الساج إلى حرب الزنج فاقتتلوا قتالا شديداً وغلبهم الزنج ودخلوا الأهواز فقتلوا خلقاً من أهلها وأحرقوا منازل كثيرة ، ثم صرف أبو الساج عن نيابة الأهواز وخربها الزنج وولى الخليفة ذلك إبراهيم بن سيما . وفيها تجهز مسرور البلخى فى جيش لقتال الزنج . وفيها ولى الخليفة نصر بن أحمد ابن أسد السامانى ما وراء نهر بلخ وكتب إليه بذلك فى شهر رمضان . وفى شوال قصد يعقوب بن الليث حرب ابن واصل فالتقيا فى ذى القعدة فهزمه يعقوب وأخذ عسكره وأسر رجاله وطائفة من حرمه وأخذ من أمواله ماقيمته أربعون ألف ألف درهم . وقتل من كان يمالئه وينصره من أهل تلك البلاد . وأصلح الله به تلك الناحية .

ولاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال ولى المعتمد على الله ولده جعفراً العهد من بعده وسماه المفوض إلى الله وولاه المغرب وضم إليه موسى بن بغا وولاية إفريقية ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية وطريق خراسان وغير ذلك ، وجعل الأمر من بعد ولده لأبى أحمد المتوكل ولقبه الموفق بالله وولاه المشرق وضم إليه مسرور البلخى وولاه بغداد والسواد والكوفة وطريق مكة والمدينة واليمن وكسكر وكوردجلة والأهواز وفارس وأصبهان والكرخ والدينور والرى وزنجان والسند ، وكتب بذلك مكاتبات وقرئت بالآفاق ، وعلق منها نسخة بالكعبة . وفيها حج بالناس الفضل بن إسحاق .

وفيها توفى من الأعيان أحمد بن سليمان الرهاوى . وأحمد بن عبدالله العجلى . والحسن بن أبى الشوارب بمكة . وداود بن سليمان الجعفرى . وشعيب بن أيوب . وعبد الله بن الواثق أخو المهتدى بالله . وأبوشعيب السوسى . وأبو يزيد البسطامى أحد أئمة الصوفية . وعلى بن إشكاب وأخوه أبو محمد و مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح

﴿ وهذا ذكر شئ من ترجمته على سبيل الاختصار ﴾

هو مسلم أبو الحسين القشيرى النيسابورى أحد الأئمة من حفاظ الحديث صاحب الصحيح الذى هو تلو صحيح البخارى عند أكثر العلماء ، وذهبت المغاربة وأبو على النيسابورى من المشارقة إلى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخارى ، فان أرادوا تقديمه عليه فى كونه ليس فيه شئ من التعليقات إلا القليل ، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها فى موضع واحد ولا يقطعها كتقطيع البخارى لها فى الأبواب فهذا القدر لا يوازى قوة أسانيد البخارى واختياره فى الصحيح لها ما أورده فى جامعه معاصرة الراوى لشيخه وسماعه منه وفى الجملة فان مسلماً لم يشترط فى كتابه الشرط الثانى كما هو مقرر فى علوم الحديث ، وقد بسطت ذلك فى أول شرح البخارى . والمقصود أن مسلما دخل إلى العراق والحجاز والشام ومصر وسمع من جماعة كثيرين قد ذكرهم شيخنا الحافظ المزى فى تهذيبه مرتبين على حروف المعجم . وروى عنه جماعة كثيرون منهم الترمذى فى جامعه حديثا واحداً وهو حديث محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « احصوا اهلال شعبان لرمضان » . وصالح بن محمد جزره . وعبد الرحمن بن أبى حاتم . وابن خزيمة ، وابن صاعد ، وأبو عوانة الأسفرايينى . وقال الخطيب : أخبرنى محمد بن أحمد بن يعقوب أخبرنا أحمد بن نعيم الضبى أخبرنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم سمعت أحمد بن سلمة يقول : رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما . وأخبرنى ابن يعقوب أنا محمد بن نعيم سمعت الحسين بن محمد الماسرخسى يقول سمعت أبى يقول سمعت مسلما بن الحجاج يقول : صنفت هذا المسند الصحيح من ثلثمائة ألف حديث مسموعة . وروى الخطيب قائلا : حدثنى أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن على السودرجانى ـ بأصبهان ـ سمعت محمد بن إسحاق بن منده سمعت أبا على الحسين بن على النيسابورى يقول : ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج فى علم الحديث . وقد ذكر مسلم عند إسحاق بن راهويه فقال بالعجمية مامعناه : أى رجل كان هذا ؟ وقال إسحاق بن منصور لمسلم : لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين . وقد أثنى عليه جماعة من العلماء من أهل الحديث وغيرهم . وقال أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأخرم : قلَّ ما يفوت البخارى ومسلماً ما يثبت فى الحديث . وروى الخطيب عن أبى عمرو محمد بن حمدان الحيرى قال : سألت أبا العباس أحمد بن سعيد بن عقدة الحافظ

عن البخارى ومسلم أيهما أعلم ؟ فقال : كان البخارى عالما ومسلم عالما ، فكررت ذلك عليه مراراً وهو يرد على هذا الجواب ثم قال : يا أبا عمرو قد يقع للبخارى الغلط فى أهل الشام ، وذلك أنه أخذ كتبهم فنظر فيها فربما ذكر الواحد منهم بكنيته ويذكره فى موضع آخر باسمه ويتوهم أنهما اثنان ، وأما مسلم فقل ما يقع له الغلط لأنه كتب المقاطيع والمراسيل . قال الخطيب : إنما قفا مسلم طريق البخارى ونظر فى علمه وحذا حذوه . ولما ورد البخارى نيسابور فى آخر أمره لازمه مسلم وأدام الاختلاف إليه . وقد حدثنى عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفى قال سمعت أبا الحسن الدراقطنى يقول : لولا البخارى ما ذهب مسلم ولا جاء . قال الخطيب : وأخبرنى أبو بكر المنكدر ثنا محمد بن عبد الله الحافظ حدثنى أبو نصر بن محمد الزراد سمعت أبا حامد أحمد بن حمدان القصار سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخارى فقبّل بين عينيه وقال : دعنى حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث فى علله ، حدثك محمد بن سلام ثنا مخلد بن يزيد الحرانى حدثنا ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى كفارة المجلس فما علته ؟ فقال البخارى : هذا حديث مليح ولا أعلم فى الدنيا فى هذا الباب غير هذا الحديث ، الا أنه معلول ثنا به موسى بن إسماعيل ثنا وهيب عن سهيل عن عون بن عبد الله قوله قال البخارى : وهذا أولى فانه لا يعرف لموسى بن عقبة سماع من سهيل . قلت : وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حدة وأوردت فيه طرقه وألفاظه ومتنه وعلله . قال الخطيب : وقد كان مسلم يناضل عن البخارى . ثم ذكر ماوقع بين البخارى ومحمد بن يحيى الذهلى فى مسألة اللفظ بالقرآن فى نيسابور ، وكيف نودى على البخارى بسبب ذلك بنيسابور ، وأن الذهلى قال يوماً لأهل مجلسه وفيهم مسلم بن الحجاج : ألا من كان يقول بقول البخارى فى مسألة اللفظ بالقرآن فليعتزل مجلسنا . فنهض مسلم من فوره إلى منزله ، وجمع ما كان سمعه من الذهلى جميعه وأرسله إليه وترك الرواية عن الذهلى بالكلية فلم يرو عنه شيئا لا فى صحيحه ولا فى غيره ، واستحكمت الوحشة بينهما . هذا ولم يترك البخارى محمد بن يحيى الذهلى بل روى عنه فى صحيحه وغيره وعذره رحمه الله .

وقد ذكر الخطيب سبب موت مسلم رحمه الله أنه عقد له مجلس للمذاكرة فسئل يوماً عن حديث فلم يعرفه فانصرف إلى منزله فأوقد السراج وقال لأهله : لا يدخل أحد الليلة على ، وقد أهديت له سلة من تمر فهى عنده يأكل تمرة ويكشف عن حديث ثم يأكل أخرى ويكشف عن آخر ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح وقد أكل تلك السلة وهو لا يشعر : فحصل له بسبب ذلك ثقل ومرض من ذلك حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد ، ودفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور ، وكان مولده فى السنة التى توفى فيها الشافعى ، وهى سنة أربع ومائتين ، فكان

عمره سبعا وخمسين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ أبو يزيد البسطامى ﴾

اسمه طيفور بن عيسى بن على ، أحد مشايخ الصوفية ، وكان جده مجوسياً فأسلم ، وكان لأبى يزيد أخوات صالحات عابدات ، وهو أجلهم ، قيل لأبى يزيد : بأى شئ وصلت إلى المعرفة ؟ فقال ببطن جائع و بدن عار . وكان يقول : دعوت نفسى إلى طاعة الله فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة ، وقال إذا رأيتم الرجل قد أعطى من الكرامات حتى يرتفع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود والوقوف عند الشريعة . قال ابن خلكان : وله مقامات ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة . توفى سنة إحدى وستين ومائتين . قلت : وقد حكى عنه شطحات ناقصات ، وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية وحملوها على محامل بعيدة ، وقد قال بعضهم : إنه قال ذلك فى حال الاصطلام والغيبة . ومن العلماء من بدعه وخطأه وجعل ذلك من أكبر البدع وأنها تدل على اعتقاد فاسد كامن فى القلب ظهر فى أوقاته والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وستين ومائتين ﴾

فيها قدم يعقوب بن الليث فى جحافل فدخل واسط قهراً فخرج الخليفة المعتمد بنفسه من سامرا لقتاله فتوسط بين بغداد وواسط فانتدب له أبو أحمد الموفق بالله أخو الخليفة ، فى جيش عظيم على ميمنته موسى بن بغا ، وعلى ميسرته مسرور البلخى ، فاقتتلوا فى رجب من هذه السنة أياماً قتالا عظيما ، ثم كانت الغلبة على يعقوب وأصحابه ، وذلك يوم عيد الشعانين . فقتل منهم خلق كثير وغنم منهم أبو أحمد شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والمسك والدواب . ويقال إنهم وجدوا فى جيش يعقوب هذا رايات عليها صلبان . ثم انصرف المعتمد إلى المدائن ورد محمد بن طاهر إلى نيابة بغداد وأمر له بخمسمائة ألف درهم . وفيها غلب يعقوب بن الليث على بلاد فارس وهرب ابن واصل منها . وفيها كانت حروب كثيرة بين صاحب الزنج وجيش الخليفة . وفيها ولى القضاء على بن محمد بن أبى الشوارب . وفيها جمع للقاضى إسماعيل بن إسحاق قضاء جانبى بغداد . وفيها حج بالناس الفضل ابن إسحاق العباسى . قال ابن جرير : وفيها وقع بين الخياطين والخرازين بمكة فاقتتلوا يوم التروية أو قبله بيوم . فقتل منهم سبعة عشر نفساً وخاف الناس أن يفوتهم الحج بسببهم ، ثم توادعوا إلى مابعد الحج . وفيها توفى من الأعيان صالح بن على بن يعقوب بن المنصور فى ربيع الآخر منها . وعمر بن شبة النميرى . ومحمد بن عاصم . ويعقوب بن شيبة صاحب المسند الحافل المشهور والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين ﴾

فيها جرت حروب كثيرة منتشرة فى بلاد شتى فمن ذلك مقتلة عظيمة فى الزنج لعنهم الله ،

حصرهم فى بعض المواقف بعض الأمراء من جهة الخليفة فقتل الموجودين عنده عن آخرهم . وفيها سلمت الصقالبة حصن لؤلؤة إلى طاغية الروم . وفيها تغلب أخو شركب الجمال على نيسابور وأخرج منها عاملها الحسين بن طاهر وأخذ من أهلها ثلث أموالهم مصادرة قبحه الله . وحج بالناس فيها الفضل بن إسحاق العباسى .

وفيها توفى من الأعيان مساور بن عبد الحميد الشارى الخارجى ، وقد كان من الأبطال والشجعان المشهورين ، والتف عليه خلق من الأعراب وغيرهم ، وطالت مدته حتى قصمه الله . ووزير الخلافة ﴿ عبيد الله بن يحيى بن خاقان ﴾ صدمه فى الميدان خادم يقال له رشيق فسقط عن دابته على أم رأسه فخرج دماغه من أذنيه وأنفه فمات بعد ثلاث ساعات ، وصلى عليه أبو أحمد الموفق بن المتوكل ، ومشى فى جنازته ، وذلك يوم الجمعة لعشر خلون من ذى القعدة من هذه السنة ، واستوزر من الغد الحسن بن مخلد ، فلما قدم موسى بن بغا سامرا عزله واستوزر مكانه سليمان بن وهب ، وسلمت دار عبد الله بن يحيى بن خاقان إلى الأمير المعروف بكيطلغ . وفيها توفى أحمد بن الأزهر . والحسن بن أبى الربيع . ومعاوية بن صالح الأشعرى .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين ﴾

فى المحرم منها عسكر أبو أحمد وموسى بن بغا بسامرا وخرجا منها لليلتين مضتا من صفر ، وخرج المعتمد لتوديعهما ، وسارا إلى بغداد . فلما وصلا إلى بغداد توفى الأمير موسى بن بغا وحمل إلى سامرا فدفن بها . وفيها ولى محمد بن المولد واسطاً لمحاربة سليمان بن جامع نائباً من جهة صاحب الزنج ، فهزمه ابن المولد بعد حروب طويلة . وفيها سار ابن الديرانى إلى مدينة الدينور واجتمع عليه دلف بن عبد العزيز بن أبى دلف وابن عياض فهزماه ونهبا أمواله ورجع مفلولا . ولما توفى موسى بن بغا عزل الخليفة الوزير الذى كان من جهته وهو سليمان بن حرب وحبسه مقيداً وأمر بنهب دوره ودور أقربائه ورد الحسن بن مخلد إلى الوزارة ، فبلغ ذلك أبا أحمد وهو ببغداد فسار بمن معه إلى سامرا فتحصن منه أخوه المعتمد بجانبها الغربى ، فلما كان يوم التروية عبر جيش أبى أحمد إلى الجانب الذى فيه المعتمد فلم يكن بينهم قتال بل اصطلحوا على رد سليمان بن وهب إلى الوزارة وهرب الحسن بن مخلد فنهبت أمواله وحواصله واختفى أبو عيسى بن المتوكل ثم ظهر ، وهرب جماعة من الأمراء إلى الموصل خوفاً من أبى أحمد ، وفيها حج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمى الكوفى . وفيها توفى من الأعيان أحمد بن عبد الرحمن بن وهب . وإسماعيل بن يحيى المزنى أحد رواة الحديث عن الشافعى من أهل مصر وقد ترجمناه فى طبقات الشافعيين .

﴿ وأبو زرعة ﴾

عبيد الله بن عبد الكريم الرازى أحد الحفاظ المشهورين قيل إنه كان يحفظ سبعمائة ألف حديث وكان فقيها ورعا زاهداً عابداً متواضعاً خاشعاً أثنى عليه أهل زمانه بالحفظ والديانة ، وشهدوا له بالتقدم على أقرانه ، وكان فى حال شبيبته إذا اجتمع بأحمد بن حنبل يقتصر أحمد على الصلوات المكتوبات ولا يفعل المندوبات اكتفاء بمذاكرته . توفى يوم الاثنين سلخ ذى الحجة من هذه السنة ، وكان مولده سنة مائتين ، وقيل سنة تسعين ومائة ، وقد ذكرنا ترجمته مبسوطة فى التكميل .

ومحمد بن إسماعيل بن علية قاضى دمشق . ويونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى وهو ممن روى عن الشافعى . وقد ذكرناه فى التكميل وفى الطبقات . وقبيحة أم المعتز إحدى حظايا المتوكل على الله ، وقد جمعت من الجواهر واللآلئ والذهب والمصاغ ما لم يعهد لمثلها . ثم سلبت ذلك كله وقتل ولدها المعتز لأجل نفقات الجند ، وشحت عليه بخمسين ألف دينار تدارى بها عنه . كانت وفاتها فى ربيع الأول من هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين ﴾

فيها كانت وقعة بين ابن ليثويه عامل أبى أحمد وبين سليمان بن جامع فظفر بها ابن ليثويه بابن جامع نائب صاحب الزنج ، فقتل خلقاً من أصحابه وأسر منهم سبعة وأربعين أسيراً ، وحرق له مراكب كثيرة ، وغنم منهم أموالا جزيلة . وفى المحرم من هذه السنة حاصر أحمد بن طولون نائب الديار المصرية مدينة انطاكية وفيها سيما الطويل فأخذها منه وجاءته هدايا ملك الروم ، وفى جملتها أسارى من أسارى المسلمين ، ومع كل أسير مصحف ، منهم عبد الله بن رشيد بن كاوس الذى كان عامل الثغور فاجتمع لأحمد بن طولون ملك الشام بكماله مع الديار المصرية ، لأنه لما مات نائب دمشق اماخور ركب ابن طولون من مصر فتلقاه ابن اماخور إلى الرملة فأقره عليها ، وسار إلى دمشق فدخلها ثم إلى حمص فتسلمها ثم إلى حلب فأخذها ثم ركب إلى إنطاكية فكان من أمره ما تقدم . وكان قد استخلف على مصر ابنه العباس فلما بلغه قدوم أبيه علية من الشام أخذ ما كان فى بيت المال من الحواصل ووازره جماعة على ذلك ، ثم ساروا إلى برقة خارجاً عن طاعة أبيه ، فبعث إليه من أخذه ذليلا حقيراً ، وردوه إلى مصر فحبسه وقتل جماعة من أصحابه .

وفيها خرج رجل يقال له القاسم بن مهاة على دلف بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى فقتله واستحوذ على أصبهان فانتصر أصحاب دلف له فقتلوا القاسم ورأسوا عليهم أحمد بن عبد العزيز . وفيها لحق محمد المولد بيعقوب بن الليث فسار إليه فى المحرم فأمر الخليفة بنهب حواصله وأمواله وأملاكه . وفيها دخل صاحب الزنج إلى النعمانية فقتل وحرق ثم سار إلى جرجرايا فانزعج الناس منه

ودخل أهل السواد إلى بغداد . وفيها ولى أبو أحمد عمرو بن الليث خراسان وفارس وأصبهان وسجستان وكرمان والسند ، ووجه إليها بذلك وبالخلع والتحف . وفيها حاصرت الزنج تستر حتى كادوا يأخذونها فوافاهم تكين البخاري فلم يضع ثياب سفره حتى ناجز الزنج فقتل منهم خلقا وهزمهم هزيمة فظيعة جداً ، وهرب أميرهم على بن أبان المهلبي مخذولا : قال ابن جرير : وهذه وقعة باب كودك المشهورة ، ثم إن على بن أبان المهلبي أخذ فى مكاتبة تكين واستمالته إليه وإلى صاحب الزنج فسارع تكين فى إجابته إلى ذلك فبلغ خبره مسروراً البلخى فسار نحوه وأظهر له الأمان حتى أخذه فقيده وتفرق جيشه عنه ففرقة صارت إلى الزنج وفرقة إلى محمد بن عبيد الله الكردى ، وفرقة انضافت إلى مسرور بعد إعطائه إياهم الامان ، وولى مكانه على عمالته أميراً آخر يقال له اغرتمش . وفيها حج بالناس هارون بن محمد بن إسحاق بن موسى العباسى .

وفيها توفى من الأعيان أحمد بن منصور الرمادى راوية عبد الرزاق وقد صحب الامام أحمد وكان يعد من الابدال توفى عن ثلاث وستين سنة . وسعدان بن نصر . وعبد الله بن محمد المخزومى وعلى بن حرب الطائى الموصلى . وأبو حفص النيسابورى على بن موفق الزاهد . ومحمد بن سحنون قال ابن الأثير فى كامله : وفيها قتل أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشى صاحب أبى عبيدة والأصمعى قتلته الزنج بالبصرة .

﴿ يعقوب بن الليث الصفار ﴾

أحد الملوك العقلاء الأبطال . فتح بلاداً كثيرة من ذلك بلد الرجح التى كان فيها ملك صاحب الزنج وكان يحمل فى سرير من ذهب على رؤس اثنى عشر رجلاً ، وكان له بيت فى رأس جبل عال سماه مكة ، فما زال حتى قتل وأخذ بلده واستسلم أهلها فأسلموا على يديه ، ولكن كان قد خرج عن طاعة الخليفة وقاتله أبو أحمد الموفق كما تقدم . ولما مات ولوا أخاه عمرو بن الليث ما كان يليه أخوه يعقوب مع شرطة بغداد وسامرا كما سيأتى .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين ﴾

فى صفر منها تغلب إساتكين على بلد الرى وأخرج عاملها منها ثم مضى إلى قزوين فصالحه أهلها فدخلها وأخذ منها أموالا جزيلة ، ثم عاد إلى الرى فمانعه أهلها عن الدخول إليها فقهرهم ودخلها [وفيها غارت سرية من الروم على ناحية ديار ربيعة فقتلوا وسبوا ومثلوا وأخذوا نحواً من مائتين وخمسين أسيراً ، فنفر إليهم أهل الصين وأهل الموصل فهربت منهم الروم ورجعوا إلى بلادهم] [1] وفيها ولى عمرو بن الليث شرطة بغداد وسامرا لعبيد الله بن طاهر ، وبعث إليه أبو أحمد بالخلعة

(١) سقط من المصرية .

وخلع عليه عمرو بن الليث أيضاً وأهدى إليه عمودين من ذهب ، وذلك مضافا إلى ما كان يليه أخوه من البلدان . وفيها سارا غرتمش إلى قتال على بن أبان المهلبى بتستر فأخذ من كان فى السجن من أصحاب على بن أبان المهلبى من الأمراء فقتلهم عن آخرهم ، ثم سار إلى على بن أبان فاقتتلا قتالا شديداً فى مرات عديدة ، كان آخرها لعلى بن أبان المهلبى ، فقتل خلقاً كثيراً من أصحاب اغرتمش وأسر بعضهم فقتلهم أيضاً ، و بعث برؤسهم إلى صاحب الزنج فنصبت رؤسهم على باب مدينته قبحه الله .

وفيها وثب أهل حمص على عاملهم عيسى الكرخى فقتلوه فى شوال منها ، وفيها دعا الحسن بن محمد ابن جعفر بن عبد الله بن حسين الأصغر العقيلى أهل طبرستان إلى نفسه وأظهر لهم أن الحسين بن زيد أسر ولم يبق من يقوم بهذا الأمر غيره ، فبايعوه . فلما بلغ ذلك الحسين بن زيد قصده فقاتله فقتله ونهب أمواله وأموال من اتبعه وأحرق دورهم . وفيها وقعت فتنة بالمدينة ونواحيها بين الجعفرية والعلوية [وتغلب عليها رجل من أهل البيت من سلالة الحسن بن زيد الذى تغلب على طبرستان ، وجرت شرور كثيرة هنالك بسبب قتل الجعفرية والعلوية][1] يطول ذكرها . وفيها وثبت طائفة من الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها ، وسار بعضهم إلى صاحب الزنج [وأصاب الحجيج منهم شدة و بلاء شديد وأمور كريهة . وفيها أغارت الروم أيضاً على ديار ربيعة . وفيها دخل أصحاب صاحب الزنج إلى رامهرمز فافتتحوها بعد قتال طويل][2] وفيها دخل ابن أبى الساج مكة فقاتله المخزومى فقهره ابن أبى الساج وحرق داره واستباح ماله ، وذلك يوم التروية فى هذه السنة . ثم جعلت إمرة الحرمين إلى ابن أبى الساج من جهة الخليفة . وحج بالناس فيها هارون بن محمد المتقدم ذكره قبلها . وفيها عمل محمد بن عبد الرحمن الداخل إلى بلاد المغرب ـ وهو خليفة بلاد الأندلس و بلاد المغرب ـ مراكب فى نهر قرطبة ليدخل بها إلى البحر المحيط ولتسير الجيوش فى أطرافه إلى بعض البلاد ليقاتلوهم ، فلما دخلت المراكب البحر المحيط تكسرت وتقطعت ولم ينج من أهلها إلا اليسير بل غرق أكثرهم . وفيها التقى أسطول المسلمين وأسطول الروم ببلاد صقلية فاقتتلوا فقتل من المسلمين خلق كثير فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها حارب لؤلؤ غلام ابن طولون لموسى بن اتامش فكسره لؤلؤ وأسره و بعث به إلى مولاه أحمد بن طولون ، وهو إذ ذاك نائب الشام ومصر وإفريقية من جهة الخليفة ، ثم اقتتل لؤلؤ هذا وطائفة من الروم فقتل من الروم خلقا كثيراً . قال ابن الأثير : وفيها اشتد الحال وضاق الناس ذرعاً بكثرة الهياج والفتن وتغلب القواد والأجناد على كثير من البلاد بسبب ضعف منصب الخلافة واشتغال أخيه أبى أحمد بقتال الزنج . وفيها اشتد الحر فى تشرين الثانى جداً ثم قوى به البرد حتى جمد الماء .

---

(١) زيادة من المصرية ومن نسخة أخرى بالأستانة (٢) سقط من المصرية .

وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن رومة . وصالح بن الامام أحمد بن حنبل قاضى أصبهان . ومحمد بن شجاع البلخي أحد عباد الجهمية . ومحمد بن عبد الملك الدقيقى

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين ﴾

فيها وجه أبو أحمد الموفق ولده أبا العباس فى نحو من عشرة آلاف فارس وراجل فى أحسن هيئة وأكمل تجمل لقتال الزنج ، فساروا نحوهم فكان بينهم وبينهم من القتال والنزال فى أوقات متعددات ووقعات مشهورات مايطول بسطه ، وقداستقصاه ابن جرير فى تاريخه مبسوطاً مطولا . وحاصل ذلك أنه آل الحال أن استحوذ أبو العباس بن الموفق على ما كان استولى عليه الزنج ببلاد واسط وأراضى دجلة ، هـذا وهو شاب حدث لاخبرة له بالحرب ، [ولكن سلمه الله وغنمه وأعلى كلمته وسدد رميته وأجاب دعوته وفتح على يديه وأسبغ نعمه عليه ، وهـذا الشاب هو الذى ولى الخلافة] [1] بعد عمه المعتمد كما سيأتى ، ثم ركب أبو أحمد الموفق ناصر دين الله فى بغداد فى صفر منها فى جيوش كثيفة فدخل واسط فى ربيع الأول منها ، فتلقاه ابنه وأخبره عن الجيوش الذين معه ، وأنهـم نصحوا وتحملوا من أعباء الجهاد ، فخلع على الأمراء كلهـم خلعاً سنية ، ثم سار بجميع الجيوش إلى صاحب الزنج وهو بالمدينة التى أنشأها وسماها المنيعة ، فقاتل الزنج دونها قتالا شـديداً فقهرهم ودخلهـا عنوة وهربوا منها ، فبعث فى آثارهم جيشاً فلحقوهم إلى البطائح يقتلون ويأسرون ، وغنم أبو أحمد من المنيعة شيئاً كثيراً واستنقذ من النساء المسلمات خمسة آلاف امرأة ، وأمر بارسالهن إلى أهاليهن بواسط ، وأمر بهدم سور البلد وبطم خندقها وجعلها بلقعاً بعد ما كانت للشر مجمعاً .

ثم سار الموفق إلى المدينـة التى لصاحب الزنج التى يقال لهـا المنصورة وبها سليمان بن جامع ، فحاصروها وقاتلوه دونها فقتل خلق كثير من الفريقين ، ورمى أبو العباس بن الموفق بسهم أحمد بن هندى أحد أمراء صاحب الزنج فأصابه فى دماغه فقتله ، وكان من أكابر أمراء صاحب الزنج ، فشق ذلك على الزنج جداً وأصبح الناس محاصرين مدينة الزنج يوم السبت لثلاث بقين من ربيع الآخر والجيوش الموفقية مرتبـة أحسن ترتيب ، فتقدم الموفق فصلى أربع ركعات وابتهل إلى الله فى الدعاء واجتهد فى حصارها فهزم الله مقاتلتها وانتهى إلى خنـدقها فاذا هو قد حصن غاية التحصين ، وإذا هم قد جعلوا حول البلد خمسة خنادق وخمسة أسوار ، فجعل كلما جاوز سوراً قاتلوه دون الآخر فيقهرهم ويجوز إلى الذى يليـه ، حتى انتهى إلى البلد فقتل منهم خلقاً كثيراً وهرب بقيتهم وأسر من نساء الزنج من حلائل سليمان بن جامع وذويه نساء كثيرة وصبياناً ، واستنقذ من أيديهم النساء المسلمات والصبيان من أهل البصرة والكوفة نحواً من عشرة آلاف نسمة فسيرهم إلى أهليهم ، جزاه الله خيرا .

(١) زيادة من المصرية .

ثم أمر بهدم فنادقها وأسوارها وردم خنادقها وأنهارها ، وأقام بها سبعة عشر يوماً ، و بعث فى آثار من انهزم منهم ، فكان لا يأتون بأحد منهم إلا استماله إلى الحق برفق ولين وصفح ، فمن أجابه أضافه إلى بعض الأمراء - وكان مقصوده رجوعهم إلى الدين والحق - ومن لم يجبه قتله وحبسه . ثم ركب إلى الأهواز فأجلاهم عنها وطردهم منها وقتل خلقاً كثيراً من أشرافهم ، منهم أبو عيسى محمد بن إبراهيم البصرى وكان رئيساً فيهم مطاعا ، وغنم شيئاً كثيراً من أموالهم ، وكتب الموفق إلى صاحب الزنج قبحه الله كتابا يدعوه فيه إلى التوبة والرجوع عما ارتكبه من المآثم والمظالم والمحارم ودعوى النبوة والرسالة وخراب البلدان واستحلال الفروج الحرام . ونبذ له الأمان إن هو رجع إلى الحق ، فلم يرد عليه صاحب الزنج جوابا

﴿ ذكر مسير أبى أحمد الموفق إلى المدينة التى فيها صاحب الزنج وهى المختارة ليحاصرها ﴾

لما كتب أبو أحمد إلى صاحب الزنج يدعوه إلى الحق فلم يجبه ، استهانة به ، ركب من فوره فى جيوش عظيمة قريب من خمسين ألف مقاتل ، قاصداً إلى المختارة مدينة صاحب الزنج ، فلما انتهى إليها وجدها فى غاية الاحكام ، وقد حوط عليها من آلات الحصار شيئاً كثيراً ، وقد التف على صاحب الزنج نحو من ثلثمائة ألف مقاتل بسيف ورمح ومقلاع ، ومن يكثر سوادهم ، فقدم الموفق ولده أبا العباس بين يديه فتقدم حتى وقف تحت قصر الملك فحاصره محاصرة شديدة ، وتعجب الزنج من إقدامه وجرأته ، ثم تراكمت الزنج عليه من كل مكان فهزمهم وأثبت بهبوذ أكبر أمراء صاحب الزنج بالسهام والحجارة ثم خامر جماعة من أصحاب أمراء صاحب الزنج إلى الموفق فأكرمهم وأعطاهم خلعاً سنية ثم رغب إلى ذلك جماعة كثيرون فصاروا إلى الموفق ، ثم ركب أبو أحمد الموفق فى يوم النصف من شعبان ونادى فى الناس كلهم بالأمان إلا صاحب الزنج فتحول خلق كثير من جيش صاحب الزنج إلى الموفق ، وابتنى الموفق مدينة تجاه مدينة صاحب الزنج سماها الموفقية ، وأمر بحمل الأمتعة والتجارات إليها ، فاجتمع بها من أنواع الأشياء وصنوفها مالم يجتمع فى بلد قبلها ، وعظم شأنها وامتلأت من المعايش والأرزاق وصنوف التجارات والسكان والدواب وغيرهم ، وإنما بناها ليستعين بها على قتال صاحب الزنج ، ثم جرت بينهم حروب عظيمة ، وما زالت الحرب ناشبة حتى انسلخت هذه السنة وهم محاصرون للخبيث صاحب الزنج ، وقد تحول منهم خلق كثير فصاروا على صاحب الزنج بعد ما كانوا معه ، وبلغ عدد من تحول قريباً من خمسين ألفاً من الأمراء الخواص والأجناد ، والموفق وأصحابه فى زيادة وقوة ونصر وظفر . وفيها حج بالناس هارون بن محمد الهاشمى

وفيها توفى من الأعيان إسماعيل بن سيبويه . وإسحاق بن إبراهيم بن شاذان . ويحيى بن نصر الخولانى . وعباس الترقفى . ومحمد بن حماد بن بكر بن حماد أبو بكر المقرى صاحب خلف بن هشام

البزار ببغداد فى ربيع الأول . ومحمد بن عزيز الايلى . ويحيى بن محمد بن يحيى الذهلى حنكان . و يونس ابن حبيب راوى مسند أبى داود الطيالسى عنه .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين ﴾

فى المحرم منها استأمن جعفر بن إبراهيم المعروف بالسجان ـ وكان من أكابر صاحب الزنج وثقاتهم فى انفسهم ـ الموفق فأمنه وفرح به وخلع عليه وأمره فركب فى سميرته فوقف تجاه قصر الملك فنادى فى الناس وأعلمهم بكذب صاحب الزنج وفجوره ، وأنه فى غرور هو ومن اتبعه ، فاستأمن بسبب ذلك بشر كثير منهم ، وبرد قتال الزنج عند ذلك إلى ربيع الآخر . فعند ذلك أمر الموفق أصحابه بمحاصرة السور ، وأمرهم إذا دخلوه أن لا يدخلوا البلد حتى يأمرهم ، فنقبوا السور حتى انثلم ثم عجلوا الدخول فدخلوا فقاتلهم الزنج فهزمهم المسلمون وتقدموا إلى وسط المدينة ، فجاءتهم الزنج من كل جانب وخرجت عليهم الكمائن من أماكن لا يهتدون لها ، فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً واستلبوهم وفرّ الباقون فلامهم الموفق على مخالفته وعلى العجلة ، وأجرى الأرزاق على ذرية من قتل منهم ، فحسن ذلك عند الناس جداً ، وظفر أبو العباس بن الموفق بجماعة من الأعراب كانوا يجلبون الطعام إلى الزنج فقتلهم ، وظفر ببهبوذ بن عبد الله بن عبد الوهاب فقتله ، وكان ذلك من أكبر الفتح عند المسلمين ، وأعظم الرزايا عند الزنج . و بعث عمرو بن الليث إلى أبى أحمد الموفق ثلثمائة ألف دينار وخمسين مناً من مسك ، وخمسين مناً من عنبر ، ومائتى منّ من عود ، وفضة بقيمة ألف وثيابا من وشى وغلماناً كثيرة جداً . وفيها خرج ملك الروم المعروف بابن الصقلبية فحاصر أهل ملطية فأعانهم أهل مرعش ففر الخبيث خاسئاً . وغزا الصائفة من ناحية الثغور عامل ابن طولون فقتل من الروم سبعة عشر ألفاً . وحج بالناس فيها هارون المتقدم : وفيها قتل أحمد بن عبد الله الخجستانى .

وفيها توفى من الأعيان أحمد بن سيار . وأحمد بن شيبان . وأحمد بن يونس الضبى . وعيسى ابن أحمد البلخى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى الفقيه المالكى . وقد صحب الشافعى وروى عنه

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين ومائتين ﴾

فيها اجتهد الموفق بالله فى تخريب مدينة صاحب الزنج فخرب منه شيئاً كثيراً ، وتمكن الجيوش من العبور إلى البلد ، ولكن جاءه فى أثناء هذه الحالة سهم فى صدره من يد رجل رومى يقال له قرطاس فكاد يقتله ، فاضطرب الحال لذلك وهو يتجلد ويحض على القتال مع ذلك ، ثم أقام ببلده الموفقية أياماً يتداوى فاضطربت الأحوال وخاف الناس من صاحب الزنج ، وأشاروا على الموفق بالمسير إلى بغداد فلم يقبل فقويت علته ثم منّ الله عليه بالعافية فى شعبان ، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، فنهض مسرعا إلى الحصار فوجد الخبيث قد رمم كثيراً مما كان الموفق قد خربه وهدمه

فأمر بتخريبه وما حوله وما قرب منه ، ثم لازم الحصار فما زال حتى فتح المدينة الغربية وخرب قصور صاحب الزنج ودور أمرائه ، وأخذ من أموالهم شيئاً كثيراً مما لا يحد ولا يوصف كثرة ، وأسر من نساء الزنج واستنقذ من نساء المسلمين وصبيانهم خلقا كثيراً ، فأمر بردهم إلى أهاليهم مكرمين وقد تحول صاحب الزنج إلى الجانب الشرقي وعمل الجسر والقناطر الحائلة بينه وبين وصول السمريات إليه ، فأمر الموفق بتخريبها وقطع الجسور ، واستمر الحصار باقي هذه السنة وما برح حتى تسلم الجانب الشرقي أيضاً واستحوذ على حواصله وأمواله ، وفر الخبيث هاربا غير آيب ، وخرج منها هاربا وترك حلائله وأولاده وحواصله ، فأخذها الموفق وشرح ذلك يطول جداً . وقد حرره مبسوطاً ابن جرير ولخصه ابن الأثير واختصره ابن كثير والله أعلم وهو الموفق إلى الصواب وإليه المرجع والمآب .

ولما رأى الخليفة المعتمد أن أخاه أبا أحمد قد استحوذ على أمور الخلافة وصار هو الحاكم الآمر الناهي ، وإليه تجلب التقادم وتحمل الأموال والخراج ، وهو الذي يولي ويعزل ، كتب إلى أحمد بن طولون يشكو إليه ذلك ، فكتب إليه ابن طولون أن يتحول إلى عنده إلى مصر ووعده النصر والقيام معه ، فاستغنم غيبة أخيه الموفق وركب في جمادى الأولى ومعه جماعة من القواد وقد أرصد له ابن طولون جيشاً بالرقة يتلقونه ، فلما اجتاز الخليفة باسحاق بن كنداج نائب الموصل وعامة الجزيرة اعتقله عنده عن المسير إلى ابن طولون ، وفند أعيان الأمراء الذين معه ، وعاتب الخليفة ولامه على هذا الصنع أشد اللوم ، ثم ألزمه العود إلى سامرا ومن معه من الأمراء فرجعوا إليها في غاية الذل والاهانة . ولما بلغ الموفق ذلك شكر سعي إسحاق وولاه جميع أعمال أحمد بن طولون إلى أقصى بلاد إفريقية ، وكتب إلى أخيه أن يلعن ابن طولون في دار العامة ، فلم يمكن المعتمد إلا إجابته إلى ذلك، وهو كاره ، وكان ابن طولون قد قطع ذكر الموفق في الخطب وأسقط اسمه عن الطرازات .

وفيها في ذي القعدة وقعت فتنة بمكة بين أصحاب الموفق وأصحاب ابن طولون ، فقتل من أصحاب ابن طولون مائتان وهرب بقيتهم ، واستلبهم أصحاب الموفق شيئاً كثيراً . وفيها قطع الأعراب على الحجيج الطريق وأخذ منهم خمسة آلاف بعير بأحمالها

وفيها توفي إبراهيم بن منقذ الكناني . وأحمد بن خلاد مولى المعتصم – وكان من دعاة المعتزلة أخذ الكلام عن جعفر بن مبشر المعتزلي – وسليمان بن حفص المعتزلي صاحب بشر المريسي ، وأبي الهذيل العلاف . وعيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني نائب إرمينية وديار بكر. وأبو فروة يزيد بن محمد الرهاوي أحد الضعفاء .

﴿ ثم دخلت سنة سبعين ومائتين من الهجرة ﴾

فيها كان مقتل صاحب الزنج قبحه الله : وذلك أن الموفق لما فرغ من شأن مدينة صاحب الزنج

وهى المختارة واحتاز ما كان بها من الأموال وقتل من كان بها من الرجال ، وسبى من وجد فيها من النساء والأطفال ، وهرب صاحب الزنج عن حومة الحرب والجلاد ، وسار إلى بعض البلاد طريداً شريداً بشر حال ، عاد الموفق إلى مدينته الموفقية مؤيداً منصوراً ، وقدم عليه لؤلؤة غلام أحمد بن طولون منابذاً لسيده مميعاً مطيعا للموفق ، وكان وروده عليه فى ثالث المحرم من هذه السنة ، فأكرمه وعظمه وأعطاه وخلع عليه وأحسن إليه ، وبعثه طليعة بين يديه لقتال صاحب الزنج ، وركب الموفق فى الجيوش الكثيفة الهائلة وراءه فقصدوا الخبيث وقد تحصن ببلدة أخرى ، فلم يزل به محاصراً له حتى أخرجه منها ذليلا ، واستحوذ على ما كان بها من الأموال والمغانم ، ثم بعث السرايا والجيوش وراء حاجب الزنج فأسروا عامة من كان معه من خاصته وجماعته ، منهم سليمان بن جامع فاستبشر الناس بأسره وكبروا الله وحمدوه فرحاً بالنصر والفتح ، وحمل الموفق بمن معه حملة واحدة على أصحاب الخبيث فاستحر فيهم القتل ، وما انجلت الحرب حتى جاء البشير بقتل صاحب الزنج فى المعركة ، وأتى برأسه مع غلام لؤلؤة الطولونى ، فلما تحقق الموفق أنه رأسه بعد شهادة الأمراء الذين كانوا معه من أصحابه بذلك خرّ ساجداً لله ، ثم انكفأ راجعاً إلى الموفقية ورأس الخبيث يحمل بين يديه ، وسليمان معه أسير ، فدخل البلد وهو كذلك ، وكان يوماً مشهوداً وفرح المسلمون بذلك فى المغارب والمشارق ، ثم جئ بانكلانى ولد صاحب الزنج وأبان بن على المهلبى مسعر حربهم مأسورين ومعهما قريب من خمسة آلاف أسير ، فتم السرور وهرب قرطاس الذى رمى الموفق بصدره بذلك السهم إلى رامهرمز فأخذ وبعث به إلى الموفق فقتله أبو العباس أحمد بن الموفق ، واستتاب من بقى من أصحاب صاحب الزنج وأمنهم الموفق ونادى فى الناس بالامان ، وأن يرجع كل من كان أخرج من دياره بسبب الزنج إلى أوطانهم وبلدانهم ، ثم سار إلى بغداد وقدم ولده أبا العباس بين يديه ومعه رأس الخبيث يحمل ليراه الناس فدخلها لثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى من هذه السنة وكان يوماً مشهوداً ، وانتهت أيام صاحب الزنج المدعى الكذاب قبحه الله

وقد كان ظهوره فى يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان هلاكه يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين . وكانت دولته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام ولله الحمد والمنة . وقد قيل فى انقضاء دولة الزنج وما كان من النصر عليهم أشعار كثيرة ، من ذلك قول يحيى بن محمد الأسلمى :

أقول وقد جاء البشير بوقعة * أعزّت من الاسلام ما كان واهيا
جزى الله خير الناس للناس بعد ما * أبيح حماهم خير ما كان جازيا
تفرد إذ لم ينصر الله ناصر * بتجديد دين كان أصبح باليا

وتشديد ملك قد وهى بعد عزه * وأخذ بثأرات تبير الاعاديا
ورد عمارات ازيلت وأخربت * ليرجع فئ قد تخرم وافيا
وترجع أمصار أبيحت وأحرقت * مراراً وقد أمست قواء عوافيا
ويشفى صدور المسلمين بوقعة * تقر بها منا العيون البواكيا
ويتلى كتاب الله فى كل مسجد * ويلقى دعاء الطالبيين خاسيا
فأعرض عن أحبابه ونعيمه * وعن لذة الدنيا وأصبح غازيا

وفى هـذه السنة أقبلت الروم فى مائة ألف مقاتل فنزلوا قريباً من طرسوس فخرج إليهم المسلمون فبيّتوهم فقتلوا منهم فى ليلة واحدة حتى الصباح نحواً من سبعين ألفاً ولله الحمد . وقتل المقدم الذى عليهم وهو بطريق البطارقة ، وجرح أكثر الباقين ، وغنم المسلمون منهم غنيمة عظيمة ، من ذلك سبع صلبان من ذهب وفضة ، وصليبهم الأعظم وهو من ذهب صامت مكلل بالجواهر ، وأربع كراسى من ذهب ومائتى كرسى من فضة ، وآنيـة كثيرة ، وعشرة آلاف علم من ديباج ، وغنموا حريراً كثيراً وأموالا جزيلة ، وخمسة عشر ألف دابة وسروجاً وسلاحاً وسيوفاً محلاة وغير ذلك ولله الحمد .

وفيها توفى من الأعيان : ﴿ أحمد بن طولون ﴾

أبو العباس أمير الديار المصرية وبانى الجامع بها المنسوب إلى طولون ، وإنما بناه أحمد ابنه ، وقد ملك دمشق والعواصم والثغور مدة طويلة ، وقد كان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد السامانى عامل بخارى إلى المأمون فى سنة مائتين ، ويقال إلى الرشيد فى سنة تسعين ومائة . ولد أحمد هذا فى سنة أربع عشرة ومائتين ، ومات طولون أبوه فى سنة ثلاثين ، وقيل فى سنة أربعين ومائتين. وحكى ابن خلكان أنه لم يكن أباه وإنما تبناه والله أعلم . وحكى ابن عساكر أنه من جارية تركية اسمها هاشم . ونشأ أحمد هذا فى صيانة وعفاف ورياسة ودراسة للقرآن العظيم ، مع حسن الصوت به ، وكان يعيب على أولاد الترك ما يرتكبونه من المحرمات والمنكرات ، وكانت أمه جارية اسمها هاشم . وحكى ابن عساكر عن بعض مشايخ مصر أن طولون لم يكن أباه وإنما كان قـد تبناه لديانته وحسن صوته بالقرآن وظهور نجابته وصيانته من صغره ، وأن طولون اتفق له معـه أن بعثه مرة فى حاجة ليأتيه بها من دار الامارة فذهب فاذا حظية من حظايا طولون مع بعض الخدم وهما على فاحشة ، فأخذ حاجته التى أمره بها وكرّ راجعاً إليه سريعاً ، ولم يذكر له شيئاً مما رأى من الحظية والخادم ، فتوهمت الحظية أن يكون أحمـد قد أخبر طولون بما رأى ، فجاءت إلى طولون فقالت : إن أحمـد جاءنى الآن إلى المكان الفـلانى وراودنى عن نفسى وانصرفت إلى قصرها ، فوقع فى نفسه صـدقها فاستدعى أحمد

وكتب معه كتابا وختمه إلى بعض الأمراء ولم يواجه أحمد بشئ مما قالت الجارية ، وكان فى الكتاب أن ساعة وصول حامل هذا الكتاب إليك تضرب عنقه وابعث برأسه سريعاً إلى . فذهب بالكتاب من عند طولون وهو لا يدرى مافيه ، فاجتاز بطريقه بتلك الحظية فاستدعته إليها فقال : إنى مشغول بهذا الكتاب لأوصله إلى بعض الأمراء . قالت : هل فى إليك حاجة - وأرادت أن تحقق فى ذهن الملك طولون ما قالت له عنه فحبسته عندها ليكتب لها كتابا ، ثم استوهبت من أحمد الكتاب الذى أمره طولون أن يوصله إلى ذلك الأمير ، فدفعه إليها فأرسلت به ذلك الخادم الذى وجده معها على الفاحشة وظنت أن به جائزة تريد أن تخص بها الخادم المذكور فذهب بالكتاب إلى ذلك الأمير ، فلما قرأه أمر بضرب عنق ذلك الخادم وأرسل برأسه إلى الملك طولون . فتعجب الملك من ذلك وقال : أين أحمد ؟ فطلب له فقال : ويحك أخبرنى كيف صنعت منذ خرجت من عندى؟ فأخبره بما جرى من الأمر . ولما سمعت تلك الحظية بأن رأس الخادم قد أتى به إلى طولون أسقط فى يديها وتوهمت أن الملك قد تحقق الحال ، فقامت إليه تعتذر وتستغفر مما وقع منها مع الخادم ، واعترفت بالحق و برأت أحمد مما نسبته إليه ، فحظى عند الملك طولون وأوصى له بالملك من بعده .

ثم ولى نيابة الديار المصرية للمعتز فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين ، فأحسن إلى أهلها وأنفق فيهم من بيت المال ومن الصدقات ، واستغل الديار المصرية فى بعض السنين أربعة آلاف ألف دينار ، و بنى بها الجامع ، غرم عليه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وفرغ منه فى سنة سبع وخمسين ، وقيل فى سنة ست وستين ومائتين ، وكانت له مائدة فى كل يوم يحضرها الخاص والعام ، وكان يتصدق من خالص ماله فى كل شهر بألف دينار . وقد قال له وكيله يوما : إنه تأتينى المرأة وعليها الازار والبدلة ولها الهيئة الحسنة تسألنى فأعطيها؟ فقال : من مدّ يده إليك فأعطه ، وكان من أحفظ الناس للقرآن ، ومن أطيبهم به صوتا . وقد حكى ابن خلكان عنه أنه قتل صبراً نحواً من ثمانية عشر ألف نفس ، فالله أعلم . و بنى المارستان غرم عليه ستين ألف دينار ، وعلى الميدان مائة وخمسين ألفاً ، وكانت له صدقات كثيرة جداً ، وإحسان زائد ثم ملك دمشق بعد أميرها ماخور فى سنة أربع وستين ومائتين ، فأحسن إلى أهلها أيضا إحسانا بالغا ، واتفق أنه وقع بها حريق عند كنيسة مريم فنهض بنفسه إليه ومعه أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر و الحافظ الدمشقى ، وكاتبه أبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطى ، فأمر كاتبه أن يخرج من ماله سبعين ألف دينار تصرف إلى أهل الدور والأموال التى أحرقت . فصرف إليهم جميع قيمة ما ذكره و بقى أربعة عشر ألف دينار فاضلة عن ذلك ، فأمر بها أن توزع عليهم على قدر حصصهم ، ثم أمر بمال عظيم يفرق على فقراء دمشق وغوطتها ، فأقل ما حصل للفقير دينار . رحمه الله . ثم خرج إلى إنطاكية

فحاصر بها صاحبها سيما حتى قتله وأخذ البلد كما ذكرنا .

توفى بمصر فى أوائل ذى القعدة من هذه السنة من علة أصابته من أكل لبن الجواميس كان يحبه فأصابه بسببه درب فكاواه الأطباء وأمروه أن يحتمى منه فلم يقبل منهم ، فكان يأكل منه خفية فمات رحمه الله . وقد ترك من الأموال والأثاث والدواب شيئاً كثيراً جدا ، من ذلك عشرة آلاف ألف دينار ، ومن الفضة شيئاً كثيراً ، وكان له ثلاثة وثلاثون ولداً ، منهم سبعة عشر ذكراً ، فقام بالأمر من بعده ولده خمارويه كما سيأتى ما كان من أمره . وكان له من الغلمان سبعة آلاف مولى ، ومن البغال والخيل والجمال نحو سبعين ألف دابة ، وقيل أكثر من ذلك . قال ابن خلكان : وإنما تغلب على البلاد لاشتغال الموفق بن المتوكل بحرب صاحب الزنج ، وقد كان الموفق نائب أخيه المعتمد .

وفيها توفى أحمد بن عبد الكريم بن سهل الكاتب صاحب كتاب الخراج . قاله ابن خلكان . وأحمد بن عبد الله بن البرقى . وأسيد بن عاصم الجمال . و بكار بن قتيبة المصرى فى ذى الحجة من هذه السنة

﴿ والحسن بن زيد العلوى ﴾

صاحب طبرستان فى رجب منها ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام ، وقام من بعده بالأمر أخوه محمد بن زيد . وكان الحسن بن زيد هذا كريماً جواداً يعرف الفقه والعربية ، قال له مرة شاعر من الشعراء فى جملة قصيدة مدحه بها : الله فرد وابن زيد فرد . فقال له :اسكت سد الله فاك ، ألا قلت : الله فرد وابن زيد عبد . ثم نزل عن سريره وخر لله ساجدا وألصق خده بالتراب ولم يعط ذلك الشاعر شيئاً . وامتدحه بعضهم فقال فى أول قصيدة :

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعى ويوم المهرجان

فقال له الحسن : لو ابتدأت بالمصراع الثانى كان أحسن ، وأبعد لك أن تبتدئ شعرك بحرف « لا ». فقال له الشاعر : ليس فى الدنيا أجل من قول لا إله إلا الله . فقال : أصبت وأمرله بجائزة سنية والحسن بن على بن عفان العامرى .

﴿ وداود بن على ﴾

الأصبهانى ثم البغدادى الفقيه الظاهرى إمام أهل الظاهر ، روى عن أبى ثور وإبراهيم بن خالد وإسحاق بن راهويه وسليمان بن حرب وعبد الله بن سلمة القعنبى ومسدد بن مسرهد ، وغير واحد روى عنه ابنه الفقيه أبو بكر بن داود ، وزكريا بن يحيى الساجى . قال الخطيب : كان فقيها زاهدا وفى كتبه حديث كثير دال على غزارة علمه ، كانت وفاته ببغداد فى هذه السنة ، وكان مولده فى سنة مائتين . وذكر أبو إسحاق السيرامى فى طبقاته أن أصله من أصبهان وولد بالكوفة ، ونشأ ببغداد

وأنه انتهت إليه رياسة العلم بها ، وكان يحضر مجلسه أربعمائة طيلسان أخضر ، وكان من المتعصبين للشافعى ، وصنف مناقبه . وقال غيره : كان حسن الصلاة كثير الخشوع فيها والتواضع . قال الأزدى ترك حديثه ولم يتابع الأزدى على ذلك ؛ ولكن روى عن الامام أحمد أنه تكلم فيه بسبب كلامه فى القرآن ، وأن لفظه به مخلوق كما نسب ذلك إلى الامام البخارى رحمهما الله . قلت : وقد كان من الفقهاء المشهورين ولكن حصر نفسه بنفيه للقياس الصحيح فضاق بذلك ذرعه فى أماكن كثيرة من الفقه ، فلزمه القول بأشياء قطعية صار إليها بسبب اتباعه الظاهر المجرد من غير تفهم لمعنى النص . وقد اختلف الفقهاء القياسيون بعده فى الاعتداد بخلافه هل ينعقد الاجماع بدونه مع خلافه أم لا ؟ على أقوال ليس هذا موضع بسطها .

وفيها توفى الربيع بن سليمان المرادى صاحب الشافعى وقد ترجمناه فى طبقات الشافعية . والقاضى بكار بن قتيبة الحاكم بالديار المصرية من سنة ست وأربعين ومائتين إلى أن توفى مسجونا بحبس أحمد بن طولون لكونه لم يخلع الموفق فى سنة سبعين ، وكان عالما عابدا زاهدا كثير التلاوة والمحاسبة لنفسه ، وقد شغر منصب القضاء بعده بمصر ثلاث سنين .

﴿ وابن قتيبة الدينورى ﴾

وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى قاضيها ، النحوى اللغوى صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة نافعة ، اشتغل ببغداد وسمع بها الحديث على إسحاق بن راهويه ، وطبقته ، وأخذ اللغة عن أبى حاتم السجستانى وذويه ، وصنف وجمع وألف المؤلفات الكثيرة : منها كتاب المعارف ، وأدب الكاتب الذى شرحه أبو محمد بن السيد البطليوسى ، وكتاب مشكل القرآن والحديث ، وغريب القرآن والحديث ، وعيون الأخبار ، وإصلاح الغلط ، وكتاب الخيل ، وكتاب الأنوار ، وكتاب المسلسل والجوابات ، وكتاب الميسر والقداح ، وغير ذلك . كانت وفاته فى هذه السنة ، وقيل فى التى بعدها . ومولده فى سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ولم يجاوز الستين . وروى عنه ولده أحمد جميع مصنفاته . وقد ولى قضاء مصر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة . وتوفى بها بعد سنة رحمهما الله .

ومحمد بن إسحاق بن جعفر الصفار . ومحمد بن أسلم بن وارة . ومصعب بن أحمد أبو أحمد الصوفى كان من أقران الجنيد . وفيها توفى ملك الروم ابن الصقلبية لعنه الله . وفيها ابتدأ إسماعيل بن موسى ببناء مدينة لارد من بلاد الأندلس .

﴿ ثم دخلت سنة مائتين وإحدى وسبعين ﴾

فيها عزل الخليفة عمرو بن الليث عن ولاية خراسان وأمر بلعنه على المنابر ، وفوض أمر

خراسان إلى محمد بن طاهر، و بعث جيشا إلى عمرو بن الليث فهزمه عمرو . وفيها كانت وقعة بين أبي العباس المعتضد بن الموفق أبي أحمد و بين خمارويه بن أحمد بن طولون، وذلك أن خمارويه لما ملك بعد أبيه بلاد مصر والشام جاءه جيش من جهة الخليفة عليهم إسحاق بن كنداج نائب الجزيرة وابن أبي الساج فقاتلوه بأرض و يترز فامتنع من تسليم الشام إليهم، فاستنجدوا بأبي العباس بن الموفق، فقدم عليهم فكسر خمارويه بن أحمد وتسلم دمشق واحتازها ثم سار خلف خمارويه إلى بلاد الرملة فأدركه عند ماء عليه طواحين فاقتتلوا هنالك، وكانت تسمى وقعة الطواحين، فكانت النصرة أولا لأبي العباس على خمارويه فهزمه حتى هرب خمارويه لا يلوى على شئ فلم يرجع حتى دخل الديار المصرية، فأقبل أبو العباس وأصحابه على نهب معسكرهم فبينما هم كذلك إذ أقبل كمين لجيش خمارويه وهم مشغولون بالنهب فوضعت المصريون فيهم السيوف فقتلوا منهم خلقا كثيراً، وانهزم الجيش وهرب أبو العباس المعتضد فلم يرجع حتى وصل دمشق، فلم يفتح له أهلها الباب فانصرف حتى وصل إلى طرسوس و بقي الجيشان المصرى والعراقى يقتتلان وليس لواحد منهما أمير. ثم كان الظفر للمصريين لأنهم أقاموا أبا العشائر أخا خمارويه عليهم أميراً، فغلبوا بسبب ذلك واستقرت أيديهم على دمشق وسائر الشام، وهذه الوقعة من أعجب الوقعات .

وفيها جرت حروب كثيرة بأرض الأندلس من بلاد المغرب . وفيها دخل إلى المدينة النبوية محمد وعلى ابنا الحسين بن جعفر بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، فقتلا خلقاً من أهلها وأخذا أموالا جزيلة، وتعطلت الصلوات في المسجد النبوى أربع جمع لم يحضر الناس فيه جمعة ولا جماعة، فانا لله و إنا إليه راجعون . وجرت بمكة فتنة أخرى واقتتل الناس على باب المسجد الحرام أيضاً . وحج بالناس هارون بن موسى المتقدم .

وفيها توفى عباس بن محمد الدينورى تلميذ ابن معين وغيره من أئمة الجرح والتعديل . وعبد الرحمن بن محمد بن منصور البصرى . ومحمد بن حماد الطهرانى . ومحمد بن سنان العوقى. و يوسف ابن مسلم

﴿ و بوران بنت الحسن بن سهل ﴾

زوجة المأمون . و يقال إن اسمها خديجة و بوران لقب لها، والصحيح الأول . عقد عليها المأمون بفم الصلح سنة ست ومائتين، ولها عشر سنين، ونثر عليها أبوها يومئذ وعلى الناس بنادق المسك مكتوب فى ورقة وسط كل بندقة اسم قرية أو ملك جارية أو غلام أو فرس، فمن وصل إليه من ذلك شئ ملكه، ونثر ذلك على عامة الناس، ونثر الدنانير ونوافج المسك و بيض العنبر. وأنفق على المأمون وعسكره مدة إقامته تلك الأيام الخمس ألف ألف درهم. فلما ترحل المأمون عنه أطلق له عشرة آلاف ألف درهم وأقطعه فم الصلح. و بنى بها فى سنة عشر . فلما جلس المأمون فرشوا له حصراً من

ذهب ونثروا على قدميه ألف حبة جوهر ، وهناك تور من ذهب فيه شمعة من عنبر زنة أربعين مناً من عنبر ، فقال : هذا سرف ، ونظر إلى ذلك الحب على الحصر يضئ فقال : قاتل الله أبا نواس حيث يقول فى صفة الخمر :

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها * حصباء در على أرض من الذهب

ثم أمر بالدر فجمع فجعل فى حجر العروس وقال : هذا نحلة منى لك ، وسلى حاجتك . فقالت لها جدتها : سلى سيدك فقد استنطقك . فقالت : أسأل أمير المؤمنين أن يرضى عن إبراهيم بن المهدى فرضى عنه . ثم أراد الاجتماع بها فاذا هى حائض ، وكان ذلك فى شهر رمضان ، وتأخرت وفاتها إلى هذه السنة ولها ثمانون سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلثين وسبعين ومائتين ﴾

فى جمادى الأولى منها سار نائب قزوين وهوارلز نكيس فى أربعة آلاف مقاتل إلى محمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد ، وهو بالرى ، فى جيش عظيم من الديلم وغيرهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمه ارلزنكيس وغنم ما فى معسكره ، وقتل من أصحابه ستة آلاف ، ودخل الرى فأخذها وصادر أهلها فى مائة ألف دينار ، وفرق عماله فى نواحى الرى . وفيها وقع بين أبى العباس ابن الموفق وبين صاحب ثغر طرسوس وهو يا زمان الخادم فثار أهل طرسوس على أبى العباس فأخرجوه عنهم فرجع إلى بغداد . وفيها دخل حمدان بن حمدون وهارون الشارى مدينة الموصل وصلى بهم الشارى فى جامعها الأعظم . وفيها عاثت بنو شيبان فى أرض الموصل فساداً . وفيها تحركت بقية الزنج فى أرض البصرة ونادوا : يا انكلاى يا منصور . وانكلاى هو ابن صاحب الزنج ، وسليمان ابن جامع وأبان بن على المهلبى ، وجماعة من وجوههم كانوا فى جيش الموفق فبعث إليهم فقتلوا وحملت رؤسهم إليه ، وصلبت أبدانهم ببغداد ، وسكنت شرورهم . وفيها صلح أمر المدينة النبوية وتراجع الناس إليها . وفيها جرت حروب كثيرة ببلاد الأندلس وأخذت الروم من المسلمين بالأندلس بلدين عظيمين فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها قدم صاعد بن مخلد الكاتب من فارس إلى واسط فأمر الموفق القواد أن يتلقوه فدخل فى أبهة عظيمة ، ولكن ظهر منه تيه وعجب شديد ، فأمر الموفق عما قريب بالقبض عليه وعلى أهله وأمواله ، واستكتب مكانه أبا الصقر إسماعيل بن بلبل . وحج بالناس فيها هارون بن محمد بن إسحاق المتقدم منذ دهر

وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن الوليد بن الحسحاس . وأحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عطارد العطاردى التميمى راوى السيرة عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق بن يسار وغير ذلك . وأبو عتيبة الحجازى . وسليمان بن سيف . وسليمان بن وهب الوزير فى حبس الموفق . وشعبة بن بكار

يروى عن أبى عاصم النبيل . ومحمد بن صالح بن عبد الرحمن الأنماطى ، ويلقب بكيلجة ، وهو من تلاميذ يحيى بن معين . ومحمد بن عبد الوهاب الفراء . ومحمد بن عبيد المنادى . ومحمد بن عوف الحمصى

﴿ وأبو معشر المنجم ﴾

واسمه جعفر بن محمد البلخى أستاذ عصره فى صناعة التنجيم ، وله فيه التصانيف المشهورة ، كالمدخل والزيج والألوف وغيرها . وتكلم على ما يتعلق بالتيسير والأحكام . قال ابن خلكان : وله إصابات عجيبة ، منها أن بعض الملوك تطلب رجلا وأراد قتله فذهب ذلك الرجل فاختفى وخاف من أبى معشر أن يدل عليه بصنعة التنجيم ، فعمد إلى طست فملأه دما ووضع أسفله هاونا وجلس على ذلك الهاون ، فاستدعى الملك أبا معشر وأمره أن يظهر هذا الرجل ، فضرب رمله وحرره ثم قال : هذا عجيب جدا ، هذا الرجل جالس على جبل من ذهب فى وسط بحر من دم ، وليس هذا فى الدنيا . ثم أعاد الضرب فوجده كذلك ، فتعجب الملك من ذلك ونادى فى البلد فى أمان ذلك الرجل المذكور فلما مثل بين يدى الملك سأله أين اختفى ؟ فأخبره بأمره فتعجب الناس من ذلك . والظاهر أن الذى نسب إلى جعفر بن محمد الصادق من علم الرجز ، والطرف واختلاج الأعضاء إنما هو منسوب إلى جعفر ابن أبى معشر هذا ، وليس بالصادق وإنما يغلطون والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائتين ﴾

فيها وقع بين إسحاق بن كنداج نائب الموصل وبين صاحبه ابن أبى الساج نائب قنسرين وغيرها بعد ما كانا متفقين ، وكاتب ابن أبى الساج خمارويه صاحب مصر ، وخطب له ببلاده وقدم خمارويه إلى الشام فاجتمع به ابن أبى الساج ثم سار إلى إسحاق بن كنداج فتواقعا فانهزم كنداج وهرب إلى قلعة ماردين ، فجاء فحاصره بها ثم ظهر أمر ابن أبى الساج واستحوذ على الموصل والجزيرة وغيرها ، وخطب بها لخمارويه واستفحل أمره جداً . وفيها قبض الموفق على لؤلؤ غلام ابن طولون وصادره بأربعمائة ألف دينار ، وسجنه فكان يقول ليس لى ذنب إلا كثرة مالى ، ثم أخرج بعد ذلك من السجن وهو فقير ذليل ، فعاد إلى مصر فى أيام هارون بن خمارويه ، ومعه غلام واحد فدخلها على برذون . وهذا جزاء من كفر نعمة سيده . وفيها عدا أولاد ملك الروم على أبيهم فقتلوه وملكوا أحد أولاده ، وفيها كانت وفاة :

﴿ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الأموى ﴾

صاحب الأندلس عن خمس وستين سنة . وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً ، وكان أبيض مشربا بحمرة ربعة أوقص يخضب بالحناء والكتم ، وكان عاقلا لبيباً يدرك الأشياء المشتبهة ، وخلف ثلاثا وثلاثين ذكراً ، وقام بالأمر بعده ولده المنذر فأحسن إلى الناس

وأحبوه . وفيها كانت وفاة : ﴿ خلف بن أحمد بن خالد ﴾

الذى كان أمير خراسان فى حبس المعتمد ، وهذا الرجل هو الذى أخرج البخارى محمد بن إسماعيل من بخارى وطرده عنها ، فدعا عليه البخارى فلم يفلح بعدها ، ولم يبق فى الامرة إلا أقل من شهر حتى احتيط عليه وعلى أمواله وأركب حماراً ونودى عليه فى بلده ثم سجن من ذلك الحين فمكث فى السجن حتى مات فى هذه السنة ، وهذا جزاء من تعرض لأهل الحديث والسنة .

وممن توفى فيها أيضاً إسحاق من يسار . وحنبل بن إسحاق عم الامام أحمد بن حنبل ، وهو أحد الرواة المشهورين عنه ، على أنه قد اتهم فى بعض ما يرويه ويحكيه . وأبو أمية الطرسوسى . وأبو الفتح بن شخرف أحد مشايخ الصوفية ، وذوى الأحوال والكرامات والكلمات النافعات . وقد وهم ابن الأثير فى قوله فى كامله : إن أبا داود صاحب السنن توفى فى هذه السنة ، وإنما توفى سنة خمس وسبعين كما سيأتى . وفيها توفى . ﴿ ابن ماجه القزوينى ﴾

صاحب السنن وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه صاحب كتاب السنن المشهورة ، وهى دالة على عمله وعلمه وتبحره واطلاعه واتباعه للسنة فى الأصول والفروع ، ويشتمل على اثنين وثلاثين كتابا ، وألف وخمسمائة باب ، وعلى أربعة آلاف حديث كلها جياد سوى اليسيرة . وقد حكى عن أبى زرعة الرازى أنه انتقد منها بضعة عشر حديثاً . ربما يقال إنها موضوعة أو منكرة جداً ، ولابن ماجه تفسير حافل وتاريخ كامل من لدن الصحابة إلى عصره ، وقال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلى القزوينى : أبو عبد الله بن محمد بن يزيد بن ماجه ، ويعرف يزيد بماجه مولى ربيعة ، كان عالماً بهذا الشأن صاحب تصانيف ، منها التاريخ والسنن ، ارتحل إلى العراقين ومصر والشام ، ثم ذكر طرفا من مشايخه ، وقد ترجمناهم فى كتابنا التكميل ولله الحمد والمنة . قال : وقد روى عنه الكبار القدماء : ابن سيبويه ومحمد بن عيسى الصفار ، وإسحاق بن محمد وعلى بن إبراهيم بن سلمة القطان ، وجدى أحمد بن إبراهيم ، وسليمان بن يزيد . وقال غيره : كانت وفاة ابن ماجه يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين ومائتين عن أربع وستين سنة ، وصلى عليه أخوه أبو بكر وتولى دفنه مع أخيه الآخر أبى عبد الله وابنه عبد الله بن محمد بن يزيد رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين ﴾

فيها نشبت الحرب بين أبى أحمد الموفق وبين عمرو بن الليث بفارس فقصده أبو أحمد فهرب منه عمرو من بلد إلى بلد ، وتتبعه ولم يقع بينهما قتال ولا مواجهة ، وقد تحيز إلى الموفق مقدم جيش عمرو بن الليث ، وهو أبو طلحة شركب الجمال ، ثم أراد العود فقبض عليه الموفق وأباح ماله لولده أبى العباس المعتضد ، وذلك بالقرب من شيراز . وفيها غزا يازمان الخادم نائب طرسوس بلاد الروم

فأوغل فيها فقتل وغنم وسلم. وفيها دخل صديق الفرغانى سامرا فنهب دور التجار بها وكر راجعاً ، وقد كان هذا الرجل ممن يحرس الطرقات فترك ذلك وأقبل يقطع الطرقات ، وضعف الجند بسامرا عن مقاومته.

وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن أحمد بن يحيى أبو إسحاق ، قال ابن الجوزى فى المنتظم : كان حافظاً فاضلا ، روى عن حرملة وغيره ، توفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة . إسحاق بن إبراهيم بن زياد أبو يعقوب المقرى توفى فى ربيع الأول منها . أيوب بن سليمان بن داود الصغدى يروى عن آدم بن إياس ، وعن ابن صاعد وابن السماك ، وكان ثقة توفى فى رمضان منها . الحسن بن مكرم بن حسان بن على البزار ، يروى عن عفان وأبى النضر ويزيد بن هارون وغيرهم ، وعنه المحاملى وابن مخلد والبخارى ، وكان ثقة . توفى فى رمضان منها عن ثلاث وسبعين سنة . خلف بن محمد بن عيسى أبو الحسين الواسطى الملقب بكردوس ، يروى عن يزيد بن هارون وغيره ، وعنه المحاملى وابن مخلد . قال ابن أبى حاتم : صدوق ، وقال الدارقطنى ثقة . توفى فى ذى الحجة منها ، وقد نيف عن الثمانين . عبد الله بن روح بن عبيد الله بن أبى محمد المدائنى المعروف بعبيد روس ، يروى عن شبابة ويزيد بن هارون ، وعنه المحاملى وابن السماك وأبو بكر الشافعى ، وكان من الثقات . توفى فى جمادى الآخرة منها . عبد الله بن أبى سعيد أبو محمد الوراق أصله من بلخ وسكن بغداد ، وروى الحديث عن شريح بن يونس وعفان وعلى بن الجعد وغيرهم ، وعنه ابن أبى الدنيا والبغوى والمحاملى وكان ثقة صاحب أخبار وآداب وملح ، توفى بواسط فى جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين سنة . محمد بن إسماعيل بن زياد أبو عبد الله ، وقيل أبو بكر الدولابى ، سمع أبا النضر وأبا اليمان وأبا مسهر ، وعنه أبو الحسين المنادى ومحمد بن مخلد وابن السماك وكان ثقة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائتين ﴾

فى المحرم منها وقع الخلاف بين أبى الساج وبين خمارويه فاقتتلا عند ثنية العقاب شرقى دمشق فقهر خمارويه لابن أبى الساج وانهزم ، وكانت له حواصل بحمص فبعث خمارويه من سبقه إليها فأخذها ومنع منه حمص فذهب إلى حلب فمنعه خمارويه فسار إلى الرقة فاتبعه ، فذهب إلى الموصل ثم انهزم منها خوفا من خمارويه ووصل خمارويه إليها واتخذبها سريراً طويل القوائم ، فكان يجلس عليه فى الفرات ، فعند ذلك طمع فيه ابن كنداج فسار وراءه ليظفر بشىء فلم يقدر ، وقد التقيا فى بعض الأيام فصبر له ابن أبى الساج صبراً عظيما ، فسلم وانصرف إلى الموفق ببغداد فأكرمه وخلع عليه واستصحبه معه إلى الجبل ، ورجع إسحاق بن كنداج إلى ديار بكر من الجزيرة .

وفيها فى شوال منها سجن أبو أحمد الموفق ولده أبا العباس المعتضد فى دار الامارة ، وكان سبب ذلك أنه أمره بالمسير إلى بعض الوجوه فامتنع أن يسير إلا إلى الشام التى ولاه إياها عمه المعتضد ،

وأمر بسجنه فثارت الأمراء واختبطت بغداد فركب الموفق إلى بغداد وقال للناس : أتظنون أنكم على ولدى أشفق منى ؟ فسكن الناس عند ذلك ثم أفرج عنه . وفيها سار رافع إلى محمد بن زيد العلوى فأخذ منه مدينة جرجان فهرب إلى استراباذ فحصره بها سنين فغلابها السعر حتى بيع الملح بها وزن درهم بدرهمين ، فهرب منها ليلا إلى سارية فأخذ منه رافع بلاداً كثيرة بعد ذلك فى مدة متطاولة . وفى المحرم منها أوفى صفر كانت وفاة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن الأموى صاحب الأندلس عن ست وأربعين سنة ، وكانت ولايته سنة وأحد عشر يوماً ، وكان أسمر طويلا بوجهه أثر جدرى ، جواداً ممدحاً يحب الشعراء ويصلهم بمال كثير ، ثم قام بالأمر من بعده أخوه محمد فامتلأت بلاد الأندلس فى أيامه فتناً وشراً حتى هلك كما سيأتى .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج ﴾ المروزى صاحب الامام أحمد ، كان من الأذكياء ، كان أحمد يقدمه على جميع أصحابه ويأنس به ويبعثه فى الحاجة ويقول له : قل ماشئت . وهو الذى أغمض الامام أحمد وكان فيمن غسله ، وقد نقل عن أحمد مسائل كثيرة وحصلت له رفعة عظيمة مع أحمد حين طلب إلى سامرا ووصل بخمسين ألفاً فلم يقبلها . أحمد بن محمد بن غالب بن خالد بن مرداس أبو عبد الله الباهلى البصرى المعروف بغلام خليل ، سكن بغداد ، روى عن سليمان ابن داود الشاذكونى وشيبان بن فروخ وقرة بن حبيب وغيرهم ، وعنه ابن السماك وابن مخلد وغيرهما ، وقد أنكر عليه أبو حاتم وغيره أحاديث رواها منكرة عن شيوخ مجهولين . قال أبو حاتم : ولم يكن ممن يفتعل الحديث ، كان رجلا صالحاً . وكذبه أبو داود وغير واحد . وروى ابن عدى عنه أنه اعترف بوضع الحديث ليرقق به قلوب الناس ، وكان عابداً زاهداً يقتات الباقلاء الصرف ، وحين مات أغلقت أسواق بغداد وحضر الناس جنازته والصلاة عليه ثم جعل فى زورق وشيع إلى البصرة فدفن بها فى رجب من هذه السنة . وأحمد بن ملاعب ، روى عن يحيى بن معين وغيره ، وكان ثقة ديناً عالماً فاضلا ، انتشر به كثير من الحديث .

وأبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله بن السكرى النحوى اللغوى ، صاحب التصانيف . وإسحاق بن إبراهيم بن هانئ أبو يعقوب النيسابورى ، كان من أخصاء أصحاب الامام أحمد ، وعنده اختفى أحمد فى زمن المحنة . وعبد الله بن يعقوب بن إسحاق التميمى العطار الموصلى . قال ابن الأثير : كان كثير الحديث معدلا عند الحكام . ويحيى بن أبى طالب .

﴿ وأبو داود السجستانى ﴾

صاحب السنن ، اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن يحيى بن عمران أبو داود السجستانى أحد أئمة الحديث الرحالين إلى الآفاق فى طلبه ، جمع وصنف وخرج وألف

وسمع الكثير عن مشايخ البلدان فى الشام ومصر والجزيرة والعراق وخراسان وغير ذلك ، وله السنن المشهورة المتداولة بين العلماء ، التى قال فيها أبو حامد الغزالى : يكفى المجتهد معرفتها من الأحاديث النبوية . حدث عنه جماعة منهم ابنه أبو بكر عبد الله وأبو عبد الرحمن النسائى وأحمد بن سلمان النجار ، وهو آخر من روى عنه فى الدنيا . سكن أبو داود البصرة وقدم بغداد غير مرة وحدث بكتاب السنن بها ، ويقال إنه صنفه بها وعرضه على الامام أحمد فاستجاده واستحسنه وقال الخطيب : حدثنى أبو بكر محمد بن على ابن إبراهيم القارى الدينورى من لفظه ، قال سمعت أبا الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن القرصى قال سمعت أبا بكر بن داسه يقول سمعت أبا داود يقول : كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ماضمنته كتاب السنن ، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث ، ذكرت الصحيح ومايشبهه ويقاربه ، ويكفى الانسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث ، قوله عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات » . الثانى قوله « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » . الثالث قوله « لايكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه مايرضاه لنفسه » الرابع قوله : « الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات » . وحدثت عن عبد العزيز بن جعفر الحنبلى أن أبا بكر الخلال قال : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأمام المقدم فى زمانه رجل لم يسبقه إلى معرفة تخريج العلوم وبصره بمواضعها أحد من أهل زمانه ، رجل ورع مقدم قد سمع منه أحمد بن حنبل حديثا واحدا كان أبو داود يذكره ، وكان أبو بكر الاصبهانى وأبو بكر بن صدقة يرفعان من قدره ويذكرانه بمالا يذكران أحداً فى زمانه بمثله .

قلت : الحديث الذى كتبه عنه وسمعه منه الامام أحمد بن حنبل هو مارواه أبو داود من حديث حماد بن سلمة عن أبى معشر الدارمى عن أبيه « أن رسول الله ﷺ سئل عن العتيرة فحسنها » . وقال إبراهيم الحربى وغيره : ألين لأبى داود الحديث كما ألين لداود الحديد . وقال غيره : كان أحد حفاظ الاسلام للحديث وعلله وسنده . وكان فى أعلا درجة النسك والعفاف والصلاح والورع من فرسان الحديث . وقال غيره : كان ابن مسعود يشبه بالنبى ﷺ فى هديه ودله وسمته ، وكان علقمة يشبهه ، وكان إبراهيم يشبه علقمة ، وكان منصور يشبه إبراهيم ، وكان سفيان يشبه منصور ، وكان وكيع يشبه سفيان ، وكان أحمد يشبه وكيعاً ، وكان أبو داود يشبه أحمد بن حنبل . وقال محمد ابن بكر بن عبد الرزاق : كان لأبى داود كم واسع وكم ضيق فقيل له : ما هذا يرحمك الله ؟ فقال : هذا الواسع للكتب والآخر لا نحتاج إليه .

وقد كان مولد أبى داود فى سنة ثنتين ومائتين ، وتوفى بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة ، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثورى .

وقد ذكرنا ترجمته فى التكميل وذكرنا ثناء الأئمة عليه .

وفيها توفى محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن العنبس الضميرى الشاعر ، كان دينا كثير الملح ، وكان هجاء ، ومن جيد شعره قوله :

كم عليل عاش من بعد يأس * بعد موت الطبيب والعواد

قدتصاد القطا فتنجوسريعاً * ويحل البلاء بالصياد

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين ﴾

فى المحرم منها أعيد عمرو بن الليث إلى شرطة بغداد وكتب اسمه على الفرش والمقاعد والستور ثم أسقط اسمه عن ذلك وعزل وولى عبيد الله بن طاهر . وفيها ولى الموفق لابن أبى الساج نيابة أذربيجان وفيها قصد هارون الشارى الخارجى مدينة الموصل فنزل شرقيها فحاصرها فخرج إليه أهلها فاستأمنوه فأمنهم ورجع عنهم . وفيها حج بالناس هارون بن محمد العباسى أمير الحرمين والطائف ، ولما رجع حجاج اليمن نزلوا فى بعض الاماكن فجاءهم سيل لم يشعروا به فغرقهم كلهم لم يفلت منهم أحد فانا لله وإنا إليه راجعون . وذكر ابن الجوزى فى منتظمه وابن الأثير فى كامله أن فى هذه السنة انفرج تل بنهر الصلة فى أرض البصرة يعرف بتل بنى شقيق عن سبعة أقبر فى مثل الحوض ، وفيها سبعة أبدان صحيحة أجسادهم وأكفانهم يفوح منهم ريح المسك ، أحدهم شاب وله جمة وعلى شفته بلل كأنه قد شرب ماء الآن ، وكأن عينيه مكحلتان وبه ضربة فى خاصرته ، وأراد أحدهم أن يأخذ من شعره شيئاً فاذا هوقوى الشعر كأنه حى فتركوا على حالهم .

وممن توفى فيها من الأعيان أحمد بن حازم بن أبى عزرة الحافظ صاحب المسند المشهور له حديث كثير وروايته عالية . وفيها توفى .

﴿ بقى بن مخلد ﴾

أبو عبد الرحمن الأندلسى الحافظ الكبير ، له المسند المبوب على الفقه ، روى فيه عن ألف وستمائة صحابى ، وقد فضله ابن حزم على مسند الامام أحمد بن حنبل ، وعندى فى ذلك نظر ، والظاهر أن مسند أحمد أجود منه وأجمع . وقد رحل بقى إلى العراق فسمع من الامام أحمد وغيره من أئمة الحديث بالعراق وغيرها يزيدون على المائتين بأربعة وثلاثين شيخا ، وله تصانيف أخر ، وكان مع ذلك رجلا صالحا عابداً زاهداً مجاب الدعوة ، جاءته امرأة فقالت : إن ابنى قد أسرته الافرنج ، وإنى لا أنام الليل من شوق إليه ، ولى دويرة أريد أن أبيعها لأستفكه ، فان رأيت أن تشير على أحد يأخذها لأسعى فى فكاكه بثمنها ، فليس يقر لى ليل ولا نهار ، ولا أجد نوما ولاصبراً ولاقراراً ولا راحة . فقال : نعم انصرفى حتى أنظر فى ذلك إن شاء الله . وأطرق الشيخ وحرك شفتيه يدعو

الله عز وجل لولدها بالخلاص من أيدى الفرنج ، فذهبت المرأة فما كان إلا قليلا حتى جاءت الشيخ وابنها معها فقالت : اسمع خبره يرحمك الله . فقال : كيف كان أمرك ؟ فقال . إنى كنت فيمن نخدم الملك ونحن فى القيود ، فبينما أنا ذات يوم أمشى إذ سقط القيد من رجلى ، فأقبل على الموكل بى فشتمنى وقال لم أزلت القيد من رجليك ؟ فقلت : لا والله ما شعرت به ولكنه سقط ولم أشعر به ، فجاؤا بالحداد فأعادوه وأجادوه وشدوا مسماره وأبدوه ، ثم قمت فسقط أيضا فأعادوه وأكدوه فسقط أيضا ، فسألوا رهبانهم عن سبب ذلك فقالوا : له والدة ؟ فقلت : نعم ، فقالوا : إنها قد دعت لك وقد استجيب دعاؤها أطلقوه ، فأطلقونى وخفرونى حتى وصلت إلى بلاد الاسلام . فسأله بُقى بن مخلد عن الساعة التى سقط فيها القيد من رجليه فاذا هى الساعة التى دعا فيها الله له ففرج عنه .

صاعد بن مخلد الكاتب كان كثير الصدقة والصلاة وقد أثنى عليه أبو الفرج بن الجوزى وتكلم فيه ابن الأثير فى كامله ، وذكر أنه كان فيه تيه وحمق ، وقد يمكن الجمع بين القولين والصفتين . ابن قتيبة وهو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ثم البغدادى ، أحد العلماء والأدباء والحفاظ الأذكياء وقد تقدمت ترجمته ، وكان ثقة نبيلا ، وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن فى منزله شئ من تصانيفه ، وكان سبب وفاته أنه أكل لقمة من هريسة فاذا هى حارة فصاح صيحة شديدة ثم أغمى عليه إلى وقت الظهر ثم أفاق ثم لم يزل يشهد أن لا إله إلا الله إلى أن مات وقت السحر أول ليلة من رجب من هذه السنة ، وقيل إنه توفى فى سنة سبعين ومائتين ، والصحيح فى هذه السنة .

عبد الملك بن محمد بن عبد الله أبو قلابة الرياشى ، أحد الحفاظ ، كان يكنى بأبى محمد ، ولكن غلب عليه لقب أبو قلابة ، سمع يزيد بن هارون وروح بن عبادة وأبا داود الطيالسى وغيرهم ، وعنه ابن صاعد والمحاملى والبخارى وأبو بكر الشافعى وغيرهم ، وكان صدوقا عابداً يصلى فى كل يوم أربعمائة ركعة ، وروى من حفظه ستين ألف حديث غلط فى بعضها على سبيل العمد ، كانت وفاته فى شوال من هذه السنة عن ست وثمانين سنة .

ومحمد بن أحمد بن أبى العوام . ومحمد بن إسماعيل الصايغ . ويزيد بن عبد الصمد . وأبو الرداد المؤذن ، وهو عبد الله بن عبد السلام بن عبيد الرداد المؤذن صاحب المقياس بمصر ، الذى هو مسلّم إليه وإلى ذريته إلى يومنا هذا . قاله ابن خلكان والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين ﴾

فيها خطب يازمان نائب طرسوس لخمارويه ، وذلك أنه هاداه بذهب كثير وتحف هائلة . وفيها قدم جماعة من أصحاب خمارويه إلى بغداد . وفيها ولى المظالم ببغداد يوسف بن يعقوب ونودى فى الناس : من كانت له مظلمة ولو عند الأمير الناصر لدين الله الموفق ، أو عند أحد من الناس فليحضر .

وسار في الناس سيرة حسنة ، وأظهر صرامة لم ير مثلها . وحج بالناس الأمير المتقدم ذكره قبل ذلك .

وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن صرا إسحاق بن أبي العينين. وأبو إسحاق الكوفي قاضي بغداد بعد ابن سماعة ، سمع معلى بن عبيد وغيره ، وحدث عنه ابن أبي الدنيا وغيره توفي عن ثلاث وتسعين سنة ، وكان ثقة فاضلا دينا صالحاً .

﴿ وأحمد بن عيسى ﴾

أبو سعيد الخراز أحد مشاهير الصوفية بالعبادة والمجاهدة والورع والمراقبة ، وله تصانيف في ذلك وله كرامات وأحوال وصبر على الشدائد ، وروى عن إبراهيم بن بشار صاحب إبراهيم بن أدهم وغيره وعنه على بن محمد المصري وجماعة . ومن جيد كلامه إذا بكت أعين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم . وقال : العافية تستر البر والفاجر ، فاذا نزل البلاء تبين عنده الرجال . وقال : كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل . وقال : الاشتغال بوقت ماض تضييع وقت حاضر . وقال ذنوب المقربين حسنات الأبرار . وقال الرضا قبل القضاء تفويض ، والرضا مع القضاء تسليم . وقد روى البيهقي بسنده إليه أنه سئل عن قول النبي ﷺ : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » فقال يا عجبا لمن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل إليه بكليته ؟ قلت : وهذا الحديث ليس بصحيح ، ولكن كلامه عليه من أحسن ما يكون . وقال ابنه سعيد : طلبت من أبي دانق فضة فقال : يا بني اصبر فلو أحب أبوك أن يركب الملوك إلى بابه ماتأبوا عليه . وروى ابن عساكر عنه قال : أصابني مرة جوع شديد فهممت أن أسأل الله طعاماً فقلت : هذا ينافي التوكل فهممت أن أسأله صبراً فهتف بي هاتف يقول :

ويزعم أنه منا قريب * وأنا لا نضيع من أتانا

ويسألنا القرى جهداً وصبراً * كأنا لا نراه ولا يرانا

قال فقمت ومشيت فراسخ بلازاد . وقال : المحب يتعلل إلى محبوبه بكل شئ ، ولا يتسلى عنه بشئ يتبع آثاره ولا يدع استخباره ثم أنشد :

أسائلكم عنها فهل من مخبر * فمالي بنعمى بعد مكة لي علم

فلو كنت أدري أين خيم أهلها * وأي بلاد الله إذ ظعنوا أموا

إذا لسلكنا مسلك الريح خلفها * ولو أصبحت نعمى ومن دونها النجم

وكانت وفاته في هذه السنة ، وقيل في سنة سبع وأربعين ، وقيل في سنة ست وثمانين ، والأول أصح .

وفيها توفي عيسى بن عبد الله بن سنان بن ذكويه بن موسى الطيالسي الحافظ ، تلقب رعاب ، سمع عفان وأبا نعيم ، وعنه أبو بكر الشافعي وغيره ، ووثقه الدارقطني . كانت وفاته في شوال منها عن أربع وثمانين سنة . وفيها توفي .

﴿ أبو حاتم الرازى ﴾

محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران أبو حاتم الحنظلى الرازى ، أحد أئمة الحفاظ الأثبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل ، وهو قرين أبى زرعة رحمهما الله ، سمع الكثير وطاف الأقطار والأمصار ، وروى عن خلق من الكبار ، وعنه خلق منهم الربيع بن سليمان ، ويونس بن عبد الأعلا وهما أكبر منه ، وقدم بغداد وحدث بها ، وروى عنه من أهلها إبراهيم الحربى وابن أبى الدنيا والمحاملى وغيرهم . قال لابنه عبد الرحمن : يا بنى مشيت على قدمى فى طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ ، وذكر أنه لم يكن له شئ ينفق عليه فى بعض الأحيان ، وأنه مكث ثلاثا لا يأكل شيئاً حتى استقرض من بعض أصحابه نصف دينار ، وقد أثنى عليه غير واحد من العلماء والفقهاء ، وكان يتحدى من حضر عنده من الحفاظ وغيرهم ، ويقول : من أغرب على بحديث واحد صحيح فله على درهم أتصدق به . قال : ومرادى أسمع ما ليس عندى ، فلم يأت أحد بشئ من ذلك ، وكان فى جملة من حضر ذلك أبو زرعة الرازى . كانت وفاة ابن أبى حاتم فى شعبان من هذه السنة .

محمد بن الحسن بن موسى بن الحسن أبو جعفر الكوفى الخراز المعروف بالجندى ، له مسند كبير ، روى عن عبيد الله بن موسى والقعنبى وأبى نعيم وغيرهم ، وعنه ابن صاعد والمحاملى وابن السماك ، كان ثقة صدوقا . محمد بن سعدان أبو جعفر الرازى ، سمع من أكثر من خمسمائة شيخ ، ولكن لم يحدث إلا باليسير ، توفى فى شعبان منها . قال ابن الجوزى : وهم محمد بن سعدان البزار عن العتبى وهو غير مشهور . ومحمد بن سعدان النحوى مشهور . توفى فى سنة إحدى ومائتين . قال ابن الأثير فى كامله : وفيها توفى يعقوب بن سفيان بن حران الامام الفسوى ، وكان يتشيع . ويعقوب بن يوسف ابن معقل الأموى مولاهم ، والد أبى العباس أحمد بن الأصم . وفيها ماتت عريب المغنية المأمونية ، قيل إنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكى . فأما

﴿ يعقوب بن سفيان بن حران ﴾

فهو أبو يوسف بن أبى معاوية الفارسى الفسوى ، سمع الحديث الكثير ، وروى عن أكثر من ألف شيخ من الثقات ، منهم هشام بن عمار ، ودحيم ، وأبو الجماهر ، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقيون ، وسعيد بن منصور وأبو عاصم ، ومكى بن إبراهيم ، وسليمان بن حرب ، ومحمد بن كثير وعبيد الله بن موسى والقعنبى . روى عنه النسائى فى سننه وأبو بكر بن أبى داود والحسن بن سفيان وابن خراش وابن خزيمة وأبو عوانة الاسفراييني وغيرهم ، وصنف كتاب التاريخ والمعرفة وغيره من الكتب المفيدة ، وقد رحل فى طلب الحديث إلى البلدان النائية ، وتغرب عن وطنه نحو ثلاثين سنة

وروى ابن عساكر عنه قال : كنت أكتب فى الليل على ضوء السراج فى زمن الرحلة فبينا أنا ذات ليلة إذ وقع شئ على بصرى فلم أبصر معه السراج ، فجعلت أبكى على ما فاتنى من ذهاب بصرى ، وما يفوتنى بسبب ذلك من كتابة الحديث ، وما أنا فيه من الغربة ، ثم غلبتنى عينى فنمت فرأيت رسول الله ﷺ فقال : مالك ؟ فشكوت إليه ما أنا فيه من الغربة ، وما فاتنى من كتابة السنة . فقال : « أدن منى ، فدنوت منه فجعل يده على عينى وجعل كأنه يقرأ شيئا من القرآن » . ثم استيقظت فأبصرت وجلست أسبح الله . وقد أثنى عليه أبو زرعة الدمشقى والحاكم أبو عبد الله النيسابورى ، وقال : هو إمام أهل الحديث بفارس ، وقدم نيسابور وسمع منه مشايخنا وقد نسبه بعضهم إلى التشيع . وذكر ابن عساكر أن يعقوب بن الليث صاحب فارس بلغه عنه أنه يتكلم فى عثمان بن عفان فأمر باحضاره فقال له وزيره : أيها الأمير إنه لا يتكلم فى شيخنا عثمان بن عفان السجزى ، إنما يتكلم فى عثمان بن عفان الصحابى ، فقال : دعوه مالى وللصحابى ، إنى إنما حسبته يتكلم فى شيخنا عثمان بن عفان السجزى .

قلت : وما أظن هذا صحيحا عن يعقوب بن سفيان فانه إمام محدث كبير القدر ، وقد كانت وفاته قبل أبى حاتم بشهر فى رجب منها بالبصرة رحمه الله . وقد رآه بعضهم فى المنام فقال : مافعل بك ربك ؟ فقال : غفر لى وأمرنى أن أملى الحديث فى السماء كما كنت أمليه فى الأرض ، فجلست للاملاء فى السماء الرابعة ، وجلس حولى جماعة من الملائكة منهم جبريل يكتبون ما أمليه من الحديث بأقلام الذهب .

﴿ وأما عريب المأمونية ﴾

فقد ترجمها ابن عساكر فى تاريخه وحكى عن بعضهم أنها ابنة جعفر البرمكى ، سرقت وهى صغيرة عند ذهاب دولة البرامكة ، وبيعت فاشتراها المأمون بن الرشيد ، ثم روى عن حماد بن إسحاق عن أبيه أنه قال : ما رأيت قط امرأة أحسن وجها منها ، ولا أكثر أدبا ولا أحسن غناء وضربا وشعراً ولعبا بالشطرنج والنرد منها ، وما تشاء أن تجد خصلة ظريفة بارعة فى امرأة إلا وجدتها فيها . وقد كانت شاعرة مطيقة بليغة فصيحة ، وكان المأمون يتعشقها ثم أحبها بعده المعتصم ، وكانت هى تعشق رجلا يقال له محمد بن حماد ، وربما أدخلته إليها فى دار الخلافة قبحها الله على ما ذكره ابن عساكر عنها ، ثم عشقت صالحا المنذرى وتزوجته سرا ، وكانت تقول فيه الشعر ، وربما ذكرته فى شعرها بين يدى المتوكل وهو لا يشعر فيمن هو ، فتضحك جواريه من ذلك فيقول : يا سحاقات هذا خير من عملكن . وقد أورد ابن عساكر شيئا كثيرا من شعرها ، فمن ذلك قولها لما دخلت على المتوكل تعوده من حمى أصابته فقالت : —

أتونى فقالوا بالخليفة علة * فقلت ونار الشوق توقد فى صدرى

ألا ليت بى حمى الخليفة جعفر * فكانت بى الحمى وكان له أجرى
كفى بى حزن ان قيل حُمَّ فلم أمت * من الحزن إنى بعد هذا لذو صبر ى
جعلت فداً للخليفة جعفر * وذاك قليل للخليفة من شكرى

ولما عوفى دخلت عليه فغنته من قيلها :

شكرا لا نعم من عافاك من سقم * دمت المعافا من الآلام والسقم
عادت ببرئك للأيام بهجتها * واهتزّيت ُ رياض الجود والكرم
ما قام للدين بعد اليوم من ملك * أعف منك ولا أرعى إلى الذمم
فعمّر الله فينا جعفرا ونفى * بنور وجنته عنا دجى الظلم

ولها فى عافيته أيضاً

حمدنا الذى عافى الخليفة جعفراً * على رغم أشياخ الضلالة والكفر
وما كان إلا مثل بدر أصابه * كسوف قليل ثم أجلى عن البدر
سلامته للدين عز وقوة * وعلته للدين قاصمة الظهر
مرضت فأمرضت البرية كلها * وأظلمت الأمصار من شدة الزعر
فلما استبان الناس منك افاقة * أفاقوا وكانوا كالنيام على الجمر
سلامة دنيانا سلامة جعفر * فدام معافا سالما آخر الدهر
إمام أعم الناس بالفضل والندا * قريباً من التقوى بعيداً من الوزر

ولها أشعار كثيرة رائعة ومولدها فى سنة إحدى وثمانين ومائة وماتت فى سنة سبع وسبعين ومائتين بسر من رأى ، ولها ست وتسعون سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين ﴾

قال ابن الجوزى : فى المحرم منها طلع نجم ذو جمة ثم صارت الجمة ذؤابة . قال : وفى هذه السنة غار ماء النيل وهذا شئ لم يعهد مثله ولا بلغنا فى الأخبار السالفة . فغلت الأسعار بسبب ذلك جدا . وفيها خلع على عبد الله بن سليمان بالوزارة . وفى المحرم منها قدم الموفق من الغزو فتلقاه الناس إلى النهروان فدخل بغداد وهو مريض بالنقرس فاستمر فى داره فى أوائل صفر ، ومات بعد أيام . قال : وفيها تحركت القرامطة وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومردك ، وكانا يبيحان المحرمات . ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل ، وأكثر مايفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم ، لأنهم أقل الناس عقولا ، ويقال لهم الاسماعيلية ، لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق . ويقال لهم القرامطة ، قيل نسبة

إلى قرمط بن الأشعث البقار ، وقيل إن رئيسهم كان فى أول دعوته يأمر من اتبعه بخمسين صلاة فى كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك عما يريد تدبيره من المكيدة . ثم اتخذ نقباء اثنى عشر ، وأسس لأتباعه دعوة ومسلكا يسلكونه ودعا إلى إمام أهل البيت ، ويقال لهم الباطنية لأنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض ، والجرمية والبابكية نسبة إلى بابك الجرمى الذى ظهر فى أيام المعتصم وقتل كما تقدم . ويقال لهم المحمرة نسبة إلى صبغ الحمرة شعاراً مضاهاة لبنى العباس ومخالفة لهم ، لأن بنى العباس يلبسون السواد . ويقال لهم التعليمية نسبة إلى التعلم من الامام المعصوم . وترك الرأى ومقتضى العقل . ويقال لهم السبعية نسبة إلى القول بأن الكواكب السبعة المتحيزة السائرة مدبرة لهذا العالم فيما يزعمون لعنهم الله . وهى القمر فى الأولى ، وعطارد فى الثانية ، والزهرة فى الثالثة ، والشمس فى الرابعة ، والمريخ فى الخامسة ، والمشترى فى السادسة ، وزحل فى السابعة . قال ابن الجوزى : وقد بقى من البابكية جماعة يقال إنهم يجتمعون فى كل سنة ليلة هم ونساؤهم ثم يطفئون المصباح وينتهبون النساء فمن وقعت يده فى امرأة حلت له . ويقولون هذا اصطياد مباح لعنهم الله. وقد ذكر ابن الجوزى تفصيل قولهم وبسطه ، وقد سبقه إلى ذلك أبو بكر الباقلانى المتكلم المشهور فى كتابه « هتك الأستار وكشف الأسرار » فى الرد على الباطنية ، ورد على كتابهم الذى جمعه بعض قضاتهم بديار مصر فى أيام الفاطميين الذى سماه « البلاغ الأعظم والناموس الأكبر » وجعله ست عشرة درجة أول درجة أن يدعو من يجتمع به أولا إن كان من أهل السنة إلى القول بتفضيل على على عثمان بن عفان ، ثم ينتقل به إذا وافقه على ذلك إلى تفضيل على على الشيخين أبى بكر وعمر ، ثم يترقى به إلى سبهما لأنهما ظلما عليا وأهل البيت ، ثم يترقى به إلى تجهيل الأمة وتخطئتها فى موافقة أكثرهم على ذلك ، ثم يشرع فى القدح فى دين الاسلام من حيث هو . وقد ذكر لمخاطبته لمن يريد أن يخاطبه بذلك شبهاً وضلالات لا تروج إلا على كل غبى جاهل شقى . كما قال تعالى (والسماء ذات الحبك إنكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك) أى يضل به من هو ضال . وقال (فأنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) وقال (وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الأنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون . ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) إلى غير ذلك من الآيات التى تتضمن أن الباطل والجهل والضلال والمعاصى لا ينقاد لها إلا شرار الناس كما قال بعض الشعراء :

إن هو مستحوذ على أحد * إلا على أضعف المجانين

ثم بعد هذا كله لهم مقامات فى الكفر والزندقة والسخافة مما ينبغى لضعيف العقل والدين أن ينزه

نفسه عنه إذا تصوره ، وهو مما فتحه إبليس عليهم من أنواع الكفر وأنواع الجهالات ، وربما أفاد إبليس بعضهم أشياء لم يكن يعرفها كما قال بعض الشعراء :

وكنت امرأ من جند إبليس برهة * من الدهر حتى صار إبليس من جندى

والمقصود أن هذه الطائفة تحركت فى هذه السنة ، ثم استفحل أمرهم وتفاقم الحال بهم كما سنذكره ، حتى آل بهم الحال إلى أن دخلوا المسجد الحرام فسفكوا دم الحجيج فى وسط المسجد حول الكعبة وكسروا الحجر الأسود واقتلعوه من موضعه ، وذهبوا به إلى بلادهم فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، ثم لم يزل عندهم إلى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، فمكث غائبا عن موضعه من البيت ثنتين وعشرين سنة فانا لله وإنا إليه راجعون . وكل ذلك من ضعف الخليفة وتلاعب الترك بمنصب الخلافة واستيلائهم على البلاد وتشتت الأمر .

وقد اتفق فى هذه السنة شيئان أحدهما ظهور هؤلاء ، والثانى موت حسام الاسلام وناصر دين الله أبو أحمد الموفق رحمه الله ، لكن الله أبقى للمسلمين بعده ولده أبا العباس أحمد الملقب بالمعتضد ، وكان شهما شجاعاً

﴿ وهذه ترجمة أبى أحمد الموفق ﴾

هو الأمير الناصر لدين الله ، ويقال له الموفق ، ويقال له طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، كان مولده فى يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائتين ، وكان أخوه المعتمد حين صارت الخلافة إليه قد عهد إليه بالولاية بعد أخيه جعفر ، ولقبه الموفق بالله ، ثم لما قتل صاحب الزنج وكسر جيشه تلقب بناصر دين الله ، وصار إليه العقد والحل والولاية والعزل ، وإليه يجبى الخراج ، وكان يخطب له على المنابر ، فيقال : اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق بالله ولى عهد المسلمين أخا أمير المؤمنين . ثم اتفق موته قبل أخيه المعتمد بستة أشهر ، وكان غزير العقل حسن التدبير يجلس المظالم وعنده القضاة فينصف المظلوم من الظالم وكان عالما بالأدب والنسب والفقه وسياسة الملك وغير ذلك ، وله محاسن ومآثر كثيرة جداً

وكان سبب موته أنه أصابه مرض النقرس فى السفر فقدم إلى بغداد وهو عليل منه فاستقر فى داره فى أوائل صفر وقد تزايد به المرض وتورمت رجله حتى عظمت جداً ، وكان يوضع له الأشياء المبردة كالثلج ونحوه ، وكان يحمل على سريره ، يحمله أربعون رجلا بالنوبة ، كل نوبة عشرون . فقال لهم ذات يوم : ما أظنكم إلا قد مللتم منى فياليتنى كواحد منكم آكل كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ، وأرقد كما ترقدون فى عافية . وقال أيضا : فى ديوانى مائة ألف مرتزق ليس فيهم أحد أسوأ حالا منى. ثم كانت وفاته فى القصر الحسينى ليلة الخميس لثمان بقين من صفر . قال ابن الجوزى : وله سبع وأربعون سنة تنقص شهراً وأياما .

ولما توفى اجتمع الأمراء على أخذ البيعة من بعده إلى ولده أبى العباس أحمد، فبايع له المعتمد بولاية العهد من بعد أبيه، وخطب له على المنابر. وجعل إليه ما كان لأبيه من الولاية والعزل والقطع والوصل، ولقب المعتضد بالله.

وفيها توفى إدريس بن سليم الفقعسى الموصلى. قال ابن الأثير: كان كثير الحديث والصلاح. وإسحاق بن كنداج نائب الجزيرة، كان من ذوى الرأى، وقام بما كان إليه ولده محمد. ويازمان نائب طرسوس جاءه حجر منجنيق من بلدة كان محاصرها ببلاد الروم فمات منه فى رجب من هذه السنة ودفن بطرسوس، فولى نيابة الثغر بعده أحمد الجعيفى بأمر خمارويه بن أحمد بن طولون، ثم عزله عن قريب بابن عمه موسى بن طولون. وفيها توفى عبده بن عبد الرحيم قبحه الله. ذكر ابن الجوزى أن هذا الشقى كان من المجاهدين كثيراً فى بلاد الروم، فلما كان فى بعض الغزوات والمسلمون محاصروا بلدة من بلاد الروم إذ نظر إلى امرأة من نساء الروم فى ذلك الحصن فهويها فراسلها ما السبيل إلى الوصول إليك؟ فقالت أن تتنصر وتصعد إلى، فأجابها إلى ذلك، فما راع المسلمين إلا وهو عندها، فاغتم المسلمون بسبب ذلك غما شديداً، وشق عليهم مشقة عظيمة، فلما كان بعد مدة مروا عليه وهو مع تلك المرأة فى ذلك الحصن فقالوا: يا فلان ما فعل قرآنك؟ ما فعل علمك؟ ما فعل صيامك؟ ما فعل جهادك؟ مافعلت صلاتك؟ فقال: اعلموا أنى أنسيت القرآن كله إلا قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) وقد صار لى فيهم مال وولد

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين ﴾

فى أواخر المحرم منها خلع جعفر المفوض من العهد واستقل بولاية العهد من بعد المعتمد أبو العباس المعتضد بن الموفق، وخطب له بذلك على رؤس الأشهاد، وفى ذلك يقول يحيى بن على يهنى المعتضد.

ليهنيك عقد أنت فيه المقدم * حباك به رب بفضلك أعلم
فان كنت قد أصبحت والى عهدنا * فأنت غدا فينا الامام المعظم
ولا زال من والاك فيه مبلغًا * مناه ومن عاداك يخزى ويندم
وكان عمود الدين فيه تعوج * فعاد بهذا العهد وهو مقوم
وأصبح وجه الملك جذلان ضاحكا * يضئ لنا منه الذى كان مظلم
فدونك شدد عقد ماقد حويته * فانك دون الناس فيه المحكم

وفيها نودى ببغداد أن لا يمكن أحد من القصاص والطرقية والمنجمين ومن أشبههم من الجلوس فى المساجد ولا فى الطرقات، وأن لا تباع كتب الكلام والفلسفة والجدل بين الناس، وذلك بهمة

أبى العباس المعتضد سلطان الاسلام . وفيها وقعت حروب بين هارون الشارى و بين بنى شيبان فى أرض الموصل وقد بسط ذلك ابن الأثير فى كامله

وفى رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الاثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه .

﴿ وهذه ترجمته ﴾

هو أمير المؤمنين المعتمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد مكث فى الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام ، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وأشهراً ، وكان أسن من أخيه الموفق بستة أشهر ، وتأخر بعده أقل من سنة ، ولم يكن إليه مع أخيه شئ من الأمر حتى أن المعتمد طلب فى بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يصل إليها فقال الشاعر فى ذلك :

ومن العجائب فى الخلافة أن * ترى ما قل ممتنعاً عليه
وتؤخذ الدنا باسمه جميعاً * وما ذاك شئ فى يديه
إليه تحمل الأموال طراً * ويمنع بعض ما يجبى إليه

كان المعتمد أول خليفة انتقل من سامرا إلى بغداد ثم لم يعد إليها أحد من الخلفاء ، بل جعلوا إقامتهم ببغداد ، وكان سبب هلاكه فى ما ذكره ابن الأثير أنه شرب فى تلك الليلة شرابا كثيراً وتعشى عشاء كثيراً ، وكان وقت وفاته فى القصر الحسينى من بغداد ، وحين مات أحضر المعتضد القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه ، ثم غسل وكفن وصلى عليه ثم حمل فدفن بسامرا . وفى صبيحة العزاء بويع للمعتضد وفيها توفى .

﴿ البلاذرى المؤرخ أحد المشاهير ﴾

واسمه أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن و يقال أبو جعفر ويقال أبو بكر البغدادى البلاذرى صاحب التاريخ المنسوب إليه ، سمع هشام بن عمار وأبا عبيد القاسم بن سلام ، وأبا الربيع الزهرانى وجماعة ، وعنه يحيى بن النديم وأحمد بن عمار وأبو يوسف يعقوب بن نعيم بن قرقارة الأزدى . قال ابن عساكر : كان أديباً ظهرت له كتب جياد ، ومدح المأمون بمدائح ، وجالس المتوكل ، وتوفى أيام المعتمد ، وحصل له هوس و وسواس فى آخر عمره ، وروى عنه ابن عساكر قال قال لى محمود الوراق : قل من الشعر ما يبقى لك ذكره ، ويزول عنك إثمه فقلت عند ذلك :

استعدى يانفس للموت واسعى * لنجاة فالحازم المستعد
إنما أنت مستعيرة وسوف * تردين والعوارى ترد
أنت تسهين والحوادث لا * تسهو وتلهين والمنايا تعد
أى ملك فى الأرض وأى حظ * لامرئ حظه من الأرض لحد

لاترجى البقاء في معدن الموت * ودار حتوفها لك ورد
كيف يهوى امرؤ لذاذة أيام * أنفاسها عليه فيها تعد

﴿ خلافة المعتضد ﴾

أمير المؤمنين أبي العباس أحمد بن أحمد الموفق بن جعفر المتوكل ، كان من خيار خلفاء بني العباس ورجالهم. بويع له بالخلافة صبيحة موت المعتمد لعشر بقين من رجب منها وقد كان أمر الخلافة دائراً فأحياه الله على يديه بعدله وشهامته وجرأته ، واستوزر عبيد الله بن سليمان بن وهب وولى مولاه بدراً الشرطة في بغداد ، وجاءته هدايا عمرو بن الليث وسأل منه أن يوليه إمرة خراسان فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه بالخلع واللواء فنصبه عمرو في داره ثلاثة أيام فرحا وسروراً بذلك، وعزل رافع بن هرثمة عن إمرة خراسان ودخلها عمرو بن الليث فلم يزل يتبع رافعاً من بلد إلى بلد حتى قتله في سنة ثلاث وثمانين كما سيأتي ، وبعث برأسه إلى المعتضد وصفت إمرة خراسان لعمرو . وفيها قدم الحسين بن عبدالله المعروف بالجصاص من الديار المصرية بهدايا عظيمة من خمارويه إلى المعتضد فتزوج المعتضد بابنة خمارويه فجهزها أبوها بجهاز لم يسمع بمثله ، حتى قيل إنه كان في جهازها مائة هاون من ذهب ، فحمل ذلك كله من الديار المصرية إلى دار الخلافة ببغداد صحبة العروس ، وكان وقتاً مشهوداً . وفيها تملك أحمد بن عيسى بن الشيخ قلعة ماردين وكانت قبل ذلك لاسحاق بن كنداج . وفيها حج بالناس هارون بن محمد العباسي وهي آخر حجة حجها بالناس ، وقد كان يحج بالناس من سنة أربع وستين ومائتين إلى هذه السنة .

وفيها توفي من الأعيان أحمد أمير المؤمنين المعتمد . وأبو بكر بن أبي خيثمة . وأحمد بن زهير بن خيثمة صاحب التاريخ وغيره . سمع أبا نعيم . وعفان وأخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وعلم النسب عن مصعب الزبيري ، وأيام الناس عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني . وعلم الأدب عن محمد بن سلام الجمحي . وكان ثقة حافظا ضابطا مشهوراً ، وفي تاريخه فوائد كثيرة وفرائد غزيرة . روى عنه البغوي وابن صاعد وابن أبي داود بن المنادي . توفي في جمادى الأولى منها عن أربع وتسعين سنة . وخاقان أبو عبد الله الصوفي ، كانت له أحوال وكرامات .

﴿ الترمذي ﴾

واسمه محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، وقيل محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن ، ويقال محمد بن عيسى بن سورة بن شداد بن عيسى السلمي الترمذي الضرير ، يقال إنه ولد أكمه ، وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه ، وله المصنفات المشهورة ، منها الجامع ، والشمائل ، وأسماء الصحابة وغير ذلك . وكتاب الجامع أحد الكتب الستة التي يرجع إليها العلماء في

سائر الآفاق ، وجهالة ابن حزم لأبى عيسى الترمذى لا تضره حيث قال فى محلاه : ومَن محمد بن عيسى ابن سورة ؟ فان جهالته لا تضع من قدره عند أهل العلم ، بل وضعت منزلة ابن حزم عند الحفاظ ،

وكيف يصح فى الاذهان شئ * إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد ذكرنا مشايخ الترمذى فى التكميل . وروى عنه غير واحد من العلماء منهم محمد بن إسماعيل البخارى فى الصحيح ، والهيثم بن كليب الشاشى صاحب المسند ، ومحمد بن محبوب المحبوبى ، راوى الجامع عنه . ومحمد بن المنذر بن شكر . قال أبو يعلى الخليل بن عبد الله الخليلى القزوينى فى كتابه علوم الحديث : محمد بن عيسى بن سورة بن شداد الحافظ متفق عليه ، له كتاب فى السنن وكتاب فى الجرح والتعديل ، روى عنه أبو محبوب والأجلاء ، وهو مشهور بالأمانة والأمامة والعلم . مات بعد الثمانين ومائتين . كذا قال فى تاريخ وفاته . وقد قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان الغنجار فى تاريخ بخارى : محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى الترمذى الحافظ ، دخل بخارى وحدث بها ، وهو صاحب الجامع والتاريخ ، توفى بالترمذ ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين . ذكره الحافظ أبو حاتم بن حبان فى الثقات ، فقال : كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر . قال الترمذى : كتب عنى البخارى حديث عطية عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال لعلى : « لا يحل لاحد يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك » . وروى ابن نقطة فى تقييده عن الترمذى أنه قال : صنفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به ، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ، ومن كان فى بيته هذا الكتاب فكأنما فى بيته نبى ينطق . وفى رواية يتكلم . قالوا وجملة الجامع مائة وإحدى وخمسون كتابا ، وكتاب العلل صنفه بسمرقند ، وكان فراغه منه فى يوم عيد الأضحى سنة سبعين ومائتين . قال ابن عطية : سمعت محمد بن طاهر المقدسى سمعت أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى يقول : كتاب الترمذى عندى أنور من كتاب البخارى ومسلم . قلت : ولم ؟ قال لأنه لا يصل إلى الفائدة منهما إلا مَن هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن ، وكتاب الترمذى قد شرح أحاديثه وبينها ، فيصل إليها كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم . قلت : والذى يظهر من حال الترمذى أنه إنما طرأ عليه العمى بعد أن رحل وسمع وكتب وذاكر وناظر وصنف ، ثم اتفق موته فى بلده فى رجب منها على الصحيح المشهور والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين من الهجرة النبوية ﴾

فى المحرم منها قتل المعتضد رجلا من أمراء الزنج كان قد لجأ إليه بالأمان ويعرف بسلمة ، ذكر له أنه يدعو إلى رجل لا يعرف من هو ، وقد أفسد جماعة ، فاستدعى به فقرره فلم يقر ، وقال : لو كان

تحت قدمىّ ما أقررت به ، فأمر به فشد على عمود ثم لوّحه على النار حتى تساقط جلده ، ثم أمر بضرب عنقه وصلبه لسبع خلون من المحرم . وفى أول صفر ركب المعتضد من بغداد قاصداً بنى شيبان من أرض الموصل فأوقع بهم بأساً شديداً عند جبل يقال له نوباذ . وكان مع المعتضد حاد جيد الحداء ، فقال فى تلك الليالى يحدو للمعتضد .

فأجهشت للنوباذ حين رأيته * وهلك للرحمن حين رآنى
وقلت له أين الذين عهدتهم * بظلك فى أمن ولين زمانى
فقال مضوا واستخلفونى مكانهم * ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

وفيها أمر المعتضد بتسهيل عقبة حلوان فغرم عليها عشرين ألف دينار ، وكان الناس يلقون منها شدة عظيمة . وفيها أمر بتوسيع جامع المنصور باضافة دار المنصور إليه ، وغرم عليه عشرين ألف دينار ، وكانت الدار قبلته فبناها مسجداً على حدة وفتح بينهما سبعة عشر بابا وحول المنبر والمحراب إلى المسجد ليكون فى قبلة الجامع على عادته . قال الخطيب : وزاد بدر مولى المعتضد السقفان من قصر المنصور المعروفة بالبدرية .

﴿ ذكر بناء دار الخلافة من بغداد فى هذا الوقت ﴾

أول من بناها المعتضد فى هذه السنة ؛ وهو أول من سكنها من الخلفاء إلى آخر دولتهم ، وكانت أولا داراً للحسن بن سهل تعرف بالقصر الحسنى ، ثم صارت بعد ذلك لابنته بوران زوجة المأمون ، فعمرتها حتى استنزلها المعتضد عنها فأجابته إلى ذلك ، ثم أصلحت ما وهى منها ورممت ما كان قد تشعث فيها ، وفرشتها بأنواع الفرش فى كل موضع منها ما يليق به من المفارش ، وأسكنته ما يليق به من الجوارى والخدم ، وأعدت بها المآكل الشهية وما يحسن ادخاره فى ذلك الزمان ، ثم أرسلت مفاتيحها إلى المعتضد ، فلما دخلها هاله ما رأى من الخيرات ، ثم وسعها وزاد فيها وجعل لها سوراً حولها ، وكانت قدر مدينة شيراز ، وبنى الميدان ثم بنى فيها قصراً مشرفاً على دجلة ، ثم بنى فيها المكتفى التاج ، فلما كان أيام المقتدر زاد فيها زيادات أخر كباراً كثيرة جداً ، ثم بعد هذا كله خربت حتى كأن لم يكن موضعها عمارة ، وتأخرت آثارها إلى أيام التتار الذين خربوها وخربوا بغداد وسبوا من كان بها من الحرائر كما سيأتى بيانه فى موضعه من سنة ست وخمسين وستمائة . قال الخطيب : والذى يشبه أن بوران وهبت دارها للمعتمد لا للمعتضد، فانها لم تعش إلى أيامه ، وقد تقدمت وفاتها .

وفيها زلزلت أردبيل ست مرات فتهدمت دورها ولم يبق منها مائة دار ، ومات تحت الردم مائة ألف وخمسون ألفاً [فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها غارت المياه ببلاد الرى وطبرستان حتى بيع

الماء كل ثلاثة أرطال بدرهم ، وغلت الأسعار هنالك جداً] [1]

وفيها غزا إسماعيل بن أحمد السامانى ببلاد الترك ففتح مدينة ملكهم وأسر امرأته الخاتون وأباه ونحواً من عشرة آلاف أسير ، وغنم من الدواب والأمتعة والأموال شيئاً كثيراً ، أصاب الفارس ألف درهم . وفيها حج بالناس أبو بكر محمد بن هارون بن إسحاق العباسى .

وفيها توفى من الأعيان أحمد بن سيار بن أيوب الفقيه الشافعي المشهور بالعبادة والزهادة . وأحمد بن أبي عمران موسى بن عيسى أبو جعفر البغدادى ، كان من أكابر الحنفية ، تفقه على محمد بن سماعة وهو أستاذ أبي جعفر الطحاوى ، وكان ضريراً ، سمع الحديث من على بن الجعد وغيره ، وقدم مصر فحدث بها من حفظه ، وتوفى بها فى المحرم من هذه السنة ، وقد وثقه ابن يونس فى تاريخ مصر.

﴿ وأحمد بن محمد بن عيسى بن الازهر ﴾

القاضى بواسط ، صاحب المسند ، روى عن مسلم بن إبراهيم وأبي سلمة التبوذكى ، وأبي نعيم وأبي الوليد وخلق ، وكان ثقة ثبتا تفقه بأبي سليمان الجوزجانى صاحب محمد بن الحسن وقد حكم بالجانب الشرقى من بغداد فى أيام المعتز ، فلما كان أيام الموفق طلب منه ومن إسماعيل القاضى أن يعطياه ما بأيديهما من أموال اليتامى الموقوفة فبادر إلى ذلك إسماعيل القاضى واستنظره إلى ذلك أبو العباس البرقى هذا ، ثم بادر إلى كل من أنس منه رشداً من اليتامى فدفع إليه ماله ، فلما طولب به قال : ليس عندى منه شئ ، دفعته إلى أهله ، فعزل عن القضاء ولزم بيته وتعبد إلى أن توفى فى ذى الحجة منها . وقد رآه بعضهم فى المنام وقد دخل على رسول الله ﷺ فقام إليه وصافحه وقبل بين عينيه ، وقال : مرحباً بمن عمل بسنتى وأثرى

وفيها توفى جعفر بن المعتضد ، وكان يسامر أباه . وراشد مولى الموفق بمدينة الدينور فحمل إلى بغداد . وعثمان بن سعيد الدارمى مصنف الرد على بشر المريسى فيما ابتدعه من التأويل لمذهب الجهمية وقد ذكرناه فى طبقات الشافعية . ومسرور الخادم وكان من أكابر الأمراء . ومحمد بن إسماعيل الترمذى صاحب التصانيف الحسنة فى رمضان منها ، قاله ابن الأثير ، وشيخنا الذهبى . وهلال بن العلا المحدث المشهور . وقد وقع لنا من حديثه طرف .

﴿ وسيبويه أستاذ النحاة ﴾

وقيل إنه توفى فى سنة سبع وسبعين ، وقيل ثمان وثمانين ، وقيل إحدى وستين ، وقيل أربع وسبعين ومائة فالله أعلم .

[وهو أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر مولى بنى الحارث بن كعب ، وقيل : مولى الربيع بن زياد

---

(١) زيادة من المصرية ومن نسخة أخرى بالآستانة .

الحارثى البصرى . ولقب سيبويه لجماله وحمرة وجنتيه حتى كانتا كالتفاحتين . وسيبويه فى لغة فارس رائحة التفاح . وهو الامام العلامة العلم ، شيخ النحاة من لدن زمانه إلى زماننا هذا ، والناس عيال على كتابه المشهور فى هذا الفن . وقد شرح بشروح كثيرة وقل من يحيط علما به .

أخذ سيبويه العلم عن الخليل بن أحمد ولازمه ، وكان إذا قدم يقول الخليل : مرحبا بزائر لا يمل . وأخذ أيضاً عن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب وأبى زيد الأنصارى ، وأبى الخطاب الأخفش الكبير وغيرهم ، قدم من البصرة إلى بغداد أيام كان الكسائى يؤدب الأمين بن الرشيد ، فجمع بينهما فتناظرا فى شئ من مسائل النحو فانتهى الكلام إلى أن قال الكسائى : تقول العرب : كنت أظن الزنبور أشد لسعاً من النحلة فاذا هو إياها . فقال سيبويه : بينى وبين أعرابى لم يشبه شئ من الناس المولد ، وكان الأمين يحب نصرة أستاذه فسأل رجلا من الأعراب فنطق بما قال سيبويه . فكره الأمين ذلك وقال له : إن الكسائى يقول خلافك . فقال . إن لسانى لا يطاوعنى على ما يقول فقال : أحب أن تحضر وأن تصوب كلام الكسائى ، فطاوعه على ذلك وانفصل المجلس عن قول الأعرابى إذا الكسائى أصاب . فحمل سيبويه على نفسه وعرف أنهم تعصبوا عليه ورحل عن بغداد فمات ببلاد شيراز فى قرية يقال لها البيضاء ، وقيل إنه ولد بهذه وتوفى بمدينة سارة فى هذه السنة ، وقيل سنة سبع وسبعين ، وقيل ثمان وثمانين ، وقيل إحدى وتسعين وقيل أربع وتسعين ومائة فالله أعلم ، وقد ينف على الأربعين ، وقيل بل إنما عمر ثنتين وثلاثين سنة فالله أعلم . قرأ بعضهم على قبره هذه الأبيات :

ذهب الأحبة بعد طول تزاور * ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا
تركوك أوحش ما تكون بقفرة * لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا
قضى القضاء وصرت صاحب حفرة * عنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا][1]

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين ﴾

فيها دخل المسلمون بلاد الروم فغنموا وسلموا . وفيها تكامل غور المياه ببلاد الرى وطبرستان. وفيها غلت الأسعار جداً وجهد الناس حتى أكل بعضهم بعضاً ، فكان الرجل يأكل ابنه وابنته فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها حاصر المعتضد قلعة ماردين وكانت بيد حمدان بن حمدون ففتحها قسراً وأخذ ما كان فيها ، ثم أمر بتخريبها فهدمت . وفيها وصلت قطر الندى بنت خمارويه سلطان الديار المصرية إلى بغداد فى تجمل عظيم ومعها من الجهاز شئ كثير حتى قيل إنه كان فى الجهاز مائة هاون من ذهب غير الفضة وما يتبع ذلك من القماش وغير ذلك مما لا يحصى . ثم بعد كل حساب أرسل معها

(١) زيادة من المصرية .

أبوها ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار لتشترى بها من العراق ما قد تحتاج إليه مما ليس بمصر مثله . وفيها خرج المعتضد إلى بلاد الجبل وولى ولده عليا المكتفى نيابة الرى وقزوين وأزربيجان وهمدان والدينور ، وجعل على كتابته أحمد بن الأصبغ ، وولى عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف نيابة أصبهان ونهاوند والكرخ ، ثم عاد راجعاً إلى بغداد . وحج بالناس محمد بن هارون بن إسحاق ، وأصاب الحجاج فى الأجفر مطر عظيم فغرق كثير منهم ، كان الرجل يغرق فى الرمل فلا يقدر أحد على خلاصه منه .

وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن الحسن بن ديزيل الحافظ صاحب كتاب المصنفات ، منها فى وقعة صفين مجلد كبير . وأحمد بن محمد الطائى بالكوفة فى جمادى منها

﴿ وإسحاق بن إبراهيم ﴾

المعروف بابن الجبلى سمع الحديث وكان يفتى الناس بالحديث ، وكان يوصف بالفهم والحفظ . وفيها توفى ﴿ أبو بكر عبد الله بن أبى الدنيا القرشى ﴾

مولى بنى أمية ، وهو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس أبو بكر بن أبى الدنيا الحافظ المصنف فى كل فن ، المشهور بالتصانيف الكثيرة النافعة الشائعة الزائعة فى الرقاق وغيرها ، وهى تزيد على مائة مصنف ، وقيل إنها نحو الثلثمائة مصنف ، وقيل أكثر وقيل أقل ، سمع ابن أبى الدنيا إبراهيم ابن المنذر الحزامى ، وخالد بن خراش وعلى بن الجعد وخلقا ، وكان مؤدب المعتضد وعلى بن المعتضد الملقب بالمكتفى بالله ، وكان له عليه كل يوم خمسة عشر ديناراً ، وكان صدوقا حافظا ذا مروءة ، لكن قال فيه صالح بن محمد حزرة : إلا أنه كان يروى عن رجل يقال له محمد بن إسحاق البلخى وكان هذا الرجل كذابا يضع للأعلام إسناداً ، وللكلام إسنادا ، ويروى أحاديث منكرة . ومن شعر ابن أبى الدنيا أنه جلس أصحاب له ينتظرونه ليخرج إليهم ، فجاء المطر فحال بينه ، فكتب إليهم رقعة فيها :

أنا مشتاق إلى رؤيتكم * ياأخلاى وسمعى والبصر
كيف أنساكم وقلبى عندكم * حال فيما بيننا هذا المطر

توفى ببغداد فى جمادى الأولى من هذه السنة عن سبعين سنة ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى ودفن بالشونيزية رحمه الله .

عبد الرحمن بن عمرو أبو زرعة البصرى الدمشقى الحافظ الكبير المشهور بابن المواز الفقيه المالكى ، له اختيارات فى مذهب مالك ، فمن ذلك وجوب الصلاة على رسول الله ﷺ فى الصلاة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلثين وثمانين ومائتين ﴾

فى خامس ربيع الأول منها يوم الثلاثاء دخل المعتضد بزوجته قطر الندى ابنة خمارويه ، قدمت

بغداد صحبة عمها وصحبة ابن الجصاص ، وكان الخليفة غائباً وكان دخولها إليه يوماً مشهوداً ، امتنع الناس من المرور فى الطرقات من كثرة الخلق . وفيها نهى المعتضد الناس أن يعملوا فى يوم النيروز ما كانوا يتعاطونه من إيقاد النيران وصب الماء وغير ذلك من الأفعال المشابهة لأفعال المجوس ، ومنع من حمل هدايا الفلاحين إلى المنقطعين فى هذا اليوم وأمر بتأخير ذلك إلى الحادى عشر من حزيران وسمى النيروز المعتضدى ، وكتب بذلك إلى الآفاق . وفيها فى ذى الحجة قدم إبراهيم بن أحمد الماذرائى من دمشق على البريد فأخبر الخليفة بأن خمارويه وثبت عليه خدامه فذبحته على فراشه وولوا بعده ولده حنش ثم قتلوه ونهبوا داره ثم ولوا هارون بن خمارويه ، وقد التزم فى كل سنة أن يحمل إلى الخليفة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار ، فأقره المعتضد على ذلك ، فلما كان المكتفى عزله وولى مكانه محمد بن سليمان الواثقى فاصطفى أموال الطولونيين ، وكان ذلك آخر العهد منهم . وفيها أطلق لؤلؤ غلام أحمد بن طولون من الحبس فعاد إلى مصر فى أذل حال بعد أن كان من أكثر الناس مالا وعزا وجاها . وفيها حج بالناس الأمير المتقدم ذكره .

وفيها توفى من الأعيان أحمد بن داود أبو حنيفة الدينورى اللغوى صاحب كتاب النبات.

﴿ وإسماعيل بن إسحاق ﴾

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد أبو إسحاق الأزدى القاضى ، أصله من البصرة ونشأ ببغداد وسمع مسلم بن إبراهيم ومحمد بن عبد الله الأنصارى ، والقعنبى وعلى بن المدينى ، وكان حافظاً فقيها مالكيا جمع وصنف وشرح فى المذهب عدة مصنفات فى التفسير والحديث والفقه ، وغير ذلك ، ولى القضاء فى أيام المتوكل بعد سوار بن عبد الله ، ثم عزل ثم ولى وصار مقدم القضاة . كانت وفاته فجأة ليلة الأربعاء لثمان بقين من ذى الحجة منها ، وقد جاوز الثمانين رحمه الله . الحارث بن محمد بن أبى أسامة صاحب المسند المشهور .

﴿ خمارويه بن أحمد بن طولون ﴾

صاحب الديار المصرية بعد أبيه سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وقد تقاتل هو والمعتضد بن الموفق فى حياة أبيه الموفق فى أرض الرملة ، وقيل فى أرض الصعيد . وقد تقدم ذلك فى موضعه ، ثم بعد ذلك لما آلت الخلافة إلى المعتضد تزوج بابنة خمارويه وتصافيا ، فلما كان فى ذى الحجة من هذه السنة عدا أحد الخدام من الخصيان على خمارويه فذبحه وهو على فراشه ، وذلك أن خمارويه اتهمه بجارية له . مات عن ثنتين وثلاثين سنة ، فقام بالأمر من بعده ولده هارون بن خمارويه ، وهو آخر الطولونية .

وذكر ابن الأثير أن عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد الدارمى توفى فى هذه السنة ، وكان شافعياً

أخـذ الفقه عن البويطى صاحب الشافعى فالله أعلم . وقد قدمنا وفاة الفضل بن يحيى بن محمـد بن المسيب بن موسى بن زهير بن يزيد بن كيسان بن بادام ملك اليمن، أسلم بادام فى حياة النبى ﷺ .

﴿ أبو محمد الشعرانى ﴾

الأديب الفقيه العابد الحافظ الرحال تلميذ يحيى بن معين ، روى عنه الفوائد فى الجرح والتعديل وغير ذلك ، وكذلك أخذ عن أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى وقرأ على خلف بن هشام البزار وتعلم اللغة من ابن الأعرابى ، وكان ثقة كبيراً .

محمد بن القاسم بن خلاد أبو العيناء البصرى الضرير الشاعر الأديب البليغ اللغوى تلميـذ الأصمعى ، كنيته أبو عبـد الله و إنما لقب بأبى العيناء لأنه سئل عن تصغير عيناء فقال عييناء ، له معرفة تامة بالأدب والحكايات والملح . أما الحديث فليس منه إلا القليل

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين ﴾

فى المحرم منها خرج المعتضد من بغـداد قاصداً بلاد الموصل لقتال هارون الشارى الخارجى فظفر به وهزم أصحـابه وكتب بذلك إلى بغداد ، فلما رجع الخليفة إلى بغـداد أمر بصلب هارون الشارى وكان صفريا . فلما صلب قال : لاحـكم إلا لله ولو كره المشركون . وقـد قاتل الحسن بن حمدان الخوارج فى هذه الغزوة قتالا شديداً مع الخليفة ، فأطلق الخليفة أباه حمدان بن حمدون من القيود بعد ما كان قد سجنه حينا من وقت أخذ قلعة ماردين ، فأطلقه وخلع عليه وأحسن إليه . وفيها كتب المعتضد إلى الآفاق برد ما فضل عن سهام ذوى الفرض إذا لم تكن عصبة إلى ذوى الأرحام وذلك بفتيا أبى حازم القاضى . وقد قال فى فتياه ، إن هذا اتفاق من الصحابة إلا زيد بن ثابت فانه تفرد برد ما فضل والحالة هذه إلى بيت المال . ووافق على ذلك على بن محمد بن أبى الشوارب أبى حازم ، وخالفهما القاضى يوسف بن يعقوب ، وذهب إلى قول زيد فلم يلتفت إليه المعتضد ولا عـدّ قوله شيئاً ، وأمضى فتيا أبى حازم ،ومع هذا ولى القضاء يوسف بن يعقوب فى الجانب الشرقى ،وخلع عليه خلعة سنية ، وقلد أبا حازم قضاء أماكن كثيرة وذلك لموافقته ابن أبى الشوارب وخلع عليه خلعا سـنية أيضا . وفيها وقع الفداء بين المسلمين والروم فاستنقذ من أيديهـم ألفا أسير وخمسمائة وأربعة أنفس . وفيها حاضرت الصقالبة الروم فى القسطنطينية فاستعان ملك الروم بمن عنـده من أسارى المسلمين وأعطاهم سلاحاً كثيراً فخرجوا معهم فهزموا الصقالبة ، ثم خاف ملك الروم من غائلة أولئك المسلمين ففرقهم فى البـلاد . وفيها خرج عمرو بن الليث من نيسابور لبعض أشـغاله فخلفه فيها رافع بن هرثمة ودعا على منابرها لمحمد بن زيد المطلبى ولولده من بعده ، فرجع إليه عمرو وحاصره فيها ، ولم يزل به حتى أخرجه منها وقتله على بابها . وفيها بعث الخليفة وزيره عبيـد الله بن سـليمان

لقتال عمر بن عبـد العزيز بن أبي دلف ، فلما وصل إليه طلب منه عمر الأمان فأمّنه وأخذه معه إلى الخليفة فتلقاه الأمراء وخلع عليه الخليفة وأحسن إليه .

وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن مهران أبو إسحاق الثقفى السراج النيسابورى ، كان الامام أحمد يدخل إلى منزله ـ وكان بقطيعة الربيع فى الجانب الغربى ـ وينبسط فيه ويفطر عنده ، وكان من الثقات العباد العلماء ، توفى فى صفر منها . إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن حازم أبو القاسم الجيلى ، وليس هو بالذى تقدم ذكره فى السنين المتقدمة . سمع داود بن عمرو وعلى بن الجعد وخلقاً كثيراً . وقد ليّنه الدارقطنى فقال ليس بالقوى . توفى عن نحو من ثمانين سنة . سهل بن عبد الله بن يونس التسترى أبو محمد أحد أئمة الصوفية ، لقى ذا النون المصرى . ومن كلامه الحسن قوله : أمس قد مات واليوم فى النزع وغد لم يولد . وهذا كما قال بعض الشعراء :

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

وقد تخرج سهل شيخاله محمد بن سوار ، وقيل إن سهلا قد توفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين فالله أعلم . وفيها توفى عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن خراش أبو محمد الحافظ المروزى أحد الجوالين الرحالين حفاظ الحديث والمتكلمين فى الجرح والتعديل ، وقد كان ينبذ بشىء من التشيع فالله أعلم . روى الخطيب عنه أنه قال : شربت بولى فى هذا الشأن خمس مرات ـ يعنى أنه اضطر إلى ذلك فى أسفاره فى الحديث من العطش ـ على بن محمد بن أبى الشوارب . عبد الملك الأموى البصرى قاضى سامرا . وقد ولى فى بعض الأحيان قضاء القضاة ، وكان من الثقات ، سمع أبا الوليد وأبا عمر و الحوضى وعنه النجاد وابن صاعد وابن قانع ، وحمل الناس عنه علما كثيراً .

﴿ ابن الرومى الشاعر ﴾

صاحب الديوان فى الشعر على بن العباس بن جريج أبو الحسن المعروف بابن الرومى وهو مولى عبد الله بن جعفر وكان شاعراً مشهوراً مطيقا فمن ذلك قوله :

إذا ما مدحت الباخلين فانما * تذكرهم ما فى سواهم من الفضل
وتهدى لهم غما طويلا وحسرة * فان منعوا منك النوال فبالعدل

وقال
إذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يلذ ويعذب
فلا تغبطن المترفين فانه * على قدر ما يكسوهم الدهر يسلب

وقال أيضاً
عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب
إذا انقلب الصديق غدا عدوا * مبينا والأمور إلى انقلاب

ولو كان الكثير يطيب كانت * مصاحبة الكثير من الصواب
ولكن قل ما استكثرت إلا * وقعت على ذئاب فى ثياب
فدع عنك الكثير فكم كثير * يعاف وكم قليل مستطاب
وما اللجج العظام بمزريات * ويكفى الرى فى النطف العذاب

وقال أيضاً

وما الحسب الموروث إلا دردره * بمحتسب إلا بآخر مكتسب
فلا تتكل إلا على ما فعلته * ولا تحسبن المجد يورث كالنسب
فليس يسود المرء إلا بفعله * وإن عد آباء كراما ذوى حسب
إذا العود لم يثمر وان كان أصله * من المثمرات اعتده الناس فى الحطب
وللمجد قوم شيّدوه بأنفس * كرام ولم يعنوا بام ولا أب

وقال أيضاً وهو من لطيف شعره :

قلبى من الطرف السقيم سقيم * لو ان من أشكو إليه رحيم
فى وجهها أبداً نهار واضح * من شعرها عليه ليل بهيم
إن أقبلت فالبدر لاح وإن * مشت فالغصن راح وإن رنت فالريم
نعمت بها عينى فطال عذابها * ولكم عذاب قد جناه نعيم
نظرت فاقصدت الفؤاد بسهمها * ثم انثنت نحوى فكدت أهيم
ويلاه إن نظرت وإن هى أعرضت * وقع السهام ووقعهن أليم
يامستحل دمى محرم رحمتى * ما أنصف التحليل والتحريم

وله أيضاً وكان يزعم أنه ما سبق إليه :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا زجرن نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والأخريات رجوم

وذكر أنه ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين . ومات فى هذه السنة ، وقيل فى التى بعدها ، وقيل فى سنة ست وسبعين ومائتين ، وذكر أن سبب وفاته أن وزير المعتضد القاسم بن عبد الله كان يخاف من هجوه ولسانه فدس عليه من أطعمه وهو بحضرته خشتنانكة مسمومة ، فلما أحس السم قام فقال له الوزير : إلى أين ؟ قال: إلى المكان الذى بعثتنى إليه . قال : سلم على والدى .فقال : لست أجتاز على النار .

ومحمد بن سليمان بن الحرب أبو بكر الباغندى الواسطى ، كان من الحفاظ ، وكان أبو داود يسأله عن الحديث ، ومع هذا تكلموا فيه وضعفوه . محمد بن غالب بن حرب أبو جعفر الضبي المعروف بتمتام

سمع سفيان وقبيصة والقعنبي ، وكان من الثقات . قال الدارقطني : وربما أخطأ . توفي في رمضان عن تسعين سنة

﴿ البحتري الشاعر ﴾

صاحب الديوان المشهور ، اسمه الوليد بن عبادة ، ويقال ابن عبيد بن يحيى أبو عبادة الطائي البحتري الشاعر ، أصله من منبج وقدم بغداد ومدح المتوكل والرؤساء ، وكان شعره في المدح خيراً منه في المراثي فقيل له في ذلك فقال : المديح للرجاء والمراثي للوفاء وبينهما بعد . وقد روى شعره المبرد وابن درستويه وابن المرزبان . وقيل له : إنهم يقولون إنك أشعر من أبي تمام . فقال : لولا أبو تمام ما أكلت الخبز ، كان أبو تمام أستاذنا . وقد كان البحتري شاعراً مطيقاً فصيحاً بليغاً رجع إلى بلده فمات بها في هذه السنة ، وقيل في التي بعدها عن ثمانين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين ﴾

في المحرم منها دخل رأس رافع بن هرثمة إلى بغداد فأمر الخليفة بنصبه في الجانب الشرقي إلى الظهر ، ثم بالجانب الغربي إلى الليل . وفي ربيع الأول منها خلع على محمد بن يوسف بن يعقوب بالقضاء بمدينة أبي جعفر المنصور عوضاً عن ابن أبي الشوارب بعد موته بخمسة أشهر وأيام ، وقد كانت شاغرة تلك المدة . وفي ربيع الآخر منها ظهرت بمصر ظلمة شديدة وحمرة في الأفق حتى كان الرجل ينظر إلى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جداً ، وكذلك الجدران ، فمكثوا كذلك من العصر إلى الليل ثم خرجوا إلى الصحراء يدعون الله ويتضرعون حتى كشف عنهم . وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر فحذره ذلك وزيره عبد الله بن وهب ، وقال له : إن العامة تنكر قلوبهم ذلك وهم يترحمون عليه ويترضون عنه في أسواقهم وجوامعهم ، فلم يلتفت إليه بل أمر بذلك وأمضاه وكتب به نسخاً إلى الخطباء بلعن معاوية وذكر فيها ذمه وذم ابنه يزيد بن معاوية وجماعة من بني أمية ، وأورد فيها أحاديث باطلة في ذم معاوية وقرئت في الجانبين من بغداد ، ونهيت العامة عن الترحم على معاوية والترضي عنه ، فلم يزل به الوزير حتى قال له فيما قال : يا أمير المؤمنين إن هذا الصنيع لم يسبقك أحد من الخلفاء إليه ، وهو مما يرغب العامة في الطالبيين وقبول الدعوة إليهم ، فوجم المعتضد عند ذلك لذلك تخوفاً على الملك ، وقدر الله تعالى أن هذا الوزير كان ناصبيا يكفر عليا فكان هذا من هفوات المعتضد .

وفيها نودي في البلاد لا يجتمع العامة على قاص ولا منجم ولا جدلي ولا غير ذلك ، وأمرهم أن لا يهتموا لأمر النوروز ، ثم أطلق لهم النوروز فكانوا يصبون المياه على المارة وتوسعوا في ذلك وغلوا فيه حتى جعلوا يصبون الماء على الجند والشرط وغيرهم ، وهذا أيضاً من هفواته . قال ابن الجوزي : وفيها وعد المنجمون الناس أن أكثر الأقاليم ستغرق في زمن الشتاء من كثرة الأمطار

والسيول وزيادة الأنهار ، وأجمعوا على هذا الأمر فأخذ الناس كهوفا فى الجبال خوفاً من ذلك ، فأكذب الله تعالى المنجمين فى قولهم فلم يكن عام أقل مطراً منه ، وقلت العيون جداً وقحط الناس فى كل بقعة حتى استسقى الناس ببغداد وغيرها من البلاد مراراً كثيرة . قال: وفيها كان يتبدى فى دار الخلافة شخص بيده سيف مسلول فى الليل فاذا أرادوا أخذه انهزم فدخل فى بعض الأماكن والزروع والأشجار والعطفات التى بدار الخلافة فلا يطلع له على خبر ، فقلق من ذلك المعتضد قلقا شديداً وأمر بتجديد سور دار الخلافة والاحتفاظ به ، وأمر الحرس من كل جانب بشدة الاحتراس فلم يفد ذلك شيئاً ، ثم استدعى بالمعزمين ومن يعانى علم السحر وأمر المنجمين فعزموا واجتهدوا فلم يفد ذلك شيئاً فأعياهم أمره ، فلما كان بعد مدة اطلع على جلية الأمر وحقيقة الخبر فوجده خادماً خصياً من الخدام كان يتعشق بعض الجوارى من حظايا المعتضد التى لا يصل إليها مثله ولا النظر إليها من بعيد ، فاتخذ لحاً مختلفة الألوان يلبس كل ليلة واحدة ، واتخذ لباسا مزعجاً فكان يلبس ذلك ويتبدى فى الليل فى شكل مزعج فيفزع الجوارى وينزعجن وكذلك الخدم فيثورون إليه من كل جانب فاذا قصدوه دخل فى بعض العطفات ثم يلقى ما عليه أو يجعله فى كمه أو فى مكان قد أعده لذلك ثم يظهر أنه من جملة الخدم المتطلبين لكشف هذا الأمر، ويسأل هذا وهذا ماالخبر؟ والسيف فى يده صفة من يرى أنه قد رهب من هذا الأمر ، وإذا اجتمع الحظايا تمكن من النظر إلى تلك المعشوقة ولاحظها وأشار إليها بما يريده منها وأشارت إليه ، فلم يزل هذا دأبه إلى زمن المقتدر فبعثه فى سرية إلى طرسوس فنمت عليه تلك الجارية وانكشف أمره وحاله وأهلكه الله .

وفيها اضطرب الجيش المصرى على هارون بن خمارويه فأقاموا له بعض أمراء أبيه يدبر الأمور ويصلح الأحوال ، وهو أبو جعفر بن أبان ، فبعث إلى دمشق ـ وكانت قد منعت البيعة تسعة أشهر بعد أبيه ، واضطربت أحوالها ـ فبعث إليهم جيشاً كثيفا مع بدر الحمامى والحسن بن أحمد الماذرائى فأصلحا أمرها واستعملا على نيابتها طغج بن خف ورجعا إلى الديار المصرية والأمور مختلفة جداً .

وفيها توفى من الأعيان .

﴿ أحمد بن المبارك أبو عمرو المستملى ﴾

الزاهد النيسابورى يلقب بحكويه العابد ، سمع قتيبة وأحمد وإسحاق وغيرهم ، واستملى على المشايخ ستاً وخمسين سنة ، وكان فقيراً رث الهيئة زاهداً ، دخل يوماً على أبى عثمان سعيد بن إسماعيل وهو فى مجلس التذكير ، فبكى أبو عثمان وقال للناس : إنما أبكانى رثاثة ثياب رجل كبير من أهل العلم أنا أجله عن أن أسميه فى هذا المجلس ، فجعل الناس يلقون الخواتم والثياب والدراهم حتى اجتمع من ذلك شئ كثير بين يدى الشيخ أبى عثمان ، فنهض عند ذلك أبو عمرو المستملى فقال :

أيها الناس أنا الذى قصدنى الشيخ بكلامه، ولولا أنى كرهت أن يتهم بإثم لسترت ماستره . فتعجب الشيخ من إخلاصه ثم أخذ أبو عمرو ذلك المجتمع من المال فما خرج من باب المسجد حتى تصدق بجميعه على الفقراء والمحاويج . كانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة.

﴿ إسحاق بن الحسن ﴾

ابن ميمون بن سعد أبو يعقوب الحربى ، سمع عفان وأبا نعيم وغيرهما . وكان أسن من إبراهيم الحربى بثلاث سنين ، ولما توفى إسحاق نودى له بالبلد فقصد الناس داره للصلاة عليه ،واعتقد بعض العامة أنه إبراهيم الحربى فجعلوا يقصدون داره فيقول إبراهيم : ليس إلى هذا الموضع قصدكم ، وعن قريب تأتونه ، فما عمّر بعده إلا دون السنة .

إسحاق بن محمد بن يعقوب الزهرى عمّر تسعين سنة وكان ثقة صالحاً . إسحاق بن موسى بن عمران الفقيه أبو يعقوب الاسفرايينى الشافعى . عبد الله بن على بن الحسن بن إسماعيل أبو العباس الهاشمى ، كانت إليه الحسبة ببغداد و إمامة جامع الرصافة .عبد العزيز بن معاوية العتابى من ولد عتاب ابن أسيد بصرى ، قدم بغداد وحدث عن أزهر السمان وأبى عاصم النبيل . يزيد بن الهيثم بن طهمان أبو خالد الدقاق و يعرف بالباد . قال ابن الجوزى : والصواب أن يقال : البادى لأنه ولدتو أما وكان هو الأول فى الميلاد . روى عن يحيى بن معين وغيره وكان ثقة صالحاً .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين ﴾

فيها وثب صالح بن مدرك الطائى على الحجاج بالأجفر فأخذ أموالهم ونساءهم ،يقال : إنه أخذ منهم ما قيمته ألف ألف دينار . وفى ربيع الأول منها يوم الأحد لعشر بقين منه ارتفعت بنواحى الكوفة ظلمة شديدة جداً ثم سقطت أمطار برعود و بروق لم ير مثلها ، وسقط فى بعض القرى مع المطر حجارة بيض ، وسود ، وسقط برد كبار وزن البردة مائة وخمسون درهما ، واقتلعت الرياح شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار مما حول دجلة ، و زادت دجلة زيادة كثيرة حتى خيف على بغداد من الغرق . وفيها غزا راغب الخادم مولى الموفق بلاد الروم ففتح حصونا كثيرة وأسر ذرارى كثيرة جداً ، وقتل من أسارى الرجال الذين معه ثلاثة آلاف أسير ، ثم عاد سالماً مؤيداً منصورا [وحج بالناس فيها محمد بن عبد الله بن داود الهاشمى] (١)

وفيها توفى أحمد بن عيسى بن الشيخ صاحب آمد فقام بأمرها من بعده ولده محمد ، فقصده المعتضد ومعه ابنه أبو محمد المكتفى بالله فحاصره بها فخرج إليه سامعاً مطيعاً فتسلمها منه وخلع عليه وأكرم أهلها ، واستخلف عليها ولده المكتفى ، ثم سار إلى قنسرين والعواصم فتسلمها عن كتاب هارون

(١) زيادة من نسخة أخرى بالأستانة .

ابن خمارويه ، وإذنه له فى ذلك ومصالحته له فيها . وفيها غزا ابن الأخشيد بأهل طرسوس بلاد الروم ففتح الله على يديه حصونا كثيرة ولله الحمد وفيها توفى من الأعيان .

﴿ إبراهيم بن إسحاق ﴾

ابن بشير بن عبد الله بن رستم أبو إسحاق الحربى ، أحد الأئمة فى الفقه والحديث وغيرذلك ، وكان زاهداً عابداً تخرج بأحمد بن حنبل ، وروى عنه كثيراً . قال الدارقطنى: إبراهيم الحربى إمام مصنف عالم بكل شئ بارع فى كل علم ، صدوق ، كان يقاس بأحمد بن حنبل فى زهده وورعه وعلمه ، ومن كلامه أجمع عقلاء كل أمة أن من لم يجر مع القدر لم يتهن بعيشه . وكان يقول : الرجل كل الرجل الذى يدخل غمه على نفسه ولا يدخله على عياله ، وقد كانت بى شقيقة منذ أربعين سنة ما أخبرت بها أحداً قط ، ولى عشرون سنة أبصر بفرد عين ما أخبرت بها أحداً قط ، وذكر أنه مكث نيفا وسبعين سنة من عمره ما يسأل أهله غداء ولا عشاء ، بل إن جاءه شئ أكله وإلا طوى إلى الليلة القابلة . وذكر أنه أنفق فى بعض الرماضانات على نفسه وعياله درهما واحداً وأربعة دوانيق ونصف ، وما كنا نعرف من هذه الطبائخ شيئاً إنما هو باذنجان مشوى أو باقة فجل أو نحو هذا ، وقد بعث إليه أمير المؤمنين المعتضد فى بعض الأحيان بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وردها ، فرجع الرسول وقال يقول لك الخليفة:فرقها على من تعرف من فقراء جيرانك . فقال : هذا شئ لم نجمعه ولا نسأل عن جمعه ، فلا نسأل عن تفريقه ، قل لأمير المؤمنين إما يتركنا وإما نتحول من بلده . ولما حضرته الوفاة دخل عليه بعض أصحابه يعوده فقامت ابنته تشكو إليه ما هم فيه من الجهد وأنه لا طعام لهم إلا الخبز اليابس بالملح، وربما عدموا الملح فى بعض الأحيان . فقال لها إبراهيم :يابنية تخافين الفقر؟انظرى الى تلك الزاوية فيها اثنى عشر ألف جزء قد كتبتها ، ففى كل يوم تبيعى منها جزء بدرهم فمن عنده اثنى عشر ألف درهم فليس بفقير . ثم كانت وفاته لسبع بقين من ذى الحجة وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى عند باب الأنبار، وكان الجمع كثيراً جداً.

﴿ المبرد النحوى ﴾

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس الأزدى الثمالى المعروف بالمبرد النحوى البصرى إمام فى اللغة والعربية ، أخذ ذلك عن المازنى وأبى حاتم السجستانى ، وكان ثقة ثبتا فيما ينقله وكان مناوئا لثعلب وله كتاب الكامل فى الأدب ، وإنما سمى بالمبرد لأنه اختبأ من الوالى عند أبى حاتم تحت المزبلة . قال المبرد : دخلنا يوماً على المجانين نزورهم أنا وأصحاب معى بالرقة فاذا فيهم شاب قريب العهد بالمكان عليه ثياب ناعمة فلما بصر بنا قال حياكم الله ممن أنتم ؟ قلنا من أهل العراق . فقال : بأبى العراق وأهلها أنشدونى أو أنشدكم ؟ قال : المبرد : بل أنشدنا أنت فأنشأ يقول:

الله يعلم أننى كمد * لا أستطيع بث ما أجد
روحان لى روح تضمنها * بلدوأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها * صبر ولا يقوى لها جلد
وأظن غائبتى كحاضرتى * بمكانها تجد الذى أجد

قال المبرد فقلت : والله إن هذا طريف فزدنا منه فأنشأ يقول :

لما أناخوا قبيل الصبح عيرهم * وحملوها فثارت بالهوى الا بل
وأبرزت من خلال السجف ناظرها * ترنو إلى ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان عقدها عنم * ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلى من البين ماذا حل بى وبهم * من نازل البين حان البين وارتحلوا
يا راحل العيس عجل كى أودعهم * يا راحل العيس فى ترحالك الأجل
إنى على العهد لم أنقض مودتهم * فليت شعرى لطول العهد مافعلوا

فقال رجل من البغضاء الذين معى : ماتوا . فقال الشاب : إذا أموت ، فقال إن شئت . فتمطى واستند إلى سارية عنده ومات وما برحنا حتى دفناه رحمه الله . ومات المبرد وقد جاوز السبعين .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين ﴾

فيها وقع تسلم آمد من ابن الشيخ فى ربيع الآخر ووصل كتاب هارون بن أحمد بن طولون من مصر إلى المعتضد وهو مخيم بآمد أن يسلم إليه قنسرين والعواصم على أن يقره على إمارة الديار المصرية ، فأجابه إلى ذلك ، ثم ترحل عن آمد قاصداً العراق وأمر بهدم سور آمد فهدم البعض ولم يقدر على ذلك ، فقال ابن المعتز يهنئه بفتح آمد

أسلم أمير المؤمنين ودم * فى غبطة وليهنك النصر
فلرب حادثة نهضت لها * متقدماً فتأخر الدهر
ليث فرائسه الليوث * فما يبض من دمها له ظفر

ولما رجع الخليفة إلى بغداد جاءته هدية عمرو بن الليث من نيسابور فكان وصولها بغداد يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة ، وكان مبلغها ما قيمته أربعة آلاف ألف درهم خارجاً عن الدواب وسروج وسلاح وغير ذلك . وفيها تحارب إسماعيل بن أحمد السامانى وعمرو بن الليث ، وذلك أن عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هرثمة وبعث برأسه إلى الخليفة سأل منه أن يعطيه ما وراء النهر مضافاً إلى ما بيده من ولاية خراسان ، فأجابه إلى ذلك فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد السامانى نائب ما وراء النهر ، وكتب إليه : إنك قد وليت دنيا عريضة فاقتنع بها عن ما فى يدى من هذه

البلاد . فلم يقبل فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمة ، جدا فالتقيا عند بلخ فهزم أصحاب عمرو ، وأسر عمرو ، فلما جيء به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه وقبل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أمره ، ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوا وضجروا من ولايته عليهم ، فجاء كتاب الخليفة بأن يتسلم حواصله وأمواله فسلبه إياها ، فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحمل على ستمائة جمل إلى القيد والسجن . [ومن العجائب أن عمراً كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصب أحد منهم ولا أسر سواه وحده ، وهذا جزاء من غلب عليه الطمع ، وقاده الحرص حتى أوقعه في ذل الفقر ، وهذه سنة الله في كل طامع فيما ليس له ، وفي كل طالب للزيادة في الدنيا] (١)

﴿ ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة قبحهم الله ولعنهم ﴾

« وهذا أخبث من الزنج وأشد فساداً »

كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة ، فالتف عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير ، وقويت شوكته جداً ، وقتل من حوله من أهل القرى ، ثم صار إلى القطيف قريباً من البصرة ، ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها ، فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار ، فامتنعت من القرامطة بسبب ذلك . وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد ، وأكثروا في الأرض الفساد . وكان أصل أبي سعيد الجنابي هذا أنه كان سمساراً في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان ، فقدم رجل به يقال له يحيى بن المهدي في سنة إحدى وثمانين ومائتين فدعا أهل القطيف إلى بيعة المهدي ، فاستجاب له رجل يقال له علي بن العلاء بن حمدان الزيادي ، وساعده في الدعوة إلى المهدي ، وجمع الشيعة الذين كانوا بالقطيف فاستجابوا له ، وكان في جملة من استجاب أبو سعيد الجنابي هذا قبحه الله ، ثم تغلب على أمرهم وأظهر فيهم القرمطة فاستجابوا له والتفوا عليه ، فتأمر عليهم وصار هو المشار إليه فيهم . وأصله من بلدة هناك يقال لها جنابة ، وسيأتي ما يكون من أمره وأمر أصحابه . قال في المنتظم : ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة . ثم روى بسنده أن امرأة تقدمت إلى قاضي الري فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره فجاءت ببينة تشهد لها به ، فقالوا : نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا ، فلما صمموا على ذلك قال الزوج : لا تفعلوا هي صادقة فيما تدعيه ، فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها . فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر : هو في حل من صداقي عليه في الدنيا والآخرة

ومن توفي فيها من الأعيان المشاهير أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز فيما ذكره شيخنا الذهبي .

(١) زيادة من نسخة أخرى من الأستانة .

وقد أرخه ابن الجوزى فى سنة سبع وسبعين ومائتين فالله أعلم .

﴿ إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان ﴾

أبو يعقوب النخعى الأحمر ، وإليه تنسب الطائفة الاسحاقية من الشيعة . وقد ذكر ابن النوبختى والخطيب وابن الجوزى أن هذا الرجل كان يعتقد إلهية على بن أبى طالب ، وأنه انتقل إلى الحسن ثم الحسين ، وأنه كان يظهر فى كل وقت ، وقد اتبعه على هذا الكفر خلق من الحمر قبحهم الله وقبحه . وإنما قيل له الأحمر لأنه كان أبرص ، وكان يطلى برصه بما يغيرلونه ، وقد أورد له النوبختى أقوالا عظيمة فى الكفر . لعنه الله . وقد روى شيئاً من الحكايات والملح عن المازنى وطبقته ، ومثل هذا أقل وأذل من أن يروى عنه أو يذكر إلا بذمه

بقى بن مخلد بن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسى الحافظ أحد علماء الغرب ، له التفسير والمسند والسنن والآثار التى فضلها ابن حزم على تفسير ابن جرير ومسند أحمد ومصنف ابن أبى شيبة ، وفيما زعم ابن حزم نظر . وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه فأثنى عليه خيراً ، ووصفه بالحفظ والاتقان ، وأنه كان مجاب الدعوة رحمه الله . وأرخ وفاته بهذه السنة عن خمس وسبعين سنة .

﴿ الحسن بن بشار ﴾

أبو على الخياط روى عن أبى بلال الأشعرى ، وعنه أبو بكر الشافعى وكان ثقة ، رأى فى منامه ـ وقد كانت به علة ـ قائلا يقول له : كل لا ، وادهن بلا . ففسره بقوله تعالى (زيتونة لا شرقية ولا غربية) فأكل زيتونا وشرب زيتاً فبرأ من علته تلك . محمد بن إبراهيم أبو جعفر الأنماطى المعروف بمربع تلميذ يحيى بن معين ، كان ثقة حافظاً . عبد الرحيم الرقى . ومحمد بن وضاح المصنف . وعلى بن عبد العزيز البغوى صاحب المسند

﴿ ومحمد بن يونس ﴾

ابن موسى بن سليمان بن عبيد بن ربيعة بن كديم أبو العباس القرشى البصرى الكديمى ، وهو ابن امرأة نوح بن عبادة ، ولد سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وسمع عبد الله بن داود الخريبى ، ومحمد بن عبد الله الأنصارى ، وأبا داود الطيالسى ، والأصمعى وخلقا . وعنه ابن السماك والنجاد . وآخر من حدث عنه أبو بكر بن مالك القطيعى ، وقد كان حافظا مكثرا مغربا ، وقد تكلم فيه الناس لاجل غرائبه فى الروايات . وقد ذكرنا ترجمته فى التكميل . توفى يوم الجمعة قبل الصلاة للنصف من جمادى الآخرة منها ، وقد جاوز المائة ، وصلى عليه يوسف بن يعقوب القاضى .

يعقوب بن إسحاق بن نخبة أبو يوسف الواسطى ، سمع من يزيد بن هارون وقدم بغداد وحدث بها أربعة أحاديث ، ووعد الناس أن يحدثهم من الغد فمات من ليلته عن مائة واثنى

عشر سنة . الوليد أبو عبادة البحترى فيما ذكر الذهبى ، وقد تقدم ذكره فى سنة ثلاث وثمانين كما ذكره ابن الجوزى فالله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين ﴾

فى ربيع الأول منها تفاقم أمر القرامطة صحبة أبى سعيد الجنابى فقتلوا وسبوا وأفسدوا فى بلاد هجر ، فجهز الخليفة إليهم جيشا كثيفا وأمر عليهم العباس بن عمرو الغنوى ، وأمره على اليمامة والبحرين ليحارب أبا سعيد هذا ، فالتقوا هنالك وكان العباس فى عشرة آلاف مقاتل ، فأسرهم أبو سعيد كلهم ولم ينج منهم إلا الأمير وحده ، وقتل الباقون عن آخرهم صبراً بين يديه قبحه الله . وهذا عجيب جداً ، وهو عكس واقعة عمرو بن الليث فانه أسر من بين أصحابه وحده ونجوا كلهم وكانوا خمسين ألفا . ويقال إن العباس لما قتل أبو سعيد أصحابه صبراً بين يديه وهو ينظر ، وكان فى جملة من أسر أقام عند أبى سعيد أياماً ثم أطلقه وحمله على رواحل وقال : ارجع إلى صاحبك وأخبره بما رأيت. وقد كانت هذه الواقعة فى أواخر شعبان منها ، فلما وقع هذا الأمر الفظيع انزعج الناس لذلك انزعاجاً عظيما جداً ، وهمَّ أهل البصرة بالخروج منها فمنعهم من ذلك نائبها أحمد الواثق. وفيها أغارت الروم على بلاد طرسوس وكان نائبها ابن الاخشيد قد توفى فى العام الماضى واستخلف على الثغر أبا ثابت ، فطمعت الروم فى تلك الناحية وحشدوا عساكرهم ، فالتقا بهم أبو ثابت فلم يقدر على مقاومتهم ، فقتلوا من أصحابه جماعة وأسروه فيمن أسروا ، فاجتمع أهل الثغر على ابن الأعرابى فولوه أمرهم . وذلك فى ربيع الآخر . وفيها قتل

﴿ محمد بن زيد العلوى ﴾

أمير طبرستان والديلم . وكان سبب ذلك أن إسماعيل السامانى لما ظفر بعمرو بن الليث ظن محمد أن إسماعيل لايجاوز عمله ، وأن خراسان قد خلت له، فارتحل من بلده يريد خراسان ، وسبقه إسماعيل إليها ، وكتب إليه أن الزم عملك ولا تتجاوزه إلى غيره فلم يقبل ، فبعث إليه جيشا مع محمد بن هارون الذى كان ينوب عن رافع بن هرثمة ، فلما التقيا هرب منه محمد بن هارون خديعة ، فسار الجيش وراءه فى الطلب فكر عليهم راجعا فانهزموا منه فأخذ مافى معسكرهم وجرح محمد بن زيد جراحات شديدة فمات بسببها بعد أيام ، وأسر ولده زيد فبعث به إلى إسماعيل بن أحمد فأكرمه وأمر له بجائزة . وقد كان محمد بن زيد هذا فاضلا ديناً حسن السيرة فيما وليه من تلك البلاد ، وكان فيه تشيع . تقدم إليه يوماً خصمان اسم أحدهما معاوية واسم الآخر على ، فقال محمد بن زيد : إن الحكم بينكما ظاهر ، فقال معاوية : أيها الأمير لا تغترن بنا ، فان أبى كان من كبار الشيعة ، وإنما سمانى معاوية مداراة لمن

ببلادنا من أهل السنة . وهـذا كان أبوه من كبار النواصب فسماه عليا تقاة لـكم ، فتبسم محمد بن زيد وأحسن إليهما .

قال ابن الأثير فى كامله : وممن توفى فيها إسحاق بن يعقوب بن عمر بن الخطاب العـدوى ـ عدى ربيعة . وكان أميرا على ديار ربيعة بالجزيرة، فولى مكانه عبد الله بن الهيثم بن عبـد الله بن المعتمر . وعلى بن عبد العزيز البغوى صاحب أبى عبيد القاسم بن سلام . ومهدى بن أحمد بن مهدى الأزدى الموصلى ـ وكان من الأعيان ـ وذكرهو وأبو الفرج بن الجوزى أن قطرالندى بنت خمارويه ابن أحمد بن طولون امرأة المعتضد توفيت فى هذه السنة . قال ابن الجوزى : لسبع خلون من رجب منها، ودفنت داخل القصر بالرصافة. يعقوب بن يوسف بن أيوب أبو بكر المطوعى ، سمع أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى ، وعنه النجاد والخلدى ، وكان ورده فى كل يوم قراءة قل هو الله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة ، أو إحدى وأربعين ألف مرة . قلت: وممن توفى فيها أبو بكر بن أبى عاصم صاحب السنة والمصنفات وهو : ﴿ أحمد بن عمرو بن أبى عاصم الضحاك ﴾

ابن النبيل ، له مصنفات فى الحديث كثيرة ، منها كتاب السنة فى أحاديث الصفات على طريق السلف ، وكان حافظاً ، قـد ولى قضاء أصبهان بعد صالح بن أحمد ، وقد طاف البلاد قبل ذلك فى طلب الحديث ، وصحب أبا تراب النخشبى وغيره من مشايخ الصوفية، وقد اتفق له مرة كرامة هائلة كان هو واثنان من كبـار الصالحين فى سفر فنزلوا عـلى رمل أبيض، فجعل أبو بكر هـذا يقبله بيده ويقول : اللهم ارزقنا خبيصاً يكون غداء على لون هذا الرمل . فلم يكن بأسرع من أن أقبل أعرابى وبيده قصعة فيها خبيص بلون ذلك الرمل وفى بياضه ، فأكلوا منه . وكان يقول : لا أحب أن يحضر مجلسى مبتدع ولا مدع ولا طعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذئ ، ولا منحرف عن الشافعى وأصحاب الحـديث . توفى فى هذه السنة بأصبهان. وقد رآه بعضهم بعـد وفاته وهو يصلى فلما انصرف قال : ما فعل بك ؟ فقال : يؤنسنى ربى عز وجل

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين ﴾

اتفق فى هذه السنة آفات ومصائب عديدة منها أن الروم قصدوا بلاد الرقة فى جحافل عظيمة وعساكر من البحر والبر ، فقتلوا خلقاً وأسروا نحواً من خمسة عشر ألفا من الذرية . ومنها أن بلاد أذربيجان أصاب أهلها وباء شديد حتى لم يبق أحد يقدر على دفن الموتى ، فتركوا فى الطرق لا يوارون . ومنها أن بلاد أردبيل أصابها ريح شديدة من بعد العصر إلى ثلث الليل ثم زلزلوا زلزالا شديداً ، واستمر ذلك عليهم أياماً فتهدمت الدور والمساكن ، وخسف بآخرين منهم ، وكان جملة من مات تحت الهدم مائة ألف وخمسين ألفاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها اقترب القرامطة من البصرة

فخاف أهلها منهم خوفا شديداً ، وهموا بالرحيل منها فمنعهم نائبها . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ بشر بن موسى بن صالح أبو على الأسدى ﴾

ولد سنة تسعين ومائة ، وسمع من روح بن عبادة حديثا واحدا ، وسمع الكثير من هودة بن خليفة والحسن بن موسى الأشيب وأبى نعيم وعلى بن الجعد والأصمعى وغيرهم ، وعنه ابن المنادى وابن مخلد وابن صاعد والنجاد وأبو عمرو الزاهد والخلدى والسلمى وأبو بكر الشافعى وابن الصواف وغيرهم . وكان ثقة أميناً حافظاً ، وكان من البيوتات وكان الامام أحمد يكرمه . ومن شعره

ضعفت ومن جاز الثمانين يضعف * وينكر منه كل ما كان يعرف

ويمشى رويداً كالأسير مقيداً * يدانى خطاه فى الحديد ويرسف

ثابت بن قرة بن هارون ويقال ابن زهرون بن ثابت بن كدام بن إبراهيم الصابئ الفيلسوف الحرانى صاحب التصانيف ، من جملتها أنه حرر كتاب إقليدس الذى عربه حنين بن إسحاق العبادى. وكان أصله صوفياً فترك ذلك واشتغل بعلم الأوائل ، فنال منه رتبة سامية عند أهله ، ثم صار إلى بغداد فعظم شأنه بها ، وكان يدخل مع المنجمين على الخليفة وهو باق على دين الصابئة ، وحفيده ثابت بن سنان له تاريخ أجاد فيه وأحسن ، وكان بليغا ماهرا حاذقا بالغا . وعمه إبراهيم بن ثابت بن قرة كان طبيباً عارفا أيضاً . وقد سردهم كلهم فى هذه الترجمة القاضى ابن خلكان . الحسن بن عمرو بن الجهم أبو الحسن الشيعى ـ من شيعة المنصور لا من الروافض ـ حدث عن على بن المدينى ، وحكى عن بشر الحافى . وعنه أبو عمرو بن السماك . عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد ، كان حظيا عنده ، وقد عز عليه موته وتألم لفقده وأهمه من يجعله فى مكانه بعده ، فعقد لولده القاسم بن عبيد الله على الوزارة من بعد أبيه جبراً لمصابه به . وأبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار المعروف بالأنماطى أحد كبار الشافعية . وقد ذكرناه فى طبقاتهم . وهارون بن محمد بن إسحاق بن موسى بن عيسى أبو موسى الهاشمى إمام الناس فى الحج عدة سنين متوالية ، وقد سمع وحدث وتوفى بمصر فى رمضان من هذه السنة

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائتين ﴾

فيها عاثت القرامطة بسواد الكوفة فظفر بعض العمال بطائفة منهم فبعث برئيسهم إلى المعتضد وهو أبو الفوارس ، فنال من العباس بين يدى الخليفة فأمر به فقلعت أضراسه وخلعت يداه ثم قطعتا مع رجليه ، ثم قتل وصلب ببغداد . وفيها قصدت القرامطة دمشق فى جحفل عظيم فقاتلهم نائبها طغج بن جف من جهة هارون بن خمارويه ، فهزموه مرات متعددة ، وتفاقم الحال بهم ، وكان ذلك بسفارة يحيى بن زكرويه بن بهرويه الذى ادعى عند القرامطة أنه محمد بن عبد الله بن إسماعيل ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وقد كذب فى ذلك ، وزعم لهم أنه

قد اتبعه عـلى أمره مائة ألف ، وأن ناقته مأمورة حيث ما توجهت به نصر على أهل تلك الجهة . فراج ذلك عندهم ولقبوه الشيخ ، واتبعه طائفة من بنى الأصبغ ، وسموا بالفاطميين . وقـد بعث إليهم الخليفة جيشاً كثيفاً فهزموه ، ثم اجتازوا بالرصافة فأحرقوا جامعها ، ولم يجتاز وا بقرية إلا نهبوها ولم يزل ذلك دأبهم حتى وصلوا إلى دمشق فقاتلهم نائبها فهزموه مرات وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا ، وانتهبوا من أموالها شيئاً كثيراً . فانا لله وإنا إليه راجعون ،

وفى هذه الحالة الشديدة اتفق موت الخليفة المعتضد بالله فى ربيع الأول منها

﴿ وهذه ترجمة المعتضد ﴾

هو أحمـد بن الأمير أبى أحمد الموفق الملقب بناصر دين الله ، واسم أبى أحمد محمـد ، وقيل طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد ، أبو العباس المعتضد بالله . ولد فى سنة ثلثين وقيل ثلاث وأربعين ومائتين ، وأمه أم ولد . وكان أسمر نحيف الجسم معتدل القامة ، قدوخطه الشيب ، فى مقدم لحيته طول ، وفى رأسه شامـة بيضاء . بويع له بالخلافة صبيحة يوم الاثنين إحدى عشرة بقيت من رجب سـنة تسع وسبعين ومائتين ، واستوزر عبد الله بن وهب بن سليمان ، وولى القضاء إسماعيل بن إسحاق ، ويوسف بن يعقوب ، وابن أبى الشوارب . وكان أمر الخلافة قد ضعف فى أيام عمه المعتمد ، فلما ولى المعتضد أقام شعارها ورفع منارها . وكان شجاعا فاضـلا من رجالات قريش حزما وجرأة وإقداماً وحزمة . وكذلك كان أبوه ، وقد أورد ابن الجوزى باسناده أن المعتضد اجتاز فى بعض أسفاره بقرية فيها مقثاة فوقف صاحبها صائحا مستصرخاً بالخليفة ، فاستدعى به فسأله عن أمره فقال : إن بعض الجيش أخذوا لى شيئا من القثاء وهم من غلمانك . فقال : أتعرفهم ؟ فقال نعم : فعرضهم عليه فعرف منهم ثلاثة فأمر الخليفة بتقييدهم وحبسهم ، فلما كان الصباح نظر الناس ثلاثة أنفس مصلوبين على جادة الطريق ، فاستعظم الناس ذلك واستنكروه وعابوا ذلك على الخليفة وقالوا : قتل ثلاثة بسبب قثاء أخذوه ؟ فلما كان بعـد قليل أمر الخواص ـ وهو مسامره ـ أن ينكر عليه ذلك ويتلطف فى مخاطبته فى ذلك والأمراء حضور ، فدخل عليه ليلة وقد عزم على ذلك ففهم الخليفة ما فى نفسه من كلام يريد أن يبديه ، فقال له : إنى أعرف أن فى نفسك كلاماً فما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين وأنا آمن ؟ قال : نعم . قلت له : فان الناس ينكرون عليك تسرعك فى سفك الدماء . فقال . والله ما سفكت دما حراماً منذ وليت الخلافة إلا بحقه . فقلت له : فعلام قتلت أحمـد بن الطيب وقد كان خادمك ولم يظهر له خيانة ؟ فقال : ويحك إنه دعانى إلى الالحاد والكفر بالله فيما بينى وبينه ، فلما دعانى إلى ذلك قلت له : ياهذا أنا ابن عم صاحب الشريعـة ، وأنا منتصب فى منصبه فأكفر حتى أكون من غـير قبيلته . فقتلته على الكفر والزندقة . فقلت له : فما بال الثـلاثة الذين

قتلتهم على القثاء ؟ فقال : والله ما كان هؤلاء الذين أخذوا القثاء ، و إنما كانوا لصوصاً قد قتلوا وأخذوا المال فوجب قتلهم ، فبعثت فجئت بهم من السجن فقتلتهم وأريت الناس أنهم الذين أخذوا القثاء ، وأردت بذلك أن أرهب الجيش لئلا يفسدوا فى الأرض و يتعدوا على الناس ويكفوا عن الأذى . ثم أمر بإخراج أولئك الذين أخذوا القثاء فأطلقهم بعد ما استتابهم وخلع عليهم و ردهم إلى أرزاقهم .

قال ابن الجوزى : وخرج المعتضد يوماً فعسكر بباب الشماسية ونهى أن يأخذ أحد من بستان أحد شيئا ، فأتى بأسود قد أخذ عذقا من بسر فتأمله طويلا ثم أمر بضرب عنقه ، ثم التفت إلى الأمراء فقال : العامة ينكرون هذا ويقولون إن رسول الله ﷺ قال : « لا قطع فى ثمر ولا كثر » . ولم يكفه أن يقطع يده حتى قتله ، وإنى لم أقتل هذا على سرقته ، و إنما هذا الأسود رجل من الزنج كان قد استأمن فى حياة أبى ، و إنه تقاول هو ورجل من المسلمين فضرب المسلم فقطع يده فمات المسلم ، فأهدر أبى دم الرجل المقتول تأليفاً للزنج ، فآليت على نفسى لئن أنا قدرت عليه لأقتلنه ، فما قدرت عليه إلا هذه الساعة فقتلته بذلك الرجل .

وقال أبو بكر الخطيب : أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب حدثنا محمد بن نعيم الضبى سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول سمعت أبا العباس بن سريج يقول سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضى يقول : دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث روم صباح الوجوه ، فنظرت إليهم فرآنى المعتضد وأنا أتأملهم ، فلما أردت القيام أشار إلى فجلست ساعة فلما خلا قال لى : أيها القاضى والله ما حللت سراويلى على حرام قط . وروى البيهقى عن الحاكم عن حسان بن محمد عن ابن سريج القاضى إسماعيل ابن إسحاق قال : دخلت يوماً على المعتضد فدفع إلى كتابا فقرأته فإذا فيه الرخص من زلل العلماء قد جمعها له بعض الناس ـ فقلت : يا أمير المؤمنين إنما جمع هذا زنديق . فقال : كيف؟ فقلت : إن من أباح المتعة لم يبح الغناء ، ومن أباح الغناء لم يبح إضافته إلى آلات اللهو ، ومن جمع زلل العلماء ثم أخذ بها ذهب دينه . فأمر بتحريق ذلك الكتاب . وروى الخطيب بسنده عن صافى الجرمى الخادم قال : انتهى المعتضد وأنا بين يديه إلى منزل شغب وابنه المقتدر جعفر جالس فيه وحوله نحو من عشرة من الوصائف ، والصبيان من أصحابه فى سنه عنده ، و بين يديه طبق من فضة فيه عنقود عنب ، وكان العنب إذ ذاك عزيزاً ، وهو يأكل عنبة واحدة ثم يفرق على أصحابه من الصبيان كل واحد عنبة ، فتركه المعتضد وجلس ناحية فى بيت مهموماً . فقلت له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ويحك والله لولا النار والعار لأقتلن هذا الغلام ، فإن فى قتله صلاحا للأمة . فقلت : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك . فقال : ويحك يا صافى هذا الغلام فى غاية السخاء لما أراه يفعل مع الصبيان ، فإن طباع الصبيان تأبى الكرم ، وهذا فى غاية الكرم ، وإن الناس من بعدى لا يولون عليهم إلا من

هو من ولدى ، فسيلى عليهم المكتفى ثم لا تطول أيامه لعلته التى به ـ وهى داء الخنازير ـ ثم يموت فيلى الناس جعفر هذا الغلام ، فيذهب جميع أموال بيت المال إلى الحظايا لشغفه بهن ، وقرب عهده من تشبيه بهن ، فتضيع أمور المسلمين وتعطل الثغور وتكثر الفتن والهرج والخوارج والشرور . قال صافى : والله لقد شاهدت ما قاله سواء بسواء .

وروى ابن الجوزى عن بعض خدم المعتضد قال : كان المعتضد يوما نائما وقت القائلة ونحن حول سريره فاستيقظ مذعوراً ثم صرح بنا فجئنا إليه فقال : ويحكم اذهبوا إلى دجلة فأول سفينة تجدوها فارغة منحدرة فأتونى بملاحها واحتفظوا بالسفينة . فذهبنا سراعا فوجدنا ملاحا فى سميرية فارغة منحدراً فأتينا به الخليفة فلما رأى الملاح الخليفة كاد أن يتلف ، فصاح به الخليفة صيحة عظيمة فكادت روح الملاح تخرج فقال له الخليفة : ويحك يا ملعون ، اصدقنى عن قصتك مع المرأة التى قتلتها اليوم وإلا ضربت عنقك قال فتلعثم ثم قال : نعم يا أمير المؤمنين كنت اليوم سحراً فى مشرعتى الفلانية ، فنزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجوهر ، فطمعت فيها واحتلت عليها فشددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها من الحلى والقماش ، وخشيت أن أرجع به إلى منزلى فيشتهر خبرها ، فأردت الذهاب به إلى واسط فلقينى هؤلاء الخدم فأخذونى . فقال : وأين حليها؟ فقال : فى صدر السفينة تحت البوارى . فأمر الخليفة عند ذلك باحضار الحلى فجىء به فاذا هو حلى كثير يساوى أموالا كثيرة ، فأمر الخليفة بتغريق الملاح فى المكان الذى غرق فيه المرأة ، وأمر أن ينادى على أهل المرأة ليحضروا حتى يتسلموا مال المرأة . فنادى بذلك ثلاثة أيام فى أسواق بغداد وأزقتها فحضروا بعد ثلاثة أيام فدفع إليهم ما كان من الحلى وغيره مما كان للمرأة ، ولم يذهب منه شىء . فقال له خدمه : يا أمير المؤمنين من أين علمت هذا ؟ قال : رأيت فى نومى تلك الساعة شيخا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى : يا أحمد يا أحمد ، خذ أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن خبر المرأة التى قتلها اليوم وسلبها ، فأقم عليه الحد . وكان ما شاهدتم .

وقال جعيف السمرقندى الحاجب : كنت مع مولاى المعتضد فى بعض متصيداته وقد انقطع عن العسكر وليس معه غيرى ، إذ خرج علينا أسد فقصد قصدنا فقال لى المعتضد : يا جعيف أفيك خير اليوم ؟ قلت : لا والله . قال : ولا أن تمسك فرسى وأنزل أنا ؟ فقلت : بلى . قال : فنزل عن فرسه وغرز أطراف ثيابه فى منطقته واستل سيفه ورمى بقرابه إلى ثم تقدم إلى الأسد فوثب الأسد عليه فضربه بالسيف فأطار يده فاشتغل الأسد بيده فضربه ثانية على هامته ففلقها ، فخر الأسد صريعا فدنا منه فمسح سيفه فى صوفه ثم أقبل إلى فأغمد سيفه فى قرابه ، ثم ركب فرسه فذهبنا إلى العسكر . قال وصحبته إلى أن مات فما سمعته ذكر ذلك لأحد ، فما أدرى من أى شىء أعجب ؟ من

شجاعته أم من عـدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لأحد ؟ أم من عدم عتبه عـلى حيث ضننت بنفسى عنه ؟ والله ما عاتبنى فى ذلك قط .

وروى ابن عساكر عن أبى الحسين النورى أنه اجتاز بزورق فيـه خمر مع ملاح ، فقال : ما هذا ؟ ولمن هذا ؟ فقال له : هذه خمر للمعتضد . فصعد أبو الحسين إليها فجعل يضرب الدنان بعمود فى يده حتى كسرها كلها إلا دنا واحداً تركه ، واستغاث الملاح فجاءت الشرطة فأخذوا أبا الحسين فأوقفوه بين يدى المعتضـد فقال له : ما أنت ؟ فقال أنا المحتسب . فقال : ومن ولاك الحسبة ؟ فقال : الذى ولاك الخلافة يا أمير المؤمنين . فأطرق رأسه ثم رفعها فقال : ما الذى حملك على ما فعلت ؟ فقال : شفقة عليك لدفع الضرر عنك . فأطرق رأسه ثم رفعه فقال : ولأى شئ تركت منها دنا واحدا لم تكسره ؟ فقال : لأنى إنما أقدمت عليها فكسرتها إجلالا لله تعالى ، فلم أبال أحداً حتى انتهيت إلى هذا الدن دخل نفسى إعجاب من قبيل أنى قد أقدمت على مثلك فتركته ؛ فقال له المعتضد : اذهب فقد أطلقت يدك فغير ما أحببت أن تغيره من المنكر . فقال له النورى : الآن انتقض عزمى عن التغيير ، فقال: ولم ؟ فقال : لأنى كنت أغير عن الله ، وأنا الآن أغير عن شرطى . فقال : سل حاجتك . فقال : أحب أن تخرجنى من بين يديك سالما . فأمر به فأخرج فصار إلى البصرة ، فأقام بها مختفيا خشية أن يشق عليه أحد فى حاجة عند المعتضد . فلما توفى المعتضد رجع إلى بغداد

وذكر القاضى أبو الحسن محمد بن عبد الواحـد الهاشمى عن شيخ من التجار قال : كان لى على بعض الأمراء مال كثير فماطلنى ومنعنى حقى ، وجعـل كلما جئت أطالبه حجبنى عنـه ويأمر غلمانه يؤذوننى ، فاشتكيت عليه إلى الوزير فلم يفد ذلك شيئاً ، وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئاً ، وما زاده ذلك إلا منعا وجحوداً ، فأيست من المال الذى عليه ودخلنى هم من جهته ، فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكى ، إذ قال لى رجل : ألا تأتى فلانا الخياط ـ إمام مسجد هناك ـ [فقلت وما عسى أن يصنع خياط مع هـذا الظالم . وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه ؟ فقال لى : هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه ، فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجاً . قال فقصدته غير محتفل فى أمره ، فذكرت له حاجتى ومالى وما لقيت من هـذا الظالم ، فقام معى فحين عاينه الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقى الذى عليه فأعطانيه كاملا من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر ، غير أنه قال له : ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت. فتغير لون الأمير ودفع إلى حقى][1] .

قال التاجر : فعجبت من ذلك الخياط مع رثاثة حاله وضعف بنيته كيف انطاع ذلك الأمير له ، ثم إنى عرضت عليه شيئاً من المال فلم يقبل منى شيئا ، وقال : لو أردت هذا لكان لى من الأموال مالا

(١) زيادة من نسخة الأستانة

يحصى . فسألته عن خبره وذكرت له تعجبي منه وألححت عليه فقال : إن سبب ذلك أنه كان عندنا في جوارنا أمير تركي من أعالي الدولة ، وهو شاب حسن، فمر به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة ، فقام إليها وهو سكران فتعلق بها يريدها على نفسها ليدخلها منزله ، وهي تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها : يامسلمين أنا امرأة ذات زوج ، وهذا رجل يريدني على نفسي ويدخلني منزله ، وقد حلف زوجي بالطلاق أن لا أبيت في غير منزله ، ومتى بت هاهنا طلقت منه ولحقني بسبب ذلك عار لاتدحضه الأيام ولا تغسله المدامع . قال الخياط : فقمت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضربني بدبوس في يده فشج رأسي ، وغلب المرأة على نفسها وأدخلها منزله قهراً ، فرجعت أنا فغسلت الدم عني وعصبت رأسي وصليت بالناس العشاء ثم قلت للجماعة : إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معي إليه لننكر عليه ونخلص المرأة منه ، فقام الناس معي فهجمنا عليه داره فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيديهم العصي والدبابيس يضربون الناس ، وقصدني هو من بينهم فضربني ضربا شديداً مبرحا حتى أدماني ، وأخرجنا من منزله ونحن في غاية الإهانة ، فرجعت إلى منزلي وأنا لا أهتدي إلى الطريق من شدة الوجع وكثرة الدماء ، فنمت على فراشي فلم يأخذني نوم ، وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده في الليل لترجع فتبيت في منزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق ، فألهمت أن أؤذن الصبح في أثناء الليل لكي يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى منزل زوجها ، فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتي قبل الأذان هل أرى المرأة قد خرجت ثم أذنت فلم تخرج ، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح ، فبينا أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا ، إذ امتلأت الطريق فرسانا ورجالة وهم يقولون : أين الذي أذن هذه الساعة ؟ فقلت : ها أنا ذا ، وأنا أريد أن يعينوني عليه ، فقالوا : انزل ، فنزلت فقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأخذوني وذهبوا بي لا أملك من نفسي شيئا ، حتى أدخلوني عليه ، فلما رأيته جالسا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعا شديداً ، فقال : ادن، فدنوت فقال لي : ليسكن روعك وليهدأ قلبك . ومازال يلاطفني حتى اطمأننت وذهب خوفي ، فقال : أنت الذي أذنت هذه الساعة ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : ماحملك على أن أذنت هذه الساعة ، وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه ؟ فتغر بذلك الصائم والمسافر والمصلي وغيرهم . فقلت : يؤمنني أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبري ؟ فقال : أنت آمن . فذكرت له القصة . قال : فغضب غضبا شديداً ، وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعته على أي حالة كانا فأحضرا سريعا فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ثقات ومعهن ثقة من جهته أيضا ، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والاحسان إليها ، فإنها مكرهة ومعذورة .ثم أقبل على ذلك الشاب

الأمير فقال له : كم لك من الرزق ؟ وكم عندك من المال ؟ وكم عندك من الجوار والزوجات ؟ فذكر له شيئاً كثيراً . فقال له : ويحك أما كفاك ما أنعم الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت حدوده وتجرأت على السلطان ، وما كفاك ذلك أيضاً حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأدميته ؟ فلم يكن له جواب. فأمر به فجعل فى رجله قيد و فى عنقه غل ثم أمر به فأدخل فى جوالق ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضربا شديداً حتى خفت ، ثم أمر به فألقى فى دجلة فكان ذلك آخر العهد به . ثم أمر بدراً صاحب الشرطة أن يحتاط على ما فى داره من الحواصل والأموال التى كان يتناولها من بيت المال ، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط : كلما رأيت منكراً صغيراً كان أو كبيراً ولو على هذا ـ وأشار إلى صاحب الشرطة ـ فأعلمنى ، فان اتفق اجتماعك بى و إلا فعلى ما بينى و بينك الأذان ، فأذن فى أى وقت كان أو فى مثل وقتك هذا . قال : فلهذا لا آمر أحداً من هؤلاء الدولة بشئ إلا امتثلوه، ولا أنهاهم عن شئ إلا تركوه خوفا من المعتضد. وما احتجت أن أؤذن فى مثل تلك الساعة إلى الآن .

وذكر الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب قال : كنت يوماً عند المعتضد وخادم واقف على رأسه يذب عنه بمذبة فى يده إذ حركها فجاءت فى قلنسوة الخليفة فسقطت عن رأسه ،فأعظمت أنا ذلك جداً وخفت من هول ما وقع، ولم يكترث الخليفة لذلك ، بل أخذ قلنسوته فوضعها على رأسه ثم قال لبعض الخدم : مر هذا البائس ليذهب لراحته فانه قد نعس ، وزيدوا فى عدة من يذب بالنوبة .قال الوزير : فأخذنا فى الثناء على الخليفة والشكر له على حلمه، فقال : إن هذا البائس لم يتعمد ما وقع منه و إنما نعس ،وليس العتاب والمعاتبة إلا على المتعمد لا على المخطئ والساهى. وقال جعيف السمرقندى الحاجب : لما جاء الخبر إلى المعتضد بموت وزيره عبيد الله بن سليمان خر ساجداً طويلا ، فقيل له : يا أمير المؤمنين :لقد كان عبيد الله يخدمك و ينصح لك .فقال : إنما سجدت شكرا لله أنى لم أعزله ولم أوذه . وقد كان ابن سليمان حازم الرأى قويا ، وأراد أن يولى مكانه أحمد بن محمد بن الفرات فعدل به بدر صاحب الشرطة عنه وأشار عليه بالقاسم بن عبيد الله فسفه رأيه فألح عليه فولاه و بعث إليه يعزيه فى أبيه و يهنيه بالوزارة ، فما لبث القاسم بن عبيد الله حتى ولى المكتفى الخلافة من بعد أبيه المعتضد وحتى قتل بدراً . وكان المعتضد ينظر إلى ما بينهما من العداوة من وراء ستر رقيق ، وهذه فراسة عظيمة وتوسم قوى . و رفع يوماً إلى المعتضد قوما يجتمعون على المعصية فاستشار وزيره فى أمرهم فقال: ينبغى أن يصلب بعضهم ويحرق بعضهم . فقال : ويحك لقد بردت لهب غضبى عليهم بقسوتك ، أما علمت أن الرعية وديعة الله عند سلطانها ، وأنه سائله عنها ؟ ولم يقابلهم بما قال الوزير . ولهذه النية لما ولى الخلافة كان بيت المال صفراً من المال وكانت الأحوال فاسدة ، والعرب تعيث فى الأرض

فساداً فى كل جهة ، فلم يزل برأيه وتسديده حتى كثرت الأموال وصلحت الأحوال فى سائر الأقاليم والآفاق . ومن شعره فى جارية له توفيت فوجد عليها :

يا حبيبا لم يكن يعـ * ـدله عندى حبيب
أنت عن عينى بعيد * ومن القلب قريب
ليس لى بعدك فى شى * ءمن اللهو نصيب
لك من قلبى على قلبى * وإن غبت رقيب
وحياتى منك مذغبـ * ـت حياة لا تطيب
لو ترانى كيف لى بعـ * ـدك عول ونحيب
وفؤادى حشوه من * حرق الحزن لهيب
ما أرى نفسى وإن طيـ * ـبتها عنك تطيب
ليس دمع لى يعصيـ * ـنى وصبرى ما يجيب

وقال فيها :

لم أبك للدار ولكن لمن * قد كان فيها مرة ساكنا
فخاننى الدهر بفقدانه * وكنت من قبل له آمنا
ودعت صبرى عنه توديعه * وبان قلبى معه ظاعنا

وكتب إليه ابن المعتز يعزيه ويسليه عن مصيبته فيها :

يا إمام الهدى حياتك طالت[1] * وعشت أنت سليما
أنت علمتنا على النعم الشكـ * ـر وعند المصائب التسليما
فتسلى عن ما مضى وكأن التى * كانت سرورا صارت ثوابا عظيما
قد رضينا بأن نموت وتحيى * إن عندى َ فى ذاك حظا جسيما
من يمت طائعا لمولاه فقد * أعطى فوزا ومات موتا كريما[2]

وقد رثى أبو العباس عبد الله بن المعتز العباسى بن عمر المعتضد بمرثاة حسنة يقول فيها :

يا دهر ويحك ما أبقيت لى أحدا * وأنت والد سوء تأكل الولدا
أستغفر الله بل ذا كله قدر * رضيت بالله ربا واحدا صمدا
يا ساكن القبر فى غبراء مظلمة * بالظاهرية مقصى الدار منفردا
أين الجيوش التى قد كنت تشحنها * أين الكنوز التى لم تحصها عددا

(١) فى المصرية : يا إمام الهدى بنا لا بك الغم الخ .
(٢) كذا بالأصول ولم نجد هذه القصيدة فى ديوان المذكور .

أين السرير الذى قدكنت تملؤه * مهابة من رأته عينه ارتعدا
أين القصور التى شيدتها فملت * ولاح فيها سنا الابريز فاتقدا
قد أتعبوا كل مرقال مذكرة * وجناء تنثر من أشداقها الزبدا
أين الأعادى الألى ذللت صعبهم * أين الليوث التى صيرتها نقدا
أين الوفود على الأبواب عاكفة * ورد القطا صفرً ما جال واطردا
أين الرجال قياماً فى مراتبهم * من راح منهم ولم يطمر فقد سعدا
أين الجياد التى حجلتها بدم * وكن يحملن منك الضيغم الأسدا
أين الرماح التى غذيتها مهجاً * مذ مت ما وردت قلباً ولا كبدا
أين السيوف وأين النبل مرسلة * يصبن من شئت من قرب وإن بعدا
أين المجانيق أمثال السيول إذا * رمين حائط حصن قائم قعدا
أين الفعال التى قد كنت تبدعها * ولا ترى أن عفواً نافعا أبدا
أين الجنان التى تجرى جداولها * ويستجيب إليها الطائر الغردا
أين الوصائف كالغزلان رائحة * يسحبن من حلل موشية جددا
أين الملاهى وأين الراح تحسبها * ياقوتة كسيت من فضة زردا
أين الوثوب إلى الاعداء مبتغيا * صلاح ملك بنى العباس إذ فسدا
مازلت تقسر منهم كل قسورة * وتحطم العاتىَ الجبّار معتمدا
ثم انقضيت فلا عين ولا أثر * حتى كأنك يوماً لم تكن أحداً
لا شئ يبقى سوى خير تقدمه * مادام ملك لأنسان ولا خلدا

ذكرها ابن عساكر فى تاريخه . واجتمع ليلة عند المعتضد ندماؤه فلما انقضى السمر وصار إلى حظاياه ونام القوم السمار نبههم من نومهم خادم وقال : يقول لكم أمير المؤمنين إنه أصابه أرق بعدكم ، وقد عمل بيتا أعياه ثانيه فمن عمل ثانيه فله جائزة وهو هذا البيت :

ولما انتبهنا للخيال الذى سرى * إذا الدار قفر والمزار بعيد

قال فجلس القوم من فرشهم يفكرون فى ثانيه فبدر واحد منهم فقال :

فقلت لعينى عاودى النوم واهجعى * لعل خيالا طارقا سيعود

قال فلما رجع الخادم به إلى المعتضد وقع منه موقعاً جيداً وأمر له بجائزة سنية ، واستعظم المعتضد يوما من بعض الشعراء قول الحسن بن منير المازنى البصرى :

لهفى على من أطار النوم فامتنعا * وزاد قلبى على أوجاعه وجعا

كأنما الشمس من أعطافه طلعت * حسنا أو البدر من أردانه لمعا

فى وجهه شافع يمحو إساءته * من القلوب وجيها أين ما شفعا

ولما كان فى ربيع الأول من هذه السنة اشتد وجع المعتضد فاجتمع رؤس الأمراء مثل يونس الخادم وغيره إلى الوزير القاسم بن عبيد الله فأشاروا بأن يجتمع الناس لتجديد البيعة للمكتفى بالله على بن المعتضد بالله ، ففعل ذلك وتأكدت البيعة وكان فى ذلك خير كثير . وحين حضرت المعتضد الوفاة أنشد لنفسه :

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخذ صفوها ما إن صفت ودع الرنقا

ولا تأمنن الدهر إنى ائتمنته * فلم يبق لى حالا ولم يرع لى حقا

قتلت صناديد الرجال فلم أدع * عدواً ولم أمهل على خلق خلقا

وأخليت دار الملك من كل نازع * فشردتهم غربا ومزقتهم شرقا

فلما بلغت النجم عزاً ورفعة * وصارت رقاب الخلق لى أجمع رقا

رمانى الردى سهما فأخمد جمرتى * فها أنا ذا فى حفرتى عاجلا ألقى

ولم يغن عنى ما جمعت ولم أجد * لدى ملك إلا حبانى حبها رفقا

وأفسدت دنياى ودينى سفاهة * فمن ذا الذى مثلى بمصرعه أشقا

فياليت شعرى بعدموتى هل أصر * إلى رحمة الله أم فى ناره ألقى

وكانت وفاته ليلة الاثنين لثمان بقين من ربيع الأول من هذه السنة . ولم يبلغ الخمسين. وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما . وخلف من الأولاد الذكور : عليا المكتفى ، وجعفر المقتدر ، وهارون . ومن البنات إحدى عشرة بنتا . ويقال سبع عشرة بنتا . وترك فى بيت المال سبعة عشر ألف ألف دينار . وكان يمسك عن صرف الأموال فى غير وجهها ، فلهذا كان بعض الناس يبخّله ، ومن الناس من يجعله من الخلفاء الراشدين المذكورين فى الحديث ، حديث جابر بن سمرة فالله أعلم .

﴿ خلافة المكتفى بالله أبى محمد ﴾

على بن المعتضد بالله أمير المؤمنين ، بويع له بالخلافة عند موت أبيه فى ربيع الأول من هذه السنة ، وليس فى الخلفاء من اسمه على سوى هذا وعلى بن أبى طالب . وليس فيهم من يكنى بأبى محمد إلا هو والحسن بن على بن أبى طالب والهادى ، والمستضئ بالله. وحين ولى المكتفى كثرت الفتن وانتشرت فى البلاد . وفى رجب منها زلزلت الأرض زلزلة عظيمة جداً ، وفى رمضان منها تساقط وقت السحر من السماء نجوم كثيرة ولم يزل الأمر كذلك حتى طلعت الشمس . ولما أفضت الخلافة إليه كان بالرقة ، فكتب إليه الوزير وأعيان الأمراء فركب فدخل بغداد فى يوم مشهود ، وذلك يوم

الاثنين لثمان خلون . جمادى منها . وفى هذا اليوم أمر بقتل عمرو بن الليث الصفار - وكان معتقلا فى سجن أبيه - وأمر بتخريب المطامير التى كان اتخذها أبوه للمسجونين وأمر ببناء جامع مكانها وخلع فى هذا اليوم على الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان ست خلع وقلده سيفا ، وكان عمره يوم ولى الخلافة خمسا وعشرين سنة و بعض أشهر .

/ وفيها انتشرت القرامطة فى الآفاق وقطعوا الطريق على الحجيج ، وتسمى بعضهم بأمير المؤمنين. فبعث المكتفى إليهم جيشا كثيراً وأنفق فيهم أموالا جزيلة ، فأطفأ الله بعض شرهم . وفيها خرج محمد ابن هارون عن طاعة إسماعيل بن أحمد الساماني ، وكاتب أهل الرى بعدقتله محمد بن زيد الطالبى ، فصار إليهم فسلموا البلد إليه فاستحوذ عليها ، فقصده إسماعيل بن أحمد الساماني بالجيوش فقهره وأخرجه منها مذموما مدحوراً . قال ابن الجوزى فى المنتظم : وفى يوم التاسع من ذى الحجة منها صلى الناس العصر فى زمن الصيف وعليهم ثياب الصيف ، فهبت ريح باردة جداً حتى احتاج الناس إلى الاصطلاء بالنار ، ولبسوا الفرا والمحشوات وجمد الماء كفصل الشتاء . قال ابن الأثير : ووقع بمدينة حمص مثل ذلك ، وهب ريح عاصف بالبصرة فاقتلعت شيئاً كثيراً من نخيلها ، وخسف بموضع فيها فمات تحته سبعة آلاف نسمة . قال ابن الجوزى . وابن الأثير : وزلزلت بغداد فى رجب منها مرات متعددة ثم سكنت . وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك .

وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أحد الصوفية الكبار . قال ابن الأثير : وهو من أقران السرى السقطى . قال : لأن ترد إلى الله ذرة من همك خير لك مما طلعت عليه الشمس . أحمد بن محمد المعتضد بالله غلب عليه سوء المزاج والجفاف من كثرة الجماع ، وكان الأطباء يصفون له ما يرطب بدنه به فيستعمل ضد ذلك حتى سقطت قوته .

﴿ بدر غلام المعتضد رأس الجيش ﴾

كان القاسم الوزير قد عزم على أن يصرف الخلافة عن أولاد المعتضد وفاوض بذلك بدراً هذا فامتنع عليه وأبى ، فلما ولى المكتفى بن المعتضد خاف الوزير غائلة ذلك فحسّن الوزير للمكتفى قتل بدر هذا ، فبعث المكتفى فاحتاط على حواصله وأمواله وهو بواسط ، و بعث الوزير إليه بالأمان ، فلما قدم بدر بعث إليه من قتله يوم الجمعة لست خلون من رمضان من هذه السنة ، ثم قطع رأسه و بقيت جثته أخذها أهله فبعثوا بها إلى مكة فى تابوت فدفن بها ، لأنه أوصى بذلك وكان قد أعتق كل مملوك له قبل وفاته . وحين أرادوا قتله صلى ركعتين رحمه الله .

الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن الفهم بن محرز ابن إبراهيم الحافظ البغدادى ، سمع خلف ابن هشام ويحيى بن معين ومحمد بن سعد وغيرهم ، وعنه الختلى والطومارى ، وكان عسرا فى

التحديث إلا لمن لازمه ، وكانت له معرفة جيـدة بالأخبار والنسب والشعر وأسماء الرجال ، يميل إلى مـذهب العراقيين فى الفقه ، قال عنـه الدارقطنى : ليس بالقوى . عمارة ابن وثيمة بن موسى أبو رفاعة الفارسى صاحب التاريخ على السنن ، ولد بمصر وحدث عن أبى صالح كاتب الليث وغـيره . هارون بن الليث الصفار أحد الأمراء الكبار ، قتل فى السجن أول ما قدم المكتفى بغداد .

﴿ سنة تسعين ومائتين ﴾

فيها أقبـل يحيى بن زكرويه بن مهرويه أبو قاسم القرمطى المعروف بالشيخ فى جحافـله فعاث بناحية الرقه فساداً فجهز إليه الخليفـة جيشا نحو عشرة آلاف فارس . وفيها ركب الخليفة من بغداد إلى سامرا يريد الاقامة بها فثنى رأيه عن ذلك الوزير فرجع إلى بغداد . وفيها قتل يحيى بن زكرويه على باب دمشق زرقه رجل من المغاربة بمزراق نار فقتله ، ففرح الناس بقتـله ، وتمكن منه المزراق فأحرقه ، وكان هذا المغربى من جملة جيش المصريين ، فقام بأمر القرامطة من بعـده أخوه الحسين وتسمى بأحمد وتكنى بأبى العباس وتلقب بأمير المؤمنين ، وأطاعه القرامطة ، فحاصر دمشق فصالحه أهلها على مال ، ثم سار إلى حمص فافتتحها وخطب له على منابرها ، ثم سار إلى حماه ومعرة النعمان فقهر أهل تلك النواحى واستباح أموالهم وحريمهم ، وكان يقتل الدواب والصبيان فى المكاتب ، ويبيح لمن معه وطء النساء ، فربما وطئ الواحدة الجماعة الكثيرة من الرجال ، فاذا ولدت ولداً هنأ به كل واحد منهم الآخر ، فكتب أهل الشام إلى الخليفة ما يلقون من هذا اللعين ، فجهز إليهم جيوشاً كثيفة ، وأنفق فيهم أموالا جزيلة وركب فى رمضان فنزل الرقة وبث الجيوش فى كل جانب لقتال القرامطة وكان القرمطى هذا يكتب إلى أصحابه : «من عبدالله المهدى أحمد بن عبد الله المهدى المنصور الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله ، الداعى إلى كتاب الله ، الذاب عن حريم الله ، المختار من ولد رسول الله » وكان يدعى أنه من سلالة علـى بن أبى طالب من فاطمة ، وهو كاذب أفاك أثيم قبحه الله ، فانه كان من أشـد الناس عـداوة لقريش ، ثم لبنى هاشم ، دخـل سلمية فلم يدع بها أحداً من بنى هاشم حتى قتلهم وقتل أولادهم واستباح حريمهم .

وفيها تولى ثغر طرسوس أبو عامر أحـمـد بن نصر عوضاً عن مظفر بن جناح لشكوى أهل الثغر منه . وحج بالناس الفضل بن محمد العباسى . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل ﴾

أبو عبـد الرحمن الشيبانى . كان إماماً ثقة حافظاً ثبتاً مكثراً عن أبيـه وغيره . قال ابن المنادى : لم يكن أحـد أروى عن أبيه منه . روى عنه المسـند ثلاثين ألفاً ، والتفسير مائة ألف حـديث وعشرون ألفا ، من ذلك سماع ومن ذلك إجازة ، ومن ذلك الناسخ والمنسوخ ، والمقـدم

والمؤخر ، فى كتاب الله والتاريخ ، وحديث سبعة وكرامات القراء ، والمناسك الكبير ، والصغير . وغير ذلك من التصانيف ، وحديث الشيوخ . قال : وما زلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون له بمعرفة الرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى والمواظبة على طلب الحديث فى العراق وغيرها ، ويذكرون عن أسلافهم الاقرار له بذلك ، حتى أن بعضهم أسرف فى تقريظه له بالمعرفة وزيادة السماع للحديث عن أبيه . ولما مرض قيل له أين تدفن ؟ فقال : صح عندى أن بالقطعية نبياً مدفونا ، ولأن أكون بجوار نبى أحب إلى من أن أكون فى جوار أبى . مات فى جمادى الآخرة منها عن سبع وسبعين سنة ، كما مات لها أبوه ، واجتمع فى جنازته خلق كثير من الناس ، وصلى عليه زهير ابن أخيه ، ودفن فى مقابر باب التبن رحمه الله تعالى .

عبد الله بن أحمد بن سعيد أبو بحر الرباطى المروزى ، صحب أبا تراب النخشبي ، وكان الجنيد يمدحه ويثنى عليه . عمر بن إبراهيم أبو بكر الحافظ المعروف بأبى الأذان ، كان ثقة ثبتاً . محمد بن الحسين بن الفرج أبو ميسرة الهمدانى ، صاحب المسند ، كان أحد الثقات المشهورين والمصنفين .

﴿ محمد بن عبد الله أبو بكر الدقاق ﴾

أحد أئمة الصوفية وعبّادهم ، روى عن الجنيد أنه قال : رأيت إبليس فى المنام وكأنه عريان فقلت : ألا تستحى من الناس ؟ فقال : ـ وهولا يظنهم ناساً ـ لو كانوا ناساً ما كنت ألعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة ، إنما الناس جماعة غير هؤلاء . فقلت : أين هم ؟ فقال : فى مسجد الشونيزى قد أضنوا قلبى وأتعبوا جسدى ، كلما هممت بهم أشاروا إلى الله عز وجل فأكاد أحترق . قال : فلما انتبهت لبست ثيابى ورحت إلى المسجد الذى ذكر فاذا فيه ثلاثة جلوس ورؤسهم فى مرقعاتهم ، فرفع أحدهم رأسه إلى وقال : يا أبا القاسم لا تغتر بحديث الخبيث ، وأنت كلما قيل لك شئ تقبل ؟ فاذا هم أبو بكر الدقاق وأبو الحسين النورى وأبو حمزة محمد بن على بن علوية بن عبد الله الجرجانى الفقيه الشافعى تلميذ المزنى . ذكره ابن الأثير .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين ﴾

فيها جرت وقعة عظيمة بين القرامطة وجند الخليفة فهزموا القرامطة وأسروا رئيسهم الحسن بن زكرويه ، ذا الشامة ، فلما أسر حمل إلى الخليفة فى جماعة كثيرة من أصحابه من رؤسهم ، وأدخل بغداد على فيل مشهور ، وأمر الخليفة بعمل دكة مرتفعة فأجلس عليها وجئ بأصحابه فجعل يضرب أعناقهم بين يديه وهو ينظر ، وقد جعل فى فمه خشبة معترضة مشدودة إلى قفاه ، ثم أنزل فضرب مائتى سوط ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكوى ، ثم أحرق وحمل رأسه على خشبة وطيف به فى أرجاء بغداد ، وذلك فى ربيع الأول منها .

وفيها قصدت الأتراك بلاد ماوراء النهر فى جحافل عظيمة ، فبيتهم المسلمون فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا منهم مالا يحصون (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لما ينالوا خيراً) . وفيها بعث ملك الروم عشرة صلبان مع كل صليب عشرة آلاف ، فغاروا على أطراف البلاد وقتلوا خلقا وسبوا نساء وذرية . وفيها دخل نائب طرسوس بلاد الروم ففتح مدينة انطاكية ـ وهى مدينة عظيمة على ساحل البحر تعادل عندهم القسطنطينية ـ وخلص من أسارى المسلمين خمسة آلاف أسير ، وأخذ للروم ستين مركباً وغنم شيئاً كثيراً ، فبلغ نصيب كل واحد من الغزاة ألف دينار . وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك الهاشمى . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ﴾

أبو العباس الشيبانى مولاهم ، الملقب بثعلب إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، مولده فى سنة مائتين ، سمع محمد بن زياد الأعرابى والزبير بن بكار والقواريرى وغيرهم ، وعنه ابن الأنبارى وابن عرفة وأبو عمرو الزاهد ، وكان ثقة حجة ديناً صالحاً مشهوراً بالصدق والحفظ ، وذكر أنه سمع من القواريرى مائة ألف حديث . توفى يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى منها ، عن إحدى وتسعين سنة . قال ابن خلكان : وكان سبب موته أنه خرج من الجامع وفى يده كتاب ينظر فيه وكان قد أصابه صمم شديد فصدمته فرس فألقته فى هوة فاضطرب دماغه فمات فى اليوم الثانى رحمه الله . وهو مصنف كتاب الفصيح ، وهو صغير الحجم كثير الفائدة ، وله كتاب المصون ، واختلاف النحويين ومعانى القرآن وكتاب القراءات ومعانى الشعر وما يلحن فيه العامة وغير ذلك . وقد نسب إليه من الشعر قوله .

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها * فكم تلبث النفس التى أنت قوتها
سيبقى بقاء النبت فى الماء اوكما * أقام لدى ديمومة الماء صوتها
أغرك أنى قد تصبرت جاهداً * وفى النفس منى منك ماسيميتها
فلو كان ما بى بالصخور لهدها * وبالريح ما هبت وطال حفوفها
فصبراً لعل الله يجمع بيننا * فأشكو هموماً منك فيك لقيتها

وفيها توفى القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير ، تولى بعد أبيه الوزارة فى آخر أيام المعتضد ، ثم تولى لولده المكتفى ، فلما كان رمضان من هذه السنة مرض فبعث إلى السجون فأطلق من فيها من المطلبيين ، ثم توفى فى ذى القعدة منها ، وقد قارب ثلاثا وثلاثين سنة ، وقد كان حظياً عند الخليفة ، وخلف من الأموال ما يعدل سبعمائة ألف دينار .

ومحمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد أبو عبد الله البصرى القاضى بواسط ، المعروف بالجبروعى ،

حدث عن مسدد وعن على بن المدينى وابن نمير وغيرهم ، وكان من الثقات والقضاة الأجواد المدول الأمناء . ومحمد بن إبراهيم البوشنجى . ومحمد بن على الصايغ . وقنبل أحـد مشاهير القراء . وأئمة العلماء .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائتين ﴾

[فيها دخل محمد بن سليمان فى نحو عشرة آلاف مقاتل من جهة الخليفة المكتفى إلى الديار المصرية لقتال هارون بن خمارويه ، فبرز إليـه هارون فاقتتلا فقهره محمد بن سليمان وجمع آل طولون وكانوا سبعة عشر رجلا فقتلهم واستحوذ على أموالهم وأملاكهم ؛ وانقضت دولة الطولونية على الديار المصرية وكتب بالفتح إلى المكتفى . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمى القائم بأمر الحجاج فى السنين المتقدمة . وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكجى ﴾

أحـد المشايخ المعمرين ، كان يحضر مجلسـه خمسون ألفاً ممن معـه محبرة ، سوى النظارة ، ويستملى عليه سبعة مستملين كلٌ يبلغ صاحبه ، ويكتب بعض الناس وهم قيام . وكان كلما حدث بعشرة آلاف حديث تصدق بصـدقة . ولما فرغ من قراءة السنن عليه عمل مأدبة غرم عليها ألف دينار ، وقال : شهدت اليوم عـلى رسول الله ﷺ فقبلت شهادتى وحـدى ، أفلا أعمل شكراً لله عز وجل ؟ . وروى ابن الجوزى والخطيب عن أبى مسلم الكجى قال : خرجت ذات ليلة من المنزل فمررت بحمام وعلى جنابة فدخلته فقلت للحمامى : أدخل حمامك أحـد بعد ؟ فقال : لا ، فدخلت فلما فتحت باب الحمام الداخل إذا قائل يقول : أبا مسلم أسلم تسلم . ثم أنشأ يقول :

لك الحمد إما على نعمة * وإما على نقمة تدفع
تشاء فتفعل ما شئته * وتسمع من حيث لا يسمع

قال : فبادرت فخرجت فقلت للحمامى : أنت زعمت أنه لم يدخل حمامك أحد . فقال : نعم ! وما ذاك ؟ فقلت : إنى سمعت قائلا يقول كذا وكذا . قال : وسمعته ؟ قلت : نعم . فقال : يا سيدى هذا رجل من الجان يتبدى لنا فى بعض الأحيان فينشد الأشعار ويتكلم بكلام حسن فيه مواعظ . فقلت : هل حفظت من شعره شيئاً ؟ فقال : نعم . ثم أنشدنى من شعره فقال هذه الأبيات :

أيها المذنب المفرط مهلا * كم تمادى تكسب الذنب جهلا
كم وكم تسخط الجليل بفعل * سمج وهو يحسن الصنع فعلا
كيف تهدا جفون من ليس يدرى * أرضى عنه من على العرش أم لا

عبـد الحميد بن عبـد العزيز أبو حاتم القاضى الحنفى ، كان من خيار القضاة وأعيان الفقهاء ومن أئمة العلماء ، ورعا نزها كثير الصيانة والديانة والأمانة . وقـد ذكر له ابن الجوزى فى المنتظم

آثاراً حسنة وأفعالا جميلة ، رحمه الله .] (١)

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين ﴾

فيها التف على أخى الحسين القرمطى المعروف بذى الشامة الذى قتل فى التى قبلها خلائق من القرامطة بطريق الفرات ، فعاث بهم فى الأرض فساداً ، ثم قصد طبرية فامتنعوا منه فدخلها قهراً فقتل بها خلقاً كثيراً من الرجال ، وأخذ شيئاً كثيراً من الأموال ، ثم كر راجعا إلى البادية ، ودخلت فرقة أخرى منهم إلى هيت فقتلوا أهلها إلا القليل ، وأخذوا منها أموالا جزيلة حملوها على ثلاثة آلاف بعير ، فبعث إليهم المكتفى جيشا فقاتلوهم وأخذوا رئيسهم فضربت عنقه . ونبغ رجل من القرامطة يقال له الداعية باليمن ، فحاصر صنعاء فدخلها قهراً وقتل خلقا من أهلها ، ثم سار إلى بقية مدن اليمن فأكثر الفساد وقتل خلقا من العباد ، ثم قاتله أهل صنعاء فظفروا به وهزموه ، فأغار على بعض مدنها ، وبعث الخليفة إليها مظفر بن حجاج نائبا ، فسار إليها فلم يزل بها حتى مات . وفى يوم عيد الأضحى دخلت طائفة من القرامطة إلى الكوفة فنادوا : يالثارات الحسين - يعنون المصلوب فى التى قبلها ببغداد - وشعارهم : يا أحمد يا محمد - يعنون الذين قتلوا معه - فبادر الناس الدخول من المصلى إلى الكوفة فدخلوا خلفهم فرمتهم العامة بالحجارة فقتلوا منهم نحو العشرين رجلا ، ورجع الباقون خاسئين . وفيها ظهر رجل بمصر يقال له الخليجى نخلع الطاعة واجتمع إليه طائفة من الجند فأمر الخليفة أحمد بن كنغلغ نائب دمشق وأعمالها فركب إليه فاقتتلا بظاهر مصر فهزمه الخليجى هزيمة منكرة ، فبعث إليه الخليفة جيشاً آخر فهزموا الخليجى وأخذوه فسلم إلى الأمير الخليفة وانطفأ خبره واشتغل الجيش بأمر الديار المصرية ، فبعث القرامطة جيشاً إلى بصرى صحبة رجل يقال له عبد الله بن سعيد كان يعلم الصبيان ، فقصد بصرى وأذرعات والبثنية فحاربه أهلها ثم أمنهم فلما أن تمكن منهم قتل المقاتلة وسبى الذرية ، ورام الدخول إلى دمشق فحاربه نائب دمشق أحمد بن كنغلغ ، وهو صالح بن الفضل ، فهزمه القرمطى وقتل صالح فيمن قتل وحاصر دمشق فلم يمكنه فتحها ، فانصرف إلى طبرية فقتلوا أكثر أهلها ونهبوا منها شيئاً كثيراً كما ذكرنا ، ثم ساروا إلى هيت ففعلوا بها ذلك كما تقدم ، ثم ساروا إلى الكوفة فى يوم عيد الأضحى كما ذكرنا . كل ذلك بإشارة زكرويه بن مهرويه وهو مختف فى بلده بين ظهرانى قوم من القرامطة ، فإذا جاءه الطلب نزل بئراً قد اتخذها ليختفى فيها وعلى بابه تنور فتقوم امرأة فتسجره وتخبز فيه فلا يشعر به أصلا ، ولا يدرى أحد أين هو ، فبعث الخليفة إليه جيشاً فقاتلهم زكرويه بنفسه ومن أطاعه فهزم جيش الخليفة وغنم من أموالهم شيئا كثيراً جدا فتقوى به واشتد أمره ، فندب الخليفة إليه جيشا آخر كثيفا فكان من أمره

(١) زيادة من المصرية .

وأمرهم ما سنذكره . وفيها خرب إسماعيل بن أحمد الساماني نائب خراسان وما وراء النهر طائفة كبيرة من بلاد الأتراك . وفيها أغارت الروم على بعض أعمال حلب فقتلوا ونهبوا وسبوا . وفيها حج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمي . وفيها توفي من الأعيان

﴿ أبو العباس الناشي الشاعر ﴾

واسمه عبد الله بن محمد أبو العباس المنزلي ، أصله من الأنبار وأقام ببغداد مدة ، ثم انتقل إلى مصر فمات بها ، وكان جيد الذهن يعاكس الشعراء ويرد على المنطقيين والعروضيين ، وكان شاعراً مطيقا إلا أنه كان فيه هوس وله قصيدة حسنة في نسب رسول الله ﷺ قد ذكرناها في السيرة . قال ابن خلكان : كان عالما في عدة علوم من جملتها علم المنطق ، وله قصيدة في فنون من العلم على روى واحد تبلغ أربعة آلاف بيت ، وله عدة تصانيف وأشعار كثيرة .

عبيد بن محمد بن خلف أبو محمد البزار أحد الفقهاء من أصحاب أبي ثور ، وكان عنده فقه أبي ثور ، وكان من الثقات النبلاء . نصر بن أحمد بن عبد العزيز أبو محمد الكندي الحافظ المعروف بنصرك ، كان أحد حفاظ الحديث المشهورين ، وكان الأمير خالد بن أحمد الذهلي نائب بخارى قد ضمه إليه وصنف له المسند . توفي ببخارى في هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين ﴾

في المحرم من هذه السنة اعترض زكرويه في أصحابه إلى الحجاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة فقتلهم عن آخرهم وأخذ أموالهم وسبى نساءهم فكان قيمة ما أخذه منهم ألفي ألف دينار ، وعدة من قتل عشرين ألف إنسان ، وكانت نساء القرامطة يطفن بين القتلى من الحجاج وفي أيديهم الآنية من الماء يزعمن أنهن يسقين الجريح العطشان ، فمن كلمهن من الجرحى قتلنه وأجهزن عليه ، لعنهن الله ولعن أزواجهن .

﴿ ذكر مقتل زكرويه لعنه الله ﴾

لما بلغ الخليفة خبر الحجيج وما أوقع بهم الخبيث جهز إليه جيشا كثيفا فالتقوا معه فاقتتلوا قتالا شديدا جداً ، قتل من القرامطة خلق كثير ولم يبق منهم إلا القليل ، وذلك في أول ربيع الأول منها . وضرب رجل زكرويه بالسيف في رأسه فوصلت الضربة إلى دماغه ، وأخذ أسيراً فمات بعد خمسة أيام ، فشقوا بطنه وصبروه وحملوه في جماعة من رؤس أصحابه إلى بغداد ، واحتوى عسكر الخليفة على ما كان بأيدي القرامطة من الأموال والحواصل ، وأمر الخليفة بقتل أصحاب القرمطي ، وأن يطاف برأسه في سائر بلاد خراسان ، لئلا يمتنع الناس عن الحج . وأطلق من كان بأيدي القرامطة من النساء والصبيان الذين أسروهم .

وفيها غزا أحمد بن كنغلغ نائب دمشق بلاد الروم من ناحية طرسوس فقتل منهم نحواً من أربعة

آلاف وأسر من ذراريهم نحواً من خمسين ألفا ، وأسلم بعض البطارقة وصحبته نحو من مائتى أسير كانوا فى حبسه من المسلمين ، فأرسل ملك الروم جيشا فى طلب ذلك البطريق ، فركب فى جماعة من المسلمين فكبس جيش الروم فقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم منهم غنيمة كثيرة جدا ، ولما قدم على الخليفة أكرمه وأحسن إليه وأعطاه ما تمناه عليه . وفيها ظهر بالشام رجل فادعى أنه السفيانى فأخذ و بعث به إلى بغداد فادعى أنه موسوس فترك . وحج بالناس الفضل بن عبد الملك الهاشمى .

وفيها توفى من الأعيان الحسين بن محمد بن حاتم بن يزيد بن على بن مروان أبو على المعروف بعبيد العجلى ، كان حافظاً مكثرا متقنا مقدما فى حفظ المسندات ، توفى فى صفر منها .

صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب أبو على الأسدى ـ أسد خزيمة ـ المعروف بجرزة لأنه قرأ على بعض المشايخ كانت له خرزة يرقأ بها المريض فقرأها هو حرزة تصحيفا منه فغلب عليه ذلك فلقب به ، وقد كان حافظا مكثراً جوالا رحالا ، طاف الشام ومصر وخراسان ، وسكن بغداد ثم انتقل منها إلى بخارى فسكنها ، وكان ثقة صدوقا أمينا ، وله رواية كثيرة عن يحيى بن معين ، وسؤالات كثيرة كان مولده بالرقة سنة عشر ومائتين .

وتوفى فى هذه السنة محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس المعروف بالبياضى لأنه حضر مجلس الخليفة وعليه ثياب البياض ، فقال الخليفة : من ذاك البياضى ؟ فعرف به . وكان ثقة ، روى عن ابن الأنبارى وابن مقسم . قتلته القرامطة فى هذه السنة .

محمد بن الامام إسحاق بن راهويه ، سمع أباه وأحمد بن حنبل وغيرهما ، وكان عالما بالفقه والحديث ، جميل الطريقة حميد السيرة قتلته القرامطة فى هذه السنة فى جملة من قتلوا من الحجيج .

﴿ محمد بن نصر أبو عبد الله المروزى أحد أئمة الفقهاء ﴾

ولد ببغداد ونشأ بنيسابور واستوطن سمرقند ، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الاسلام ، وكان عالما بالأحكام ، وقد رحل إلى الآفاق وسمع من المشايخ الكثير النافع وصنف الكتب المفيدة الحافلة النافعة ، وكان من أحسن الناس صلاة وأكثرهم خشوعا فيها ، وقد صنف كتابا عظيما فى الصلاة . وقد روى الخطيب عنه أنه قال : خرجت من مصر قاصداً مكة فركبت البحر ومعى جارية فغرقت السفينة فذهب لى فى الماء ألفا جزء وسلمت أنا والجارية فلجأنا إلى جزيرة فطلبنا بها ماء فلم نجد ، فوضعت رأسى على فخذ الجارية ويئست من الحياة ، فبينا أنا كذلك إذا رجل قد أقبل وفى يده كوز فقال : هاه ، فأخذته فشربت منه وسقيت الجارية ثم ذهب فلم أدر من أين أقبل ولا إلى أين ذهب . ثم إن الله سبحانه أغاثنا فنجانا من ذلك الغم . وقد كان من أكرم الناس وأسخاهم نفسا . وكان إسماعيل بن أحمد يصله فى كل سنة بأربعة آلاف ، ويصله أخوه إسحاق بن

أحمد بأربعة آلاف ، ويصله أهل سمرقند بأربعة آلاف فينفق ذلك كله ، فقيل له : لو ادخرت شيئاً لنائبة ، فقال : سبحان الله أنا كنت بمصر أنفق فيها فى كل سنة عشرين درهما فرأيت إذا لم يحصل لى شئ من هذا المال لا يتهيأ لى فى السنة عشرون درهماً . وكان محمد بن نصر المروزى إذا دخل على إسماعيل بن أحمد السامانى ينهض له ويكرمه ، فعاتبه يوماً أخوه إسحاق ، فقال له : تقوم لرجل فى مجلس حكمك وأنت ملك خراسان ؟ قال إسماعيل : فبت تلك الليلة وأنا مشتت القلب من قول أخى - وكانوا هم ملوك خراسان وما وراء النهر - قال : فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقول : « يا إسماعيل ثبت ملكك وملك بنيك بتعظيمك محمد بن نصر ، وذهب ملك أخيك باستخفافه بمحمد ابن نصر » . وقد اجتمع بالديار المصرية محمد بن نصر . ومحمد بن جرير الطبرى . ومحمد بن المنذر ، فجلسوا فى بيت يكتبون الحديث ولم يكن عندهم فى ذلك اليوم شئ يقتاتونه ، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يخرج يسعى لهم فى شئ يأكلونه ، فوقعت القرعة على محمد بن نصر هذا فقام إلى الصلاة فجعل يصلى ويدعو الله عز وجل ، وذلك وقت القائلة ، فرأى نائب مصر - وهو طولون وقيل أحمد بن طولون - فى منامه فى ذلك الوقت رسول الله ﷺ وهو يقول له : « أدرك المحدثين فإنهم ليس عندهم ما يقتاتونه » . فانتبه من ساعته فسأل : من هاهنا من المحدثين ؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة ، فأرسل إليهم فى الساعة الراهنة بألف دينار ، فدخل الرسول بها عليهم وأزال الله ضررهم ويسر أمرهم . واشترى طولون تلك الدار وبناها مسجداً وجعلها على أهل الحديث وأوقف عليها أوقافا جزيلة .

وقد بلغ محمد بن نصر سناً عالية وكان يسأل الله ولداً فأتاه يوماً إنسان فبشره بولد ذكر ، فرفع يديه فحمد الله وأثنى عليه وقال : الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل ، فاستفاد الحاضرون من ذلك عدة فوائد : منها أنه قد ولد له على الكبر ولد ذكر بعد ما كان يسأل الله عز وجل ، ومنها أنه سمى يوم مولده كما سمى رسول الله ﷺ ولده إبراهيم يوم مولده قبل السابع ، ومنها اقتداؤه بالخليل أول ولد له باسماعيل .

موسى بن هارون بن عبد الله أبو عمران المعروف والده بالحمال ، ولد سنة أربع عشرة ومائتين وسمع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما ، وكان إمام عصره فى حفظ الحديث ومعرفة الرجال ، وكان ثقة متقناً شديد الورع عظيم الهيبة ، قال عبد الغنى بن سعيد الحافظ المصرى : كان أحسن الناس كلاما على الحديث ، أثنى عليه على بن المدينى ثم موسى بن هارون ثم الدارقطنى .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين ﴾

فيها كانت المفاداة بين المسلمين والروم ، وكان من جملة من استنقذ من أيدى الروم من نساء ورجال نحواً من ثلاثة آلاف نسمة ، وفى المنتصف من صفر منها كانت وفاة إسماعيل بن أحمد

الساماني أمير خراسان وما وراء النهر ، وقد كان عاقلا عادلا حسن السيرة في رعيته حليما كريما ، وهو الذي كان يحسن إلى محمد بن نصر المروزي ويعظمه ويكرمه ويحترمه ويقوم له في مجلس ملكه ، فلما مات تولى بعده ولده أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني وبعث إليه الخليفة تشريفة . وقد ذكر الناس يوما عند إسماعيل بن أحمد هذا الفخر بالأنساب فقال : إنما الفخر بالأعمال وينبغي أن يكون الأنسان عصاميا لا عظاميا ـ أي ينبغي أن يفتخر بنفسه لا بنسبه وبلده وجده ـ كما قال بعضهم : * وبجدي سموت لا بجدودي * وقال آخر :

حسبي فخارا وشيمتي أدبي * ولست من هاشم ولا العرب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا * وليس الفتى من يقول كان أبي

وفي ذي القعدة منها كانت . ﴿ وفاة الخليفة المكتفي بالله ﴾

(أبو محمد بن المعتضد وهذه ترجمته وذكر وفاته)

وهو أمير المؤمنين المكتفي بالله بن المعتضد بن الأمير أبي أحمد الموفق بن المتوكل على الله ، وقد ذكرنا أنه ليس من الخلفاء من اسمه علي سواه بعد علي بن أبي طالب ، وليس من الخلفاء من يكنى بأبي محمد سوى الحسن بن علي بن أبي طالب وهو ، وكان مولده في رجب سنة أربع وستين ومائتين ، وبويع له بالخلافة بعد أبيه وفي حياته يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وعمره نحواً من خمس وعشرين سنة ، وكان ربعة من الرجال جميلا رقيق الوجه حسن الشعر ، وافر اللحية عريضها . ولما مات أبوه المعتضد وولي هو الخلافة دخل عليه بعض الشعراء فأنشده :

أجل الرزايا أن يموت إمام * وأسنى العطايا أن يقوم إمام
فأسقى الذي مات الغمام وجوده * ودامت تحيات له وسلام
وأبقى الذي قام الآله وزاده * مواهب لا يفنى لهن دوام
وتمت له الآمال واتصلت بها * فوائد موصول بهن تمام
هو المكتفي بالله يكفيه كلما * عناه بركن منه ليس يرام

فأمر له بجائزة سنية [وقد كان يقول الشعر ، فمن ذلك قوله :

من لي بأن أعلم ما ألقى * فتعرف مني الصبابة والعشقا
ما زال لي عبداً وحبي له * صيرني عبداً له رقا
المتق من شأني ولكنني * من حبه لا أملك المتقا][1]

---

(١) زيادة من المصرية .

وكان نقش خاتمه : على المتوكل على ربه . وكان له من الولد محمد وجعفر وعبد الصمد وموسى وعبدالله وهارون والفضل وعيسى والعباس وعبد الملك . وفى أيامه فتحت انطاكية وكان فيها من أسارى المسلمين بشر كثير وجم غفير ، ولما حضرته الوفاة سأل عن أخيه أبى الفضل جعفر بن المعتضد وقد صح عنده أنه بالغ ، فأحضره فى يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة منها وأحضر القضاة وأشهدهم على نفسه بأنه قد فوض أمر الخلافة إليه من بعده ، ولقبه بالمقتدر بالله . وتوفى بعد ثلاثة أيام وقيل فى آخر يوم السبت بعد المغرب ، وقيل بين الظهر والعصر ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة ، ودفن فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، عن ثنتين وقيل ثلاث وثلاثين سنة ، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً . وأوصى بصدقة من خالص ماله ستمائة ألف دينار ، وكان قد جمعها وهو صغير ، وكان مرضه بداء الخنازير رحمه الله .

﴿ خلافة المقتدر بالله أمير المؤمنين أبى الفضل جعفر بن المعتضد ﴾

جددت له البيعة بعد موت أخيه وقت السحر لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة من هذه السنة ـ أعنى سنة خمس وتسعين ومائتين ـ وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وإحدى وعشرون يوماً ، ولم يل الخلافة أحد قبله أصغر منه ، ولما جلس فى منصب الخلافة صلى أربع ركعات ثم سلم ورفع صوته بالدعاء والاستخارة ، ثم بايعه الناس بيعة العامة ، وكتب اسمه على الرقوم وغيرها : المقتدر بالله ، وكان فى بيت مال الخاصة خمسة عشر ألف ألف دينار ، وفى بيت مال العامة ستمائة ألف دينار ونيف ، وكانت الجواهر الثمينة فى الحواصل من لدن بنى أمية وأيام بني العباس ، قد تناهى جمعها ، فما زال يفرقها فى حظاياه وأصحابه حتى أنفدها ، وهذا حال الصبيان وسفهاء الولاة ، وقد استوزر جماعة من الكتاب يكثر تعدادهم ، منهم أبو الحسن على بن محمد بن الفرات ، ولاه ثم عزله بغيره ، ثم أعاده ثم عزله ثم قتله ، وقد استقصى ذكرهم ابن الجوزى . وكان له من الخدم والحشمة التامة والحجاب شئ كثير جدا ، وكان كريما وفيه عبادة مع هذا كله كان كثير الصلاة كثير الصيام تطوعا ، وفى يوم عرفة فى أول ولايته فرق من الأغنام والأبقار ثلاثين ألف رأس ، ومن الابل ألفى بعير ، ورد الرسوم والأرزاق والكلف إلى ما كانت عليه فى زمن الأوائل من بنى العباس ، وأطلق أهل الحبوس الذين يجوز إطلاقهم ، فوكل أمر ذلك إلى القاضى أبى عمر محمد بن يوسف ، وكان قد بنيت له أبنية فى الرحبة صرف عليها فى كل شهر ألف دينار ، فأمر بهدمها ليوسع على المسلمين الطرقات ، وسيأتى ذكر شئ من أيامه فى ترجمته .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أبو إسحاق المزكى ﴾

إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه بن عبد الله أبو إسحاق المزكى الحافظ الزاهد ، إمام أهل

عصره بنيسابور ، فى معرفة الحديث والرجال والعلل ، وقد سمع خلقاً من المشايخ الكبار ودخل على الامام أحمد وذاكره ، وكان مجلسه مهيباً ، ويقال إنه كان مجاب الدعوة ، وكان لا يملك إلا داره التى يسكنها وحانوتا يستغله كل شهر سبعة عشر درهما ينفقها على نفسه وعياله ، وكان لا يقبل من أحد شيئا ، وكان يطبخ له الجزر بالخل فيأتدم به طول الشتاء ، وقد قال أبو على الحسين بن على الحافظ : لم تر عيناى مثله .

﴿ أبو الحسين النورى أحد أئمة الصوفية ﴾

اسمه أحمد بن محمد ، ويقال محمد بن محمد والأول أصح ويعرف بابن البغوى ، أصله من خراسان وحدث عن سرى السقطى ثم صار هو من أكابر أئمة القوم ، قال أبو أحمد المغازلى : ما رأيت أحداً قط أعبد من أبى الحسين النورى ، قيل له : ولا الجنيد؟ قال : ولا الجنيد ولا غيره . وقال غيره : صام عشرين سنة لا يعلم به أحد لا من أهله ولا من غيره . وتوفى فى مسجد وهو مقنع فلم يعلم به أحد إلا بعد أربعة أيام .

﴿ إسماعيل بن أحمد بن سامان ﴾

أحد ملوك خراسان وهو الذى قتل عمرو بن الليث الصفار الخارجى ، وكتب بذلك إلى المعتضد فولاه خراسان ثم ولاه المكتفى الرى وما وراء النهر وبلاد الترك ، وقد غزا بلادهم وأوقع بهم بأسا شديداً ، وبنى الربط فى الطرقات يسع الرباط منها ألف فارس ، وأوقف عليهم أوقافاً جزيلة ، وقد أهدى إليه طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث هدايا جزيلة منها ثلاث عشرة جوهرة زنة كل جوهرة منها ما بين السبع مثاقيل إلى العشرة ، وبعضها أحمر وبعضها أزرق قيمتها مائة ألف دينار ، فبعث بها إلى الخليفة المعتضد وشفع فى طاهر فشفعه فيه . ولما مات إسماعيل بن أحمد وبلغ المكتفى موته تمثل بقول أبى نواس :

لن يخلف الدهر مثلهم أبداً * هيهات هيهات شأنه عجب

﴿ المعمرى الحافظ ﴾

صاحب عمل اليوم والليلة وهو الحسن بن على بن شبيب أبو على المعمرى الحافظ ، رحل وسمع من الشيوخ وأدرك خلقا منهم على بن المدينى ويحيى بن معين ، وعنه ابن صاعد والنجاد والجلدى ، وكان من بحور العلم وحفاظ الحديث ، صدوقاً ثبتا ، وقد كان يشبك أسنانه بالذهب من الكبر ، لأنه جاوز [الثمانين ، وكان يكنى أولا بأبى القاسم ، ثم بأبى على ، وقد ولى القضاء للبرتى على القصر وأعمالها][1] وإنما قيل له المعمرى بأمه أم الحسن بنت أبى سفيان صاحب معمر بن راشد . وقد صنف المعمرى كتابا جيداً فى عمل يوم وليلة ، واسمه الحسن بن على بن شبيب أبو على المعمرى ، توفى ليلة الجمعة لاحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم .

---

(١) زيادة من المصرية .

عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبى شعيب واسم أبى شعيب. عبد الله بن مسلم أبو شعيب الأموى الحرانى المؤدب المحدث ابن المحدث . ولد سنة ست وثمانين ومائتين ، سمع أباه وجده وعفان بن مسلم وأباخيثمة ، كان صدوقاً ثقة مأمونا . توفى فى ذى الحجة منها

على بن أحمد المكتفى بالله تقدم ذكره .أبو جعفر الترمذى محمد بن محمد بن نصر أبوجعفر الترمذى الفقيه الشافعى ، كان من أهل العلم والزهد ، ووثقه الدارقطنى ، كان مأمونا ناسكا ، وقال القاضى أحمد ابن كامل : لم يكن لأصحاب الشافعى بالعراق أرأس منه ، ولا أورع : كان متقللا فى المطعم على حالة عظيمة فقراً وورعاً وصبراً ، وكان ينفق فى كل شهر أربعة دراهم ، وكان لا يسأل أحداً شيئاً ، وكان قد اختلط فى آخر عمره . توفى المحرم منها .

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين ﴾

فى ربيع الأول منها اجتمع جماعة من القواد والجند والأمراء على خلع المقتدر وتولية عبد الله ابن المعتز الخلافة ، فأجابهم على أنه لا يسفك بسببه دم ، وكان المقتدر قد خرج يلعب بالصولجان فقصد إليه الحسن بن حمدان يريد أن يفتك به ، فلما سمع المقتدر الصيحة بادر إلى دار الخلافة فأغلقها دون الجيش ، واجتمع الأمراء والأعيان والقضاة فى دار المخرمى فبايعوا عبد الله بن المعتز وخوطب بالخلافة ، ولقب بالمرتضى بالله . وقال الصولى : إنما لقبوه المنتصف بالله ، واستوزر أباعبيدالله محمدبن داود وبعث إلى المقتدر يأمره بالتحول من دار الخلافة إلى دار ابن طاهر لينتقل إليها ، فأجابه بالسمع والطاعة ، فركب الحسن بن حمدان من الغد إلى دارالخلافة ليتسلمها فقاتله الخدم ومن فيها ، ولم يسلموها إليه ، وهزموه فلم يقدر على تخليص أهله وماله إلا بالجهد . ثم ارتحل من فوره إلى الموصل وتفرق نظام ابن المعتز وجماعته ، فأراد ابن المعتز أن يتحول إلى سامرا لينزلها فلم يتبعه أحد من الأمراء، فدخل دار ابن الجصاص فاستجار به فأجاره ، ووقع النهب فى البلد واختبط الناس وبعث المقتدر إلى أصحاب ابن المعتز فقبض عليهم وقتل أكثرهم وأعاد ابن الفرات إلى الوزارة فجدد البيعة إلى المقتدر وأرسل إلى دار ابن الجصاص فتسلمها وأحضر ابن المعتز وابن الجصاص فصادر ابن الجصاص بمال جزيل جدا ، نحو ستة عشر ألف ألف درهم ، ثم أطلقه واعتقل ابن المعتز ، فلما دخل فى ربيع الآخر ليلتان ظهر للناس موته وأخرجت جثته فسلمت إلى أهله فدفن ، وصفح المقتدر عن بقية من سعى فى هذه الفتنة حتى لا تفسد نيات الناس .

قال ابن الجوزى : ولا يعرف خليفة خلع ثم أعيد إلا الأمين والمقتدر . وفى يوم السبت لأربع بقين من ربيع الأول سقط ببغداد ثلج عظيم حتى اجتمع على الأسطحة منه نحو من أربعة أصابع وهذا غريب فى بغداد جداً ، ولم تخرج السنة حتى خرج الناس يستسقون لأجل تأخر المطر عن إبانه .

وفى شعبان منها خلع على يونس الخادم وأمر بالمسير الى طرسوس لأجل غزو الروم . وفيها أمر المقتدر بأن لا يستخدم أحد من اليهود والنصارى فى الدواوين ، وألزموا بلزومهم بيوتهم ، وأن يلبسوا المساحى ويضعوا بين أكتافهم رقاعاً ليعرفوا بها ، وألزموا بالذل حيث كانوا . وحج بالناس فيها الفضل ابن عبد الملك الهاشمى ، ورجع كثير من الناس من قلة الماء بالطريق

وفيها توفى من الأعيان أحمد بن محمد بن زكريا بن أبى عتاب أبو بكر البغدادى الحافظ ، ويعرف بأخى ميمون . روى عن نصر بن على الجهضمى وغيره ، وروى عنه الطبرانى ، وكان يمتنع من أن يحدث وإنما يسمع منه فى المذاكرة . توفى فى شوال منها .

﴿ أبو بكر الأثرم ﴾

أحمد بن محمد بن هانى الطائى الأثرم تلميذ الامام احمد ، سمع عفان وأبا الوليد والقعنبى وأبا نعيم وخلقاً كثيرا ، وكان حافظا صادقا قوى الذاكرة ، كان ابن معين يقول عنه : كان أحد أبويه جنيا لسرعة فهمه وحفظه ، وله كتب مصنفة فى العلل والناسخ والمنسوخ ، وكان من بحور العلم

﴿ خلف بن عمرو بن عبد الرحمن بن عيسى ﴾

أبو محمد العكبرى ، سمع الحديث وكان ظريفا وكان له ثلاثون خاتما وثلاثون عكازا ، يلبس فى كل يوم من الشهر خاتما ويأخذ فى يده عكازا ، ثم يستأنف ذلك فى الشهر الثانى ، وكان له سوط معلق فى منزله ، فاذا سئل عن ذلك قال : ليرهب العيال منه

﴿ ابن المعتز الشاعر الذى بويع بالخلافة ﴾

عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد يكنى أبو العباس الهاشمى العباسى ، كان شاعراً مطيقاً فصيحاً بليغا مطبقا ، وقريش قادة الناس فى الخير ودفع الشر . وقد سمع المبرد وثعلبا ، وقد روى عنه من الحكم والآداب شئ كثير ، فمن ذلك قوله : أنفاس الحى خطاها . أهل الدنيا ركب يسار بهم وهم نيام ، ربما أورد الطمع ولم يصدر ، ربما شرق شارب الماء قبل ريه ، من تجاوز الكفاف لم يغنه الاكثار ، كلما عظم قدر المتنافس فيه عظمت الفجيعة به ، من ارتحله الحرص أضناه الطلب . وروى انضاه الطلب أى أضعفه ، والأول معناه أمرضه . الحرص نقص من قدر الانسان ولا يزيد فى حظه شيئا ، أشقى الناس أقربهم من السلطان ، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أقربها حريقا . من شارك السلطان فى عز الدنيا شاركه فى ذل الآخرة ، يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك . الفرصة سريعة الفوت بعيدة العود ، الأسرار إذا كثرت خزانها ازدادت ضياعا ، العزل نصحك من تيه الولاة . الجزع أتعب من الصبر ، لاتشن وجه العفو بالتقريع ، تركة الميت عز للورثة وذل له . إلى غير ذلك من كلامه وحكمه . ومن شعره مما يناسب المعنى قوله : —

بادر إلى مالك ورثه * ما المرء فى الدنيا بلباث
كم جامع يخنق أكياسه * قد صار فى ميزان ميراث

وله أيضاً

ياذا الغنى والسطوة القاهرة * والدولة الناهية الآمرة
ويا شياطين بنى آدم * وياعبيد الشهوة الفاجرة
انتظروا الدنياوقد أدبرت * وعن قليل تلد الآخرة

وله أيضاً

ابك يانفس وهاتى * توبة قبل الممات
قبل أن يفجعنا الده * ر ببين وشتات
لا تخونينى إذا مت * وقامت بى نعاتى
إنما الوفى بعهدى * من وفى بعد وفاتى

قال الصولى : نظر ابن المعتز فى حياة أبيه الخليفة إلى جارية فأعجبته فمرض من حبها ، فدخل أبوه عليه عائداً فقال له : كيف تجدك ؟ فأنشأ يقول :

أيها العاذلون لا تعذلونى * وانظروا حسن وجهها تعذرونى
وانظروا هل ترون أحسن منها * إن رأيتم شبيهها فاعذلونى

قال : ففحص الخليفة عن القصة واستعلم خبر الجارية ثم بعث إلى سيدها فاشتراها منه بسبعة آلاف دينار ، و بعث بها إلى ولده . وقد تقدم أن فى ربيع الأول من هذه السنة اجتمع الأمراء والقضاة على خلع المقتدر وتولية عبد الله بن المعتز هذا ولقب بالمرتضى والمنتصف بالله ، فما مكث بالخلافة إلا يوماً أو بعض يوم ، ثم انتصر المقتدر وقتل غالب من خرج عليه واعتقل ابن المعتز عنده فى الدار ووكل به يونس الخادم فقتل فى أوائل ربيع الآخر لليلتين خلتا منه ، و يقال إنه أنشد فى آخر يوم من حياته وهو معتقل :

يا نفس صبراً لعل الخير عقباك * خانتك من بعد طول الأمن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها * طوباك ياليتنى إياك طوباك
إن كان قصدك شرقا فالسلام على * شاطى الصراة ابلغى إن كان مسراك
من موثق بالمنايا لا فكاك له * يبكى الدماء على إلف له باكى
فرب آمنة جاءت منيتها * ورب مفلتة من بين أشراك
أظنه آخر الأيام من عمرى * وأوشك اليوم أن يبكى لى الباكى

ولما قدم ليقتل أنشأ يقول :

فقل للشامتين بنا رويدا * أمامكم المصائب والخطوب

هو الدهر لا بد من أن * يكون إليكم منه ذنوب

ثم كان ظهور قتله لليلتين من ربيع الآخر منها . وقد ذكر له ابن خلكان مصنفات كثيرة ، منها طبقات الشعراء وكتاب أشعار الملوك ، وكتاب الآداب وكتاب البديع ، وكتاب فى الغناء وغير ذلك . وذكر أن طائفة من الأمراء خلعوا المقتدر وبايعوه بالخلافة يوماً وليلة ، ثم تمزق شمله واختفى فى بيت ابن الجصاص الجوهرى ثم ظهر عليه فقتل وصودر ابن الجصاص بألفى دينار ، وبقى معه ستمائة ألف دينار .

وكان ابن المعتز أسمر اللون مدور الوجه يخضب بالسواد ، عاش خمسين سنة ، وذكر شيئاً من كلامه وأشعاره رحمه الله .

﴿ محمد بن الحسين بن حبيب ﴾ أبوحصين الوادعى القاضى ، صاحب المسند ، من أهالى الكوفة ، قدم بغداد وحدث بها عن أحمد بن يونس اليربوعى ويحيى بن عبد الحميد ، وجندل بن والق ، وعنه ابن صاعد والنجاد والمحاملى ، قال الدارقطنى : كان ثقة ، توفى بالكوفة . محمد بن داود بن الجراح أبو عبد الله الكاتب عم الوزير على بن عيسى ، كان من أعلم الناس بالأخبار وأيام الخلفاء ، له مصنفات فى ذلك روى عن عمر بن شيبة وغيره ، كانت وفاته فى ربيع الأول منها عن ثلاث وخمسين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين ﴾

فيها غزا القاسم بن سيما الصائفة ، وفادى يونس الخادم الأسارى الذين بأيدى الروم ، وحكى ابن الجوزى عن ثابت بن سنان أنه رأى فى أيام المقتدر ببغداد امرأة بلا ذراعين ولا عضدين ، وإنما كفاها ملصقان بكتفيها ، لا تستطيع أن تعمل بهما شيئاً ، وإنما كانت تعمل برجليها ماتعمله النساء بأيديهن : الغزل والفتل ومشط الرأس وغير ذلك . وفيها تأخرت الأمطار عن بغداد وارتفعت الأسعار بها ، وجاءت الأخبار بأن مكة جاءها سيل عظيم غرق أركان البيت ، وفاضت زمزم ، ولم ير ذلك قبل هذه السنة . وحج بالناس الفضل الهاشمى .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ محمد بن داود بن على ﴾

أبو بكر الفقيه ابن الفقيه الظاهرى ، كان عالماً بارعا أديبا شاعرا فقيها ماهرا ، له كتاب الزهرة اشتغل على أبيه وتبعه فى مذهبه ومسلكه وما اختاره من الطرائق وارتضاه ، وكان أبوه يحبه ويقربه ويدنيه . قال رويم بن محمد : كنا يوماً عند داود إذ جاء ابنه هذا باكيا فقال : مالك ؟ فقال : إن الصبيان يلقبونى عصفور الشوك . فضحك أبوه فاشتد غضب الصبى وقال لأبيه : أنت أضر على منهم ، فضمه أبوه إليه وقال : لا إله إلا الله ، ما الألقاب إلا من السماء ما أنت يابنى إلا عصفور الشوك . ولما توفى أبوه أجلس فى مكانه فى الحلقة فاستصغره الناس عن ذلك ، فسأله سائل يوماً عن حد السكر

فقال : إذا غربت عنه الفهوم و باح بسره المكتوم . فاستحسن الحاضرون منه ذلك وعظم فى أعين الناس . قال ابن الجوزى فى المنتظم : وقد ابتلى بحب صبى اسمه محمد بن جامع ويقال محمد بن زحرف فاستعمل العفاف والدين فى حبه ، ولم يزل ذلك دأبه فيه حتى كان سبب وفاته فى ذلك . قلت : فدخل فى الحديث المروى عن ابن عباس ،موقوفا عليه ومرفوعا عنه : « من عشق فكتم فعف فمات مات شهيدا » . وقد قيل عنه إنه كان يبيح العشق بشرط العفاف . وحكى هو عن نفسه أنه لم يزل يتعشق منذ كان فى الكتّاب وأنه صنف كتاب الزهرة فى ذلك من صغره ، وربما وقف أبوه داودعلى بعض ذلك ، وكا يتناظر هو وأبو العباس بن شريح كثيرا بحضرة القاضى أبى عمر محمد بن يوسف فيعجب الناس من مناظرتهما وحسنها ، وقد قال له ابن شريح يوما فى مناظرته : أنت بكتاب الزهرة أشهر منك بهذا . فقال له : تعيرنى بكتاب الزهرة وأنت لا تحسن تشتم قراءته ، وهو كتاب جمعناه هزلا فاجمع أنت مثله جداً . وقال القاضىأبو عمر: كنت يوماً أنا وأبو بكر بن داود راكبين فاذا جارية تغنى بشئ من شعره: أشكو إليك فؤاداً أنت متلفه * شكوى عليل إلى إلف يملله

سقمى تزيد على الأيام كثرته * وأنت فى عظم ما ألقى تقلله

ألله حرم قتلى فى الهوى أسفاً * وأنت ياقاتلى ظلماً تحلله

فقال أبو بكر : كيف السبيل إلى استرجاع هذا ؟ فقلت : هيهات ساربه الركبان . كانت وفاة محمد بن داود رحمه الله فى رمضان من هذه السنة ، وجلس ابن شريح لعزاه وقال : ما أثنى إلا على التراب الذى أكل لسان محمد بن داود رحمه الله .

﴿ محمد بن عثمان بن أبى شيبة ﴾

أبو جعفر ، حدث عن يحيى بن معين وعلى بن المدينى وخلق ، وعنه ابن صاعد والخلدى والباغندى وغيرهم ، وله كتاب فى التاريخ وغيره من المصنفات ، وقدوثقه صالح بن محمد جزرة وغيره ،وكذبه عبد الله بن الامام أحمد وقال : هو كذاب بيِّن الأمر ، وتعجب ممن يروى عنه . توفى فى ربيع الأول منها .

محمد بن طاهر بن عبد الله بن الحسن بن مصعب من بيت الامارة والحشمة ، باشر نيابة العراق مدة ثم خراسان ثم ظفر به يعقوب بن الليث فى سنة ثمان وخمسين فأسره و بقى معه يطوف به الآفاق أربع سنين ، ثم تخلص منه فى بعض الوقعات ونجا بنفسه ، ولم يزل مقيما ببغداد إلى أن توفى فى هذه السنة .

﴿ موسى بن إسحاق ﴾

ابن موسى بن عبدالله أبو بكر الأنصارى الخطمى ، مولده سنة عشر ومائتين ، سمع أباه وأحمد ابن حنبل وعلى بن الجعد وغيرهم ، وحدث عنه الناس وهو شاب وقرأوا عليه القرآن ، وكان ينتحل

منهب الشافعى ، وولى قضاء الأهواز ، وكان ثقة فاضلا عفيفا فصيحاً كثير الحديث . توفى فى المحرم منها .

﴿ يوسف بن يعقوب ﴾

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد والد القاضى أبى عمر، وهو الذى قتل الحلاج ، كان يوسف هذا من أكابر العلماء وأعيانهم ، ولد سنة ثمان ومائتين ، وسمع سليمان بن حرب وعمرو بن مرزوق وهدبة ومسدداً ، وكان ثقة ، ولى قضاء البصرة وواسط والجانب الشرقى من بغداد ، وكان عفيفا شديد الحرمة نزها ، جاءه يوماً بعض خدم الخليفة المعتضد فترفع فى المجلس على خصمه فأمره حاجب القاضى أن يساوى خصمه فامتنع إدلالا بجاهه عند الخليفة ، فزبره القاضى وقال : ائتونى بدلال النخس حتى أبيع هذا العبد وأبعث بثمنه إلى الخليفة ، وجاء حاجب القاضى فأخذه بيده وأجلسه مع خصمه ، فلما انقضت الحكومة رجع الخادم إلى المعتضد فبكى بين يديه فقال له : مالك ؟ فأخبره بالخبر ، وما أراد القاضى من بيعه ، فقال : والله لو باعك لأجزت بيعه ولما استرجعتك أبداً ، فليس خصوصيتك عندى تزيل مرتبة الشرع فانه عمود السلطان وقوام الأديان ، كانت وفاته فى رمضان منها .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائتين ﴾

فيها قدم القاسم بن سيما من بلاد الروم فدخل بغداد ومعه الأسارى والعلوج بأيديهم أعلام عليها صلبان من الذهب ، وخلق من الأسارى . وفيها قدمت هدايا نائب خراسان أحمد بن إسماعيل ابن أحمد السامانى ، من ذلك مائة وعشرون غلاماً بحرابهم وأسلحتهم وما يحتاجون إليه ، وخمسون بازاً وخمسون جملا تحمل من مرتفع الثياب ، وخمسون رطلا من مسك وغير ذلك . وفيها فلج القاضى عبد الله بن على بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب ، فقلد مكانه على الجانب الشرقى والكرخ ابنه محمد . وفيها فى شعبان أخذ رجلان يقال لأحدهما : أبو كبيرة والآخر يعرف بالسمرى . فذكروا أنهما من أصحاب رجل يقال له محمد بن بشر ، وأنه يدعى الربوبية . وفيها وردت الأخبار بأن الروم قصدت اللاذقية . وفيها وردت الأخبار بأن ريحاً صفراء هبت بمدينة الموصل فمات من حرها بشر كثير . وفيها حج بالناس الفضل الهاشمى . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ ابن الراوندى ﴾

أحد مشاهير الزنادقة ، كان أبوه يهودياً فأظهر الاسلام ، ويقال إنه حرّف التوراة كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه ، وصنف كتابا فى الرد على القرآن سماه الدامغ . وكتابا فى الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه الزمردة . وكتابا يقال له التاج فى معنى ذلك ، وله كتاب الفريد وكتاب إمامة المفضول الفاضل . وقد انتصب للرد على كتبه هذه جماعة منهم الشيخ أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى شيخ المعتزلة فى زمانه ، وقد أجاد فى ذلك . وكذلك ولده أبو هاشم عبد السلام

ابن أبي على ، قال الشيخ أبو على : قرأت كتاب هذا الملحد الجاهل السفيه ابن الراوندى فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والافتراء ، قال : وقد وضع كتابا فى قدم العالم ونفى الصانع وتصحيح مذهب الدهرية والرد على أهل التوحيد ، ووضع كتابا فى الرد على محمد رسول الله ﷺ فى سبعة عشر موضعاً ، ونسبه إلى الكذب - يعنى النبي ﷺ - وطعن على القرآن ، ووضع كتابا لليهود والنصارى وفضل دينهم على المسلمين والاسلام ، يحتج لهم فيها على إبطال نبوة محمد ﷺ ، إلى غير ذلك من الكتب التى تبين خروجه عن الاسلام . نقل ذلك ابن الجوزى عنه . وقد أورد ابن الجوزى فى منتظمه طرفا من كلامه و زندقته وطعنه على الآيات والشريعة . ورد عليه فى ذلك ، وهو أقل وأخس وأذل من أن يلتفت إليه و إلى جهله وكلامه وهذيانه وسفهه وتمويهه . وقد أسند إليه حكايات من المسخرة والاستهتار والكفر والكبائر ، منها ماهو صحيح عنه ومنها ماهو مفتعل عليه ممن هو مثله ، وعلى طريقه ومسلكه فى الكفر والتستر فى المسخرة ، يخرجونها فى قوالب مسخرة وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقة ، وهذا كثير موجود فيمن يدعى الاسلام وهو منافق ، يتمسخرون بالرسول ودينه وكتابه ، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون . لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) الآية .

وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحباً لابن الراوندى قبحهما الله ، فلما علم الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فأودع السجن حتى مات . وأما ابن الراوندى فهرب فلجأ إلى ابن لاوى اليهودى ، وصنف له فى مدة مقامه عنده كتابه الذى سماه « الدامغ للقرآن » فلم يلبث بعده إلا أياما يسيرة حتى مات لعنه الله . ويقال : إنه أخذ وصلب . قال أبو الوفاء بن عقيل : ورأيت فى كتاب محقق أنه عاش ستاً وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوغل فى المخازى فى هذا العمر القصير لعنه الله وقبحه ولا رحم عظامه .

وقد ذكره ابن خلكان فى الوفيات وقلس عليه ولم يخرجه بشئ ، ولا كأن الكلب أكل له عجيناً ، على عادته فى العلماء والشعراء ، فالشعراء يطيل تراجمهم ، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة ، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم . وأرخ ابن خلكان تاريخ وفاته فى سنة خمس وأربعين ومائتين ، وقد وهم وهماً فاحشاً ، والصحيح أنه توفى فى هذه السنة كما أرخه ابن الجوزى وغيره .

وفيها توفى . ﴿ الجنيد بن محمد بن الجنيد ﴾

أبو القاسم الخزاز ، ويقال له القواريرى ، أصله من نهاوند ، ولد ببغداد ونشأ بها . وسمع الحديث من الحسين بن عرفة . وتفقه بأبى ثور إبراهيم بن خالد الكلبى ، وكان يفتى بحضرته وعمره عشرون سنة ، وقد ذكرناه فى طبقات الشافعية ، واشتهر بصحبة الحارث المحاسبى ، وخاله سرى السقطى ،

ولازم التعبد، ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً كثيرة ، وتكلم على طريقة الصوفية . وكان ورده في كل يوم ثلثمائة ركعة ، وثلاثين ألف تسبيحة . ومكث أربعين سنة لا يأوى إلى فراش ، ففتح عليه من العلم النافع والعمل الصالح بأمور لم تحصل لغيره فى زمانه ، وكان يعرف سائر فنون العلم ، وإذا أخذ فيها لم يكن له فيها وقفة ولا كبوة ، حتى كان يقول فى المسألة الواحدة وجوهاً كثيرة لم تخطر للعلماء ببال ، وكذلك فى التصوف وغيره . ولما حضرته الوفاة جعل يصلى ويتلو القرآن ، فقيل له : لورفقت بنفسك فى مثل هذا الحال ؟ فقال : لا أحد أحوج إلى ذلك منى الآن ، وهذا أوان طى صحيفتى . قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن أبى ثور ويقال : كان يتفقه على مذهب سفيان الثورى ، وكان ابن سريج يصحبه ويلازمه ، [وربما استفاد منه أشياء فى الفقه لم تخطر له ببال ، ويقال : إنه سأله مرة عن مسألة ، فأجابه فيها بجوابات كثيرة ، فقال : يا أبا القاسم ألم أكن أعرف فيها سوى ثلاثة أجوبة مما ذكرت ، فأعدها على . فأعادها بجوابات أخرى كثيرة . فقال : والله ما سمعت هذا قبل اليوم ، فأعده . فأعاده بجوابات أخرى غير ذلك ، فقال له : لم أسمع بمثل هذا فأمله علىّ حتى أكتبه . فقال الجنيد : لئن كنت أجريه فأنا أمليه ، أى إن الله هو الذى يجرى ذلك على قلبى وينطق به لسانى ، وليس هذا مستفاد من كتب ولا من تعلم ، وإنما هذا من فضل الله عز وجل يلهمنيه ويجريه على لسانى . فقال : فمن أين استفدت هذا العلم ؟ قال : من جلوسى بين يدى الله أربعين سنة . والصحيح أنه كان على مذهب سفيان الثورى وطريقه والله أعلم [(١)]] .

وسئل الجنيد عن العارف ؟ فقال : من نطق عن سرك وأنت ساكت . وقال : مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى مذهبنا وطريقتنا . ورأى بعضهم معه مسبحة فقال له : أنت مع شرفك تتخذ مسبحة ؟ فقال : طريق وصلت به إلى الله لا أفارقه . وقال له خاله السرى : تكلم على الناس . فلم ير نفسه موضعاً . فرأى فى المنام رسول الله ﷺ فقال له : تكلم على الناس . فغدا على خاله ، فقال له : لم تسمع منى حتى قال لك رسول الله ﷺ . فتكلم على الناس ، فجاءه يوماً شاب نصرانى فى صورة مسلم ، فقال له : يا أبا القاسم ما معنى قول النبى ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » ؟ فأطرق الجنيد ، ثم رفع رأسه إليه وقال : أسلم فقدآن لك أن تسلم : قال فأسلم الغلام . وقال الجنيد : ما انتفعت بشئ انتفاعى بأبيات سمعتها من جارية تغنى بها فى غرفة وهى تقول :

إذا قلت: أهدى الهجر لى حلل البلى * تقولين : لولا الهجر لم يطب الحب

وإن قلت: هذا القلب أحرقه الجوى * تقولين لى: إن الجوى شرف القلب

---

(١) زيادة من نسخة الأستانة .

وإن قلت : ما أذنبت ، قالت مجيبة: * حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

قال : فصعقت وصحت ، فخرج صاحب الدار فقال : ياسيدى مالك ؟ قلت : مما سمعت . قال : هى هبة منى إليك . فقلت : قد قبلتها وهى حرة لوجه الله . ثم زوجتها لرجل ، فأولدها ولداً صالحاً حج على قدميه ثلاثين حجة .

وفيها توفى : ﴿ سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو عثمان الواعظ ﴾

ولد بالرى ، ونشأ بها ، ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات بها ، وقد دخل بغداد . وكان يقال إنه مجاب الدعوة . قال الخطيب : أخبرنا عبد الكريم بن هوازن قال سمعت أبا عثمان يقول : منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حالة فكرهتها ، ولا نقلنى إلى غيرها فسخطتها . وكان أبو عثمان ينشد :

أسأت ولم أحسن ، وجئتك هاربا * وأين لعبد عن مواليه مهرب ؟

يؤمل غفرانا ، فان خاب ظنه * فما أحد منه على الأرض أخيب

وروى الخطيب أنه سئل : أى أعمالك أرجى عندك ؟ فقال : إنى لما ترعرعت وأنا بالرى وكانوا يريدوننى على التزويج فأمتنع ، فجاءتنى امرأة فقالت : يا أبا عثمان قد أحببتك حباً أذهب نومى وقرارى ، وأنا أسألك بمقلب القلوب وأتوسل به إليك لما تزوجتنى . فقلت : ألك والد ؟ فقالت : نعم . فأحضرته فاستدعى بالشهود فتزوجتها ، فلما خلوت بها إذا هى عوراء عرجاء شوهاء مشوهة الخلق ، فقلت : اللهم لك الحمد على ما قدرته لى ، وكان أهل بيتى يلوموننى على تزويجى بها ، فكنت أزيدها براً وإكراما ، وربما احتبستنى عندها ومنعتنى من الحضور إلى بعض المجالس ، وكأنى كنت فى بعض أوقاتى على الجمر وأنا لا أبدى لها من ذلك شيئاً . فكنت كذلك خمس عشرة سنة ، فما شئ أرجى عندى من حفظى عليها ما كان فى قلبها من جهتى .

وفيها توفى : ﴿ سمنون بن حمزة ﴾

ويقال ابن عبد الله ، أحد مشايخ الصوفية ، كان ورده فى كل يوم وليلة خمسمائة ركعة ، وسمى نفسه سمنونا الكذاب لقوله :

فليس لى فى سواك حظ * فكيفما شئت فامتحنى

فابتلى بعسر البول فكان يطوف على المكاتب ويقول للصبيان : ادعوا لعمكم الكذاب . وله كلام متين فى المحبة ، ووسوس فى آخر عمره ، وله كلام فى المحبة مستقيم .

وفيها توفى : ﴿ صافى الحرمى ﴾

كان من أكابر أمراء الدولة العباسية . أوصى فى مرضه أن ليس له عند غلامه القاسم شئ ، فلما مات حمل غلامه القاسم إلى الوزير مائة ألف دينار وسبعمائة وعشرين منطقة من الذهب مكللة ، فاستمروا به على إمرته ومنزلته .

﴿ إسحاق بن حنين بن إسحاق ﴾

أبو يعقوب العبادى ـ نسبة إلى قبائل الجزيرة ـ الطبيب بن الطبيب ، له ولأبيه مصنفات كثيرة فى هذا الفن ، وكان أبوه يعرب كلام إرسطاطاليس وغيره من حكماء اليونان. توفى فى هذه السنة.

﴿ الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ﴾

أبو عبد الله الشيعى ، الذى أقام الدعوة للمهدى ، وهو عبد الله بن ميمون الذى يزعم أنه فاطمى وقد زعم غير واحد من أهل التاريخ أنه كان يهوديا صباغا بسلمية ، والمقصود الآن : أن أبا عبد الله الشيعى دخل بلاد إفريقية وحده فقيراً لا مال له ولا رجال ، فلم يزل يعمل الحيلة حتى انتزع الملك من يد أبى نصر زيادة الله ، آخر ملوك بنى الأغلب على بلاد إفريقية ، واستدعى حينئذ مخدومه المهدى من بلاد المشرق ، فقدم فلم يخلص إليه إلا بعد شدائد طوال ، وحبس فى أثناء الطريق فاستنقذه هذا الشيعى وسلمه من الهلكة ، فندمه أخوه أحمد وقال له : ماذا صنعت ؟ وهلا كنت استبددت بالأمر دون هذا ؟ فندم وشرع يعمل الحيلة فى المهدى ، فاستشعر المهدى بذلك فدس إليهما من قتلهما فى هذه السنة بمدينة رقادة من بلاد القيروان ، من إقليم إفريقية . هذا ملخص ما ذكره ابن خلكان .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين ﴾

قال ابن الجوزى : وفيها ظهرت ثلاث كواكب مذنبة . أحدها فى رمضان ، واثنان فى ذى القعدة تبقى أياماً ثم تضمحل . وفيها وقع طاعون بأرض فارس مات فيه سبعة آلاف إنسان . وفيها غضب الخليفة على الوزير على بن محمد بن الفرات وعزله عن الوزارة وأمر بنهب داره فنهبت أقبح نهب ، واستوزر أبا على محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان قد التزم لأم ولد المتضد بمائة ألف دينار ، حتى سعت فى ولايته . وفيها وردت هدايا كثيرة من الأقاليم من ديار مصر وخراسان وغيرها ، من ذلك خمسمائة ألف دينار من مصر استخرجت من كنز وجد هناك من غير موانع كما يدعيه كثير من جهلة العوام وغيرهم من ضعيفى الأحلام ، مكراً وخديعة ليأكلوا أموال الطغام والعوام أهل الطمع والآثام ، وقد وجد فى هذا الكنز ضلع إنسان طوله أربعة أشبار[1] وعرضه شبر ، وذكر أنه من قوم عاد فالله أعلم . وكان من جملة هدية مصر تيس له ضرع يحلب لبنا . ومن ذلك بساط أرسله ابن أبى الساج فى جملة هداياه ، طوله سبعون ذراعا وعرضه ستون ذراعا ، عمل فى عشر سنين لاقيمة له ، وهدايا فاخرة أرسلها أحمد بن إسماعيل بن أحمد السامانى من بلاد خراسان كثيرة جداً . وحج بالناس فيها الفضل بن عبد الملك العباسى أمير الحجيج من مدة طويلة . وفيها توفى من الأعيان :

---

(١) فى المصرية : طوله أربعة عشر شبراً .

﴿ أحمد بن نصر بن إبراهيم أبو عمرو الخفاف ﴾

الحافظ . كان يذاكر بمائة ألف حديث ، سمع إسحاق بن راهويه وطبقته ، وكان كثير الصيام سرده نيفا وثلاثين سنة ، وكان كثير الصدقة ، سأله سائل فأعطاه درهمين فحمد الله فجعلها خمسة ، فحمد الله فجعلها عشرة ، ثم مازال يزيده ويحمد السائل الله حتى جعلها مائة . فقال : جعل الله عليك واقية باقية فقال للسائل : والله لو لزمت الحمد لأزيدنك ولو إلى عشرة آلاف درهم .

﴿ البهلول بن إسحاق بن البهلول ﴾

ابن حسان بن سنان أبو محمد التنوخى ، سمع إسماعيل بن أبى أويس وسعيد بن منصور ومصعباً الزبيرى وغيرهم ، وعنه جماعة آخرهم أبو بكر الاسماعيلى الجرجانى الحافظ ، وكان ثقة حافظاً ضابطاً بليغاً فصيحاً فى خطبه . توفى فيها عن خمس وتسعين سنة .

﴿ الحسين بن عبد الله بن أحمد أبو على الخرقى ﴾

صاحب المختصر فى الفقه على مذهب الأمام أحمد بن حنبل . كان خليفة للمروذى . توفى يوم عيد الفطر ودفن عند قبر الأمام أحمد بن حنبل .

﴿ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله المغربى ﴾

حج على قدميه سبعاً وتسعين حجة ، وكان يمشى فى الليل المظلم حافياً كما يمشى الرجل فى ضوء النهار ، وكان المشاة يأتمون به فيرشدهم إلى الطريق ، وقال : مارأيت ظلمة منذ سنين كثيرة ، وكانت قدماه مع كثرة مشيه كأنهما قدما عروس مترفة ، وله كلام مليح نافع ولما مات أوصى أن يدفن إلى جانب شيخه على بن رزين ، فهما على جبل الطور .

[قال أبو نعيم : كان أبو عبد الله المغربى من المعمرين ، توفى عن مائة وعشرين سنة ، وقبره بجبل طور سينا عند قبر أستاذه على بن رزين . قال أبو عبد الله : أفضل الأعمال عمارة الأوقاف . وقال : الفقير هو الذى لايرجع إلى مستند فى الكون غير الالتجاء إلى من إليه فقره ليعينه بالاستعانة كما عززه بالافتقار إليه . وقال : أعظم الناس ذلا فقير داهن غنيا وتواضع له ، وأعظم الناس عزاً غنى تذلل لفقير أو حفظ حرمته .] [(١)]

﴿ محمد بن أبى بكر بن أبى خثيمة ﴾

أبو عبد الله الحافظ بن الحافظ كان أبوه يستعين به فى جمع التاريخ ، وكان فهماً حاذقا حافظاً ، توفى فى ذى العقدة منها .

﴿ محمد بن أحمد بن كيسان النحوى ﴾

أحد حفاظه والمكثرين منه ، كان يحفظ طريقة البصريين والكوفيين معاً . قال ابن مجاهد : كان ابن كيسان أنحى من الشيخين المبرد وثعلب .

---

(١) زيادة من المصرية .

﴿ محمد بن يحيى ﴾

أبو سعيد ، سكن دمشق ، روى عن إبراهيم بن سعد الجوهرى ، وأحمد بن منيع ، وابن أبى شيبة وغيرهم ، روى عنه أبو بكر النقاش وغيره ، وكان محمد بن يحيى هذا يدعى بحامل كفنه ، وذلك ماذكره الخطيب قال : بلغنى أنه توفى فغسل وكفن وصلى عليه ودفن ، فلما كان الليل جاء نباش ليسرق كفنه ففتح عليه قبره . فلما حل عنه كفنه استوى جالساً وفر النباش هاربا من الفزع ، ونهض محمد بن يحيى هذا فأخذ كفنه معه وخرج من القبر وقصد منزله فوجد أهله يبكون عليه ، فدق عليهم الباب فقالوا : من هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقالوا : ياهذا لايحل لك أن تزيدنا حزنا إلى حزننا . فقال : افتحو والله أنا فلان ، فعرفوا صوته فلما رأوه فرحوا به فرحا شديداً وأبدل الله حزنهم سروراً . ثم ذكر لهم ما كان من أمره وأمر النباش . وكأنه قد أصابته سكتة ولم يكن قد مات حقيقة فقدر الله بحوله وقوته أن بعث له هذا النباش ففتح عليه قبره ، فكان ذلك سبب حياته ، فعاش بعد ذلك عدة سنين ، ثم كانت وفاته فى هذه السنة .

﴿ فاطمة القهرمانة ﴾

غضب عليها المقتدر مرة فصادرها ، وكان فى جملة ما أخذ منها مائتى ألف دينار ثم غرقت فى طيارة لها فى هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلثمائة من الهجرة النبوية ﴾

فيها كثر ماء دجلة وتراكمت الأمطار ببغداد ، وتناثرت نجوم كثيرة فى ليلة الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة . وفيها كثرت الأمراض ببغداد والأسقام وكلبت الكلاب حتى الذئاب بالبادية . وكانت تقصد الناس بالنهار فمن عضته أكلبته . وفيها انحسر جبل بالدينور يعرف بالتل فخرج من تحته ماء عظيم غرّق عدة من القرى . وفيها سقطت شرذمة ـ أى قطعة ـ من جبل لبنان إلى البحر . وفيها حملت بغلة ووضعت مهرة ، وفيها صلب الحسين بن منصور الحلاج وهو حى أربعة أيام ، يومين فى الجانب الشرقى ، ويومين فى الجانب الغربى ، وذلك فى ربيع الأول منها . وحج بالناس أمير الحجيج المتقدم ذكره فى السنين قبلها وهو الفضل بن عبد الملك الهاشمى العباسى أثابه الله وتقبل منه .

وفيها توفى من الأعيان .

﴿ الأحوص بن الفضل ﴾

ابن معاوية بن خالد بن غسان أبو أمية الغلابى القاضى بالبصرة وغيرها ، روى عن أبيه التاريخ ، استتر مرة عنده ابن الفرات فلما أعيد إلى الوزارة ولاه قضاء البصرة والأهواز وواسط . وكان عفيفا نزهاً ، فلما نكب ابن الفرات قبض عليه نائب البصرة فأودعه السجن فلم يزل به حتى مات فيه فيها . قال ابن الجوزى : ولانعلم قاضياً مات فى السجن سواه .

﴿ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ﴾

ابن الحسين بن مصعب أبو أحمد الخزاعى ، ولى إمرة بغداد . وحدث عن الزبير بن بكار وعنه الصولى والطبرانى ، وكان أديبا فاضلا ، ومن شعره :

حق التنائى بين أهل الهوى * تكاتب يسخن عين النوى

وفى التدانى لا أنقضى عمره * تزاور يشفى غليل الجوى

واتفق له مرة أن جارية له مرضت فاشتهت ثلجاً ، وكانت حظية عنده ، فلم يوجد الثلج إلا عند رجل ، فساومه وكيله على رطل منه فامتنع من بيعه إلا كل رطل بالعراقى بخمسة آلاف درهم ـ وذلك لعلم صاحب الثلج بحاجتهم إليه ـ فرجع الوكيل ليشاوره فقال : ويحك ! اشتره ولو بما عساه أن يكون ، فرجع إلى صاحب الثلج فقال : لا أبيعه إلا بعشرة آلاف . فاشتراه . بعشرة آلاف ثم اشتهت الجارية ثلجاً أيضاً ـ وذلك لموافقته لها ـ فرجع فاشترى منه رطلا آخر بعشرة آلاف . ثم آخر بعشرة آلاف وبقى عنـد صاحب الثلج رطلان فنطقت نفسه إلى أكل رطل منـه ليقول : أكلت رطلا من الثلج بعشرة آلاف ، فأكله وبقى عنده رطل فجاءه الوكيل فامتنع أن يبيعه الرطل إلا بثلاثين ألفا فاشتراه منـه فشفيت الجارية وتصدقت بمال جزيل فاستدعى سيدها صاحب الثلج فأعطاه من تلك الصدقة مالا جزيلا فصار من أكثر الناس مالا بعد ذلك ، واستخدمه ابن طاهر عنده والله أعلم] [1] .

[وممن توفى فى حدود الثلثمائة من الهجرة .

﴿ الصنوبرى الشاعر ﴾

وهو محمد بن أحمد بن محمد بن مراد أبو بكر الضبى الصنوبرى الحنبلى . قال الحافظ ابن عساكر : كان شاعراً محسنا . وقد حكى عن على بن سليمان الأخفش ، ثم ذكر أشياء من لطائف شعره فمن ذلك قوله :

لا النوم أدرى به ولا الأرق * يدرى بهذين من به رمق

إن دموعى من طول ما استبقت * كلّت فما تستطيع تستبق

ولى مَلك لم تبد صورته * مذ كان إلا صلّت له الحدق

نويت تقبيل نار وجنته * وخفت أدنو منها فأحترق

وله أيضاً : شمس غدا يشبه شمساً غدت * وخدها فى النور من خده

تغيب فى فيه ولكنها * من بعد ذا تطلع فى خده

(١) سقط من المصرية .

وقد روى الحافظ البيهقى عن شيخه الحاكم عن أبى الفضل نصر بن محمد الطوسى قال : أنشدنا أبو بكر الصنوبرى فقال :

هدم الشيب ما بناه الشباب * والغوانى ما عصين خضاب
قلب الآبنوس عاجاً * فللأعين منه والقلوب انقلاب
وضلال فى الرأى أن يشنأ الـ * بازى على حسنه ويهوى الغراب

وله أيضاً وقد أورده ابن عساكر فى ابن له فطم فجعل يبكى على ثديه :

منعوه أحب شئ إليه * من جميع الورى ومن والديه
منعوه غذاه ولقد كان * مباحاً له وبين يديه
عجباً له على صغر السن * هوى فاهتدى الفراق إليه

﴿ إبراهيم بن أحمد بن محمد ﴾

ابن المولد ، أبو إسحاق الصوفى الواعظ الرقى أحد مشايخها ، روى الحديث وصحب أبا عبد الله ابن الجلاء الدمشقى ، والجنيد وغير واحد . وروى عنه تمام بن محمد وأبو عبد الرحمن السلمى . وقد أورد ابن عساكر من شعره قوله :

لك منى على البعاد نصيب * لم ينله على الدنو حبيب
وعلى الطرف من سواك حجاب * وعلى القلب من هواك رقيب
زين فى ناظرى هواك وقلبى * والهوى فيه رائع ومشوب
كيف يغنى قرب الطبيب عليلا * أنت أسقمته وأنت الطبيب

وقوله :

الصمت آمن من كل نازلة * من ناله نال أفضل الغنم
ما نزلت بالرجال نازلة * أعظم ضراً من لفظة نعم
عثرة هذا اللسان مهلكة * ليست لدينا كعثرة القدم
احفظ لسانا يلقيك فى تلف * فرب قول أذل ذا كرم] [1]

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلثمائة ﴾

فيها غزا الحسين بن حمدان الصائفة ففتح حصوناً كثيرة من بلاد الروم وقتل منها أمماً لا يحصون كثرة . وفيها عزل المقتدر محمد بن عبد الله عن وزارته وقلدها عيسى بن على وكان من خيار الوزراء وأقصدهم للعدل والاحسان ، واتباع الحق . وفيها كثرت الأمراض الدموية ببغداد فى تموز وآب ، فمات من ذلك خلق كثير من أهلها . وفيها وصلت هدايا صاحب عمان ومن جملتها بغلة بيضاء

(١) زيادة من المصرية .

وغزال أسود . وفى شعبان منها ركب المقتدر إلى باب الشماسية على الخيل ثم انحدر إلى داره فى دجلة - وكانت أول ركبة ركبها جهرة للعامة - وفيها استأذن الوزير على بن عيسى الخليفة المقتدر فى مكاتبة رأس القرامطة أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى فأذن له ، فكتب كتابا طويلا يدعوه فيه إلى السمع والطاعة ، ويوبخه على مايتعاطاه من ترك الصلاة والزكاة وارتكاب المنكرات ، وإنكارهم على من يذكر الله ويسبحه ويحمده ، واستهزائهم بالدين واسترقاقهم الحرائر ، ثم توعده بالحرب وتهدده بالقتل ، فلما سار بالكتاب نحوه قتل أبو سعيد قبل أن يصله ، قتله بعض خدمه ، وعهد بالأمر من بعده لولده سعيد ، فغلبه على ذلك أخوه أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد ، فلما قرأ كتاب الوزير أجابه بما حاصله : إن هذا الذى تنسب إلينا مما ذكرتم لم يثبت عندكم إلا من طريق من يشنع علينا ، وإذا كان الخليفة ينسبنا إلى الكفر بالله فكيف يدعونا إلى السمع والطاعة له ؟ وفيها جىء بالحسين بن منصور الحلاج إلى بغداد وهو مشهور على جمل وغلام له راكب جملا آخر ، ينادى عليه : أحد دعاة القرامطة فاعرفوه ، ثم حبس ثم جىء به إلى مجلس الوزير فناظره فاذا هو لايقرأ القرآن ولا يعرف فى الحديث ولا الفقه شيئاً ، ولا فى اللغة ولا فى الأخبار ولا فى الشعر شيئاً ، وكان الذى نقم عليه : أنه وجدت له رقاع يدعو فيها الناس إلى الضلالة والجهالة بأنواع من الرموز ، يقول فى مكاتباته كثيراً : تبارك ذو النور الشعشعانى . فقال له الوزير : تعلمك الطهور والفروض أجدى عليك من رسائل لا تدرى ما تقول فيها ، وما أحوجك إلى الأدب . ثم أمر به فصلب حياً صلب الاشتهار لا القتل ، ثم أنزل فأجلس فى دار الخلافة ، فجعل يظهر لهم أنه على السنة ، وأنه زاهد ، حتى اغتر به كثير من الخدام وغيرهم من أهل دار الخلافة من الجهلة ، حتى صاروا يتبركون به ويتمسحون بثيابه . وسيأتى ما صار إليه أمره حين قتل باجماع الفقهاء وأكثر الصوفية . ووقع فى هذه السنة فى آخرها ببغداد وباء شديد جداً مات بسببه بشر كثير ، ولا سيما بالحربية غلقت عامة دورها . وحج بالناس فيها الأمير المتقدم ذكره . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ إبراهيم بن خالد الشافعى ﴾ جمع العلم والزهد ، وهو من تلاميذ أبى بكر الاسماعيلى .

﴿ جعفر بن محمد ﴾

ابن الحسين بن المستفاض أبو بكر الفريابى قاضى الدينور ، طاف البلاد فى طلب العلم ، وسمع الكثير من المشايخ الكثيرين ، مثل قتيبة وأبى كريب وعلى بن المدينى ، وعنه أبو الحسين بن المنادى والنجاد وأبو بكر الشافعى وخلق ، واستوطن بغداد وكان ثقة حافظاً حجة ، وكان عدة من يحضر مجلسه نحوا من ثلاثين ألفا ، والمستملون عليه منهم فوق الثلاثمائة ، وأصحاب المحابر نحواً من عشرة آلاف . توفى فى المحرم منها عن أربع وتسعين سنة ، وكان قد حفر لنفسه قبراً قبل وفاته

بخمس سنين ، وكان يأتيه فيقف عنده . ثم لم يقض له الدفن فيه بل دفن بمكان آخر . رحمه الله حيث كان .

﴿ أبو سعيد الجنابى القرمطى ﴾

وهو الحسن بن بهرام قبحه الله رأس القرامطة ، والذى يعول عليه فى بلاد البحرين وما والاها

﴿على بن أحمد الراسبى ﴾ كان يلى بلاد واسط إلى شهر زور وغير ذلك ، وقد خلف من الأموال شيئاً كثيراً ، فمن ذلك ألف ألف دينار ، ومن آنية الذهب والفضة نحو مائة ألف دينار ، ومن البقر ألف ثور ، ومن الخيل والبغال والجمال ألف رأس .

﴿ محمد بن عبد الله بن على بن محمد بن أبى الشوارب ﴾

يعرف بالأحنف . كان قد ولى قضاء مدينة المنصور نيابة عن أبيه حين فلج ، مات فى جمادى الأولى منها . وتوفى أبوه فى رجب منها ، بينهما ثلاثة وسبعون يوماً ، ودفنا فى موضع واحد .

وأبو بكر محمد بن هارون البردعى الحافظ بن ناجية والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثمائة ﴾

فيها ورد كتاب مؤنس الخادم بأنه قد أوقع بالروم بأسا شديداً ، وقد أسر منهم مائة وخمسين بطريقا ـ أى أميراً ـ ففرح المسلمون بذلك . وفيها ختن المقتدر خمسة من أولاده فغرم على ختانهم ستمائة ألف دينار ، وقد ختن قبلهم ومعهم خلقا من اليتامى وأحسن إليهم بالمال والكساوى ، وهذا صنيع حسن إن شاء الله . وفيها صادر المقتدر أبا على بن الجصاص بستة عشر ألف ألف دينار غير الآنية والثياب الثمينة . وفيها أدخل الخليفة أولاده إلى المكتب وكان يوماً مشهوداً . وفيها بنى الوزير المارستان بالحربية من بغداد ، وأنفق عليه أموالا جزيلة ، جزاه الله خيراً . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمى . وقطعت الأعراب وطائفة من القرامطة الطريقين على الراجعين من الحجيج ، وأخذوا منهم أموالا كثيرة ، وقتلوا منهم خلقا وأسروا أكثر من مائتى امرأة حرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها توفى من الأعيان .

﴿ بشر بن نصر بن منصور ﴾

أبو القاسم الفقيه الشافعى ، من أهل مصر يعرف بغلام عرَق ، وعرق خادم من خدام السلطان كان يلى البريد ، فقدم معه بهذا الرجل مصر فأقام بها حتى مات بها .

بدعة جارية غريب المغنية ، بذل لسيدتها فيها مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار من بعض من رغب فيها من الخلفاء فعرض ذلك عليها فكرهت مفارقة سيدتها ، فأعتقتها سيدتها فى موتها ، وتأخرت وفاتها إلى هذه السنة ، وقد تركت من المال العين والأملاك مالم يملكه رجل .

﴿ القاضى أبو زرعة محمد بن عثمان الشافعى ﴾

قاضى مصر ثم دمشق ، وهو أول من حكم بمذهب الشافعى بالشام وأشاعه بها ، وقد كان أهل

الشام عـلى مذهب الأوزاعى من حين مات إلى هـذه السنة . وثبت على مذهب الأوزاعى بقايا كثيرون لم يفارقوه ، وكان ثقة عدلا من سادات القضاة ، وكان أصله من أهل الكتاب من اليهود ، ثم أسلم وصار إلى ما صار إليه . وقد ذكرنا ترجمته فى طبقات الشافعية .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة ﴾

فيها وقف المقتـدر بالله أموالا جزيلة وضياعا عـلى الحرمين الشريفين ، واستـدعى بالقضاة والأعيان ، وأشهدهم على نفسه بما وقفه من ذلك . وفيها قدم إليه بجماعة من الأسارى من الأعراب الذين كانوا قد اعتدوا على الحجيج ، فلم يتمالك العامة أن اعتدوا عليهم فقتلوهم ، فأخذ بعضهم فعوقب لكونه افتات على السلطان . وفيها وقع حريق شديد فى سوق النجارين ببغداد فأحرق السوق بكماله ، وفى ذى الحجة منها مرض المقتدر ثلاثة عشر يوماً ، ولم يمرض فى خلافته مع طولها إلا هـذه المرضة . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمى ، ولما خاف الوزير على الحجاج القرامطة كتب إليهم رسالة ليشغلهم بها ، فاتهمه بعض الكتاب بمراسلته القرامطة ، فلما انكشف أمره وما قصده حظى بذلك عند الناس جداً . وممن توفى من الأعيان .

﴿ النسائى أحمد بن على ﴾

ابن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار ، أبو عبد الرحمن النسائى صاحب السنن ، الامام فى عصره والمقـدم على أضرابه وأشكاله وفضلاء دهره ، رحل إلى الآفاق ، واشتغل بسماع الحـديث والاجتماع بالأئمة الحذاق ، ومشايخه الذين روى عنهم مشافهة . قد ذكرناهم فى كتابنا التكميل وترجمناه أيضاً هنالك ، وروى عنه خلق كثير ، وقـد جمع السنن الكبير ، وانتخب منه ما هو أقل حجماً منه بمرات . وقد وقع لى سماعهما . وقد أبان فى تصنيفه عن حفظ وإتقان وصدق وإيمان وعلم وعرفان . قال الحاكم عن الدارقطنى : أبو عبد الرحمن النسائى مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره ، وكان يسمى كتابه الصحيح . وقال أبو على الحافظ : للنسائى شرط فى الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج ، وكان من أئمة المسلمين . وقال أيضا : هو الامام فى الحديث بلا مدافعة . وقال أبو الحسين محمـد بن مظفر الحافظ : سمعت مشايخنا بمصر يعترفون له بالتقدم والامامة ، ويصفون من اجتهاده فى العبادة بالليل والنهار ومواظبته على الحج والجهاد . وقال غيره : كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وكان له أربع زوجات وسريتان ، وكان كثير الجماع ، حسن الوجه مشرق اللون . قالوا : وكان يقسم للاماء كما يقسم للحرائر . وقال الدارقطنى : كان أبو بكر بن الحداد كثير الحديث ولم يرو عن أحد سوى النسائى وقال : رضيت به حجة فيما بينى وبين الله عز وجل . وقال ابن يونس : كان النسائى إماما فى الحديث ثقة ثبتا حافظا ، كان خروجه من مصر فى سنة ثنتين وثلاثمائة . وقال ابن عدى : سمعت منصوراً الفقيه وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى يقولان : أبو عبد الرحمن النسائى إمام من أئمة المسلمين ، وكذلك

أثنى عليه غير واحد من الأئمة وشهدوا له بالفضل والتقدم فى هذا الشأن . وقد ولى الحكم بمدينة حمص . سمعته من شيخنا المزى عن رواية الطبرانى فى معجمه الأوسط حيث قال : حدثنا أحمد بن شعيب الحاكم بحمص . وذكروا أنه كان له من النساء أربع نسوة ، وكان فى غاية الحسن ، وجهه كأنه قنديل ، وكان يأكل فى كل يوم ديكا ويشرب عليه نقيع الزبيب الحلال ، وقد قيل عنه : إنه كان ينسب إليه شئ من التشيع . قالوا : ودخل إلى دمشق فسأله أهلها أن يحدثهم بشئ من فضائل معاوية فقال : أما يكفى معاوية أن يذهب رأسا برأس حتى يروى له فضائل ؟ فقاموا إليه فجعلوا يطعنون فى خصيتيه حتى أخرج من المسجد الجامع ، فسار من عندهم إلى مكة فمات بها فى هذه السنة ، وقبره بها هكذا حكاه الحاكم عن محمد بن إسحاق الأصبهانى عن مشايخه . وقال الدارقطنى : كان أفقه مشايخ مصر فى عصره ، وأعرفهم بالصحيح من السقيم من الآثار ، وأعرفهم بالرجال ، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرملة فسئل عن فضائل معاوية فأمسك عنه فضربوه فى الجامع ، فقال : أخرجونى إلى مكة ، فأخرجوه وهو عليل ، فتوفى بمكة مقتولا شهيداً ، مع ما رزق من الفضائل رزق الشهادة فى آخر عمره ، مات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة . قال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغنى بن نقطة فى تقييده ومن خطه نقلت ومن خط أبى عامر محمد بن سعدون العبدرى الحافظ : مات أبو عبد الرحمن النسائى بالرملة مدينة فلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة ، ودفن ببيت المقدس . وحكى ابن خلكان أنه توفى فى شعبان من هذه السنة ، وأنه إنما صنف الخصائص فى فضل على وأهل البيت ، لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها فى سنة ثلتين وثلاثمائة عندهم نفرة من على ، وسألوه عن معاوية فقال ما قال ، فدققوه فى خصيتيه فمات . وهكذا ذكر ابن يونس وأبو جعفر الطحاوى : إنه توفى بفلسطين فى صفر من هذه السنة ، وكان مولده فى سنة خمس عشرة أو أربع عشرة ومائتين تقريبا عن قوله ، فكان عمره ثمانيا وثمانين سنة .

﴿ الحسن بن سفيان ﴾

ابن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء ، أبو العباس الشيبانى النسوى ، محدث خراسان ، وقد كان يضرب إليه آباط الابل فى معرفة الحديث والفقه . رحل إلى الآفاق وتفقه على أبى ثور ، وكان يفتى بمذهبه ، وأخذ الأدب عن أصحاب النضر بن شميل ، وكانت إليه الرحلة بخراسان . ومن غريب ما اتفق له : أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصر فى رحلتهم إلى الحديث ، فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئا ، ولا يجدون ما يبيعونه للقوت ، واضطرهم الحال إلى تجشم السؤال ، وأنفت أنفسهم من ذلك وعزت عليهم وامتنعت كل الامتناع ، والحاجة تضطرهم إلى تعاطى ذلك ، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يقوم بأعباء هذا الأمر ، فوقعت القرعة على الحسن بن سفيان هذا ،

فقام عنهم فاختلى فى زاوية المسجد الذى هم فيه فصلى ركعتين أطال فيهما واستغاث بالله عز وجل ، وسأله بأسمائه العظام ، فما انصرف من الصلاة حتى دخل عليهم المسجد شاب حسن الهيئة مليح الوجه فقال : أين الحسن بن سفيان ؟ فقلت : أنا . فقال : الأمير طولون يقرأ عليكم السلام و يعتذر إليكم فى تقصيره عنكم ، وهذه مائة دينار لكل واحد منكم . فقلنا له : ما الحامل له على ذلك ؟ فقال : إنه أحب أن يختلى اليوم بنفسه ، فبينا هو الآن نائم إذ جاءه فارس فى الهواء بيده رمح فدخل عليه منزله ووضع عقب الرمح فى خاصرته فوكزه وقال : قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه ، قم فأدركهم ، قم فأدركهم ، فإنهم منذ ثلاث جياع فى المسجد الفلانى . فقال له : من أنت ؟ فقال أنا رضوان خازن الجنة . فاستيقظ الأمير وخاصرته تؤلمه ألما شديداً ، فبعث بالنفقة فى الحال إليكم . ثم جاء لزيارتهم واشترى ما حول ذلك المجلس ووقفه على الواردين عليه من أهل الحديث ، جزاه الله خيراً . وقد كان الحسن بن سفيان رحمه الله من أئمة هذا الشأن وفرسانه وحفاظه ، وقد اجتمع عنده جماعة من الحفاظ منهم ابن جرير الطبرى وغيره ، فقرؤا عليه شيئاً من الحديث وجعلوا يقلبون الأسانيد ليستعلموا ما عنده من العلم فما قلبوا شيئا من الاسناد إلا ردهم فيه إلى الصواب ، وعمره إذ ذاك سبعون سنة ، وهو فى هذا السن حافظ ضابط لا يشذ عنه شئ من حديثه . ومن فوائده : العبسى كوفى ، والعيشى بصرى ، والعنسى مصرى .

﴿ رويم بن أحمد ﴾

و يقال ابن محمد بن رويم بن يزيد ، أبو الحسن ، و يقال أبو محمد ، أحد أئمة الصوفية ، كان عالما بالقرآن ومعانيه ، وكان يتفقه على مذهب داود بن على الظاهرى ، قال بعضهم : كان رويم يكتم حب الدنيا أربعين سنة ، ومعناه أنه تصوف أربعين سنة ، ثم لما ولى إسماعيل بن إسحاق القضاء ببغداد جعله وكيلا فى بابه ، فترك التصوف ولبس الخز والقصب والديبقى وركب الخيل وأكل الطيبات وبنى الدور .

﴿ زهير بن صالح بن الامام أحمد بن حنبل ﴾

روى عن أبيه وعنه أبو بكر أحمد بن سليمان النجاد ، كان ثقة ، مات وهو شاب ، قاله الدارقطنى .

﴿ أبو على الجبائى ﴾ شيخ المعتزلة ، واسمه محمد بن عبد الوهاب أبو على الجبائى شيخ طائفة الاعتزال فى زمانه ، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعرى ثم رجع عنه . وللجبائى تفسير حافل مطول ، له فيه اختيارات غريبة فى التفسير ، وقد رد عليه الأشعرى فيه وقال : وكأن القرآن نزل فى لغة أهل جبّاء . كان مولده فى سنة خمس وثلاثين ومائتين ، ومات فى هذه السنة .

﴿ أبو الحسن بن بسام الشاعر ﴾

واسمه على بن أحمد بن منصور بن نصر بن بسام البسامى الشاعر المطبق للهجاء ، فلم يترك أحداً حتى هجاه ، حتى أباه وأمه أمامة بنت حمدون النديم . وقد أورد له ابن خلكان أشياء كثيرة من

شعره ، فمن ذلك قوله فى تخريب المتوكل قبر الحسن بن علي وأمره بأن يزرع و يمحى رسمه ، وكان شديد التحامل على علي وولده . فلما وقع ما ذكرناه فى سنة ست وثلاثين ومائتين . قال ابن بسام هذا فى ذلك : ـ .

تالله إن كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله * هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا * فى قتله فتتبعوه رميا

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة ﴾

فيها عزل المقتدر وزيره أبا الحسن على بن عيسى بن الجراح ، وذلك لأنه وقعت بينه و بين أم موسى القهرمانة نفرة شديدة ، فسأل الوزير أن يعفى من الوزارة فعزل ولم يتعرضوا لشئ من أملاكه . وطلب أبو الحسن بن الفرات فأعيد إلى الوزارة بعد عزله عنها خمس سنين ، وخلع عليه الخليفة يوم التروية سبع خلع ، وأطلق إليه ثلاثمائة ألف درهم ، وعشرة تخوت ثياب ، ومن الخيل والبغال والجمال شئ كثير ، وأقطع الدار التى بالحريم فسكنها ، وعمل فيها ضيافة تلك الليلة فسقى فيها أربعين ألف رطل من الثلج ، وفى نصف هذه السنة اشتهر ببغداد أن حيوانا يقال له الزرنب يطوف بالليل يأكل الأطفال من الأسرة و يعدو على النيام فربما قطع يد الرجل وثدى المرأة وهو نائم . فجعل الناس يضربون على أسطحتهم على النحاس من الهواوين وغيرها ينفرونه عنهم ، حتى كانت بغداد بالليل ترتج من شرقها وغربها ، واصطنع الناس لأولادهم مكبات من السعف وغيرها ، واغتنمت اللصوص هذه الشوشة فكثرت النقوب وأخذت الأموال ، فأمر الخليفة بأن يؤخذ حيوان من كلاب الماء فيصلب على الجسر ليسكن الناس عن ذلك ، ففعلوا فسكن الناس و رجعوا إلى أنفسهم ، واستراح الناس من ذلك . وفيها قلد ثابت بن سنان الطبيب أمر المارستان ببغداد فى هذه السنة ، وكانت خمساً ، وكان هذا الطبيب مؤرخا . وفيها ورد كتاب من خراسان بأنهم وجدوا قبور شهداء قد قتلوا فى سنة سبعين من الهجرة مكتوبة أسماؤهم فى رقاع مربوطة فى آذانهم ، وأجسادهم طرية كما هى ، رضى الله عنهم .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ لبيد بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن صالح ﴾

ابن عبد الله بن الحصين بن علقمة بن نعيم بن عطارد بن حاجب ، أبو الحسن التميمى الملقب فروجة ، قدم بغداد وحدث بها ، وكان ثقة حافظا .

﴿ يوسف بن الحسين بن علي ﴾

أبو يعقوب الرازى ، سمع أحمد بن حنبل وصحب ذا النون ، وكان قد بلغه أن ذا النون يحفظ

اسم الله الأعظم فقصده ليعلمه إياه ، قال : فلما وردت عليه استهان بى وكانت لى لحية طويلة ومعى ركوة طويلة . فجاء رجل يوماً فناظر ذا النون فأسكت ذا النون ، فقلت له : دع الشيخ وأقبل على . فأقبل فناظرته فأسكته ، فقام ذو النون فجلس بين يدى وهو شيخ وأنا شاب ، ثم اعتذر إلى . فخدمته سنة ثم سألته أن يعلمنى الاسم الأعظم ، فلم يبعد منى ووعدنى ، فمكثت عنده بعد ذلك ستة أشهر ، ثم أخرج إلى طبقا عليه مكبة مستوراً بمنديل ، فقال لى : اذهب بهذا الطبق إلى صاحبنا فلان . قال : فجعلت أفكر فى الطريق ما هذا الذى أرسلنى به ؟ فلما وصلت الجسر فتحته فاذا فأرة ففرت وذهبت ، فاغتظت غيظا شديداً ، وقلت : ذو النون سخر بى ، فرجعت إليه وأنا حنق فقال لى : ويحك إنما اختبرتك ، فاذا لم تكن أمينا على فأرة فأن لا تكون أمينا على الأسم الأعظم بطريق الأولى ، اذهب عنى فلا أراك بعدها . وقد رؤى أبو الحسين الرازى هذا فى المنام بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفرلى بقولى عند الموت : اللهم إنى نصحت الناس قولا وخنت نفسى فعلا ، فهب خيانة فعلى لنصح قولى.

﴿ يموت بن المزرع بن يموت ﴾

أبو بكر العبدى من عبد القيس ، وهو ثورى ، وهو ابن أخت الجاحظ . قدم بغداد وحدث بها عن أبى عثمان المازنى وأبى حاتم السجستانى ، وأبى الفضل الرياشى ، وكان صاحب أخبار وآداب وملح وقد غير اسمه بمحمد فلم يغلب عليه إلا الأول ، وكان إذا ذهب يعود مريضاً فدق الباب فقالوا : من ؟ فيقول ابن المزرع ولا يذكر اسمه لئلا يتفاءلوا به .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة ﴾

فيها قدم رسول ملك الروم فى طلب المفاداة والهدنة ، وهو شاب حدث السن ، ومعه شيخ منهم وعشرون غلاماً ، فلما قدم بغداد شاهد أمراً عظيما جداً ، وذلك أن الخليفة أمر الجيش والناس بالاحتفال بذلك ليشاهد ما فيه إرهاب الأعداء ، فركب الجيش بكماله وكان مائة ألف وستين ألفا ، ما بين فارس وراجل ، غير العساكر الخارجة فى سائر البلاد مع نوابها ، فركبوا فى الأسلحة والعدد التامة ، وغلمان الخليفة سبعة آلاف ، أربعة آلاف بيض ، وثلاثة آلاف سود ، وهم فى غاية الملابس والعدد والحلى ، والحجبة يومئذ سبعمائة حاجب ، وأما الطيارات التى بدجلة والزيارب والسمريات فشئ كثير مزينة ، فحين دخل الرسول دار الخلافة انبهر وشاهد أمراً أدهشه ، ورأى من الحشمة والزينة والحرمة ما يبهر الأبصار ، وحين اجتاز بالحاجب ظن أنه الخليفة فقيل له : هذا الحاجب ، فمر بالوزير فى أبهته فظنه الخليفة فقيل له : هذا الوزير . وقد زينت دار الخلافة بزينة لم يسمع بمثلها ، كان فيها من الستور يومئذ ثمانية وثلاثون ألف ستر ، منها عشرة آلاف وخمسمائة ستر مذهبة ، وقد بسط فيها اثنان وعشرون ألف بساط لم ير مثلها ، وفيها من الوحوش قطعان متآنسة بالناس ، تأكل من أيديهم

ومائة سبع مع السباعة ، ثم أدخل إلى دار الشجرة ، وهى عبارة عن بركة فيها ماء صاف وفى وسط ذلك الماء شجرة من ذهب وفضة لها ثمانية عشر غصناً أكثرها من ذهب ، وفى الأغصان الشماريخ والأوراق الملونة من الذهب والفضة واللآلى واليواقيت ، وهى تصوت بأنواع الأصوات من الماء المساط عليها ، والشجرة بكمالها تمايل كما تمايل الأشجار بحركات عجيبة تدهش من يراها ، ثم أدخل إلى مكان يسمونه الفردوس ، فيه من أنواع المفارش والآلات مالا يحد ولا يوصف كثرة وحسنا . وفى دهاليزه ثمانية عشر ألف جوشن مذهبة . فما زال كلما مر على مكان أدهشه وأخذ ببصره حتى انتهى إلى المكان الذى فيه الخليفة المقتدر بالله ، وهو جالس على سرير من آبنوس ، قد فرش بالديبقى المطرز بالذهب ، وعن يمين السرير سبعة عشر عنقود معلقة ، وعن يساره مثلها وهى جوهر من أفخر الجواهر ، كل جوهرة يعلو ضوؤها على ضوء النهار ، ليس لواحدة منها قيمة ولا يستطاع ثمنها ، فأوقف الرسول والذين معه بين يدى الخليفة على نحو من مائة ذراع ، والوزير على بن محمد بن الفرات واقف بين يدى الخليفة ، والترجمان دون الوزير ، والوزير يخاطب الترجمان والترجمان يخاطبهما ، فلما فرغ منهما خلع عليهما وأطلق لهما خمسين سقرقا فى كل سقرق خمسة آلاف درهم ، وأخرجا من بين يديه وطيف بهما فى بقية دار الخلافة ، وعلى حافات دجلة الفيلة والزرافات والسباع والفهود وغير ذلك ، ودجلة داخله فى دار الخلافة ، وهذا من أغرب ما وقع من الحوادث فى هذه السنة . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمى .

وفيها توفى من الأعيان ﴿محمد بن أحمد أبو موسى﴾ النحوى الكوفى المعروف بالحامض ، صحب ثعلبا أربعين سنة وخلفه فى حلقته ، وصنف غريب الحديث ، وخلق الانسان ، والوحوش والنبات ، وكان دينا صالحا ، روى عنه أبو عمر الزاهد . توفى ببغداد فى ذى الحجة منها ، ودفن بباب التين .

وعبد الله بشرويه الحافظ ، وعمران بن مجاشع ، وأبو خليفة الفضل بن الحباب . وقاسم بن زكريا ابن يحيى المطرز المقرى أحد الثقات الأثبات ، سمع أبا كريب ، وسويد بن سعيد ، وعنه الخلدى وأبو الجعانى توفى ببغداد .

﴿ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة﴾

فى أول يوم من المحرم فتح المارستان الذى بنته السيدة أم المقتدر وجلس فيه سنان بن ثابت ورتبت فيه الأطباء والخدم والقومة ، وكانت نفقته فى كل شهر ستمائة دينار ، وأشار سنان على الخليفة ببناء مارستان ، فقبل منه وبناه وسماه المقتدرى . وفيها وردت الأخبار عن أمراء الصوائف بما فتح الله عليهم من الحصون فى بلاد الروم . وفيها رجفت العامة وشنعوا بموت المقتدر ، فركب فى الجحافل حتى بلغ الثريا ورجع من باب العامة ووقف كثيراً ليراه الناس ، ثم ركب إلى الشماسية وانحدر إلى دار الخلافة فى دجلة فسكنت الفتن . وفيها قلد المقتدر حامد بن العباس الوزارة وخلع عليه وخرج من

عنده وخلفه أربعمائة غلام لنفسه ، فمكث أياماً ثم تبين عجزه عن القيام بالأمور فأضيف إليه على بن عيسى لينفذ الأمور وينظر معه فى الأعمال ، وكان أبو على بن مقلة ممن يكتب أيضاً بحضرة حامد ابن العباس الوزير ، ثم صارت المنزلة كلها لعلى بن عيسى ، واستقل بالوزارة فى السنة الآتية . وفيها أمرت السيدة أم المقتدر قهرمانة لها تعرف بثملى أن تجلس بالتربة التى بنتها بالرصافة فى كل يوم جمعة وأن تنظر فى المظالم التى ترفع إليها فى القصص ، ويحضر فى مجلسها القضاة والفقهاء . وحج بالناس فيها الفضل الهاشمى .

وفيها توفى . ﴿ إبراهيم بن أحمد بن الحارث ﴾ أبو القاسم الكلابى الشافعى ، سمع الحارث بن مسكين وغيره ، وكان رجلا صالحا ، تفقه على مذهب الشافعى وكان يحب الخلوة والانقباض ، توفى فى شعبان منها . أحمد بن الحسن الصوفى أحد مشايخ الحديث المكثرين المعمرين .

﴿ أحمد بن عمر بن سريج ﴾

أبو العباس القاضى بشيراز ، صنف نحو أربعمائة مصنف ، وكان أحد أئمة الشافعية ، ويلقب بالباز الأشهب ، أخذ الفقه عن أبى قاسم الأنماطى وعن أصحاب الشافعى ، كالمزنى وغيره ، وعنه انتشر مذهب الشافعى فى الآفاق ، وقد ذكرنا ترجمته فى الطبقات . توفى فى جمادى الأولى منها عن سبع وخمسين سنة وستة أشهر . قال ابن خلكان : توفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول وعمره سبع وخمسون سنة وثلاثة أشهر ، وقبره يزار . ﴿ أحمد بن يحيى ﴾ أبو عبد الله الجلاد بغدادى ، سكن الشام وصحب أبا تراب النخشبى ، وذا النون المصرى ، روى أبو نعيم بسنده عنه قال : قلت لأبوى وأنا شاب : إنى أحب أن تهبانى لله عز وجل . فقالا : قد وهبناك لله . فغبت عنهما مدة طويلة ثم رجعت إلى بلدنا عشاء فى ليلة مطيرة ، فانتهيت إلى الباب فدفعته فقالا : من هذا ؟ فقلت : أنا ولدكما فلان ، فقالا : إنه قد كان لنا ولد ووهبناه لله عز وجل ، ونحن من العرب لا نرجع فيما وهبنا . ولم يفتحا لى الباب .

﴿ الحسن بن يوسف بن إسماعيل بن حماد بن زيد ﴾

القاضى أبو يعلى ، وهو أخو القاضى أبى عمر محمد بن يوسف ، كان إليه ولاية القضاء بالأردن .

﴿ عبد الله بن أحمد بن موسى بن زياد ﴾ أبو محمد الجواليقى القاضى ، المعروف بعبدان ، الأهوازى ، ولد سنة ست عشرة ومائتين ، كان أحد الحفاظ الأثبات ، يحفظ مائة ألف حديث ، جمع المشايخ والأبواب ، روى عن هدبة وكامل بن طلحة وغيرهم ، وعنه ابن صاعد والمحاملى وغيرهم .

﴿ محمد بن بابشاذ أبو عبيد الله البصرى ﴾ سكن بغداد وحدث بها عن عبيد الله بن معاذ العنبرى وبشر بن معاذ العقدى وغيرهما ، وفى حديثه غرائب ومناكير . توفى فى شوال منها .

﴿ محمد بن الحسين بن شهريار ﴾ أبو بكر القطان البلخي الأصل ، روى عن الفلاس و بشر بن معاذ . وعنه أبو بكر الشافعي ومحمد بن عمر بن الجعابي . كذبه ابن ناجية . وقال الدارقطني : ليس به بأس .

﴿ محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد ﴾ أبو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع ، كان عالما فاضلا عارفا بأيام الناس ، فقيها قارئا نحويا ، له مصنفات منها كتاب عدد آي القرآن . و لي القضاء بالأهواز . وحدث عن الحسن بن عرفة والزبير بن بكار وغيرهما ، وعنه أحمد بن كامل وأبو علي الصواف وغيرهما . ومن شعره الجيد :

إذا ما غدت طلابة العلم تبتغي * من العلم يوما ما يخلد في الكتب
غدوت بتشمير وجدٍّ عليهم * ومحبرتي أذني ودفترها قلبي

﴿ منصور بن إسماعيل بن عمر ﴾ أبو الحسن الفقير ، أحد أئمة الشافعية ، وله مصنفات في المذهب ، وله الشعر الحسن . قال ابن الجوزي : و يظهر في شعره التشيع ، وكان جنديا ثم كف بصره وسكن الرملة ، ثم قدم مصر ومات بها .

﴿ أبو نصر المحب ﴾ أحد مشايخ الصوفية ، كان له كرم وسخاء ومروءه ، ومر بسائل سأل وهو يقول : شفيعي إليكم رسول الله ﷺ ، فشق أبو نصر إزاره وأعطاه نصفه ، ثم مشى خطوتين ثم رجع إليه فاعطاه النصف الآخر وقال : هذا نذالة .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة ﴾

في صفر منها وقع حريق بالكرخ في الباقلانيين ، هلك فيه خلق كثير من الناس . وفي ربيع الآخر منها دخل بأسارى من الكرخ نحو مائة وخمسين أسيراً أنفذهم الأمير بدر الحمامي . وفي ذي القعدة منها انقض كوكب عظيم غالب الضوء وتقطع ثلاث قطع ، وسمع بعد انقضاضه صوت رعد شديد هائل من غير غيم . ذكره ابن الجوزي . وفيها دخلت القرامطة إلى البصرة فأكثروا فيها الفساد . وفيها عزل حامد بن العباس عن الوزارة وأعيد إليها أبو الحسن بن الفرات المرة الثالثة . وفيها كسرت العامة أبواب السجون فأخرجوا من كان بها وأدركت الشرطة من أخرجوا من السجن فلم يفتهم أحد منهم بل ردوا إلى السجون . وحج بالناس فيها أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانة وفيها توفي من الأعيان .

﴿ أحمد بن علي بن المثنى ﴾

أبو يعلى الموصلي صاحب المسند المشهور ، سمع الامام أحمد بن حنبل وطبقته ، وكان حافظاً خيراً حسن التصنيف عدلا فيما يرويه ، ضابطاً لما يحدث به .

﴿ إسحاق بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن سلمة ﴾ أبو يعقوب البزار الكوفي ، رحل إلى الشام ومصر ، وكتب الكثير وصنف المسند ، واستوطن بغداد ، وكان من الثقات ، روى عنه

ابن المظفر الحافظ ، قدم بغداد وروى عنه الطبرانى والأزدى وغيرهما من الحفاظ ، وكان ثقة حافظا عارفا . توفى بحلب فى هذه السنة .

﴿ زكريا بن يحيى الساجى ﴾ الفقيه المحدث شيخ أبى الحسن الأشعرى فى السنة والحديث .

﴿ على بن سهل بن الأزهر ﴾ أبو الحسن الأصبهانى ، كان أولا مترفا ثم صار زاهداً عابداً يبقى الايام لا يأكل فيها شيئا ، وكان يقول : ألهانى الشوق إلى الله عن الطعام والشراب . وكان يقول : أنا لا أموت كما يموتون بالاعلال والأسقام ، إنما هو دعاء وإجابة ، أدعى فأجيب . فكان كما قال ، بينما هو جالس فى جماعة إذ قال : لبيك ووقع ميتا .

محمد بن هارون الروياني صاحب المسند . وابن دريح العكبرى . والهيثم بن خلف .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثمائة ﴾

فيها غلت الأسعار فى هذه السنة ببغداد فاضطربت العامة وقصدوا دار حامد بن العباس الذى ضمن برائى من الخليفة فغلت الأسعار بسبب ذلك ، وعدوا فى ذلك اليوم ـ وكان يوم الجمعة ـ على الخطيب ، فمنعوه الخطبة وكسروا المنابر وقتلوا الشرط وحرقوا جسوراً كثيرة ، فأمر الخليفة بقتال العامة ثم نقض الضمان الذى كان حامد بن العباس ضمنه فانحطت الأسعار ، وبيع الكر بناقص خمسة دنانير ، فطابت أنفس الناس بذلك وسكنوا . وفى تموز منها وقع برد شديد جدا حتى نزل الناس عن الأسطحة وتدثروا باللحف والأكسية ، ووقع فى شتاء هذه السنة بلغم عظيم ، وكان فيها برد شديد جداً بحيث أضر ذلك ببعض النخيل . وحج بالناس فيها أحمد بن العباس أخو القهرمانة .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ إبراهيم بن سفيان الفقيه ﴾ راوى صحيح مسلم عنه .

﴿ أحمد بن الصلت ﴾ بن المغلس أبو العباس الحمانى أحد الوضاعين للأحاديث ، روى عن خاله جبارة بن المغلس وأبى نعيم ومسلم بن إبراهيم ، وأبى بكر بن أبى شيبة ، وأبى عبيد القاسم بن سلام وغيرهم : أحاديث كلها وضعها هو فى مناقب أبى حنيفة وغير ذلك . وحكى عن يحيى بن معين وعلى ابن المدينى وبشر بن الحارث أخباراً كلها كذب . قال أبو الفرج بن الجوزى : قال لى محمد بن أبى الفوارس : كان أحمد بن الصلت يضع الحديث .

إسحاق بن أحمد الخزاعى . والمفضل الجندى . وعبد الله بن محمد بن وهب الدينورى .

﴿ وعبد الله بن ثابت بن يعقوب ﴾ أبو عبد الله المقرى النحوى التوزى ، سكن بغداد ، وروى عن عمرو بن شبة ، وعنه أبو عمرو بن السماك . ومن شعره الجيد :

إذا لم تكن حافظا واعياً * فعلمك فى البيت لا ينفع
وتحضر بالجهل فى مجلس * وعلمك فى الكتب مستودع

ومن يك فى دهره هكذا * يكن دهره القهقرى يرجع

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثمائة ﴾

فيها وقع حريق كثير فى نواحي بغداد بسبب زنديق قتل فألقى من كان من جهته الحريق فى أماكن كثيرة ، فهلك بسبب ذلك خلق كثير من الناس . وفى جمادى الأولى منها قلد المقتدر مؤنس الخادم بلاد مصر والشام ولقبه المظفر . وأمر بكتب ذلك فى المراسلات إلى الآفاق . وفى ذى القعدة منها أحضر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى إلى دار الوزير عيسى بن على لمناظرة الحنابلة فى أشياء نقموها عليه ، فلم يحضروا ولا واحد منهم . وفيها قدم الوزير حامد بن العباس للخليفة بستانا بناه وسماه الناعورة قيمته مائة ألف دينار ، وفرش مساكنه بأنواع المفارش المفتخرة .

وفيها كان مقتل الحسين بن منصور الحلاج ، ولنذكر شيئا من ترجمته وسيرته ، وكيفية قتله على وجه الايجاز و بيان المقصود بطريق الانصاف والعدل ، من غير تحمل ولا هوى ولا جور .

﴿ وهذه نبذة من سيرته وأحواله وكشف سريرته وأقواله ﴾

ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه مالم يكن قاله ، أو نتحمل عليه فى أقواله وأفعاله ، فنقول : هو الحسين ابن منصور بن محمى الحلاج أبو مغيث ، و يقال أبو عبد الله ، كان جده مجوسياً اسمه محمى من أهل فارس من بلدة يقال لها البيضاء ، ونشأ بواسط ، و يقال بتستر ، ودخل بغداد وتردد إلى مكة وجاور بها فى وسط المسجد فى البرد والحر ، مكث على ذلك سنوات متفرقة ، وكان يصابر نفسه و يجاهدها ، ولا يجلس إلا تحت السماء فى وسط المسجد الحرام ، ولا يأكل إلا بعض قرص و يشرب قليلا من الماء معه وقت الفطور مدة سنة كاملة ، وكان يجلس على صخرة فى شدة الحر فى جبل أبى قبيس ، وقد صحب جماعة من سادات المشايخ الصوفية ، كالجنيد بن محمد ، وعمرو بن عثمان المكى ، وأبى الحسين النورى . قال الخطيب البغدادى : والصوفية مختلفون فيه ، فأكثرهم نفى أن يكون الحلاج منهم ، وأبى أن يعده فيهم ، وقبله من متقدميهم أبو العباس بن عطاء البغدادى ، ومحمد بن خفيف الشيرازى ، و إبراهيم بن محمد النصراباذى النيسابورى ، وصححوا له حاله ، ودونوا كلامه ، حتى قال ابن خفيف : الحسين بن منصور عالم ربانى . وقال أبو عبد الرحمن السلمى ـ واسمه محمد بن الحسين ـ سمعت إبراهيم ابن محمد النصراباذى وعوتب فى شئ حكى عن الحلاج فى الروح فقال للذى عاتبه : إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج . قال أبو عبد الرحمن : وسمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلى يقول : كنت أنا والحسين بن منصور شيئا واحدا ، إلا أنه أظهر وكتمت . وقد روى عن الشبلى من وجه آخر أنه قال ، وقد رأى الحلاج مصلوبا . ألم أنهك عن العالمين ؟ قال الخطيب : والذين نفوه من الصوفية نسبوه إلى الشعبذة فى فعله ، و إلى الزندقة فى عقيدته وعقده . قال : وله إلى

الآن أصحاب ينسبون إليه ويغالون فيه ويغلون . وقد كان الحلاج في عبارته حلو المنطق ، وله شعر على طريقة الصوفية . قلت : لم يزل الناس منذ قتل الحلاج مختلفين في أمره ، فأما الفقهاء فحكى عن غير واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله ، وأنه قتل كافرا ، وكان كافراً ممخرقا مموها مشعبذا ، وبهذا قال أكثر الصوفية فيه . ومنهم طائفة كما تقدم أجملوا القول فيه ، وغرّهم ظاهره ولم يطلعوا على باطنه ولا باطن قوله ، فانه كان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك ، ولكن لم يكن له علم ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان . فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه . وقال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى ، ولهذا دخل على الحلاج الحلول والاتحاد ، فصار من أهل الانحلال والانحراف . وقد روى من وجه أنه تقلبت به الأحوال وتردد إلى البلدان ، وهو في ذلك كله يظهر للناس أنه من الدعاة إلى الله عز وجل . وصح أنه دخل إلى الهند وتعلم بها السحر وقال : أدعو به إلى الله ، وكان أهل الهند يكاتبونه بالمغيث ـ أى أنه من رجال الغيث ـ ويكاتبه أهل سركسان بالمقيت . ويكاتبه أهل خراسان بالمميز ، وأهل فارس بأبي عبد الله الزاهد . وأهل خوزستان بأبي عبدالله الزاهد حلاج الاسرار . وكان بعض البغاددة حين كان عندهم يقولون له : المصطلم . وأهل البصرة يقولون له : المحير ، ويقال إنما سماه الحلاج أهل الأهواز لأنه كان يكاشفهم عن ما في ضمائرهم ، وقيل لأنه مرة قال لحلاج : اذهب لى في حاجة كذا وكذا ، فقال : إنى مشغول بالحلج ، فقال : اذهب فأنا أحلج عنك ، فذهب ورجع سريعاً فاذا جميع ما في ذلك المخزن قد حلجه ، يقال إنه أشار بالمرود فامتاز الحب عن القطن ، وفي صحة هذا ونسبته إليه نظر ، وإن كان قد جرى مثل هذا ، فالشياطين تعين أصحابها ويستخدمونهم . وقيل لأن أباه كان حلاجاً . ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره أشياء كثيرة ، منها شعره في ذلك فمن ذلك قوله :

جبلت روحك في روحي كما * يجبل العنبر بالمسك الفَتِق
فاذا مسك شئ مسنى * وإذا أنت أنا لا نفترق

وقوله

مزجت روحك في روحي كما * تمزج الخمرة بالماء الزلال
فاذا مسك شئ مسنى * فاذا أنت أنا في كل حال

وقوله أيضاً

قد تحققتك في سر * ى نخاطبك لسانى
فاجتمعنا لمعان * وافترقنا لمعان
إن يكن غيبك التعظيـ * ـم عن لحظ العيان
فلقد صيرك الوجـ * ـد من الاحشاء دان

وقد أنشد لابن عطاء قول الحلاج .

أريدك لا أريدك للثواب * ولكنى أريدك للعقاب

وكل مآربى قد نلت منها * سوى ملذوذ وجدى بالعذاب

فقال ابن عطاء : قال هذا ما تزايد به عذاب الشغف وهيام الكلف ، واحتراق الأسف ، فاذا صفا ووفا علا إلى مشرب عذب وهاطل من الحق دائم سكب . وقد أنشد لأبى عبد الله بن خفيف قول الحلاج :

سبحان من أظهر ناسوته * سر سنا لاهوته الثاقب

ثم بدا فى خلقه ظاهراً * فى صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه * كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال ابن خفيف : علا من يقول هذا لعنه الله ؟ فقيل له : إن هذا من شعر الحلاج ، فقال : قد يكون مقولا عليه . وينسب إليه أيضاً :

أو شكت تسأل عنى كيف كنت * وما لاقيت بعدك من هم وحزن

لا كنت إن كنت أدرى كيف كنت * ولا لا كنت أدرى كيف لم أكن

قال ابن خلكان : ويروى لسمنون لا للحلاج . ومن شعره أيضاً قوله :

متى سهرت عينى لغيرك أو بكت * فلا أعطيت ما أملت وتمنت

وإن أضمرت نفسى سواك فلا زكت * رياض المنى من وجنتيك وجنت

ومن شعره أيضاً :

دنيا تغالطنى كأ * نى لست أعرف حالها

حظر المليك حرامها * وأنا احتميت حلالها

فوجدتها محتاجة * فوهبت لذتها لها

وقد كان الحلاج يتلوّن فى ملابسه ، فتارة يلبس لباس الصوفية وتارة يتجرد فى ملابس زرية ، وتارة يلبس لباس الأجناد ويعاشر أبناء الأغنياء والملوك والاجناد . وقد رآه بعض أصحابه فى ثياب رثة وبيده ركوة وعكازة وهو سائح فقال له : ما هذه الحالة ياحلاج ؟ فأنشأ يقول :

لئن أمسيت فى ثوبى عديم * لقد بليا على حر كريم

فلا يغررك أن أبصرت حالا * مغيرة عن الحال القديم

فلى نفس ستتلف أو سترقى * لعمرك بى إلى أمر جسيم

ومن مستجاد كلامه وقد سأله رجل أن يوصيه بشئ ينفعه الله به . فقال : عليك نفسك إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك عن الحق . وقال له رجل : عظنى . فقال : كن مع الحق بحكم ما أوجب .

وروى الخطيب بسنده إليه أنه قال : علم الأولين والآخرين مرجعه إلى أربع كلمات : حب الجليل وبغض القليل ، واتباع التنزيل ، وخوف التحويل .

قلت : وقد أخطأ الحلاج فى المقامين الأخيرين ، فلم يتبع التنزيل ولم يبق على الاستقامة بل تحول عنها إلى الاعوجاج والبدعة والضلالة ، نسأل الله العافية .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى عن عمرو بن عثمان المكى : أنه قال : كنت أماشى الحلاج فى بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتى فقال : يمكننى أن أقول مثل هذا ، ففارقته . قال الخطيب : وحدثنى مسعود بن ناصر أنبأنا ابن باكوا الشيرازى سمعت أبا زرعة الطبرى يقول : الناس فيه - يعنى حسين بن منصور الحلاج - بين قبول ورد ولكن سمعت محمد بن يحيى الرازى يقول سمعت عمرو بن عثمان يلعنه ويقول : لو قدرت عليه لقتلته بيدى . فقلت له : إيش الذى وجد الشيخ عليه ؟ قال قرأت آية من كتاب الله فقال : يمكننى أن أؤلف مثله وأتكلم به . قال أبو زرعة الطبرى : وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول : زوجت ابنتى من الحسين الحلاج لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده ، فبان لى منه بعد مدة يسيرة أنه ساحر محتال ، خبيث كافر . قلت : كان تزويجه إياها بمكة ، وهى أم الحسين بنت أبى يعقوب الأقطع فأولدها ولده أحمد بن الحسين بن منصور ، وقد ذكر سيرة أبيه كما ساقها من طريق الخطيب . وذكر أبو القاسم القشيرى فى رسالته فى باب حفظ قلوب المشايخ : أن عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئا فى أوراق فقال له : ما هذا ؟ فقال : هو ذا أعارض القرآن . قال : فدعا عليه فلم يفلح بعدها ، وأنكر على أبى يعقوب الأقطع تزويجه إياه ابنته . وكتب عمرو بن عثمان إلى الآفاق كتبا كثيرة يلعنه فيها ويحذر الناس منه ، فشرد الحلاج فى البلاد فعاث يمينا وشمالا ، وجعل يظهر أنه يدعو إلى الله ويستعين بأنواع من الحيل ، ولم يزل ذلك دأبه وشأنه حتى أحل الله به بأسه الذى لا يرد عن القوم المجرمين ، فقتله بسيف الشرع الذى لا يقع إلا بين كتفى زنديق ، والله أعدل من أن يسلطه على صديق ، كيف وقد تهجم على القرآن العظيم ، وقد أراد معارضته فى البلد الحرام حيث نزل به جبريل ، وقد قال تعالى (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ولا إلحاد أعظم من هذا . وقد أشبه الحلاج كفار قريش فى معاندتهم ، كما قال تعالى عنهم (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين)

﴿ ذكر أشياء من حيل الحلاج ﴾

روى الخطيب البغدادى أن الحلاج بعث رجلا من خاصة أصحابه وأمره أن يذهب بين يديه إلى بلد من بلاد الجبل ، وأن يظهر لهم العبادة والصلاح والزهد ، فاذا رآهم قد أقبلوا عليه وأحبوه واعتقدوه أظهر لهم أنه قد عمى ، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد تكسح ، فاذا سعوا فى مداواته ، قال لهم : يا جماعة

الخير ، إنه لاينفنى شىء مما تفعلون ، ثم يظهر لهم بعد أيام أنه قد رأى رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقول له : إن شفاءك لا يكون إلا على يدى القطب ، وإنه سيقدم عليك فى اليوم الفلانى فى الشهر الفلانى ، وصفته كذا وكذا . وقال له الحلاج : إنى سأقدم عليك فى ذلك الوقت . فذهب ذلك الرجل إلى تلك البلاد فأقام بها يتعبد ويظهر الصلاح والتنسك ويقرأ القرآن . فأقام مدة على ذلك فاعتقدوه وأحبوه ، ثم أظهر لهم أنه قد عمى فمكث حيناً على ذلك ، ثم أظهر لهم أنه قد زمن ، فسعوا بمداواته بكل ممكن فلم ينتج فيه شىء ، فقال : لهم : يا جماعة الخير هذا الذى تفعلونه معى لا ينتج شيئاً وأنا قد رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقول لى : إن عافيتك وشفاءك إنما هو على يدى القطب ، وإنه سيقدم عليك فى اليوم الفلانى فى الشهر الفلانى ، وكانوا أو لا يقودونه إلى المسجد ثم صاروا يحملونه ويكرمونه كان فى الوقت الذى ذكر لهم ، واتفق هو والحلاج عليه ، أقبل الحلاج حتى دخل البلد مختفيا وعليه ثياب صوف بيض ، فدخل المسجد ولزم سارية يتعبد فيه لا يلتفت إلى أحد ، فعرفه الناس بالصفات التى وصف لهم ذلك العليل ، فابتدروا إليه يسلمون عليه ويتمسحون به ، ثم جاؤا إلى ذلك الزمن المتعافى فأخبروه بخبره ، فقال : صفوه لى ، فوصفوه له فقال : هذا الذى أخبرنى عنه رسول الله ﷺ فى المنام ، وأن شفائى على يديه ، اذهبوا بى إليه . فحملوه حتى وضعوه بين يديه فكلمه فعرفه فقال : يا أبا عبد الله إنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام . ثم ذكر له رؤياه ، فرفع الحلاج يديه فدعا له ثم تفل من ريقه فى كفيه ثم مسح بهما على عينيه ففتحهما كأن لم يكن بهما داء قط فأبصر ، ثم أخذ من ريقه فسح على رجليه فقام من ساعته فمشى كأنه لم يكن به شىء والناس حضور ، وأمراء تلك البلاد وكبراؤهم عنده ، فضج الناس ضجة عظيمة وكبروا الله وسبحوه وعظموا الحلاج تعظيما زائداً على ما أظهر لهم من الباطل والزور . ثم أقام عندهم مدة يكرمونه ويعظمونه ويودون لوطلب منهم ماعساه أن يطلب من أموالهم . فلما أراد الخروج عنهم أرادوا أن يجمعوا له مالا كثيراً فقال : أما أنا فلا حاجة لى بالدنيا ، وإنما وصلنا إلى ما وصلنا إليه بترك الدنيا ، ولعل صاحبكم هذا أن يكون له إخوان وأصحاب من الأبدال الذين يجاهدون بثغر طرسوس ، ويحجون ويتصدقون ، محتاجين إلى ما يعينهم على ذلك . فقال ذلك الرجل المتزامن المتعافى : صدق الشيخ ، قد رد الله على بصرى ومن الله على بالعافية ، لأجعلن بقية عمرى فى الجهاد فى سبيل الله ، والحج إلى بيت الله مع إخواننا الأبدال والصالحين الذين نعرفهم ، ثم حثهم على إعطائه من المال ما طابت به أنفسهم . ثم إن الحلاج خرج عنهم ومكث ذلك الرجل بين أظهرهم مدة إلى أن جمعوا له مالا كثيراً ألوفا من الذهب والفضة ، فلما اجتمع له ما أراد ودعهم وخرج عنهم فذهب إلى الحلاج فاقتسما ذلك المال .

وروى عن بعضهم قال : كنت أسمع أن الحلاج له أحوال وكرامات فأحببت أن أختبر ذلك فجئته فسلمت عليه فقال لى : تشتهى على الساعة شيئا ؟ فقلت : أشتهى سمكا طريا . فدخل منزله فغاب ساعة ثم خرج على ومعه سمكة تضطرب ورجلاه عليهما الطين . فقال : دعوت الله فأمرنى أن آتى البطائح لآتيك بهذه السمكة ، فخضت الأهواز وهذا الطين منها . فقلت : إن شئت أدخلتنى منزلك حتى أنظر ليقوى يقينى بذلك ، فان ظهرت على شئ وإلا آمنت بك . فقال : ادخل ، فدخلت فأغلق على الباب وجلس يرانى . فدرت البيت فلم أجد فيه منفذا إلى غيره ، فتحيرت فى أمره ثم نظرت فإذا أنا بتأزيرة - وكان مؤزراً بازار ساج - فحركتها فانفلقت فاذا هى باب منفذ فدخلته فأفضى بى إلى بستان هائل ، فيه من سائر الثمار الجديدة والعتيقة ، قد أحسن إبقاءها . وإذا أشياء كثيرة معدودة للأكل ، وإذا هناك بركة كبيرة فيها سمك كثير صغار وكبار ، فدخلتها فأخرجت منها واحدة فنال رجلى من الطين مثل الذى نال رجليه ، فجئت إلى الباب فقلت : افتح قد آمنت بك . فلما رآنى على مثل حاله أسرع خلفى جريا يريد أن يقتلنى . فضربته بالسمكة فى وجهه وقلت : ياعدو الله أتعبتنى فى هذا اليوم . ولما خلصت منه لقينى بعد أيام فضاحكنى وقال : لا تفش ما رأيت لأحد وإلا بعثت إليك من يقتلك على فراشك . قال : فعرفت أنه يفعل إن أفشيت عليه فلم أحدث به أحداً حتى صلب .

وقال الحلاج يوما لرجل : آمن بى حتى أبعث لك بعصفورة تأخذ من ذرقها وزن حبة فتضعه على كذا منا من نحاس فيصير ذهباً . فقال له الرجل : آمن أنت بى حتى أبعث إليك بفيل إذا استلقى على قفاه بلغت قوائمه إلى السماء ، وإذا أردت أن تخفيه وضعته فى إحدى عينيك . قال : فبهت وسكت.

ولما ورد بغداد جعل يدعو إلى نفسه ويظهر أشياء من المخاريق والشعوذة وغيرها من الأحوال الشيطانية ، وأكثر ما كان يروج على الرافضة لقلة عقولهم وضعف تمييزهم بين الحق والباطل . وقد استدعى يوماً برئيس من الرافضة فدعاه إلى الايمان به فقال له الرافضى : إنى رجل أحب النساء وإنى أصلع الرأس ، وقد شبت ، فان أنت أذهبت عنى هذا وهذا آمنت بك وأنك الامام المعصوم ، وإن شئت قلت إنك نبى ، وإن شئت قلت إنك أنت الله . قال : فبهت الحلاج ولم يحر إليه جوابا .

قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزى : كان الحلاج متلونا تارة يلبس المسوح ، وتارة يلبس الدراعة ، وتارة يلبس القباء ، وهو مع كل قوم على مذهبهم : إن كانوا أهل سنة أو رافضة أو معتزلة أو صوفية أو فساقا أو غيرهم ، ولما أقام بالأهواز جعل ينفق من دراهم يخرجها يسميها دراهم القدرة ، فسئل الشيخ أبو على الجبائى عن ذلك فقال : إن هذا كله مما يناله البشر بالحيلة ، ولكن أدخلوه بيتاً لا منفذ له ثم سلوه أن يخرج لكم جرزتين من شوك . فلما بلغ ذلك الحلاج تحول من الأهواز . قال

الخطيب : أنبأ إبراهيم بن مخلد أنبأ إسماعيل بن على الخطيب فى تاريخه قال : وظهر أمر رجل يقال له الحلاج الحسين بن منصور ، وكان فى حبس السلطان بسعاية وقعت به ، وذلك فى وزارة على بن عيسى الأولى ، وذكر عنه ضروب من الزندقة ووضع الحيل على تضليل الناس ، من جهات تشبه الشعوذة والسحر ، وادعاء النبوة ، فكشفه على بن عيسى عند قبضه عليه وأنهى خبره إلى السلطان - يعنى الخليفة المقتدر بالله - فلم يقر بما رمى به من ذلك فعاقبه وصلبه حياً أياماً متوالية فى رحبة الجسر ، فى كل يوم غدوة ، وينادى عليه بما ذكر عنه ، ثم ينزل به ثم يحبس ، فأقام فى الحبس سنين كثيرة ينقل من حبس إلى حبس ، خوفا من إضلاله أهل كل حبس إذا طالت مدته عندهم ، إلى أن حبس آخر حبسة فى دار السلطان ، فاستغوى جماعة من غلمان السلطان وموه عليهم واستمالهم بضروب من الحيل ، حتى صاروا يحمونه ويدفعون عنه ويرفهونه بالمآكل المطيبة ، ثم راسل جماعة من الكتاب وغيرهم ببغداد وغيرها ، فاستجابوا له وترقى به الأمر إلى أن ادعى الربوبية ، وسعى بجماعة من أصحابه إلى السلطان فقبض عليهم ووجد عند بعضهم كتب تدل على تصديق ما ذكر عنه ، وأقر بعضهم بذلك بلسانه ، وانتشر خبره وتكلم الناس فى قتله ، فأمر الخليفة بتسليمه إلى حامد بن العباس ، وأمره أن يكشفه بحضرة القضاة والعلماء ويجمع بينه وبين أصحابه ، فجرى فى ذلك خطوب طوال ، ثم استيقن السلطان أمره ووقف على ما ذكر عنه ، وثبت ذلك على يد القضاة وأفتى به العلماء فأمر بقتله وإحراقه بالنار ، فأحضر مجلس الشرطة بالجانب الغربى فى يوم الثلاثاء لتسع بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلثمائة ، فضرب بالسياط نحواً من ألف سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، ثم ضربت عنقه ، وأحرقت جثته بالنار ، ونصب رأسه للناس على سور الجسر الجديد وعلقت يداه ورجلاه .

وقال أبو عبد الرحمن بن الحسن السلمى : سمعت إبراهيم بن محمد الواعظ يقول قال أبو القاسم الرازى قال أبو بكر بن ممشاذ : حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخلاة فما كان يفارقها ليلا ولا نهارا ، فأنكروا ذلك من حاله ففتشوا مخلاته فوجدوا فيها كتابا للحلاج عنوانه : من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان . - يدعوه إلى الضلالة والايمان به - فبعث بالكتاب إلى بغداد فسئل الحلاج عن ذلك فأقر أنه كتبه فقالوا له : كنت تدعى النبوة فصرت تدعى الألوهية والربوبية ؟ فقال : لا ولكن هذا عين الجمع عندنا . هل الكاتب إلا الله وأنا واليد آلة ؟ فقيل له : معك على ذلك أحد ؟ قال : نعم ابن عطاء وأبو محمد الحريرى وأبو بكر الشبلى . فسئل الحريرى عن ذلك فقال : من يقول بهذا كافر . وسئل الشبلى عن ذلك فقال : من يقول بهذا يمنع . وسئل ابن عطاء عن ذلك فقال : القول ما يقول الحلاج فى ذلك . فعوقب حتى كان سبب هلاكه . ثم روى أبو عبد الرحمن السلمى عن محمد بن عبد الرحمن الرازى أن الوزير حامد بن العباس لما أحضر الحلاج سأله عن اعتقاده فأقر به فكتبه ، فسأل عن ذلك

فقهاء بغداد فأنكروا ذلك وكفروا من إعتقده ، فكتبه . فقال الوزير : إن أبا العباس بن عطاء يقول بهذا . فقالوا : من قال بهذا فهو كافر . ثم طلب الوزير ابن عطاء إلى منزله فجاء فجلس فى صدر المجلس فسأله عن قول الحلاج فقال : من لا يقول بهذا القول فهو بلا اعتقاد . فقال الوزير لابن عطاء : ويحك تصوب مثل هذا القول وهذا الاعتقاد ؟ فقال ابن عطاء : مالك ولهذا ، عليك بما نصبت له من أخذ اموال الناس وظلمهم وقتلهم فمالك ولكلام هؤلاء السادة من الأولياء . فأمر الوزير عند ذلك بضرب شدقيه ونزع خفيه وأن يضرب بهما على رأسه ، فما زال يفعل به ذلك حتى سال الدم من منخريه ، وأمر بسجنه . فقالوا له : إن العامة تستوحش من هذا ولا يعجبها . فحمل إلى منزله ، فقال ابن عطاء : اللهم اقتله واقطع يديه ورجليه . ثم مات ابن عطاء بعد سبعة أيام ، ثم بعد مدة قتل الوزير شر قتلة ، وقطعت يداه ورجلاه وأحرقت داره . [وكان العوام يرون ذلك بدعوة ابن عطاء على عادتهم فى مرائيهم فيمن أوذى ممن لهم معه هوى . بل قد قال ذلك جماعة ممن ينسب إلى العلم فيمن يؤذى ابن عربى أو يحط على حسين الحلاج أو غيره . هذا بخطيئة فلان] [1] وقد اتفق علماء بغداد على كفر الحلاج وزندقته ، وأجمعوا على قتله وصلبه ، وكان علماء بغداد إذ ذاك هم الدنيا .

قال أبو بكر محمد بن داود الظاهرى حين أحضر الحلاج فى المرة الأولى قبل وفاة أبى بكر هذا وسئل عنه فقال : إن كان ما أنزل الله على نبيه ﷺ حقا وماجاء به حقا فما يقوله الحلاج باطل . وكان شديداً عليه . وقال أبو بكر الصولى : قد رأيت الحلاج وخاطبته فرأيته جاهلا يتعاقل ، وغبيا يتبالغ ، وخبيثاً مدعياً ، وراغباً يتزهد ، وفاجراً يتعبد . ولما صلب فى أول مرة ونودى عليه أربعة أيام سمعه بعضهم وقد جئ به ليصلب وهو راكب على بقرة يقول : ما أنا بالحلاج ، ولكن ألقى على شبهه وغاب عنكم فلما أدنى إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته وهو مصلوب يقول : يا معين الفنا على أعنى على الفنا . وقال بعضهم سمعته وهو مصلوب يقول : إلهى أصبحت فى دار الرغائب ، أنظر إلى العجائب ، إلهى إنك تتودد إلى من يؤذيك فكيف بمن يؤذى فيك .

﴿ ذكر صفة مقتل الحلاج ﴾

قال الخطيب البغدادى وغيره : كان الحلاج قد قدم آخر قدمة إلى بغداد فصحب الصوفية وانتسب إليهم ، وكان الوزير إذ ذاك حامد بن العباس ، فبلغه أن الحلاج قد أضل خلقا من الحشم والحجاب فى دار السلطان ، ومن غلمان نصر القشورى الحاجب ، وجعل لهم فى جملة ما ادعاه أنه يحيى الموتى ، وأن الجن يخدمونه ويحضرون له ما شاء ويختار ويشتهيه . وقال : إنه أحيا عدة من الطير . وذكر لعلى بن عيسى أن رجلا يقال له محمد بن على القنائى الكاتب يعبد الحلاج ويدعو الناس إلى

---

(١) سقط من المصرية .

طاعته فطلبه فكبس منزله فأخذه فأقر أنه من أصحاب الحلاج ، ووجد فى منزله أشياء بخط الحلاج مكتوبة بماء الذهب فى ورق الحرير مجلدة بأفخر الجلود . ووجد عنده سفطاً فيه من رجيع الحلاج وعذرته وبوله وأشياء من آثاره ، وبقية خبز من زاده . فطلب الوزير من المقتدر أن يتكلم فى أمر الحلاج ففوض أمره إليه ، فاستدعى بجماعة من أصحاب الحلاج فتهددهم فاعترفوا له أنه قد صح عندهم أنه إلٓه مع الله ، وأنه يحيى الموتى ، وأنهم كاشفوا الحلاج بذلك ورموه به فى وجهه ، فجحد ذلك وكذبهم وقال : أعوذ بالله أن أدعى الربوبية أو النبوة ، وإنما أنا رجل أعبد الله وأكثر له الصوم والصلاة وفعل الخير ، لا أعرف غير ذلك . وجعل لا يزيد على الشهادتين والتوحيد ، ويكثر أن يقول : سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . وكانت عليه مدرعة سوداء وفى رجليه ثلاثة عشر قيداً ، والمدرعة واصلة إلى ركبتيه ، والقيود واصلة إلى ركبتيه أيضا ، وكان مع ذلك يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة .

وكان قبل احتياط الوزير حامد بن العباس عليه فى حجرة من دار نصر القشورى الحاجب ، مأذونا لمن يدخل إليه ، وكان يسمى نفسه تارة بالحسين بن منصور ، وتارة محمد بن أحمد الفارسى ، وكان نصر الحاجب هذا قد افتتن به وظن أنه رجل صالح ، وكان قد أدخله على المقتدر بالله فرقاه من وجع حصل له فاتفق زواله عنه ، وكذلك وقع لوالدة المقتدر السيدة رقاها فزالت عنها ، فنفق سوقه وحظى فى دار السلطان : فلما انتشر الكلام فيه سلم إلى الوزير حامد بن العباس فحبسه فى قيود كثيرة فى رجليه ، وجمع له الفقهاء فأجمعوا على كفره وزندقته ، وأنه ساحر ممخرق . ورجع عنه رجلان صالحان ممن كان اتبعه أحدهما أبو على هارون بن عبد العزيز الأوارجى ، والآخر يقال له الدباس ، فذكرا من فضائحه وما كان يدعو الناس إليه من الكذب والفجور والمخرقة والسحر شيئا كثيراً ، وكذلك أحضرت زوجة ابنه سليمان فذكرت عنه فضائح كثيرة . من ذلك أنه أراد أن يغشاها وهى نائمة فانتبهت فقال : قومى إلى الصلاة ، وإنما كان يريد أن يطأها . وأمر ابنتها بالسجود له فقالت : أو يسجد بشر لبشر ؟ فقال : نعم إله فى السماء وإله فى الأرض . ثم أمرها أن تأخذ من تحت بارية هنالك ما أرادت ، فوجدت تحتها دنانير كثيرة مبدورة . ولما كان معتقلا فى دار حامد بن العباس الوزير دخل عليه بعض الغلمان ومعه طبق فيه طعام ليأكل منه ، فوجده قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه ، فذعر ذلك الغلام وفزع فزعا شديداً ، وألقى ما كان فى يده من ذلك الطبق والطعام ، ورجع محموماً فمرض عدة أيام .

ولما كان آخر مجلس من مجالسه أحضر القاضى أبو عمر محمد بن يوسف وجئ بالحلاج وقد أحضر له كتاب من دور بعض أصحابه وفيه : من أراد الحج ولم يتيسر له فليبن فى داره بيتاً لا يناله شئ من

النجاسة ولا يمكن أحداً من دخوله ، فاذا كان فى أيام الحج فليصم ثلاثة أيام وليطف به كما يطاف بالكعبة ثم يفعل فى داره ما يفعله الحجيج بمكة ، ثم يستدعى بثلاثين يتيما فيطعمهم من طعامه ، و يتولى خدمتهم بنفسه ، ثم يكسوهم قميصاً قميصاً ، و يعطى كل واحد منهم سبعة دراهم ـ أو قال ثلاثة ، دراهم ـ فاذا فعل ذلك قام له مقام الحج . و إن من صام ثلاثة أيام لا يفطر إلا فى اليوم الرابع على ورقات هندبا أجزأه ذلك عن صيام رمضان . ومن صلى فى ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخره أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك . و أن من جاور بمقابر الشهداء و بمقابر قريش عشرة أيام يصلى و يدعو و يصوم ثم لا يفطر إلا على شئ من خبز الشعير والملح الجريش أغناه ذلك عن العبادة فى بقية عمره . فقال له القاضى أبو عمر : من أين لك هذا ؟ فقال : من كتاب الاخلاص للحسن البصرى . فقال له : كذبت يا حلال الدم ، قد سمعنا كتاب الاخلاص للحسن بمكة ليس فيه شئ من هذا . فأقبل الوزير على القاضى فقال له : قد قلت يا حلال الدم فاكتب ذلك فى هذه الورقة ، وألح عليه وقدم له الدواة فكتب ذلك فى تلك الورقة ، وكتب من حضر خطوطهم فيها وأنفذها الوزير إلى المقتدر ، وجعل الحلاج يقول لهم : ظهرى حمى ودمى حرام ، وما يحل لكم أن تتأولوا على ما يبيحه ، واعتقادى الأسلام ، ومذهبى السنة ، وتفضيل أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن ابن عوف وأبى عبيدة بن الجراح ، ولى كتب فى السنة موجودة فى الوارقين فالله الله فى دمى . فلا يلتفتون إليه ولا إلى شئ مما يقول . وجعل يكرر ذلك وهم يكتبون خطوطهم بما كان من الأمر، ورد الحلاج [إلى محبسه وتأخر جواب المقتدر ثلاثة أيام حتى ساء ظن الوزير حامد بن العباس ، فكتب إلى الخليفة يقول له : إن أمر الحلاج] [1] قد اشتهر ولم يختلف فيه اثنان وقد افتتن كثير من الناس به . فجاء الجواب بأن يسلم إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة . وليضرب به ألف سوط ، فان مات و إلا ضربت عنقه . ففرح الوزير بذلك وطلب صاحب الشرطة فسلمه إليه و بعث معه طائفة من غلمانه يصلونه معه إلى محل الشرطة من الجانب الغربى خوفا من أن يستنقذ من أيديهم . وذلك بعد عشاء الآخرة فى ليلة الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة من هذه السنة ، وهو راكب على بغل عليه إكاف وحوله جماعة من أعوان السياسة ، على مثل شكله ، فاستقر منزله بدار الشرطة فى هذه الليلة ، فذكر أنه بات يصلى تلك الليلة و يدعو دعاء كثيراً . قال أبو عبد الرحمن السلمى : سمعت أبا بكر الشاشى يقول قال أبو الحديد ـ يعنى المصرى ـ : لما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها الحلاج قام يصلى من الليل فصلى ماشاء الله ، فلما كان آخر الليل قام قائماً فتغطى بكسائه ومد يده نحو القبلة فتكلم بكلام جائز الحفظ ، فكان مما حفظت منه قوله : نحن شواهدك فلو دلتنا عزتك لتبدى ماشئت من شأنك

---

(١) سقط من المصرية .

ومشيئتك ، وأنت الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ، تتجلى لما تشاء مثل تجليك فى مشيئتك كأحسن الصورة ، والصورة فيها الروح الناطقة بالعلم والبيان والقدرة ، ثم إنى أوعزت إلى شاهدك لأنى فى ذاتك الهوى كيف أنت إذا مثلت بذاتى عند حلول لذاتى ، ودعوت إلى ذاتى بذاتى ، وأبديت حقائق علومى ومعجزاتى ، صاعداً فى معارجى إلى عروش أزلياتى عند التولى عن برياتى ، إنى احتضرت وقتلت وصلبت وأحرقت واحتملت سافيات الذاريات . ولججت فى الجاريات ، وأن ذرة من ينجوج مكان هالوك متجلياتى ، لأعظم من الراسيات . ثم أنشأ يقول :

أنعى إليك نفوسا طاح شاهدها * فيما ورا الحيث بل فى شاهد القدم

أنعى إليك قلوبا طالما هطلت * سحائب الوحى فيها أبحر الحكم

أنعى إليك لسان الحق منك ومن * أودى وتذكاره فى الوهم كالعدم

أنعى إليك بيانا يستكين له * أقوال كل فصيح مقول فهم

أنعى إليك إشارات العقول معاً * لم يبق منهن إلا دارس العلم

أنعى وحبك أخلاقا لطائفة * كانت مطاياهم من مكمد الكظم

مضى الجميع فلا عين ولا أثر * مضى عاد وفقدان الأولى إرم

وخلفوا معشراً يحذون لبستهم * أعمى من البهم بل أعمى من النعم

قالوا : ولما أخرج الحلاج من المنزل الذى بات فيه ليذهب به إلى القتل أنشد :

طلبت المستقر بكل أرض * فلم أرلى بأرض مستقرا

وذقت من الزمان وذاق منى * وجدت مذاقه حلوا ومرا

أطعت مطامعى فاستعبدتنى * ولو أنى قنعت لعشت حرا

وقيل : إنه قالها حين قدم إلى الجذع ليصلب ، والمشهور الأول . فلما أخرجوه للصلب مشى إليه وهو يتبختر فى مشيته وفى رجليه ثلاثة عشر قيداً وجعل ينشد ويتمايل :

نديمى غير منسوب * إلى شئ من الحيف * سقانى مثل مايشر * ب فعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس * دعا بالنطع والسيف * كذا من يشرب الراح * مع التنين فى الصيف

ثم قال : (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون أنها الحق) ثم لم ينطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل . قالوا : ثم قدم فضرب ألف سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وهو فى ذلك كله ساكت ما نطق بكلمة ، ولم يتغير لونه ، ويقال إنه جعل يقول مع كل سوط أحد أحد .

قال أبو عبد الرحمن : سمعت عبد الله بن على يقول سمعت عيسى القصار يقول : آخر كلمة تكلم بها الحلاج حين قتل أن قال : حسب الواحد إفراد الواحد له . فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا

رق له ، واستحسن هذا الـكلام منه . وقال السلمى : سمعت أبا بكر المحاملى يقول سمعت أبا الفاتك البغدادى ـ وكان صاحب الحلاج ـ قال : رأيت فى النوم بعد ثلاث من قتل الحلاج كأنى واقف بين يدى ربى عز وجـل وأنا أقول : يا رب ما فعل الحسين بن منصور ؟ فقال : كاشفته بمعنى فدعا الخلق إلى نفسـه فأنزلت به ما رأيت . ومنهـم من قال : بل جزع عنـد القتل جزعا شـديداً وبكى بكاء كثيراً فالله أعلم .

وقال الخطيب : ثنا عبد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفى قال قال لنا أبو عمر بن حيوية : لما أخرج الحسين بن منصور الحلاج ليقتل مضيت فى جمـلة الناس ، ولم أزل أزاحم حتى رأيته فدنوت منه فقال : لأصحابه : لا يهولنكم هذا الأمر ، فانى عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً . ثم قتل فما عاد . وذكر الخطيب أنه قال وهو يضرب لمحمد بن عبد الصمد والى الشرطة : أدع بى إليك فان عندى نصيحة تعدل فتح القسطنطينية ، فقال له : قد قيل لى إنك ستقول مثل هذا ، وليس إلى رفع الضرب عنك سبيل . ثم قطعت يداه ورجـلاه وحز رأسـه وأحرقت جثته وألقى رمادها فى دجلة ، ونصب الرأس يومين ببغداد على الجسر ، ثم حمل إلى خراسان وطيف به فى تلك النواحى ، وجعل أصحابه يعـدون أنفسهم برجوعه إليهم بعد ثلاثين يوماً . وزعم بعضهم أنه رأى الحلاج من آخر ذلك اليوم وهو راكب على حمار فى طريق النهر وان قال : لعلك من هؤلاء النفر الذين ظنوا أنى أنا هو المضروب المقتول ، إنى لست به ، وإنما ألقى شبهى عـلى رجل ففعل به ما رأيتم . وكانوا بجهلهم يقولون : إنما قتل عدو من أعداء الحلاج . فذكر هذا لبعض علماء ذلك الزمان فقال : إن كان هذا الرأى صادقا فقد تبدى له شيطان على صورة الحلاج ليضل الناس به . كما ضلت فرقة النصارى بالمصلوب .

قال الخطيب : واتفق له أن دجلة زادت فى هذا العام زيادة كثيرة . فقال : إنما زادت لأن رماد جثة الحلاج خالطها . وللعوام فى مثل هـذا وأشباهه ضروب من الهذيانات قديماً وحـديثا . ونودى ببغداد أن لا تشترى كتب الحلاج ولا تباع . وكان قتله يوم الثـلاثاء لست بقين من ذى القعدة من سنة تسع وثلثمائة ببغداد . وقد ذكره ابن خلكان فى الوفيات وحكى اختلاف الناس فيه ، ونقل عن الغزالى أنه ذكره فى مشـكاة الأنوار وتأول كلامه وحمله على ما يليق . ثم نقل ابن خلـكان عن إمام الحرمين أنه كان يذمه ويقول إنه اتفق هو والجنابى وابن المقفع على إفساد عقائد الناس ، وتفرقوا فى البلاد فـكان الجنابى فى هجر والبحرين ، وابن المقفع ببلاد الترك ، ودخـل الحلاج العراق ، فحكم صاحباه عليه بالهلكة لعدم انخداع أهل العراق بالباطل . قال ابن خلـكان وهـذا لا ينتظم فان ابن المقفع كان قبل الحلاج بدهر فى أيام السفاح والمنصور ، ومات سنة خمس وأربعين ومائتين أو قبلها . ولعل إمام الحرمين أراد ابن المقفع الخراسانى الذى ادعى الربوبية وأوتى العمر واسمه عطاء ، وقد قتل

نفسه بالسم فى سنة ثلاث وستين ومائة ، ولا يمكن اجتماعه مع الحلاج أيضاً ، و إن أردنا تصحيح كلام إمام الحرمين فنذكر ثلاثة قد اجتمعوا فى وقت واحد على إضلال الناس و إفساد العقائد كما ذكر ، فيكون المراد بذلك الحلاج وهو الحسين بن منصور الذى ذكره ، وابن السمعانى - يعنى أبا جعفر محمد ابن على - وأبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى القرمطى الذى قتل الحجاج وأخذ الحجر الأسود وطم زمزم ونهب أستار الكعبة ، فهولاء يمكن اجتماعهم فى وقت واحد كما ذكرنا ذلك مبسوطا ، وذكره ابن خلكان ملخصاً . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ أبو العباس بن عطاء أحد أئمة الصوفية ﴾

وهو أحمد بن محمد بن عطاء الأدمى . حدث عن يوسف بن موسى القطان ، والمفضل بن زياد وغيرهما ، وقد كان موافقا للحلاج فى بعض اعتقاده على ضلاله ، وكان أبو العباس هذا يقرأ فى كل يوم ختمة ، فاذا كان شهر رمضان قرأ فى كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وكان له ختمة يتدبرها و يتدبر معانى القرآن فيها . فمكث فيها سبعة عشرة سنة ومات ولم يختمها ، وهذا الرجل ممن كان اشتبه عليه أمر الحلاج وأظهر موافقته فعاقبه الوزير حامد بن العباس بالضرب البليغ على شدقيه ، وأمر بنزع خفيه وضربه بهما على رأسه حتى سال الدم من منخريه ، ومات بعد سبعة أيام من ذلك ، وكان قد دعا على الوزير بأن تقطع يداه ورجلاه و يقتل شر قتلة . فمات الوزير بعد مدة كذلك .

وفيها توفى أبو إسحاق إبراهيم بن هارون الطبيب الحرانى . وأبو محمد عبد الله بن حمدون النديم .

﴿ ثم دخلت سنة عشر وثلثمائة ﴾

فيها أطلق يوسف بن أبى الساج من الضيق ، وكان معتقلا ، وردت إليه أمواله وأعيد إلى عمله وأضيف إليه بلدان أخرى ، ووظف عليه فى كل سنة خمسمائة ألف دينار يحملها إلى الحضرة فبعث حينئذ إلى مؤنس الخادم يطلب منه أبا بكر بن الأدمى القارئ ، وكان قد قرأ بين يديه حين اعتقل فى سنة إحد وستين ومائتين (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة) فخاف القارئ من سطوته واستعفى من مؤنس الخادم فقال له مؤنس : اذهب وأنا شريكك فى الجائزة . فلما دخل عليه قرأ بين يديه (وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى) فقال : بل أحب أن تقرأ ذلك العشر الذى قرأته عند سجنى و إشهارى (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة) فان ذلك كان سبب توبتى ورجوعى إلى الله عز وجل ، وكان ذلك على يديك . ثم أمر له بمال جزيل وأحسن إليه . وفيها مرض على بن عيسى الوزير فجاءه هارون بن المقتدر ليعوده ويبلغه سلام أبيه عليه ، فبسط له الطريق ، فلما اقترب من داره تحامل وخرج إليه فبلغه سلام الخليفة ، وجاء مؤنس الخادم معه ، ثم جاء الخبر بأن الخليفة قد عزم على عيادته فاستعفى من مؤنس الخادم ، ثم ركب على جهد عظيم حتى سلم على الخليفة

لئلا يكلفه الركوب إليه . وفيها قبض على القهرمانة أم موسى ومن ينسب إليها ، وكان حاصل ما حمل إلى بيت المال من جهتها ألف ألف دينار . وفى يوم الخميس منها لعشر بقين من ربيع الآخر ولى المقتدر منصب القضاء أبا الحسين عمر بن الحسين بن على الشيبانى المعروف بابن الاشنانى - وكان من حفاظ الحديث وفقهاء الناس - ولكنه عزل بعد ثلاثة أيام ، وكان قبل ذلك محتسبا ببغداد . وفيها عزل محمد بن عبد الصمد عن شرطة بغداد ووليها نازوك وخلع عليه . وفيها فى جمادى الآخرة منها ظهر كوكب له ذنب طوله ذراعان فى برج السنبلة . وفى شعبان منها وصلت هدايا نائب مصر وهو الحسين بن الماردانى ، وفى جملتها بغلة معها فلوها ، وغلام يصل لسانه إلى طرف أنفه . وفيها قرئت الكتب على المنابر بما كان من الفتوح على المسلمين ببلاد الروم . وفيها ورد الخبر بأنه انشق بأرض واسط فلوع فى الأرض فى سبعة عشر موضعا أكبرها طوله ألف ذراع ، وأقلها مائتا ذراع ، وأنه غرق من أمهات القرى ألف وثلثمائة قرية . وحج بالناس إسحاق بن عبد الملك الهاشمى .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو بشر الدولابى ﴾

محمد بن أحمد بن حماد أبو سعيد أبو بشر الدولابى ، مولى الأنصار ، ويعرف بالوراق ، أحد الأئمة من حفاظ الحديث ، وله تصانيف حسنة فى التاريخ وغير ذلك ، وروى عن جماعة كثيرة . قال ابن يونس : كان يصعق ، توفى وهو قاصد الحج بين مكة والمدينة بالعرج فى ذى القعدة . وفيها توفى

﴿ أبو جعفر بن جرير الطبرى ﴾

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الامام أبو جعفر الطبرى ، كان مولده فى سنة أربع وعشرين ومائتين ، وكان أسمر أعين مليح الوجه مديد القامة فصيح اللسان ، روى الكثير عن الجم الغفير ، ورحل إلى الآفاق فى طلب الحديث ، وصنف التاريخ الحافل ، وله التفسير الكامل الذى لا يوجد له نظير ، وغيرهما من المصنفات النافعة فى الأصول والفروع . ومن أحسن ذلك تهذيب الآثار ولو كمل لما احتيج معه إلى شئ ، ولكان فيه الكفاية لكنه لم يتمه . وقد روى عنه أنه مكث أربعين سنة يكتب فى كل يوم أربعين ورقة . قال الخطيب البغدادى : استوطن ابن جرير بغداد وأقام بها إلى حين وفاته ، وكان من أكابر أئمة العلماء ، ويحكم بقوله ويرجع إلى معرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظا لكتاب الله ، عارفا بالقراءات كلها ، بصيراً بالمعانى ، فقيهاً فى الأحكام ، عالما بالسنن وطرقها ، وصحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، عارفا بأيام الناس وأخبارهم . وله الكتاب المشهور فى تاريخ الأمم والملوك ، وكتاب فى التفسير لم يصنف أحد مثله . وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه فى معناه ، إلا أنه لم يتمه . وله فى أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيارات ،

وتفرد بمسائل حفظت عنه . قال الخطيب : و بلغنى عن الشيخ أبى حامد أحمد بن أبى طاهر الفقيه الأسفرائينى أنه قال : لو سافر رجل إلى الصين حتى ينظر فى كتاب تفسير ابن جرير الطبرى لم يكن ذلك كثيراً ، أوكما قال . وروى الخطيب عن إمام الأئمة أبى بكر بن خزيمة أنه طالع تفسير محمد بن جرير فى سنين من أوله إلى آخره ، ثم قال : ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير ، ولقد ظلمته الحنابلة . وقال محمد لرجل رحل إلى بغداد يكتب الحديث عن المشايخ ـ ولم يتفق له سماع من ابن جرير لأن الحنابلة كانوا يمنعون أن يجتمع به أحد ـ فقال ابن خزيمة : لو كتبت عنه لكان خيراً لك من كل من كتبت عنه . قلت : وكان من العبادة والزهادة والورع والقيام فى الحق لا تأخذه فى ذلك لومة لائم ، وكان حسن الصوت بالقراءة مع المعرفة التامة بالقراءات على أحسن الصفات ، وكان من كبار الصالحين ، وهو أحد المحدثين الذى اجتمعوا فى مصر فى أيام ابن طولون ، وهم محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة ، ومحمد بن نصر المروزى ، ومحمد بن هارون الرويانى ، ومحمد بن جرير الطبرى هذا . وقد ذكرناهم فى ترجمة محمد بن نصر المروزى ، وكان الذى قام فصلى هو محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وقيل محمد بن نصر ، فرزقهم الله . وقد أراد الخليفة المقتدر فى بعض الأيام أن يكتب كتاب وقف تكون شروطه متفقا عليها بين العلماء ، فقيل له : لا يقدر على استحضار ذلك إلا محمد بن جرير الطبرى ، فطلب منه ذلك فكتب له ، فاستدعاه الخليفة إليه وقرب منزلته عنده . وقال له : سل حاجتك ، فقال : لا حاجة لى . فقال لا بد أن تسألنى حاجة أو شيئاً . فقال : أسأل من أمير المؤمنين أن يتقدم أمره إلى الشرطة حتى يمنعوا السؤال يوم الجمعة أن يدخلوا إلى مقصورة الجامع . فأمر الخليفة بذلك . وكان ينفق على نفسه من مغل قرية تركها له أبوه بطبرستان . ومن شعره :

إذا أعسرت لم يعلم رفيقى * وأستغنى فيستغنى صديقى
حيائى حافظ لى ماء وجهى * ورفقى فى مطالبتى رفيقى
ولو أنى سمحت ببذل وجهى * لكنت إلى الغنى سهل الطريق

ومن شعره أيضاً

خلقان لا أرضى طريقهما * بطر الغنى ومذلة الفقر
فاذا غنيت فلا تكن بطراً * وإذا افتقرت فته على الدهر

وقد كانت وفاته وقت المغرب عشية يوم الأحد ليومين بقيا من شوال من سنة عشر وثلثمائة . وقد جاوز الثمانين بخمس سنين أو ست سنين ، وفى شعر رأسه ولحيته سواد كثير ، ودفن فى داره لأن بعض عوام الحنابلة ورعاعهم منعوا من دفنه نهاراً ونسبوه إلى الرفض ، ومن الجهلة من رماه بالالحاد ، وحاشاه من ذلك كله . بل كان أحد أئمة الاسلام علما وعملا بكتاب الله وسنة رسوله ، وإنما تقلدوا ذلك عن أبى بكر محمد بن داود الفقيه الظاهرى ، حيث كان يتكلم فيه ويرميه بالعظائم

وبالرفض . ولما توفى اجتمع الناس من سائر أقطار بغداد وصلوا عليه بداره ودفن بها ، ومكث الناس يترددون إلى قبره شهوراً يصلون عليه ، وقد رأيت له كتابا جمع فيه أحاديث غدير خم فى مجلدين ضخمين ، وكتابا جمع فيه طريق حديث الطير. ونسب إليه أنه كان يقول بجواز مسح القدمين فى الوضوء وأنه لا يوجب غسلهما ، وقد اشتهر عنه هذا . فمن العلماء من يزعم أن ابن جرير اثنان أحدهما شيعى وإليه ينسب ذلك ، وينزهون أبا جعفر هذا عن هذه الصفات . والذى عول عليه كلامه فى التفسير أنه يوجب غسل القدمين ويوجب مع الغسل دلكهما ، ولكنه عبر عن الدلك بالمسح ، فلم يفهم كثير من الناس مراده ، ومن فهم مراده نقلوا عنه أنه يوجب الغسل والمسح وهو الدلك والله أعلم . وقد رثاه جماعة من أهل العلم منهم ابن الأعرابى حيث يقول :

حدث مفظع وخطب جليل * دق عن مثله اصطبار الصبور
قام ناعى العلوم اجمع لما * قام ناعى محمد بن جرير
فهوت أنجم لها زاهرات * مؤذنات رسومها بالدثور
وتغشى ضياها النير الاشـ * ـراق ثوب الدجنة الديجور
وغدا روضها الانيق هشيما * ثم عادت سهولها كالوعور
يا أبا جعفر مضيت حميداً * غير وان فى الجد والتشمير
بين أجر على اجتهادك موفو * ر وسعى إلى التقى مشكور
مستحقا به الخلود لدى جنـ * ـة عـدن فى غبطة وسرور

ولأبى بكر بن دريد رحمه الله فيه مرثاة طويلة ، وقد أوردها الخطيب البغدادى بتمامها والله سبحانه أعلم

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلثمائة ﴾

فيها دخل أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى أمير القرامطة فى ألف وسبعمائة فارس إلى البصرة ليلا ، نصب السلالم الشعر فى سورها فدخلها قهراً وفتحوا أبوابها وقتلوا من لقوه من أهلها ، وهرب أكثر الناس فألقوا أنفسهم فى الماء فغرق كثير منهم ، ومكث بها سبعة عشر يوما يقتل ويأسر من نسائها وذراريها ، ويأخذ مايختار من أموالها . ثم عاد إلى بلده هجر ، كلما بعث إليه الخليفة جنداً من قبله فر هاربا وترك البلد خاويا ، إنا لله وإنا إليه راجعون . وفيها عزل المقتدر عن الوزارة حامد بن العباس وعلى بن عيسى وردها إلى أبى الحسن بن الفرات مرة ثالثة ، وسلم إليه حامداً وعلى بن عيسى ، فأما حامد فان المحسن بن الوزير ضمنه من المقتدر بخمسمائة ألف ألف دينار ، فتسلمه فعاقبه بأنواع العقوبات ، وأخذ منه أموالا جزيلة لا تحصى ولا تعد كثرة ، ثم أرسله مع موكلين عليه إلى واسط ليحتاطوا على أمواله وحواصله هناك ، وأمرهم أن يسقوه سما فى الطريق فسقوه ذلك فى بيض مشوى

كان قد طلبه منهم ، فمات فى رمضان من هذه السنة . وأما على بن عيسى فانه صودر بثلثمائة ألف دينار وصودر قوم آخرون من كتابه ، فكان جملة ما أخذ من هؤلاء مع ما كان صودرت به القهرمانة من الذهب شيئاً كثيراً جداً آلاف ألف من الدنانير ، وغير ذلك من الأثاث والأملاك والدواب والآنية من الذهب والفضة . وأشار الوزير ابن الفرات على الخليفة المقتدر بالله أن يبعد عنه مؤنس الخادم إلى الشام ـ وكان قد قدم من بلاد الروم من الجهاد ، وقد فتح شيئا كثيراً من حصون الروم وبلدانهم ، وغنم مغانم كثيرة جداً ـ فأجابه إلى ذلك ، فسأل مؤنس الخليفة أن ينظره إلى سلخ شهر رمضان ، وكان مؤنس قد أعلم الخليفة بما يعتمده ابن الوزير من تعذيب الناس ومصادرتهم بالأموال ، فأمر الخليفة مؤنسا بالخروج إلى الشام . وفيها كثر الجراد وأفسد كثيراً من الغلات . وفى رمضان منها أمر الخليفة برد ما فضل من المواريث على ذوى الأرحام . وفى رمضان أحرق بالنار على باب العامة مائتين وأربعة أعدال من كتب الزنادقة ، منها ما كان صنفه الحلاج وغيره ، فسقط منها ذهب كثير كانت محلاة به . وفيها اتخذ أبو الحسن ابن الفرات الوزير مرستانا فى درب الفضل وكان ينفق عليه من ماله فى كل شهر مائتى دينار وفيها توفى من الأعيان .

﴿ الخلال أحمد بن محمد بن هاون ﴾

أبو بكر الخلال ، صاحب الكتاب الجامع لعلوم الامام أحمد ، ولم يصنف فى مذهب الامام أحمد مثل هذا الكتاب ، وقد سمع الخلال الحديث من الحسن بن عرفة وسعدان بن نصر وغيرهما . توفى يوم الجمعة قبل الصلاة ليومين مضتا من هذه السنة .

﴿ أبو محمد الجريرى ﴾

أحد أئمة الصوفية أحمد بن محمد بن الحسين أبو محمد الجريرى أحد كبار الصوفية ، صحب سريا السقطى ، وكان الجنيد يكرمه ويحترمه . ولما حضرت الجنيد الوفاة أوصى أن يجالس الجريرى ، وقد اشتبه على الجريرى هذا شأن الحلاج فكان ممن أجمل القول فيه ، على أن الجريرى هذا مذكور بالصلاح والديانة وحسن الأدب .

﴿ الزجاج صاحب معانى القرآن ﴾

إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، كان فاضلا دينا حسن الاعتقاد ، وله المصنفات الحسنة ، منها كتاب معانى القرآن وغيره من المصنفات العديدة المفيدة ، وقد كان أول أمره يخرط الزجاج فأحب علم النحو فذهب إلى المبرد ، وكان يعطى المبرد كل يوم درهما ، ثم استغنى الزجاج وكثر ماله ولم يقطع عن المبرد ذلك الدرهم حتى مات ، وقد كان الزجاج مؤدبا للقاسم بن عبيدالله . فلما ولى الوزارة كان الناس يأتونه بالرقاع ليقدمها إلى الوزير ، فحصل له بسبب ذلك ما يزيد على أربعين

ألف دينار . توفى فى جمادى الأولى منها . وعنه أخذ أبوعلى الفارسى النحوى ،وابن القاسم عبد الرحمن ابن إسحاق الزجاجى ، نسب إليه لأخذه عنه ، وهو صاحب كتاب الجمل فى النحو .

﴿ بدر مولى المعتضد ﴾

وهو بدر الحمامى و يقال له بدر الكبير ، كان فى آخر وقت على نيابة فارس ، ثم وليها من بعده ولده محمد .

﴿ حامد بن العباس ﴾

الوزير استوزره المقتدر فى سنة ست وثلثمائة ، وكان كثير المال والغلمان ، كثير النفقات كريما سخياً ، كثير المروءة. له حكايات تدل على بذله و إعطائه الأموال الجزيلة ، ومع هذا كان قد جمع شيئا كثيراً ، وجد له فى مطمورة ألوف من الذهب ، كان كل يوم إذا دخلها ألقى فيها ألف دينار ، فلما امتلأت طمها ، فلما صودر دل عليها فاستخرجوا منها مالا كثيرا جدا ، ومن أكبر مناقبه أنه كان من السعاة فى قتل الحسين الحلاج كما ذكرنا ذلك . توفى الوزير حامد بن العباس فى رمضان منها مسموماً . وفيها توفى عمر بن محمد بجتر البحترى صاحب الصحيح .

﴿ ابن خزيمة ﴾

محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى ، مولى محسن بن مزاحم الامام أبو بكر بن خزيمة الملقب بامام الأئمة ، كان بحراً من بحور العلم ، طاف البلاد و رحل إلى الآفاق فى الحديث وطلب العلم ، فكتب الكثير وصنف وجمع ، وكتابه الصحيح من أنفع الكتب وأجلها ، وهو من المجتهدين فى دين الاسلام ، حكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى طبقات الشافعية عنه أنه قال : ما قلدت أحداً منذ بلغت ستة عشر سنة ، وقد ذكرنا له ترجمة مطولة فى كتابنا طبقات الشافعية . وهو أحد المحمدين الذين أرملوا بمصر ثم رزقهم الله ببركة صلاته . وقد ذكرنا نحو ذلك فى ترجمة الحسن بن سفيان . وفيها توفى محمد بن زكريا الطبيب صاحب المصنف الكبير فى الطب .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتى عشرة وثلثمائة ﴾

فى المحرم منها اعترض القرمطى أبو طاهر الحسين بن أبى سعيد الجنابى لعنه الله ، ولعن أباه . للحجيج وهم راجعون من بيت الله الحرام ، قد أدوا فرض الله عليهم ، فقطع عليهم الطريق فقاتلوه دفعا عن أموالهم وأنفسهم وحريمهم ، فقتل منهم خلقا كثيراً لا يعلمهم إلا الله ، وأسر من نسائهم وأبنائهم مااختاره ،واصطفى من أموالهم ما أراد ، فكان مبلغ ما أخذه من الأموال مايقاوم ألف ألف دينار ، ومن الأمتعة والمتاجر نحو ذلك ، وترك بقية الناس بعد ماأخذ جمالهم و زادهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم على بعد الديار فى تلك الفيافى والبرية بلا ماء ولا زاد ولا محمل . وقد جاحف عن الناس نائب الكوفة أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان فهزمه وأسره . إنا لله و إنا إليه راجعون . وكان عدة من مع

القرمطى ثمانمائة مقاتل ، وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة قصمه الله . ولما انتهى خبرهم إلى بغداد قام نساؤهم وأهاليهم فى النياحة ونشرن شعورهن ولطمن خدودهن ، وانضاف إليهن نساء الذين نكبوا على يد الوزير وابنه ، وكان ببغداد يوم مشهود بسبب ذلك فى غاية البشاعة والشناعة ، فسأل الخليفة عن الخبر فذكروا له أنهم نسوة الحجيج ومعهن نساء الذين صادرهم ابن الفرات ، وجاءت على يد الحاجب نصر بن القشورى على الوزير فقال : يا أمير المؤمنين إنما استولى هذا القرمطى على ما استولى عليه بسبب إبعادك مؤنس الخادم المظفر ، فطمع هؤلاء فى الأطراف ، وما أشار عليك بإبعاده إلا ابن الفرات ، فبعث الخليفة إلى ابن الفرات يقول له : إن الناس يتكلمون فيك لنصحك إياى ، وأرسل يطيب قلبه ، فركب هو وولده إلى الخليفة فدخلا عليه فأكرمهما وطيب قلوبهما ، فخرجا من عنده فنالهما أذى كثير من نصر الحاجب وغيره من كبار الأمراء ، وجلس الوزير فى دسته فحكم بين الناس كعادته ، وبات ليلته تلك مفكراً فى أمره ، وأصبح كذلك وهو ينشد :

فأصبح لا يدرى وإن كان حازما * أقدامه خير له أم داره ؟

ثم جاءه فى ذلك اليوم أميران من جهة الخليفة فدخلا عليه داره إلى بين حريمه وأخرجوه مكشوفاً رأسه وهو فى غاية الذل والصغار ، والاهانة والعار ، فأركبوه فى حراقة إلى الجانب الآخر . وفهم الناس ذلك فرجموا ابن الفرات بالآجر ، وتعطلت الجوامع وخربت العامة المحاريب ، ولم يصل الناس الجمعة فيها ، وأخذ خط الوزير بألفى ألف دينار ، وأخذ خط ابنه بثلاثة آلاف ألف دينار ، وسلما إلى نازوك أمير الشرطة ، فاعتقلا حينا حتى خلصت منهما الأموال ، ثم أرسل الخليفة خلف مؤنس الخادم ، فلما قدم سلمهما إليه فأهانهما غاية الاهانة بالضرب والتقريع له ولولده المجرم الذى ليس بمحسن ، ثم قتلا بعد ذلك . واستوزر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن خاقان أبو القاسم ، وذلك فى تاسع ربيع الأول منها . ولما دخل مؤنس بغداد دخل فى تجمل عظيم وشفع عند ابن خاقان فى أن يرسل إلى على بن عيسى ـ وكان قد صار إلى صنعاء اليمن مطرودا ـ فعاد إلى مكة وبعث إليه الوزير أن ينظر فى أمر الشام ومصر ، وأمر الخليفة مؤنس الخادم بأن يسير إلى الكوفة لقتال القرامطة ، وأنفق على خروجه ألف ألف دينار ، وأطلق القرمطى من كان أسره من الحجيج ، وكانوا ألفى رجل وخمسمائة امرأة ، وأطلق أبا الهيجاء نائب الكوفة معهم أيضاً ، وكتب إلى الخليفة يسأل منه البصرة والأهواز فلم يجب إلى ذلك ، وركب المظفر مؤنس فى جحافل إلى بلاد الكوفة فسكن أمرها ، ثم انحدر منها إلى واسط واستناب على الكوفة ياقوت الخادم ، فتمهدت الأمور وانصلحت . وفى هذه السنة ظهر رجل بين الكوفة وبغداد فادعى أنه محمد بن إسماعيل بن محمد بن محمد بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وصدقه على ذلك طائفة من الأعراب والطغام ، والتفوا عليه

وقويت شوكته فى شوال ، فأرسل إليـه الوزير جيشاً فقاتلوه فهزموه وقتلوا خلقا من أصحابه ، وتفرق بقيتهم . وهذا المدعى المذكور هو رئيس الاسماعيلية وهو أولهم . وظفرنازوك صاحب الشرطة بثلاثة من أصحاب الحلاج : وهم حيدرة ،والشعرانى ، وابن منصور ، فطالبهم بالرجوع عن اعتقادهم فيـه فلم يرجعوا ،فضرب رقابهم وصلبهم فى الجـانب الشرقى . ولم يحج فى هذه السنة أحـد من أهل العراق لكثرة خوف الناس من القرامطة .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ إبراهيم بن خميس ﴾

أبو إسحاق الواعظ الزاهد . كان يعظ الناس ، فمن جملة كلامه الحسن قوله : يضحك القضاء من الحذر ، و يضحك الأجـل من الأمل ، و يضحك التقـدير من التدبير ، وتضحك القسمة من الجهد والعناء .

﴿ على بن محمد بن الفرات الوزير ﴾

ولاه المقتـدر الوزارة ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم ولاه ثم عزله ثم ولاه ثم قتـله فى هذه السنة ، وقتـل ولده ، وكان ذامال جزيل : ملك عشرة آلاف ألف دينار ، وكان يدخل له من ضياعه كل سـنة ألف ألف دينار ، وكان ينفق عـلى خمسة آلاف من العباد والعلماء ، تجرى عليهم نفقات فى كل شهر ما فيـه كفايتهم ، وكان له معرفة بالوزارة والحساب ، يقـال إنه نظر يوماً فى ألف كتاب ، و وقع على ألف رقعة ، فتعجب من حضره من ذلك ، وكانت فيه مروءة وكرم وحسن سيرة فى ولاياته ، غير هذه المرة فانه ظلم وغشم وصادر الناس وأخـذ أموالهم ، فأخذه الله أخذ القرى وهى ظالمة ، أخـذ عزيز مقتدر . وقد كان ذا كرم وسـعة فى النفقة ، ذاكر عنده ذات ليلة أهل الحـديث والصوفية وأهل الأدب فأطلق من ماله لكل طائفة عشرين ألفا . وكتب رجل على لسانه إلى نائب مصر كتابا فيه وصية به منه إليه ، فلما دفع المكتوب إلى نائب مصر استراب منه وقال : ما هذا خط الوزير ، وأرسل به إلى الوزير ، فلما وقف عليه عرف أنه كذب وزور ، فاستشار الحاضرين عنـده فيما يفعل بالذى زور عليه ، فقال بعضهم : تقطع يديه . وقال آخر تقطع إبهاميـه ، وقال آخر يضرب ضربا مبرحاً . فقال الوزير : أو خير من ذلك كله ؟ ثم أخذ الـكتاب وكتب عليـه : نعم هذا خطى وهو من أخص أصحابى ، فلا تتركن من الخير شيئا مما تقدر عليه إلا أوصلته إليه . فلما عاد الـكتاب أحسن نائب مصر إلى ذلك الرجل إحسانا بالغا ، ووصله بنحو من عشرين ألف دينار . واستدعى ابن الفرات يوما ببعض الكتاب فقال له : و يحـك إن نيتى فيك سـيئة ، و إنى فى كل وقت أريد أن أقبض عليك وأصادرك ، فأراك فى المنام تمنعنى برغيف ، وقد رأيتك فى المنام من ليال ، وإنى أريد القبض عليك ، فجعلت تمتنع منى ، فأمرت جندى أن يقاتلوك ، فجعلوا كلما ضربوك بشئ من سهام وغيرها تتقى الضرب برغيف فى يدك ، فلا يصل إليك شئ ، فأعلمنى ما قصة هذا الرغيف .

فقال : أيها الوزير إن أمى منذ كنت صغيرا كل ليلة تضع تحت وسادتى رغيفا ، فاذا أصبحت تصدقت به عنى ، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت . فلما ماتت فعلت أنا ذلك مع نفسى ، فكل ليلة أضع تحت وسادتى رغيفا ثم أصبح فأتصدق به . فعجب الوزير من ذلك وقال : والله لا ينالك منى بعد اليوم سوء أبداً ، ولقدحسنت نيتى فيك ، وقد أحببتك . وقد أطال ابن خلكان ترجمته فذكر بعض ما أوردناه فى ترجمته .

﴿ محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث بن عبد الرحمن ﴾

أبو بكر الأزدى الواسطى ، المعروف بالباغندى ، سمع محمد بن عبد الله بن نمير ، وابن أبى شيبة وشيبان بن فروخ ، وعلى بن المدينى ، وخلقا من أهل الشام ومصر والكوفة والبصرة و بغداد ، ورحل إلى الأمصار البعيدة ، وعنى بهذا الشأن ، واشتغل فيه فأفرط ، حتى قيل إنه ربما سرد بعض الأحاديث بأسانيدها فى الصلاة والنوم وهو لا يشعر ، فكانوا يسبحون به حتى يتذكر أنه فى الصلاة ، وكان يقول : أنا أجيب فى ثلثمائة ألف مسألة من الحديث لا أتجاوزه إلى غيره . وقد رأى رسول الله ﷺ فى منامه فقال له : يا رسول الله أيما أثبت فى الأحاديث منصور أو الأعمش ؟ فقال له : منصور . وقد كان يعاب بالتدليس حتى قال الدارقطنى : هو كثير التدليس ، يحدث بما لم يسمع ، وربما سرق بعض الأحاديث والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلثمائة ﴾

قال ابن الجوزى : فى ليلة بقيت من المحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب إلى الشمال قبل مغيب الشمس ، فأضاءت الدنيا منه وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد . و فى صفر منها بلغ الخليفة أن جماعة من الرافضة يجتمعون فى مسجد براثى فينالون من الصحابة ولا يصلون الجمعة ، ويكاتبون القرامطة و يدعون إلى محمد بن إسماعيل الذى ظهر بين الكوفة و بغداد ، ويدعون أنه المهدى ، و يتبرأون من المقتدر وممن تبعه . فأمر بالاحتياط عليهم واستفتى العلماء بالمسجد فافتوا بأنه مسجد ضرار ، فضرب من قدر عليه منهم الضرب المبرح ، ونودى عليهم . وأمر بهدم ذلك المسجد المذكور فهدم ، هدمه نازوك ، وأمر الوزير الخاقانى فجعل مكانه مقبرة فدفن فيها جماعة من الموالى . وخرج الناس للحج فى ذى القعدة فاعترضهم أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى القرمطى ، فرجع أكثر الناس إلى بلدانهم ، و يقال إن بعضهم سأل منه الأمان لينهبوا فأمنهم . وقد قاتله جند الخليفة فلم يغن ذلك شيئا لتمرده وشدة بأسه ، فانزعج أهل بغداد من ذلك ، وترحل أهل الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى خوفا منهم ، ودخل القرمطى إلى الكوفة فأقام بها شهراً يأخذ من أموالها ونسائها ما يختار . قال ابن الجوزى : وكثر الرطب فى هذه السنة ببغداد حتى بيع كل ثمانية أرطال بحبة ، وعمل

منه ثم رحل إلى البصرة . وعزل المقتدر وزيره الخاقانى بعد أن ولاه سنة وستة أشهر و يومين ، وولى مكانه أبا القاسم أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن الخطيب الخصيبى ، لأجل مال بذله من جهة زوجة للحسن بن الفرات ، وكان ذلك المال سبعمائة ألف دينار فأمر الخصيبى على بن عيسى على أن يكون مشرفا على ديار مصر و بلاد الشام ، وهو مقيم بمكة يسير إلى تلك البلاد فى بعض الأوقات فيعمل ما ينبغى ثم يرجع إلى مكة . وفيها توفى من الأعيان :

﴿ على بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان ﴾

أبو الحسن الغضائرى ، سمع القواريرى وعباساً العنبرى ، وكان من العباد الثقات . قال : جئت يوماً إلى السرى السقطى فدققت عليه بابه فخرج إلى ووضع يده على عضادتى الباب وهو يقول : اللهم اشغل من شغلنى عنك بك . قال : فنالتنى بركة هذه الدعوة فحججت على قدمى من حلب إلى مكة أربعين حجة ذاهبا وآيباً .

﴿ أبو العباس السراج الحافظ ﴾

محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبد الله الثقفى مولاهم ، أبو العباس السراج ، أحد الأئمة الثقات الحفاظ ، مولده سنة ثمان عشرة ومائتين ، سمع قتيبة و إسحاق بن راهويه وخلقا كثيرا من أهل خراسان و بغداد والكوفة والبصرة والحجاز ، وقد حدث عنه البخارى ومسلم ، وهما أكبر منه وأقدم ميلاداً و وفاة ، وله مصنفات كثيرة نافعة جداً ، وكان يعد من مجابى الدعوة . وقد رأى فى منامه كأنه يرقى فى سلم فصعد فيه تسعاً وتسعين درجة ، فما أولها على أحد إلا قال له : تعيش تسعاً وتسعين سنة ، فكان كذلك . وقد ولد له ابنه أبو عمرو وعمره ثلاث وثمانون سنة . قال الحاكم : فسمعت أبا عمرو يقول : كنت إذا دخلت المسجد على أبى والناس عنده يقول لهم : هذا عملته فى ليلة ولى من العمر ثلاث وثمانون سنة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلثمائة ﴾

فيها كتب ملك الروم ، وهو الدمستق لعنه الله ، إلى أهل السواحل أن يحملوا إليه الخراج ، فأبوا عليه فركب إليهم فى جنوده فى أول هذه السنة ، فعاث فى الأرض فسادا ، ودخل ملطية فقتل من أهلها خلقا وأسر وأقام بها ستة عشر يوماً ، وجاء أهلها إلى بغداد يستنجدون الخليفة عليه . ووقع فى بغداد حريق فى مكانين ، مات فيهما خلق كثير ، وأحرق فى أحدهما ألف دار ودكان ، وجاءت الكتب بموت الدمستق ملك النصارى فقرئت الكتب على المنابر . وجاءت الكتب من مكة أنهم فى غاية الانزعاج بسبب اقتراب القرامطة إليهم وقصدهم إياهم ، فرحلوا منها إلى الطائف وتلك النواحى . وفيها هبت ريح عظيمة بنصيبين اقتلعت أشجاراً كثيرة وهدمت البيوت . قال ابن

الجوزى : وفى يوم الأحد لثمان مضين من شوال منها ـ وهو سابع كانون الأول ـ سقط ببغداد ثلج عظيم جداً حصل بسببه برد شديد ، بحيث أتلف كثيراً من النخيل والأشجار ، وجمدت الأدهان حتى الأشربة ، وماء الورد والخل والخلجان الكبار ، ودجلة . وعقد بعض مشايخ الحديث مجلسا للتحديث على متن دجلة من فوق الجمد ، وكتب هنالك ، ثم انكسر البرد بمطر وقع فأزال ذلك كله ولله الحمد . وفيها قدم الحجاج من خراسان إلى بغداد فاعتذر إليهم مؤنس الخادم بأن القرامطة قد قصدوا مكة ، فرجعوا ولم يتهيأ الحج فى هذه السنة من ناحية العراق بالكلية . وفى ذى القعدة عزل الخليفة وزيره أبا العباس الخصيبى بعد سنة وشهرين ، وأمر بالقبض عليه وحبسه ، وذلك لاهماله أمر الوزارة والنظر فى المصالح ، وذلك لاشتغاله بالخمر فى كل ليلة فيصبح مخموراً لا تمييز له ، وقد وكل الأمور إلى نوابه فخانوا وعملوا مصالحهم ، وولى أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى نيابة عن على بن عيسى ، حتى يقدم ، ثم أرسل فى طلب على بن عيسى وهو بدمشق ، فقدم بغداد فى أبهة عظيمة ، فنظر فى المصالح الخاصة والعامة ، ورد الأمور إلى السداد ، وتمهدت الأمور . واستدعى بالخصيبى فتهدده ولامه وناقشه على ما كان يعتمده ويفعله فى خاصة نفسه من معاصى الله عز وجل ، وفى الأمور العامة ، وذلك بحضرة القضاة والأعيان . ثم رده إلى السجن . وفيها أخذ نصر ابن أحمد السامانى الملقب بالسعيد بلاد الرى وسكنها إلى سنة ست عشرة وثلثمائة . وفيها غزت الصائفة من طرسوس بلاد الروم فغنموا وسلموا . ولم يحج ركب العراق خوفا من القرامطة .

وفيها توفى من الأعيان سعد النوبى صاحب باب النوبى من دار الخلافة ببغداد فى صفر ، وأقيم أخوه مكانه فى حفظ هذا الباب الذى صار ينسب بعد إليه . ومحمد بن محمد الباهلى . ومحمد بن عمر ابن لبابة القرطبى . ونصر بن القاسم الفرائضى الحنفى أبو الليث ، سمع القواريرى وكان ثقة عالما بالفرائض على مذهب أبى حنيفة ، مقريا جليلا .

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلثمائة ﴾

فى صفر منها كان قدوم على بن عيسى الوزير من دمشق ، وقد تلقاه الناس إلى أثناء الطريق ، فمنهم من لقيه إلى الأنبار ، ومنهم دون ذلك . وحين دخل إلى الخليفة خاطبه الخليفة فأحسن مخاطبته ثم انصرف إلى منزله ، فبعث الخليفة وراءه بالفرش والقماش وعشرين ألف دينار ، واستدعاه من الغد فخلع عليه فأنشد وهو فى الخلعة :

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها * فكيف ما انقلبت به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوماً عليه بما لا يشتهى وثبوا

وفيها جاءت الكتب بأن الروم دخلوا شميساط وأخذوا جميع ما فيها ، ونصبوا فيها خيمة الملك

وضربوا الناقوس فى الجامع بها ، فأمر الخليفة مؤنس الخادم بالتجهيز إليهم ، وخلع عليه خلعة سنية . ثم جاءت الكتب بأن المسلمين وثبوا على الروم فقتلوا منهم خلقا كثيرا جدا فلله الحمد والمنة . ولما تجهز مؤنس للمسير جاءه بعض الخدم فأعلمه أن الخليفة يريد أن يقبض عليه إذا دخل لوداعه ، وقد حضرت له ريبة فى دار الخلافة مغطاة ليقع فيها ، فأحجم عن الذهاب . وجاءت الأمراء إليه من كل جانب ليكونوا معه على الخليفة ، فبعث إليه الخليفة رقعة فيها خطه يحلف له أن هذا الأمر الذى بلغه ليس بصحيح . فطابت نفسه وركب إلى دار الخلافة فى غلمانه ، فلما دخل على الخليفة خاطبه مخاطبة عظيمة . وحلف أنه طيب القلب عليه ، وله عنده الصفاء الذى يعرفه . ثم خرج من بين يديه معظماً مكرماً ، وركب العباس بن الخليفة والوزير ونصر الحاجب فى خدمته لتوديعه ، وكبر الأمراء بين يديه مثل الحجبة ، وكان خروجه يوماً مشهوداً ، قاصداً بلاد الثغور لقتال الروم . وفى جمادى الأولى منها قبض على رجل خناق قد قتل خلقا من النساء ، وكان يدعى لهن أنه يعرف العطف والتنجيم ، فقصده النساء لذلك فاذا انفرد بالمرأة قام إليها ففعل معها الفاحشة وخنقها بوتر وأعانته امرأته وحفر لها فى داره فدفنها ، فاذا امتلأت تلك الدار من القتلى انتقل إلى دار أخرى . ولما ظهر عليه وجد فى داره التى هو فيها أخيراً سبع عشرة امرأة قد خنقهن ، ثم تتبعت الدور التى سكنها فوجدوه قد قتل شيئاً كثيراً من النساء ، فضرب ألف سوط ثم خنق حتى مات. وفيها كان ظهور الديلم قبحهم الله ببلاد الرى ، وكان فيهم ملك غلب على أمرهم يقال له مرداويح ، يجلس على سرير من ذهب و بين يديه سرير من فضة ، ويقول : أنا سليمان بن داود . وقد سار فى أهل الرى وقزوين وأصبهان سيرة قبيحة جداً ، فكان يقتل النساء والصبيان فى المهد ، ويأخذ أموال الناس ، وهو فى غاية الجبروت والشدة والجرأة على محارم الله عز وجل ، فقتلته الأتراك وأراح الله المسلمين من شره . وفيها كانت بين يوسف بن أبى الساج و بين أبى طاهر القرمطى عند الكوفة موقعة فسبقه إليها أبو طاهر فحال بينه و بينها ، فكتب إليه يوسف بن أبى الساج : اسمع وأطع وإلا فاستعد للقتال يوم السبت تاسع شوال منها ، فكتب إليه : هلم . فسار إليه ، فلما تراءا الجمعان استقل يوسف جيش القرمطى ، وكان مع يوسف بن أبى الساج عشرون ألفا ، ومع القرمطى ألف فارس وخمسمائة رجل . فقال يوسف : وما قيمة هؤلاء الكلاب ؟ وأمر الكاتب أن يكتب بالفتح إلى الخليفة قبل اللقاء ، فلما اقتتلوا ثبت القرامطة ثباتاً عظيما ، ونزل القرمطى فحرض أصحابه وحمل بهم حملة صادقة ، فهزموا جند الخليفة ، وأسروا يوسف ابن أبى الساج أمير الجيش ، وقتلوا خلقاً كثيراً من جند الخليفة ، واستحوذوا على الكوفة ، وجاءت الأخبار بذلك إلى بغداد ، وشاع بين الناس أن القرامطة يريدون أخذ بغداد ، فانزعج الناس لذلك وظنوا صدقه ، فاجتمع الوزير بالخليفة وقال : يا أمير المؤمنين إن الأموال إنما تدخر لتكون عوناً على

قتال أعداء الله ، و إن هذا الأمر لم يقع أمر بعد زمن الصحابة أفظع منه ، قد قطع هذا الكافر طريق الحج على الناس ، وفتك فى المسلمين مرة بعد مرة ، و إن بيت المال ليس فيه شئ ، فاتق الله يا أمير المؤمنين وخاطب السيدة - يعنى أمه - لعل أن يكون عندها شئ ادخرته لشدة ، فهذا وقته . فدخل على أمه فكانت هى التى ابتدأته بذلك ، و بذلت له خمسمائة ألف دينار ، وكان فى بيت المال مثلها ، فسلمها الخليفة إلى الوزير ليصرفها فى تجهيز الجيوش لقتال القرامطة ، فجهز جيشا أربعين ألف مقاتل مع أمير يقال له بلبق ، فسار نحوهم ، فلما سمعوا به أخذوا عليه الطرقات ، فأراد دخول بغداد فلم يمكنه ، ثم التقوا معه فلم يلبث بلبق وجيشه أن انهزم ، فانا لله و إنا إليه راجعون . وكان يوسف بن أبى الساج معهم مقيداً فى خيمة فجعل ينظر إلى محل الوقعة ، فلما رجع القرمطى قال : أردت أن تهرب ؟ فأمر به فضربت عنقه . و رجع القرمطى من ناحية بغداد إلى الأنبار . ثم انصرف إلى هيت فأكثر أهل بغداد الصدقة ، وكذلك الخليفة وأمه والوزير شكراً لله على صرفه عنهم . وفيها بعث المهدى المدعى أنه فاطمى ببلاد المغرب ولده أبا القاسم فى جيش إلى بلاد منها ، فانهزم جيشه وقتل من أصحابه خلق كثير . وفيها اختط المهدى المذكور مدينته المحمدية . وفيها حاصر عبد الرحمن بن الداخل إلى بلاد المغرب الأموى مدينة طليطلة ،وكانوا مسلمين ، لكنهم نقضوا عهده ففتحها قهراً وقتل خلقاً من أهلها .

وفيها توفى من الأعيان :

﴿ ابن الجصاص الجوهرى ﴾

واسمه الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهرى أبو عبد الله البغدادى ، كان ذا مال عظيم وثروة واسعة ، وكان أصل نعمته من بيت أحمد بن طولون ، كان قد جعله جوهريا له يسوق له مايقع من نفائس الجواهر بمصر ، فاكتسب بسبب ذلك أموالا جزيلة جداً . قال ابن الجصاص : كنت يوما بباب ابن طولون إذ خرجت القهرمانة و بيدها عقد فيه مائة حبة من الجوهر ، تساوى كل واحدة ألفى دينار . قالت : أريد أن تأخذ هذا فتخرطه حتى يكون أصغر من هذا الحجم . فان هذا نافر عما يريدونه . فأخذته منها وذهبت به إلى منزلى وجعلت جواهر أصغر منه تساوى أقل من عشر قيمة تلك بكثير ، فدفعتها إليها وفزت أنا بذلك الذى جاءت به ، وأرادت خرطه و إتلافه . فكانت قيمته مائتى ألف دينار . واتفق أنه صودر فى أيام المقتدر مصادرة عظيمة ، أخذ منه فيها ما يقاوم ستة عشر ألف ألف دينار ، و بقى معه من الأموال شئ كثير جداً . قال بعض التجار : دخلت عليه فوجدته يتردد فى منزله كأنه مجنون ، فقلت له : مالك هكذا ؟ فقال : و يحك ، أخذ منى كذا وكذا فأنا أحس أن روحى ستخرج ، فعذرته ثم أخذت فى تسليته فقلت له : إن دورك و بساتينك وضياعك الباقية تساوى سبعمائة ألف دينار ، وأصدقنى كم بقى عندك من الجواهر والمتاع ؟ فاذا شئ يساوى ثلثمائة ألف دينار

غير ما بقى عنده من الذهب والفضة المصكوكة . فقلت له : إن هذا أمر لا يشاركك فيه أحد من التجار ببغداد ، مع مالك من الوجاهة عند الدولة والناس . قال : فسرى عنه وتسلى عما فات وأكل - وكان له ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً - ولما خلص فى مصادرة المقتدر بشفاعة أمه السيدة فيه حكى عن نفسه قال : نظرت فى دار الخلافة إلى مائة خيشه ، فيها متاع رث مما حمل إلى من مصر ، وهو عندهم فى دار مضيعة وكان لى فى حمل منها ألف دينار موضوعة فى مصر لا يشعر بها أحد ، فاستوهبت ذلك من أم المقتدر فكلمت فى ذلك ولدها فأطلقه إلى فتسلمته فاذا الذهب لم ينقص منه شئ .

وقد كان ابن الجصاص مع ذلك مغفلا شديد التغفل فى كلامه وأفعاله ، وقد ذكر عنه أشياء تدل على ذلك ، وقيل إنه إنما كان يظهر ذلك قصدا ليقال إنه مغفل ، وقيل إنه كان يقول ذلك على سبيل البسط والدعابة والله سبحانه أعلم .

وفيها توفى عبد الله بن محمد القزوينى . و

﴿ على بن سليمان بن المفضل ﴾

أبو الحسن الأخفش ، روى عن المبرد وثعلب واليزيدى وغيرهم ، وعنه الرويانى والمعافا وغيرهما. وكان ثقة فى نقله ، فقيراً فى ذات يده ، توصل إلى أبى على بن مقلة حتى كلم فيه الوزير على بن عيسى فى أن يرتب له شيئاً فلم يجبه إلى ذلك ، وضاق به الحال حتى كان يأكل اللفت النئ فمات فجأة من كثرة أكله فى شعبان منها . وهذا هو الأخفش الصغير ، والأوسط هو سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه . وأما الكبير فهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبدالمجيد ، من أهل هجر ، وهو شيخ سيبويه وأبى عبيد وغيرهما . وقيل إن أبا بكر محمد بن السرى السراج النحوى صاحب الأصول فى النحو فيها مات . قاله ابن الأثير . ومحمد بن المسيب الأرغيانى .

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة ﴾

فيها عاث أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى القرمطى فى الأرض فساداً ، حاصر الرحبة فدخلها قهراً وقتل من أهلها خلقاً ، وطلب منه أهل قرقيسيا الأمان فأمنهم ، وبعث سراياه إلى ما حولها من الأعراب فقتل منهم خلقا ، حتى صار الناس إذا سمعوا بذكره يهربون من سماع اسمه ، وقدر على الاعراب إمارة يحملونها إلى هجر فى كل سنة ، عن كل رأس ديناران . وعاث فى نواحى الموصل فسادا ، وفى سنجار ونواحيها ، وخرب تلك الديار وقتل وسلب ونهب . فقصده مؤنس الخادم فلم يتواجها بل رجع إلى بلده هجر فابتنى بها داراً سماها دار الهجرة ، ودعا إلى المهدى الذى ببلاد المغرب بمدينة المهدية . وتفاقم أمره وكثرت أتباعه فصاروا يكبسون القرية من أرض السواد فيقتلون أهلها وينهبون أموالها ، ورام فى نفسه دخول الكوفة وأخذها فلم يطق ذلك . ولما رأى الوزير على

ابن عيسى مايفعله هذا القرمطي في بلاد الاسلام ، وليس له دافع استعفى من الوزارة لضعف الخليفة وجيشه عنه ، وعزل نفسه منها ، فسعى فيها علي بن مقلة الكاتب المشهو ، فوليها بسفارة نصر الحاجب والى عبد الله البريدي ـ بالباء الموحدة ـ من البريد ، ويقال اليزيدي لخدمة جده يزيد بن منصور الحميري . ثم جهز الخليفة جيشاً كثيفا مع مؤنس الخادم فاقتتلوا مع القرامطة فقتلوا من القرامطة خلقا كثيراً ، وأسروا منهم طائفة كثيرة من أشرافهم ، ودخل بهم مؤنس الخادم بغداد ومعه أعلام من أعلامهم منكسة مكتوب عليها (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض) الآية . ففرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، وطابت أنفس البغاددة ، وانكسر القرامطة الذين كانوا قد نشأوا وفشوا بأرض العراق ، وفوّض القرامطة أمرهم إلى رجل يقال له حريث بن مسعود ، ودعوا إلى المهدى الذى ظهر ببلاد المغرب جد الفاطميين ، وهم أدعياء كذبة ، كما قد ذكر ذلك غير واحد من العلماء . كما سيأتى تفصيله وبيانه فى موضعه . وفيها وقعت وحشة بين مؤنس الخادم والمقتدر ، وسبب ذلك أن نازوكا أمير الشرطة وقع بينه وبين هارون بن عريب ـ وهو ابن خال المقتدر ـ فانتصر هارون على نازوك وشاع بين العامة أن هارون سيصير أمير الامراء . فبلغ ذلك مؤنس الخادم وهو بالرقة فأسرع الأوبة إلى بغداد ، واجتمع بالخليفة فتصالحا ، ثم إن الخليفة نقل هارون إلى دار الخلافة فقويت الوحشة بينهما ، وانضم إلى مؤنس جماعة من الأمراء وترددت الرسل بينهما ، وانقضت هذه السنة والأمر كذلك . وهذا كله من ضعف الأمور واضطرابها وكثرة الفتن وانتشارها . وفيها كان مقتل الحسين بن القاسم الداعي العلوى صاحب الرى على يد صاحب الديلم وسلطانهم مرداويج المجرم قبحه الله .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد ﴾

أبو الحسن الزاهد ، ويعرف بالحمال ، وكانت له كرامات كثيرة ، وله منزلة كبيرة عند الناس ، وكان لا يقبل من السلطان شيئا ، وقد أنكر يوماً على ابن طولون شيئا من المنكرات وأمره بالمعروف ، فأمر به فألقى بين يدى الأسد ، فكان الاسد يشمه ويحجم عنه ، فأمر برفعه من بين يديه وعظمه الناس جداً ، وسأله بعض الناس عن حاله حين كان بين يدى الأسد فقال له : لم يكن على بأس . قد كنت أفكر فى سؤر السباع واختلاف العلماء فيه هل هو طاهر أم نجس . قالوا : وجاءه رجل فقال له : إن لى على رجل مائة دينار ، وقد ذهبت الوثيقة ، وأنا أخشى أن ينكر الرجل ، فأسألك أن تدعو لى بأن يرد الله على الوثيقة . فقال بنان : إنى رجل قد كبرت سنى ورق عظمى ، وأنا أحب الحلواء ، فاذهب فاشتر لى منها رطلا وأتنى به حتى أدعو لك . فذهب الرجل فاشترى الرطل ثم جاء به إليه ففتح الورقة التى فيها الحلواء فاذا هى حجته بالمائة دينار . فقال له : أهذه حجتك ؟ قال : نعم . قال : خذ

حجتك وخذ الحلواء فأطعمها صبيانك . ولما توفى خرج أهل مصر فى جنازته تعظيما له وإكراما لشأنه .
وفيها توفى محمد بن عقيل البلخى . وأبو بكر بن أبى داود السجستانى الحافظ بن الحافظ . وأبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الاسفرائينى ، صاحب الصحيح المستخرج على مسلم ، وقد كان من الحفاظ المكثرين ، والأئمة المشهورين . ونصر الحاجب ، كان من خيار الأمراء ، دينا عاقلا ، أنفق من ماله فى حرب القرامطة مائة ألف دينار . وخرج بنفسه محتسباً فمات فى أثناء الطريق فى هذه السنة . وكان حاجباً للخليفة المقتدر .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلثمائة ﴾

فيها كان خلع المقتدر وتولية القاهر محمد بن المعتضد بالله : فى المحرم منها اشتدت الوحشة بين مؤنس الخادم والمقتدر بالله ، وتفاقم الحال وآل إلى أن اجتمعوا على خلع المقتدر وتولية القاهر محمد ابن المعتضد ، فبايعوه بالخلافة وسلموا عليه بها ، ولقبوه القاهر بالله . وذلك ليلة السبت النصف من المحرم ، وقلد على بن مقلة وزارته ، ونهبت دار المقتدر ، وأخذوا منها شيئا كثيراً جداً ، وأخذوا لأم المقتدر خمسمائة ألف دينار - وكانت قد دفنتها فى قبر فى تربتها - فحملت إلى بيت المال ، وأخرج المقتدر وأمه وخالته وخواصه وجواريه من دار الخلافة ، وذلك بعد محاصرة دار الخلافة ، وهرب من كان بها من الحجبة والخدم ، وولى نازوك الحجوبة مضافا إلى ما بيده من الشرطة ، وألزم المقتدر بأن كتب على نفسه كتابا بالخلع من الخلافة وأشهد على نفسه بذلك جماعة من الأمراء والأعيان ، وسلم الكتاب إلى القاضى أبى عمر محمد بن يوسف ، فقال لولده الحسين : احتفظ بهذا الكتاب فلا يرينه أحد من خلق الله . ولما أعيد المقتدر إلى الخلافة بعد يومين رده إليه ، فشكره على ذلك جداً وولاه قضاء القضاة . فلما كان يوم الأحد السادس عشر من المحرم جلس القاهر بالله فى منصب الخلافة ، وجلس بين يديه الوزير أبو على بن مقلة ، وكتب إلى العمال بالآفاق يخبرهم بولاية القاهر بالخلافة عوضاً عن المقتدر ، وأطلق على بن عيسى من السجن ، وزاد فى أقطاع جماعة من الأمراء الذين قاموا بنصره ، منهم أبو الهيجاء بن حمدان . فلما كان يوم الاثنين جاء الجند وطلبوا أرزاقهم وشغبوا ، وبادروا إلى نازوك فقتلوه ، وكان مخموراً ، ثم صلبوه . وهرب الوزير ابن مقلة ، وهرب الحجاب ونادوا يامقتدر يا منصور ، ولم يكن مؤنس يومئذ حاضراً ، وجاء الجند إلى باب مؤنس يطالبونه بالمقتدر ، فأغلق بابه دونهم وجاحف دونه خدمه . فلما رأى مؤنس أنه لا بد من تسليم المقتدر إليهم أمره بالخروج ، فخاف المقتدر أن يكون حيلة عليه ، ثم تجاسر فخرج فحمله الرجال على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخلافة ، فسأل عن أخيه القاهر وأبى الهيجاء بن حمدان ليكتب لهما أمانا ، فما كان عن قريب حتى جاءه خادم ومعه رأس أبى الهيجاء قد احتز رأسه وأخرجه من بين كتفيه ، ثم

استدعى بأخيه القاهر فأجلسه بين يديه واستدعاه إليه ، وقبّل بين عينيه ، وقال : يا أخى أنت لاذنب لك ، وقد علمت أنك مكره مقهور . والقاهر يقول : الله الله ! نفسى يا أمير المؤمنين . فقال : وحق رسول الله ﷺ لاجرى عليك منى سوء أبدا . وعاد ابن مقلة فكتب إلى الآفاق يعلمهم بعود المقتدر إلى الخلافة ، وتراجعت الأمور إلى حالها الأول ، وحمل رأس نازوك وأبى الهيجاء ونودى عليهما : هذا رأس من عصى مولاه . وهرب أبو السرايا بن حمدان إلى الموصل ، وكان ابن نفيس من أشد الناس على المقتدر ، فلما عاد إلى الخلافة خرج من بغداد متنكراً فدخل الموصل ، ثم صار إلى إرمينية ، ثم لحق بالقسطنطينية فتنصر بها مع أهلها . وأما مؤنس فانه لم يكن فى الباطن على المقتدر ، وإنما وافق جماعة الأمراء مكرها ، ولهذا لما كان المقتدر فى داره لم ينله منه ضيم ، بل كان يطيب قلبه ، ولو شاء لقتله لما طلب من داره . فلهذا لما عاد المقتدر إلى الخلافة رجع إلى دار مؤنس فبات بها عنده ، لثقته به . وقرر أبا على بن مقلة على الوزارة ، وولى محمد بن يوسف قضاء القضاة ، وجعل محمداً أخاه - وهو القاهر - عند والدته بصفة محبوس عندها ، فكانت تحسن إليه غاية الاحسان ، وتشترى له السرارى وتكرمه غاية الاكرام .

﴿ ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم ، وما كان منهم إلى الحجيج ﴾

فيها خرج ركب العراق وأميرهم منصور الديلمى فوصلوا إلى مكة سالمين ، وتوافت الركوب هناك من كل مكان وجانب وفج ، فما شعروا إلا بالقرمطى قد خرج عليهم فى جماعته يوم التروية ، فانتهب أموالهم واستباح قتالهم ، فقتل فى رحاب مكة وشعابها وفى المسجد الحرام وفى جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً ، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة ، والرجال تصرع حوله ، والسيوف تعمل فى الناس فى المسجد الحرام فى الشهر الحرام فى يوم التروية ، الذى هو من أشرف الأيام ، وهو يقول : أنا الله وبالله ، أنا أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا . فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدى ذلك عنهم شيئاً . بل يقتلون وهم كذلك ، ويطوفون فيقتلون فى الطواف ، وقد كان بعض أهل الحديث يومئذ يطوف ، فلما قضى طوافه أخذته السيوف ، فلما وجب أنشد وهو كذلك .

ترى المحبين صرعى فى ديارهم * كفتية الكهف لايدرون كم لبثوا

فلما قضى القرمطى لعنه الله أمره وفعل مافعل بالحجيج من الأفاعيل القبيحة ، أمر أن تدفن القتلى فى بئر زمزم ، ودفن كثيراً منهم فى أماكنهم من الحرم ، وفى المسجد الحرام . وياحبذا تلك القتلة وتلك الضجعة ، وذلك المدفن والمكان ، ومع هذا لم يغسلوا ولم يكفنوا ولم يصل عليهم لأنهم محرمون شهداء فى نفس الأمر . وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها ، وشققها بين

أصحابه، وأمر رجلا أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه، فسقط على أم رأسه فمات إلى النار. فعند ذلك انكف الخبيث عن الميزاب، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاءه رجل فضربه بمثقل فى يده وقال: أين الطير الأبابيل، أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة حتى ردوه، كما سنذكره فى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة فانا لله وإنا إليه راجعون.

ولما رجع القرمطى إلى بلاده ومعه الحجر الأسود وتبعه أمير مكة هو وأهل بيته وجنده وسأله وتشفع إليه أن يرد الحجر الأسود ليوضع فى مكانه، وبذل له جميع ماعنده من الأموال فلم يلتفت إليه، فقاتله أمير مكة فقتله القرمطى وقتل أكثر أهل بيته، وأهل مكة وجنده، واستمر ذاهبا إلى بلاده ومعه الحجر وأموال الحجيج. وقد ألحد هذا اللعين فى المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه، وسيجازيه على ذلك الذى لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد. وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع أنهم كفار زنادقة، وقد كانوا ممالئين للفاطميين الذين نبغوا فى هذه السنة ببلاد إفريقية من أرض المغرب، ويلقب أميرهم بالمهدى، وهو أبو محمد عبيد الله بن ميمون القداح. وقد كان صباغاً بسلمية، وكان يهوديا فادعى أنه أسلم ثم سافر من سلمية فدخل بلاد إفريقية، فادعى أنه شريف فاطمى، فصدقه على ذلك طائفة كثيرة من البربر وغيرهم من الجهلة، وصارت له دولة، فملك مدينة سجلماسة، ثم ابتنى مدينة وسماها المهدية، وكان قرار ملكه بها، وكان هؤلاء القرامطة يراسلونه ويدعون إليه، ويترامون عليه، ويقال إنهم إنما كانوا يفعلون ذلك سياسة ودولة لاحقيقة له.

وذكر ابن الأثير أن المهدى هذا كتب إلى أبى طاهر يلومه على مافعل بمكة حيث سلط الناس على الكلام فيهم، وانكشفت أسرارهم التى كانوا يبطنونها بما ظهر من صنيعهم هذا القبيح، وأمره برد ماأخذه منها، وعوده إليها. فكتب إليه بالسمع والطاعة، وأنه قد قبل ما أشار إليه من ذلك. وقد أسر بعض أهل الحديث فى أيدى القرامطة، فمكث فى أيديهم مدة، ثم فرج الله عنه، وكان يحكى عنهم عجائب من قلة عقولهم وعدم دينهم، وأن الذى أسره كان يستخدمه فى أشق الخدمة وأشدها وكان يعربد عليه إذا سكر. فقال لى ذات ليلة وهو سكران: ماتقول فى محمدكم؟ فقلت: لاأدرى. فقال: كان سائسا. ثم قال: ماتقول فى أبى بكر؟ فقلت: لاأدرى. فقال: كان ضعيفاً مهيناً. وكان عمر فظاً غليظاً. وكان عثمان جاهلا أحمق. وكان على ممخرقا ليس كان عنده أحد يعلمه ما ادعى أنه فى صدره من العلم، أما كان يمكنه أن يعلم هذا كلمة وهذا كلمة؟. ثم قال: هذا كله مخرقة. فلما كان من الغد قال: لا تخبر بهذا الذى قلت لك أحداً. ذكره ابن الجوزى فى منتظمه.

وروى عن بعضهم أنه قال: كنت فى المسجد الحرام يوم التروية فى مكان الطواف، فحمل على

رجل كان إلى جانبي فقتله القرمطي ، ثم قال : ياحمير ، - و رفع صوته بذلك - أليس قلتم فى بيتكم هذا (ومن دخله كان آمناً) فأين الأمن ؟ قال : فقلت له : اسمع جوابك . قال نعم. قلت إنما أراد الله : فأمنوه . قال فثنى رأس فرسه وانصرف . وقد سأل بعضهم ههنا سؤالا . فقال : قد أحل الله سبحانه بأصحاب الفيل - وكانوا نصارى - ماذكره فى كتابه ، ولم يفعلوا بمكة شيئاً مما فعله هؤلاء ، ومعلوم أن القرامطة شر من اليهود والنصارى والمجوس ، بل ومن عبدة الأصنام ، وأنهم فعلوا بمكة مالم يفعله أحد ، فهلا عوجلوا بالعذاب والعقوبة ، كما عوجل أصحاب الفيل ؟ وقد أجيب عن ذلك بأن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت ، ولما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبى الكريم ، من البلد الذى فيه البيت الحرام ، فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التى يراد تشريفها و إرسال الرسول منها أهلكهم سريعاً عاجلا ، ولم يكن شرائع مقررة تدل على فضله ، فلو دخلوه وأخربوه لأنكرت القلوب فضله . وأما هؤلاء القرامطة فإنما فعلوا مافعلوا بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد ، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة ، وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء قد ألحدوا فى الحرم إلحاداً بالغاً عظيما ، وأنهم من أعظم الملحدين الكافرين ، بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله ، فلهذا لم يحتج الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة ، بل أخرهم الرب تعالى ليوم تشخص فيه الأبصار ، والله سبحانه يمهل و يملى ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر ، كما قال النبى ﷺ : « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ قوله تعالى (ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) وقال (لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال : (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال : (متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) .

وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبى بكر المروذى الحنبلى ، و بين طائفة من العامة ، اختلفوا فى تفسير قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) فقالت الحنابلة : يجلسه معه على العرش . وقال الآخرون : المراد بذلك الشفاعة العظمى ، فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى ، فإنا لله و إنا إليه راجعون . وقد ثبت فى صحيح البخارى أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى ، وهى الشفاعة فى فصل القضاء بين العباد ، وهو المقام الذى يرغب إليه فيه الخلق كلهم ، حتى إبراهيم ، و يغبطه به الأولون والآخرون . وفيها وقعت فتنة بالموصل بين العامة فيما يتعلق بأمر المعاش ، وانتشرت وكثر أهل الشر فيها واستظهروا ، وجرت بينهم شرور ثم سكنت . وفيها وقعت فتنة ببلاد خراسان بين بنى ساسان وأميرهم نصر بن أحمد الملقب بسعيد ، وخرج فى شعبان خارجىٌّ بالموصل . وخرج آخر بالبوازيج ، فقاتلهم أهل تلك الناحية حتى سكن شرهم وتفرق أصحابهم . وفيها التقى مفلح

الساجى وملك الروم الدمستق ، فهزمه مفلح وطرد وراءه إلى أرض الروم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً .
وفيها هبت ريح شديدة ببغداد تحمل رماداً أحمر يشبه رمل أرض الحجاز . فامتلأت منه البيوت .
وفيها توفى من الأعيان : أحمد بن الحسن بن الفرج بن سفيان أبو بكر النحوى ، كان عالما بمذهب الكوفيين وله فيه تصانيف .

﴿ أحمد بن مهدى بن رميم ﴾

العابد الزاهد أنفق فى طلب العلم ثلثمائة ألف درهم ، ومكث أربعين سنة لايأوى إلى فراش . وقد روى الحافظ أبو نعيم عنه أنه جاءته امرأة ذات ليلة فقالت له : إنى قد امتحنت بمحنة وأكرهت على الزنا وأنا حبلى منه ، وقد تسترت بك وزعمت أنك زوجى ، وأن هذا الحمل منك ، فاسترنى سترك الله ولا تفضحنى . فسكت عنها ، فلما وضعت جاءنى أهل المحلة وإمام مسجدهم يهنئوننى بالولد ، فأظهرت البشر وبعثت فاشتريت بدينارين شيئاً حلواً وأطعمتهم ، وكنت أوجه إليها مع إمام المسجد فى كل شهر دينارين صفة نفقة للمولود ، وأقول : أقرئها منى السلام فانه قد سبق منى مافرق بينى وبينها. فكنت كذلك سنتين ، ثم مات الولد فجاؤنى يعزوننى فيه ، فأظهرت الحزن عليه ، ثم جاءتنى أمه بالدنانير التى كنت أرسل بها إليها نفقة الولد ، قد جمعتها فى صرة عندها، فقالت لى : سترك الله وجزاك خيراً ، وهذه الدنانير التى كنت ترسل بها . فقلت : إنى كنت أرسل بها صلة للولد وقد مات وأنت ترثينه فهى لك ، فافعلى بها ماشئت فدعت وانصرفت .

﴿ بدر بن الهيثم ﴾

ابن خلف بن خالد بن راشد بن الضحاك بن النعمان بن محرق بن النعمان بن المنذر ، أبو القاسم البلخى القاضى الكوفى . نزل بغداد وحدث بها عن أبى كريب وغيره ، وكان سماعه للحديث بعد ما جاوز أربعين سنة ، وكان ثقة نبيلا ، عاش مائة سنة وسبع عشرة سنة . توفى فى شوال منها بالكوفة .

﴿ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ﴾

ابن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوى ، ويعرف بابن بنت منيع ، ولد سنة ثلاث عشرة ، وقيل أربعة عشرة ومائتين . ورأى أبا عبيد القاسم بن سلام ، ولم يسمع منه ، وسمع من أحمد بن حنبل ، وعلى بن المدينى ، ويحيى بن معين ، وعلى بن الجعد، وخلف بن هشام البزار ، وخلق كثير ، وكان معه جزء فيه سماعه من ابن معين فأخذه موسى بن هارون الحافظ فرماه فى دجلة ، وقال : يريد أن يجمع بين الثلاثة ؟ وقد تفرد عن سبع وثمانين شيخا ، وكان ثقة حافظا ضابطا ، روى عن الحفاظ وله مصنفات . وقال موسى بن هارون الحافظ : كان ابن بنت منيع ثقة صدوقا ، فقيل له : إن ههنا ناساً يتكلمون فيه . فقال : يحسدونه ، ابن بنت منيع لا يقول إلا الحق . وقال ابن أبى

حاتم وغيره : أحاديثه تدخل فى الصحيح . وقال الدارقطنى : كان البغوى قل ما يتكلم على الحديث ، فاذا تكلم كان كلامه كالمسمار فى الساج . وقد ذكره ابن عدى فى كامله فتكلم فيه ، وقال: حدث بأشياء أنكرت عليه . وكان معه طرف من معرفة الحديث والتصانيف، وقد انتدب ابن الجوزى للرد على ابن عدى فى هذا الكلام ، وذكر أنه توفى ليلة عيد الفطر منها ، وقد استكمل مائة سنة وثلاث سنين وشهوراً ، وهو مع ذلك صحيح السمع والبصر والاسنان ، يطأ الاماء . توفى ببغداد ودفن بمقبرة باب التبن . رحمه الله وأكرم مثواه .

﴿ محمد بن أبى الحسين بن محمد بن عثمان ﴾

الشهيد الحافظ أبو الفضل الهروى ، يعرف بابن أبى سعد ، قدم بغداد وحدث بها عن محمد بن عبد الله الأنصارى . وحدث عنه ابن المظفر الحافظ ، وكان من الثقات الأثبات الحفاظ المتقنين ، له مناقشات على بضعة عشر حديثا من صحيح مسلم ، قتلته القرامطة يوم التروية بمكة فى هذه السنة فى جملة من قتلوا ، رحمه الله وأكرم مثواه .

﴿ الكعبى المتكلم ﴾

هو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخى الكعبى المتكلم ، نسبة إلى بنى كعب ، وهو أحد مشايخ المعتزلة ، وتنسب إليه الطائفة الكعبية منهم . قال ابن خلكان : كان من كبار المتكلمين ، وله اختيارات فى علم الكلام . من ذلك أنه كان يزعم أن أفعال الله تقع بلا اختيار منه ولا مشيئة . قلت : وقد خالف الكعبى نص القرآن فى غير ما موضع . قال تعالى (وربك يخلق مايشاء ويختار) وقال (ولو شاء ربك مافعلوه) (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) (ولو أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) الآية . وغيرها مما هو معلوم بالضرورة وصريح العقل والنقل .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وثلثمائة ﴾

فيها عزل الخليفة المقتدر وزيره أبا على بن مقلة ، وكانت مدة وزارته سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام ، واستوزر مكانه سليمان بن الحسن بن مخلد ، وجعل على بن عيسى ناظراً معه . وفى جمادى الأولى منها أحرقت دار أبى على بن مقلة ، وكان قد أنفق عليها مائة ألف دينار ، فانتهب الناس أخشابها وما وجدوا فيها من حديد و رصاص وغيره ، وصادره الخليفة بمائتى ألف دينار . وفيها طرد الخليفة الرجالة الذين كانوا بدار الخلافة عن بغداد ،وذلك أنه لما ردّ المتقدر إلى الخلافة شرعوا ينفسون بكلام كثير عليه ، ويقولون : من أعان ظالما سلطه الله عليه . ومن أصعد الحمار على السطح لم يقدر أن ينزله . فأمر باخراجهم ونفيهم عن بغداد ، ومن أقام منهم عوقب . فأحرقت دور كثيرة من قراباتهم ، واحترق بعض نسائهم وأولادهم ، فخرجوا منها فى غاية الاهانة ، فنزلوا واسط وتغلبوا عليها وأخرجوا

عاملها منها ، فركب إليهم مؤنس الخادم فأوقع بهم بأساً شديداً ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، فلم يقم لهم بعد ذلك قائمة . وفى ربيع الأول منها عزل الخليفة ناصر الدولة بن حمدان عن الموصل ، وولى عليها عميه سعيداً ونصراً ابنا حمدان . وولاه ديار ربيعة : نصيبين وسنجار والخابور ورأس العين ، ومعها ميافارقين وازرن ، ضمن ذلك من الخليفة بمال يحمله إليه فى كل سنة . وفى جمادى الأولى منها خرج رجل ببلاد البوازيج يقال له صالح بن محمود ، فاجتمع عليه جماعة من بنى مالك ، ثم سار إلى سنجار فحاصرها فدخلها وأخذ شيئا كثيراً من أموالها ، وخطب بها خطبة ووعظ فيها وذكر ، فكان فى جملة ما قال : نتولى الشيخين ، ونتبرأ من الحسين ، ولا نرى المسح على الخفين . ثم سار فعاث فى الأرض فسادا . فانتدب له نصر بن حمدان فقاتله فأسره ومعه ابنان له : فحمل إلى بغداد فدخلها وقد اشتهر شهرة فظيعة . وخرج آخر ببلاد الموصل فاتبعه ألف رجل ، فحاصر أهل نصيبين فخرجوا إليه فاقتتلوا معه ، فقتل منهم مائة وأسر ألفا ، ثم باعهم نفوسهم وصادر أهلها بأربعمائة ألف درهم ، فانتدب إليه ناصر الدولة فقاتله فظفر به وأسره وأرسله إلى بغداد أيضاً . وفيها خلع الخليفة على ابنه هارون وركب معه الوزير والجيش ، وأعطاه نيابة فارس وكرمان وسجستان ومكرمات ، وخلع على ابنه أبى العباس الراضى وجعله نائب بلاد المغرب ومصر والشام ، وجعل مؤنس الخادم يسد عنه أمورها. وحج بالناس فيها عبد السميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمى . وخرج الحجيج بخفارة بدرقة حتى يسلموا فى الدرب فى الذهاب والاياب من القرامطة .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن إسحاق ﴾

ابن البهلول بن حسان بن أبى سنان أبو جعفر التنوخى القاضى الحنفى ، العدل الثقة ، الرضى . وكان فقيهاً نبيلا ، سمع الحديث الكثير ، وروى عن أبى كريب حديثا واحدا ، وكان عالما بالنحو ، فصيح العبارة ، جيد الشعر ، محموداً فى الأحكام . اتفق أن السيدة أم المقتدر وقفت وقفا وجعل هذا عنده نسخة به فى سلة الحكم ، ثم أرادت أن تنقض ذلك الوقف فطلبت هذا الحاكم وأن يحضر معه كتاب الوقف لتأخذه منه فتعدمه ، فلما حضر من وراء الستارة فهم المقصود فقال لها : لا يمكن هذا ، لأنى خازن المسلمين ، فاما أن تعزلونى عن القضاء وتولوا هذا غيرى ، وإما أن تتركوا هذا الذى تريدون أن تفعلوه ، فلا سبيل إليه وأنا حاكم . فشكته إلى ولدها المقتدر فشفع عنده المقتدر بذلك ، فذكر له صورة الحال . فرجع إلى أمه فقال لها : إن هذا الرجل ممن يرغب فيه ولا يزهد فيه ، ولا سبيل إلى عزله ولا التلاعب به . فرضيت عنه وبعثت تشكره على ما صنع من ذلك . فقال : من قدم أمر الله على أمر العباد كفاه الله شرهم ، ورزقه خيرهم . وقد كانت وفاته فى هذه السنة . وقد جاوز الثمانين .

﴿ يحيى بن محمد بن صاعد ﴾

أبو محمد مولى أبي جعفر المنصور ، رحل فى طلب الحديث ، وكتب وسمع وحفظ ، وكان من كبار الحفاظ ، وشيوخ الرواية ، وكتب عنه جماعة من الأكابر ، وله تصانيف تدل على حفظه وفقهه وفهمه. توفى بالكوفة وله سبعون سنة .

﴿ الحسن بن على بن أحمد بن بشار بن زياد ﴾

المعروف بابن العلاف الضرير النهروانى ، الشاعر المشهور ، وكان أحد سمار المعتضد . وله مرثاة طنانة فى هر له ، قتله جيرانه لأنه أكل أفراخ حمامهم من أبراجهم . وفيها آداب ورقة ، و يقال إنه أراد بها ابن المعتز لكنه لم يتجاسر أن ينسبها إليه من الخليفة المقتدر ، لأنه هو الذى قتله . وأولها :

ياهرُّ فارقتنا ولم تعد * وكنت عندى بمنزلة الولد

وهى خمس وستون بيتاً .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلثمائة ﴾

فى المحرم منها دخل الحجيج بغداد ، وقد خرج مؤنس الخادم إلى الحج فيها فى جيش كثيف ، خوفا من القرامطة ، ففرح المسلمون بذلك و زينت بغداد يومئذ وضربت الخيام والقباب لمؤنس الخادم ، وقد بلغ مؤنساً فى أثناء الطريق أن القرامطة أمامه ، فعدل بالناس عن الجادة ، وأخذ بهم فى شعاب وأودية أياما ، فشاهد الناس فى تلك الأماكن عجائب ، ورأوا غرائب وعظاماً فى غاية الضخامة ، وشاهدوا ناسا قد مسخوا حجارة . ورأى بعضهم امرأة واقفة على تنور تخبز فيه قد مسخت حجراً ، والتنور قد صار حجراً . وحمل مؤنس من ذلك شيئا كثيراً إلى الخليفة ليصدق ما يخبر به من ذلك . ذكر ذلك ابن الجوزى فى منتظمه . فيقال إنهم من قوم عاد أو من قوم شعيب أو من ثمود فالله أعلم .

وفيها عزل المقتدر وزيره سليمان بن الحسن بعد سنة وشهرين وتسعة أيام ، واستوزر مكانه أبا القاسم عبيد الله بن محمد الكلوذانى ، ثم عزله بعد شهرين وثلاثة أيام ، واستوزر الحسين بن القاسم ثم عزله أيضاً . وفيها وقعت وحشة بين الخليفة ومؤنس ، بسبب أن الخليفة ولى الحسبة لرجل اسمه محمد بن ياقوت ، وكان أميراً على الشرطة ، فقال مؤنس : إن الحسبة لا يتولاها إلا القضاة والعدول وهذا لا يصلح لها . ولم يزل بالخليفة حتى عزل محمد بن ياقوت عن الحسبة والشرطة أيضاً ، وانصلح الحال بينهما . ثم تجددت الوحشة بينهما فى ذى الحجة من هذه السنة ، وما زالت تتزايد حتى آل الحال إلى قتل المقتدر بالله كما سنذكره . وفيها أوقع ثمل متولى طرسوس بالروم وقعة عظيمة ، قتل منهم خلقا كثيراً وأسر نحواً من ثلاثة آلاف ، وغنم من الذهب والفضة والديباج شيئا كثيرا جدا ، ثم أوقع بهم مرة ثانية كذلك . وكتب ابن الديرانى الأرمنى إلى الروم يحثهم على الدخول إلى بلاد

الاسلام وعدم النصر منه والاعانة ، فدخلوا فى جحافل عظيمة كثيرة جدا ، وانضاف إليهم الأرمنى فركب إليهم مفلح غلام يوسف بن أبى الساج وهو يومئذ نائب أذربيجان واتبعه خلق كثير من المتطوعة ، فقصد أولا بلاد ابن الديرانى فقتل من الأرمن نحواً من مائة ألف ، وأسر خلقا كثيرا ، وغنم أموالا جزيلة ، وتحصن ابن الديرانى فى قلعة له هنالك ، وكاتب الروم فوصلوا إلى شميشاط فحاصروها ، فبعث أهلها يستصرخون سعيد بن حمدان نائب الموصل ، فسار إليهم مسرعاً ، فوجد الروم قد كادوا يفتحونها ، فلما علموا بقدومه رحلوا عنها واجتازوا بملطية فنهبوها ، ورجعوا خاسئين إلى بلادهم ، ومعهم ابن نفيس المتنصر ، وقد كان من أهل بغداد . وركب ابن حمدان فى آثار القوم فدخل بلادهم فقتل خلقا كثيرا منهم وأسر وغنم أشياء كثيرة . قال ابن الأثير : وفى شوال من هذه السنة جاء سيل عظيم إلى تكريت ارتفع فى أسواقها أربعة عشر شبراً ، وغرق بسببه أربعمائة دار ، وخلق لا يعلمهم إلا الله ، حتى كان المسلمون والنصارى يدفنون جميعاً ، لا يعرف هذا من هذا . قال : وفيها هاجت بالموصل ريح محمرة ثم اسودت حتى كان الأنسان لا يبصر صاحبه نهارا ، وظن الناس أنها القيامة ثم انجلى ذلك بمطر أرسله الله عليهم .

وفيها توفى من الأعيان الحسين بن عبد الرحمن أبو عبد الله الانطاكى قاضى ثغور الشام ، يعرف بابن الصابونى ، وكان ثقة نبيلا قدم بغداد وحدث بها .

﴿ على بن الحسين بن حرب بن عيسى أبو عبيد بن حربويه ﴾

تولى القضاء بمصر مدة طويلة جدا ، وكان ثقة عالما من خيار القضاة وأعدلهم ، تفقه على مذهب أبى ثور ، وقد ذكرناه فى طبقات الشافعية ، وقد استعفى عن القضاء فعزل عنه فى سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، ورجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات فى هذه السنة ، فى صفر منها ، وصلى عليه أبو سعيد الأصطخرى ، ودفن بداره . قال الدارقطنى : حدث عنه أبو عبد الرحمن النسائى فى الصحيح ، ولعله مات قبله بعشرين سنة . وذكر من جلالته وفضله رحمه الله .

محمد بن الفضل بن العباس أبو عبد الله البلخى الزاهد . حكى عنه أنه مكث أربعين سنة لم يخط فيها خطوة فى هوى نفسه ، ولا نظر فى شئ فاستحسنه حياء من الله عز وجل ، وأنه مكث ثلاثين سنة لم يمل على ملكيه قبيحاً .

﴿ محمد بن سعد أبو الحسين الوراق ﴾

صاحب أبى عثمان النيسابورى ، وكان فقيهاً يتكلم على المعاملات . ومن جيد كلامه قوله : من غض بصره عن محرم أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدى بها سامعوه ، ومن غض نفسه عن شبهة نور الله قلبه نورا يهتدى به إلى طرق مرضاة الله .

يحيى بن عبـد الله بن موسى أبو زكريا الفارسى ، كتب بمصر عن الربيع بن سليمان ، وكان ثقة عدلا صدوقا عند الحكام .

﴿ ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة من الهجرة ﴾

فيها كان مقتل المقتدر بالله الخليفة ، وكان سبب ذلك أن مؤنساً الخادم خرج من بغداد فى المحرم منها مغاضبا الخليفة فى مماليكه وحشمه ، متوجها نحو الموصل ، ورد من أثناء الطريق مولاه يسرى إلى المقتدر ليستعلم له أمره ، و بعث معـه رسالة يخاطب بها أمير المؤمنين و يعاتبـه فى أشياء . فلما وصل أمر الوزير ـ وهو الحسين بن القاسم وكان من أكبر أعداء مؤنس ـ بأن يؤديها فامتنع من أدائها إلا إلى الخليفة ، فأحضره بين يديه وأمره بأن يقولها للوزير فامتنع ، وقال : ما أمرنى بهذا صاحبى . فشتمه الوزير وشتم صاحبـه مؤنساً ، وأمر بضربه ومصادرته بثلثمائة ألف دينار ، وأخذ خطه بها ، وأمر بنهب داره ، ثم أمر الوزير بالقبض عـلى أقطاع مؤنس وأملاكه وأملاك من معه . فحصل من ذلك مال عظيم ، وارتفع أمر الوزير عنـد المقتدر ، ولقبه عميـد الدولة ، وضرب اسمه عـلى الدراهم والدنانير ، وتمكن من الأمور جـدا ، فعزل وولى ، وقطع ووصل أياما يسيرة ، وفرحُ بنفسه حينا قليلا . وأرسل الى هارون بن عريب فى الحال ، وإلى محمد بن ياقوت يستحضرهما إلى الحضرة عوضاً عن مؤنس ، فصمم المظفر مؤنس فى سيره فدخـل الموصل ، وجعل يقـول لأمراء الأعراب : إن الخليفة قدولانى الموصل وديار ربيعة . فالتف عليه منهم خلق كثير ، وجعل ينفق فيهم الأموال الجزيلة وله إليهم قبـل ذلك أيادى سابغة . وقـد كتب الوزير إلى آل حمـدان ـ وهم ولاة الموصل وتلك النواحى ـ يأمرهم بمحاربته ، فركبوا إليه فى ثلاثين ألفا ، وواجههم مؤنس فى ثمانمائة من مماليكه وخدمه ، فهزمهم ولم يقتل منهم سوى رجل واحد ، يقال له داود ، وكان من أشجعهم ، وقد كان مؤنس رباه وهو صغير . ودخل مؤنس الموصل فقصدته العساكر من كل جانب يدخلون فى طاعته ، لاحسانه إليهم قبل ذلك . من بغداد والشام ومصر والأعراب ، حتى صارفى جحافل من الجنود . وأما الوزير المذكور فانه ظهرت خيانته وعجزه فعزله المقتدر فى ربيع الآخر منها ، وولى مكانه الفضل بن جعفر بن محمـد بن الفرات ، وكان آخر وزراء المقتدر . وأقام مؤنس بالموصل تسعة أشهر ، ثم ركب فى الجيوش فى شوال قاصدا بغداد ليطالب المقتدر بأرزاق الأجناد وإنصافهم ، فسار ـ وقد بعث بين يديه الطلائع ـ حتى جاء فنزل بباب الشماسية ببغداد ، وقابله عنده ابن ياقوت وهارون بن عريب عن كره منه . وأشير على الخليفة أن يستدين من والدته مالا ينفقه فى الأجناد ، فقال : لم يبق عندها شئ ، وعزم الخليفة على الهرب إلى واسط ، وأن يترك بغداد إلى مؤنس حتى يتراجع أمر الناس ثم يعود إليها . فرده عن ذلك ابن ياقوت وأشار بمواجهتـه لمؤنس وأصحابه ، فانهـم متى رأوا الخليفة هربوا كلهم إليـه وتركوا

مؤنساً . فركب وهو كاره وبين يديه الفقهاء ومعهم المصاحف المنشورة ، وعليه البردة والناس حوله ، فوقف على تل عال بعيد من المعركة ونودى فى الناس : من جاء برأس فله خمسة دنانير ، ومن جاء بأسير فله عشرة دنانير . ثم بعث إليه أمراؤه يعزمون عليه أن يتقدم فامتنع من التقدم إلى محل المعركة ، ثم ألحوا عليه فجاء بعد تمنع شديد ، فما وصل إليهم حتى انهزموا وفروا راجعين ، ولم يلتفتوا إليه ولا عطفوا عليه ، فكان أول من لقيه من أمراء مؤنس على بن بليق ، فلما رآه ترجل وقبل الأرض بين يديه وقال : لعن الله من أشار عليك بالخروج فى هذا اليوم . ثم وكل به قوماً من المغاربة البربر ، فلما تركهم وإياه شهروا عليه السلاح ، فقال لهم : ويلكم أنا الخليفة . فقالوا : قد عرفناك يا سفلة ، إنما أنت خليفة إبليس ، تنادى فى جيشك من جاء برأس فله خمسة دنانير ؟ وضربه أحدهم بسيفه على عاتقه فسقط إلى الأرض ، وذبحه آخر وتركوا جثته ، وقد سلبوه كل شئ كان عليه ، حتى سراويله ، وبقى مكشوف العورة مجندلا على الأرض ، حتى جاء رجل فغطى عورته بحشيش ثم دفنه فى موضعه وعفا أثره ، وأخذت المغاربة رأس المقتدر على خشبة قد رفعوها وهم يلعنونه ، فلما انتهوا به إلى مؤنس ـ ولم يكن حاضراً الوقعة ـ فحين نظر إليه لطم رأس نفسه ووجهه وقال : ويلكم ، والله لم آمركم بهذا ، لعنكم الله ، والله لنقتلن كلنا . ثم ركب ووقف عند دار الخلافة حتى لاتنهب ، وهرب عبد الواحد بن المقتدر وهارون بن غريب ، وأبناء رايق ، إلى المدائن ، وكان فعل مؤنس هذا سبباً لطمع ملوك الأطراف فى الخلفاء ، وضعف أمر الخلافة جداً ، مع ما كان المقتدر يعتمده فى التبذير والتفريط فى الأموال ، وطاعة النساء ، وعزل الوزراء ، حتى قيل إن جملة ما صرفه فى الوجوه الفاسدة ما يقارب ثمانين ألف ألف دينار .

﴿ وهذه ترجمة المقتدر بالله ﴾

هو جعفر بن أحمد المعتضد بالله أحمد بن أبى أحمد الموفق بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، يكنى أبا الفضل ، أمير المؤمنين العباسى ، مولده فى ليلة الجمعة لثمان بقين من رمضان سنة ثنتين وثمانين ومائتين ، وأمه أم ولد اسمها شغب ، ولقبت فى خلافة ولدها بالسيدة . بويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفى يوم الأحد لأربع عشرة مضت من ذى القعدة ، سنة خمس وتسعين ومائتين ، وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر وأيام . ولهذا أراد الجند خلعه فى ربيع الأول من سنة ست وتسعين محتجين بصغره وعدم بلوغه ، وتولية عبد الله بن المعتز ، فلم يتم ذلك ، وانتقض الأمر فى ثانى يوم كما ذكرنا . ثم خلعوه فى المحرم من سنة سبع عشرة وثلثمائة ، وولوا أخاه محمدا القاهر كما تقدم ، فلم يتم ذلك سوى يومين ، ثم رجع إلى الخلافة كما ذكرنا . وقد كان المقتدر ربعة من الرجال حسن الوجه والعينين ، بعيد ما بين المنكبين ، حسن الشعر ، مدور الوجه ، مشرباً بحمرة ، حسن الخلق ، قد شاب رأسه وعارضاه ، وقد كان معطاءاً جواداً ، وله عقل جيد ، وفهم وافر ، وذهن صحيح ،

وقد كان كثير التحجب والتوسع فى النفقات ، وزاد فى رسوم الخلافة وأمور الرياسة ، وما زاد شىء إلا نقص . كان فى داره إحدى عشر ألف خادم خصى ، غير الصقالبة وأبناء فارس والروم والسودان ، وكان له دار يقال لها دار الشجرة ، بها من الأثاث والأمتعة شىء كثير جداً ، كما ذكرنا ذلك فى سنة خمس ، حين قدم رسول ملك الروم . وقد ركب المقتدر يوما فى حراقة وجعل يستعجل الطعام فأبطأوا به فقال للملاح : ويحك هل عندك شىء آكل ؟ قال : نعم ، فأتاه بشىء من لحم الجدى وخبز حسن وملوحا وغير ذلك . فأعجبه ثم استدعاه فقال : هل عندك شىء من الحلواء ، فانى لا أحس بالشبع حتى آكل شيئاً من الحلواء . فقال : يا أمير المؤمنين إن حلواءنا التمر والكسب . فقال : هذا شىء لا أطيقه . ثم جىء بطعام فأكل منه وأوتى بالحلواءات فأكل وأطعم الملاحين ، وأمر أن يعمل كل يوم فى الحراقة بمائتى درهم ، حتى إذا اتفق ركوبه فيها أكل منها ، وإن لم يتفق ركوبه كانت للملاح . وكان الملاح يأخذ ذلك فى كل يوم عدة سنين متعددة ، ولم يتفق ركوبه مرة أخرى أبداً . وقد أراد بعض خواصه أن يطهر ولده فعمل أشياء هائلة ثم طلب من أم الخليفة أن يعار القرية التى عملت فى طهور المقتدر من فضة ليراها الناس فى هذا المهم ، فتلطفت أم المقتدر عند ولدها حتى أطلقها له بالكلية ، وكانت صفة قرية من القرى كلها من فضة ، بيوتها وأعاليقها وأبقارها وجمالها ، ودوابها وطيورها ، وخيولها ، وزروعها وثمارها وأشجارها ، وأنهارها وما يتبع ذلك مما يكون فى القرى ، الجميع من فضة مصور، وأمر بنقل سماطه إلى دار هذا الرجل ، وأن لا يكلف شىء من المطاعم سوى سمك طرى ، فاشترى الرجل بثلثمائة دينار سمكا طريا ، وكان جملة ما أنفق الرجل على سماط المقتدر ألفا وخمسمائة دينار ، والجميع من عند المقتدر ، وكان كثير الصدقة والاحسان إلى أهل الحرمين وأرباب الوظائف ، وكان كثير التنفل بالصلاة والصوم والعبادة ، ولكنه كان مؤثراً لشهواته ، مطيعاً لخصاياه كثير العزل والولاية والتلون . وما زال ذلك دأبه حتى كان هلاكه على يدى [غلمان] مؤنس الخادم ، فقتل عند باب الشماسية لليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة ـ أعنى سنة ثلثمائة وعشرين ـ وله من العمر ثمان وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وإحدى عشر شهراً وأربعة عشر يوماً ، كان أكثر مدة ممن تقدمه من الخلفاء .

﴿ خلافة القاهر ﴾

لما قتل المقتدر بالله عزم مؤنس على تولية أبى العباس بن المقتدر بعد أبيه ليطيب قلب أم المقتدر ، فعدل عن ذلك جمهور من حضر من الأمراء فقال أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختى : بعد التعب والنكد نبايع لخليفة صبى له أم وخالات يطيعهن ويشاورهن ؟ ثم أحضروا محمد بن المعتضد ـ وهو أخو المقتدر ـ فبايعه القضاة والأمراء والوزراء ، ولقبوه بالقاهر بالله ، وذلك فى سحر

يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال منها ، واستوزر أبا على بن مقلة ، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله ، ثم أبا العباس ، ثم الخصيبى . وشرع القاهر فى مصادرة أصحاب المقتدر وتتبع أولاده ، واستدعى بأم المقتدر وهى مريضة بالاستسقاء ، وقد تزايد بها الوجع من شدة جزعها على ولدها حين بلغها قتله ، وكيف بقى مكشوف العورة . فبقيت أياما لا تأكل شيئا ، ثم وعظها النساء حتى أكلت شيئاً يسيراً من الخبز والملح ، ومع هذا كله استدعى بها القاهر فقررها على أموالها فذكرت له مايكون للنساء من الحلى والمصاغ والثياب ، ولم تقر بشئ من الأموال والجواهر ، وقالت له : لو كان عندى من هذا شئ ما سلمت ولدى . فأمر بضربها وعلقت برجليها ومسها بعذاب شديد من العقوبة ، فأشهدت على نفسها ببيع أملاكها ، فأخذه الجند مما يحاسبون به من أرزاقهم . وأرادها على بيع أوقافها فامتنعت من ذلك وأبت أشد الأباء . ثم استدعى القاهر بجماعة من أولاد المقتدر منهم أبو العباس وهارون والعباس وعلى والفضل و إبراهيم ، فأمر بمصادرتهم وحبسهم ، وسلمهم إلى حاجبه على بن بليق ، وتمكن الوزير على بن مقلة فعزل وولى ، وأخذ وأعطى أياماً ، ومنع البريدى من عمالتهم . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ أحمد بن عمير بن جوصا ﴾

أبو الحسن الدمشقى أحد المحدثين الحفاظ ، والرواة الأيقاظ . وإبراهيم بن محمد بن على بن بطحاء ابن على بن مقلة أبو إسحاق التيمى المحتسب ببغداد ، روى عن عباس الدورى وعلى بن حرب وغيرهما ، وكان ثقة فاضلا . مر يوما على باب القاضى أبى عمر محمد بن يوسف والخصوم عكوف على بابه والشمس قد ارتفعت عليهم ، فبعث حاجبه إليه يقول له : إما أن تخرج فتفصل بين الخصوم ، وإما أن تبعث فتعتذر إليهم إن كان لك عذر حتى يعودوا إليك بعد هذا الوقت .

﴿ أبو على بن خيران ﴾

الفقيه الشافعى ، أحد أئمة المذهب ، واسمه الحسين بن صالح بن خيران الفقيه الكبير الورع . عرض عليه منصب القضاء فلم يقبل ، فختم عليه الوزير على بن عيسى على بابه ستة عشر يوماً ، حتى لم يجد أهله ماء إلا من بيوت الجيران ، وهو مع ذلك يمتنع عليهم ، ولم يل لهم شيئاً . فقال الوزير : إنما أردنا أن نعلم الناس أن ببلدنا وفى مملكتنا من عرض عليه قضاء قضاة الدنيا فى المشارق والمغارب فلم يقبل . وقد كانت وفاته فى ذى الحجة منها ، وقد ذكرنا ترجمته فى طبقات الشافعية بما فيه كفاية .

عبد الملك بن محمد بن عدى الفقيه الاستراباذى ، أحد أئمة المسلمين والحفاظ المحدثين وقد ذكرناه أيضا فى طبقات الشافعية .

﴿ القاضى أبو عمر المالكى محمد بن يوسف ﴾

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد ، أبو عمر القاضى ببغداد ومعاملاتها وفى سائر البلاد ، كان من أئمة

الاسلام علما ومعرفة ، وفصاحة وبلاغة ، وعقلا ورياسة ، بحيث كان يضرب بعقله المثل . وقد روى الكثير عن المشايخ ، وحدث عنه الدارقطنى وغيره من الحفاظ ، وحمل الناس عنه علما كثيراً من الفقه والحديث ، وقد جمع قضاء القضاة فى سنة سبع عشرة وثلاثمائة . وله مصنفات كثيرة . وجمع مسنداً حافلا ، وكان إذا جلس للحديث جلس أبو القاسم البغوى عن يمينه وهو قريب من سن أبيه ، وجلس عن يساره أيضاً ابن صاعد ، وبين يديه أبو بكر النيسابورى ، وسائر الحفاظ حول سريره من كل جانب . قالوا : ولم ينتقد عليه حكم من أحكامه أخطأ فيه قط . قلت : وكان من أكبر صواب أحكامه وأصوبها قتله الحسين بن منصور الحلاج فى سنة تسع وثلثمائة كما تقدم . وكان القاضى أبو عمر هذا جميل الأخلاق ، حسن المعاشرة ، اجتمع عنده يوماً أصحابه فجئ بثوب فاخر ليشتريه بنحو من خمسين دينارا ، فاستحسنه الحاضرون ، فدعا بالقلانسى وأمره أن يقطع ذلك الثوب قلانس بعدد الحاضرين . وله مناقب ومحاسن جمة رحمه الله تعالى . توفى فى رمضان منها عن ثمان وسبعين سنة ، وقد رآه بعضهم فى المنام فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفرلى بدعوة الرجل الصالح إبراهيم الحربى .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ﴾

فى صفر منها أحضر القاهر رجلا كان يقطع الطريق فضرب بين يديه ألف سوط ، ثم ضربت عنقه وقطع أيدى أصحابه وأرجلهم . وفيها أمر القاهر بابطال الخمر والمغانى والقيان ، وأمر ببيع الجوارى المغنيات بسوق النخس ، على أنهن سواذج . قال ابن الأثير : وإنما فعل ذلك لأنه كان محباً للغناء فأراد أن يشتريهن برخص الأثمان . نعوذ بالله من هذه الاخلاق . وفيها أشاعت العامة بينهم بأن الحاجب على بن بليق يريد أن يلعن معاوية على المنابر . فلما بلغ الحاجب ذلك بعث إلى رئيس الحنابلة البربهارى أبى محمد الواعظ ليقابله على ذلك ، فهرب واختفى ، فأمر بجماعة من أصحابه فنفوا إلى البصرة . وفيها عظم الخليفة وزيره على بن مقلة وخاطبه بالاحترام والاكرام . ثم إن الوزير ومؤنساً الخادم وعلى بن بليق وجماعة من الأمراء اشتوروا فيما بينهم على خلع القاهر وتولية أبى أحمد المكتفى ، وبايعوه سراً فيما بينهم ، وضيقوا على القاهر بالله فى رزقه ، وعلى من يجتمع به . وأرادوا القبض عليه سريعا . فبلغ ذلك القاهر - بلغه طريف اليشكرى - فسعى فى القبض عليهم ، فوقع فى مخالبه الأمير المظفر مؤنس الخادم ، فأمر بحبسه قبل أن يراه والاحتياط على دوره وأملاكه - وكانت فيه عجلة وجرأة وطيش وهوج وخرق شديد - وجعل فى منزلته - أمير الأمراء ورياسة الجيش - طريفا اليشكرى ، وقد كان أحد الاعداء لمؤنس الخادم قبل ذلك . وقبض على بليق ، واختفى ولده على بن بليق ، وهرب الوزير بن مقلة فاستوزر مكانه أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ، فى مستهل شعبان ، وخلع علية وأمر بتحريق دار ابن مقلة ، ووقع النهب ببغداد ، وهاجت الفتنة ، وأمر

القاهر بأن يجعل أبو أحمد المكتفى بين حائطين ويسد عليه بالآجر والكلس ، وهو حى ، فمات .
وأرسل منادى على المختفين : إن من أخفاهم قتل وخربت داره . فوقع بعلى بن بليق فذبح بين يديه
كما تذبح الشاة ، فأخذ رأسه فى طست ودخل به القاهر على أبيه بليق بنفسه ، فوضع رأس ابنه بين
يديه ، فلما رآه بكى وأخذ يقبله ويترشفه ، فأمر بذبحه أيضاً فذبح ، ثم أخذ الرأسين فى طستين فدخل
بهما على مؤنس الخادم ، فلما رآهما تشهد ولعن قاتلهما ، فقال القاهر : جروا برجل الكلب ، فأخذ
فذبح أيضاً وأخذ رأسه فوضع فى طست وطيف بالرؤس فى بغداد ، ونودى عليهم : هذا جزاء من
يخون الامام ويسعى فى الدولة فساداً . ثم أعيدت الرؤس إلى خزائن السلاح . وفى ذى القعدة منها قبض
القاهر على الوزير أبى جعفر محمد بن القاسم وسجنه ، وكان مريضا بالقولنج ، فبقى ثمانية عشر يوما ومات
وكانت وزارته ثلاثة أشهر واثنى عشر يوما . واستوزر مكانه أبا العباس أحمد بن عبد الله بن سليمان
الخصيبى ، ثم قبض على طريف اليشكرى الذى تعاون على مؤنس وابن بليق وسجنه ، ولهذا قيل :
من أعان ظالما سلطه الله عليه . فلم يزل اليشكرى فى الحبس حتى خلع القاهر . وفيها جاء الخبر بموت
العامل بديار مصر ، وأن ابنه محمداً قد قام مقامه فيها ، وسارت الخلع إليه من القاهر بتنفيذ الولاية
واستقراره .

﴿ ذكر ابتداء أمر بنى بويه وظهور دولتهم فى هذه السنة ﴾

وهم ثلاثة إخوة : عماد الدولة أبو الحسن على ، وركن الدولة أبو على الحسن ، ومعز الدولة أبو
الحسين أحمد أولاد أبى شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهى بن شيرزيل الأصغر بن شيركيده
ابن شيرزيل الاكبر بن شيران شاه بن شيرويه بن سيسان شاه بن سيس بن فيروز بن شيرزيل بن
سيسان بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك بن سابور الملك بن سابور ذى الاكتاف الفارسى .
كذا نسبهم الأمير أبو نصر بن ماكولا فى كتابه . وإنما قيل لهم الديالمة لأنهم جاوروا الديلم ، وكانوا
بين أظهرهم مدة ، وقد كان أبوهم أبو شجاع بويه فقيراً مدقعاً ، يصطاد السمك ويحتطب بنوه الحطب
على رؤسهم ، وقد ماتت امرأته وخلفت له هؤلاء الاولاد الثلاثة ، فحزن عليها وعليهم ، فبينما هو يوما
عند بعض أصحابه وهو شهريار بن رستم الديلمى ، إذ مر منجم فاستدعاه فقال له : إنى رأيت مناما
غريبا أحب أن تفسره لى : رأيت كأنى أبول فخرج من ذكرى نار عظيمة حتى كادت تبلغ عنان السماء
ثم انفرقت ثلاث شعب ثم انتشرت كل شعبة حتى صارت شعبا كثيرة ، فأضاءت الدنيا بتلك النار ،
ورأيت البلاد والعباد قد خضعت لهذه النار . فقال له المنجم : هذا منام عظيم لا أفسره لك إلا بمال
جزيل . فقال : والله لا شئ عندى أعطيك ، ولا أملك إلا فرسى هذه . فقال : هذا يدل على أنه
يملك من صلبك ثلاثة ملوك ، ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة . فقال له : ويحك
أتسخر بى ؟ وأمر بنيه فصفعوه ثم أعطاه عشرة دراهم . فقال لهم المنجم : اذكروا هذا إذا قدمت عليكم

وأنتم ملوك ، وخرج وتركهم . وهذا من أعجب الأشياء ، وذلك أن هؤلاء الأخوة الثلاثة كانوا عند ملك يقال له « ما كان بن كالى » فى بلاد طبرستان ، فتسلط عليه مرداويج فضعف ما كان ، فتشاوروا فى مفارقته حتى يكون من أمره ما يكون ، فخرجوا عنه ومعهم جماعة من الأمراء ، فصاروا إلى مرداويج فأكرمهم واستعملهم على الأعمال فى البلدان ، فأعطى عماد الدولة على بن بويه نيابة الكرخ ، فأحسن فيها السيرة والتف عليه الناس وأحبوه ، فحسده مرداويج وبعث إليه بعزله عنها ، ويستدعيه إليه فامتنع من القدوم عليه ، وصار إلى أصبهان فحاربه نائبها فهزمه عماد الدولة هزيمة منكرة ، واستولى على أصبهان . وإنما كان معه سبعمائة فارس ، فقهر بها عشرة آلاف فارس ، وعظم فى أعين الناس . فلما بلغ ذلك مرداويج قلق منه ، فأرسل إليه جيشا فأخرجوه من أصبهان ، فقصد أذربيجان فأخذها من نائبها وحصل له من الأموال شئ كثير جداً ، ثم أخذ بلدانا كثيرة ، واشتهر أمره وبعد صيته وحسنت سيرته . فقصده الناس محبة وتعظيما ، فاجتمع إليه من الجند خلق كثير وجم غفير ، فلم يزل يترقى فى مراقى الدنيا حتى آل به وبأخويه الحال إلى أن ملكوا بغداد من أيدى الخلفاء العباسيين ، وصار لهم فيها القطع والوصل ، والولاية والعزل ، وإليهم تجبى الأموال ، ويرجع إليهم فى سائر الأمور والأحوال ، على ما سنذكر ذلك مبسوطا والله المستعان :

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن سلامة ﴾

ابن سلمة بن عبد الملك أبو جعفر الطحاوى ، نسبة إلى قرية بصعيد مصر ، الفقيه الحنفى صاحب المصنفات المفيدة ، والفوائد الغزيرة : وهو أحد الثقات الأثبات ، والحفاظ الجهابذة ، وطحا بلدة بدريا مصر . وهو ابن أخت المزنى . توفى فى مستهل ذى القعدة منها عن ثنتين وثمانين سنة وذكر أبو سعيد السمعانى أنه ولد فى سنة تسع وعشرين ومائتين ، فعلى هذا يكون قد جاوز التسعين والله أعلم . وذكر ابن خلكان فى الوفيات أن سبب انتقاله إلى مذهب أبى حنيفة ورجوعه عن مذهب خاله المزنى ، أن خاله قال له يوماً : والله لا يجئ منك شئ . فغضب وتركه واشتغل على أبى جعفر بن أبى عمران الحنفى ، حتى برع وفاق أهل زمانه ، وصنف كتباً كثيرة . منها أحكام القرآن ، واختلاف العلماء . ومعانى الآثار ، والتاريخ الكبير . وله فى الشروط كتاب ، وكان بارعا فيها . وقد كتب للقاضى أبى عبد الله محمد بن عبد الله وعدله القاضى أبو عبيد بن حربويه ، وكان يقول : رحم الله المزنى ، لو كان حياً لكفر عن يمينه . توفى فى مستهل ذى القعدة كما تقدم . ودفن بالقرافة وقبره مشهور بها رحمه الله . وقد ترجمه ابن عساكر وذكر أنه قد قدم دمشق سنة ثمان وستين ومائتين ، وأخذ الفقه عن قاضيها أبى حازم .

﴿ أحمد بن محمد بن موسى بن النضر ﴾

ابن حكيم بن على بن زربى أبو بكر المعروف بابن أبى حامد صاحب بيت المال . سمع عباسا الدورى

وخلقا ، وعنه الدارقطنى وغيره . وكان ثقة صدوقا ، جواداً ممدحا ، اتفق فى أيامه أن رجلا من أهل العلم كانت له جارية يحبها حباً شديداً ، فركبته ديون اقتضت بيع تلك الجارية فى الدين ، فلما أن قبض ثمنها ندم ندامة شديدة على فراقها ، و بقى متحيراً فى أمره ، ثم باعها الذى اشتراها فوصلت إلى ابن أبى حامد هذا ، وهو صاحب بيت المال ، فتشفع صاحبها الأول ـ الذى باعها فى الدين ـ ببعض أصحاب ابن أبى حامد فى أن يردها إليه بثمنها ، وذكر له أنه يحبها ، وأنه من أهل العلم ، و إنما باعها فى دين ركبه لم يجد له وفاء . فلما قال له ذلك لم يكن عند ابن أبى حامد شعور بما ذكر له من أمر الجارية ، وذلك أن امرأته كانت اشترتها له ولم تعلمه بعد بأمرها حتى تحل من استبرائها ، وكان ذلك اليوم آخر الاستبراء ، فألبستها الحلى والمصاغ وصنعتها له وهيأتها ، حتى صارت كأنها فلقة قمر ، وكانت حسناء ، فحين شفع صاحبه فيها وذكر أمرها بهت لعدم علمه بها . ثم دخل على أهله يستكشف خبرها من امرأته ، فاذا بها قد هيئت له ، فلما رآها على تلك الصفة فرح فرحاً شديداً إذ وجدها كذلك من أجل سيدها الأول ، الذى تشفع فيه صاحبه . فأخرجها معه وهو يظهر السرور ، وامرأته تظن أنه إنما أخذها ليطأها ، فأتى بها إلى ذلك الرجل بحليها وزينتها ، فقال له : هذه جاريتك ؟ فلما رآها على تلك الصفة فى ذلك الحلى والزينة مع الحسن الباهر اضطرب كلامه واختلط فى عقله مما رأى من حسن منظرها وهيئتها . فقال : نعم . فقال : خذها بارك الله لك فيها . ففرح الفتى بها فرحاً شديداً . وقال سيدى تأمر بمن يحمل ثمنها إليك ؟ فقال : لا حاجة لنا بثمنها ، وأنت فى حل منه أنفقه عليك وعليها ، فانى أخشى أن تفتقر فتبيعها لمن لا يردها عليك . فقال : يا سيدى وهذا الحلى والمصاغ الذى عليها ؟ فقال : هذا شئ وهبناه لها لا نرجع فيه ولا يعود إلينا أبداً ، فدعا له واشتد فرحه بها جداً وأخذها وذهب . فلما أراد أن يودع ابن أبى حامد قال ابن أبى حامد للجارية : أيما أحب إليك نحن أو سيدك هذا ؟ فقالت : أما أنتم فقد أحسنتم إلى وأعنتمونى فجزاكم الله خيراً ، وأما سيدى هذا فلو أنى ملكت منه مامالك منى لم أبعه بالأموال الجزيلة ولا فرطت فيه أبداً . فاستحسن الحاضرون كلامها وأعجبهم ذلك من قولها ، مع صغر سنها .

﴿ شغب أم أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقبة بالسيدة ﴾

كان دخلها من أملاكها فى كل سنة ألف ألف دينار ، فكانت تتصدق بأكثر ذلك على الحجيج فى أشربة وأزواد وأطباء يكونون معهم ، وفى تسهيل الطرقات والموارد . وكانت فى غاية الحشمة والرياسة ونفوذ الكلمة أيام ولدها ، فلما قتل كانت مريضة فزادها قتله مرضا إلى مرضها ، ولما استقر أمر القاهر فى الخلافة وهو ابن زوجها المعتضد وأخو ابنها المقتدر ، وقد كانت حضنته حين توفيت أمه ، وخلصته من ابنها لما أخذت البيعة بالخلافة له ثم رجع ابنها إلى الخلافة ، فشفعت فى القاهر ، وأخذته إلى عندها ،

فكانت تكرمه وتشترى له الجوارى ، فلما قتل ابنها وتولى مكانه طلبها وهى مريضة فعاقبها عقوبة عظيمة جدا ، حتى كان يعلقها برجليها ورأسها منكوس ، فربما بالت فيسيل البول على وجهها ، ليقررها على الأموال فلم يجد لها شيئا سوى ثيابها ومصاغها وحليها فى صناديقها . قيمة ذلك مائة ألف دينار ، وثلاثون ألف دينار ، وكان لها غير ذلك أملاك أمر ببيعها وأتى بالشهود ليشهدوا عليها بالتوكيل فى بيعها ، فامتنع الشهود من الشهادة حتى ينظروا إليها ويحلوها ، فرفع الستر بإذن الخليفة . فقالوا لها : أنت شغب جارية المعتضد أم جعفر المقتدر ؟ فبكت بكاء طويلا ثم قالت : نعم ، فكتبوا حليتها عجوز سمراء اللون دقيقة الجبين . وبكى الشهود وتفكروا كيف يتقلب الزمان بأهله ، وتنقل الحدثان وأن الدنيا دار بلاء لا يفى مرجوها بمخوفها ، ولا يسلم طلوعها من كسوفها ، من ركن إليها أحرقته بنارها . ولم يذكر القاهر شيئا من إحسانها إليه رحمها الله وعفا عنها . توفيت فى جمادى الأولى من هذه السنة ، ودفنت بالرصافة .

﴿ عبد السلام بن محمد ﴾

ابن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان ، مولى عثمان بن عفان ، وهو أبو هاشم ابن أبى على الجبائى المتكلم ابن المتكلم ، المعتزلى ابن المعتزلى ، وإليه تنسب الطائفة الهاشمية من المعتزلة ، وله مصنفات فى الاعتزال كما لأبيه من قبله ، مولده سنة سبع وأربعين ومائتين ، توفى فى شعبان منها . قال ابن خلكان : وكان له ابن يقال له أبو على ، دخل يوماً على الصاحب بن عباد فأكرمه واحترمه وسأله عن شئ من المسائل فقال : لا أعرف نصف العلم . فقال : صدقت وسبقك أبوك إلى الجهل بالنصف الآخر .

﴿ أحمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية ﴾

أبو بكر بن دريد الأزدى اللغوى النحوى الشاعر صاحب المقصورة ، ولد بالبصرة فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وتنقل فى البلاد لطلب العلم والأدب ، وكان أبوه من ذوى اليسار ، وقدم بغداد وقد أسن فأقام بها إلى أن توفى فى هذه السنة . روى عن عبد الرحمن بن أخى الأصمعى ، وأبى حاتم والرياشى . وعنه أبو سعيد السيرافى ، وأبو بكر بن شاذان ، وأبو عبيد الله بن المرزبان وغيرهم . ويقال كان أعلم من شعر من العلماء . وقد كان متهتكا فى الشراب منهمكا فيه . قال أبو منصور الأزهرى : دخلت عليه فوجدته سكران فلم أعد إليه . وسئل عنه الدارقطنى فقال : تكلموا فيه . وقال ابن شاهين : كنا ندخل عليه فنستحى مما نراه من العيدان المعلقة وآلات اللهو والشراب المصفى وقد جاوز التسعين وقارب المائة . توفى يوم الأربعاء لثنتى عشرة بقيت من شعبان . وفى هذا اليوم توفى أبو هاشم ابن أبى على الجبائى المعتزلى ، فصلى عليهما معا ، ودفنا فى مقبرة الخيزران . فقال الناس : مات

اليوم عالم اللغة ، وعالم الكلام . وكان ذلك يوما مطيراً . ومن مصنفات ابن دريد الجمهرة فى اللغة نحو عشر مجلدات . وكتاب المطر ، والمقصورة ، والقصيدة الأخرى فى المقصور والممدود ، وغير ذلك . سامحه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وثلثمائة ﴾

فيها قصد ملك الروم ملطية فى خمسين ألفا لحاصرهم ثم أعطاهم الأمان حتى تمكن منهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر مالا يحصون كثرة ، فانا لله و إنا إليه راجعون . وفيها وردت الأخبار أن مرداويج قد تسلم أصبهان وانتزعها من على بن بويه ، وأن على بن بويه توجه إلى أرّجان فأخذها ، وقد أرسل ابن بويه إلى الخليفة بالطاعة والمعونة ، و إن أمكن أن يقبل العتبة الشريفة ويحضر بين يدى الخليفة إن رسم ، و يذهب إلى شيراز فيكون مع ابن ياقوت . ثم اتفق الحال بعد ذلك أن صار إلى شيراز وأخذها من نائبها ابن ياقوت بعد قتال عظيم ، ظفر فيه ابن بويه بابن ياقوت وأصحابه ، فقتل منهم خلقاً وأسر جماعة ، فلما تمكن أطلقهم وأحسن إليهم وخلع عليهم ، وعدل فى الناس . وكانت معه أموال كثيرة قد استفادها من أصبهان والكرج وهمذان وغيرها . وكان كريماً جوادا معطيا للجيوش الذين قد التفوا عليه ، ثم إنه أملق فى بعض الأحيان وهو بشيراز ، وطالبه الجند بأرزاقهم وخاف أن ينحل نظام أمره وملكه ، فاستلقى على قفاه يوماً مفكرا فى أمره ، و إذا حية قد خرجت من شق فى سقف المكان الذى هو فيه ودخلت فى آخر ، فأمر بنزع تلك السقوف فوجد هناك مكانا فيه شئ كثير من الذهب ، نحو من خمسمائة ألف دينار . فأنفق فى جيشه ما أراد ، و بقى عنده شئ كثير . وركب ذات يوم يتفرج فى جوانب البلد وينظر إلى ما بنته الأوائل ، و يتعظ بمن كان فيه قبله ، فانخسفت الأرض من تحت قوائم فرسه ، فأمر بحفر هنالك فوجد من الأموال شيئاً كثيراً أيضاً . واستعمل عند رجل خياط قماشاً ليلبسه فاستبطأه فأمر باحضاره ، فلما وقف بين يديه تهدده ـ وكان الخياط أصم لا يسمع جيداً فقال : والله أيها الملك مالا بن يا قوت عندى سوى اثنا عشر صندوقا لا أدرى ما فيها . فأمر باحضارها فاذا فيها أموال عظيمة تقارب ثلثمائة ألف دينار ، واطلع على ودائع كانت ليعقوب بن الليث ، فيها من الأموال مالا يحد ولا يوصف كثرة ، فقوى أمره وعظم سلطانه جدا . وهذا كله من الأمور المقدرة لما يريد الله بهم من السعادة الدنيوية ، بعد الجوع والقلة (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وكتب إلى الراضى و زيره ابن مقلة أن يقاطع على ما قِبَله من البلاد على ألف ألف فى كل سنة ، فأجابه الراضى إلى ذلك ، و بعث إليه بالخلع واللواء وأبهة الملك . وفيها قتل القاهر أميرين كبيرين ، وهما إسحاق بن إسماعيل النوبختى ، وهو الذى كان قد أشار على الأمراء بخلافة القاهر . وأبا السرايا بن حمدان أصغر ولد أبيه ، وكان فى نفس القاهر منهما بسبب أنهما زايداه من قبل أن يلى الخلافة فى جاريتين مغنيتين . فاستدعاهما إلى المسامرة فتطيبا وحضرا ، فأمر بإلقائهما فى

جب هنالك فتضرعا إليه فلم يرحمها ، بل ألقيا فيها وطم عليهما .

﴿ ذكر خلع القاهر وسمل عينيه وعذابه ﴾

وكان سبب ذلك أن الوزير على بن مقلة كان قد هرب حين قبض على مؤنس كما تقدم ، فاختفى فى داره ، وكان يراسل الجند ويكاتبهم ويغريهم بالقاهر ، ويخوفهم سطوته وإقدامه وسرعة بطشه ، ويخبرهم بأن القاهر قد أعد لأكابر الأمراء أماكن فى دار الخلافة يسجنهم فيها ، ومهالك يلقيهم فيها ، كما فعل بفلان وفلان . فهيجهم ذلك على القبض على القاهر ، فاجتمعوا وأجمعوا رأيهم على مناجزته فى هذه الساعة ، فركبوا مع الأمير المعروف بسيما ، وقصدوا دار الخلافة فأحاطوا بها ، ثم هجموا عليه من سائر أبوابها وهو مخمور ، فاختفى فى سطح حمام فظهروا عليه فقبضوا عليه وحبسوه فى مكان طريف اليشكرى ، وأخرجوا طريفا من السجن ، وخرج الوزير الخصيبى مستتراً فى زى امرأة ، فذهب . واضطربت بغداد ونهبت ، وذلك يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الأولى فيها ، فى الشهر الذى ماتت فيه شغب . فلم يكن بين موتها والقبض عليه وسمل عينيه وعذابه بأنواع العقوبات إلا مقدار سنة واحدة ، وانتقم الله منه . ثم أمروا باحضاره ، فلما حضر سملوا عينيه حتى سالتا على خديه ، وارتكب منه أمر عظيم لم يسمع مثله فى الاسلام ، ثم أرسلوه . وكان تارة يحبس وتارة يخلى سبيله . وقد تأخر موته إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة . وافتقر حتى قام يوما بجامع المنصور فسأل الناس فأعطاه رجل خمسمائة دينار . ويقال إنما أراد بسؤاله التشنيع عليهم . وسنذكر ترجمته إذا ذكرنا وفاته

﴿ خلافة الراضى بالله أبى العباس محمد بن المقتدر بالله ﴾

لما خلعت الجند القاهر وسملوا عينيه أحضروا أبا العباس محمد بن المقتدر بالله فبايعوه بالخلافة ولقبوه الراضى بالله . وقد أشار أبو بكر الصولى بأن يلقب بالمرضى بالله فلم يقبلوا . وذلك يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى منها . وجاؤا بالقاهر وهو أعمى قد سملت عيناه فأوقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة وسلمها إليه ، فقام الراضى بأعبائها ، وكان من خيار الخلفاء على ما سنذكره . وأمر باحضار أبى على بن مقلة فولاه الوزارة ، وجعل على بن عيسى ناظراً معه ، وأطلق كل من كان فى حبس القاهر ، واستدعى عيسى طبيب القاهر فصادره بمائتى ألف دينار ، وتسلم منه الوديعة التى كان القاهر أودعه إياها ، وكانت جملة مستكثرة من الذهب والفضة والجواهر النفيسة . وفيها عظم أمر مرداويج بأصبهان وتحدث الناس أنه يريد أخذ بغداد ، وأنه ممالئ لصاحب البحرين أمير القرامطة ، وقد اتفقا على رد الدولة من العرب إلى العجم ، وأساء السيرة فى رعيته ، لا سيما فى خواصه . فتمالؤا عليه فقتلوه ، وكان القائم بأعباء قتله أخص مماليكه وهو بحكم بيض الله وجهه ، وبحكم هذا هو الذى استنقذ الحجر الأسود من أيدى القرامطة حتى ردوه ، اشتراه منهم بخمسين ألف دينار . ولما قتل الأمير بحكم مرداويج

عظم أمر على بن بويه ، وارتفع قدره بين الناس . وسيأتى ما آل إليه حاله . ولما خلع القاهر وولى الراضى ، طمع هارون بن عريب فى الخلافة ، لكونه ابن خال المقتدر ، وكان نائباً على ماه والكوفة والدينور وما سبذان ، فدعا إلى نفسه واتبعه خلق كثير من الجند والأمراء ، وجبى الأموال واستفحل أمره ، وقويت شوكته ، وقصد بغداد فخرج إليه محمد بن ياقوت رأس الحجبة بجميع جند بغداد ، فاقتتلوا فخرج فى بعض الأيام هارون بن عريب ينقصد لعله يعمل حيلة فى أسر محمد بن ياقوت فتقنطر به فرسه فألقاه فى نهر ، فضربه غلامه حتى قتله وأخذ رأسه حتى جاء به إلى محمد بن ياقوت ، وانهزم أصحابه ورجع ابن ياقوت فدخل بغداد ورأس هارون بن عريب يحمل على رمح ، ففرح الناس بذلك ، وكان يوما مشهوداً .

وفيها ظهر ببغداد رجل يعرف بأبى جعفر محمد بن على الشلمغانى ، ويقال له ابن العراقة ، فذكروا عنه أنه يدعى ما كان يدعيه الحلاج من الالهية ، وكانوا قد قبضوا عليه فى دولة المقتدر عند حامد بن العباس ، واتهم بأنه يقول بالتناسخ فأنكر ذلك . ولما كانت هذه المرة أحضره الراضى وادعى عليه بما كان ذكر عنه فأنكر ثم أقر بأشياء ، فأفتى قوم أن دمه حلال إلا أن يتوب من هذه المقالة ، فأبى أن يتوب ، فضرب ثمانين سوطاً ، ثم ضربت عنقه وألحق بالحلاج ، وقتل معه صاحبه ابن أبى عون لعنه الله . وكان هذا اللعين من جملة من اتبعه وصدقه فيما يزعمه من الكفر . وقد بسط ابن الأثير فى كامله مذهب هؤلاء الكفرة بسطاً جيداً ، وشبه مذهبهم بمذهب النصيرية . وادعى رجل آخر ببلاد الشاش النبوة وأظهر المخاريق وأشياء كثيرة من الحيل ، فجاءته الجيوش فقاتلوه ، وانطفأ أمره .

﴿ وفاة المهدى صاحب إفريقية ﴾

وفيها كان موت المهدى صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين الادعياء الكذبة ، وهو أبو محمد عبيد الله المدعى أنه علوى ، وتلقب بالمهدى ، وبنى المهدية ومات بها عن ثلاث وستين سنة ، وكانت ولايته - منذ دخل رقادة وادعى الامامة - أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً . وقد كان شهماً شجاعا ، ظفر بجماعة ممن خالفه وناوأه وقاتله وعاداه ، فلما مات قام بأمر الخلافة من بعده ولده أبو القاسم الملقب بالخليفة القائم بأمر الله . وحين توفى أبوه كتم موته سنة حتى دبر ما أراده من الأمور ، ثم أظهر ذلك وعزاه الناس فيه . وقد كان كأبيه شهما شجاعا : فتح البلاد وأرسل السرايا إلى بلاد الروم ، ورام أخذ الديار المصرية فلم يتفق له ذلك ، وإنما أخذ الديار المصرية ابن ابنه المعز الفاطمى بانى القاهرة المعزية كما سنذكره إن شاء الله .

قال ابن خلكان فى الوفيات : وقد اختلف فى نسب المهدى هذا اختلافا كثيراً جداً ، فقال صاحب تاريخ القيروان : هو عبيد الله بن الحسن بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على

ابن الحسين بن علي بن أبي طالب . وقال غيره : هو عبيد الله بن التقي وهو الحسين بن الوفي بن أحمد بن الرضي ، وهو عبد الله هذا ، وهو ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وقيل غير ذلك في نسبه . قال ابن خلكان : والمحققون ينكرون دعواه في النسب . قلت : قد كتب غير واحد من الأئمة منهم الشيخ أبو حامد الاسفرايينى والقاضي الباقلاني ، والقدوري ، أن هؤلاء أدعياء ليس لهم نسب صحيح فيما يزعمونه ، وأن والد عبيد الله المهدي هذا كان يهوديا صباغا بسلمية ، وقيل كان اسمه سعد ، وإنما لقب بعبيد الله زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح ، وسمي القداح لأنه كان كحالا يقدح العيون . وكان الذي وطأ له الأمر بتلك البلاد أبو عبد الله الشيعي كما قدمنا ذلك ، ثم استدعاه فلما قدم عليه من بلاد المشرق وقع في يد صاحب سجلماسة فسجنه ، فلم يزل الشيعي يحتال له حتى استنقذه من يده وسلم إليه الأمر ، ثم ندم الشيعي على تسليمه الأمر وأراد قتله ، ففطن عبيد الله لما أراد به ، فأرسل إلى الشيعي من قتله وقتل أخاه معه . ويقال إن الشيعي لما دخل السجن الذي قد حبس فيه عبيد الله هذا وجد صاحب سجلماسة قد قتله ، ووجد في السجن رجلا مجهولا محبوسا فأخرجه إلى الناس ، لأنه كان قد أخبر الناس أن المهدي كان محبوساً في سجلماسة وأنه إنما يقاتل عليه ، فقال للناس : هذا هو المهدي ـ وكان قد أوصاه أن لا يتكلم إلا بما يأمره به وإلا قتله ـ فراج أمره . فهذه قصته . وهؤلاء من سلالته والله أعلم . وكان مولد المهدي هذا في سنة ستين ومائتين ، وقيل قبلها ، وقيل بعدها ، بسلمية ، وقيل بالكوفة والله أعلم . وأول مادعى له على منابر رقادة والقيروان يوم الجمعة لسبع بقين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين ومائتين ، بعد رجوعه من سجلماسة ، وكان ظهوره بها في ذي الحجة من السنة الماضية ـ سنة ست وتسعين ومائتين ـ فلما ظهر زالت دولة بني العباس عن تلك الناحية من هذا الحين إلى أن ملك القاصد في سنة سبع وستين وخمسمائة . توفي بالمدينة المهدية التي بناها في أيامه للنصف من ربيع الأول منها ، وقد جاوز الستين على المشهور ، وسيفصل الله بين الآمر والمأمور يوم البعث والنشور .

وفيها توفي من الأعيان أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر . حدث عن أبيه بكتبه المشهورة ، وتوفي وهو قاض بالديار المصرية في ربيع الأول منها .

﴿ محمد بن أحمد بن القاسم أبو علي الروذباري ﴾

وقيل اسمه أحمد بن محمد ، ويقال الحسين بن الهمام ، والصحيح الأول . أصله من بغداد وسكن مصر ، وكان من أبناء الرؤساء والوزراء والكتبة ، وصحب الجنيد وسمع الحديث وحفظ منه كثيراً ، وتفقه بإبراهيم الحربي . وأخذ النحو عن ثعلب ، وكان كثير الصدقة والبر للفقراء ، وكان إذا أعطى الفقير شيئا جعله في كفه تحت يد الفقير ، ثم يتناوله الفقير ، يريد أن لا تكون يد الفقير تحت يده .

[قال أبو نعيم : سئل أبو على الروذبارى عمن يسمع الملاهى و يقول إنه وصل إلى منزلة لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال . فقال : نعم وصل ، ولكن إلى سقر . وقال : الاشارة الابانة ، لما تضمنه الوجد من المشار إليه لاغير ، وفى الحقيقة أن الاشارة تصحبها العلل ، والعلل بعيدة من غير الحقائق . وقال : من الاغترار أن تسئ فيحسن إليك ، فتترك الانابة والتوبة توهما أنك تسامح فى الهفوات ، وترى أن ذلك من بسط الحق لك . وقال تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق فألقيت إليها الأسامى ، فركنت إليها مشغوفة بها عن الذات إلى أوان التجلى ، فذلك قوله (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) فوقفوا معها عن إدراك الحقائق ، فأظهر الأسامى وأبداها للخلق ، لتسكين شوق المحبين إليه ، وتأنيس قلوب العارفين به . وقال : لارضى لمن لايصبر ، ولا كمال لمن لا يشكر . و بالله وصل العارفون إلى محبته وشكروه على نعمته . وقال : إن المشتاقين إلى الله يجدون حلاوة الشوق عند ورود المكاشف لهم عن روح الوصال إلى قربه أحلى من الشهد . وقال : من رزق ثلاثة أشياء فقد سلم من الآفات : بطن جائع معه قلب قانع ، وفقر دائم معه زهد حاضر ، وصبر كامل معه قناعة دائمة . وقال : فى اكتساب الدنيا مذلة النفوس ، وفى اكتساب الآخرة عزها ، فيا عجبا لمن يختار المذلة فى طلب ما يفنى على العز فى طلب مايبقى] (١) ومن شعره

لومضى الكل منى لم يكن عجبا * وإنما عجبى فى البعض كيف بقى
أدرك بقية روح منك قد تلفت * قبل الفراق فهذا آخر الرمق

﴿ محمد بن إسماعيل ﴾

المعروف بخير النساج أبو الحسن الصوفى ، من كبار المشايخ ذوى الأحوال الصالحة ، والكرامات المشهورة . أدرك سريا السقطى وغيره من مشايخ القوم ، وعاش مائة وعشرين سنة . ولما حضرته الوفاة نظر إلى زاوية البيت فقال : قف رحمك الله ، فانك عبد مأمور وأنا عبد مأمور ، وما أمرت به لايفوت وما أمرت به يفوت . ثم قام وتوضأ وصلى وتمدد ومات رحمه الله . وقد رآه بعضهم فى المنام فقال له : مافعل الله بك ؟ فقال استرحنا من دنيا كم الوخيمة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ﴾

فيها أحضر ابن شنبوذ المقرى فأنكر عليه جماعة من الفقهاء والقراء حروفا انفرد بها فاعترف ببعضها وأنكر بعضها ، فاستتيب من ذلك واستكتب خطه بالرجوع عما نقم عليه ، وضرب سبع درر باشارة الوزير أبى على بن مقلة ، ونفى إلى البصرة . فدعا على الوزير أن تقطع يده ويشتت شمله ، فكان ذلك عما قريب . وفى جمادى الآخرة نادى ابن الحرسى صاحب الشرطة فى الجانبين من بغداد

(١) سقط من المصرية .

أن لا يجتمع اثنان من أصحاب أبي محمد البربهاري الواعظ الحنبلي . وحبس من أصحابه جماعة ، واستتر ابن البربهاري فلم يظهر مدة . قال ابن الجوزي في المنتظم : وفي شهر أيار تكاثفت الغيوم واشتد الحر جدا ، فلما كان آخر يوم منه ـ وهو الخامس والعشرين من جمادى الآخرة منها ـ هاجت ريح شديدة جدا وأظلمت الأرض واسودت إلى بعد العصر ، ثم خفت ثم عادت إلى بعد عشاء الآخرة. وفيها استبطأ الأجناد أرزاقهم فقصدوا دار الوزير أبي علي بن مقلة فنقبوها وأخذوا ما فيها ووقع حريق عظيم في طريق الموازين ، فاحترق للناس شيء كثير ، فعوض عليهم الراضي بعض ما كان ذهب لهم . وفي رمضان اجتمع جماعة من الأمراء على بيعة جعفر بن المكتفي ، فظهر الوزير على أمرهم فحبس جعفراً ونهبت داره ، وحبس جماعة ممن كان بايعه ، وانطفأت ناره . وخرج الحجاج في غفارة الأمير لؤلؤ فاعترضهم أبو طاهر القرمطي فقتل أكثرهم ورجع من انهزم منهم إلى بغداد ، وبطل الحج في هذه السنة من طريق العراق . قال ابن الجوزي : وفيها تساقطت كواكب كثيرة ببغداد والكوفة على صورة لم ير مثلها ، ولا ما يقاربها ، وغلا السعر في هذه السنة حتى بيع الكر من الحنطة بمائة وعشرين ديناراً . وفيها على الصحيح كان مقتل مرداويج بن زياد الديلمي ، وكان قبحه الله سيء السيرة والسريرة ، يزعم أن روح سليمان بن داود حلّت فيه ، وله سرير من ذهب يجلس عليه والأتراك بين يديه ، ويزعم أنهم الجن الذين سخروا لسليمان بن داود ، وكان يسيء المعاملة لجنده ويحتقرهم غاية الاحتقار ، فما زال ذلك دأبه حتى أمكنهم الله منه فقتلوه شر قتلة في حمام ، وكان الذي مالأ على قتله غلامه بجكم التركي ، وكان ركن الدولة بن بويه رهينة عنده فأطلق لما قتل ، فذهب إلى أخيه عماد الدولة ، وذهبت طائفة من الأتراك معه إلى أخيه ، والتفت طائفة منهم على بجكم فسار بهم إلى بغداد بإذن الخليفة له في ذلك ، ثم صرفوا إلى البصرة فكانوا بها . وأما الديلم فإنهم بعثوا إلى أخي مرداويج وهو وشمكير ، فلما قدم عليهم تلقوه إلى أثناء الطريق حفاة مشاة فملكوه عليهم لئلا ينهب ملكهم ، فانتدب إلى محاربته الملك السعيد نصر بن أحمد الساماني نائب خراسان وما وراء النهر ، وما والاها من تلك البلاد والأقاليم ، فانتزع منه بلداناً هائلة . وفيها بعث القائم بأمر الله الفاطمي جيشاً من إفريقية في البحر إلى ناحية الفرنج فافتتحوا مدينة جنوه وغنموا غنائم كثيرة وثروة . ورجعوا سالمين غانمين . وفيها بعث عماد الدولة إلى أصبهان فاستولى عليها وعلى بلاد الجبل واتسعت مملكته جداً . وفيها كان غلاء شديد بخراسان ، ووقع بها فناء كثير ، بحيث كان يهمهم أمر دفن الموتى . وفيها قتل ناصر الدولة أبو الحسن بن حمدان نائب الموصل عمه أبا العلاء سعيد بن حمدان لأنه أراد أن ينتزعها منه ، فبعث إليه الخليفة وزيره أبا علي بن مقلة في جيوش ، فهرب منه ناصر الدولة ، فلما طال مقام ابن مقلة بالموصل ولم يقدر على ناصر الدولة رجع إلى بغداد ، فاستقرت

يد ناصر الدولة على الموصل . و بعث به إلى الخليفة أن يضمنه تلك الناحية ، فأجيب إلى ذلك ، واستمر الحال على ما كان . وخرج الحجيج فلقيهم القرمطى فقاتلهم وظفر بهم فسألوه الأمان فأمنهم على أن يرجعوا بغداد فرجعوا ، وتعطل الحج عامهم ذلك أيضاً .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ نفطويه النحوى ﴾

واسمه إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى أبو عبد الله العتكى المعروف بنفطويه النحوى . له مصنفات فيه ، وقد سمع الحديث و روى عن المشايخ وحدث عنه الثقات ، وكان صدوقا ، وله أشعار حسنة . وروى الخطيب عن نفطويه أنه مر على بقال فقال له : أيها الشيخ كيف الطريق إلى درب الرآسين ـ يعنى درب الرواسين ـ فالتفت البقال إلى جاره فقال له : قبح الله غلامى أبطأ على بالسلق ، ولو كان عندى لصفعت هذا بحزمة منه . فانصرف عنه نفطويه ولم يرد عليه . توفى نفطويه فى شهر صفر من هذه السنة عن ثلاث وثمانين سنة وصلى عليه البربهارى رئيس الحنابلة ، ودفن بمقابر دار الكوفة . ومما أنشده أبو على القالى فى الأمالى له : قلبى أرق عليه من خديكا * وفؤادى أوهى من قوى جفنيكا

لم ترق لمن يعذب نفسه * ظلما ويعطفه هواه عليكا

قال ابن خلكان : وفى نفطويه يقول أبو محمد عبد الله بن زيد بن على بن الحسين الواسطى المتكلم المشهور صاحب الامامة و إعجاز القرآن وغير ذلك من الكتب * من سره أن لا يرى فاسقاً فليجتهد أن لا يرى نفطويه * أحرقه الله بنصف اسمه ، وصير الباقى صراخا عليه * قال الثعالبى : إنما سمى نفطويه لدمامته . وقال ابن خالويه : لا يعرف من اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سواه .

﴿ عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله الهاشمى العباسى ﴾

حدث عن بشار بن نصر الحلبى وغيره . وعنه الدارقطنى وغيره ، وكان ثقة فاضلا فقيهاً شافعياً .

عبد الملك بن محمد بن عدى أبو نعيم الاستراباذى المحدث الفقيه الشافعى أيضاً ، توفى عن ثلاث وثمانين سنة .

على بن الفضل بن طاهر بن نصر بن محمد أبو الحسن البلخى ، كان من الجوالين فى طلب الحديث ، وكان ثقة حافظاً ، سمع أباها شم الرازى وغيره . وعنه الداراقطنى وغيره .

محمد بن أحمد بن أسد أبو بكر الحافظ ، ويعرف بابن البستبنان ، سمع الزبير بن بكار وغيره ، وعنه الدارقطنى وغيره . جاوز الثمانين .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلثمائة ﴾

فيها جاءت الجند فأحدقوا بدار الخلافة وقالوا : ليخرج إلينا الخليفة الراضى بنفسه فيصلى بالناس .

فخرج فصلى بهم وخطبهم . وقبض الغلمان على الوزير ابن مقلة وسألوا من الخليفة أن يستوزر غيره فرد الخيرة إليهم ، فاختاروا على بن عيسى فلم يقبل ، وأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى فاستوزره ، وأحرقت دار ابن مقلة ، وسلم هو إلى عبد الرحمن بن عيسى فضرب ضربا عنيفاً ، وأخذ خطه بألف ألف دينار ، ثم عجز عبد الرحمن بن عيسى فعزل بعد خمسين يوماً وقلد الوزارة أبو جعفر بن القاسم الكرخى ، فصادر على بن عيسى بمائة ألف دينار ، وصادر أخاه عبد الرحمن بن عيسى بسبعين ألف دينار ، ثم عزل بعد ثلاثة أشهر ونصف ، وقلد سليمان بن الحسين ، ثم عزل بأبى الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات ، وذلك فى السنة الآتية . وأحرقت داره كما أحرقت دار ابن مقلة فى يوم أحرقت تلك فيه ، سنة بينهما واحدة . وهذا كله من تخبيط الأتراك والغلمان . ولما أحرقت دار ابن مقلة فى هذه السنة كتب بعض الناس على بعض جدرانها :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت * ولم تخف سوءاً يأتى به القدر

وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

وفيها ضعف أمر الخلافة جداً ، وبعث الراضى إلى محمد بن رائق ـ وكان بواسط ـ يدعوه إليه ليوليه إمرة الأمراء ببغداد ، وأمر الخراج والمغل فى جميع البلاد والدواوين ، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر ، وأنفذ إليه بالخلع . فقدم ابن رائق إلى بغداد على ذلك كله ، ومعه الأمير بجكم التركى غلام مرداويج ، وهو الذى ساعد على قتل مرداويج . واستحوذ ابن رائق على أموال العراق بكماله ، ونقل أموال بيت المال إلى داره ، ولم يبق للوزير تصرف فى شئ بالكلية ، ووهى أمر الخلافة جداً ، واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها ، ولم يبق للخليفة حكم فى غير بغداد ومعاملاتها . ومع هذا ليس له مع ابن رائق نفوذ فى شئ ، ولا تفرد بشئ ، ولا كلمة تطاع ، وإنما يحمل إليه ابن رائق ما يحتاج إليه من الأموال والنفقات وغيرها . وهكذا صار أمر من جاء بعده من أمراء الأكابر ، كانوا لا يرفعون رأساً بالخليفة ، وأما بقية الأطراف فالبصرة مع ابن رائق هذا ، يولى فيها من شاء . وخوزستان إلى أبى عبد الله البريدى ، وقد غلب ابن ياقوت على ما كان بيده فى هذه السنة من مملكة تستر وغيرها واستحوذ على حواصلها وأموالها . وأمر فارس إلى عماد الدولة بن بويه ينازعه فى ذلك وشمكير أخو مرداويج وكرمان بيد أبى على محمد بن إلياس بن اليسع . وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضر وربيعة مع بنى حمدان . ومصر والشام فى يد محمد بن طغج . وبلاد إفريقية والمغرب فى يد القائم بأمر الله ابن المهدى الفاطمى ، وقد تلقب بأمير المؤمنين . والأندلس فى يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموى . وخراسان وما وراء النهر فى يد السعيد نصر بن أحمد السامانى . وطبرستان وجرجان فى يد الديلم . والبحرين واليمامة وهجر فى يد أبى طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى القرمطى . وفيها وقع

ببغداد غلاء عظيم وفناء كثير بحيث عدم الخبز منها خمسة أيام ، ومات من أهلها خلق كثير ، وأكثر ذلك كان فى الضعفاء ، وكان الموتى يلقون فى الطريق ليس لهم من يقوم بهم ، ويحمل على الجنازة الواحدة الرجلان من الموتى ، وربما وضع بينهم صبي ، وربما حفرت الحفرة الواحدة فتوسع حتى يوضع فيها جماعة . ومات من أهل أصبهان نحو من مائتى ألف إنسان . وفيها وقع حريق بعمان أحرق فيه من السودان ألف ، ومن البيضان خلق كثير ، وكان جملة ما أحرق فيه أربعمائة حمل كافور . وعزل الخليفة أحمد بن كيغلغ عن نيابة الشام ، وأضاف ذلك إلى ابن طغج نائب الديار المصرية . وفيها ولد عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة بن بويه بأصبهان .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ ابن مجاهد المقرى ﴾

أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرى ، أحد أئمة هذا الشأن . حدث عن خلق كثير ، وروى عنه الدارقطنى وغيره ، وكان ثقة مأمونا ، سكن الجانب الشرقى من بغداد ، وكان ثعلب يقول : مابقى فى عصرنا أحد أعلم بكتاب الله منه . توفى يوم الأربعاء وأخرج يوم الخميس لعشر بقين من شعبان من هذه السنة . وقد رآه بعضهم فى المنام وهو يقرأ فقال له : أمامت ؟ فقال : بلى ولكن كنت أدعو الله عقب كل ختمة أن أكون ممن يقرأ فى قبره ، فأنا ممن يقرأ فى قبره . رحمه الله .

﴿ جحظة الشاعر البرمكى ﴾

أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكى ، أبو الحسن النديم المعروف بجحظة الشاعر الماهر الأديب الأخبارى ، ذو الفنون فى العلوم والنوادر الحاضرة ، وكان جيد الغناء . ومن شعره :

قد نادت الدنيا على نفسها * ولو كان فى العالم من يسمع
كم آمل خيبت آماله * وجامع بددت ما يجمع

وكتب له بعض الملوك رقعة على صير فى بمال أطلقه له فلم يحصل له ، فكتب إلى الملك يذكر له ذلك .

إذا كانت صلاتكم رقاعا * تُخطَّط بالاناملِ والاكف
فلا تجد الرقاع على نفعا * فذا خطى فخذه بألف ألف

ومن شعره يهجو صديقاً له وينمه على شدة شحه وبخله وحرصه فقال :

لنا صاحب من أبرع الناس فى البخل * يسمى بفضل ،وهو ليس بذى فضل
دعانى كما يدعو الصديق صديقه * فجئت كما يأتى إلى مثله مثلى
فلما جلسنا للغداء رأيته * يرى أنما من بعض أعضائه أكلى
فيغتاظ أحيانا ويشتم عبده * فأعلم أن الغيظ والشتم من أجلى
أمدُّ يدى سراً لآكل لقمة * فيلحظنى شزراً فأعبث بالبقل

إلى أن جنت كفى على جناية * وذلك أن الجوع أعد منى عقلى
فأهوت يمينى نحو رجل دجاجة * فجرت رجلها كما جرت يدى رجلى

ومن قوى شعره قوله

رحلتم فكم من أنة بعد حنة * مبينة للناس حزنى عليكم
وقد كنت أعتقت الجفون من البكا * فقد ردها فى الرق شوقى إليكم

وقد أورد له ابن خلكان من شعره الرائق قوله :

فقلت لها : بخلت علىَّ يقْظَى * فجودى فى المنام لمستهام
فقالت لى : وصرتَ تنام أيضاً * وتطمع أن أزورك فى المنام ؟

قال : وإنما لقبه بجحظة عبد الله بن المعتز ، وذلك لسوء منظره بما فيه . قال بعض من هجاه :

ببيت جحظة تسعين جحوظة * من فيل شطرنج ومن سرطان
وارحمتا لمنادميه تحملوا * ألم العيون للذة الآذان

توفى سنة ست وعشرين وقيل أربع وعشرين وثلثمائة بواسط .

﴿ ابن المغلس الفقيه الظاهرى ﴾

المشهور . له المصنفات المفيدة فى منهبه . أخذ الفقه عن أبى بكر بن داود . وروى عن عبد الله ابن أحمد بن حنبل ، وعلى بن داود القنطرى ، وأبى قلابة الرياشى ، وآخرين : وكان ثقة فقيهاً فاضلا وهو الذى نشر علم داود فى تلك البلاد . توفى بالسكتة .

﴿ أبو بكر بن زياد ﴾

النيسابورى عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون ، أبو بكر الفقيه الشافعى النيسابورى مولى أبان بن عثمان ، رحل إلى العراق والشام ومصر ، وسكن بغداد . حدث عن محمد بن يحيى الذهلى وعباس الدورى ، وخلق . وعنه الدارقطنى وغير واحد من الحفاظ . قال الدارقطنى : لم ير فى مشايخنا أحفظ منه للأسانيد والمتون . وكان أفقه المشايخ ، جالس المزنى والربيع . وقال عبدالله بن بطة : كنا نحضر مجلس ابن زياد وكان يحرز من يحضره من أصحاب المحابر ثلاثين ألفاً . وقال الخطيب : أخبرنا أبو سعد المالينى أنبأ يوسف بن عمر بن مسرور سمعت أبا بكر بن زياد النيسابورى يقول : أعرف من قام الليل أربعين سنة لم ينم إلا جاثياً ، ويتقوت كل يوم خمس حبات ، ويصلى صلاة الغد بطهارة العشاء ، ثم يقول : أنا هو كنت أفعل هذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ـ يعنى أم ولده ـ إيش أقول لمن زوجنى . ثم قال فى إثر هذا : ما أراد إلا الخير . توفى فى هذه السنة عن ست وثمانين سنة .

﴿ عفان بن سليمان ﴾

ابن أيوب أبو الحسن التاجر ، أقام بمصر وأوقف بها أوقافا دارة على أهل الحديث ، وعلى سلالة العشرة رضى الله عنهم . وكان تاجراً موسعا عليه فى الدنيا ، مقبول الشهادة عند الحكام ، توفى فى شعبان منها

﴿ أبو الحسن الأشعرى ﴾

قدم بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجى وتفقه بابن سريج . وقد ذكرنا ترجمته فى طبقات الشافعية . وذكر ابن خلكان أنه كان يجلس فى حلقة الشيخ أبى إسحاق المروزى ، وقد كان الأشعرى معتزلياً فتاب منه بالبصرة فوق المنبر ، ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم ، وله من الكتب : الموجز وغيره ، وحكى عن ابن حزم أنه قال : للاشعرى خمسة وخمسون تصنيفاً . وذكر أن مغله كان فى كل سنة سبعة عشر ألف درهم ، وأنه كان من أكثر الناس دعابة ، وأنه ولد سنة سبعين ومائتين ، وقيل سنة ستين ومائتين ، ومات فى هذه السنة ، وقيل فى سنة ثلاثين ، وقيل فى سنة بضع وثلاثين وثلثمائة فالله أعلم .

﴿ محمد بن الفضل ﴾ بن عبد الله ، أبو ذر التميمى ، كان رئيس جرجان ، سمع الكثير ، وتفقه بمذهب الشافعى ، وكانت داره مجمع العلماء ، وله إفضال كثير على طلبة العلم من أهل زمانه . هارون بن المقتدر أخو الخليفة الراضى ، توفى فى ربيع الأول منها ، فحزن عليه أخوه الراضى وأمر بنفى بختيشوع ابن يحيى المتطبب إلى الأنبار ، لأنه اتهم فى علاجه ، ثم شفعت فيه أم الراضى فرده .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وثلثمائة ﴾

فى المحرم منها خرج الخليفة الراضى وأمير الأمراء محمد بن رائق من بغداد قاصدين واسط لقتال أبى عبد الله البريدى نائب الأهواز ، الذى قد تجبر بها ومنع الخراج ، فلما سار ابن رائق إلى واسط خرج الحجون فقاتلوه فسلط عليهم بجكم فطحنهم ، ورجع فلّهم إلى بغداد فتلقاهم لؤلؤ أمير الشرطة فاحتاط على أكثرهم ونهبت دورهم ، ولم يبق لهم رأس يرتفع ، وقطعت أرزاقهم من بيت المال بالكلية . وبعث الخليفة وابن رائق إلى أبى عبد الله البريدى يتهددانه فأجاب إلى حمل كل سنة ثلثمائة ألف وستين ألف دينار يقوم بها ، تحمل كل سنة على حدته ، وأنه يجهز جيشاً إلى قتال عضد الدولة بن بويه . فلما رجع الخليفة إلى بغداد لم يحمل شيئاً ولم يبعث أحداً . ثم بعث ابن رائق بجكم وبدراً الحسينى لقتال البريدى ، فجرت بينهم حروب وخطوب ، وأمور يطول ذكرها . ثم لجأ البريدى إلى عماد الدولة واستجار به ، واستحوذ بجكم على بلاد الأهواز ، وجعل إليه ابن رائق خراجها ، وكان بجكم هذا شجاعاً فاتكا . وفى ربيع الأول خلع الخليفة على بجكم وعقد له الامارة ببغداد ، وولاه نيابة المشرق إلى خراسان . وفيها توفى من الأعيان أبو حامد بن الشرقى .

﴿ أحمد بن محمد بن الحسن ﴾

أبو حامد الشرقي ، مولده سنة أربعين ومائتين ، وكان حافظاً كبير القدر كثير الحفظ ، كثير الحج . رحل إلى الأمصار وجاب الأقطار ، وسمع من الكبار ، نظر إليه ابن خزيمة يوماً فقال : حياة أبي حامد تحول بين الناس و بين الكذب على رسول الله ﷺ .

عبد الله بن محمد بن سفيان أبو الحسن الخزاز النحوي ، حدث عن المبرد وثعلب ، وكان ثقة . له مصنفات في علوم القرآن غزيرة الفوائد . محمد بن إسحاق بن يحيى أبو الطيب النحوي ، قال أبو الوفا له مصنفات مليحة في الأخبار ، وقد حدث عن الحارث بن أبي المبرد وأسامة وثعلب وغيرهم ـ محمد ابن هارون أبو بكر العسكري الفقيه على مذهب أبي ثور ، روى عن الحسن بن عرفة وعباس الدوري وعن الدار قطني والآجري وغيرهما . والله أعلم

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة ﴾

فيها ورد كتاب من ملك الروم إلى الراضي مكتوب بالرومية والتفسير بالعربية ، فالرومي بالذهب والعربي بالفضة ، وحاصله طلب الهدنة بينه و بينه ، ووجه مع الكتاب بهدايا وألطاف كثيرة فاخرة ، فأجابه الخليفة إلى ذلك ، وفودي من المسلمين ستة آلاف أسير ، مابين ذكر وأنثى على نهر البدندون . وفيها ارتحل الوزير أبو الفتح بن الفرات من بغداد إلى الشام ، وترك الوزارة فوليها أبو علي بن مقلة وكانت ولايته ضعيفة جداً ، ليس له من الأمر شيء مع ابن رائق ، وطلب من ابن رائق أن يفرغ له عن أملاكه فجعل يماطله ، فكتب إلى بجكم يطمعه في بغداد ، وأن يكون عوضاعن ابن رائق . وكتب ابن مقلة أيضا إلى الخليفة يطلب منه أن يسلم إليه ابن رائق وابن مقاتل ، و يضمنهم بألفي دينار ، فبلغ ذلك ابن رائق فأخذه فقطع يده ، وقال : هذا أفسد في الأرض . ثم جعل يُحَسِّنُ للراضي أن يستوزره وأن قطع يده لا يمنعه من الكتابة ، وأنه يشد القلم على يده اليمنى المقطوعة فيكتب بها ، ثم بلغ ابن رائق أنه قد كتب إلى بجكم بما تقدم ، وأنه يدعو عليه . فأخذه فقطع لسانه وسجنه في مكان ضيق ، وليس عنده من يخدمه ، فكان يستقي الماء بنفسه يتناول الدلو بيده اليسرى ثم يمسكه بفيه ثم يجذب باليسرى ثم يمسك بفيه إلى أن يستقي ، ولقي شدة وعناء ، ومات في محبسه هذا وحيداً فدفن فيه . ثم سأل أهله نقله فدفن في داره ، ثم نقل منها إلى غيرها ، فاتفق له أشياء غريبة : منها أنه وزر ثلاث مرات ، وعزل ثلاث مرات ، وولي لثلاثة من الخلفاء ، ودفن ثلاث مرات ، وسافر ثلاث سفرات ، مرتين منفياً ومرة إلى الموصل كما تقدم . وفيها دخل بجكم بغداد فقلده الراضي إمرة الأمراء مكان ابن رائق ، وقد كان بجكم هذا من غلمان أبي علي العارض وزير ما كان بن كالي الديلمي ، فاستوهبه ما كان من الوزير فوهبه له ، ثم فارق ما كان ولحق بمرداويج ، وكان في جملة من قتله

فى الحمام كما تقدم . فلما ولاه الخليفة إمرة الأمراء أسكن فى دار مؤنس الخادم ، وعظم أمره جداً وانفصل ابن رائق وكانت أيامه سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً . وفيها بعث عماد الدولة بن بويه أخاه معز الدولة فأخذ الأهواز لأبى عبد الله البريدى ، وانتزعها من يد بجكم وأعادها إليه . وفيها استولى لشكرى أحد أمراء وشمكير الديلمى على بلاد أذربيجان وانتزعها من رستم بن إبراهيم الكردى ، أحد أصحاب ابن أبى الساج ، بعد قتال طويل . وفيها اضطرب أمر القرامطة جداً وقتل بعضهم بعضا ، وانكفوا بسبب ذلك عن التعرض للفساد فى الأرض ، ولزموا بلدهم هجر لا يرومون منه انتقالا إلى غيره ، ولله الحمد والمنة .

وفيها توفى أحمد بن زياد بن عبد الرحمن الأندلسى ، كان أبوه من أصحاب مالك ، وهذا الرجل هو أول من أدخل فقه مالك إلى الأندلس وقد عرض عليه القضاء بها فلم يقبل .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلثمائة ﴾

فى المحرم منها خرج الراضى أمير المؤمنين إلى الموصل لمحاربة ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان نائبها ، و بين يديه بجكم أمير الأمراء ، وقاضى القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بن يوسف ، وقد استخلف على بغداد ولده القاضى أبا نصر يوسف بن عمر ، فى منصب القضاء ، عن أمر الخليفة بذلك . وكان فاضلا عالما ، ولما انتهى بجكم إلى الموصل واقع الحسن بن عبد الله بن حمدان فهزم بجكم ابن حمدان ، وقرر الخليفة الموصل والجزيرة ، وولى فيها . وأما محمد بن رائق فانه اغتنم غيبة الخليفة عن بغداد واستجاش بألف من القرامطة وجاء بهم فدخل بغداد فأكثر فيها الفساد ، غير أنه لم يتعرض لدار الخلافة ، ثم بعث إلى الخليفة يطلب منه المصالحة والعفو عما جنى ، فأجابه إلى ذلك ، و بعث إليه قاضى القضاة أبا الحسين عمر بن يوسف ، وترحل ابن رائق عن بغداد ودخلها الخليفة فى جمادى الأولى ، ففرح المسلمون بذلك . ونزل عند غروب الشمس أول ليلة من شهر أذار فى جمادى الأولى مطر عظيم ، و برد كبار ، كل واحدة نحو أوقيتين ، واستمر فسقط بسببه دور كثيرة من بغداد. وظهر جراد كثير فى هذه السنة وكان الحج من جهة درب العراق قد تعطل من سنة سبع عشرة وثلثمائة إلى هذه السنة ، فشفع فى الناس الشريف أبو على محمد بن يحيى العلوى عند القرامطة ، وكانوا يحبونه لشجاعته وكرمه ، فى أن يمكنهم من الحج ، وأن يكون لهم على كل جمل خمسة دنانير ، وعلى المحمل سبعة دنانير ، فاتفقوا معه على ذلك ، فخرج الناس فى هذه السنة إلى الحج على هذا الشرط ، وكان فى جملة من خرج الشيخ أبو على بن أبى هريرة أحد أئمة الشافعية فلما اجتاز بهم طالبوه بالخفارة فثنى رأس راحلته ورجع وقال : ما رجعت شحا ولكن سقط عنى الوجوب بطلب هذه الخفارة . وفيها وقعت فتنة بالأندلس وذلك أن عبد الرحمن الأموى صاحب الأندلس الملقب

بالناصر لدين الله ، فقتل وزيره أحمد فغضب له أخوه أمية بن إسحاق ـ وكان نائباً على مدينة شنترين ـ فارتد ودخل بلاد النصارى واجتمع بملكهم ردمير ودلهم على عورات المسلمين ، فسار إليهم فى جيش كثيف من الجلالقة فخرج إليهم عبد الرحمن فأوقع بهم بأساً شديدا ، وقتل من الجلالقة خلقاً كثيرا ، ثم كر الفرنج على المسلمين فقتلوا منهم خلقاً كثيراً قريباً ممن قتلوا منهم ، ثم والى المسلمون الغارات على بلاد الجلالقة فقتلوا منهم أمما لا يحصون كثرة ، ثم ندم أمية بن إسحاق على ما صنع ، وطلب الامان من عبد الرحمن فبعث إليه بالأمان ، فلما قدم عليه قبله واحترمه .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ الحسن بن القاسم بن جعفر بن رحيم ﴾ أبو على الدمشقى ، من أبناء المحدثين كان أخباريا له فى ذلك مصنفات ، وقد حدث عن العباس بن الوليد البيروتى وغيره . توفى بمصر فى محرم هذه السنة . وقد أناف على الثمانين سنة .

الحسين بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر أبو على الكوكبى الكاتب ، صاحب الأخبار والآداب ، روى عن أحمد بن أبى خيثمة وأبى العيناء وابن أبى الدنيا . روى عنه الدارقطنى وغيره .

﴿ عثمان بن الخطاب ﴾

ابن عبد الله أبو عمرو البلوى ، المغربى الأشج ، ويعرف بأبى الدنيا . قدم هذا الرجل بغداد بعد الثلثمائة ، وزعم أنه ولد أول خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ببلاد المغرب ، وأنه وفد هو وأبوه على على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأصابهم فى الطريق عطش فذهب يرتاد لأبيه ماء فرأى عينا فشرب منها واغتسل ، ثم جاء لأبيه ليسقيه فوجده قد مات ، وقدم هو على على بن أبى طالب فأراد أن يقبل ركبته فصدمه الركاب فشج رأسه ، فكان يعرف بالأشج . وقد زعم صدقه فى هذا الذى زعمه طائفة من الناس ، ورووا عنه نسخة فيها أحاديث من روايته عن على ، وممن صدقه فى ذلك الحافظ محمد بن أحمد بن المفيد ، ورواها عنه ، ولكن كان المفيد متهما بالتشيع ، فسمح له بذلك لانتسابه إلى على ، وأما جمهور المحدثين قديماً وحديثاً فكذبوه فى ذلك ، وردوا عليه كذبه ، ونصوا على أن النسخة التى رواها موضوعة . ومنهم أبو طاهر أحمد بن محمد السلفى ، وأشياخنا الذين أدركناهم : جهبذ الوقت شيخ الاسلام أبو العباس ابن تيمية ، والجهبذ أبو الحجاج المزى ، والحافظ مؤرخ الاسلام أبو عبد الله الذهبى ، وقد حررت ذلك فى كتابى التكميل ولله الحمد والمنة . قال المفيد : بلغنى أن الأشج هذا مات سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، وهو راجع إلى بلده والله أعلم .

﴿ محمد بن جعفر بن محمد بن سهل ﴾

أبو بكر الخرائطى ، صاحب المصنفات ، أصله من أهل سر من رأى ، وسكن الشام وحدث بها عن الحسن بن عرفة وغيره .

وممن توفى فيها الحافظ الكبير ابن الحافظ الكبير أبو محمد ﴿ عبد الرحمن ﴾ ابن أبى حاتم محمد ابن إدريس الرازى صاحب كتاب الجرح والتعديل ، وهو من أجل الكتب المصنفة فى هذا الشأن ، وله التفسير الحافل الذى اشتمل على النقل الكامل ، الذى يربو فيه على تفسير ابن جرير الطبرى وغيره من المفسرين ، إلى زماننا ، وله كتاب العلل المصنفة المرتبة على أبواب الفقه ، وغير ذلك من المصنفات النافعة ، وكان من العبادة والزهادة والورع والحفظ والكرامات الكثيرة المشهورة على جانب كبير ، رحمه الله . وقد صلى مرة فلما سلم قال له رجل من بعض من صلى معه : لقد أطلت بنا ، ولقد سبحت فى سجودى سبعين مرة . فقال عبد الرحمن : لكنى والله ما سبحت إلا ثلاثا ، وقد انهدم سور البلد فى بعض بلاد الثغور فقال عبد الرحمن بن أبى حاتم للناس : أما تبنوه ؟ وقد حثهم على عمارته . فرأى عندهم تأخراً . فقال : من يبنيه وأضمن له على الله الجنة ؟ فقام رجل من التجار فقال : اكتب لى خطك بهذا الضمان وهذه ألف دينار لعمارته . فكتب له رقعة بذلك ، فعمر ذلك السور ثم اتفق موت ذلك الرجل التاجر عما قريب ، فلما حضر الناس جنازته طارت من كفنه رقعة فاذا هى التى كان كتبها له ابن أبى حاتم وإذا فى ظهرها مكتوب : قد أمضينا لك هذا الضمان ولا تعد إلى ذلك . والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ﴾

قال ابن الجوزى فى منتظمه : فى غرة المحرم منها ظهرت فى الجو حمرة شديدة فى ناحية الشمال والمغرب ، وفيها أعمدة بيض عظيمة كثيرة العدد . وفيها وصل الخبر بأن ركن الدولة أبا على الحسن ابن بويه وصل إلى واسط فركب الخليفة وبجكم إلى حربه فخاف فانصرف راجعاً إلى الأهواز ورجعا إلى بغداد . وفيها ملك ركن الدولة بن بويه مدينة أصبهان ، أخذها من وشمكير أخى مرداويج ، لقلة جيشه فى هذا الحين . وفى شعبان منها زادت دجلة زيادة عظيمة وانتشرت فى الجانب الغربى ، وسقطت دور كثيرة ، وانبثق بثق من نواحى الأنبار فغرق قرى كثيرة ، وهلك بسببه حيوان وسباع كثيرة فى البرية . وفيها تزوج بجكم بسارة بنت عبد الله البريدى . ومحمد بن أحمد بن يعقوب الوزير يومئذ ببغداد ، ثم صرف عن الوزارة بسليمان بن الحسن ، وضمن البريدى بلاد واسط وأعمالها بستمائة ألف دينار .

وفيها توفى قاضى القضاة أبو الحسن عمر بن محمد بن يوسف ، وتولى مكانه ولده أبو نصر يوسف ابن عمر بن محمد بن يوسف ، وخلع عليه الخليفة الراضى يوم الخميس لخمس بقين من شعبان منها . ولما خرج أبو عبد الله البريدى إلى واسط كتب إلى بجكم يحثه على الخروج إلى الجبل ليفتحها ويساعده هو على أخذ الأهواز من يد عماد الدولة بن بويه ، وإنما كان مقصوده أن يبعده عن بغداد ليأخذها

منه . فلما انفصل بجكم بالجنود بلغـه ما يريده البريدى من المكيدة به ، فرجع سريعاً إلى بغداد ، وركب فى جيش كثيف إليه وأخذ الطرق عليه من كل جانب ، لئلا يشعر به إلا وهو عليه . فاتفق أن بجكما كان راكبا فى زورق وعنده كاتب له إذ سقطت حمامة فى ذنبها كتاب فأخذه بجكم فقرأه فاذا فيه كتاب من هذا الـكاتب إلى أصحاب البريدى يعلمهم بخبر بجكم ، فقال له بجكم : ويحك هذا خطك؟ قال : نعم ! ولم يقدر أن ينكر ، فأمر بقتله فقتل وألقى فى دجلة . ولما شعر البريدى بقدوم بجكم هرب إلى البصرة ولم يقم بها أيضاً بل هرب منها إلى غيرها . واستولى بجكم على بلاد واسط ، وتسلط الديلم على جيشه الذين خلفهم بالجبل ففروا سراعا إلى بغداد . وفيها استولى محمد بن رائق على بلاد الشام فدخل حمص أولا فأخـذها ، ثم جاء إلى دمشق وعليها بدر بن عبـد الله الأخشيد المعروف ببدر الأخشيد وهو محمد بن طغج ، فأخرجه ابن رائق من دمشق قهراً واستولى عليها . ثم ركب ابن رائق فى جيش إلى الرملة فأخذها ، ثم إلى عريش مصر فأراد دخولها فلقيه محمد بن طغج الأخشيد فاقتتلا هناك فهزمه ابن رائق واشتغل أصحابه بالنهب ونزلوا بخيام المصريين ، فكر عليهم المصريون فقتلوهم قتلا عظيما ، وهرب ابن رائق فى سبعين رجـلا من أصحابه ، فدخل دمشق فى أسوإ حال وشرها ، وأرسل له ابن طغج أخاه نصر بن طغج فى جيش فاقتتلوا عند اللجون فى رابع ذى الحجة ، فهزم ابن رائق المصريين وقتل أخو الأخشيد فيمن قتل ، فغسله ابن رائق وكفنه وبعث به إلى أخيه بمصر وأرسل معه ولده وكتب إليه يحلف أنه ما أراد قتله ، ولقد شق عليه ، وهذا ولدى فاقتد منه . فأكرم الأخشيد ولد محمـد بن رائق ، واصطلحا على أن تـكون الرملة وما بعدها إلى ديار مصر للأخشيد ، ويحمل إليـه الأخشيد فى كل سنة مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار ، وما بعـد الرملة إلى جهة دمشق تكون لابن رائق . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ أبو محمد جعفر المرتعش ﴾

أحد مشايخ الصوفية ، كذا ذكره الخطيب . وقال أبو عبد الرحمن السلمى : اسمه عبد الله بن محمد أبو محمد النيسابورى ، كان من ذوى الأموال فتخلى منها وصحب الجنيد وأبا حفص وأبا عثمان ، وأقام ببغـداد حتى صار شيخ الصوفية ، فكان يقال عجائب بغـداد إشارات الشبلى ، ونـكت المرتعش ، وحكايات جعفر الخواص . سمعت أبا جعفر الصـائغ يقول قال المرتعش : من ظن أن أفعاله تنجيه من النار أو تبلغه الرضوان فقد جعل لنفسه وفعله خطرا ، ومن اعتمد على فضل الله بلغه الله أقصى منازل الرضوان . وقيل للمرتعش : إن فلانا يمشى عـلى الماء . فقال : إن مخالفة الهوى أعظم من المشى على الماء ، والطيران فى الهواء . ولما حضرته الوفاة بمسجد الشونيزية حسبوا ما عليه من الدين فاذا عليه سبعة عشر درهماً ، فقال : بيعوا خريقاتى هـذه واقضوا بها دينى ، وأرجو من الله تعالى أن يرزقنى

كفنا . وقد سألت الله ثلاثا : أن يميتني فقيرا ، وأن يجعل وفاتي في هذا المسجد فاني صحبت فيه أقواما ، وأن يجعل عندي من آنس به وأحبه . ثم أغمض عينيه ومات .

﴿ أبو سعيد الاصطخري الحسن بن أحمد ﴾

ابن يزيد بن عيسى بن الفضل بن يسار ، أبو سعيد الاصطخري أحد أئمة الشافعية ، كان زاهدا ناسكا عابدا ، ولي القضاء بقم ، ثم حسبة بغداد ، فكان يدور بها ويصلي على بغلته ، وهو دائر بين الأزقة ، وكان متقللا جداً . وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعيـة ، وله كتاب القضاء لم يصنف مثله في بابه ، توفي وقد قارب التسعين رحمه الله .

﴿ علي بن محمد أبو الحسن المزين الصغير ﴾

أحد مشايخ الصوفية ، أصله من بغداد ، وصحب الجنيد وسهلا التستري ، وجاور بمكة حتى توفي في هذه السنة ، وكان يحكي عن نفسه قال : وردت بئرا في أرض تبوك فلما دنوت منها زلقت فسقطت في البئر ، وليس أحد يراني . فلما كنت في أسفله إذا فيه مصطبة فتعلقت بها وقلت : إن مت لم أفسد على الناس الماء ، وسكنت نفسي وطابت للموت ، فبينا أنا كذلك إذا أفعى قـد تدلت علىّ فلفت على ذنبها ثم رفعتني حتى أخرجتني إلى وجه الأرض ، وانسابت فلم أدر أين ذهبت ، ولا من أين جاءت . وفي مشايخ الصوفيـة آخر يقال له أبو جعفر المزين الـكبير ، جاور بمـكة ومات بها أيضاً ، وكان من العباد. روى الخطيب عن علي بن أبي علي إبراهيم بن محمد الطبري عن جعفر الخلدي قال : ودعت في بعض حجاتي المزين الـكبير فقلت له : زودني . فقال لي : إذا فقدت شيئا فقل يا جامع النـاس ليوم لا ريب فيـه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، اجمع بيني وبين كذا ، فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشئ . قال : وجئت إلى الـكتاني فودعته وسألته أن يزودني ، فأعطاني خاتما على فصه نقش فقال : إذا اغتممت فانظر إلى فص هذا الخاتم يزول غمك . قال : فكنت لا أدعو بذلك الدعاء إلا استجيب لي ، ولا أنظر في ذلك الفص إلا زال غمي ، فبينا أنا ذات يوم في سمرية إذ هبت ريح شديدة ، فأخرجت الخاتم لأنظر إليه فلم أدر كيف ذهب ، فجعلت أدعو بذلك الدعاء يومي أجمع أن يجمع عـلى الخاتم ، فلما رجعت إلى المنزل فتشت المتاع الذي في المنزل فاذا الخاتم في بعض ثيابي التي كانت بالمنزل .

﴿صاحب كتاب العقد الفريد . أحمد بن عبد ربه﴾

ابن حبيب بن جرير بن سالم أبو عمر القرطبي ، مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبـد الملك بن مروان بن الحـكم الأموي . كان من الفضلاء المـكثرين ، والعلماء بأخبـار الأولين والمتأخرين ، وكتابه العقد يدل على فضائل جمة ، وعلوم كثيرة مهمة ، ويدل كثير من كلامه

على تشيع فيه ، وميل إلى الحط على بنى أمية . وهذا عجيب منه ، لأنه أحد مواليهم وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم. قال ابن خلكان : وله ديوان شعر حسن ، ثم أورد منه أشعاراً فى التغزل فى المردان والنسوان أيضاً . ولد فى رمضان سنة ست وأربعين ومائتين ، وتوفى بقرطبة يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى من هذه السنة .

﴿ عمر بن أبى عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ﴾

ابن حماد بن زيد بن درهم ، أبو الحسين الأزدى الفقيه المالكى القاضى ، ناب عن أبيه وعمره عشرون سنة ، وكان حافظا للقرآن والحديث والفقه على مذهب مالك ، والفرائض . والحساب واللغة والنحو والشعر . وصنف مسنداً فرزق قوة الفهم وجودة القريحة ، وشرف الأخلاق ، وله الشعر الرائق الحسن ، وكان مشكور السيرة فى القضاء ، عدلا ثقة إماماً . قال الخطيب : أخبرنا أبو الطيب الطبرى سمعت المعافى بن زكريا الجريرى يقول : كنا نجلس فى حضرة القاضى أبى الحسين فجئنا يوماً ننتظره على العادة فجلسنا عند بابه ، وإذا أعرابى جالس كأن له حاجة ، إذ وقع غراب على نخلة فى الدار ، فصرخ ثم طار . فقال الأعرابى : إن هذا الغراب يخبر أن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام . قال فزبرناه فقام وانصرف ، ثم خرج الاذن من القاضى أن هلموا ، فدخلنا فوجدناه متغير اللون مغتما ، فقلنا له : ما الخبر ؟ فقال : إنى رأيت البارحة فى المنام شخصاً يقول :

منازلَ آل حماد بن زيد * على أهليك والنعم السلام

وقد ضاق لذلك صدرى . قال : فدعونا له وانصرفنا . فلما كان اليوم السابع من ذلك اليوم دفن ليوم الخميس لسبع عشرة مضت من شعبان من هذه السنة ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وصلى عليه ابنه أبو نصر وولى بعده القضاء . قال الصولى : بلغ القاضى أبو الحسين من العلم مبلغا عظيما مع حداثة سنه ، وحين توفى كان الخليفة الراضى يبكى عليه ويحرضنا ويقول : كنت أضيق بالشئ ذرعا فيوسعه على ، ثم يقول : والله لا بقيت بعده . فتوفى الراضى بعده فى نصف ربيع الأول من هذه السنة الآتية رحمهما الله . وكان الراضى أيضاً حدث السن .

﴿ ابن شنبوذ المقرى ﴾

محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت أبو الحسن المقرى المعروف بابن شنبوذ . روى عن أبى مسلم الكجّى ، و بشر بن موسى وخلق ، واختار حروفا فى القراءات أنكرت عليه ، وصنف أبو بكر الانبارى كتابا فى الرد عليه ، وقد ذكرنا فيما تقدم كيف أنه عقد له مجلس فى دار الوزير ابن مقلة ، وأنه ضرب حتى رجع عن كثير منها ، وكانت قراءات شاذة أنكرها عليه قراء أهل عصره . توفى فى صفر منها ، وقد دعا على الوزير ابن مقلة حين أمر بضربه فلم يفلح ابن مقلة بعدها ، بل عوقب بأنواع من العقوبات ،

وقطعت يده ولسانه ، وحبس حتى مات فى هذه السنة التى مات فيها ابن شنبوذ . وهذه ترجمة ابن مقلة الوزير أحد الكتاب المشاهير وهو .

﴿ محمد بن على بن الحسن بن عبد الله ﴾

أبو على المعروف بابن مقلة الوزير. وقد كان فى أول عمره ضعيف الحال ، قليل المال ، ثم آل به الحال إلى أن ولى الوزارة لثلاثة من الخلفاء : المقتدر ، والقاهر ، والراضى . وعزل ثلاث مرات ، وقطعت يده ولسانه فى آخر عمره ، وحبس فكان يستقى الماء بيده اليسرى وأسنانه ، وكان مع ذلك يكتب بيده اليمنى مع قطعها ، كما كان يكتب بها وهى صحيحة. وقد كان خطه من أقوى الخطوط ، كما هو مشهور عنه . وقد بنى له داراً فى زمان وزارته وجمع عند بنيانها خلقا من المنجمين ، فاتفقوا على وضع أساسها فى الوقت الفلانى ، فأسس جدرانها بين المشاءين كما أشار به المنجمون . فما لبث بعد استتمامها إلا يسيرا حتى خربت وصارت كوماً ، كما ذكرنا ذلك ، وذكرنا ما كتبوا على جدرانها . وقد كان له بستان كبير جدا ، عدة اجربة — أى فدادين — وكان على جميعه شبكة من إبريسم ، وفيه أنواع الطيور من القمارى والهزار والببغ والبلابل والطواويس وغيرذلك شئ كثير ، وفى أرضه من الغزلان و بقر الوحش والنعام وغير ذلك شئ كثير أيضاً. ثم صار هذا كله عما قريب بعد النضرة والبهجة والبهاء إلى الهلاك والبوار والفناء والزوال . وهذه سنة الله فى المغترين الجاهلين الراكنين إلى دار الفناء والغرور . وقد أنشد فيه بعض الشعراء حين بنى داره و بستانه وما اتسع فيه من متاع الدنيا :

قل لابن مقلة : لا تكن عجلا * واصبر، فانك فى أضغاث أحلام
تبنى بأحجار دور الناس مجتهدا * داراً ستهدم قنصاً بعد أيام
ما زلت تختار سعد المشترى لها * فكم نحوس به من نحس بهرام
إن القران و بطليموس ما اجتمعا * فى حال نقض ولا فى حال ابرام

فعزل ابن مقلة عن وزارة بغداد وخربت داره وانقلعت أشجاره وقطعت يده ، ثم قطع لسانه وصودر بألف ألف دينار ، ثم سجن وحده ليس معه من يخدمه مع الكبر والضعف والضرورة وانعدام بعض أعضائه ، حتى كان يستقى الماء بنفسه من بئر عميق ، فكان يدلى الحبل بيده اليسرى و يمسكه بفيه . وقاسى جهداً جهيداً بعد ما ذاق عيشاً رغيداً . ومن شعره فى يده :

ماسئمت الحياة لكن توثقت للحياة * بأيمانهم ، فبانت يمينى
بعت دينى لهم بدنياى حتى * حرمونى دنياهم بعد دينى
ولقد حفظت ما استطعت بجهدى * حفظ أرواحهم ، فما حفظونى

ليس بعد اليمين لذة عيش * يا حياتى بانت يمينى فبينى

وكان يبكى على يده كثيرا ويقول : كتبت بها القرآن مرتين ، وخدمت بها ثلاثة من الخلفاء تقطع كما تقطع أيدى اللصوص ثم ينشد :

إذا مامات بعضك فابك بعضاً * فان البعض من بعض قريب

وقد مات عفا الله عنه فى محبسه هذا ودفن فى دار السلطان ، ثم سأل ولده أبو الحسين أن يحول إلى عنده فأجيب فنبشوه ودفنه ولده عنده فى داره . ثم سألت زوجته المعروفة بالدينارية أن يدفن فى دارها فأجيبت إلى ذلك فنبش ودفن عندها . فهذه ثلاث مرات . توفى وله من العمر ست وخمسون سنة .

﴿ أبو بكر ابن الأنبارى ﴾

محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة أبو بكر الأنبارى ، صاحب كتاب الوقف والابتداء ، وغيره من الكتب النافعة ، والمصنفات الكثيرة . كان من بحور العلم فى اللغة والعربية والتفسير والحديث ، وغير ذلك . سمع الكديمى و إسماعيل القاضى وثعلبا وغيرهم ، وكان ثقة صدوقا أديباً ، دينا فاضلا من أهل السنة . كان من أعلم الناس بالنحو والأدب ، وأكثرهم حفظا له ، وكان له من المحافيظ مجلدات كثيرة ، أحمال جمال . وكان لا يأكل إلا النقالى ولا يشرب ماء إلا قريب العصر ، مراعاة لذهنه وحفظه ، ويقال : إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً ، وحفظ تعبير الرؤيا فى ليلة ، وكان يحفظ فى كل جمعة عشرة آلاف ورقة ، وكانت وفاته ليلة عيد النحر من هذه السنة .

أم عيسى بنت إبراهيم الحربى ، كانت عالمة فاضلة ، تفتى فى الفقه . توفيت فى رجب ودفنت إلى جانب أبيها رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلثمائة ﴾

فى المنتصف من ربيع الأول كانت وفاة الخليفة الراضى بالله أمير المؤمنين أبى العباس أحمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى ، استخلف بعد عمه القاهر لست خلون من جمادى الأولى سنة ثنتين وعشرين وثلثمائة . وأمه أم ولد رومية تسمى ظلوم ، كان مولده فى رجب سنة سبع وتسعين ومائتين ، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ، وعمره يوم مات إحدى وثلاثين سنة وعشرة أشهر . وكان أسمر رقيق السمرة درى اللون أسود الشعر سبطه ، قصير القامة ، نحيف الجسم ، فى وجهه طول ، وفى مقدم لحيته تمام ، وفى شعرها رقة . هكذا وصفه من شاهده . قال الخطيب البغدادى : كان للراضى فضائل كثيرة ، وختم الخلفاء فى أمور عدة : منها أنه كان آخر خليفة له شعر ، وآخرهم انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة

خطب على المنبر يوم الجمعة ، وآخر خليفة جالس الجلساء و وصل إليه الندماء . وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وأصحابه وأموره كلها تجرى على ترتيب المتقدمين من الخلفاء . وقال غيره : كان فصيحاً بليغا كريما جوادا ممدحا ، ومن جيد كلامه الذى سمعه منه محمد بن يحيى الصولى: لله أقوام هم مفاتيح الخير ، وأقوام هم مفاتيح الشر ، فمن أراد الله به خيراً قصده أهل الخير وجعله الوسيلة إلينا فنقضى حاجته وهو الشريك فى الثواب والاجر والشكر . ومن أراد الله به شراً عدل به إلى غيرنا وهو الشريك فى الوزر والاثم والله المستعان على كل حال . ومن ألطف الاعتذارات ما كتب به الراضى إلى أخيه المتقى وهما فى المكتب ـ وكان المتقى قد اعتدى على الراضى والراضى هو الكبير منهما ـ فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، أنا معترف لك بالعبوديه فرضاً ، وأنت معترف لى بالأخوة فضلا ، والعبد يذنب والمولى يعفو . وقد قال الشاعر :

يا ذا الذى يغضب من غير شى * اعتب فعتباك حبيب إلى

أنت على أنك لى ظالم * أعز خلق الله طراً على

قال فجاء إليه أخوه المتقى فأكب عليه يقبل يديه وتعانقا واصطلحا . ومن لطيف شعره قوله فيما ذكره ابن الأثير فى كامله :

يصفر وجهى إذا تأمله * طرفى ويحمر وجهه خجلا

حتى كأن الذى بوجنته * من دم جسمى إليه قد نقلا

قال : ومما رثا به أباه المقتدر :

ولو أن حيا كان قبراً لميت * لصيرت أحشائى لأعظمه قبراً

ولو أن عمرى كان طوع مشيئتى * وساعدنى المقدور قاسمته العمرا

بنفسى ثرى ضاجعت فى تربة البلى * لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا

ومما أنشده له ابن الجوزى فى منتظمه:

لا تكثرن لومى على الاسراف * ربح المحامد متجر الأشراف

أحوى لمابانى المكارم سابقا * وأشيد ما قد أسست أسلافى

إنى من القوم الذين أكفهم * معتادة الاملاق والاتلاف

ومن شعره الذى رواه الخطيب عنه من طريق أبى بكر محمد بن يحيى الصولى النديم قوله :

كل صفو إلى كدر * كل أمن إلى حذر

ومصير الشباب للمو * ت فيه أو الكبر

در در المشيب من * واعظ ينذر البشر

أيها الآمل الذى * تاه فى لجة الغرور
أين من كان قبلنا؟ * درس العين والأثر
سيرد المعاد من * عمره كله خطر
رب إنى ادخرت عند * دك أرجوك مدخر
رب إنى مؤمن بما * بين الوحى فى السور
واعترافى بترك نف * عى وإيثارى الضرر
رب فاغفرلى الخطيـ * ـئة ، ياخير من غفر

وقد كانت وفاته بعلة الاستسقاء فى ليلة السادس عشر من ربيع الأول منها . وكان قدأرسل إلى بجكم وهو بواسط أن يعهد إلى ولده الأصغرأبى الفضل ، فلم يتفق له ذلك ، و بايع الناس أخاه المتقى لله إبراهيم بن المقتدر ، وكان أمر الله قدرا مقدوراً .

﴿ ذكر خلافة المتقى بالله أبى إسحاق إبراهيم بن المقتدر ﴾

لما مات أخوه الراضى اجتمع القضاة والأعيان بدار بجكم واشتوروا فيمن يولون عليهم ، فاتفق رأيهم كلهم على المتقى ، فأحضروه فى دار الخلافة وأرادوا بيعته فصلى ركعتين صلاة الاستخارة وهو على الأرض ، ثم صعد إلى الكرسى بعد الصلاة ، ثم صعد إلى السرير وبايعه الناس يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول منها ، فلم يغير على أحد شيئا ، ولا غدر بأحد حتى ولا على سريته لم يغيرها ولم يتسرعليها . وكان كاسمه المتقى بالله كثير الصيام والصلاة والتعبد . وقال : لا أريد جليسا ولا مسامراً ، حسبى المصحف نديماً ، لا أريد نديما غيره . فانقطع عنه الجلساء والسمار والشعراء والوزراء والتفوا على الأمير بجكم ، وكان يجالسهم و يحادثونه و يتناشدون عنده الأشعار ، وكان بجكم لا يفهم كثير شىء مما يقولون لعجمته ، وكان فى جملتهم سنان بن ثابت الصابى المتطبب ،وكان بجكم يشكو إليه قوة النفس الغضبية فيه ، وكان سنان يهذب من أخلاقه و يسكن جأشه ، و يروض نفسه حتى يسكن عن بعض ما كان يتعاطاه من سفك الدماء ، وكان المتقى بالله حسن الوجه معتدل الخلق قصير الأنف أبيض مشربا حمرة ، وفى شعره شقرة ، وجعودة ، كث اللحية ، أشهل العينين ، أبى النفس . لم يشرب خمراً ولا نبيذاً قط ، فالتقى فيه الاسم والفعل ولله الحمد . ولما استقر المتقى فى الخلافة أنفذ الرسل والخلع إلى بجكم وهو بواسط ، ونفذت المكاتبات إلى الآفاق بولايته .

وفيها تحارب أبو عبد الله البريدى و بجكم بناحية الأهواز ، فقتل بجكم فى الحرب واستظهر البريدى عليه وقوى أمره ، فاحتاط الخليفة على حواصل بجكم ، وكان فى جملة ما أخذ من أمواله ألف ألف دينار ، ومائة ألف دينار . وكانت أيام بجكم على بغداد سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام . ثم إن

البريدى حدثته نفسه ببغداد ، فأنفق المتقى أموالا جزيلة فى الجند ليمنعوه من ذلك ، فركب بنفسه ، فخرج لأثناء الطريق ليمنعه من دخول بغداد ، فخالفه البريدى ودخل بغداد فى ثانى رمضان ، ونزل بالشفيع ، فلما تحقق المتقى ذلك بعث إليه يهنئه وأرسل إليه بالأطعمة ، وخوطب بالوزير ولم يخاطبه بامرة الأمراء . فأرسل البريدى يطلب من المتقى خمسمائة ألف دينار ، فامتنع الخليفة من ذلك فبعث إليه يتهدده و يتوعده و يذكره ما حل بالمعز والمستعين والمهتدى والقاهر . واختلفت الرسل بينهم ، ثم كان آخر ذلك أن بعث الخليفة إليه بذلك قهراً ، ولم يتفق اجتماع الخليفة والبريدى ببغداد حتى خرج منها البريدى إلى واسط ، وذلك أنه ثارت عليه الديالمة والتفوا على كبيرهم كورتكين ، و رامو حريق دار البريدى ، ونفرت عن البريدى طائفة من جيشه ، يقال لهم البجكمية، لأنه لما قبض المال من الخليفة لم يعطهم منه شيئاً ، وكانت من البجكمية طائفة أخرى قد اختلفت معه أيضاً وهم والديالمة قد صاروا حزبين .والتفوا مع الديالمة فانهزم البريدى من بغداد يوم سلخ رمضان ،واستولى كورتكين على الأمور ببغداد، ودخل إلى المتقى فقلده إمرة الأمراء ، وخلع عليه ، واستدعى المتقى على بن عيسى وأخاه عبدالرحمن ففوض إلى عبدالرحمن تدبير الأمور من غير تسمية بوزارة ، ثم قبض كورتكين على رئيس الأتراك بكبك غلام بجكم وغرقه . ثم تظلمت العامة من الديلم ، لأنهم كانوا يأخذون منهم دورهم ، فشكوا ذلك إلى كورتكين فلم يشكهم ، فمنعت العامة الخطباء أن يصلوا فى الجوامع ، واقتتل الديلم والعامة ، فقتل من الفريقين خلق كثير وجم غفير . وكان الخليفة قد كتب إلى أبى بكر محمد بن رائق صاحب الشام يستدعيه إليه ليخلصه من الديلم ومن البريدى ، فركب إلى بغداد فى العشرين من رمضان ومعه جيش عظيم ،وقد صار إليه من الأتراك البجكمية خلق كثير ،وحين وصل إلى الموصل حاد عن طريقه ناصر الدولة بن حمدان ، فتراسلا ثم اصطلحا ، وحمل ابن حمدان مائة ألف دينار ، فلما اقترب ابن رائق من بغداد خرج كورتكين فى جيشه ليقاتله، فدخل ابن رائق بغداد من غربيها و رجع كورتكين بجيشه فدخل من شرقيها ، ثم تصافوا ببغداد للقتال وساعدت العامة ابن رائق على كورتكين فانهزم الديلم وقتل منهم خلق كثير ، وهرب كورتكين فاختفى ، واستقر أمر ابن رائق وخلع عليه الخليفة و ركب هو و إياه فى دجلة فظفر ابن رائق بكورتكين فأودعه السجن الذى فى دار الخلافة . .

قال ابن الجوزى : وفى يوم الجمعة ثانى عشر جمادى الأولى حضر الناس لصلاة الجمعة بجامع براثى، وقد كان المقتدر أحرق هذا الجامع لأنه كبسه فوجد فيه جماعة من الشيعة يجتمعون فيه للسب والشتم ، فلم يزل خرابا حتى عمره بجكم فى أيام الراضى ، ثم أمر المتقى بوضع منبر فيه.كان عليه اسم الرشيد وصلى فيه الناس الجمعة . قال : فلم يزل تقام فيه إلى ما بعد سنة خمسين وأربعمائة . قال : وفى جمادى الآخرة

فى ليلة سابعه كانت ليلة برد ورعد وبرق ، فسقطت القبة الخضراء من قصر المنصور ، وقد كانت هذه القبة تاج بغداد ومأثرة من مآثر بنى العباس عظيمة ، بنيت أول ملكهم ، وكان بين بنيانها وسقوطها مائة وسبعة وثمانون سنة . قال : وخرج عن الناس التشرينان والكانونان منها ولم يمطروا فيها بشىء سوى مطرة واحدة لم ينبل منها التراب ، فغلت الأسعار ببغداد حتى بيع الكر بمائة وثلاثين دينارا . ووقع الفناء فى الناس حتى كان الجماعة يدفنون فى القبر الواحد ، من غير غسل ولا صلاة ، وبيع العقار والأثاث بأرخص الأسعار ، حتى كان يشترى بالدرهم ما يساوى الدينار فى غير تلك الأيام . ورأت امرأة رسول الله ﷺ فى منامها وهو يأمرها بخروج الناس إلى الصحراء لصلاة الاستسقاء ، فأمر الخليفة بامتثال ذلك فصلى الناس واستسقوا فجاءت الأمطار فزدات الفرات شيئاً لم ير مثله ، وغرقت العباسية ، ودخل الماء الشوارع ببغداد ، فسقطت القنطرة العتيقة والجديدة ، وقطعت الأكراد الطريق على قافلة من خراسان ، فأخذوا منهم ما قيمته ثلاثة آلاف دينار ، وكان أكثر ذلك من أموال بجكم التركى . وخرج الناس للحج ثم رجعوا من أثناء الطريق بسبب رجل من العلويين قد خرج بالمدينة النبوية ، ودعا إلى نفسه وخرج عن الطاعة .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن إبراهيم ﴾

ابن تزمرد الفقيه أحد أصحاب ابن سريج . خرج من الحمام إلى خارجه فسقط عليه الحمام فمات من فوره

﴿ بجكم التركى ﴾

أمير الأمراء ببغداد ، قبل بنى بويه . كان عاقلا يفهم بالعربية ولا يتكلم بها . يقول أخاف أن أخطىء والخطأ من الرئيس قبيح . وكان مع ذلك يحب العلم وأهله ، وكان كثير الأموال والصدقات ، ابتدأ يعمل مارستان ببغداد فلم يتم ، فجدده عضد الدولة ابن بويه ، وكان بجكم يقول : العدل ربح السلطان فى الدنيا والآخرة . وكان يدفن أموالا كثيرة فى الصحراء ، فلما مات لم يدر أين هى ، وكان ندماء الراضى قد اتفقوا على بجكم وهو بواسط ، وكان قد ضمنها بثمانمائة ألف دينار من الخليفة ، وكانوا يسامرونه كالخليفة ، وكان لا يفهم أكثر ما يقولون ، وراض له مزاجه الطبيب سنان بن ثابت الصابى حتى لان خلقه وحسنت سيرته ، وقلت سطوته ، ولكن لم يعمر إلا قليلا بعد ذلك . ودخل عليه مرة رجل فوعظه فأبكاه فأمر له بمائة ألف درهم ، فلحقه بها الرسول فقال بجكم لجلسائه : ما أظنه يقبلها ولا يريدها ، وما يصنع هذا بالدنيا ؟ هذا رجل مشغول بالعبادة ، ماذا يصنع بالدراهم ؟ فما كان بأسرع من أن رجع الغلام وليس معه شىء ، فقال بجكم : قبلها ؟ قال : نعم ! فقال بجكم : كلنا صيادون ولكن الشباك مختلفة . توفى لسبع بقين من رجب من هذه السنة . وسبب موته أنه خرج يتصيد فلقى طائفة من الأكراد فاستهان بهم فقاتلوه فضربه رجل منهم فقتله . وكانت إمرته على بغداد سنتين وثمانية

أشهر وتسعة أيام . وخلف من الأموال والحواصل ماينيف على ألفى ألف دينار ، أخذها المتقى لله كلها .

﴿ أبو محمد البربهارى ﴾

العالم الزاهد الفقيه الحنبلى الواعظ ، صاحب المروزى وسهلا التسترى ، وتنزه عن ميراث أبيه ، - وكان سبعين ألفا - لأمر كرهه . وكان شديداً على أهل البدع والمعاصى ، وكان كبير القدر تعظمه الخاصة والعامة ، وقد عطس يوماً وهو يعظ فشمته الحاضرون ، ثم شمته من سمعهم حتى شمته أهل بغداد ، فانتهت الضجة إلى دار الخلافة ، فغار الخليفة من ذلك وتكلم فيه جماعة من أرباب الدولة ، فطلب فاختفى عند أخت بوران شهراً ، ثم أخذه القيام - داء - فمات عندها ، فأمرت خادمها فصلى عليه ، فامتلأت الدار رجالا عليهم ثياب بياض . ودفنته عندها ثم أوصت إذا ماتت أن تدفن عنده . وكان عمره يوم مات ستا وتسعين سنة رحمه الله .

﴿ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول ﴾

أبو بكر الأزرق - لأنه كان أزرق العينين - التنوخى الكاتب ، سمع جده والزبير بن بكار ، والحسين بن عرفة وغيرهم ، وكان خشن العيش كثير الصدقة . فيقال إنه تصدق بمائة ألف دينار ، وكان أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر ، روى عنه الدارقطنى وغيره من الحفاظ ، وكان ثقة عدلا . توفى فى ذى الحجة منها عن ثنتين وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وثلثمائة ﴾

قال ابن الجوزى : فى المحرم منها ظهر كوكب بذنب رأسه إلى المغرب وذنبه إلى المشرق ، وكان عظيما جداً ، وذنبه منتشر ، و بقى ثلاثة عشر يوما إلى أن اضمحل . قال : وفى نصف ربيع الأول بلغ الكر من الحنطة مائتى دينار ، وأكل الضعفاء الميتة ، ودام الغلاء وكثر الموت ، وتقطعت السبل وشغل الناس بالمرض والفقر ، وتركوا دفن الموتى ، وشغلوا عن الملاهى واللعب . قال : ثم جاء مطر كأفواه القرب ، و بلغت زيادة دجلة عشرين ذراعا وثلثا . وذكر ابن الأثير فى الكامل أن محمد بن رائق وقع بينه و بين البريدى وحشة لأجل أن البريدى منع خراج واسط ، فركب إليه ابن رائق ليتسلم ما عنده من المال ، فوقعت مصالحة و رجع ابن رائق إلى بغداد ، فطالبه الجند بأرزاقهم ، وضاق عليه حاله ، وتحيز جماعة من الأتراك عنه إلى البريدى فضعف جانب ابن رائق وكاتب البريدى بالوزارة ببغداد ، ثم قطع اسم الوزارة عنه ، فاشتد حنق البريدى عليه ، وعزم على أخذ بغداد ، فبعث أخاه أبا الحسين فى جيش إلى بغداد ، فتحصن ابن رائق مع الخليفة بدار الخلافة ونصبت فيها المجانيق والعرادات - العرادة شىء أصغر من المنجنيق - على دجلة أيضا . فاضطربت أهل بغداد ونهب الناس بعضهم بعضا ليلا ونهارا ، وجاء أبو الحسين أخو أبى عبد الله البريدى بمن معه فقاتلهم الناس

فى البر وفى دجلة ، وتفاقم الحال جداً ، مع ما الناس فيه من الغلاء والوباء والفناء . فانا لله و إنا إليه راجعون . ثم إن الخليفة وابن رائق انهزما فى جمادى الآخرة ـ ومع الخليفة ابنه منصور ـ فى عشرين فارسا ، فقصدوا نحو الموصل ، واستحوذ أبو الحسين على دار الخلافة وقتل من وجد فيها من الحاشية ، ونهبوها حتى وصل النهب إلى الحريم ، ولم يتعرضوا للقاهر وهو إذ ذاك أعمى مكفوفا ، وأخرجوا كورتكين من الحبس ، فبعثه أبو الحسين إلى البريدى ، فكان آخر العهد به ، ونهبوا بغداد جهاراً علانية ، ونزل أبو الحسين بدار مؤنس الخادم التى كان يسكنها ابن رائق ، وكانوا يكبسون الدور ويأخذون ما فيها من الأموال ، فكثر الجور وغلت الأسعار جداً ، وضرب أبو الحسين المكس على الحنطة والشعير ، وذاق أهل بغداد لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . وكان معه طائفة كبيرة من القرامطة فأفسدوا فى البلد فساداً عظيما ، ووقع بينهم وبين الأتراك حروب طويلة شديدة ، فغلبهم الترك وأخرجوهم من بغداد ، فوقعت الحرب بين العامة والديلم جند أبى الحسين . وفى شعبان منها اشتد الحال أيضاً ونهبت المساكن وكبس أهلها ليلا ونهاراً ، وخرج جند البريدى فنهبوا الغلات من القرى والحيوانات ، وجرى ظلم لم يسمع بمثله . قال ابن الأثير : وإنما ذكرنا هذا ليعلم الظلمة أن أخبارهم الشنيعة تنقل وتبقى بعدهم على وجه الأرض وفى الكتب ، ليذكروا بها ويذموا ويعابوا ، ذلك لهم خزى فى الدنيا وأمرهم إلى الله لعلهم أن يتركوا الظلم لهذا إن لم يتركوه لله . وقد كان الخليفة أرسل وهو ببغداد إلى ناصر الدولة بن حمدان نائب الموصل يستمده ويستحثه على البريدى ، فأرسل ناصر الدولة أخاه سيف الدولة عليا فى جيش كثيف ، فلما كان بتكريت إذا الخليفة وابن رائق قد هربا فرجع معهما سيف الدولة إلى أخيه ، وخدم سيف الدولة الخليفة خدمة كثيرة . ولما صلوا إلى الموصل خرج عنها ناصر الدولة فنزل شرقها ، وأرسل التحف والضيافات ، ولم يجئ إلى الخليفة خوفا من الغائلة من جهة ابن رائق ، فأرسل الخليفة ولده أبا منصور ومعه ابن رائق للسلام على ناصر الدولة ، فصارا إليه فأمر ناصر الدولة أن ينثر الذهب والفضة على رأس ولد الخليفة ، وجلسا عنده ساعة ، ثم قاما ورجعا ، فركب ابن الخليفة وأراد ابن رائق أن يركب معه ، فقال له ناصر الدولة : اجلس اليوم عندى حتى نفكر فيما نصنع فى أمرنا هذا ، فاعتذر إليه بابن الخليفة واستراب بالأمر وخشى ، فقبض ابن حمدان بكمه فجبذه ابن رائق منه فانقطع كمه ، وركب سريعاً فسقط عن فرسه فأمر ناصر الدولة بقتله فقتل ، وذلك يوم الاثنين لسبع بقين من رجب منها . فأرسل الخليفة إلى ابن حمدان فاستحضره وخلع عليه ولقبه ناصر الدولة يومئذ ، وجعله أمير الأمراء ، وخلع على أخيه أبى الحسن ولقبه سيف الدولة يومئذ ، ولما قتل ابن رائق وبلغ خبر مقتله إلى صاحب مصر الأخشيد محمد بن طغج ركب إلى دمشق فتسلمها من محمد بن يزداد نائب ابن رائق ولم ينتطح فيها عنزان . ولما بلغ خبر مقتله إلى بغداد فارق

أكثر الأتراك أبا الحسين البريدى لسوء سيرته ، وقبح سريرته قبحه الله ، وقصدوا الخليفة وابن حمدان فتقوى بهم ، وركب هو والخليفة إلى بغداد ، فلما اقتربوا منها هرب عنها أبو الحسين أخو البريدى فدخلها المتقى ومعه بنو حمدان فى جيوش كثيرة ، وذلك فى شوال منها ، ففرح المسلمون فرحاً شديداً . وبعث الخليفة إلى أهله - وقد كان أخرجهم إلى سامرا - فردهم ، وتراجع أعيان الناس إلى بغداد بعد ما كانوا قد ترحلوا عنها . ورد الخليفة أبا إسحاق القرارى إلى الوزارة وولى توزون شرطة جانبى بغداد ، وبعث ناصر الدولة أخاه سيف الدولة فى جيش وراء أبى الحسين أخى البريدى ، فلحقه عند المدائن فاقتتلوا قتالا شديدا فى أيام نحسات ، ثم كان آخر الأمر أن انهزم أبو الحسين إلى أخيه البريدى بواسط ، وقد ركب ناصر الدولة بنفسه فنزل المدائن قوة لأخيه . وقد انهزم سيف الدولة مرة من أخى البريدى فرده أخوه وزاده جيشاً حتى كسر البريدى ، وأسر جماعة من أعيان أصحابه ، وقتل منهم خلقا كثيرا . ثم أرسل أخاه سيف الدولة إلى واسط لقتال أبى عبد الله البريدى ، فانهزم منه البريدى وأخوه إلى البصرة وتسلم سيف الدولة واسطا ، وسيأتى ما كان من خبره فى السنة الآتية مع البريدى .

وأما ناصر الدولة فانه عاد إلى بغداد فدخلها فى ثالث عشر ذى الحجة وبين يديه الأسارى على الجمال ، ففرح المسلمون واطمأنوا ونظر فى المصالح العامة وأصلح معيار الدنيار . وذلك أنه وجده قد غير عما كان عليه ، فضرب دنانير سماها الابريزية ، فكانت تباع كل دينار بثلاثة عشر درهماً ، وإنما كان يباع ما قبلها بعشرة . وعزل الخليفة بدرا الخرشنى عن الحجابة وولاها سلامة الطولونى ، وجعل بدراً على طريق الفرات ، فسار إلى الأخشيد فأكرمه واستنابه على دمشق فمات بها . وفيها وصلت الروم إلى قريب حلب فقتلوا خلقاً وأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها دخل نائب طرسوس إلى بلاد الروم فقتل وسبى وغنم وسلم وأسر من بطارقتهم المشهورين منهم وغيرهم خلقا كثيراً ولله الحمد . وفيها توفى من الأعيان .

﴿ إسحاق بن محمد بن يعقوب النهر جورى ﴾

أحد مشايخ الصوفية ، صحب الجنيد بن محمد وغيره ، من أئمة الصوفية ، وجاور بمكة حتى مات بها . ومن كلامه الحسن : مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب .

﴿ الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان ﴾

أبو عبد الله الضبى القاضى المحاملى الفقيه الشافعى المحدث ، سمع الكثير وأدرك خلقا من أصحاب ابن عيينة ، نحوا من سبعين رجلا . وروى عن جماعة من الأئمة ، وعنه الدارقطنى وخلق ، وكان يحضر مجلسه نحو من عشرة آلاف . وكان صدوقا دينا فقيهاً محدثا ، ولى قضاء الكوفة ستين سنة ،

وأضيف إليه قضاء فارس وأعمالها ، ثم استعفى من ذلك كله ولزم منزله ، واقتصر على إسماع الحديث وسماعه . توفى فى ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وتسعين سنة . وقد تناظر هو وبعض الشيعة بحضرة بعض الأكابر فجعل الشيعى يذكر مواقف على يوم بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين وشجاعته ، ثم قال للمحاملى : أتعرفها؟ قال : نعم ، ولكن أتعرف أنت أين كان الصديق يوم بدر؟ كان مع رسول الله ﷺ فى العريش بمنزلة الرئيس الذى يحامى عنه ، وعلى رضى الله عنه فى المبارزة ، ولو فرض أنه انهزم أو قتل لم يخزل الجيش بسببه . فأفحم الشيعى . وقال المحاملى وقد قدمه الذين رووا لنا الصلاة والزكاة والوضوء بعد رسول الله ﷺ فقدموه عليه حيث لا مال له ولا عبيد ولا عشيرة وقد كان أبو بكر يمنع عن رسول الله ﷺ ويجاحف عنه ، وإنما قدموه لعلمهم أنه خيرهم . فأفحمه أيضاً .

﴿ على بن محمد بن سهل ﴾

أبو الحسن الصائغ ، أحد الزهاد العباد أصحاب الكرامات . روى عن ممشاد الدينورى أنه شاهد أبا الحسن هذا يصلى فى الصحراء فى شدة الحر ونسر قد نشر عليه جناحه يظله من الحر .

قال ابن الأثير : وفيها توفى أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى المتكلم المشهور ، وكان مولده سنة ستين ومائتين ، وهو من ولد أبى موسى الأشعرى . قلت : الصحيح أن الأشعرى توفى سنة أربع وعشرين ومائتين كما تقدم ذكره هناك . قال : وفيها توفى محمد بن يوسف بن النضر الهروى الفقيه الشافعى ، وكان مولده سنة تسع وعشرين ومائتين ، أخذ عن الربيع بن سليمان صاحب الشافعى.

قلت : وقد توفى فيها أبو حامد بن بلال . وزكريا بن أحمد البلخى . وعبد الغافر بن سلامة الحافظ ، ومحمد بن رائق الأمير ببغداد . وفيها توفى الشيخ :

﴿ أبو صالح مفلح الحنبلى ﴾

واقف مسجد أبى صالح ظاهر باب شرقى من دمشق ، وكانت له كرامات وأحوال ومقامات ، واسمه مفلح بن عبد الله أبو صالح المتعبد ، الذى ينسب إليه المسجد خارج باب شرقى من دمشق ، صحب الشيخ أبا بكر بن سعيد حمدونه الدمشقى ، وتأدب به ، وروى عنه الموحد بن إسحاق بن البرى ، وأبو الحسن على بن العجه قيم المسجد ، وأبو بكر بن داود الدينورى الدقى . روى الحافظ ابن عساكر من طريق الدقى عن الشيخ أبى صالح . قال : كنت أطوف بجبل لكام أطلب العباد فمررت برجل وهو جالس على صخرة مطرق رأسه فقلت له : ما تصنع ههنا؟ فقال : أنظر وأرعى . فقلت له : لا أرى بين يديك شيئاً تنظر إليه ولا ترعاه إلا هذه العصاة والحجارة . فقال : بل أنظر خواطر قلبى وأرعى أوامر ربى ، وبالذى أطلعك على إلا صرفت بصرك عنى . فقلت له : نعم ولكن عظنى بشئ أنتفع به حتى أمضى عنك . فقال : من لزم الباب أثبت فى الخدم ، ومن أكثر ذكر الموت أكثر الندم

ومن استغنى بالله أمن العدم ، ثم تركني ومضى . وقال أبو صالح : مكثت ستة أيام أو سبعة لم آكل ولم أشرب ، ولحقني عطش عظيم ، فجئت إلى النهر الذي وراء المسجد فجلست أنظر إلى الماء ،فتذكرت قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) فذهب عني العطش ، فمكثت تمام العشرة أيام . وقال : مكثت أربعين يوماً لم أشرب ، ثم شربت ، وأخذ رجل فضلتي ثم ذهب إلى امرأته فقال : اشربي فضل رجل قد مكث أربعين يوما لم يشرب الماء . قال أبو صالح : ولم يكن اطلع على ذلك أحد إلا الله عز وجل. ومن كلام أبي صالح : الدنيا حرام على القلوب حلال على النفوس ، لأن كل شئ يحل لك أن تنظر بعين رأسك إليه يحرم عليك أن تنظر بعين قلبك إليه . وكان يقول : البدن لباس القلب والقلب لباس الفؤاد ، والفؤاد لباس الضمير ، والضمير لباس السر ، والسر لباس المعرفة به . ولأبي صالح مناقب كثيرة رحمه الله . توفي في جمادى الأولى من هذه السنة والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ﴾

فيها دخل سيف الدولة إلى واسط وقد انهزم عنها البريدي وأخوه أبو الحسين ، ثم اختلف الترك على سيف الدولة ، فهرب منها قاصدا بغداد ، وبلغ أخاه أمير الأمراء خبره فخرج من بغداد إلى الموصل ، فنهبت داره . وكانت دولته على بغداد ثلاثة عشر شهرا وخمسة أيام . وجاء أخوه سيف الدولة بعد خروجه منها فنزل بباب حرب ، فطلب من الخليفة أن يمده بمال يتقوى به على حرب تورون ، فبعث إليه بأربعمائة ألف درهم ، ، ففرقها بأصحابه . وحين سمع بقدوم تورون خرج من بغداد ودخلها تورون في الخامس والعشرين من رمضان ، فخلع عليه الخليفة وجعله أمير الأمراء واستقر أمره ببغداد . وعند ذلك رجع البريدي إلى واسط وأخرج من كان بها من أصحاب تورون وكان في أسر تورون غلام سيف الدولة ، يقال له ثمال ، فأرسله إلى مولاه ليخبره حاله ويرفع أمره عند آل حمدان . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد نسا ، سقط منها عمارات كثيرة ، وهلك بسببها خلق كثير . قال ابن الجوزي : وكان ببغداد في أيلول وتشرين حر شديد يأخذ بالأنفاس . وفي صفر منها ورد الخبر بورود الروم إلى أرزن وميا فارقين ، وأنهم سبوا .

وفي ربيع الآخر منها عقد أبو منصور إسحاق بن الخليفة المتقي عقده على علوية بنت ناصر الدولة بن حمدان ، على صداق مائة ألف دينار وألف ألف درهم ، وولي العقد على الجارية المذكورة أبو عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي ، ولم يحضر ناصر الدولة ، وضرب ناصر الدولة سكة ضرب فيها ناصر الدولة عبد آل محمد .

قال ابن الجوزي : وفيها غلت الأسعار حتى أكل الناس الكلاب ووقع البلاء في الناس ، ووافى من الجراد شئ كثير جدا ، حتى بيع منه كل خمسين رطلا بالدرهم ، فارتفق الناس به ف

الغلاء . وفيها ورد كتاب ملك الروم إلى الخليفة يطلب فيه منديلا بكنيسة الرها كان المسيح قد مسح بها وجهه فصارت صورة وجهه فيه ، وأنه متى وصل هذا المنديل يبعث من الأسارى خلقا كثيرا . فأحضر الخليفة العلماء فاستشارهم فى ذلك ، فمن قائل نحن أحق بعيسى منهم ، وفى بعثه إليهم غضاضة على المسلمين ووهن فى الدين . فقال على بن عيسى الوزير : يا أمير المؤمنين إنقاذ أسارى المسلمين من أيدى الكفار خير وأنفع للناس من بقاء ذلك المنديل بتلك الكنيسة . فأمر الخليفة بإرسال ذلك المنديل إليهم وتخليص أسرى المسلمين من أيديهم . قال الصولى : وفيها وصل الخبر بأن القرمطى ولد له مولود فأهدى إليه أبو عبد الله البريدى هدايا كثيرة ، منها مهد من ذهب مرصع بالجوهر ، وجلاله منسوج بالذهب محلى باليواقيت ، وغير ذلك . وفيها كثر الرفض ببغداد فنودى بها من ذكر أحداً من الصحابة بسوء فقد برئت منه الذمة . و بعث الخليفة إلى عماد الدولة ابن بويه خلعاً فقبلها ولبسها بحضرة القضاة والأعيان . وفيها كانت وفاة السعيد نصر بن أحمد بن إسماعيل السامانى صاحب خراسان وما وراء النهر ، وقد مرض قبل موته بالسل سنة وشهرا ، واتخذ فى داره بيتاً سماه بيت العبادة ، فكان يلبس ثيابا نظافا و يمشى إليه حافياً و يصلى فيه ، و يتضرع و يكثر الصلاة . وكان يجتنب المنكرات والآثام إلى أن مات رحمه الله ، فقام بالأمر من بعده ولده نوح بن نصر السامانى ، ولقب بالأمير الحميد . وقتل محمد بن أحمد النسفى ، وكان قد طعن فيه عنده وصلبه.

وفيها توفى من الأعيان ﴿ ثابت بن سنان بن قرة الصابى ﴾

أبو سعيد الطبيب ، أسلم على يد القاهر بالله ولم يسلم ولده ولا أحد من أهل بيته ، وقد كان مقدماً فى الطب و فى علوم أخر كثيرة . توفى فى ذى القعدة منها بعلة الذرب ولم تغن عنه صناعته شيئا ، حتى جاءه الموت . وما أحسن ما قال بعض الشعراء فى ذلك :

قل للذى صنع الدواء بكفه * أترد مقدوراً [عليك قد] جرى
مات المدواى والمداوى والذى * صنع الدواء بكفه ومن اشترى

وذكر ابن الجوزى فى المنتظم وفاة الأشعرى فيها وتكلم فيه وحط عليه كما جرت عادة الحنابلة يتكلمون فى الأشعرية قديماً وحديثا . وذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين ، وتوفى فى هذه السنة ، وأنه صحب الجبائى أربعين سنة ثم رجع عنه ، وتوفى ببغداد ودفن بمشرعة السروانى .

﴿ محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة ﴾

ابن الصلت السدوسى مولاهم أبو بكر ، سمع جده وعباساً الدورى وغيرهما ، وعنه أبو بكر بن مهدى وكان ثقة . روى الخطيب أن والد محمد هذا حين ولد أخذ طالع مولده المنجمون فحسبوا عمره وقالوا : إنه يعيش كذا وكذا . فأرصد أبوه له جباً فكان يلقى فيه عن كل يوم من عمره الذى أخبروه به

دينـاراً ، فلما امتلأ أرصد له جباً آخر كذلك ، ثم آخر كذلك ، فكان يضع فيها في كل يوم ثلاثة دنانير على عـدد أيام عمر ولده. ومع هذا ما أفاده ذلك شيئا ، بل افتقر هذا الولد حتى صار يستعطي من الناس ، وكان يحضر مجلس السماع عليه عباءة بلا إزار ، فكان يتصدق عليه أهل المجلس بشيء يقوم بأوده . والسعيد من أسعده الله عز وجل .

﴿ محمد بن مخلد بن جعفر ﴾

أبو عمر الدوري العطار ، كان يسكن الدور ـ وهي محلة بطرف بغـداد ـ سمع الحسن بن عرفة والزبير بن بكار ومسلم بن الحجاج وغيرهم ، وعنه الدارقطني وجماعة ، وكان ثقـة فهماً واسع الرواية مشكور الديانة مشهوراً بالعبادة . توفي في جمادى الأولى منها ، وقد استكمل سبعاوسبعين سنة وثمانية أشهر وإحدى وعشرين يوماً . المجنون البغدادي روى ابن الجوزي من طريق أبي بكر الشبلي قال : رأيت مجنوناً عند جامع الرصافة وهو عريان وهو يقول : أنا مجنون الله ، أنا مجنون الله . فقلت له : مالك ألا تستتر وتدخل الجامع وتصلي ؟ فأنشأ يقول :

يقولون زرنا واقض واجب حقنا * وقد أسقطت حالي حقوقهم عني

إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا لها * ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وثلثمائة ﴾

فيها خرج المتقي أمير المؤمنين من بغداد إلى الموصل مغاضباً لتورون ، وهو إذ ذاك بواسط ، وقد زوج ابنته من أبي عبدالله البريدي ، وصارا يداً واحدة على الخليفة . وأرسل ابن شيرزاد في ثلثمائة إلى بغداد فأفسد فيها وقطع ووصل ، واستقل بالأمر من غير مراجعة المتقي . فغضب المتقي وخرج منها مغاضباً له بأهله وأولاده ووزيره ومن اتبعه من الأمراء ، قاصدا الموصل إلى بني حمدان ، فتلقاه سيف الدولة إلى تكريت ، ثم جاءه ناصر الدولة وهو بتكريت أيضاً ، وحين خرج المتقي من بغداد أكثر ابن شيرزاد فيها الفساد ، وظلم أهلها وصادرهم ، وأرسل يعلم تورون ، فأقبل مسرعا نحو تكريت فتواقع هو وسيف الدولة فهزم تورون سيف الدولة وأخذ معسكره ومعسكر أخيه ناصر الدولة ثم كر إليه سيف الدولة فهزمه تورون أيضاً ، وانهزم المتقي وناصر الدولة وسيف الدولة من الموصل إلى نصيبين وجاء تورون فدخل الموصل وأرسل إلى الخليفة يطلب رضاه ، فأرسـل الخليفة يقول : لا سبيل إلى ذلك إلا أن تصالح بني حمدان ، فاصطلحوا ، وضمن ناصر الدولة بلاد الموصل بثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف ، ورجع تورون إلى بغداد وأقام الخليفة عند بني حمدان . وفي غيبة تورون هذه عن واسط أقبل إليها معز الدولة بن بويه في خلق من الديلم كثيرين ، فانحدر تورون مسرعا إلى واسط فاقتتل مع معز الدولة بضعة عشر يوماً ، وكان آخر الأمر أن انهزم معز الدولة ونهبت حواصله ، وقتل

من جيشه خلق كثير ، وأسر جماعة من أشراف أصحابه . ثم عاود توزون ما كان يعتريه من مرض الصرع فشغل بنفسه فرجع إلى بغداد .

وفيها قتل أبو عبد الله البريدى أخاه أبا يوسف ، وكان سبب ذلك أن البريدى قلّ ما فى يده من الأموال ، فكان يستقرض من أخيه أبى يوسف فيقرضه القليل ، ثم يشنع عليه وينم تصرفه بمال الجند ، إلى أن مال الجند إلى أبى يوسف وأعرض غالبهم عن البريدى ، فخشى أن يبايعوه فأرسل إليه طائفة من غلمانه فقتلوه غيلة ، ثم انتقل إلى داره وأخذ جميع حواصله وأمواله ، فكان قيمة ما أخذ منه من الأموال ما يقارب ثلثمائة ألف ألف دينار . ولم يمتع بعده إلا ثمانية أشهر مرض فيهامرضا شديدا بالحمى الحادة ، حتى كانت وفاته فى شوال من هذه السنة ، فقام مقامه أخوه أبو الحسين قبحه الله فأساء السيرة فى أصحابه ، فثاروا عليه فلجأ إلى القرامطة قبحهم الله فاستجار بهم فقام بالأمر من بعده أبو القاسم بن أبى عبد الله البريدى فى بلاد واسط والبصرة وتلك النواحى من الأهواز وغيرها.

وأما الخليفة المتقى لله فانه لما أقام عند أولاد حمدان بالموصل ظهر له منهم تضجر ، وأنهم يرغبون فى مفارقته . فكتب إلى توزون فى الصلح فاجتمع توزون مع القضاة والأعيان وقرؤا كتاب الخليفة وقابله بالسمع والطاعة ، وحلف له ووضع خطه بالاقرار له ولمن معه بالاكرام والاحترام ، فكان من الخليفة ودخوله إلى بغداد ما سيأتى فى السنة الآتية .

وفيها أقبلت طائفة من الروس فى البحر إلى نواحى أذربيجان فقصدوا بردعة فحاصروها ، فلما ظفروا بأهلها قتلوهم عن آخرهم ، وغنموا أموالهم وسبوا من استحسنوا من نسائهم ، ثم مالوا إلى المراغة ، فوجدوا بها ثماراً كثيرة ، فأكلوا منها فأصابهم وباء شديد فمات أكثرهم ، وكان إذا مات أحدهم دفنوا معه ثيابه وسلاحه ، فأخذه المسلمون وأقبل إليهم المرزبان بن محمد فقتل منهم . وفى ربيع الأول منها جاء الدمستق ملك الروم إلى رأس العين فى ثمانين ألفا فدخلها ونهب مافيها وقتل وسبي منهم نحوا من خمسة عشر ألفا ، وأقام بها ثلاثة أيام ، فقصدته الأعراب من كل وجه فقاتلوه قتالا عظيما حتى انجلى عنها . وفى جمادى الأولى منها غلت الأسعار ببغداد جدا وكثرت الأمطار حتى تهدم البناء ، ومات كثير من الناس تحت الهدم ، وتعطلت أكثر الحمامات والمساجد من قلة الناس ونقصت قيمة العقار حتى بيع منه بالدرهم ما كان يساوى الدينار ، وخلت الدور ، وكان الدلالون يعطون من يسكنها أجرة ليحفظها من الداخلين إليها ليخربوها . وكثرت الكبسات من اللصوص بالليل ، حتى كان الناس يتحارسون بالبوقات والطبول ، وكثرت الفتن من كل جهة فانا لله وإنا إليه راجعون ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

وفى رمضان منها كانت وفاة أبى طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسن الجنابى الهجرى القرمطى .

رئيس القرامطة ، قبحه الله ، وهذا هو الذى قتل الحجيج حول الكعبة وفى جوفها ، وسلبها كسوتها وأخذ بابها وحليتها ، واقتلع الحجر الأسود من موضعه وأخذه معه إلى بلده هجر ، فمكث عنده من سنة تسع عشرة وثلثمائة ثم مات قبحه الله وهو عندهم لم يردوه إلى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة كما سيأتى . ولما مات هذا القرمطى قام بالأمر من بعده إخوته الثلاثة ، وهم أبو العباس الفضل ، وأبو القاسم سعيد ، وأبو يعقوب يوسف بنو أبى سعيد الجنابى ، وكان أبو العباس ضعيف البدن مقبلا على قراءة الكتب ، وكان أبو يعقوب مقبلا على اللهو واللعب ، ومع هذا كانت كلمة الثلاثة واحدة لا يختلفون فى شىء ، وكان لهم سبعة من الوزراء متفقون أيضاً .

وفى شوال منها توفى أبو عبدالله البريدى فاستراح المسلمون من هذا كما استراحوا من الآخر .

وفيها توفى من الأعيان أبو العباس بن عقدة الحافظ :

﴿ أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن ﴾

أبو العباس الكوفى المعروف بابن عقدة ، لقبوه بذلك من أجل تعقيده فى التصريف والنحو ، وكان أيضاً عقدة فى الورع والنسك ، وكان من الحفاظ الكبار ، سمع الحديث الكثير ورحل فسمع من خلائق من المشايخ ، وسمع منه الطبرانى والدارقطنى وابن الجعابى وابن عدى وابن المظفر وابن شاهين . قال الدارقطنى : أجمع أهل الكوفة على أنه لم ير من زمن ابن مسعود إلى زمان ابن عقدة أحفظ منه ، ويقال إنه كان يحفظ نحواً من ستمائة ألف حديث ، منها ثلاثمائة ألف فى فضائل أهل البيت ، بما فيها من الصحاح والضعاف ، وكانت كتبه ستمائة حمل جمل ، وكان ينسب مع هذا كله إلى التشيع والمغالاة . قال الدارقطنى : كان رجل سوء . ونسبه ابن عدى إلى أنه كان يعمل النسخ لأشياخ ويأمرهم بروايتها . قال الخطيب : حدثنى على بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة بن يوسف سمعت أبا عمر بن حيويه يقول : كان ابن عقدة يجلس فى جامع براثى معدن الرفض يملى مثالب الصحابة ـ أو قال الشيخين ـ فتركت حديثه لا أحدث عنه بشىء . قلت : وقد حررت الكلام فيه فى كتابنا التكميل بما فيه كفاية ، توفى فى ذى القعدة منها .

﴿ أحمد بن عامر بن بشر بن حامد المروروذى ﴾

نسبة إلى مر والروذ ، والروذ اسم للنهر ، وهو الفقيه الشافعى تلميذ أبى إسحاق المروزى ـ نسبة إلى مروذ الشاهجان ، وهى أعظم من تلك البلاد ، له شرح مختصر المزنى ، وله كتاب الجامع فى المذهب ، وصنف فى أصول الفقه ، وكان إماماً لا يشق غباره . توفى فى هذه السنة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ﴾

فيها رجع الخليفة المتقى إلى بغداد وخلع من الخلافة وسملت عيناه ، وكان ـ وهو مقيم بالموصل ـ

قد أرسل إلى الاخشيد محمد بن طغج صاحب مصر والبلاد الشامية أن يأتيه ، فأقبل إليه فى المنتصف من المحرم من هـذه السنة ، وخضع للخليفة غاية الخضوع ، وكان يقوم بين يديه كما تقوم الغلمان ، ويمشى والخليفة راكب ، ثم عرض عليه أن يصير معه إلى الديار المصرية أو يقوم ببلاد الشام ، وليته فعل ، بل أبى عليه ، فأشار عليـه بالمقام مكانه بالموصل ، ولا يذهب إلى تورون ، وحذره من مكر تورون وخديعته ، فلم يقبل ذلك ، وكذلك أشار عليه وزيره أبو حسين بن مقلة فلم يسمع . وأهدى ابن طغج للخليفة هدايا كثيرة فاخرة ، وكذلك أهـدى إلى الأمراء والوزير ، ثم رجع إلى بلاده ، واجتاز بحلب فانحاز عنها صاحبها أبوعبد الله بن سعيد بن حمدان . وكان ابن مقاتل بها ، فأرسله إلى مصر نائبا عنـه حتى يعود إليها . وأما الخليفة فانه ركب من الرقة فى الدجلة إلى بغداد وأرسل إلى تورون فاستوثق منه ما كان حلف له من الأيمان فأكدها وقررها ، فلما قرب من بغداد خرج إليه تورون ومعه العساكر ، فلما رأى الخليفة قبل الأرض بين يديه وأظهر له أنه قد وفى له بما كان حلف له عليه وأنزله فى منظرته ، ثم جاء فاحتاط على من مع الخليفة من الكبراء ، وأمر بسمل عينى الخليفة فسملت عيناه ، فصاح صيحة عظيمة سمعها الحريم فضجت الأصوات بالبكاء ، فأمر تورون بضرب الدبادب حتى لا تسمع أصوات الحريم ، ثم انحدر من فوره إلى بغداد فبايع المستكفى . فكانت خلافة المتقى ثلاثة سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً ، وقيل وأحد عشر شهرا . وستأتى ترجمته عند ذكر وفاته .

﴿ خلافة المستكفى بالله أبى القاسم عبد الله بن المكتفى بن المعتضد ﴾

لما رجع تورون إلى بغداد وقد سمل عينى المتقى استدعى بالمستكفى فبايعه ولقب بالمستكفى بالله واسمه عبدالله، وذلك فى العشر الأواخر من صفر من هذه السنة ، وجلس تورون بين يديه وخلع عليه المستكفى ، وكان المستكفى مليح الشكل ربعة حسن الجسم والوجه ، أبيض اللون مشربا حمرة أقنى الأنف خفيف العـارضين ، وكان عمره يوم بويع بالخلافة إحدى وأربعين سنة . وأحضر المتقى بين يديه وبايعه وأخذ منه البردة والقضيب ، واستوزر أبا الفرج محمـد بن على السامرى ، ولم يكن إليه من الأمر شئ ، وإنما الذى يتولى الأمور ابن شيرزاد ، وحبس المتقى بالسجن . وطلب المستكفى أبا القاسم الفضل بن المقتدر ، وهو الذى ولى الخلافة بعد ذلك ، ولقب المطيع لله ، فاختفى منه ولم يظهر مدة خلافة المستكفى ، فأمر المستكفى بهدم داره التى عند دجلة .

وفيها مات القائم الفاطمى وتولى ولده المنصور إسماعيل فكتم موت أبيه مدة حتى اتفق أمره ثم أظهره ، والصحيح أن القائم مات فى التى بعدها . وقد حاربهم أبو يزيد الخارجى فيها ، وأخذ منهم مدنا كبارا وكسروه مراراً متعددة ، ثم يبرز إليهم ويجمع الرجال ويقاتلهم ، فانتدب المنصور هذا لقتاله بنفسـه وجرت بينهم حروب يطول ذكرها ، وقد بسطها ابن الأثير فى كامله . وقـد انهزم فى

بعض الأحيان جيش المنصور ولم يبق إلا فى عشرين نفساً . فقاتل بنفسه قتالا عظيما ، فهزم أبا يزيد بعد ما كاد يقتله ، وثبت المنصور ثباتا عظيما ، فعظم فى أعين الناس و زادت حرمته وهيبته ، واستنقذ بلاد القيروان منه ، وما زال يحاربه حتى ظفر به المنصور وقتله . ولما جئ برأسه سجد شكرا لله . وكان أبو يزيد هذا قبيح الشكل أعرج قصيراً خارجياً شديداً يكفر أهل الملة .

وفى ذى الحجة منها قتل أبو الحسين البريدى وصلب ثم أحرق ، وذلك أنه قدم بغداد يستنجد بتورون وأبى جعفر بن شيرزاد على ابن أخيه ، فوعدوه النصر ، ثم شرع يفسد مابين تورون وابن شيرزاد ، فعلم بذلك ابن شيرزاد فأمر بسجنه وضربه ، ثم أفتاه بعض الفقهاء بإباحة دمه ، فأمر بقتله وصلبه ثم أحرقه ، وانقضت أيام البريدية ، وزالت دولتهم . وفيها أمر المستكفى بإخراج القاهر الذى كان خليفة وأنزله دار ابن طاهر ، وقد افتقر القاهر حتى لم يبق له شئ من اللباس سوى قطعة عباءة يلتف بها ، وفى رجله قبقاب من خشب . وفيها اشتد البرد والحر . وفيها ركب معز الدولة فى رجب منها إلى واسط فبلغ خبره إلى تورون فركب هو والمستكفى ، فلما سمع بهما رجع إلى بلاده وتسلمها الخليفة وضمنها أبو القاسم بن أبى عبدالله ، ثم رجع تورون والخليفة إلى بغداد فى شوال منها . وفيها ركب سيف الدولة على بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى حلب فتسلمها من يأنس المؤنسى ، ثم سار إلى حمص ليأخذها فجاءته جيوش الاخشيد محمد بن طغج مع مولاه كافور فاقتتلوا بقنسرين ، فلم يظفر أحد منهما بصاحبه ، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة ، ثم عاد إلى حلب فاستقر ملكه بها ، فقصدته الروم فى جحافل عظيمة ، فالتقى معهم فظفر بهم فقتل منهم خلقا كثيرا .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ﴾

فى المحرم زاد الخليفة فى لقبه إمام الحق ، وكتب ذلك على السكة المتعامل بها ، ودعا له الخطباء على المنابر أيام الجمع . وفى المحرم منها مات تورون التركى فى داره ببغداد ، وكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وعشرة أيام . وكان ابن شيرزاد كاتبه ، وكان غائباً بهيت لتخليص المال ، فلما بلغه موته أراد أن يعقد البيعة لناصر الدولة بن حمدان فاضطربت الأجناد وعقدوا الرياسة عليهم لابن شيرزاد فحضر ونزل بباب حرب مستهل صفر ، وخرج إليه الأجناد كلهم وحلفوا له وحلف الخليفة والقضاة والأعيان ، ودخل على الخليفة فخاطبه بأمير الأمراء ، وزاد فى أرزاق الجند وبعث إلى ناصر الدولة يطالبه بالخراج ، فبعث إليه بخمسمائة ألف درهم وبطعام يفرقه فى الناس ، وأمر ونهى وعزل وولى ، وقطع ووصل ، وفرح بنفسه ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . ثم جاءت الأخبار بأن معز الدلة بن بويه قد أقبل فى الجيوش قاصداً بغداد ، فاختفى ابن شيرزاد والخليفة أيضاً ، وخرج إليه الأتراك قاصدين الموصل ليكونوا مع ناصر الدولة بن حمدان .

﴿ ذكر أول دولة بنى بويه وحكمهم ببغداد ﴾

أقبل معز الدولة أحمد بن الحسن بن بويه فى جحافل عظيمة من الجيوش قاصدا بغداد ، فلما اقترب منها بعث إليه الخليفة المستكفى بالله الهدايا والانزالات ، وقال للرسول : أخبره أنى مسرور به ، وأنى إنما اختفيت من شر الأتراك الذين انصرفوا إلى الموصل ، و بعث إليه بالخلع والتحف ، ودخل معز الدولة بغداد فى جمادى الأولى من هذه السنة ، فنزل بباب الشماسية ، ودخل من الغد إلى الخليفة فبايعه ، ودخل عليه المستكفى ولقبه بمعز الدولة ، ولقب أخاه أبا الحسن بعماد الدولة ، وأخاه أبا على الحسن بركن الدولة ، وكتب ألقابهم على الدراهم والدنانير . ونزل معز الدولة بدار مؤنس الخادم ، ونزل أصحابه من الديلم بدور الناس ، فلقى الناس منهم ضائقة شديدة ، وأمن معز الدولة ابن شير زاد ، فلما ظهر استكتبه على الخراج ، ورتب للخليفة بسبب نفقاته خمسة آلاف درهم فى كل يوم ، واستقرت الأمور على هذا النظام والله أعلم .

﴿ ذكر القبض على الخليفة المستكفى بالله وخلعه ﴾

لما كان اليوم الثانى والعشرين من جمادى الآخرة حضر معز الدولة إلى الحضرة فجلس على سرير بين يدى الخليفة ، وجاء رجلان من الديلم فمدا أيديهما إلى الخليفة فأنزلاه عن كرسيه ، وسحباه فتحربت عمامته فى حلقه ، ونهض معز الدولة واضطربت دار الخلافة حتى خلص إلى الحريم ، وتفاقم الحال ، وسيق الخليفة ماشيا إلى دار معز الدولة فاعتقل بها ، وأحضر أبو القاسم الفضل بن المقتدر فبويع بالخلافة وسملت عينا المستكفى وأودع السجن فلم يزل به مسجونا حتى كانت وفاته فى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة كما يأتى ذكر ترجمته هناك .

﴿ خلافة المطيع لله ﴾

لما قدم معز الدولة بغداد وقبض على المستكفى وسمل عينيه استدعى بأبى القاسم الفضل بن المقتدر بالله ، وقد كان مختفيا من المستكفى وهو يحث على طلبه ويجتهد ، فلم يقدر عليه ، ويقال إنه اجتمع بمعز الدولة سراً فحرضه على المستكفى حتى كان من أمره ما كان ، ثم أحضره وبويع له بالخلافة ولقب بالمطيع لله ، وبايعه الأمراء والأعيان والعامة ، وضعف أمر الخلافة جدا حتى لم يبق للخليفة أمر ولا نهى ولا وزير أيضاً ، وإنما يكون له كاتب على أقطاعه ، وإنما الدولة ومورد المملكة ومصدرها راجع إلى معز الدولة ، وذلك لأن بنى بويه ومن معهم من الديلم كان فيهم تعسف شديد ، وكانوا يرون أن بنى العباس قد غصبوا الأمر من العلويين ، حتى عزم معز الدولة على تحويل الخلافة إلى العلويين واستشار أصحابه فكلهم أشار عليه بذلك ، إلا رجلا واحداً من أصحابه ، كان سديد الرأى فيهم ، فقال لا أرى لك ذلك . قال : ولم ذاك ؟ قال : لأن هذا خليفة ترى أنت وأصحابك أنه غير صحيح الامارة

حتى لو أمرت بقتله قتله أصحابك ، ولو وليت رجلا من العلويين اعتقدت أنت وأصحابك ولايته صحيحة فلو أمرت بقتله لم تطع بذلك ، ولو أمر بقتلك لقتلك أصحابك . فلما فهم ذلك صرفه عن رأيه الأول وترك ما كان عزم عليه للدنيا لا لله عز وجل .

ثم نشبت الحرب بين ناصر الدولة بن حمدان وبين معز الدولة بن بويه ، فركب ناصر الدولة بعد ما خرج معز الدولة والخليفة إلى عكبرا فدخل بغداد فأخذ الجانب الشرقي ثم الغربي ، وضعف أمر معز الدولة والديلم الذين كانوا معه ، ثم مكر به معز الدولة وخدعه حتى استظهر عليه وانتصر أصحابه فنهبوا بغداد وما قدروا عليه من أموال التجار وغيرهم ، وكان قيمة ما أخذ أصحاب معز الدولة من الناس عشرة آلاف ألف دينار ، ثم وقع الصلح بين ناصر الدولة ومعز الدولة ، ورجع ابن حمدان إلى بلده الموصل ، واستقر أمر معز الدولة ببغداد ، ثم شرع فى استعمال السعاة ليبلغ أخاه ركن الدولة أخباره ، فغوى الناس فى ذلك وعلموا أبناءهم سعاة ، حتى أن من الناس من كان يقطع نيفا وثلاثين فرسخا فى يوم واحد . وأعجبه المصارعون والملاكمون . وغيرهم من أرباب هذه الصناعات التى لا ينتفع بها إلا كل قليل العقل فاسد المروءة ، وتعلموا السباحة ونحوها ، وكانت تضرب الطبول بين يديه ويتصارع الرجال والكوسان تدق حول سور المكان الذى هو فيه ، وكل ذلك رعونة وقلة عقل وسخافة منه . ثم احتاج إلى صرف أموال فى أرزاق الجند فأقطعهم البلاد عوضاً عن أرزاقهم ، فأدى ذلك إلى خراب البلاد وترك عمارتها إلا الأراضى التى بأيدى أصحاب الجاهات .

وفى هذه السنة وقع غلاء شديد ببغداد حتى أكلوا الميتة والسنانير والكلاب ، وكان من الناس من يسرق الأولاد فيشويهم ويأكلهم . وكثر الوباء فى الناس حتى كان لا يدفن أحد أحدا ، بل يتركون على الطرقات فيأكل كثيرا منهم الكلاب ، وبيعت الدور والعقار بالخبز ، وانتجع الناس إلى البصرة فكان منهم من مات فى الطريق ومنهم من وصل إليها بعد مدة مديدة .

وفيها كانت وفاة القائم بأمر الله أبى القاسم محمد بن عبد الله المهدى ، وولى الأمر من بعده ولده المنصور إسماعيل ، وكان حازم الرأى شديداً شجاعاً كما ذكرنا ذلك فى السنة الماضية ، وكانت وفاته فى شوال من هذه السنة على الصحيح .

وفيها توفى الأخشيد محمد بن طغج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية ، كانت وفاته بدمشق وله من العمر بضع وستون سنة ، وأقيم ولده أبو القاسم أبو جور – وكان صغيراً – وأقيم كافور الاخشيد أتابكه ، وكان يدبر الممالك بالبلاد كلها ، واستحوذ على الأمور كلها وسار إلى مصر فقصد سيف الدولة بن حمدان دمشق فأخذها من أصحاب الأخشيد ، ففرح بها فرحا شديدا ، واجتمع بمحمد ابن محمد بن نصر الفارابى التركى الفليسوف بها . وركب سيف الدولة يوماً مع الشريف العقيلى فى

بعض نواحى دمشق، فنظر سيف الدولة إلى الغوطة فأعجبته وقال : ينبغى أن يكون هذا كله لديوان السلطان ـ كأنه يعرض بأخذها من ملاكها ـ فأوغر ذلك صدر العقيلى وأوعاه إلى أهل دمشق، فكتبوا إلى كافور الأخشيدى يستنجدونه ، فأقبل إليهم فى جيوش كثيرة كثيفة ، فأجلى عنهم سيف الدولة وطرده عن حلب أيضاً واستناب عليها ثم كر راجعاً إلى دمشق فاستناب عليها بدراً الأخشيدى ـ ويعرف ببدير ـ فلما صار كافور إلى الديار المصرية رجع سيف الدولة إلى حلب فأخذها كما كانت أولا له ، ولم يبق له فى دمشق شئ يطمع فيه . وكافور هذا الذى هجاه المتنبى ومدحه أيضا .

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ الخرقى [عمر بن الحسين] ﴾

صاحب المختصر فى الفقه على مذهب الامام أحمد ، وقد شرحه القاضى أبو يعلى بن الفراء والشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسى ، وقد كان الخرقى هذا من سادات الفقهاء والعباد، كثير الفضائل والعبادة ، خرج من بغداد مهاجراً لما كثر بها الشر والسب للصحابة ، وأودع كتبه فى بغداد فاحترقت الدار التى كانت فيها الكتب ، وعدمت مصنفاته ، وقصد دمشق فأقام بها حتى مات فى هذه السنة ، وقبره بباب الصغير بزار قريباً من قبور الشهداء . وذكر فى مختصره هذا فى الحج : ويأتى الحجر الأسود ويقبله إن كان هناك ، وإنما قال ذلك لأن تصنيفه لهذا الكتاب كان والحجر الأسود قد أخذته القرامطة وهو فى أيديهم فى سنة سبع عشرة وثلثمائة كما تقدم ذلك ، ولم يرد إلى مكانه إلا سنة سبع وثلاثين كما سيأتى بيانه فى موضعه . قال الخطيب البغدادى : قال لى القاضى أبو يعلى : كانت للخرقى مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر لأنه خرج من مدينته لما ظهر بها سب الصحابة وأودع كتبه فاحترقت الدار التى هى فيها فاحترقت الكتب ولم تكن قد انتشرت لبعده عن البلد . ثم روى الخطيب من طريقه عن أبى الفضل عبد السميع عن الفتح بن شخرف عن الخرقى قال : رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى المنام فقال لى : ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء !! قال : قلت زدنى يا أمير المؤمنين . قال : وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء . قال ورفع له كفه فاذا فيها مكتوب :

قد كنت ميتا فصرت حيا * وعن قريب تعود ميتا
فابن بدار البقاء بيتا * ودع بدار الفناء بيتا

قال ابن بطة : مات الخرقى بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وزرت قبره رحمه الله .

﴿ محمد بن عيسى ﴾

أبو عبد الله بن موسى الفقيه الحنفى أحد أئمة العراقيين فى زمانه ، وقد ولى القضاء ببغداد

للمتقى ثم للمستكفى ، وكان ثقة فاضلا ، كبست اللصوص داره يظنون أنه ذو مال ، فضربه بعضهم ضربة أثخنته ، فألقى نفسه من شدة الفزع إلى الأرض فمات رحمه الله فى ربيع الأول من هذه السنة .

﴿ محمد بن محمد بن عبد الله ﴾ أبو الفضل السلمى الوزير الفقيه المحدث الشاعر سمع الكثير وجمع وصنف وكان يصوم الاثنين والخميس ، ولا يدع صلاة الليل والتصنيف ، وكان يسأل الله تعالى الشهادة كثيرا . فولى الوزارة للسلطان فقصده الأجناد فطالبوه بأرزاقهم ، واجتمع منهم ببابه خلق كثير ، فاستدعى بحلاق فحلق رأسه وتنور وتطيب ولبس كفنه وقام يصلى ، فدخلوا عليه فقتلوه وهو ساجد ، رحمه الله ، فى ربيع الآخر من هذه السنة .

﴿ الاخشيد محمد بن عبد الله بن طغج ﴾

أبو بكر الملقب بالاخشيد ومعناه ملك الملوك ، لقبه بذلك الراضى لأنه كان ملك فرغانة ، وكل من ملكها كان يسمى الاخشيد ، كما أن من ملك اشروسنية يسمى الآفشين . ومن ملك خوارزم يسمى خوارزم شاه ، ومن ملك جرجان يسمى صول ، ومن ملك أذربيجان يسمى أصبهند ، ومن ملك طبرستان يسمى أرسلان . قاله ابن الجوزى فى منتظمه . قال السهيلى : وكانت العرب تسمى من ملك الشام مع الجزيرة كافرا قيصر ، ومن ملك فارس كسرى ، ومن ملك اليمن تبع ، ومن ملك الحبشة النجاشى ، ومن ملك الهند بطليوس ، ومن ملك مصر فرعون . ومن ملك الاسكندرية المقوقس . وذكر غير ذلك . توفى بدمشق ونقل إلى بيت المقدس فدفن هناك رحمه الله .

﴿ أبو بكر الشبلى ﴾

أحد مشايخ الصوفية ، اختلفوا فى اسمه على أقوال فقيل دلف بن جعفر ، ويقال دلف بن جحدر ، وقيل جعفر بن يونس ، أصله من قرية يقال لها شبلة من بلاد اشروسنية من خراسان ، وولد بسامرا ، وكان أبوه حاجب الحجاب للموفق ، وكان خاله نائب الاسكندرية ، وكانت توبة الشبلى على يدى خير النساج ، سمعه يعظ فوقع فى قلبه كلامه فتاب من فوره ، ثم صحب الفقراء والمشايخ ، ثم صار من أئمة القوم . قال الجنيد : الشبلى تاج هؤلاء . وقال الخطيب : أخبرنا أبو الحسن على بن محمود الزوزنى قال : سمعت على بن المثنى التميمى يقول : دخلت يوما على الشبلى فى داره وهو يهيج ويقول :

على بعدك لا يصبر * من عادته القرب * ولا يقوى على هجرك * من تيمه الحب

فان لم ترك العين * فقد يبصرك القلب

وقد ذكر له أحوال وكرامات ، وقد ذكرنا أنه كان ممن اشتبه عليه أمر الحلاج فيما نسب إليه من الأقوال من غير تأمل لما فيها ، مما كان الحلاج يحاوله من الالحاد والاتحاد ، ولما حضرته الوفاة

قال لخادمه : قد كان على درهم مظلمة فتصدقت عن صاحبه بألوف ، ومع هذا ما على قلبى شغل أعظم منه . ثم أمره بأن يوضئه فوضأه وترك تخليل لحيته ، فرفع الشبلى يده ـ وقد كان اعتقل لسانه ـ فجعل يخلل لحيتــه . وذكره ابن خلــكان فى الوفيات ، وحكى عنه أنه دخل يوماً عــلى الجنيد فوقف بين يديه وصفق بيديه وأنشد :

عودونى الوصال والوصل عذب * ورمونى بالصد والصد صعب
زعموا حين أعتبوا أن جرمى * فرط حبى لهم وماذاك ذنب
لا وحق الخضوع عند التلاقى * ما جزاء من يحب إلا يحب

وذكر عنه قال : رأيت مجنونا على باب جامع الرصافة يوم جمعة عريانا وهو يقول : أنا مجنون الله فقلت : ألا تستتر وتدخل إلى الجامع فتصلى الجمعة . فقال :

يقولون زرنا واقض واجب حقنا * وقد أسقطت حالى حقوقهم عنى
إذا أبصروا حالى ولم يأنفوا لها * ولم يأنفوا منى أنفت لهم منى

وذكر الخطيب فى تاريخه عنه أنه أنشد لنفسه فقال :

مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى * دمعان فى الأجفان يزدحمان
ما أنصفتنى الحادثات رميننى * بمودعين وليس لى قلبان

كانت وفاته رحمه الله ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من هذه السنة ، وله سبع وثمانون سنة ، ودفن فى مقبرة الخيزران ببغداد والله أعلم .

﴿ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة﴾

فى هــذه السنة استقر أمر الخليفة المطيع لله فى دار الخلافة واصطلح معز الدولة بن بويه وناصر الدولة بن حمدان عــلى ذلك ، ثم حارب ناصر الدولة تكين التركى فاقتتلا مرات متعددة ، ثم ظفر ناصر الدولة بتكين فسمل بين يديه ، واستقر أمره بالموصــل والجزيرة ، واستحوذ ركن الدولة عــلى الرى وانتزعها من الخراسانية ، واتسعت مملــكة بنى بويه جدا ، فانه صار بأيديهم أعمال الرى والجبل وأصبهان وفارس والأهواز والعراق ، ويحمل إليهم ضمان الموصل وديار ربيعة من الجزيرة وغيرها . ثم اقتتل جيش معز الدولة وجيش أبى القاسم البريدى فهزم أصحاب البريدى وأسر من أعيانهم جماعة كثيرة . وفيها وقع الفــداء بين الروم والمسلمين على يد نصر المستملى أمــير الثغور لسيف الدولة بن حمدان ، فكان عدة الأسارى نحواً من ألفين وخمسمائة مسلم ولله الحمد والمنة .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿الحسن بن حمويه بن الحسين﴾

القاضى الاستراباذى . روى الــكثير وحدث ، وكان له مجلس للاملاء ، وحكم ببلده مدة طويلة ،

وكان من المجتهدين فى العبادة المتهجدين بالاسحار، ويضرب به المثل فى ظرفه وفكاهته . وقد مات فجأة على صدر جاريته عند إنزاله .

﴿ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله ﴾

أبو عبد الله الختلى، سمع ابن أبى الدنيا وغيره، وحدث عنه الدارقطنى وغيره، وكان ثقة نبيلا حافظا، حدث من حفظه بخمسين ألف حديث .

عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم أبو محمد الكلبى الملقب بديك الجن الشاعر الماجن الشيعى . ويقال : إنه من موالى بنى تميم، له أشعار قوية . خمارية وغير خمارية، وقد استجاد أبو نواس شعره فى الخماريات .

﴿ على بن عيسى بن داود بن الجراح ﴾

أبو الحسن الوزير للمقتدر والقاهر، ولد سنة خمس وأربعين ومائتين وسمع الكثير، وعنه الطبرانى وغيره، وكان ثقة نبيلا فاضلا عفيفا، كثير التلاوة والصيام والصلاة، يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم، أصله من الفرس، وكان من أكبر القائمين على الحلاج . وروى عنه أنه قال : كسبت سبعمائة ألف دينار أنفقت منها فى وجوه الخير ستمائة ألف وثمانين ألفا، ولما دخل مكة حين نفى من بغداد طاف بالبيت وبالصفا والمروة فى حر شديد، ثم جاء إلى منزله فألقى نفسه وقال : أشتهى على الله شربة ثلج . فقال له بعض أصحابه : هذا لا يتهيأ ههنا . فقال : أعرف ولكن سيأتى به الله إذا شاء، وأصبر إلى المساء . فلما كان فى أثناء النهار جاءت سحابة فأمطرت وسقط منها برد شديد كثير فجمع له صاحبه من ذلك البرد شيئا كثيراً وخبأه له، وكان الوزير صائما، فلما أمسى جاء به، فلما جاء المسجد أقبل إليه صاحبه بأنواع الأشربة وكلها بثلج، فجعل الوزير يسقيه لمن حواليه من الصوفية والمجاورين، ولم يشرب هو منه شيئا . فلما رجع إلى المنزل جئته بشئ من ذلك الشراب كنا خبأناه له وأقسمت عليه ليشربنه فشربه بعد جهد جهيد، وقال أشتهى لو كنت تمنيت المغفرة . رحمه الله وغفر له . ومن شعره قوله :

فمن كان عنى سائلا بشماتة * لما نابنى أو شامتا غير سائل
فقد أبرزت منى الخطوب ابن حرة * صبورا على أهوال تلك الزلازل

وقد روى أبو القاسم على بن الحسن التنوخى عن أبيه عن جماعة أن عطارا من أهل الكرخ كان مشهورا بالسنة، ركبه ستمائة دينار دينا فأغلق دكانه وانكسر عن كسبه ولزم منزله، وأقبل على الدعاء والتضرع والصلاة ليالى كثيرة، فلما كان فى بعض تلك الليالى رأى رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقول له : اذهب إلى على بن عيسى الوزير فقد أمرته لك بأربعمائة دينار . فلما أصبح الرجل قصد

باب الوزير فلم يعرفه أحد ، فجلس لعل أحدا يستأذن له على الوزير حتى طال عليه المجلس وهم بالانصراف ، ثم إنه قال لبعض الحجبة قل للوزير : إنى رجل رأيت رسول الله ﷺ فى المنام وأنا أريد أن أقصه على الوزير . فقال له الحاجب : وأنت صاحب الرؤيا ؟ إن الوزير قد أنفذ فى طلبك رسلا متعددة . ثم دخل الحجاب فأخبروا الوزير فقال : أدخله على سريعا . فدخل عليه فأقبل عليه الوزير يستعلم عن حاله واسمه وصفته ومنزله ، فذكر ذلك له ، فقال له الوزير : إنى رأيت رسول الله ﷺ وهو يأمرنى باعطائك أربعمائة دينار ، فأصبحت لا أدرى من أسأل عنك ، ولا أعرفك ولا أعرف أين أنت ، وقد أرسلت فى طلبك إلى الآن عدة رسل فجزاك الله خيراً عن قصدك إياى . ثم أمر الوزير باحضار ألف دينار فقال : هذه أربعمائة دينار لأمر رسول الله ﷺ وستمائة هبة من عندى . فقال الرجل : لا والله لا أزيد على ما أمرنى به رسول الله ﷺ ، فانى أرجو الخير والبركة فيه . ثم أخذ منها أربعمائة دينار ، فقال الوزير : هذا هو الصدق واليقين . فخرج ومعه الأربعمائة دينار فعرض على أرباب الديون أموالهم فقالوا : نحن نصبر عليك ثلاث سنين ، وافتح بهذا الذهب دكانك ودم على كسبك . فأبى إلا أن يعطيهم من أموالهم الثلث ، فدفع إليهم مائتى دينار ، وفتح حانوته بالمائتى دينار الباقية ، فما حال عليه الحول حتى ربح ألف دينار . ولعلى بن عيسى الوزير أخبار كثيرة صالحة . كانت وفاته فى هذه السنة عن تسعين سنة . ويقال فى التى قبلها والله أعلم .

﴿ محمد بن إسماعيل ﴾

ابن إسحاق بن بحر أبو عبد الله الفارسى الفقيه الشافعى ، كان ثقة ثبتا فاضلا ، سمع أبا زرعة الدمشقى وغيره ، وعنه الدارقطنى وغيره وآخر من حدث عنه أبو عمر بن مهدى ، توفى فى شوال من هذه السنة .

﴿ هارون بن محمد ﴾

ابن هارون بن على بن موسى بن عمرو بن جابر بن يزيد بن جابر بن عامر بن أسيد بن تميم بن صبيح بن ذهل بن مالك بن سعيد بن حبنة أبو جعفر ، والد القاضى أبى عبد الله الحسن بن هارون . كان أسلافه ملوك عمان فى قديم الزمان ، وجده يزيد بن جابر أدرك الاسلام فأسلم وحسن إسلامه ، وكان هارون هذا أول من انتقل من أهله من عمان فنزل بغداد وحدث بها ، وروى عن أبيه ، وكان فاضلا متضلعا من كل فن ، وكانت داره مجمع العلماء فى سائر الأيام ، ونفقاته دارة عليهم ، وكان له منزلة عالية ، ومهابة ببغداد ، وقد أثنى عليه الدارقطنى ثناء كثيراً ، وقال : كان مبرزا فى النحو واللغة والشعر ، ومعانى القرآن ، وعلم الكلام .

قال ابن الأثير : وفيها توفى أبو بكر محمد بن عبد الله بن العباس بن صول الصولى ، وكان عالما بفنون الآداب والأخبار ، وإنما ذكره ابن الجوزى فى التى بعدها كما سيأتى .

﴿ أبو العباس بن القاضى أحمد بن أبى أحمد الطبرى ﴾

الفقيه الشافعى ، تلميذ ابن سريج ، له كتاب التلخيص وكتاب المفتاح ، وهو مختصر شرحه أبو عبد الله الحسين ، وأبو عبد الله السنجى أيضاً ، وكان أبوه يقص على الناس الأخبار والآثار ، وأما هو فتولى قضاء طرسوس وكان يعظ الناس أيضاً ، فحصل له مرة خشوع فسقط مغشياً عليه فمات فى هذه السنة

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلثمائة ﴾

فيها خرج معز الدولة والخليفة المطيع لله من بغداد إلى البصرة فاستنقذاها من يد أبى القاسم بن البريدى ، وهرب هو وأكثر أصحابه ، واستولى معز الدولة على البصرة وبعث يتهدد القرامطة ويتوعدهم بأخذ بلادهم ، وزاد فى إقطاع الخليفة ضياعاً تعمل فى كل سنة مائتى ألف دينار ، ثم سار معز الدولة لتلقى أخيه عماد الدولة بالأهواز فقبل الارض بين يدى أخيه وقام بين يديه مقاماً طويلا فأمره بالجلوس فلم يفعل . ثم عاد إلى بغداد صحبة الخليفة فتمهدت الأمور جيدا . وفى هذه السنة استحوذ ركن الدولة على بلاد طبرستان وجرجان من يد وشمكير أخى مرداويج ملك الديلم ، فذهب وشمكير إلى خراسان يستنجد بصاحبها كما سيأتى .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أبو الحسين بن المنادى ﴾

أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد ، سمع جده وعباساً الدورى ومحمد بن إسحاق الصاغانى . وكان ثقة أمينا حجة صادقا ، صنف كثيرا وجمع علوما جمة ، ولم يسمع الناس منها إلا اليسير ، وذلك لشراسة أخلاقه . وآخر من روى عنه محمد بن فارس اللغوى ، ونقل ابن الجوزى عن أبى يوسف القدسى أنه قال : صنف أبو الحسين بن المنادى فى علوم القرآن أربعمائة كتاب ، ونيفا وأربعين كتابا ولا يوجد فى كلامه حشو ، بل هو نقى الكلام جمع بين الرواية والدراية . وقال ابن الجوزى : ومن وقف على مصنفاته علم فضله واطلاعه ووقف على فوائد لا توجد فى غير كتبه . توفى فى محرم من هذه السنة عن ثمانين سنة .

﴿ الصولى محمد بن عبد الله بن العباس ﴾

ابن محمد صول أبو بكر الصولى ، كان أحد العلماء بفنون الأدب وحسن المعرفة بأخبار الملوك ، وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء . روى عن أبى داود السجستانى والمبرد وثعلب وأبى العيناء وغيرهم . وكان واسع الرواية جيد الحفظ حاذقا بتصنيف الكتب . وله كتب كثيرة هائلة ، ونادم جماعة من الخلفاء ، وحظى عندهم ، وكان جده صول وأهله ملوكا بجرجان ، ثم كان أولاده من كبار الكتاب ، وكان الصولى هذا جيد الاعتقاد حسن الطريقة ، وله شعر حسن ، وقد روى عنه الدارقطنى وغيره من الحفاظ ومن شعره قوله :

أحببت من أجله من كان يشبهه * وكل شئ من المعشوق معشوق

حتى حكيت بجسمى ماء مقلته * كأن سقمى من عينيه مسروق

خرج الصولى من بغداد إلى البصرة لحاجة لحقته فمات بها فى هذه السنة .

وفيها كانت وفاة ابنة الشيخ أبى الزاهد المكى ، وكانت من العابدات الناسكات المقيمات بمكة ، وكانت تقتات من كسب أبيها من عمل الخوص ، فى كل سنة ثلاثين درهما يرسلها إليها ، فاتفق أنه أرسلها مرة مع بعض أصحابه فزاد عليها ذلك الرجل عشرين درهما - يريد بذلك برها و زيادة فى نفقتها - فلما اختبرتها قالت : هل وضعت فى هذه الدراهم شيئا من مالك ؟ أصدقنى بحق الذى حججت له . فقال : نعم عشرين درهما . فقالت : ارجع بها لا حاجة لى فيها ، ولولا أنك قصدت الخير لدعوت الله عليك ، فانك قد أجعتنى عامى هذا ، ولم يبق لى رزق إلا من المزابل إلى قابل . فقال : خذى منها الثلاثين التى أرسل بها أبوك إليك ودعى العشرين . فقالت : لا ، إنها قد اختلطت بمالك ولا أدرى ما هو . قال الرجل : فرجعت بها إلى أبيها فأبى أن يقبلها وقال : شققت ياهذا على وضيقت عليها ، ولكن اذهب فتصدق بها .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ﴾

فيها ركب معز الدولة من بغداد إلى الموصل فانهزم منه ناصر الدولة إلى نصيبين ، فتملك معز الدولة ابن بويه الموصل فى رمضان فعسف أهلها وأخذ أموالهم ، وكثر الدعاء عليه . ثم عزم على أخذ البلاد كلها من ناصر الدولة بن حمدان ، فجاء خبر من أخيه ركن الدولة يستنجده على من قبله من الخراسانية ، فاحتاج إلى مصالحة ناصر الدولة على أن يحمل ما تحت يده من بلاد الجزيرة والشام فى كل سنة ثمانية آلاف ألف درهم ، وأن يخطب له ولا خويه عماد الدولة وركن الدولة على منابر بلاده كلها ففعل . وعاد معز الدولة إلى بغداد و بعث إلى أخيه بجيش هائل ، وأخذ له عهد الخليفة بولاية خراسان . وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم ، فلقيه جمع كثيف من الروم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم سيف الدولة وأخذت الروم ما كان معهم ، وأوقعوا بأهل طرسوس بأساً شديدا ، فانا لله و إنا إليه راجعون . قال ابن الجوزى : وفى رمضان انتهت زيادة دجلة أحدا وعشرين ذراعا وثلثا

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الله بن محمد بن حمدويه ﴾

ابن نعيم بن الحكم أبو محمد البيع ، وهو والد الحاكم أبى عبد الله النيسابورى ، أذن ثلاثا وستين سنة وغزا اثنتين وعشرين غزوة ، وأنفق على العلماء مائة ألف ، وكان يقوم الليل كثيراً ، وكان كثير الصدقة ، أدرك عبد الله بن أحمد بن حنبل ومسلم بن الحجاج ، وروى عن ابن خزيمة وغيره ، وتوفى عن ثلاث وتسعين سنة . ﴿ قدامة الكاتب المشهور ﴾

هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب ، له مصنف فى الخراج وصناعة الكتابة ، و به

يقتدى علماء هذا الشأن ، وقد سأل ثعلبا عن أشياء .

محمد بن على بن عمر أبو على المذكر الواعظ بنيسابور ، كان كثير التدليس عن المشايخ الذين لم يلقهم . توفى فى هذه السنة عن مائة وسبع سنين سامحه الله .

﴿ محمد بن مطهر بن عبد الله ﴾

أبو المنجا الفقيه الفرضى المالكى ، له كتاب فى الفقه على مذهب مالك ، وله مصنفات فى الفرائض قليلة النظير ، وكان أديباً إماما فاضلا صادقا ، رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ﴾

فى ربيع الأول منها وقعت فتنة بين الشيعة وأهل السنة ، ونهبت الكرخ . وفى جمادى الآخرة تقلد أبو السائب عتبة بن عبيد الله الهمدانى قضاء القضاة . وفيها خرج رجل يقال له عمران بن شاهين كان قد استوجب بعض العقوبات فهرب من السلطان إلى ناحية البطائح ، وكان يقتات مما يصيده من السمك والطيور ، والتف عليه خلق من الصيادين وقطاع الطريق ، فقويت شوكته واستعمله أبو القاسم بن البريدى على بعض تلك النواحى ، وأرسل إليه معز الدولة بن بويه جيشا مع وزيره أبى جعفر بن بويه الضميرى ، فهزم ذلك الصياد الوزير ، واستحوذ على ما معه من الأموال ، فقويت شوكة ذلك الصياد ، ودهم الوزير وفاة عماد الدولة بن بويه وهو .

﴿ أبو الحسن على بن بويه ﴾

وهو أكبر أولاد بويه وأول من تملك منهم ، وكان عاقلا حاذقا حميد السيرة رئيساً فى نفسه . كان أول ظهوره فى سنة ثنتين وعشرين وثلثمائة كما ذكرنا . فلما كان فى هذا العام قويت عليه الأسقام وتواترت عليه الآلام فأحس من نفسه بالهلاك ، ولم يفاده ولا دفع عنه أمرَ الله ما هو فيه من الأموال والملك وكثرة الرجال والأموال ، ولا ردعنه جيشه من الديالم والأتراك والأعجام ، مع كثرة العدد والعدد ، بل تخلوا عنه أحوج ما كان إليهم ، فسبحان الله الملك القادر القاهر العلام . ولم يكن له ولد ذكر ، فأرسل إلى أخيه ركن الدولة يستدعيه إليه وولده عضد الدولة ، ليجعله ولى عهده من بعده ، فلما قدم عليه فرح به فرحا شديدا ، وخرج بنفسه فى جميع جيشه يتلقاه ، فلما دخل به إلى دار المملكة أجلسه على السرير وقام بين يديه كأحد الأمراء ، ليرفع من شأنه عند أمرائه ووزرائه وأعوانه . ثم عقد له البيعة على ما يملكه من البلدان والأموال ، وتدبير المملكة والرجال . وفيهم من بعض رؤس الأمراء كراهة لذلك ، فشرع فى القبض عليهم وقتل من شاء منهم وسجن آخرين ، حتى تمهدت الأمور لعضد الدولة . ثم كانت وفاة عماد الدولة بشيراز فى هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة ، وكان من خيار الملوك فى زمانه ، وكان ممن حاز قصب

السبق دون أقرانه ، وكان هو أمير الأمراء ، وبذلك كان يكاتبه الخلفاء ، ولكن أخوه معز الدولة كان ينوب عنه فى العراق والسواد . ولما مات عماد الدولة اشتغل الوزير أبو جعفر الضميرى عن محاربة عمران بن شاهين الصياد ـ وكان قد كتب إليه معز الدولة أن يسير إلى شيراز و يضبط أمرها ـ فقوى أمر عمران بعد ضعفه ، وكان من أمره ما سيأتى فى موضعه . وممن توفى فيها من الأعيان أبو جعفر النحاس النحوى .

﴿ أحمد بن محمد إسماعيل بن يونس ﴾

أبو جعفر المرادى المصرى النحوى ، المعروف بالنحاس ، اللغوى المفسر الأديب ، له مصنفات كثيرة فى التفسير وغيره ، وقد سمع الحديث ولقى أصحاب المبرد ، وكانت وفاته فى ذى الحجة من هذه السنة . قال ابن خلكان : لخمس خلون منها يوم السبت . وكان سبب وفاته أنه جلس عند المقياس يقطّع شيئا من العروض فظنه بعض العامة يسحر النيل فرفسه برجله فسقط فغرق ، ولم يدر أين ذهب . وقد كان أخذ النحو عن على بن سليمان الأحوص وأبى بكر الأنبارى وأبى إسحاق الزجاج ونفطويه وغيرهم ، وله مصنفات كثيرة مفيدة ، منها تفسير القرآن والناسخ والمنسوخ ، وشرح أبيات سيبويه ، ولم يصنف مثله ، وشرح المعلقات والدواوين العشرة ، وغير ذلك . وروى الحديث عن النسائى وكان بخيلا جداً ، وانتفع الناس به . وفيها كانت وفاة الخليفة .

﴿ المستكفى بالله ﴾

عبد الله بن على المكتفى بالله ، وقد ولى الخلافة سنة وأربعة أشهر ويومين ، ثم خلع وسملت عيناه كما تقدم ذكره . توفى فى هذه السنة وهو معتقل فى داره ، وله من العمر ست وأربعون سنة وشهران .

﴿ على بن ممشاد بن سحنون بن نصر ﴾

أبو المعدل ، محدث عصره بنيسابور ، رحل إلى البلدان وسمع الكثير وحدث وصنف مسنداً أربعمائة جزء ، وله غير ذلك مع شدة الأتقان والحفظ ، وكثرة العبادة والصيانة والخشية لله عز وجل قال بعضهم : صحبته فى السفر والحضر فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة . وله تفسير فى مائتى جزء ونيف ، دخل الحمام من غير مرض فتوفى فيه فجأة ، وذلك يوم الجمعة الرابع عشر من شوال من هذه السنة رحمه الله .

﴿ على بن محمد بن أحمد بن الحسن ﴾

أبو الحسن الواعظ البغدادى ، ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى عرف بالمصرى ، سمع الكثير وروى عنه الدارقطنى وغيره ، وكان له مجلس وعظ يحضر فيه الرجال والنساء وكان يتكلم وهو مبرقع لئلا يرى النساء حسن وجهه ، وقد حضر مجلسه أبو بكر النقاش مستخفيا فلما سمع كلامه قام قائما وشهر نفسه وقال له : القصص بعدك حرام . قال الخطيب : كان ثقة أمينا عارفا ، جمع حديث الليث وابن لهيعة وله كتب كثيرة فى الزهد . توفى فى ذى القعدة منها ، وله سبع وثمانون سنة والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ﴾

فى هذه السنة المباركة فى ذى القعدة منها رد الحجر الأسود المكى إلى مكانه فى البيت ، وقد كان القرامطة أخذوه فى سنة سبع عشرة وثلثمائة كما تقدم ، وكان ملكهم إذا ذاك أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الحسين الجنابى ، ولما وقع هذا أعظم المسلمون ذلك ، وقد بذل لهم الأمير بجكم التركى خمسين ألف دينار على أن يردوه إلى موضعه فلم يفعلوا ، وقالوا : نحن أخذناه بأمر فلا نرده إلا بأمر من أخذناه بأمره . فلما كان فى هذا العام حملوه إلى الكوفة وعلقوه على الأسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس ، وكتب أخو أبى طاهر كتابا فيه : إنا أخذنا هذا الحجر بأمر وقد رددناه بأمر من أمرنا بأخذه ليتم حج الناس ومناسكهم . ثم أرسلوه إلى مكة بغير شئ على قعود ، فوصل فى ذى القعدة من هذه السنة ولله الحمد والمنة ، وكان مدة مغايبته عنده ثنتين وعشرين سنة ، ففرح المسلمون لذلك فرحا شديداً . وقد ذكر غير واحد أن القرامطة لما أخذوه حملوه على عدة جمال فعطبت تحته واعترى أسنمتها القرح ، ولما ردوه حمله قعود واحد ولم يصبه أذى .

وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان بجيش عظيم نحو من ثلاثين ألفا إلى بلاد الروم فوغل فيها وفتح حصوناً وقتل خلقاً وأسر أمما وغنم شيئا كثيراً ثم رجع ، فأخذت عليه الروم الدرب الذى يخرج منه فقتلوا عامة من معه وأسروا بقيتهم واستردوا ما كان أخذه ، ونجا سيف الدولة فى نفر يسير من أصحابه . وفيها مات الوزير أبو جعفر الضميرى فاستوزر معز الدولة مكانه أبا محمد الحسين بن محمد المهلبى فى جمادى الأولى . فاستفحل أمر عمران بن شاهين الصياد وتفاقم الأمر به ، فبعث إليه معز الدولة جيشا بعد جيش ، كل ذلك يهزمهم مرة بعد مرة ، ثم عدل معز الدولة إلى مصالحته واستعماله له على بعض تلك النواحى ، ثم كان من أمره ماسنذكره إن شاء الله تعالى .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ الحسن بن داود بن باب شاذ ﴾

أبو الحسن المصرى قدم بغداد . كان من أفاضل الناس وعلمائهم ، بمذهب أبى حنيفة ، مبسوط الذكاء قوى الفهم ، كتب الحديث ، وكان ثقة . مات ببغداد فى هذه السنة ودفن بمقبرة الشونيزية ولم يبلغ من العمر أربعين سنة .

﴿ محمد القاهر بالله أمير المؤمنين ﴾

ابن المعتضد بالله ، ولى الخلافة سنة وستة أشهر وسبعة أيام ، وكان بطاشاً سريع الانتقام ، فخاف منه وزيره أبو على بن مقلة فاستتر منه فشرع فى العمل عليه عند الأتراك ، فخلعوه وسملوا عينيه وأودع دار الخلافة برهة من الدهر ، ثم أخرج فى سنة ثلاث وثلاثين إلى دار ابن طاهر ، وقد نالته فاقة وحاجة شديدة ، وسأل فى بعض الأيام . ثم كانت وفاته فى هذا العام ، وله ثنتان وخمسون سنة ، ودفن إلى

جانب أبيه المعتضد .

﴿ محمد بن عبد الله بن أحمد ﴾

أبو عبد الله الصفار الأصبهانى محدث عصره بخراسان ، سمع الكثير وحدث عن ابن أبى الدنيا ببعض كتبه ، وكان مجاب الدعوة ، ومكث لا يرفع رأسه إلى السماء نيفاً وأربعين سنة ، وكان يقول : اسمى محمد واسم أبى عبد الله واسم أمى آمنة ، يفرح بهذه الموافقة فى الاسم واسم الأب واسم الأم ، لأن النبى ﷺ كان اسمه محمد ، واسم أبيه عبد الله ، وأمه اسمها آمنه .

﴿ أبو نصر الفارابى ﴾

التركى الفيلسوف ، وكان من أعلم الناس بالموسيقى ، بحيث كان يتوسل به و بصناعته إلى الناس فى الحاضرين من المستمعين إن شاء حرك مايبكى أو يضحك أو ينوم . وكان حاذقا فى الفلسفة ، ومن كتبه تفقه ابن سينا ، وكان يقول بالمعاد الروحانى لا الجثمانى ، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة ، وله مذاهب فى ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين . مات بدمشق فيما قاله ابن الأثير فى كامله ، ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره فى تاريخه لنتنه وقباحته فالله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين وثلثمائة ﴾

فيها قصد صاحب عمان البصرة ليأخذها فى مراكب كثيرة ، وجاء لنصره أبو يعقوب الهجرى فمانعه الوزير أبو محمد المهلبى وصده عنها ، وأسر جماعة من أصحابه وسبا سبياً كثيراً من مراكبه فساقها معه فى دجلة ، ودخل بها إلى بغداد فى أبهة عظيمة ولله الحمد . وفيها رفع إلى الوزير أبى محمد المهلبى رجل من أصحاب أبى جعفر بن أبى العز الذى كان قتل على الزندقة كما قتل الحلاج ، فكان هذا الرجل يدعى ماكان يدعيه ابن أبى العز ، وقد اتبعه جماعة من الجهلة من أهل بغداد ، وصدقوه فى دعواه الربوبية ، وأن أرواح الأنبياء والصديقين تنتقل إليهم . ووجد فى منزله كتب تدل على ذلك . فلما تحقق أنه هالك ادعى أنه شيعى ليحضر عند معز الدولة بن بويه . وقد كان معز الدولة بن بويه يحب الرافضة قبحه الله . فلما اشتهر عنه ذلك لم يتمكن الوزير منه خوفا على نفسه من معز الدولة ، وأن تقوم عليه الشيعة ، إنا لله وإنا إليه راجعون . ولكنه احتاط على شئ من أموالهم ، فكان يسميها أموال الزنادقة. قال ابن الجوزى : وفى رمضان منها وقعت فتنة عظيمة بسبب المذهب .

وممن توفى فيها من الأعيان أشهب بن عبد العزيز بن أبى داود بن إبراهيم أبو عمر العامرى ــ نسبة إلى عامر بن لؤى ــ كان أحد الفقهاء المشهورين . توفى فى شعبان منها .

﴿ أبو الحسن الكرخى ﴾

أحد أئمة الحنفية المشهورين ، ولد سنة ستين ومائتين وسكن بغداد ودرس فقه أبى حنيفة

وانتهت إليه رئاسة أصحابه فى البلاد ، وكان متعبداً كثير الصلاة والصوم ، صبوراً على الفقر ، عزوفا عما فى أيدى الناس ، وكان مع ذلك رأسا فى الاعتزال ، وقد سمع الحديث من إسماعيل بن إسحاق القاضى ، وروى عنه حيوة وابن شاهين . وأصابه الفالج فى آخر عمره ، فاجتمع عنده بعض أصحابه واشتوروا فيما بينهم أن يكتبوا إلى سيف الدولة بن حمدان ليساعده بشئ يستعين به فى مرضه ، فلما علم بذلك رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم لا تجعل رزقى إلا من حيث عودتنى . فمات عقب ذلك قبل أن يصل إليه ما أرسل به سيف الدولة ، وهو عشرة آلاف درهم . فتصدقوا بها بعد وفاته فى شعبان من هذه السنة عن ثمانين سنة ، وصلى عليه أبو تمام الحسن بن محمد الزينبى ، وكان صاحبه ، ودفن فى درب أبى زيد على نهر الواسطيين .

﴿ محمد بن صالح بن يزيد ﴾

أبو جعفر الوراق سمع الكثير ، وكان يفهم ويحفظ ، وكان ثقة زاهدا لا يأكل إلا من كسب يده ولا يقطع صلاة الليل . وقال بعضهم : صحبته سنين كثيرة فما رأيته فعل إلا ما يرضى الله عز وجل . ولا قال إلا ما يسأل عنه ، وكان يقوم أكثر الليل :

وفيها كانت وفاة منصور بن قرابكين صاحب الجيوش الخراسانية من جهة الأمير نوح السامانى من مرض حصل له ، وقيل لأنه أدمن شرب الخمر أياماً متتابعة فهلك بسبب ذلك ، فأقيم بعده فى الجيوش أبو على المحتاج الزجاجى ، مصنف الجمل .

وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النحوى اللغوى البغدادى الأصل . ثم الدمشقى ، مصنف الجمل فى النحو ، وهو كتاب نافع ، كثير الفائدة ، صنفه بمكة ، وكان يطوف بعد كل باب منه ويدعو الله تعالى أن ينفع به . أخذ النحو أولا عن محمد بن العباس اليزيدى ، وأبى بكر بن دريد ، وابن الأنبارى . توفى فى رجب سنة سبع ، وقيل سنة تسع وثلاثين ، وقيل سنة أربعين . توفى فى دمشق وقيل بطبرية . وقد شرح كتابه الجمل بشروح كثيرة من أحسنها وأجمعها ما وضعه ابن عصفور والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ﴾

فيها ملكت الروم سروج وقتلوا أهلها وحرقوا مساجدها . قال ابن الأثير : وفيها قصد موسى بن وجيه صاحب عمان البصرة فمنعه منها المهلبى كما تقدم . وفيها نقم معز الدولة على وزيره فضربه مائة وخمسين سوطا ولم يعزله بل رسم عليه . وفيها اختصم المصريون والعراقيون بمكة فخطبوا لصاحب مصر ، ثم غلبهم العراقيون فخطبوا لركن الدولة بن بويه .

وفيها كانت وفاة ﴿ المنصور الفاطمى ﴾

وهو أبو طاهر بن إسماعيل بن القائم بأمر الله أبى القاسم محمد بن عبيد الله المهدى صاحب المغرب

وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما ، وكان عاقلا شجاعا فاتكا قهر أبا يزيد الخارجي الذى كان لا يطاق شجاعة و إقداماً وصبراً ، وكان فصيحا بليغاً ، يرتجل الخطبة على البديهة فى الساعة الراهنة . وكان سبب موته ضعف الحرارة الغريزية كما أورده ابن الأثير فى كامله ، فاختلف عليه الأطباء ، وقد عهد بالأمر إلى المعز الفاطمى وهو بانى القاهرة المعزية كما سيأتى بيانه واسمه ، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وعشرين سنة ، وكان شجاعا عاقلا أيضاً حازم الرأى ، أطاعه من البربر وأهل تلك النواحى خلق كثير ، و بعث مولاه جوهر القائد فبنى له القاهرة المتاخمة لمصر ، واتخذ له فيها دار الملك ، وهما القصران اللذان هناك ــ اللذان يقال لهما بين القصرين اليوم ــ وذلك فى سنة أربع وستين وثلثمائة كما سيأتى . وممن توفى فيها من الأعيان

﴿ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح ﴾

أبو على الصفار أحد المحدثين ، لقى المبرد واشتهر بصحبته ، وكان مولده فى سنة سبع وأربعين ومائتين ، وسمع الحسن بن عرفة وعباسا الدورى وغيرهما ، و روى عنه جماعة منهم الدار قطنى . وقال صام أربعة وثمانين رمضانا ، وقد كانت وفاته فى هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى

﴿ أحمد بن محمد بن زياد ﴾

ابن يونس بن درهم أبو سعيد بن الأعرابى ، سكن مكة وصار شيخ الحرم ، وصحب الجنيد بن محمد والنورى وغيرهما ، وأسند الحديث وصنف كتبا للصوفية .

﴿ إسماعيل بن القائم ﴾ بن المهدى الملقب بالمنصور العبيدى الذى يزعم أنه فاطمى ، صاحب بلاد المغرب . وهو والد المعز بانى القاهرة ، وهو بانى المنصورية ببلاد المغرب . قال أبو جعفر المروزى : خرجت معه لما كسر أبا يزيد الخارجى ، فبينما أنا أسير معه إذ سقط رمحه فنزلت فناولته إياه وذهبت أفاكهه بقول الشاعر :   فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

فقال : هلا قلت كما قال الله تعالى (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق و بطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) قال فقلت له : أنت ابن بنت رسول الله ﷺ قلت ببعض ما علمت ، وأنا قلت بما بلغ به أكثر علمى . قال ابن خلكان : وهذا كما جرى لعبد الملك ابن مروان حين أمر الحجاج أن يبنى بابا ببيت المقدس و يكتب عليه اسمه ، فبنى له بابا و بنى لنفسه بابا آخر ، فوقعت صاعقة على باب عبد الملك فأحرقته ، فكتب إلى الحجاج بالعراق يسأله عما أهمه من ذلك يقول : ما أنا وأنت إلا كما قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك) فرضى عنه الخليفة بذلك . توفى المنصور فى هذه السنة من برد شديد والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ﴾

فيها دخل سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب إلى بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر آخرين ، وغنم أموالا جزيلة ، ورجع سالما غانماً . وفيها اختلف الحجيج بمكة ووقعت حروب بين أصحاب بن طغج وأصحاب معز الدولة ، فغلبهم العراقيون وخطبوا لمعز الدولة ، ثم بعد انقضاء الحج اختلفوا أيضاً فغلبهم العراقيون أيضاوجرت حروب كثيرة بين الخراسانية والسامانية اقتصاها ابن الأثير فى كامله . وممن توفى فيها من الأعيان

﴿ على بن محمد بن أبى الفهم ﴾

أبو القاسم التنوخى جد القاضى أبى القاسم التنوخى شيخ الخطيب البغدادى ، ولد بانطاكية ، وقدم بغداد فتفقه بها على مذهب أبى حنيفة ، وكان يعرف الكلام على طريقة المعتزلة ، ويعرف النجوم ويقول الشعر ، ولى القضاء بالأهواز وغيرها ، وقد سمع الحديث من البغوى وغيره ، وكان فهما ذكيا حفظ وهو ابن خمس عشر سنة قصيدة دعبل الشاعر فى ليلة واحدة ، وهى ستمائة بيت ، وعرضها على أبيه صبيحتها فقام إليه وضمه وقبل بين عينيه وقال : يا بنى لا تخبر بهذا أحدا لئلا تصيبك العين . وذكر ابن خلكان أنه كان نديما للوزير المهلبى ، ووفد على سيف الدولة بن حمدان فأكرمه وأحسن إليه ، وأورد له من شعره أشياء حسنة فمن ذلك قوله فى الخمر :

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قدح من نهار
هواء ، ولكنه جامد * وماء ، ولكنه جار
كأن المدير له باليمين * ن ، إذا مال للفئ أو بالنهار
تدرع ثوبا من الياسمين * ن له برد كم من الجلنار

﴿ محمد بن إبراهيم ﴾

ابن الحسين بن الحسن بن عبد الخلاق أبو الفرج البغدادى الفقيه الشافعى يعرف بابن سكره سكن مصر وحدث بها وسمع منه أبو الفتح بن مسرور ، وذكر أن فيه لينا .

﴿ محمد بن موسى بن يعقوب ﴾ بن المأمون بن الرشيد هارون أبو بكر ، ولى إمرة مكة فى سنة ثمان وستين ومائتين ، وقدم مصر فحدث بها عن على بن عبد العزيز البغوى بموطأ مالك . وكان ثقة مأمونا توفى بمصر فى ذى الحجة منها .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة ﴾

فيها كانت وقعة بين سيف الدولة بن حمدان وبين الدمستق ، فقتل خلقاً من أصحاب الدمستق وأسر آخرين فى جماعة من رؤساء بطارقته ، وكان فى جملة من قتل قسطنطين بن الدمستق ، وذلك

فى ربيع الأول من هذه السنة ، ثم جمع الدمستق خلقاً كثيراً فالتقوا مع سيف الدولة فى شعبان منها ، فجرت بينهم حروب عظيمة وقتال شديد ، فكانت الدائرة للمسلمين وخذل الله الكافرين ، فقتل منهم خلق كثير ، وأسر جماعة من الرؤساء ، وكان منهم صهر الدمستق وابن بنته أيضا . وفيها حصل للناس أمراض كثيرة وحمى وأوجاع فى الحلق . وفيها مات الأمير الحميد بن نوح بن نصر السامانى صاحب خراسان وما وراء النهر ، وقام بالأمر من بعده ولده عبد الملك .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن أحمد ﴾

أبو على الكاتب المصرى ، صحب أبا على الروذبارى وغيره ، وكان عثمان المغربى يعظم أمره ويقول: أبو على الكاتب من السالكين إلى الله . ومن كلامه الذى حكاه عنه أبو عبدالرحمن السلمى قوله : روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها ، ويظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها ، وتبدو عليهم وإن ستروها . وأنشد :

إذا ما استسرت أنفس الناس ذكره * تبين فيهم وان لم يتكلموا

تطيبهم انفاسهم فتذيعها * وهل سر مسك أودع الريح يكتم ؟

﴿ على بن محمد بن عقبة بن همام ﴾

أبو الحسن الشيبانى الكوفى ، قدم بغداد فحدث بها عن جماعة وروى عنه الدارقطنى . وكان ثقة عدلا كثير التلاوة فقيها ، مكث يشهد على الحكام ثلاثا وسبعين سنة ، مقبولا عندهم ، وأذن فى مسجد حمزة الزيات نيفا وسبعين سنة ، وكذلك أبوه من قبله .

﴿ محمد بن على بن أحمد بن العباس ﴾

الكرخى الأديب ، كان عالما زاهدا ورعا ، يختم القرآن كل يوم ويديم الصيام ، سمع الحديث من عبدان وأقرانه .

﴿ أبو الخير التينانى ﴾

العابد الزاهد ، أصله من العرب ، كان مقيما بقرية يقال لها تينان من عمل إنطاكية ، ويعرف بالأقطع لأنه كان مقطوع اليد ، كان قد عاهد الله عهدا ثم نكثه ، فاتفق له أنه مسك مع جماعة من اللصوص فى الصحراء وهو هناك سائح يتعبد ، فأخذ معهم فقطعت يده معهم ، وكانت له أحوال وكرامات ، وكان ينسج الخوص بيده الواحدة . دخل عليه بعض الناس فشاهد منه ذلك فأخذ منه العهد أن لايخبر به أحدا ما دام حيا ، فوفى له بذلك .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلثمائة ﴾

قال ابن الجوزى : فيها شمل الناس ببغداد وواسط وأصبهان والأهوز داء مركب من دم وصفراء ووباء ، مات بسبب ذلك خلق كثير ، بحيث كان يموت فى كل يوم قريب من ألف نفس ،

وجاء فيها جراد عظيم أكل الخضروات والأشجار والثمار. وفى المحرم منها عقد معز الدولة لابنه أبى منصور بختيار الأمر من بعده بأمرة الأمراء. وفيها خرج رجل من أذربيجان ادعى أنه يعلم الغيب، وكان يحرم اللحم وما يخرج من الحيوانات، فأضافه مرة رجل فجاءه بطعام كشكية بشحم فأكله، فقال له الرجل بحضرة من معه : إنك تدعى أنك تعلم الغيب وهذا طعام فيه شحم وأنت تحرمه فلم لا علمته؟ فتفرق عنه الناس. وفيها جرت حروب كثيرة بين المعز الفاطمى وبين صاحب الأندلس عبد الرحمن الناصر الأموى، استقصاها ابن الأثير.

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ عثمان بن أحمد ﴾

ابن عبد الله بن يزيد أبو عمرو الدقاق، المعروف بابن السماك، روى عن حنبل بن إسحاق وغيره، وعنه الدارقطنى وغيره، وكان ثقة ثبتا، كتب المصنفات الكثيرة بخطه، توفى فى ربيع الأول منها ودفن بمقبرة باب التبن، وحضر جنازته خمسون ألفا.

﴿ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ﴾

أبو جعفر القاضى السمنانى، ولد سنة إحدى وستين ومائتين، وسكن بغداد وحدث بها، وكان ثقة عالما فاضلا سخيا حسن الكلام، عراق المذهب، وكانت داره مجمع العلماء، ثم ولى قضاء الموصل وتوفى بها فى هذه السنة فى ربيع الأول منها.

﴿ محمد بن أحمد بن بطة بن إسحاق الأصبهانى ﴾

أبو عبد الله سكن نيسابور ثم عاد إلى أصبهان. وليس هذا بعبد الله بن بطة العكبرى، هذا متقدم عليه، هذا شيخ الطبرانى وابن بطة الثانى يروى عن الطبرانى، وهذا بضم الباء من بطة، وابن بطة الثانى وهو الفقيه الحنبلى بفتحها. وقد كان جد هذا، وهو ابن بطة بن إسحاق أبو سعيد، من المحدثين أيضاً. ذكره ابن الجوزى فى منتظمه.

﴿ محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج ﴾

أبو النضر الفقيه الطوسى، كان عالما ثقة عابدا. يصوم النهار ويقوم الليل، ويتصدق بالفاضل من قوته، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقد رحل فى طلب الحديث إلى الأقاليم النائية والبلدان المتباعدة، وكان قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء، فثلث للنوم، وثلث للتصنيف، وثلث للقراءة. وقد رآه بعضهم فى النوم بعد وفاته فقال له : وصلت إلى ما طلبت؟ فقال : إى والله نحن عند رسول الله ﷺ وقد عرضت مصنفاتى فى الحديث عليه فقبلها.

﴿ أبو بكر بن الحداد ﴾

الفقيه الشافعى، هو محمد بن أحمد بن محمد أبو بكر بن الحداد أحد أئمة الشافعية، روى عن

النسائي ، وقال : رضيت به حجة بيني و بين الله عز وجل . وقد كان ابن الحداد فقيها فروعياً ، ومحدثا ونحويا وفصيحاً فى العبارة دقيق النظر فى الفروع ، له كتاب فى ذلك غريب الشكل ، وقد ولى القضاء بمصر نيابة عن أبى عبيد بن حربويه . ذكرناه فى طبقات الشافعية .

﴿ أبو يعقوب الأذرعى ﴾

إسحاق بن إبراهيم بن هاشم بن يعقوب النهدى ، قال ابن عساكر : من أهل أذرعات ـ مدينة بالبلقاء ـ أحد الثقات من عباد الله الصالحين . رحل وحدث عنه جماعة من أجل أهل دمشق وعبادها وعلمائها ، وقد روى عنه ابن عساكر أشياء تدل على صلاحه وخرق العادة له ، فمن ذلك قال : إنى سألت الله أن يقبض بصرى فعميت ، فلما استضررت بالطهارة سألت الله عوده فرده على. توفى بدمشق فى هذه السنة ـ سنة أربع وخمسين ـ وصححه ابن عساكر وقد نيف على التسعين .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلثمائة ﴾

وفيها عصى الروزبهان على معز الدولة وانحاز إلى الأهواز ولحق به عامة من كان مع المهلبى الذى كان يحارب به ، فلما بلغ ذلك معز الدولة لم يصدقه لأنه كان قد أحسن إليه ورفع من قدره بعد الضعة والخمول ، ثم تبين له أن ذلك حق ، فخرج لقتاله وتبعه الخليفة المطيع لله خوفا من ناصر الدولة بن حمدان فانه قد بلغه أنه جهز جيشا مع ولده أبى المرجا جابر إلى بغداد ليأخذها ، فأرسل معز الدولة حاجبه سبكتكين إلى بغداد ، وصمد معز الدولة إلى الروزبهان فاقتتلوا قتالا شديداً ، وهزمه معز الدولة وفرق أصحابه وأخذه أسيراً إلى بغداد فسجنه ، ثم أخرجه ليلا وغرقه ، لأن الديلم أرادوا إخراجه من السجن قهرا . وانطوى ذكر روزبهان وإخوته ، وكان قد اشتعل اشتعال النار . وحظيت الأتراك عند معز الدولة وانحطت رتبة الديلم عنده ، لأنه ظهر له خيانتهم فى أمر الروزبهان وإخوته .

وفيها دخل سيف الدولة إلى بلاد الروم فقتل وسبى ورجع إلى حلب ، فحميت الروم فجمعوا وأقبلوا إلى ميافارقين فقتلوا وسبوا وحرقوا ورجعوا ، وركبوا فى البحر إلى طرسوس فقتلوا من أهلها ألفا وثمانمائة ، وسبوا وحرقوا قرى كثيرة . وفيها زلزلت همذان زلزالا شديدا تهدمت البيوت وانشق قصر شيرين بصاعقة ، ومات تحت الهدم خلق كثير لا يحصون كثرة ، ووقعت فتنة عظيمة بين أهل أصبهان وأهل قم بسبب سب الصحابة من أهل قم ، فثاروا عليهم أهل أصبهان وقتلوا منهم خلقا كثيراً ، ونهبوا أموال التجار ، فغضب ركن الدولة لأهل قم ، لأنه كان شيعياً ، فصادر أهل أصبهان بأموال كثيرة .

وفيها توفى من الأعيان

﴿ غلام ثعلب ﴾

محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم أبو عمر الزاهد غلام ثعلب ، روى عن الكديمى وموسى بن

سهل الوشاء وغيرهما ، روى عنه جماعة ، وآخر من حدث عنه أبو على بن شاذان وكان كثير العلم والزهد حافظا مطيقا يملى من حفظه شيئا كثيراً ، ضابطا لما يحفظه . ولكثرة إغرابه اتهمه بعض الرواة ورماه بالكذب ، وقد اتفق له مع القاضى أبى عمر حكاية — وكان يؤدب ولده — فانه أملى من حفظه ثلاثين مسألة بشواهدها وأدلتها من لغة العرب ، واستشهد على بعضها ببيتين غريبين جدا ، فعرضهما القاضى أبو عمر على ابن دريد وابن الأنبارى وابن مقسم ، فلم يعرفوا منهما شيئا . حتى قال ابن دريد : هذا ما وضعه أبو عمرو من عنده ، فلما جاء أبو عمر و ذكر له القاضى ما قال ابن دريد عنه ، فطلب أبو عمرو أن يحضر له من كتبه دواوين العرب . فلم يزل أبو عمرو يعمد إلى كل مسألة و يأتيه بشاهد بعد شاهد حتى خرج من الثلاثين مسألة ثم قال : وأما البيتان فان ثعلبا أنشدناهما وأنت حاضر فكتبتهما فى دفترك الفلانى ، فطلب القاضى دفتره فاذا هما فيه ، فلما بلغ ذلك ابن دريد كف لسانه عن أبى عمرو الزاهد فلم يذكره حتى مات . توفى أبو عمرو هذا يوم الأحد ودفن يوم الاثنين الثالث عشر من ذى القعدة ، ودفن فى الصفة المقابلة لقبر معروف الكرخى ببغداد رحمه الله .

﴿ محمد بن على بن أحمد بن رستم ﴾

أبو بكر المادرائى الكاتب ، ولد فى سنة خمس وخمسين ومائتين بالعراق ، ثم صار إلى مصر هو وأخوه أحمد مع أبيهما ، وكان على الخراج لخمارويه بن أحمد بن طولون ، ثم صار هذا الرجل من رؤساء الناس وأكابرهم ، سمع الحديث من أحمد بن عبد الجبار وطبقته . وقد روى الخطيب عنه أنه قال كان ببابى شيخ كبير من الكتاب قد تعطل عن وظيفته ، فرأيت والدى فى المنام وهو يقول : يا بنى أما تتقى الله ؟ أنت مشغول بلذاتك والناس ببابك يهلكون من العرى والجوع ، هذا فلان قد تقطع سراويله ولا يقدر على إبداله ، فلا تهمل أمره . فاستيقظت مذعوراً وأنا ناوله الاحسان ، ثم نمت فأنسيت المنام ، فبينا أنا أسير إلى دار الملك ، فاذا بذلك الرجل الذى ذكره على دابة ضعيفة ، فلما رآنى أراد أن يترجل لى فبدالى فخذه وقد لبس الخف بلا سراويل ، فلما رأيت ذلك ذكرت المنام فاستدعيت به وأطلقت له ألف دينار وثياب ، ورتبت له على وظيفته مائتى دينار كل شهر ، ووعدته بخير فى الآجل أيضا

﴿ أحمد بن محمد بن إسماعيل ﴾

ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، الشريف الحسنى الرسى — قبيلة من الأشراف — أبو القاسم المصرى الشاعر — كان نقيب الطالبيين بمصر ومن شعره قوله :

قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ، ولا تنقص ولا تزد
فقلت : أبصرته لومات من ظمأ * وقال : قف لا ترد الماء لم يرد

قالت : صدقت ، وفاء الحب عادته * يابرد ذاك الذى قالت على كبدى

توفى ليلة الثلاثاء لخمس بقين من هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلثمائة ﴾

فيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وأهل السنة بسبب السب ، فقتل من الفريقين خلق كثير . وفيها نقص البحر الملح ثمانين ذراعا . و يقال باعا . فبدت به جبال وجزائر وأماكن لم تكن ترى قبل ذلك . وفيها كان بالعراق و بلاد الرى والجبل وقم ونحوها زلازل كثيرة مستمرة نحو أربعين يوماً ، تسكن ثم تعود ، فتهدمت بسبب ذلك أبنية كثيرة وغارت مياه كثيرة ، ومات خلق كثير . وفيها تجهز معز الدولة بن بويه لقتال ناصر الدولة بن حمدان بالموصل ، فراسله ناصر الدولة والتزم له بأموال يحملها إليه كل سنة ، فسكت عنه ، ثم إنه مع ما اشترط على نفسه لم يرجع عنه معز الدولة ، بل قصده فى السنة الآتية كما سيأتى بيانه . وفى تشرين منها كثرت فى الناس أورام فى حلوقهم ومناخرهم ، وكثر فيهم موت الفجأة ، حتى إن لصاً نقب داراً ليدخلها فمات وهو فى النقب . ولبس القاضى خلعة القضاء ليخرج للحكم فلبس إحدى خفيه فمات قبل أن يلبس الأخرى .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن عبد الله بن الحسين ﴾

أبو هريرة العذرى ، المستملى على المشايخ ، كتب عن أبى مسلم الكجى وغيره ، وكان ثقة توفى فى ربيع الأول منها ﴿ الحسن بن خلف بن شاذان ﴾

أبو على الواسطى روى عن إسحاق الأزرق و يزيد بن هارون وغيرهما ، وروى عنه البخارى فى صحيحه . توفى فى هذه السنة . هكذا رأيت ابن الجوزى ذكر هذه الترجمة فى هذه السنة فى منتظمه والله أعلم ﴿ أبو العباس الأصم ﴾

محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان بن عبد الله الأموى مولاهم أبو العباس الأصم مولده فى سنة سبع وأربعين ومائتين ، رأى الذهلى ولم يسمع منه ، ورحل به أبوه إلى أصبهان ومكة ومصر والشام والجزيرة و بغداد وغيرها من البلاد ، فسمع الكثير بها عن الجم الغفير ، ثم رجع إلى خراسان وهو ابن ثلاثين سنة ، وقد صار محدثا كبيراً ، ثم طرأ عليه الصمم فاستحكم حتى كان لا يسمع نهيق الحمار ، وكان مؤذنا فى مسجده ثلاثين سنة ، وحدث ستا وسبعين سنة ، فألحق الأحفاد بالأجداد وكان ثقة صادقا ضابطا لما سمعه و يسمعه ، كف بصره قبل موته بشهر ، وكان يحدث من حفظه بأربع عشر حديثا ، وسبع حكايات ومات وقد بقى له سنة من المائة .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلثمائة ﴾

فيها كانت زلزلة ببغداد فى شهر نيسان و فى غيرها من البلاد الشرقية فمات بسببها خلق كثير ،

وخربت دور كثيرة ، وظهر فى آخر نيسان وشهر إيار جراد كثير أتلف الغلات الصيفية والثمار . ودخلت الروم آمد، وميا فارقين ، فقتلوا ألفا وخمسمائة إنسان ، وأخذوا مدينة سمساط وأخربوها . وفى المحرم منها ركب معز الدولة إلى الموصل فأخذها من يد ناصر الدولة ، وهرب ناصر الدولة إلى نصيبين ، ثم إلى ميا فارقين ، فلحقه معز الدولة فصار إلى حلب إلى عند أخيه سيف الدولة ، ثم أرسل سيف الدولة إلى معز الدولة فى المصالحة بينه و بين أخيه ، فوقع الصلح على أن يحمل ناصر الدولة فى كل سنة ألفى ألف وتسعمائة ألف ، ورجع معز الدولة إلى بغداد بعد انعقاد الصلح ، وقد امتلأت البلاد رفضا وسبا للصحابة من بنى بويه وبنى حمدان والفاطميين ، وكل ملوك البلاد مصراً وشاماً وعراقا وخراسان وغير ذلك من البلاد ، كانوا رفضا ، وكذلك الحجاز وغيره ، وغالب بلاد المغرب ، فكثر السب والتكفير منهم للصحابة .

وفيها بعث المعز الفاطمى مولاه أبا الحسن جوهر القائد فى جيوش معه ومعه زيرى بن هناد الصنهاجى ففتحوا بلادا كثيرة من أقصى بلاد المغرب ، حتى انتهوا إلى البحر المحيط ، فأمر جوهر بأن يصطاد له منه سمك ، فأرسل به فى قلال الماء إلى المعز الفاطمى ، وحظى عنده جوهر وعظم شأنه حتى صار بمنزلة الوزير .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ الزبير بن عبد الرحمن ﴾

ابن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم . أبو عبد الله الاستراباذى ، رحل وسمع الحديث وطوف الأقاليم ، سمع الحسن بن سفيان وابن خزيمة وأبا يعلى وخلقا ، وكان حافظا متقنا صدوقا ، صنف الشروح والأبواب . ﴿ أبو سعيد بن يونس ﴾

صاحب تاريخ مصر . هو عبد الرحمن بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى المؤرخ ، كان حافظا مكثرا خبيراً بأيام الناس وتواريخهم ، له تاريخ مفيد جداً لأهل مصر ومن ورد إليها . وله ولد يقال له أبو الحسن على ، كان منجما له زيج مفيد يرجع إليه أصحاب هذا الفن ، كما يرجع أصحاب الحديث إلى أقوال أبيه وما يؤرخه وينقله ويحكيه ، ولد الصدفى سنة إحدى وثمانين ومائتين وتوفى فى هذه السنة يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الآخرة فى القاهرة .

﴿ ابن درستويه النحوى ﴾

عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان أبو محمد الفارسى النحوى ، سكن بغداد وسمع عباسا الدورى وابن قتيبة والمبرد ، وسمع منه الدارقطنى وغيره من الحفاظ ، وأثنى عليه غير واحد، منهم أبو عبد الله بن منده ، توفى فى صفر منها ، وذكر له ابن خلكان مصنفات كثيرة مفيدة ، فيما يتعلق باللغة والنحو وغيره . ﴿ محمد بن الحسن ﴾

ابن عبد الله بن على بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب ، أبو الحسن القرشى الأموى قاضى

بغداد ، كان حسن الأخلاق طلابة للحديث ، ومع هذا كان ينسب إلى أخذ الرشوة فى الأحكام والولايات رحمه الله .

﴿ محمد بن على ﴾

أبو عبد الله الهاشمى الخاطب الدمشقى . وأظنه الذى تنسب إليه حارة الخاطب من نواحى باب الصغير ، كان خطيب دمشق فى أيام الأخشيد ، وكان شابا حسن الوجه مليح الشكل ، كامل الخلق . توفى يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير لا يحصون كثرة ، هكذا أرخه ابن عساكر ، ودفن بباب الصغير .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ﴾

فيها كانت فتنة بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير ، ووقع حريق بباب الطاق ، وغرق فى دجلة خلق كثير من حجاج الموصل ، نحو من ستمائة نفس . وفيها دخلت الروم طرسوس والرها وقتلوا وسبوا ، وأخذوا الأموال ورجعوا . وفيها قلت الأمطار وغلت الأسعار واستسقى الناس فلم يسقوا ، وظهر جراد عظيم فى أذار فأكل ما نبت من الخضراوات ، فاشتد الأمر جدا على الخلق فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن . وفيها عاد معز الدولة إلى بغداد من الموصل وزوج ابنته من ابن أخيه مؤيد الدولة بن معز الدولة ، وسيرها معه إلى بغداد .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ إبراهيم بن شيبان القرميسينى ﴾

شيخ الصوفية بالجبل ، صحب أبا عبد الله المغربى . ومن جيد كلامه قوله : إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه ، وطرد عنه الرغبة فى الدنيا .

﴿ أبو بكر النجاد ﴾

أحمد بن سلمان بن الحسن بن إسرائيل بن يونس ، أبو بكر النجاد الفقيه ، أحد أئمة الحنابلة ولد سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، سمع عبد الله بن أحمد وأباداود ، والباغندى وابن أبى الدنيا وخلقا كثيراً ، وكان يطلب الحديث ماشياً حافياً ، وقد جمع المسند وصنف فى السنن كتابا كبيرا ، وكان له بجامع المنصور حلقتان ، واحدة للفقه وأخرى لاملاء الحديث ، وحدث عنه الدارقطنى وابن رزقويه وابن شاهين وأبو بكر بن مالك القطيعى وغيرهم ، وكان يصوم الدهر ويفطر كل ليلة على رغيف ويعزل منه لقمة ، فاذا كانت ليلة الجمعة أكل اللقم وتصدق بالرغيف صحيحا . توفى ليلة الجمعة لعشرين من ذى الحجة عن خمس وتسعين سنة ودفن قريباً من قبر بشر الحافى رحمه الله .

﴿ جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم ﴾

أبو محمد الخواص المعروف بالخلدى ، سمع الكثير وحدث كثيراً ، وحج ستين حجة ، وكان ثقة صدوقا دينا .

﴿ محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد ﴾

أبو عمر الزجاج النيسابورى ، صحب أبا عثمان والجنيد والنورى والخواص وغيرهم ، وأقام بمكة وكان شيخ الصوفية بها ، وحج ستين حجة ، ويقال إنه مكث أربعين سنة لم يتغوط ولم يبل إلا خارج الحرم بمكة

﴿ محمد بن جعفر بن محمد بن فضالة ﴾

ابن يزيد بن عبد الملك أبو بكر الأدمى ، صاحب الألحان ، كان حسن الصوت بتلاوة القرآن وربما سمع صوته من بعد فى الليل ، وحج مرة مع أبى القاسم البغوى ، فلما كانوا بالمدينة دخلوا المسجد النبوى فوجدوا شيخا أعمى يقص على الناس أخباراً موضوعة مكذوبة ، فقال البغوى : ينبغى الانكار عليه ، فقال له بعض أصحابه : إنك لست ببغداد يعرفك الناس إذا أنكرت عليه ، ومن يعرفك هنا قليل والجمع كثير ، ولكن نرى أن تأمر أبا بكر الأدمى فيقرأ ، فأمره فاستفتح فقرأ فلم يتم الاستعاذة حتى انجفل الناس عن ذلك الأعمى وتركوه وجاؤا إلى أبى بكر ولم يبق عند الضرير أحد ، فأخذ الأعمى بيد قائده وقال له : اذهب بنا فهكذا تزول النعم . توفى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثمان وثمانين سنة ، وقد رآه بعضهم فى المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : وقفنى بين يديه وقاسيت شدائد وأهوالا . فقلت له : فتلك القراءة الحسنة وذلك الصوت الحسن وتلك المواقف ؟ فقال : ما كان شئ أضر على من ذلك ، لأنها كانت للدنيا . فقلت : إلى أى شئ انتهى أمرك ؟ فقال : قال الله عز وجل آليت على نفسى أن لا أعذب أبناء الثمانين .

﴿ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن على ﴾

ابن الحسن بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى المصرى ، كان من ساداتها وكبرائها ، لا تزال الحلاوى تعقد بداره ، ولا يزال رجل يكسر اللوز بسببها ، وللناس عليه رواتب من الحلاوى ، فمنهم من يهدى إليه كل يوم ، ومنهم فى الجمعة ، ومنهم فى الشهر . وكان لكافور الأخشيد عليه فى كل يوم جامان ورغيف من الحلاوى ، ولما قدم المعز الفاطمى إلى القاهرة وتلقاه سأله : إلى من ينتسب مولانا من أهل البيت ؟ فقال : الجواب إلى أهل البلد ، فلما دخل القصر جمع الأشراف وسل نصف سيفه وقال هذا نسبى ، ثم نثر عليهم الذهب وقال : هذا حسبى . فقالوا : سمعنا وأطعنا . والصحيح أن القائل للمعز هذا الكلام ابن هذا[1] أو شريف آخر فالله أعلم . فان وفاة هذا كانت فى هذا العام عن ثنتين وستين سنة ، والمعز إنما قدم مصر فى سنة ثنتين وستين وثلثمائة كما سيأتى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلثمائة ﴾

فيها ظهر رجل بأذربيجان من أولاد عيسى بن المكتفى بالله فلقب بالمستجير بالله ودعا إلى الرضا

(١) كذا بالأصل . وليحرر .

من آل محمد ، وذلك لفساد دولة المرزبان فى ذلك الزمان ، فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم أصحاب المستجير وأخذ أسيراً فمات ، واضمحل أمره . وفيها دخل سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم فقتل من أهلها خلقا كثيرا ، وفتح حصونا وأحرق بلدانا كثيرة ، وسبى وغنم وكر راجعا ، فأخذت الروم عليه فمنعوه من الرجوع ووضعوا السيف فى أصحابه فما نجا هو فى ثلاثمائة فارس إلا بعد جهد جهيد . وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة قتل فيها خلق كثير ، وفى آخرها توفى أنوجور بن الاخشيد صاحب مصر ، فأقام بالأمر بعده أخوه على . وفيها مات أبو القاسم عبد الله بن أبى عبد الله البريدى الذى كان صاحب الأهواز وواسط . وفيها رجع حجيج مصر من مكة فنزلوا واديا فجاءهم سيل فأخذهم فألقاهم فى البحر عن آخرهم . وفيها أسلم من الترك مائتا ألف خركاه فسموا ترك إيمان ، ثم خفف اللفظ بذلك ، فقيل تركمان :

ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ جعفر بن حرب الكاتب ﴾

كانت له نعمة وثروة عظيمة تقارب أبهة الوزارة ، فاجتاز يوما وهو راكب فى موكب له عظيم ، فسمع رجلا يقرأ (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فصاح : اللهم بلى ، وكررها دفعات ثم بكى ثم نزل عن دابته ونزع ثيابه وطرحها ودخل دجلة فاستتر بالماء ولم يخرج منه حتى فرق جميع أمواله فى المظالم التى كانت عليه ، وردها إلى أهلها ، وتصدق بالباقى ولم يبق له شئ بالكلية ، فاجتاز به رجل فتصدق عليه بثوبين فلبسهما وخرج فانقطع إلى العلم والعبادة حتى مات رحمه الله :

﴿ أبو على الحافظ ﴾

ابن على بن يزيد بن داود أبو على الحافظ النيسابورى ، أحد أئمة الحفاظ المتقنين المصنفين . قال الدارقطنى : كان إماماً مهذبا ، وكان ابن عقدة لا يتواضع لأحد كتواضعه له . توفى فى جمادى الآخرة عن اثنتين وخمسين سنة .

﴿ حسان بن محمد بن أحمد بن مروان ﴾

أبو الوليد القرشى الشافعى إمام أهل الحديث بخراسان فى زمانه ، وأزهدهم وأعبدهم ، أخذ الفقه عن ابن سريج وسمع الحديث من الحسن بن سفيان وغيره ، وله التصانيف المفيدة ، وقد ذكرنا ترجمته فى الشافعيين . كانت وفاته ليلة الجمعة لخمس مضين من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ثنتين وسبعين سنة .

﴿ حَمْدُ بن إبراهيم بن الخطاب ﴾

أبو سليمان الخطابى ، سمع الكثير وصنف التصانيف الحسان ، منها المعالم شرح فيها سنن أبى داود ، والأعلام شرح فيه البخارى ، وغريب الحديث . وله فهم مليح وعلم غزير ومعرفة باللغة والمعانى والفقه . ومن أشعاره قوله :

ما دمت حيا فدار الناس كلهم * فانما أنت فى دار المداراة
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات

هكذا ترجمه أبو الفرج ابن الجوزى حرفا بحرف .

﴿ عبد الواحد بن عمر بن محمد ﴾

ابن أبى هاشم . كان من أعلم الناس بحروف القراءات ، وله فى ذلك مصنفات ، وكان من الأمناء الثقات ، روى عن ابن مجاهد وأبى بكر بن أبى داود ، وعنه أبو الحسن الحمانى ، توفى فى شوال منها ، ودفن بمقبرة الخيزران .

﴿ أبو أحمد العسال ﴾

الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد أبو أحمد العسال الأصبهانى أحد الأئمة الحفاظ وأكابر العلماء ، سمع الحديث وحدث به ، قال ابن منده : كتبت عن ألف شيخ لم أر أفهم ولا أتقن من أبى أحمد العسال . توفى فى رمضان منها رحمه الله . والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمسين وثلثمائة ﴾

فى المحرم منها مرض معز الدولة بن بويه بانحصار البول فقلق من ذلك وجمع بين صاحبه سبكتكين ووزيره المهلبى ، وأصلح بينهما ووصاهما بولده بختيار خيراً ، ثم عوفى من ذلك فعزم على الرحيل إلى الأهواز لاعتقاده أن ما أصابه من هذه العلة بسبب هواء بغداد ومائها ، فأشاروا عليه بالمقام بها ، وأن يبنى بها داراً فى أعلاها حيث الهواء أرق والماء أصفى ، فبنى له داراً غرم عليه ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، فاحتاج لذلك أن يصادر بعض أصحابه ، ويقال أنفق عليها ألفى ألف دينار ، ومات وهو يبنى فيها ولم يسكنها ، وقد خرب أشياء كثيرة من معالم الخلفاء ببغداد فى بنائها ، وكان مما خرب المعشوق من سر من رأى ، وقلع الأبواب الحديد التى على مدينة المنصور والرصافة وقصورها ، وحولها إلى داره هذه ، لا تمت فرحته بها ، فانه كان رافضياً خبيثا .

وفيها مات القاضى أبو السائب عتبة بن عبد الله وقبضت أملاكه ، وولى بعده القضاء أبو عبد الله الحسين بن أبى الشوارب ، وضمن أن يؤدى فى كل سنة إلى معز الدولة مائتى ألف درهم ، فخلع عليه معز الدولة وسار ومعه الدبابات والبوقات إلى منزله ، وهو أول من ضمن القضاء ورشى عليه والله أعلم . ولم يأذن له الخليفة المطيع لله فى الحضور عنده ولا فى حضور الموكب من أجل ذلك غضبا عليه ، ثم ضمن معز الدولة الشرطة وضمن الحسبة أيضا .

وفيها سار قفل من أنطاكية يريدون طرسوس ، وفيهم نائب أنطاكية ، فثار عليهم الفرنج فأخذوهم عن بكرة أبيهم ، فلم يفلت منهم سوى النائب جريحا فى مواضع من بدنه . وفيها دخل نجا غلام سيف الدولة بلاد الروم فقتل وسبى وغنم ورجع سالما .

وفيها توفى الأمير . ﴿ نوح بن عبد الملك الساماني ﴾

صاحب خراسان وغزنة وما وراء النهر ، سقط عن فرسه فمات ، فقام بالأمر من بعده أخوه منصور بن نوح الساماني .

وفيها توفى . ﴿ الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموى ﴾

صاحب الأندلس ، وكانت خلافته خمسين سنة وستة أشهر ، وله من العمر يوم مات ثلاث وسبعون سنة ، وترك أحد عشر ولدا ، كان أبيض حسن الوجه عظيم الجسم طويل الظهر قصير الساقين ، وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من أولاد الأمويين الداخلين إلى المغرب ، وذلك حين بلغه ضعف الخلفاء بالعراق ، وتغلب الفاطميين ، فتلقب قبل موته بثلاث وعشرين سنة . ولما توفى قام بالأمر من بعده ولده الحكم وتلقب بالمنتصر ، وكان الناصر شافعي المذهب ناسكا شاعرا ، ولا يعرف في الخلفاء أطول مدة منه ، فانه أقام خليفة خمسين سنة ، إلاالفاطمى المستنصر بن الحاكم الفاطمى صاحب مصر ، فانه مكث ستين سنة كما سيأتى ذلك . وممن توفى فيها من الأعيان :

﴿ أبو سهل بن زياد القطان ﴾

أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد أبوسهل القطان . كان ثقة حافظا كثير التلاوة للقرآن ، حسن الانتزاع للمعانى من القرآن ، فمن ذلك أنه استدل على تكفير المعتزلة بقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزاً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) . ﴿ إسماعيل بن على بن إسماعيل بن بيان أبو محمد الخطبى ﴾ سمع الحديث من ابن أبى أسامة وعبد الله بن أحمد والكوكبي وغيرهم ، وعنه الدارقطنى وغيره ، وكان ثقة حافظا فاضلا نبيلا عارفا بأيام الناس ، وله تاريخ مرتب على السنين ، وكان أديباً لبيبا عاقلا صدوقا ، توفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة ، عن إحدى وثمانين سنة .

﴿ أحمد بن محمد بن سعيد ﴾

ابن عبيد الله بن أحمد بن سعيد بن أبى مريم أبو بكر القرشى الوراق ، ويعرف بابن فطيس ، وكان حسن الكتابة مشهوراً بها ، وكان يكتب الحديث لابن جوصا ، ترجمه ابن عساكر وأرخ وفاته بثانى شوال من هذه السنة . ﴿ تمام بن محمد بن عباس ﴾

ابن عبد المطلب أبو بكر الهاشمى العباسى ، حدث عن عبد الله بن أحمد وعنه ابن رزقويه توفى فى هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة .

﴿ الحسين بن القاسم ﴾

أبو على الطبرى الفقيه الشافعى ، أحد الأئمة المحررين فى الخلاف ، وهو أول من صنف فيه ،

وله الايضاح فى المنهب ، وكتاب فى الجدل ، وفى أصول الفقه وغير ذلك من المصنفات ، وقد ذكرناه فى الطبقات .

﴿ عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم ﴾

ابن عيسى بن جعفر بن أبى جعفر المنصور الهاشمى الامام ، ويعرف بابن بويه ، ولد سنة ثلاث وستين ومائتين ، روى عن ابن أبى الدنيا وغيره ، وعنه ابن رزقويه ، وكان خطيباً بجامع المنصور مدة طويلة ، وقد خطب فيه سنة ثلاثين وثلثمائة وقبلها تمام سنة ، ثم خطب فيه الواثق سنة ثلاثين ومائتين وهما فى النسب إلى المنصور سواء . توفى فى صفر منها .

﴿ عتبة بن عبد الله ﴾ بن موسى بن عبد الله أبو السائب القاضى الهمذانى الشافعى ، كان فاضلا بارعا ، ولى القضاء ، وكان فيه تخليط فى الأمور ، وقد رآه بعضهم بعد موته فقال : مافعل الله بك ؟ قال : غفر لى وأمر بى إلى الجنة على ماكان منى من التخليط ، وقال لى : إنى كتبت على نفسى أن لا أعذب أبناء الثمانين . وهذا الرجل أول من ولى قضاء القضاة ببغداد من الشافعية والله أعلم .

﴿ محمد بن أحمد بن حيان ﴾ أبو بكر الدهقان ، بغدادى ، سكن بخارى وحدث بها عن يحيى بن أبى طالب ، والحسن بن مكرم وغيرهما ، وتوفى عن سبع وثمانين سنة .

﴿ أبو على الخازن ﴾ توفى فى شعبان منها فوجد فى داره من الدفائن وعند الناس من الودائع ما يقارب أربعمائة ألف دينار . والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ﴾

فيها كان دخول الروم إلى حلب صحبة الدمستق ملك الروم لعنه الله ، فى مائتى ألف مقاتل ، وكان سبب ذلك أنه ورد إليها بغتة فنهض إليه سيف الدولة بن حمدان بمن حضر عنده من المقاتلة ، فلم يقو به لكثرة جنوده ، وقتل من أصحاب سيف الدولة خلقا كثيراً ، وكان سيف الدولة قليل الصبر ففر منهزماً فى نفر يسير من أصحابه ، فأول ما استفتح به الدمستق قبحه الله أن استحوذ على دار سيف الدولة ، وكانت ظاهر حلب ، فأخذ مافيها من الأموال العظيمة والحواصل الكثيرة ، والعدد وآلات الحرب ، أخذ من ذلك ما لا يحصى كثرة ، وأخذ مافيها من النساء والولدان وغيرهم ، ثم حاصر سور حلب فقاتل أهل البلد دونه قتالا عظيما ، وقتلوا خلقا كثيرا من الروم ، وثلمت الروم بسور حلب ثلمة عظيمة ، فوقف فيها الروم فحمل المسلمون عليهم فأزاحوهم عنها ، فلما جن الليل جد المسلمون فى إعادتها فما أصبح الصباح إلا وهى كما كانت ، وحفظوا السور حفظا عظيما ، ثم بلغ المسلمون أن الشرط والبلاحية قد عاثوا فى داخل البلد ينهبون البيوت ، فرجع الناس إلى منازلهم يمنعونها منهم قبحهم الله ، فانهم أهل شر وفساد ، فلما فعلوا ذلك غلبت الروم على السور فعلوه ودخلوا البلد يقتلون من لقوه ، فقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا وانتهبوا الأموال وأخذوا الاولاد والنساء . وخلصوا من كان

بأيدى المسلمين من أسارى الروم ، وكانوا ألفا وأربعمائة ، فأخذ الأسارى السيوف وقاتلوا المسلمين ، وكانوا أضر على المسلمين من قومهم ، وأسروا نحواً من بضعة عشر ألفا ما بين صبى وصبية ، ومن النساء شيئا كثيراً ، ومن الرجال الشباب ألفين ، وخربوا المساجد وأحرقوها ، وصبوا فى جباب الزيت الماء حتى فاض الزيت على وجه الأرض ، وأهلكوا كل شئ قدروا عليه ، وكل شئ لا يقدرون على حمله أحرقوه ، وأقاموا فى البلد تسعة أيام يفعلون فيها الأفاعيل الفاسدة العظيمة ، كل ذلك بسبب فعل البلاحية والشرط فى البلد قاتلهم الله . وكذلك حاكمهم ابن حمدان كان رافضياً يحب الشيعة ويبغض أهل السنة ، فاجتمع على أهل حلب عدة مصائب ، ثم عزم الدمستق على الرحيل عنهم خوفا من سيف الدولة ، فقال له ابن أخيه : أين تنهب وتدع القلعة وأموال الناس غالبها فيها ونساؤهم ؟ فقال له الدمستق : إنا قد بلغنا فوق ما كنا نأمل ، وإن بها مقاتلة ورجالا غزاة ، فقال له لابد لنا منها ، فقال له : اذهب إليها ، فصعد إليها فى جيش ليحاصرها فرموه بحجر فقتلوه فى الساعة الراهنة من بين الجيش كله ، فغضب عند ذلك الدمستق وأمر باحضار من فى يديه من أسارى المسلمين ، وكانوا قريبا من ألفين ، فضربت أعناقهم بين يديه لعنه الله ، ثم كر راجعا . وقد دخلوا عين زربة قبل ذلك فى المحرم من هذه السنة ، فاستأمنه أهلها فأمنهم وأمر بأن يدخلوا كلهم المسجد ومن بقى فى منزله قتل ، فصاروا إلى المسجد كلهم ثم قال : لا يبقين أحد من أهلها اليوم إلا ذهب حيث شاء ، ومن تأخر قتل ، فازدحموا فى خروجهم من المسجد فمات كثير منهم ، وخرجوا على وجوههم لايدرون أين يذهبون ، فمات فى الطرقات منهم خلق كثير . ثم هدم الجامع وكسر المنبر وقطع من حول البلد أربعين ألف نخلة ، وهدم سور البلد والمنازل المشار إليها ، وفتح حولها أربعة وخمسين حصنا بعضها بالسيف وبعضها بالأمان ، وقتل الملعون خلقا كثيرا ، وكان فى جملة من أسر أبو فراس بن سعيد بن حمدان نائب منبج من جهة سيف الدولة ، وكان شاعرا مطيقا ، له ديوان شعر حسن ، وكان مدة مقامه بعين زربة إحدى وعشرين يوما ، ثم سار إلى قيسرية فلقيه أربعة آلاف من أهل طرسوس مع نائبها ابن الزيات ، فقتل أكثرهم وأدركه صوم النصارى فاشتغل به حتى فرغ منه ، ثم هجم على حلب بغتة ، وكان من أمره ما ذكرناه . وفيها كتبت العامة من الروافض على أبواب المساجد لعنة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، وكتبوا أيضاً : ولعن الله من غصب فاطمة حقها ، وكانوا يلعنون أبا بكر ومن أخرج العباس من الشورى ، يعنون عمر ، ومن نفى أباذر - يعنون عثمان - رضى الله عن الصحابة ، وعلى من لعنهم لعنة الله ، ولعنوا من منع من دفن الحسن عند جده يعنون مروان بن الحكم ، ولما بلغ ذلك جميعه معز الدولة لم ينكره ولم يغيره ، ثم بلغه أن أهل السنة محوا ذلك وكتبوا عوضه لعن الله الظالمين لآل محمد من الأولين والآخرين ، والتصريح

باسم معاوية فى اللعن ، فأمر بكتب ذلك ، قبحه الله وقبح شيعته من الروافض ، لا جرم أن هؤلاء لا ينصرون ، وكذلك سيف الدولة بن حمدان بحلب فيه تشيع وميل إلى الروافض ، لاجرم أن الله لا ينصر أمثال هؤلاء ، بل يديل عليهم أعداءهم لمتابعتهم أهواءهم ، وتقليدهم سادتهم وكبراءهم وآباءهم وتركهم أنبياءهم وعلماءهم ، ولهذا لما ملك الفاطميون بلاد مصر والشام ، وكان فيهم الرفض وغيره ، استحوذ الفرنج على سواحل الشام و بلاد الشام كلها ، حتى بيت المقدس، ولم يبق مع المسلمين سوى حلب وحمص وحماة ودمشق و بعض أعمالها ، وجميع السواحل وغيرها مع الفرنج ، والنواقيس النصرانية والطقوص الانجيلية تضرب فى شواهق الحصون والقلاع ، وتكفر فى أماكن الايمان من المساجد وغيرها من شريف البقاع ، والناس معهم فى حصر عظيم ، وضيق من الدين ، وأهل هذه المدن التى فى يد المسلمين فى خوف شديد فى ليلهم ونهارهم من الفرنج ، فانا لله و إنا إليه راجعون. وكل ذلك من بعض عقوبات المعاصى والذنوب ، و إظهار سب خير الخلق بعد الأنبياء .

وفيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل البصرة بسبب السب أيضاً ، قتل فيها خلق كثير وجم غفير . وفيها أعاد سيف الدولة بن حمدان بناء عين زربة ، و بعث مولاه نجا فدخل بلاد الروم ، فقتل منها خلقا كثيراً وسبى جماغفيرا ، وغنم وسلم . و بعث حاجبه مع جيش طرسوس فدخلوا بلاد الروم فغنموا وسبوا ورجعوا سالمين . وفيها فتح المعز الفاطمى حصن طبرمين من بلاد المغرب - وكان من أحصن بلاد الفرنج - فتحه قسراً بعد محاصرة سبعة أشهر ونصف ، وقصد الفرنج جزيرة إقريطش فاستنجد أهلها المعز ، فأرسل إليهم جيشاً فانتصروا على الفرنج ولله الحمد والمنة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن محمد بن هارون ﴾

المهلبى الوزير لمعز الدولة بن بويه ، مكث وزيراً له ثلاث عشرة سنة ، وكان فيه حلم وكرم وأناة ، حكى أبو إسحاق الصابى قال : كنت يوماً عنده وقد جئ بدواة قد صنعت له ومرفع قد حليا له بحلية كثيرة ، فقال أبو محمد الفضل بن عبد الله الشيرازى - سرا بينى و بينه - : ما كان أحوجنى إليها لأبيعها وأنتفع بها ، قلت: وأى شئ ينتفع الوزير بها؟ فقال : تدخل فى خزانتها ، فسمعها الوزير - وكان مصغ لنا ولا نشعر - فلما أمسى بعث بالدواة إلى أبى محمد الشيرازى ومرفعها وعشرة ثياب وخمسة آلاف درهم ، واصطنع له غيرها . فاجتمعنا يوماً آخر عنده وهو يوقع من تلك الدواة الجديدة ، فنظر إلينا فقال : من يريدها منكما ؟ قال : فاستحيينا وعلمنا أنه قد سمع كلامنا ذلك اليوم ، وقلنا يمتع الله الوزير بها و يبقيه ليهب لنا مثلها . توفى المهلبى فى هذه السنة عن أربع وستين سنة.

﴿ دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن ﴾

أبو محمد السجستانى المعدل ، سمع بخراسان وحلوان و بغداد والبصرة والكوفة ومكة ، وكان من

ذوى اليسار والمشهورين بالبر والافضال ، وله صدقات جارية ، وأوقاف دارة دائرة على أهل الحديث ببغداد وسجستان ، كانت له دار عظيمة ببغـداد ، وكان يقول : ليس فى الدنيا مثل بغداد ، ولا فى بغداد مثل القطيعة ، ولا فى القطيعة مثل دار أبى خلف ، ولا فى دار أبى خلف مثل دارى . وصنف الدارقطنى له مسندا . وكان إذا شك فى حديث طرحه جملة ، وكان الدارقطنى يقول : ليس فى مشايخنا أثبت منه ، وقد أنفق فى ذوى العلم والحاجات أموالا جزيلة كثيرة جداً ، اقترض منه بعض التجار عشرة آلاف دينار فاتجر بها ، فربح فى مدة ثلاث سنين ثلاثين ألف دينار ، فعزل منها عشرة آلاف دينار وجاءه بها فأضافـه دعلج ضيافة حسنة ، فلما فرغ من شأنها قال له : ما شأنك ؟ قال له : هـذه العشرة آلاف دينار التى تفضلت بها ، قد أحضرت. فقال : يا سبحان الله إنى لم أعطكها لتردها فصل بها الأهل . فقال : إنى قد ربحت بها ثلاثين ألف دينار فهذه منها . فقال له دعلج : اذهب بارك الله لك ، فقال له : كيف يتسع مالك لهذا ؟ ومن أين أفدت هذا المال ؟ قال : إنى كنت فى حداثة سنى أطلب الحديث ، فجاءنى رجل تاجر من أهل البحر فدفع إلى ألف ألف درهم ، وقال : اتجر فى هذه ، فما كان من ربح فبينى و بينك ، وما كان من خسارة فعـلى دونك ، وعليك عهد الله وميثاقه إن وجدت ذا حاجة أو خلة إلا سددتها من مالى هذا دون مالك ، ثم جاءنى فقال : إنى أريد الركوب فى البحر فان هلكت فالمال فى يدك عـلى ما شرطت عليـك . فهو فى يدى عـلى ما قال . ثم قال لى : لا تخبر بها أحدا مدة حياتى . فلم أخبر به أحدا حتى مات . توفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة عن أربع أو خمس وتسعين سنة . رحمه الله .

﴿ عبد الباقى بن قانع ﴾

ابن مرزوق أبو الحسن الأموى مولاهم ، سمع الحارث بن أسامة ، وعنه الدارقطنى وغيره ، وكان ثقة أمينا حافظا ، ولكنـه تغير فى آخر عمره . قال الدارقطنى : كان يخطئ و يصر على الخطأ ، توفى فى شوال منها

﴿ أبو بكر النقاش المفسر ﴾

محمد بن الحسن بن محمـد بن زياد بن هارون بن جعفر ، أبو بكر النقاش المفسر المقرئ ، مولى أبى دُجانة سِماك بن خَرَشَة ، أصله من الموصل ، كان عالما بالتفسير وبالقراءات ، وسمع الكثير فى بلدان شتى عن خلق من المشايخ ، وحدث عنه أبو بكر بن مجاهد والخلدى وابن شاهين وابن زرقويه وخلق ، وآخر من حدث عنه ابن شاذان ، وتفرد بأشـياء منكرة ، وقد وثقه الدارقطنى على كثير من خطئه ثم رجع عن ذلك ، وصرح بعضهم بتكذيبه والله أعلم . وله كتاب التفسير الذى سماه شفاء الصدور وقال بعضهم : بل هو سقام الصدور ، وقـد كان رجلا صالحا فى نفسه عابدا ناسكا ، حكى من حضره وهو يجود بنفسه وهو يدعو بدعاء ثم رفع صوته يقول (لمثل هـذا فليعمل العاملون) رددها ثلاث

مرات ثم خرجت روحه رحمه الله . توفى يوم الثلاثاء الثانى من شوال منها ودفن بداره بدار القطن.

محمد بن سعيد أبو بكر الحربى الزاهد ، ويعرف بابن الضرير ، كان ثقة صالحا عابدا . ومن كلامه : دافعت الشهوات حتى صارت شهوتى المدافعة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة ﴾

فى عاشر المحرم من هذه السنة أمر معز الدولة بن بويه قبحه الله أن تغلق الأسواق وأن يلبس النساء المسوح من الشعر وأن يخرجن فى الأسواق حاسرات عن وجوههن ، ناشرات شعورهن يلطمن وجوههن ينحن على الحسين بن على بن أبى طالب ، ولم يمكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة وظهورهم ، وكون السلطان معهم . وفى عشر ذى الحجة منها أمر معز الدولة بن بويه باظهار الزينة فى بغداد وأن تفتح الأسواق بالليل كما فى الأعياد ، وأن تضرب الدبادب والبوقات ، وأن تشعل النيران فى أبواب الأمراء وعند الشرط ، فرحا بعيد الغدير - غدير خم - فكان وقتا عجيباً مشهوداً ، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة . وفيها أغارت الروم على الرها ، فقتلوا وأسروا ورجعوا موقرين ، ثم ثارت الروم بملكهم فقتلوه وولوا غيره ، ومات الدمستق أيضاً ملك الأرمن واسمه النقفور ، وهو الذى أخذ حلب وعمل فيها ما عمل ، وولوا غيره .

﴿ ترجمة النقفور ملك الأرمن واسمه الدمستق ﴾

الذى توفى فى سنة ثنتين - وقيل خمس وقيل ست - وخمسين وثلثمائة لا رحمه الله .

كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلبا ، وأشدهم كفراً ، وأقواهم بأسا ، وأحدهم شوكة ، وأكثرهم قتلا وقتالا للمسلمين فى زمانه ، استحوذ فى أيامه لعنه الله على كثير من السواحل ، وأكثرها انتزعها من أيدى المسلمين قسراً ، واستمرت فى يده قهراً ، وأضيفت إلى مملكة الروم قدرا . وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم ، وفشو البدع فيهم ، وكثرة الرفض والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلهذا أديل عليهم أعداء الاسلام ، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من بلاد إلى بلاد ، فلا يبيتون ليلة إلا فى خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشرور المترادفة ، فالله المستعان . وقد ورد حلب فى مائتى ألف مقاتل بغتة فى سنة إحدى وخمسين ، وجال فيها جولة : ففر من بين يديه صاحبها سيف الدولة ففتحها اللعين عنوة ، وقتل من أهلها من الرجال والنساء مالا يعلمه إلا الله ، وخرب دار سيف الدولة التى كانت ظاهر حلب ، وأخذ أموالها وحواصلها وعددها وبدد شملها ، وفرق عددها ، واستفحل أمر الملعون بها فانا لله وإنا إليه راجعون . وبالغ فى الاجتهاد فى قتال الاسلام وأهله ، وجد فى التشمير ، فالحكم لله العلى الكبير . وقد كان لعنه الله لا يدخل فى بلد إلا قتل

المقاتلة و بقية الرجال ، وسبى النساء والأطفال ، وجعل جامعها اصطبلا لخيوله ، وكسر منبرها ، واستنكث مأذنتها بخيله ورجله وطبوله . ولم يزل ذلك من دأبه وديدنه حتى سلط الله عليه زوجته فقتلته بجواريها فى وسط مسكنه : وأراح الله منه الاسلام وأهله ، وأزاح عنهم قيام ذلك الغمام ومزق شمله ، فلله النعمة والافضال ، وله الحمد على كل حال . واتفق فى سنة وفاته موت صاحب القسطنطينية . فتكاملت المسرات وحلصت الأمنية ، فالحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتذهب السيئات ، و برحمته تغفر الزلات .

والمقصود أن هذا اللعين ـ أعنى النقفور الملقب بالدمستق ملك الأرمن ـ كان قد أرسل قصيدة إلى الخليفة المطيع لله ، نظمها له بعض كتابه ممن كان قد خذله الله وأذله ، وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره عشاوة ، وصرفه عن الاسلام وأصله . يفتخر فيها بهذا اللعين ، و يتعرض لسب الاسلام والمسلمين ، و يتوعد فيها أهل حوزة الاسلام بأنه سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين ، عما قريب من الأعوام ، وهو أقل وأذل وأخس وأضل من الأنعام ، و يزعم أنه ينتصر لدين المسيح عليه السلام ابن البتول . و ربما يعرض فيها بجناب الرسول عليه من ربه التحية والاكرام ، ودوام الصلاة مدى الأيام . ولم يبلغنى عن أحد من أهل ذلك العصر أنه رد عليه جوابه ، إما لأنها لم تشتهر ، و إما لأنه أقل من أن يردوا خطابه لأنه كالمعاند الجاحد . ونفس ناظمها تدل على أنه شيطان مارد . وقد انتخى للجواب عنها بعد ذلك أبو محمد بن حزم الظاهرى : فأفاد وأجاد ، وأجاب عن كل فصل باطل بالصواب والسداد ، فبلّ الله بالرحمة ثراه . وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

وها أنا أذكر القصيدة الأرمنية المخذولة الملعونة ، وأتبعها بالفريدة الاسلامية المنصورة الميمونة قال المرتد الكافر الأرمنى على لسان ملكه لعنهما الله وأهل ملتهم أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين آمين يارب العالمين . ومن خط ابن عساكر كتبتها ، وقد نقلوها من كتاب صلة الصلة للفرغانى :

من الملك الطهر المسيحى مالك * إلى خلف الأملاك من آل هاشم

إلى الملك الفضل المطيع أخى العلا * ومن يرتجى للمعضلات العظائم

أما سمعت أذناك ما أنا صانع * ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم

فان تك عما قد تقلدت نائما * فانى عما همنى غير نائم

ثغوركم لم يبق فيها ـ لوهنكم * وضعفكم ـ إلا رسوم المعالم

فتحنا الثغور الأرمنية كلها * بفتيان صدق كالليوث الضراغم

ونحن صلبنا الخيل تملك لجها * وتبلغ منها قضمها للشكائم

إلى كل ثغر بالجزيرة آهل * إلى جند قنسرينكم فالعواصم

ملطية مع سميساط من بعد كركر * وفى البحر أضعاف الفتوح التواخم
وبالحدث الحمراء جالت عساكرى * وكيسوم بعد الجعفرى للمعالم
وكم قد ذللنا من أعزة أهلها * فصاروا لنا من بين عبد وخادم
وسد سروج إذ خربنا بجمعنا * لنا رتبة تعلو على كل قائم
وأهل الرها لاذوا بنا وتحزبوا * بمنديل مولى علا عن وصف آدمى
وصبح رأس العين منا بطارق * ببيض غزوناها بضرب الجماجم
ودارا وميافارقين وأزرنا * أذقناهم بالخيل طعم العلاقم
واقر يطش قد جازت إليها مراكبى * على ظهر بحر مزبد متلاطم
فحزتهم أسرى وسيقت نساؤهم * ذوات الشعور المسبلات النواعم
هناك فتحنا عين زربة عنوة * نعم وأبدنا كل طاغ وظالم
إلى حلب حتى استبحنا حريمها * وهدم منها سورها كل هادم
أخذنا النسا ثم البنات نسوقهم * وصبيانهم مثل المماليك خادم
وقد فر عنها سيف دولة دينكم * وناصركم منا على رغم راغم
وملنا على طرسوس ميلة حازم * أذقنا لمن فيها لحز الحلاقم
فكم ذات عز حرة علوية * منعمة الأطراف ريا المعاصم
سبينا فسقنا خاضعات حواسراً * بغير مهور، لا ولا حكم حاكم
وكم من قتيل قد تركنا مجندلا * يصب دما بين اللها والهازم
وكم وقعة فى الدرب أفنت كماتكم * وسقناهم قسراً كسوق البهائم
وملنا على أرياحكم وحريمها * مدوخة تحت العجاج السواهم
فأهوت أعاليها وبدل رسمها * من الأنس وحشا بعد بيض نواعم
إذا صاح فيها البوم جاوبه الصدى * وأتبعه فى الربع نوح الحمائم
وإنطاك لم تبعد على وإننى * سأفتحها يوماً بهتك المحارم
ومسكن آبائى دمشق فإننى * سأرجع فيها ملكنا تحت خاتمى
ومصر سأفتحها بسيفى عنوة * وآخذ أموالا بها وبهائمى
وأجزى كافوراً بما يستحقه * بمشط ومقراض وقص محاجم
ألا شمروا ياأهل حمدان شمروا * أتتكم جيوش الروم مثل الغمائم
فإن تهربوا تنجوا كراما وتسلموا * من الملك الصادى بقتل المسالم

كذاك نصيبين وموصلها إلى * جزيرة آبائى وملك الأقادم
سأفتح سامرا وكوثا وعكبرا * وتكريتها مع ماردين العواصم
وأقتل أهلها الرجال بأسرها * وأغنم أموالا بها وحرائم
ألا شمروا ياأهل بغداد ويلكم * فكلكم مستضعف غير رائم
رضيتم بحكم الديلمى ورفضه * فصرتم عبيداً للعبيد الديالم
ويا قاطنى الرملات ويلكم ارجعوا * إلى أرض صنعا راعيين البهائم
وعودوا إلى أرض الحجاز أذلة * وخلوا بلاد الروم أهل المكارم
سألقى جيوشا نحو بغداد سائراً * إلى باب طاق حيث دار القماقم
وأحرق أعلاها وأهدم سورها * وأسبى ذراريها على رغم راغم
وأحرز أموالا بها وأسرة * وأقتل من فيها بسيف النقائم
وأسرى بجيشى نحو الاهواز مسرعا * لا حراز ديباج وخز السواسم
وأشعلها نهبا وأهدم قصورها * وأسبى ذراريها كفعل الأقادم
ومنها إلى شيراز والرى فاعلموا * خراسان قصرى والجيوش بحازم
إلى شاش بلخ بعدها وخواتها * وفرغانة مع مروها والمخازم
وسابور أهدمها وأهدم حصونها * وأوردها يوما كيوم السمائم
وكرمان لا أنسى سجستان كلها * وكابلها النائى وملك الاعاجم
أسير بجندى نحو بصرتها التى * لها بحر عجاج رائع متلازم
إلى واسط وسط العراق وكوفة * كما كان يوما جندنا ذو العزائم
وأخرج منها نحو مكة مسرعا * أجر جيوشا كالليالى السواجم
فأملكها دهرا عزيزا مسلماً * أقيم بها للحق كرسى عالم
وأحوى نجداً كلها وتهامها * وسراً واتهام مذحج وقحاطم
وأغزو يمانا كلها وزبيدها * وصنعاءها مع صعدة والتهائم
فأتركها أيضا خرابا بلاقعاً * خلاء من الاهلين أهل نعائم
واحوى أموال اليمانين كلها * وما جمع القرماط يوم محارم
اعود إلى القدس التى شرفت بنا * بعزمكين ثابت الأصل قائم
وأعلو سريرى للسجود معظما * وتبقى ملوك الأرض مثل الخوادم
هنالك تخلو الأرض من كل مسلم * لكل نقى الدين أغلف زاعم

نصرنا عليكم حين جارت ولاتكم * وأعلنتمو بالمنكرات العظائم

قضاتكم باعوا القضاء بدينهم * كبيع ابن يعقوب ببخس الدراهم

عدو لكم بالزور يشهد ظاهرا * وبالافك والبرطيل مع كل قائم

سأفتح أرض الله شرقا ومغربا * وأنشر دينا للصليب بصارمى

فعيسى علا فوق السموات عرشه * يفوز الذى والاه يوم التخاصم

وصاحبكم بالترب أودى به الثرى * فصار رفاتا بين تلك الرمائم

تناولتم أصحابه بعد موته * بسب وقذف وانتهاك المحارم

هذا آخرها لعن الله ناظمها وأسكنه النار ، يوم لاتنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم يدعو ناظمها ثبوراً ويصلى ناراً سعيراً ، يوم يعض الظالم على يديه ، يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للأنسان خذولا . إن كان مات كافراً

وهذا جوابها لأبى محمد بن حزم الفقيه الظاهرى الأندلسى قالها ارتجالا حين بلغته هذه الملعونة غضباً لله ولرسوله ولدينه كما ذكر ذلك من رآه ، فرحمه الله وأكرم مثواه وغفر له خطاياه .

من المحتمى لله رب العوالم * ودين رسول الله من آل هاشم

محمد الهادى إلى الله بالتقى * وبالرشد والأسلام أفضل قائم

عليه من الله السلام مردداً * إلى أن يوافى الحشر كل العوالم

إلى قائل بالافك جهلا وضلة * عن النقفور المفترى فى الاعاجم

دعوت إماماً ليس من أمرائه * بكفيه إلا كالرسوم الطواسم

دهته الدواهى فى خلافته كما * دهت قبله الأملاك دهم الدواهم

ولا عجب من نكبة أو ملمة * تصيب الكريم الجدود الاكارم

ولو أنه فى حال ماضى جدوده * لجرعتم منه سموم الاراقم

عسى عطفة لله فى أهل دينه * تجدد منه دارسات المعالم

فخرتم بما لو كان فيكم حقيقة * لكان بفضل الله أحكم حاكم

إذن لاعترتكم خجلة عند ذكره * وأخرس منكم كل فاه مخاصم

سلبناكم كرا ففزتم بغرة * من الكر أفعال الضعاف العزائم

فطرتم سروراً عند ذاك ونشوة * كفعل المهين الناقص المتعالم

وما ذاك إلا فى تضاعيف عقله * عريقا وصرف الدهر جم الملاحم

ولما تنازعنا الأمور تخاذلا * ودانت لأهل الجهل دولة ظالم
وقد شعلت فينا الخلائف فتنة * لعبدانهم مع ترکهم والدلائم
بكفر أياديهم وجحد حقوقهم * بمن رفعوه من حضيض البهائم
وثبتم على أطرافنا عند ذاكم * وثوب لصوص عند غفلة نائم
ألم تنتزع منكم بأعظم قوة * جميع بلاد الشام ضربة لازم
ومصراً وأرض القير وان بأسرها * وأندلسا قسراً بضرب الجماجم
ألم ننتزع منكم على ضعف حالنا * صقلية فى بحرها المتلاطم
مشاهد تقديساتكم وبيوتها * لنا وبأيدينا على رغم راغم
أما بيت لحم والقمامة بعدها * بأيدى رجال المسلمين الأعاظم
ومركيسكم فى أرض اسكندرية * وكرسيكم فى القدس فى أدرثاكم
ضممناكم قسرا برغم أنوفكم * وكرسى قسطنطينية فى المعادم
ولا بدمن عود الجميع بأسره * إلينا بعز قاهر متعاظم
أليس يزيد حل وسط دياركم * على باب قسطنطينية بالصوارم
ومسلمة قد داسها بعد ذاكم * بجيش لهام قد دوى بالضراغم
وأخدمكم بالذل مسجدنا الذى * بنى فيكم فى غصره المتقادم
إلى جنب قصر الملك من دار ملككم * ألا هذه حق صرامة صارم
وأدى لهارون الرشيد مليككم * رفادة مغلوب وجزية غارم
سلبناكم مصرا شهود بقوة * حبانا بها الرحمن أرحم راحم
إلى بيت يعقوب وأرباب دومة * إلى لجة البحر المحيط المحاوم
فهل سرتم فى أرضنا قط جمعة * أبى الله ذاكم يابقايا الهزائم
فمالكم إلا الامانى وحدها * بضائع نوكى تلك أحلام نائم
رويداً بعد نحو الخلافة نورها * وسفر مغير وجوه الهواشم
وحينئذ تدرون كيف قراركم * إذا صدمتكم خيل جيش مصادم
على سالف العادات مناومنكم * ليالى بهم فى عداد الغنائم
سبيتم سبايا يحصر العد دونها * وسبيكم فينا كقطر الغمائم
فلو رام خلق عدها رام معجزا * وأنى بتعداد لرش الحمائم
بأبنا بنى حمدان وكافور صلتم * أراذل أنجاس قصار المعاصم

دعیّ وحجام سطوتم عليهما * وما قدر مصّاص دماء المحاجم
فهلا على دميانة قبل ذاك أو * على محل أربا رماة الضراغم
ليالى قادوكم كما اقتادكم * أقيال جرجان بحز الحلاقم
وساقوا على رسل بنات ملوككم * سبايا كما سيقت ظباء الصرائم
ولكن سلوا عنا هرقلا ومن خلى * لكم من ملوك مكرمين قماقم
يخبركم عنا التنوخ وقيصر * وكم قد سبينا من نساء كرائم
وعما فتحنا من منيع بلادكم * وعما أقمنا فيكم من مآتم
ودع كل نذل مفتر لاتعده * إماماً ولا الدعوى له بالتقادم
فهيهات سامرا وتكريت منكم * إلى جبل تلكم أمانى هائم
منى يتمناها الضعيف ودونها * نظائرها .... وحز الغلاصم
تريدون بغداد سوقا جديدة * مسيرة شهر للفنيق القواصم
محلة أهل الزهد والعلم والتقى * ومنزلة يختارها كل عالم
دعوا الرملة الصهباء عنكم فدونها * من المسلمين الغر كل مقاوم
ودون دمشق جمع جيش كأنه * سحائب طير ينتحى بالقوادم
وضرب يلقى الكفر كل مذلة * كما ضرب السكى بيض الدراهم
ومن دون أكناف الحجاز جحافل * كقطر الغيوم الهائلات السواجم
بها من بنى عدنان كل سميدع * ومن حى قحطان كرام العمائم
ولو قد لقيتم من قضاعة كبة * لقيتم ضراماً فى يبيس الهشائم
إذا أصبحوكم ذكروكم بما خلى * لهم معكم من صادق متلاحم
زمان يقودون الصوافن نحوكم * فجئتم ضماناً أنكم فى الغنائم
سيأتيكم منهم قريباً عصائب * تنسيكم تذكار أخذ العواصم
وأموالكم حل لهم ودماؤكم * بها يشتفى حر الصدور الحوايم
وأرضيكم حقا سيقتسمونها * كما فعلوا دهراً بعدل المقاسم
ولو طرقتكم من خراسان عصبة * وشيراز والرى الملاح القوائم
لما كان منكم عند ذلك غيرما * عهدنا لكم : ذل وعض الاباهم
فقد طالما زاروكم فى دياركم * مسيرة عام بالخيول الصوادم
فأما سجستان وكرمان بالا * أولى وكابل حلوان بلاد المراهم

وفى فارس والسوس جمع عرمرم * وفى أصبهان كل أروع عارم
فلو قد أتاكم جمعهم لغدوتم * فرائس كالآساد فوق البهائم
وبالبصرة الغراء والكوفة التى * سمت وبآدى واسط بالعظائم
جموع تسامى الرمل عداً وكثرة * فما أحد عادوه منه بسالم
ومن دون بيت الله فى مكة التى * حباها بمجد للبرايا مراحم
محل جميع الأرض منها تيقنا * محلة سفل الخف من فص خاتم
دفاع من الرحمن عنها بحقها * فما هو عنها رد طرف برائم
بها وقع الأحبوش هلكى وفيلهم * بحصباء طير فى ذرى الجو حائم
وجمع كجمع البحر ماض عرمرم * حمى بنية البطحاء ذات المحارم
ومن دون قبر المصطفى وسط طيبة * جموع كسود من الليل فاحم
يقودهم جيش الملائكة العلى * دفاعا ودفعاً عن مصل وصائم
فلو قد لقيناكم لعدتم رمائماً * كما فرق الاعصار عظم البهائم
وباليمن الممنوع فتيان غارة * إذا مالقوكم كنتم كالطاعم
وفى جانبى أرض اليمامة عصبة * معاذر أمجاد طوال البراجم
نستفينكم والقرمطيين دولة * تقووا بميمون النقية حازم
خليفة حق ينصر الدين حكمه * ولا يتقى فى الله لومة لائم
إلى ولد العباس تنمى جدوده * بفخر عميم مزبد الموج فاعم
ملوك جرى بالنصر طائر سعدهم * فأهلا بماضى منهم وبقادم
محلهم فى مسجد القدس أولدى * منازل بغداد محل المكارم
وإن كان من عليا عدى وتيمها * ومن أسد هذا الصلاح الحضارم
فأهلا وسهلا ثم نعمى ومرحبا * بهم من خيار سالفين أقادم
هم نصروا الاسلام نصراً مؤزراً * وهم فتحوا البلدان فتح المراغم
رويداً فوعد الله بالصدق وارد * بتجريع أهل الكفر طعم العلاقم
سنفتتح قسطنطينية وذواتها * ونجعلكم فوق النسور القعاشم
ونفتتح أرض الصين والهند عنوة * بجيش لأرض الترك والخزر حاطم
مواعيد للرحمن فينا صحيحة * وليست كآمال العقول السواقم
ونملك أقصى أرضكم وبلادكم * ونلزمكم ذل الجزى أو المغارم

إلى أن ترى الأسلام قدعم حكمه * جميع الاراضى بالجيوش الصوارم
أتقرن يامخذول دينا مثلثا * بعيداً عن المعقول بادى المآثم
تدين لمخلوق يدين لغيره * فيالك سحقا ليس يخفى لعالم
أناجيلكم مصنوعة قدتشابهت * كلام الأولى فيها أتوا بالعظائم
وعود صليب ماتزالون سجداً * له ياعقول الهاملات السوائم
تدينون تضلالا بصلب إلهكم * بايدى يهود أرذلين لآثم
إلى ملة الأسلام توحيد ربنا * فما دين ذى دين لها بمقاوم
وصدق رسالات الذى جاء بالهدى * محمد الآتى برفع المظالم
وأذ عنت الأملاك طوعا لدينه * ببرهان صدق طاهر فى المواسم
كما دان فى صنعاء مالك دولة * وأهل عمان حيث رهط الجهاضم
وسائر أملاك اليمانين أسلموا * ومن بلد البحرين قوم اللهازم
أجابوا لدين الله لا من مخافة * ولا رغبة يحظى بها كف عادم
فخلوا عرى التيجان طوعاً ورغبة * بحق يقين بالبراهين فاحم
وحاباه بالنصر المكين إلهه * وصير من عاداه تحت المناسم
فقير وحيد لم تعنه عشيرة * ولا دفعوا عنه شتيمة شاتم
ولا عنده مال عتيد لناصر * ولا دفع مرهوب ولا لمسالم
ولا وعد الأنصار مالا يخصهم * بلى كان معصوما لأقدر عاصم
ولم تنهنهه قط قوة آسر * ولا مكنت من جسمه يد ظالم
كما يفترى إفكا وزورا وضلة * على وجه عيسى منكم كل لاطم
على أنكم قد قلتموا هو ربكم * فيالضلال فى القيامة عائم
أبى لله أن يدعى له ابن وصاحب * ستلقى دعاة الكفر حالة نادم
ولكنه عبد نبى رسول مكرم * من الناس مخلوق ولا قول زاعم
أيلطم وجه الرب ؟ تبا لدينكم * لقد فقتم فى قولكم كل ظالم
وكم آية أبدى النبى محمد * وكم علم أبداه للشرك حاطم
تساوى جميع الناس فى نصرحقه * بل الكل فى إعطائه حال خادم
فعرب وأحبوش وفرس وبربر * وكرديهم قد فاز قدح المراحم
وقبط وانباط وخزر وديلم * وروم رموكم دونه بالقواصم

أبوا كفر أسلاف لهم فتمنعوا * فآبوا بحظ فى السعادة لازم
به دخلوا فى ملة الحق كلهم * ودانوا لاحكام الا له اللوازم
به صح تفسير المنام الذى أتى * به دانيال قبله حتم حاتم
وهند وسند أسلموا وتدينوا * بدين الهدى رفض لدين الاعاجم
وشق له بدر السموات آية * وأشبع من صاع له كل طاعم
وسالت عيون الماء فى وسط كفه * فأروى به جيشاً كثيراً هماهم
وجاء بما تقضى العقول بصدقه * ولا كدعاء غير ذات قوائم
عليه سلام الله ماذر شارق * تعقبه ظلماء أسحم قاتم
براهينه كالشمس لامثل قولكم * وتخليطكم فى جوهر وأقانم
لنا كل علم من قديم ومحدث * وأنتم حمير داميات المحازم
أتيتم بشعر بارد متخاذل * ضعيف معانى النظم جم البلاعم
فدونكها كالعقد فيه زمرد * ودر وياقوت باحكام حاكم

وفيها عزل ابن أبى الشوارب عن القضاء ونقضت سجلاته وأبطلت أحكامه مدة أيامه ، وولى القضاء عوضه أبو بشر عمر بن أكثم بن رزق ، ورفع عنه ما كان يحمله ابن أبى الشوارب فى كل سنة وفى ذى الحجة منها استسقى الناس لتأخر المطر - وذلك فى كانون الثانى - فلم يسقوا . وحكى ابن الجوزى فى المنتظم عن ثابت بن سنان المؤرخ قال : حدثنى جماعة ممن أثق بهم أن بعض بطارقة الأرمن أنفذ فى سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين من الأرمن ملتصقين سنهما خمس وعشرون سنة ، ملتحمين ومعهما أبوهما ، ولهما سرتان و بطنان ومعدتان وجوعهما وريهما يختلفان ، وكان أحدهما يميل إلى النساء والآخر يميل إلى الغلمان ، وكان يقع بينهما خصومة وتشاجر ، وربما يحلف الآخر لا يكلم الآخر فيمكث كذلك أياماً ثم يصطلحان ، ووهبهما ناصر الدولة ألفى درهم وخلع عليهما ودعاهما إلى الاسلام فيقال إنهما أسلما . وأراد أن يبعثهما إلى بغداد ليراهما الناس ثم رجع عن ذلك ، ثم إنهما رجعا إلى بلادهما مع أبيهما فاعتل أحدهما ومات وأنتن ريحه وبقى الآخر لا يمكنه التخلص منه ، وقد كان اتصال ما بينهما من الخاصرتين ، وقد كان ناصر الدولة أراد فصل أحدهما عن الآخر وجمع الأطباء لذلك فلم يمكن ، فلما مات أحدهما حار أبوهما فى فصله عن أخيه فاتفق اعتلال الآخر من غمه ونتن أخيه فمات غما فدفنا جميعا فى قبر واحد .

وممن توفى فيها من الأعيان عمر بن أكثم بن أحمد بن حيان بن بشر أبو بشر الأسدى ، ولد سنة أربع وثمانين ومائتين ، وولى القضاء فى زمن المطيع نيابة عن أبى السائب عتبة بن عبيد الله ،

ثم ولى قضاء القضاة ، وهو أول من ولى قضاء القضاة من الشافعية سوى أبى السائب ، وكان جيد السيرة فى القضاء . توفى فى ربيع الأول منها .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ﴾

فى عاشر المحرم منها عملت الرافضة عزاء الحسين كما تقدم فى السنة الماضية فاقتتل الروافض وأهل السنة فى هذا اليوم قتالا شديدا ، وانتهبت الأموال . وفيها عصى نجا غلام سيف الدولة عليه ، وذلك أنه كان فى العام الماضى قد صادر أهل حران وأخذ منهم أموالا جزيلة فتمرد بها وذهب إلى أخر بيجان وأخذ طائفة منها من يد رجل من الأعراب يقال له أبو الورد ، فقتله وأخذ من أمواله شيئا كثيراً ، وقويت شوكته بسبب ذلك ، فسار إليه سيف الدولة فأخذه وأمر بقتله فقتل بين يديه ، وألقيت جثته فى الأقذار . وفيها جاء الدمستق إلى المصيصة فحاصرها ونقب سورها فدافعه أهلها فأحرق رستاقها وقتل ممن حولها خمسة عشر ألفا وعاثوا فساداً فى بلاد أذنة وطرسوس ، وكر راجعاً إلى بلاده . وفيها قصد معز الدولة الموصل وجزيرة ابن عمر فأخذ الموصل وأقام بها ، فراسله فى الصلح صاحبها فاصطلحا على أن يكون الحمل فى كل سنة ، وأن يكون أبو تغلب بن ناصر الدولة ولى عهد أبيه من بعده ، فأجاب معز الدولة إلى ذلك ، وكر راجعا إلى بغداد بعد ما جرت له خطوب كثيرة استقصاها ابن الأثير . وفيها ظهر رجل ببلاد الديلم وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين من أولاد الحسين بن على ، ويعرف بابن الراعى ، فالتف عليه خلق كثير ، ودعا إلى نفسه وتسمى بالمهدى ، وكان أصله من بغداد وعظم شأنه بتلك البلاد ، وهرب منه ابن الناصر العلوى . وفيها قصد ملك الروم وفى صحبته الدمستق ملك الأرمن بلاد طرسوس فحاصرها مدة ثم غلت عليهم الأسعار وأخذهم الوباء فمات كثير منهم فكروا راجعين ، (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً) وكان من عزمهم يريدون أن يستحوذوا على البلاد الاسلامية كلها ، وذلك لسوء حكامها وفساد عقائدهم فى الصحابة فسلم الله ورجعوا خائبين . وفيها كانت وقعة المختار ببلاد صقلية ، وذلك أنه أقبل من الروم خلق كثير ، ومن الفرنج مايقارب مائة ألف ، فبعث أهل صقلية إلى المعز الفاطمى يستنجدونه ، فبعث إليهم جيوشاً كثيرة فى الاسطول ، وكانت بين المسلمين والمشركين وقعة عظيمة صبر فيها الفريقان من أول النهار إلى العصر ، ثم قتل أمير الروم منويل ، وفرت الروم وانهزموا هزيمة قبيحة فقتل المسلمون منهم خلقاً كثيراً وسقط الفرنج فى واد من الماء عميق فغرق أكثرهم وركب الباقون فى المراكب ، فبعث الأمير أحمد صاحب صقلية فى آثارهم مراكب أخر فقتلوا أكثرهم فى البحر أيضاً ، وغنموا فى هذه الغزوة كثيراً من الأموال والحيوانات والأمتعة والأسلحة ، فكان فى جملة ذلك سيف مكتوب عليه : هذا سيف هندى زنته مائة وسبعون مثقالا ، طال لما قوتل به بين يدى

رسول الله ﷺ ، فبعثوا به فى جملة تحف إلى المعز الفاطمى إلى إفريقية . وفيها قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد الأخشيد صاحب مصر والشام ، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحاً ، فقلع لهم أبواب الرقة ـ وكانت من حديد صامت ـ وأخذ لهم من حديد الناس حتى أخذ أواقى الباعة والأسواق ، وأرسل بذلك كله إليهم ، فأرسلوا إليه يقولون اكتفينا . وفيها طلب معز الدولة من الخليفة أن يأذن له فى دخول دار الخلافة ليتفرج فيها فأذن له فدخلها ، فبعث الخليفة خادمه وصاحبه معه فطافوا بها وهو مسرع خائف ، ثم خرج منها وقد خاف من غائلة ذلك وخشى أن يقتل فى دهاليزها ، فتصدق بعشرة آلاف لما خرج شكراً لله على سلامته ، وازداد حبا فى الخليفة المطيع من يومئذ ، وكان فى جملة مارأى فيها من العجائب صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جداً ، وحولها أصنام صغار فى هيئة الخدم لها كان قد أتى بها فى زمن المقتدر فأقيمت هناك ليتفرج عليها الجوارى والنساء ، فهم معز الدولة أن يطلبه من الخليفة ثم ارتأى فترك ذلك .

وفى ذى الحجة منها خرج رجل بالكوفة فادعى أنه علوى ، وكان يتبرقع فسمى المتبرقع وغلظت فتنته و بعد صيته ، وذلك فى غيبة معز الدولة عن بغداد واشتغاله بأمر الموصل كما تقدم ، فلما رجع إلى بغداد اختفى المتبرقع وذهب فى البلاد فلم ينتج له أمر بعد ذلك .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ بكار بن أحمد ﴾

ابن بكار بن بيان بن بكار بن درستويه بن عيسى المقرى ، روى الحديث عن عبد الله بن أحمد وعنه أبو الحسن الحمامى ، وكان ثقة أقرأ القرآن أزيد من ستين سنة رحمه الله . توفى فى ربيع الأول منها وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين ، ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر أبى حنيفة .

﴿ أبو إسحاق الجهمى ﴾

ولد سنة خمسين ومائتين ، وسمع الحديث وكان إذا سئل أن يحدث يقسم أن لا يحدث حتى يجاوز المائة فأبر الله قسمه وجاوزها فأسمع . توفى عن مائة سنة وثلاثين سنة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلثمائة ﴾

فى عاشر المحرم منها عملت الشيعة مأتمهم و بدعتهم على ما تقدم قبل ، وغلقت الأسواق وعلقت المسوح ، وخرجت النساء سافرات ناشرات شعورهن ، ينحن و يلطمن وجوههن فى الأسواق والأزقة على الحسين ، وهذا تكلف لا حاجة إليه فى الاسلام ، ولو كان هذا أمراً محموداً لفعله خير القرون وصدر هذه الأمة وخيرتها وهم أولى به (لو كان خيراً ما سبقونا إليه) وأهل السنة يقتدون ولا يبتدعون ، ثم تسلطت أهل السنة على الروافض فكبسوا مسجدهم مسجد براثا الذى هو عش الروافض وقتلوا بعض من كان فيه من القومة . وفيها فى رجب منها جاء ملك الروم بجيش كثيف إلى

المصيصة فأخذها قسراً وقتل من أهلها خلقاً ، واستاق بقيتهم معه أسارى ، وكانوا قريباً من مائتى ألف إنسان ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم جاء إلى طرسوس فسأل أهلها منه الأمان فأمنهم وأمرهم بالجلاء عنها والانتقال منها ، واتخذ مسجدها الأعظم اسطبلا لخيوله وحرق المنبر ونقل قناديله إلى كنائس بلده ، وتنصر بعض أهلها معه لعنه الله . وكان أهل طرسوس والمصيصة قد أصابهم قبل ذلك بلاء وغلاء عظيم ، ووباء شديد ، بحيث كان يموت منهم فى اليوم الواحد ثمانمائة نفر ، ثم دهمهم هذا الأمر الشديد فانتقلوا من شهادة إلى شهادة أعظم منها . وعزم ملك الروم على المقام بطرسوس ليكون أقرب إلى بلاد المسلمين ، ثم عنّ له فسار إلى القسطنطينية وفى خدمته الدمستق ملك الأرمن لعنه الله . وفيها جعل أمر تسفير الحجيج إلى نقيب الطالبيين وهو أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوى ، وهو والد الرضى والمرتضى ، وكتب له منشور بالنقابة والحجيج .

وفيها توفيت أخت معز الدولة فركب الخليفة فى طيارة وجاء لعزائه فقبّل معز الدولة الأرض بين يديه وشكر سعيه إليه ، وصدقاته عليه . وفى ثانى عشر ذى الحجة منها عملت الروافض عيد غدير خم على العادة الجارية كما تقدم . وفيها تغلب على إنطاكية رجل يقال له رشيق النسيمى بمساعدة رجل يقال له ابن الأهوازى ، وكان يضمن الطواحين ، فأعطاه أموالا عظيمة وأطمعه فى أخذ انطاكية ، وأخبره أن سيف الدولة قد اشتغل عنه بميا فارقين وعجز عن الرجوع إلى حلب ، ثم تم لهما ماراماه من أخذ إنطاكية ، ثم ركبا منها فى جيوش إلى حلب فجرت بينهما وبين نائب سيف الدولة حروب عظيمة ، ثم أخذ البلد وتحصن النائب بالقلعة وجاءته نجدة من سيف الدولة مع غلام له اسمه بشارة ، فانهزم رشيق فسقط عن فرسه فابتدره بعض الأعراب فقتله وأخذ رأسه وجاء به إلى حلب ، واستقل ابن الأهوازى سائراً إلى إنطاكية ، فأقام رجلا من الروم اسمه دزبر فسماه الأمير ، وأقام آخر من العلويين ليجعله خليفة وسماه الاستاذ . فقصده نائب حلب وهو قرعويه فاقتتلا قتالا شديدا فهزمه ابن الأهوازى [واستقر بانطاكية ، فلما عاد سيف الدولة إلى حلب لم يبت بها إلا ليلة واحدة حتى سار إلى إنطاكية فالتقاه ابن الأهوازى فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم دزبر وابن الأهوازى] (1) وأسرا فقتلهما سيف الدولة .

وفيها ثار رجل من القرامطة اسمه مروان كان يحفظ الطرقات لسيف الدولة ، ثار بحمص فملكها وما حولها ، فقصده جيش من حلب مع الأمير بدر فاقتتلوا معه فرماه بدر بسهم مسموم فأصابه ، واتفق أن أسر أصحاب مروان بدراً فقتله مروان بين يديه صبراً ومات مروان بعد أيام وتفرق عنه أصحابه . وفيها عصى أهل سجستان أميرهم خلف بن أحمد ، وذلك أنه حج فى سنة ثلاث وخمسين

(1) سقط من المصرية .

واستخلف عليهم طاهر بن الحسين ، فطمع فى الملك بعده واستمال أهل البلد ، فلما رجع من الحج لم يسلمه البلد وعصى عليه ، فذهب إلى بخارا إلى الأمير منصور بن نوح السامانى فاستنجده ، فبعث معه جيشا فاستنقذ البلد من طاهر وسلمها إلى الأمير خلف بن أحمد ـ وقد كان خلف عالماً محباً للعلماء ـ فذهب طاهر فجمع جموعاً ثم جاء فحاصر خلفا وأخذ منه البلد . فرجع خلف إلى الأمير منصور السامانى فبعث معه من استرجع له البلد ثانية وسلمها إليه ، فلما استقر خلف بها وتمكن منها منع ما كان يحمله من الهدايا والتحف والخلع إلى الأمير منصور السامانى ببخارا ، فبعث إليه جيشا فتحصن خلف فى حصن يقال له حصن إراك ، فنازله الجيش فيه تسع سنين لم يقدروا عليه ، وذلك لمناعة هذا الحصن وصعوبته وعمق خندقه وارتفاعه ، وسيأتى ما آل إليه أمر خلف بعد ذلك . وفيها قصدت طائفة من الترك بلاد الخزر فاستنجد أهل الخزر بأهل خوارزم فقالوا لهم : لو أسلمتم لنصرناكم . فأسلموا إلا ملكهم ، فقاتلوا معهم الترك فأجلوهم عنها ثم أسلم الملك بعد ذلك ولله الحمد والمنة .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿المتنبي الشاعر المشهور﴾ أحمد بن الحسين بن عبدالصمد أبو الطيب الجعفى الشاعر المعروف بالمتنبي ، كان أبوه يعرف بعيدان السقا وكان يسقى الماء لأهل الكوفة على بعير له ، وكان شيخا كبيراً . وعيدان هذا قال ابن ماكولا والخطيب : هو بكسر العين المهملة وبعدها ياء مثناة من تحت ، وقيل بفتح العين لا كسرها ، فالله أعلم . كان مولد المتنبي بالكوفة سنة ست وثلثمائة ونشأ بالشام بالبادية فطلب الأدب ففاق أهل زمانه فيه ، ولزم جناب سيف الدولة بن حمدان وامتدحه وحظى عنده ، ثم صار إلى مصر وامتدح الأخشيد ثم هجاه وهرب منه ، وورد بغداد فامتدح بعض أهلها ، وقدم الكوفة ومدح ابن العميد فوصله من جهته ثلاثون ألف دينار ، ثم سار إلى فارس فامتدح عضد الدولة بن بويه فأطلق له أموالا جزيلة تقارب مائتى ألف درهم ، وقيل بل حصل له منه نحو من ثلاثين ألف دينار ، ثم دس إليه من يسأله أيما أحسن عطايا عضد الدولة بن بويه أو عطايا سيف الدولة بن حمدان ؟ فقال : هذه أجزل وفيها تكلف ، وتلك أقل ولكن عن طيب نفس من معطيها ، لأنها عن طبيعة وهذه عن تكلف . فذكر ذلك لعضد الدولة فتغيظ عليه ودس عليه طائفة من الأعراب فوقفوا له فى أثناء الطريق وهو راجع إلى بغداد ، ويقال إنه كان قد هجى مقدمهم ابن فاتك الأسدى ـ وقد كانوا يقطعون الطريق ـ فلهذا أوعز إليهم عضد الدولة أن يتعرضوا له فيقتلوه ويأخذوا له ما معه من الأموال ، فانتهوا إليه ستون راكبا فى يوم الأربعاء وقد بقى من رمضان ثلاثة أيام ، وقيل بل قتل فى يوم الأربعاء لخمس بقين من رمضان ، وقيل بل كان ذلك فى شعبان ، وقد نزل عند عين تحت شجرة انجاص ، وقد وضعت سفرته ليتغدى ، ومعه ولده محسن وخمسة عشر غلاماً له ، فلما رآهم قال : هلموا يا وجوه العرب إلى الغداء ، فلما لم يكلموه أحس بالشر فنهض إلى

سلاحه وخيله فتواقفوا ساعة فقتل ابنه محسن و بعض غلمانه وأراد هو أن ينهزم . فقال له مولى له : أين تذهب وأنت القائل :

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى * والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فقال له : ويحك قتلتنى ، ثم كر راجعا فطعنه زعيم القوم برمح فى عنقه فقتله . ثم اجتمعوا عليه فطعنوه بالرماح حتى قتلوه وأخذوا جميع ما معه ، وذلك بالقرب من النعمانية ، وهو آيب إلى بغداد ، ودفن هناك وله من العمر ثمان وأربعون سنة . وذكر ابن عساكر أنه لما نزل تلك المنزلة التى كانت قبل منزلته التى قتل بها ، سأله بعض الأعراب أن يعطيهم خمسين درهما و يخفرونه ، فمنعه الشح والكبر ودعوى الشجاعة من ذلك . وقد كان المتنبى جعفى النسب صلبيبة منهم ، وقد ادعى حين كان مع بنى كلب بأرض السماوة قريبا من حمص أنه علوى ، ثم ادعى أنه نبى يوحى إليه ، فاتبعه جماعة من جهلتهم وسفلتهم ، وزعم أنه أنزل عليه قرآن فمن ذلك قوله : « والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفى خسار ، امض على سنتك واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك من ألحد فى دينه ، وضل عن سبيله » وهذا من خذلانه وكثرة هذيانه وفشاره ، ولو لزم قافية مدحه النافق بالنفاق ، والهجاء بالكذب والشقاق ، لكان أشعر الشعراء ، وأفصح الفصحاء ولكن أراد بجهله وقلة عقله أن يقول ما يشبه كلام رب العالمين الذى لو اجتمعت الجن والانس والخلائق أجمعون على أن يأتوا بسورة مثل سورة من أقصر سوره لما استطاعوا . ولما اشتهر خبره بأرض السماوة وأنه قد التف عليه جماعة من أهل الغباوة ، خرج إليه نائب حمص من جهة بنى الأخشيد وهو الأمير لؤلؤ بيض الله وجهه ، فقاتله وشرد شمله ، وأسر مذموما مدحورا ، وسجن دهرا طويلا ، فمرض فى السجن وأشرف على التلف ، فاستحضره واستتابه وكتب عليه كتابا اعترف فيه ببطلان ما ادعاه من النبوة ، وأنه قد تاب من ذلك ورجع إلى دين الاسلام ، فأطلق الأمير سراحه فكان بعد ذلك إذا ذكر له هذا يجحده إن أمكنه و إلا اعتذر منه واستحيا ، وقد اشتهر بلفظة تدل على كذبه فيما كان ادعاه من الافك والبهتان ، وهى لفظة المتنبى ، الدالة على الكذب ولله الحمد والمنة وقد قال بعضهم يهجوه :

أى فضل لشاعر يطلب الـ * ـفضل من الناس بكرة وعشيا

عاش حينا يبيع فى الكوفة المـا * ـء وحينا يبيع ماء المحيا

وللمتنبى ديوان شعر مشهور ، فيه أشعار رائقة ومعان ليست بمسبوقة ، بل مبتكرة شائقة . وهو فى الشعراء المحدثين كامرئ القيس فى المتقدمين ، وهو عندى كما ذكر من له خبرة بهذه الأشياء مع تقدم أمره . وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى فى منتظمه قطعا رائقة استحسنها من شعره ، وكذلك الحافظ

ابن عساكر شيخ إقليمه ، فمما استحسنه ابن الجوزى قوله :

عزيز أسى من داؤه الحدق النجل * عياء به مات المحبون من قبل
فمن شاء فلينظر إلى فمنظرى * نذير إلى من ظن أن الهوى سهل
جرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى * فأصبح لى عن كل شغل بها شغل
ومن جسدى لم يترك السقم شعرة * فما فوقها إلا وفا له فعل
كأن رقيباً منك سد مسامعى * عن العذل حتى ليس يدخلها العذل
كأن سهاد الليل يعشق مقلتى * فبينهما فى كل هجر لنا وصل

ومن ذلك قوله :

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها * فى ليلة فأرت ليالىَ أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتنى القمرين فى وقت معا

ومن ذلك قوله :

ما نال أهل الجاهلية كلهم * شعرى ولا سمعت بسحرى بابل
وإذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل
من لى بفهم أهيل عصر يدعى * أن يحسب الهندى منهم باقل

ومن ذلك قوله :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد
وله وإذا كانت النفوس كباراً * تعبت فى مرادها الأجسام
وله ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت * على عينيه يرى صدقها كذبا
وله خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وله فى مدح بعض الملوك :

تمضى الكواكب والأبصار شاخصة * منها إلى الملك الميمون طائره
قد حزن فى بشر فى تاجه قمر * فى درعه أسد تدمى أظافره
حلو خلائقه شوس حقائقه * يحصى الحصى قبل أن تحصى مآثره
ومنها قوله : يامن ألوذ به فيما أؤمله * ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره * ولا يهيضون عظماً أنت جابره

وقد بلغنى عن شيخنا العلامة شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أنه كان ينكر على المتنبى هذه المبالغة فى مخلوق ويقول : إنما يصلح هذا لجناب الله سبحانه وتعالى . وأخبرنى العلامة شمس

الدين بن القيم رحمه الله أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يقول : ربما قلت هذين البيتين فى السجود أدعو الله بما تضمناه من الذل والخضوع . ومما أورده ابن عساكر للمتنبى فى ترجمته قوله :

أبعين مفتقر إليك رأيتنى * فأهنتنى وقذفتنى من حالق
لست الملوم ، أنا الملوم ، لأننى * أنزلت آمالى بغير الخالق

قال ابن خلكان : وهذان البيتان ليسافى ديوانه ، وقد عزاهما الحافظ الكندى إليه بسند صحيح ومن ذلك قوله :

إذا ما كنت فى شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير * كطعم الموت فى أمر عظيم

وله قوله :

وما أنا بالباغى على الحب رشوة * قبيح هوى يرجى عليه ثواب
إذا نلت منك الود فالكل هين * وكل الذى فوق التراب تراب

وقد تقدم أنه ولد بالكوفة سنة ست وثلثمائة ، وأنه قتل فى رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

قال ابن خلكان : وقد فارق سيف الدولة بن حمدان سنة أربع وخمسين لما كان من ابن خالويه إليه ما كان من ضربه إياه بمفتاح فى وجهه فأدماه ، فصار إلى مصر فامتدح كافور الأخشيد وأقام عنده أربع سنين ، وكان المتنبى يركب فى جماعة من مماليكه فتوهم منه كافور فجأة ، فخاف المتنبى فهرب ، فأرسل فى طلبه فأعجزه ، فقيل لكافور : ماهذا حتى تخافه ؟ فقال : هذا رجل أراد أن يكون نبياً بعد محمد ، أفلا يروم أن يكون ملكا بديار مصر ؟ والملك أقل وأذل من النبوة . ثم صار المتنبى إلى عضد الدولة فامتدحه فأعطاه مالا كثيراً ثم رجع من عنده فعرض له فاتك ابن أبى الجهل الأسدى فقتله وابنه محسن وغلامه مفلح يوم الاربعاء لست بقين من رمضان وقيل لليلتين ، بسواد بغداد ، وقد رثاه الشعراء ، وقد شرح ديوانه العلماء بالشعر واللغة نحواً من ستين شرحا وجيزاً وبسيطا .

وممن توفى فيها من الأعيان أبو حاتم البستى صاحب الصحيح .

﴿ محمد بن حبان ﴾

ابن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد أبو حاتم البستى صاحب الأنواع والتقاسيم ، وأحد الحفاظ الكبار المصنفين المجتهدين ، رحل إلى البلدان وسمع الكثير من المشايخ ، ثم ولى قضاء بلده ومات بها فى هذه السنة وقد حاول بعضهم الكلام فيه من جهة معتقده ونسبه إلى القول بأن النبوة مكتسبة ، وهى نزعة فلسفية والله أعلم بصحة عزوها إليه ونقلها عنه . وقد ذكرته فى طبقات الشافعية

﴿ محمد بن الحسن بن يعقوب ﴾

ابن الحسن بن الحسين بن مقسم أبو بكر بن مقسم المقرى ، ولد سنة خمس ومائتين ، وسمع

الكثير من المشايخ ، روى عنه الدارقطنى وغيره ، وكان من أعرف الناس بالقراءات ، وله كتاب فى النحو على طريقة الكوفيين ، سماه كتاب الأنوار . قال ابن الجوزى : ما رأيت مثله ، وله تصانيف غيره ، ولكن تكلم الناس فيه بسبب تفرده بقراءات لاتجوز عند الجميع ، وكان يذهب إلى أن كل مالا يخالف الرسم و يسوغ من حيث المعنى تجوز القراءة به كقوله تعالى (فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً) أى يتناجون . قال لو قرئ نجيباً من النجابة لكان قويا . وقد ادعى عليه وكتب عليه مكتوب أنه قد رجع عن مثل ذلك ، ومع هذا لم ينته عما كان يذهب إليه حتى مات . قاله ابن الجوزى .

﴿ محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد ربه ﴾

ابن موسى أبو بكر الشافعى ، ولد بجبلان سنة ستين ومائتين ، وسمع الكثير ، وسكن بغداد ، وكان ثقة ثبتاً كثير الرواية ، سمع منه الدارقطنى وغيره من الحفاظ ، وكان يحدث بفضائل الصحابة حين منعت الديالم من ذلك جهرا بالجامع بمدينة المنصور مخالفة لهم ، وكذلك بمسجده بباب الشام . توفى فى هذه السنة عن أربع وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلثمائة ﴾

فى عاشر المحرم عملت الروافض بدعتهم الشنعاء وضلالتهم الصلعاء على عادتهم ببغداد . وفيها أجلى القرامطة المهجريين من عمان . وفيها قصدت الروم آمد فحاصروها فلم يقدروا عليها ، ولكن قتلوا من أهلها ثلثمائة وأسروا منهم أربعمائة ، ثم ساروا إلى نصيبين ، وفيها سيف الدولة فهم بالهرب مع العرب ، ثم تأخر مجئ الروم فثبت مكانه وقد كادت تزلزل أركانه . وفيها وردت طائفة من جيش خراسان - وكانوا بضعة عشر ألفا - يظهرون أنهم يريدون غزو الروم ، فأكرمهم ركن الدولة بن بويه وأمنوا إليهم فنهضوا إليهم وأخذوا الديلم على غرة فقاتلهم ركن الدولة فظفر بهم لأن البغى له مصرع وخيم وهرب أكثرهم . وفيها خرج معز الدولة من بغداد إلى واسط لقتال عمران بن شاهين حين تفاقم الحال بشأنه ، واشتهر أمره فى تلك النواحى ، فقوى المرض بمعز الدولة فاستناب على الحرب ورجع إلى بغداد فكانت وفاته فى السنة الآتية كما سنذكره - إلى حيث ألقت . وفيها قوى أمر أبى عبد الله ابن الداعى ببلاد الديلم وأظهر النسك والعبادة ، ولبس الصوف وكتب إلى الآفاق حتى إلى بغداد يدعو إلى الجهاد فى سبيل الله لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ . وفى جمادى الآخرة نودى برفع المواريث الحشرية وأن ترد إلى ذوى الأرحام . وفيها وقع الفداء بين سيف الدولة و بين الروم فاستنقذ منهم أسارى كثيرة ، منهم ابن عمه أبو فراس بن سعيد بن حمدان ، وأبو الهيثم بن حصن القاضى ، وذلك فى رجب منها . وفيها ابتدأ معز الدولة بن بويه فى بناء مارستان وأرصد له أوقافا جزيلة . وفيها قطعت بنو سليم السابلة على الحجيج من أهل الشام ومصر والمغرب ، وأخذوا منهم

عشرين ألف جمل بأحمالها ، وكان عليها من الأموال والأمتعة مالا يقدر كثرة ، وكان لرجل يقال له ابن الخواتيمى قاضى طرسوس مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار عينا ، وذلك أنه أراد التحول من بلاد الشام إلى العراق بعد الحج ، وكذلك أراد كثير من الناس ، وحين أخذوا جمالهم تركوهم على برد الديار لا شئ لهم ، فقل منهم من سلم والأكثر عطب ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وحج بالناس الشريف أبو أحمد نقيب الطالبيين من جهة العراق .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن داود ﴾

ابن على بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو عبد الله العلوى الحسنى . قال الحاكم : أبو عبد الله كان شيخ آل رسول الله ﷺ فى عصره بخراسان وسيد العلوم فى زمانه ، وكان من أكثر الناس صلاة وصدقة ومحبة للصحابة ، وصحبته مدة فما سمعته ذكر عثمان إلا قال: الشهيد ، ويبكى . وما سمعته ذكر عائشة إلا قال : الصديقة بنت الصديق ، حبيبة حبيب الله ، ويبكى . وقد سمع الحديث من ابن خزيمة وطبقته ، وكان آباؤه بخراسان وفى سائر بلدانهم سادات نجباء حيث كانوا :

من آل بيت رسول الله منهم * لهم دانت رقاب بنى معد

﴿ محمد بن الحسين بن على بن الحسن ﴾

ابن يحيى بن حسان بن الوضاح ، أبو عبد الله الأنبارى الشاعر المعروف بالوضاحى ، كان يذكر أنه سمع الحديث من المحاملى وابن مخلد وأبى روق . روى عنه الحاكم شيئا من شعره كان أشعر من فى وقته ، ومن شعره :

سقى الله باب الكرخ ربعا ومنزلا * ومن حله صوب السحاب المجلل

فلو أن باكى دمنة الدار بالكوى * وجارتها أم الرباب بمأسل

رأى عرصات الكرخ أوحل أرضها * لأمسك عن ذكر الدخول فحومل

﴿ أبو بكر بن الجعابى ﴾

محمد بن عمر بن سلم بن البراء بن سبرة بن سيار ، أبو بكر الجعابى ، قاضى الموصل ، ولد فى صفر سنة أربع وثمانين ومائتين ، سمع الكثير وتخرج بأبى العباس بن عقدة ، وأخذ عنه علم الحديث وشيئا من التشيع أيضاً ، وكان حافظا مكثرا ، يقال إنه كان يحفظ أربعمائة ألف حديث بأسانيدها ومتونها ، ويذاكر بستمائة ألف حديث . ويحفظ من المراسيل والمقاطيع والحكايات قريباً من ذلك ، ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم ، وأوقات وفياتهم ومذاهبهم ، حتى تقدم على أهل زمانه ، وفاق سائر أقرانه . وكان يجلس للاملاء فيزدحم الناس عند منزله ، وإنما كان يملى من حفظه إسناد

الحديث ومتنه جيداً محرراً صحيحاً ، وقد نسب إلى التشيع كاستاذه ابن عقدة ، وكان يسكن بباب البصرة عندهم ، وقد سئل عنه الدارقطني فقال : خلط . وقال أبو بكر البرقاني : صاحب غرائب ، ومذهبه معروف في التشيع ، وقد حكى عنه قلة دين وشرب خمر فالله أعلم . ولما احتضر أوصى أن تحرق كتبه فحرقت ، وقد أحرق معها كتب كثيرة كانت عنده للناس ، فبئس ما عمل . ولما أخرجت جنازته كانت سكينة نائحة الرافضة تنوح عليه في جنازته .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلثمائة ﴾

استهلت هذه السنة والخليفة المطيع لله ، والسلطان معز الدولة بن بويه الديلمي . وفيها عملت الروافض في يوم عاشوراء عزاء الحسين على عادة ما ابتدعوه من النوح وغيره كما تقدم .

﴿ وفاة معز الدولة بن بويه الذي أظهر الرفض ونصر عليه ﴾

ولما كان ثالث عشر ربيع الأول منها توفي أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي الذي أظهر الرفض ويقال له معز الدولة ، بعلة الذرب ، فصار لا يثبت في معدته شئ بالكلية ، فلما أحس بالموت أظهر التوبة وأناب إلى الله عز وجل ، ورد كثيراً من المظالم ، وتصدق بكثير من ماله ، وأعتق طائفة كثيرة من مماليكه ، وعهد بالأمر إلى ولده بختيار عز الدولة ، وقد اجتمع ببعض العلماء فكلمه في السنة وأخبره أن علياً زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب ، فقال : والله ما سمعت بهذا قط ، ورجع إلى السنة ومتابعتها ، ولما حضر وقت الصلاة خرج عنه ذلك الرجل العالم فقال له معز الدولة : إلى أين تذهب ؟ فقال : إلى الصلاة فقال له ألا تصلي ههنا ؟ قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأن دارك مغصوبة . فاستحسن منه ذلك . وكان معز الدولة حليما كريما عاقلا ، وكانت إحدى يديه مقطوعة ، وهو أول من أجرى السعاة بين يديه ليبعث بأخباره إلى أخيه ركن الدولة سريعاً إلى شيراز ، وحظي عنده أهل هذه الصناعة وكان عنده في بغداد ساعيان ماهران ، وهما فضل ، وبرغوش ، يتعصب لهذا عوام أهل السنة ، ولهذا عوام أهل الشيعة ، وجرت لهما مناصف ومواقف . ولما مات معز الدولة دفن بباب التبن في مقابر قريش ، وجلس ابنه للعزاء . وأصاب الناس مطر ثلاثة أيام تباعاً ، وبعث عز الدولة إلى رؤس الأمراء في هذه الأيام بمال جزيل لئلا تجتمع الدولة على مخالفته قبل استحكام مبايعته ، وهذا من دهائه ، وكان عمر معز الدولة ثلاثا وخمسين سنة ، ومدة ولايته إحدى وعشرين سنة وإحدى عشر شهرا ويومين ، وقد كان نادى في أيامه برد المواريث إلى ذوي الارحام قبل بيت المال وقد سمع بعض الناس ليلة توفي معز الدولة هاتفا يقول :

لما بلغت أبا الحسين * مراد نفسك بالطلب
وأمنت من حدث الليا * لي واحتجبت عن النوب

مدت إليك يد الردى * وأخذت من بين الرتب

ولما مات قام بالأمر بعده ولده عز الدولة فأقبل على اللعب واللهو والاشتغال بأمر النساء فتفرق شمله واختلفت الكلمة عليه ، وطمع الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان في ملك بني بويه ، وأرسل الجيوش الكثيرة صحبة وشمكير ، فلما علم بذلك ركن الدولة بن بويه أرسل إلى ابنه عضد الدولة وابن أخيه عز الدولة يستنجدهما ، فأرسلا إليه بجنود كثيرة ، فركب فيها ركن الدولة و بعث إليه وشمكير يتهدده و يتوعده ، و يقول لئن قدرت عليك لأفعلن بك ولأفعلن ، فبعث إليه ركن الدولة يقول : لكني إن قدرت عليك لأحسنن إليك ولأصفحن عنك . فكانت الغلبة لهذا ، فدفع الله عنه شره ، وذلك أن وشمكير ركب فرسا صعباً يتصيد عليها فحمل عليه خنزير فنفرت منه الفرس فألقته على الأرض فخرج الدم من أذنيه فمات من ساعته وتفرقت العساكر . و بعث ابن وشمكير يطلب الأمان من ركن الدولة فأرسل إليه بالمال والرجال ، ووفى بما قال من الاحسان ، وصرف الله عنه كيد السامانية ، وذلك بصدق النية وحسن الطوية والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أبو الفرج الأصبهاني ﴾

صاحب كتاب الأغاني . واسمه علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان ابن محمد بن مروان بن الحكم الأموي ، صاحب كتاب الأغاني وكتاب أيام العرب ، ذكر فيه ألفا وسبعمائة يوم من أيامهم ، وكان شاعرا أديبا كاتباً ، عالما بأخبار الناس وأيامهم ، وكان فيه تشيع . قال ابن الجوزي : ومثله لا يوثق به ، فانه يصرح في كتبه بما يوجب العشق و يهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغاني رأى فيه كل قبيح ومنكر ، وقد روى الحديث عن محمد بن عبد الله بن بطين وخلق ، و روى عنه الدارقطني وغيره ، توفي في ذي الحجة من هذه السنة ، وكان مولده في سنة أربع وثمانين ومائتين ، التي توفي فيها البحتري الشاعر ، وقد ذكر له ابن خلكان مصنفات عديدة منها الأغاني والمزارات وأيام العرب . وفيها توفي .

﴿ سيف الدولة ﴾

أحد الأمراء الشجعان ، والملوك الكثيري الاحسان ، على ما كان فيه من تشيع ، وقد ملك دمشق في بعض السنين ، واتفق له أشياء غريبة ، منها أن خطيبه كان مصنف الخطب النباتية أحد الفصحاء البلغاء . ومنها أن شاعره كان المتنبي ، ومنها أن مطر به كان أبو نصر الفارابي . وكان سيف الدولة كريما جواداً معطياً للجزيل . ومن شعره في أخيه ناصر الدولة صاحب الموصل :

رضيت لك العليا ، وقد كنت أهلها * وقلت لهم : بيني و بين أخي فرق
وما كان لي عنها نكول ، وإنما * تجاوزت عن حقي فتم لك السبق

أما كنت ترضى أن أكون مصليا * إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

وله

قد جرى فى دمعه دمه * قال لى كم أنت تظلمه

رد عنه الطرف منك * فقد جرحته منك أسهمه

كيف تستطيع التجلد * من خطرات الوهم تؤلمه

وكان سبب موته الفالج ، وقيل عسر البول . توفى بحلب وحمل تابوته إلى ميافارقين فدفن بها ، وعمره ثلاث وخمسون سنة ، ثم أقام فى ملك حلب بعده ولده سيف الدولة أبو المعالى الشريف ، ثم تغلب عليه مولى أبيه قرعويه فأخرجه من حلب إلى أمه بميافارقين ، ثم عاد إليها كما سيأتى . وذكر ابن خلكان أشياء كثيرة مما قاله سيف الدولة ، وقيل فيه ، قال ولم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء ، وقد أجاز لجماعة منهم ، وقال : إنه ولد سنة ثلاث ، وقيل إحدى وثلثمائة وأنه ملك حلب بعد الثلاثين والثلثمائة ، وقبل ذلك ملك واسطا ونواحيها ، ثم تقلبت به الأحوال حتى ملك حلب . انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابى صاحب الأخشيد وقد قال يوماً : أيكم يجيز قولى وما أظن أحداً منكم يجيز ذلك : لك جسمى تعله فدمى لم تحله ؟ . فقال أبو فراس أخوه بديهة : إن كنت مالكا الأمر كله .

وقد كان هؤلاء الملوك رفضة وهذا من أقبح القول . وفيها توفى

﴿ كافور الأخشيد ﴾

مولى محمد بن طغج الأخشيدى ، وقد قام بالأمر بعده مولاه لصغر ولده . تملك كافور مصر ودمشق وقاده لسيف الدولة وغيره . وقد كتب على قبره .

أنظر إلى غير الأيام ما صنعت * أفنت قرونا بها كانوا وما فنيت

دنياهم ضحكت أيام بدولتهم * حتى إذا فنيت ناحت لهم وبكت

﴿ أبو على القالى ﴾

صاحب الأمالى ، إسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان ، أبو على القاضى القالى اللغوى الأموى مولاهم ، لأن سليمان هذا كان مولى لعبد الملك بن مروان ، والقالى نسبة إلى قالى قلا . ويقال إنها أردن الروم فالله أعلم . وكان مولده بميافارقين ، جزء من أرض الجزيرة من ديار بكر ، وسمع الحديث من أبى يعلى الموصلى وغيره ، وأخذ النحو واللغة عن ابن دريد وأبى بكر الأنبارى ونفطويه وغيرهم ، وصنف الأمالى وهو مشهور ، وله كتاب التاريخ على حروف المعجم فى خمسة آلاف ورقة ، وغير ذلك من المصنفات فى اللغة ، ودخل بغداد وسمع بها ثم ارتحل إلى قرطبة فدخلها فى سنة ثلاثين وثلثمائة واستوطنها ، وصنف بها كتبا كثيرة إلى أن

توفى بها فى هذه السنة عن ثمان وستين سنة قاله ابن خلكان .

وفيها توفى أبو على محمد بن إلياس صاحب بلاد كرمان ومعاملاتها ، فأخذ عضد الدولة بن ركن الدولة بلاد كرمان ، من أولاد محمد بن إلياس ـ وهم ثلاثة ـ اليسع ، و إلياس ، وسليمان ، والملك الكبير وشمكير ، كما قدمنا .

وفيها توفى من الملوك أيضاً الحسن بن الفيرزان . فكانت هذه السنة محل موت الملوك مات فيها معز الدولة ، وكافور ، وسيف الدولة ، قال ابن الأثير : وفيها هلك نقفور ملك الأرمن و بلاد الروم ـ يعنى الدمستق كما تقدم ـ .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلثمائة ﴾

فيها شاع الخبر ببغداد وغيرها من البلاد أن رجلا ظهر يقال له محمد بن عبدالله وتلقب بالمهدى و زعم أنه الموعود به ، وأنه يدعو إلى الخير و ينهى عن الشر ، ودعا إليه ناس من الشيعة ، وقالوا : هذا علوى من شيعتنا ، وكان هذا الرجل إذ ذاك مقيما بمصر عند كافور الأخشيدى قبل أن يموت وكان يكرمه ، وكان من جملة المستحسنين له سبكتكين الحاجب ، وكان شيعياً فظنه علويا ، وكتب إليه أن يقدم إلى بغداد ليأخذ له البلاد ، فترحل عن مصر قاصداً العراق فتلقاه سبكتكين الحاجب إلى قريب الأنبار ، فلما رآه عرفه و إذا هو محمد بن المستكفى بالله العباسى ، فلما تحقق أنه عباسى وليس بعلوى انثنى رأيه فيه ، فتفرق شمله وتمزق أمره ، وذهب أصحابه كل مذهب ، وحمل إلى معز الدولة فأمنه وسلمه إلى المطيع لله فجدع أنفه واختفى أمره ، فلم يظهر له خبر بالكلية بعد ذلك . وفيها وردت طائفة من الروم إلى بلاد إنطاكية فقتلوا خلقا من حواضرها وسبوا اثنى عشر ألفا من أهلها ورجعوا إلى بلادهم ، ولم يعرض لهم أحد . وفيها عملت الروافض فى يوم عاشوراء منها المأتم على الحسين ، وفى يوم غدير خم الهناء والسرور . وفيها فى تشرين عرض للناس داء الماشرى فمات به خلق كثير . وفيها مات أكثر جمال الحجيج فى الطريق من العطش ، ولم يصل منهم إلى مكة إلا القليل ، بل مات أكثر من وصل منهم بعد الحج . وفيها اقتتل أبو المعالى شريف بن سيف الدولة هو وخاله وابن عم أبيه أبو فراس فى المعركة . قال ابن الأثير : ولقد صدق من قال : إن الملك عقيم .

وفيها توفى من الأعيان أيضاً إبراهيم المتقى لله ، وكان قد ولى الخلافة ثم ألجئ أن خلع من سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة إلى هذه السنة ، وألزم بيته فمات فى هذه السنة ودفن بداره عن ستين سنة .

﴿ عمر بن جعفر بن عبد الله ﴾

ابن أبى السرى : أبو جعفر البصرى الحافظ ولد سنة ثمانين ومائتين ، حدث عن أبى الفضل ابن الحباب وغيره ، وقد انتقد عليه مائة حديث وضعها . قال الدارقطنى فنظرت فيها فاذا الصواب

مع عمر بن جعفر . ﴿ محمد بن أحمد بن على بن مخلد ﴾

أبو عبد الله الجوهرى المحتسب ، ويعرف بابن المحرم ، كان أحد أصحاب ابن جرير الطبرى ، وقد روى عن الكديمى وغيره ، وقد اتفق له أنه تزوج امرأة فلما دخلت عليه جلس يكتب الحديث فجاءت أمها فأخذت الدواة فرمت بها وقالت : هذه أضر على ابنتى من مائة ضرة . توفى فى هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة ، وكان يضعف فى الحديث .

﴿ كافور بن عبد الله الأخشيدى ﴾

كان مولى السلطان محمد بن طغج ، اشتراه من بعض أهل مصر بثمانية عشر ديناراً ، ثم قربه وأدناه ، وخصه من بين الموالى واصطفاه ، ثم جعله أتابكا حين ملك ولداه ، ثم استقل بالأمور بعد موتهما فى سنة خمس وخمسين ، واستقرت المملكة باسمه فدعى له على المنابر بالديار المصرية والشامية والحجازية ، وكان شهماً شجاعا ذكيا جيد السيرة ، مدحه الشعراء، منهم المتنبى، وحصل له منه مال، ثم غضب عليه فهجاه ورحل عنه إلى عضد الدولة ، ودفن كافور بتربته المشهورة به ، وقام فى الملك بعده أبو الحسن على بن الأخشيد ، ومنه أخذ الفاطميون الأدعياء بلاد مصر كما سيأتى . ملك كافور سنتين وثلاثة أشهر ﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ﴾

فى عاشوراء منها عملت الروافض بدعتهم وفى يوم خم عملوا الفرح والسرور المبتدع على عادتهم . وفيها حصل الغلاء العظيم حتى كاد أن يعدم الخبز بالكلية ، وكاد الناس أن يهلكوا . وفيها عاث الروم فى الأرض فسادا وحرقوا حمص وأفسدوا فيها فسادا عريضا ، وسبوا من المسلمين نحوا من مائة ألف إنسان فانا لله و إنا إليه راجعون . وفيها دخل أبو الحسين جوهر القائد الرومى فى جيش كثيف من جهة المعز الفاطمى إلى ديار مصر يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من شعبان فلما كان يوم الجمعة خطبوا للمعز الفاطمى على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها ، وأمر جوهر المؤذنين بالجوامع أن يؤذنوا بحى على خير العمل ، وأن يجهر الأئمة بالتسليمة الأولى ، وذلك أنه لما مات كافور لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه ، وأصابهم غلاء شديد أضعفهم ، فلما بلغ ذلك المعز بعث جوهراً هذا ـ وهو مولى أبيه المنصور ـ فى جيش إلى مصر . فلما بلغ ذلك أصحاب كافور هربوا منها قبل دخول جوهر إليها ، فدخلها بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة ، ففعل ما ذكرنا ، واستقرت أيدى الفاطميين على تلك البلاد . وفيها شرع جوهر القائد فى بناء القاهرة المعزية ، وبناء القصرين عندها على ما نذكره . وفيها شرع فى الامامات إلى مولاه المعز الفاطمى . وفيها أرسل جوهر جعفر بن فلاح فى جيش كثيف إلى الشام فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكان بدمشق الشريف أبو القاسم بن يعلى الهاشمى ، وكان مطاعاً فى أهل الشام فجاحف عن العباسيين مدة طويلة ، ثم آل الحال إلى أن يخطبوا للمعز بدمشق ، وحمل الشريف أبو

القاسم هذا إلى الديار المصرية ، وأسر الحسن بن طنج وجماعة من الأمراء وحملوا إلى الديار المصرية ، فحملهم جوهر القائد إلى المعز بافريقية ، واستقرت يد الفاطميين على دمشق فى سنة ستين كما سيأتى وأذن فيها وفى نواحيها بحى على خير العمل أكثر من مائة سنة ، وكتب لعنة الشيخين على أبواب الجوامع بها ، وأبواب المساجد ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولم يزل ذلك كذلك حتى أزالت ذلك دولة الأتراك والأكراد نور الدين الشهيد وصلاح الدين بن أيوب على ما سيأتى بيانه . وفيها دخلت الروم إلى حمص فوجدوا أكثر أهلها قد انجلوا عنها وذهبوا ، فحرقوها وأسروا ممن بقى فيها ومن حولها نحوا من مائة ألف إنسان ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفى ذى الحجة منها نقل عز الدولة والده معز الدولة ابن بويه من داره إلى تربته بمقابر قريش .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلثمائة ﴾

فى عاشر المحرم منها عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء فغلقت الأسواق وتعطلت المعايش ودارت النساء سافرات عن وجوهن ينحن على الحسين بن على ويلطمن وجوههن ، والمسوح معلقة فى الأسواق والتبن مدرور فيها . وفيها دخلت الروم إنطاكية فقتلوا من أهلها الشيوخ والعجائز وسبوا الصبايا والأطفال نحوا من عشرين ألفا فانا لله وإنا إليه راجعون . وذلك كله بتدبير ملك الأرمن نقفور لعنه الله ، وكل هذا فى ذمة ملوك الأرض أهل الرفض الذين قد استحوذوا على البلاد وأظهروا فيها الفساد قبحهم الله . قال ابن الجوزى : وكان قد تمرد وطغا ، وكان هذا الخبيث قد تزوج بامرأة الملك الذى كان قبله ، ولهذا الملك المتقدم ابنان ، فأراد أن يخصيهما ويجعلهما فى الكنيسة لئلا يصلحا بعد ذلك للملك ، فلما فهمت ذلك أمهما عملت عليه وسلطت عليه الأمراء فقتلوه وهو نائم وملكوا عليهم أكبر ولديها . وفى ربيع الأول صرف عن القضاء أبو بكر أحمد بن سيار وأعيد إليه أبو محمد بن معروف . قال ابن الجوزى : وفيها نقصت دجلة حتى غارت الآبار . وحج بالناس الشريف أبو أحمد النقيب ، وانقض كوكب فى ذى الحجة فأضاءت له الأرض حتى بقى له شعاع كالشمس ، ثم سمع له صوت كالرعد . قال ابن الأثير : وفى المحرم منها خطب للمعز الفاطمى بدمشق عن أمر جعفر بن فلاح الذى أرسله جوهر القائد بعد أخذه مصر ، فقاتله أبو محمد الحسن بن عبد الله ابن طنج بالرملة فغلبه ابن فلاح وأسره وأرسله إلى جوهر فأرسله إلى المعز وهو بافريقية . وفيها وقعت المنافرة بين ناصر الدولة بن حمدان وبين ابنه أبى تغلب ، وسببه أنه لما مات معز الدولة بن بويه عزم أبو تغلب ومن وافقه من أهل بيته على أخذ بغداد ، فقال لهم أبوهم : إن معز الدولة قد ترك لولده عز الدولة أموالا جزيلة فلا تقدرون عليه ما دامت فى يده ، فاصبروا حتى ينفقها فانه مبذر ، فاذا أفلس فسيروا إليه فانكم تغلبونه ، فحقد عليه ولده أبو تغلب بسبب هذا القول ولم يزل بأبيه

حتى سجنه بالقلعة ، فاختلف أولاده بينهم وصاروا أحزابا ، وضعفوا عما فى أيديهم ، فبعث أبو تغلب إلى عز الدولة يضمن منه بلاد الموصل بألف ألف كل سنة ، واتفق موت أبيه ناصر الدولة فى هذه السنة ، واستقر أبو تغلب بالموصل وملكها ، إلا أنهم فيما بينهم مختلفين متحاربين . وفيها دخل ملك الروم إلى طرابلس فأحرق كثيرا منها وقتل خلقا ، وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها منها لشدة ظلمه ، فأسرته الروم واستحوذوا على جميع أمواله وحواصله ، وكانت كثيرة جداً ، ثم مالوا على السواحل فملكوا ثمانية عشر بلدا سوى القرى ، وتنصر خلق كثير على أيديهم فانا لله وإنا إليه راجعون . وجاؤا إلى حمص فأحرقوا ونهبوا وسبوا ، ومكث ملك الروم شهرين يأخذ ماأراد من البلاد ويأسر من قدر عليه ، وصارت له مهابة فى قلوب الناس ، ثم عاد إلى بلاده ومعه من السبى نحو من مائة ألف مابين صبى وصبية ، وكان سبب عوده إلى بلاده كثرة الأمراض فى جيشه واشتياقهم إلى أولادهم ، وبعث سرية إلى الجزيرة فنهبوا وسبوا ، وكان قرعويه غلام سيف الدولة قد استحوذ على حلب وأخرج منها ابن أستاذه شريف ، فسار إلى طرف وهى تحت حكمه فأبوا أن يمكنوه من الدخول إليهم ، فذهب إلى أمه بميافارقين ، وهى ابنة سعيد بن حمدان فمكث عندها حينا ثم سار إلى حماه فملكها ، ثم عاد إلى حلب بعد سنتين كما سيأتى ، ولما عاثت الروم فى هذه السنة بالشام صانعهم قرعويه عن حلب ، وبعث إليهم بأموال وتحف ثم عادوا إلى إنطاكية فملكوها وقتلوا خلقا كثيراً من أهلها ، وسبوا عامة أهلها وركبوا إلى حلب وأبو المعالى شريف محاصر قرعويه بها ، فخافهم فهرب عنها فحاصرها الروم فأخذوا البلد ، وامتنعت القلعة عليهم ثم اصطلحوا مع قرعويه على هدية ومال يحمله إليهم كل سنة ، وسلموا إليه البلد ورجعوا عنه . وفيها خرج على المعز الفاطمى وهو بافريقية رجل يقال له أبو خزر فنهض إليه بنفسه وجنوده ، وطرده ثم عاد فاستأمنه فقبل منه وصفح عنه وجاءه الرسول من جوهر يبشره بفتح مصر وإقامة الدعوة له بها ، ويطلبه إليها ، ففرح بذلك وامتدحه الشعراء من جملتهم شاعره محمد بن هانئ قصيدة له أولها :

يقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبنى العباس قد قضى الأمر

وفيها رام عز الدولة صاحب بغداد محاصرة عمران بن شاهين الصياد فلم يقدر عليه ، فصالحه ورجع إلى بغداد . وفيها اصطلح قرعويه وأبو المعالى شريف ، فخطب له قرعويه بحلب وجميع معاملاتها تخطب للمعز الفاطمى ، وكذلك حمص ودمشق ، ويخطب بمكة للمطيع بالله وللقرامطة ، وبالمدينة للمعز الفاطمى . وخطب أبو أحمد الموسوى بظاهرها للمطيع . وذكر ابن الأثير أن نقفور توفى فى هذه السنة ثم صار ملك الروم إلى ابن الملك الذى قبله ، قال وكان يقال له الدمستق ، وكان من أبناء المسلمين كان أبوه من أهل طرسوس من خيار المسلمين يعرف بابن الفقاس ، فتنصر ولده هذا

وحظى عند النصارى حتى صار من أمره ما صار ، وقد كان من أشد الناس على المسلمين ، أخذ منهم بلاداً كثيرة عنوة ، من ذلك طرسوس والاذنة وعين زربة والمصيصة وغير ذلك ، وقتل من المسلمين خلقا لا يعلمهم إلا الله ، وسبى منهم مالا يعلم عدتهم إلا الله ، وتنصروا أو غالبهم ، وهو الذى بعث تلك القصيدة إلى المطيع كما تقدم .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ محمد بن أحمد بن الحسين ﴾

ابن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله أبو على الصواف ، روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وطبقته ، وعنه خلق منهم الدارقطنى . وقال ما رأت عيناى مثله فى تحريره ودينه ، وقد بلغ تسعاً وثمانين سنة رحمه الله .

﴿ محارب بن محمد بن محارب ﴾

أبو العلاء الفقيه الشافعى من ذرية محارب بن دثار ، كان ثقة عالما ، روى عن جعفر الفريابى وغيره .

﴿ أبو الحسين أحمد بن محمد ﴾

المعروف بابن القطان أحد أئمة الشافعية ، تفقه على ابن سريج ، ثم الشيخ أبى إسحاق الشيرازى وتفرد برياسة المذهب بعد موت أبى القاسم الدارانى ، وصنف فى أصول الفقه وفروعه ، وكانت الرحلة إليه ببغداد ، ودرس بها وكتب شيئا كثيرا . توفى فى جمادى الأولى منها .

﴿ ثم دخلت سنة ستين وثلثمائة ﴾

فى عاشر محرمها عملت الرافضة بدعتهم المحرمة على عادتهم المتقدمة . وفى ذى القعدة منها أخذت القرامطة دمشق وقتلوا نائبها جعفر بن فلاح ، وكان رئيس القرامطة وأميرهم الحسين بن أحمد بن بهرام وقد أمده عز الدولة من بغداد بسلاح وعدد كثيرة ، ثم ساروا إلى الرملة فأخذوها وتحصن بها من كان بها من المغاربة نوابا . ثم إن القرامطة تركوا عليهم من يحاصرها ثم ساروا نحو القاهرة فى جمع كثير من الأعراب والأخشيدية والكافورية ، فوصلوا عين شمس فاقتتلوا هم وجنود جوهر القائد قتالا شديداً ، والظفر للقرامطة وحصروا المغاربة حصراً عظيما . ثم حملت المغاربة فى بعض الأيام على ميمنة القرامطة فهزمتها ورجعت القرامطة إلى الشام فجدوا فى حصار باقى المغاربة فأرسل جوهر إلى أصحابه خمسة عشر مركبا ميرة لأصحابه ، فأخذتها القرامطة سوى مركبين أخذتها الأفرنج . وجرت خطوب كثيرة . ومن شعر الحسين بن أحمد بن بهرام أمير القرامطة فى ذلك:

زعمت رجال الغرب أنى هبتها * فدمى إذن ما بينهم مطلول

يامصر إن لم أسق أرضك من دم * يروى ثراك فلا سقانى النيل

وفيها تزوج أبو تغلب بن حمدان بنت بختيار عز الدولة وعمرها ثلاث سنين على صداق مائة

ألف دينار ، ووقع العقد فى صفر منها . وفيها استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة الصاحب أبا القاسم ابن عباد فأصلح أموره وساس دولته جيدا . وفيها أذن بدمشق وسائر الشام بحى على خير العمل . قال ابن عساكر فى ترجمة جعفر بن فلاح نائب دمشق : وهو أول من تأمر بها عن الفاطميين ، أخبرنا أبو محمد الأكفانى قال قال أبو بكر أحمد بن محمد بن شرام : وفى يوم الخميس لخمس خلون من صفر من سنة ستين وثلثمائة أعلن المؤذنون فى الجامع بدمشق وسائر مآذن البلد ، وسائر المساجد بحى على خير العمل بعد حى على الفلاح ، أمرهم بذلك جعفر بن فلاح ، ولم يقدروا على مخالفته ، ولا وجدوا من المسارعة إلى طاعته بدا . وفى يوم الجمعة الثامن من جمادى الآخرة أمر المؤذنون أن يثنوا الأذان والتكبير فى الاقامة مثنى مثنى ، وأن يقولوا فى الاقامة حى على خير العمل ، فاستعظم الناس ذلك وصبروا على حكم الله تعالى .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ سليمان بن أحمد بن أيوب ﴾

أبو القاسم الطبرانى الحافظ الكبير صاحب المعاجم الثلاثة : الكبير ، والأوسط ، والصغير . وله كتاب السنة وكتاب مسند الشاميين ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، عمر مائة سنة . توفى بأصبهان ودفن على بابها عند قبر حممة الصحابى . قاله أبو الفرج ابن الجوزى . قال ابن خلكان : سمع من ألف شيخ ، قال : وكانت وفاته فى يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة من هذه السنة وقيل فى شوال منها ، وكان مولده فى سنة ستين ومائتين فمات وله من العمر مائة سنة .

﴿ الرفا الشاعر أحمد بن السرى أبو الحسن ﴾ الكندى الرفا الشاعر الموصلى ، أرخ وفاته ابن الأثير فى هذه السنة ، توفى فى بغداد . وذكر بن الجوزى أنه توفى سنة ثنتين وستين وثلثمائة كما سيأتى .

﴿ محمد بن جعفر ﴾

ابن محمد بن الهيثم بن عمران بن يزيد أبو بكر بن المنذر أصله أنبارى . سمع من أحمد بن الخليل ابن البرجلانى ، ومحمد بن العوام الرياحى ، وجعفر بن محمد الصائغ ، وأبى إسماعيل الترمذى . قال ابن الجوزى وهو آخر من روى عنهم . قالوا : وكانت أصوله جياداً بخط أبيه ، وسماعه صحيحاً ، وقد انتقى عنه أبو عمرو البصرى . توفى فجأة يوم عاشوراء وقد جاوز التسعين .

﴿ محمد بن الحسن بن عبد الله أبو بكر الآجرى ﴾

سمع جعفر الفريابى ، وأبا شعيب الحرانى ، وأبا مسلم الكجى وخلقا ، وكان ثقة صادقا دينا ، وله مصنفات كثيرة مفيدة ، منها الأربعون الآجرية ، وقد حدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلثمائة ، ثم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات بعد إقامته بها ثلاثين سنة رحمه الله .

﴿ محمد بن جعفر بن محمد ﴾

أبو عمرو الزاهـد ، سمع الكثير ورحل إلى الآفاق المتباعدة ، وسمع منه الحفاظ الكبار ، وكان فقيراً متقللا يضرب اللبن بقبور الفقراء ، ويتقوت برغيف وجزرة أو بصلة ، ويقوم الليل كله . توفى فى جمادى الآخرة منها عن خمس وتسعين سنة .

﴿ محمد بن داود أبو بكر الصوفى ﴾

ويعرف بالدقى أصله من الدينور أقام ببغداد ، ثم ارتحل وانتقل إلى دمشق ، وقد قرأ على ابن مجاهد وسمع الحديث من محمد بن جعفر الخرائطى ، صاحب ابن الجلاء ، والدقاق . توفى فى هـذه السنة وقد جاوز المائة

﴿ محمد بن الفرحانى ﴾

ابن زروية المروزى الطبيب ، دخل بغداد وحدث بها عن أبيه بأحاديث منكرة ، روى عن الجنيد وابن مرزوق ، قال ابن الجوزى : وكان فيـه ظرف ولباقة ، غـير أنهم كانوا يتهمونه بوضع الحديث .

﴿ أحمد بن الفتح ﴾

ويقال ابن أبى الفتح الخاقانى ، أبو العباس النجاد ، إمام جامع دمشق . قال ابن عساكر : كان عابداً صالحا ، وذكر أن جماعة جاؤا لزيارته فسمعوه يتأوه من وجع كان به ، فأنكروا عليـه ذلك ، فلما خرج إليهم قال لهم : إن آه اسم من تستروح إليه الأعلى ، قال فزاد فى أعينهم وعظموه . قلت : لكن هذا الذى قاله لا يؤخذ عنه مسلما إليه فيه ، بل يحتاج إلى نقل صحيح عن المعصوم ، فان أسماء الله تعالى توقيفية على الصحيح .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلثمائة ﴾

فى عاشر المحرم منها عملت الروافض بدعتهم كما تقدم ، وفى المحرم منها أغارت الروم على الجزيرة وديار بكر فقتلوا خلقا من أهل الرها ، وساروا فى البـلاد كذلك يقتلون ويأسرون ويغنمون إلى أن وصلوا نصيبين ففعلوا ذلك ، ولم يغن عن تلك النواحى أبو تغلب بن حمدان متوليها شيئا ، ولا دافع عنهم ولاله قوة ، فعند ذلك ذهب أهل الجزيرة إلى بغداد وأرادوا أن يدخلوا على الخليفة المطيع لله وغيره يستنصرونه ويستصرخون ، فرثا لهم أهل بغـداد وجاؤامعهم إلى الخليفة فلم يمكنهم ذلك ، وكان بختيار بن معز الدولة مشغولا بالصيد فذهبت الرسل وراءه فبعث الحاجب سبكتكين يستنفر الناس ، فتجهز خلق كثير من العامة ، وكتب إلى تغلب أن يعـد الميرة والاقامة ، فأظهر السرور والفرح ، ولمـا تجهزت العامة للغزاة وقعت بينهـم فتنة شـديدة بين الروافض وأهل السنة ، وأحرق أهل السنة دور الروافض فى الكرخ وقالوا : الشر كله منكم ، وثار العيارون ببغداد يأخذون أموال الناس ، وتناقض النقيب أبو أحمد الموسوى والوزير أبو الفضل الشيرازى ، وأرسل بختيار بن معز الدولة

إلى الخليفة يطلب منه أموالا يستعين بها على هذه الغزوة ، فبعث إليه يقول : لو كان الخراج يجبى إلى لدفعت منه ما يحتاج المسلمون إليه ، ولكن أنت تصرف منه فى وجوه ليس بالمسلمين إليها ضرورة وأما أنا فليس عندى شئ أرسله إليك. فترددت الرسل بينهم وأغلظ بختيار للخليفة فى الكلام وتهدده فاحتاج الخليفة أن يحصل له شيئا فباع بعض ثياب بدنه وشيئا من أثاث بيته ، ونقض بعض سقوف داره وحصل له أربعمائة ألف درهم فصرفها بختيار فى مصالح نفسه وأبطل تلك الغزاة ، فنقم الناس للخليفة وساءهم ما فعل به ابن بويه الرافضى من أخذه مال الخليفة وتركه الجهاد ، فلا جزاه الله خيراً عن المسلمين . وفيها تسلم أبو تغلب بن حمدان قلعة ماردين فنقل حواصلها وما فيها إلى الموصل . وفيها اصطلح الأمير منصور بن نوح السامانى صاحب خراسان وركن الدولة بن بويه وابنه عضد الدولة على أن يحملا إليه فى كل سنة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وتزوج بابنة ركن الدولة ، فحمل إليه من الهدايا والتحف مالا يعد ولا يحصى . وفى شوال منها خرج المعز الفاطمى بأهله وحاشيته وجنوده من المدينة المنصورة من بلاد المغرب قاصداً البلاد المصرية ، بعد ما مهد له مولاه جوهر أمرها وبنى له بها القصرين، واستخلف المعز على بلاد المغرب ونواحيها وصقلية وأعمالها نوابا من جهته وحزبه وأنصاره من أهل تلك البلاد ، واستصحب معه شاعره محمد بن هانئ الأندلسى ، فتوفى فى أثناء الطريق ، وكان قدوم المعز إلى القاهرة فى رمضان من السنة الآتية على ما سيأتى . وفيها حج بالناس الشريف أبو أحمد الموسوى النقيب على الطالبيين كلهم .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ سعيد بن أبى سعيد الجنابى ﴾

أبو القاسم القرمطى الهجرى ، وقام بالأمر من بعده أخوه أبو يعقوب يوسف ، ولم يبق من سلالة أبى سعيد سواه ﴿ عثمان بن عمر بن خفيف ﴾

أبو عمر المقرى المعروف بالدراج ، روى عن أبى بكر بن أبى داود وعنه ابن زرقويه ، وكان من أهل القراءات والفقه والدراية والديانة والسيرة الجميلة ، وكان يعد من الابدال . توفى يوم الجمعة فى رمضان منها ﴿ على بن إسحاق بن خلف ﴾

أبو الحسين القطان الشاعر المعروف بالزاهى . ومن شعره :

قم فهن عاشقين * أصبحا مصطحبين * جمعا بعد فراق * فجعا منه ببين
ثم عادا فى سرور * من صدود آمنين * بهما روح ولكن * ركبت فى بدنين

﴿ أحمد بن سهل ﴾

ابن شداد أبو بكر الخرمى ، سمع أبا خليفة وجعفر الفريابى ، وابن أبى الفوارس وابن جرير وغيرهم ، وعنه الدارقطنى وابن زرقويه وأبو نعيم . وقد ضعفه البرقانى وابن الجوزى وغيرهم .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وستين وثلثمائة ﴾

فى عاشر محرمها عملت الروافض من النياحة وتعليق المسوح وغلق الأسواق ما تقدم قبلها . وفيها اجتمع الفقيه أبو بكر الرازى الحنفى وأبو الحسن على بن عيسى الرمانى وابن الدقاق الحنبلى بعز الدولة بختيار بن بويه وحرضوه على غزو الروم فبعث جيشاً لقتالهم فأظفره الله بهم ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا و بعثوا برؤسهم إلى بغداد فسكنت أنفس الناس . وفيها سارت الروم مع ملكهم لحصار آمد وعليها هزرمرد غلام أبى الهيجاء بن حمدان ، فكتب إلى أبى تغلب يستنصره فبعث إليه أخاه أبا القاسم هبة الله ناصر الدولة بن حمدان ، فاجتمعا لقتاله فلقياه فى آخر يوم من رمضان فى مكان ضيق لا مجال للخيل فيه ، فاقتتلوا مع الروم قتالا شديداً فهزمت الروم على الفرار فلم يقدروا فاستحر فيهم القتل وأخذ الدمستق أسيراً فأودع السجن فلم يزل فيه حتى مرض ومات فى السنة القابلة ، وقد جمع أبو تغلب الأطباء له فلم ينفعه شئ . وفيها أحرق الكرخ ببغداد وكان سببه أن صاحب المعونة ضرب رجلا من العامة فمات فثارت عليه العامة وجماعة من الأتراك ، فهرب منهم فدخل داراً فأخرجوه مسحوبا وقتلوه وحرقوه ، فركب الوزير أبو الفضل الشيرازى - وكان شديد التعصب للسنة - و بعث حاجبه إلى أهل الكرخ فألقى فى دورهم النار فاحترقت طائفة كثيرة من الدور والأموال من ذلك ثلثمائة دكان وثلاثة وثلاثون مسجدا ، وسبعة عشر ألف إنسان . فعند ذلك عزله بختيار عن الوزارة وولاها محمد بن بقية ، فتعجب الناس من ذلك ، وذلك أن هذا الرجل كان وضيعا عند الناس لا حرمة له ، كان أبوه فلاحاً بقرية كونا ، وكان هو ممن يخدم عز الدولة ، كان يقدم له الطعام ويحمل منديل الزفر على كتفه ، إلى أن ولى الوزارة ، ومع هذا كان أشد ظلما للرعية من الذى قبله ، وكثر فى زمانه العيارون ببغداد ، وفسدت الأمور . وفيها وقع الخلاف بين عز الدولة و بين حاجبه سبكتكين ثم اصطلحا على دخن . وفيها كان دخول المعز الفاطمى الديار المصرية وصحبته توابيت آبائه ، فوصل إلى اسكندرية فى شعبان ، وقد تلقاه أعيان مصر إليها ، فخطب الناس هنالك خطبة بليغة ارتجالا ، ذكر فيها فضلهم وشرفهم ، وقد كذب فقال فيها : إن الله أغاث الرعايا بهم و بدولتهم . وحكى قاضى بلاد مصر وكان جالساً إلى جنبه فسأله : هل رأيت خليفة أفضل منى ؟ فقال له لم أر أحدا من الخلفاء سوى أمير المؤمنين . فقال له : أحججت ؟ قال نعم . قال : وزرت قبر الرسول ؟ قال : نعم . قال : وقبر أبى بكر وعمر ؟ قال فتحيرت ما أقول فاذا ابنه العزيز مع كبار الأمراء فقلت : شغلنى عنهما رسول الله كما شغلنى أمير المؤمنين عن السلام على ولى العهد من بعده ، ونهضت إليه وسلمت عليه ورجعت فانفسح المجلس إلى غيره . ثم سار من الإسكندرية إلى مصر فدخلها فى الخامس من رمضان من هذه السنة فنزل القصرين ، فقيل إنه أول ما دخل إلى محل ملكه خر ساجدا شكراً لله

عز وجل ، ثم كان أول حكومة انتهت إليه أن امرأة كافور الأخشيدى ذكرت أنها كانت أودعت رجلا من اليهود الصواغ قباء من لؤلؤ منسوج بالذهب ، وأنه جحدها ذلك ، فاستحضره وقرره فجحد ذلك وأنكره . فأمر أن تحفر داره ويستخرج منها ما فيها ، فوجدوا القباء بعينه قد جعله فى جرة ودفنه فى بعض المواضع من داره ، فسلمه المعز إليها ووفره عليها ، ولم يتعرض إلى القباء فقدمته إليه فأبى أن يقبله منها فاستحسن الناس منه ذلك . وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ السرى بن أحمد بن أبى السرى ﴾ أبو الحسن الكندى الموصلى ، الرفا الشاعر ، له مدائح فى سيف الدولة بن حمدان وغيره من الملوك والأمراء ، وقد قدم بغداد فمات بها فى هذه السنة ، وقيل فى سنة أربع وقيل خمس وقيل ست وأربعين . وقد كان بينه و بين محمد بن سعيد معاداة ، وادعى عليه أنه سرق شعره ، وكان مغنياً ينسج على ديوان كشاجم الشاعر ، وربما زاد فيه من شعر الخالديين ليكثر حجمه . قال ابن خلكان : وللسرى الرفا هذا ديوان كبير جدا وأنشد من شعره . يلقى الندى برقيق وجه مسفر * فاذا التقى الجمعان عاد صفيقا

رحب المنازل ما أقام،فان سرى * فى جحفل ترك الفضاء مضيقا

﴿ محمد بن هانى ﴾

الأندلسى الشاعر استصحبه المعز الفاطمى من بلاد القيروان حين توجه إلى مصر ، فمات ببعض الطريق ، وجد مقتولا على حافة البحر فى رجب منها ، وقد كان قوى النظم إلا أنه كفره غير واحد من العلماء فى مبالغته فى مدحه الخلق ، فمن ذلك قوله يمدح المعز :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار * فاحكم فأنت الواحد القهار

وهذا من أكبر الكفر . وقال أيضاً قبحه الله وأخزاه :

* ولطالما زاحمت تحت ركابه جبريلا *

ومن ذلك قوله ـ قال ابن الأثير ولم أرها فى شعره ولا فى ديوانه ـ :

جل بزيادة جل المسيح * بها وجل آدم ونوح

جل بها الله ذو المعالى * فكل شئ سواه ريح

وقد اعتذر عنه بعض المتعصبين له . قلت : هذا الكلام إن صح عنه فليس عنه اعتذار ، لا فى الدار الآخرة ولا فى هذه الدار . وفيها توفى .

﴿ إبراهيم بن محمد ﴾

ابن شجنونة بن عبد الله المزكى أحد الحفاظ أنفق على الحديث وأهله أموالا جزيلة ، وأسمع

الناس بتخريجه ، وعقد له مجلس للاملاء بنيسابور ، ورحل وسمع من المشايخ غربا وشرقا ، ومن مشايخه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير من كبار المحدثين ، منهم أبو العباس الأصم وأضرابه ، توفي عن سبع وستين سنة .

﴿ سعيد بن القاسم بن خالد ﴾

أبو عمرو البردعي أحد الحفاظ ، روى عنه الدارقطني وغيره .

﴿ محمد بن الحسن بن كوثر بن علي ﴾

أبو بحر البربهاري ، روى عن إبراهيم الحربي وتمام والباغندي والكديمي وغيرهم ، وقد روى عنه ابن زرقويه وأبو نعيم وانتخب عليه الدارقطني ، وقال : اقتصروا على ما خرجته له فقد اختلط صحيح سماعه بفاسده . وقد تكلم فيه غير واحد من حفاظ زمانه بسبب تخليطه وغفلته واتهمه بعضهم بالكذب أيضاً .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلثمائة ﴾

فيها في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض ، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة ، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه ، بعيد عن السداد ، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة وسموها عائشة ، وتسمى بعضهم بطلحة ، وبعضهم بالزبير ، وقالوا : نقاتل أصحاب علي ، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير ، وعاث العيارون في البلد فساداً ، ونهبت الأموال ، ثم أخذ جماعة منهم فقتلوا وصلبوا فسكنت الفتنة . وفيها أخذ بختيار بن معز الدولة الموصل ، وزوج ابنته بابن أبي تغلب بن حمدان . وفيها وقعت الفتنة بالبصرة بين الديلم والأتراك ، فقويت الديلم على الترك بسبب أن الملك فيهم فقتلوا منهم خلقا كثيراً ، وحبسوا رؤسهم ونهبوا كثيرا من أموالهم . وكتب عز الدولة إلى أهله إني سأكتب إليكم أني قد مت فاذا وصل اليكم الكتاب فأظهروا النوح واجلسوا للعزاء ، فاذا جاء سبكتكين للعزاء فاقبضوا عليه فانه ركن الأتراك ورأسهم . فلما جاء الكتاب إلى بغداد بذلك أظهروا النوح وجلسوا للعزاء ففهم سبكتكين أن هذه مكيدة فلم يقربهم ، وتحقق العداوة بينه وبين عز الدولة ، وركب من فوره في الأتراك فحاصر دار عز الدولة يومين ، ثم أنزل أهله منها ونهب ما فيها وأحدرهم إلى دجلة وإلى واسط منفيين ، وكان قد عزم على إرسال الخليفة المطيع معهم ، فتوسل إليه الخليفة فعفا عنه وأقره بداره ، وقويت شوكة سبكتكين والأتراك ببغداد ، ونهبت الأتراك دور الديلم ، وخلع سبكتكين على رؤس العامة ، لأنهم كانوا معه على الديلم ، وقويت السنة على الشيعة وأحرقوا الكرخ - لأنه محل الرافضة - ثانيا ، وظهرت السنة على يدي الأتراك ، وخلع المطيع وولي ولده على ما سنذكر إن شاء الله تعالى .

﴿ خلافة الطائع وخلع المطيع ﴾

ذكر ابن الأثير أنه لما كان الثالث عشر من ذى القعدة ، وقال ابن الجوزى : كان ذلك يوم الثلاثاء التاسع عشر من ذى القعدة من هذه السنة ، خلع المطيع لله وذلك لفالج أصابه فثقل لسانه ، فسأله سبكتكين أن يخلع نفسه و يولى من بعده ولده الطائع ، فأجاب إلى ذلك فعقدت البيعة للطائع بدار الخلافة على يدى الحاجب سبكتكين ، وخلع أبوه المطيع بعد تسع وعشرين سنة كانت له فى الخلافة ، ولكن تعوض بولاية ولده . واسم الطائع أبو بكر عبد الكريم بن المطيع أبى القاسم ، ولم يل الخلافة من اسمه عبد الكريم سواه ، ولا من أبوه حى سواه ، ولامن كنيته أبو بكر سواه وسوى أبى بكر الصديق رضى الله عنه . ولم يل الخلافة من بنى العباس أسن منه ، كان عمره لما تولى ثمانيا وأربعين سنة ، وكانت أمه أم ولد اسمها غيث ، تعيش يوم ولى . ولما بويع ركب وعليه البردة و بين يديه سبكتكين والجيش ، ثم خلع من الغد على سبكتكين خلع الملوك ولقبه ناصر الدولة ، وعقد له الامارة . ولما كان يوم الأضحى ركب الطائع وعليه السواد ، فخطب الناس بعد الصلاة خطبة خفيفة حسنة . وحكى ابن الجوزى فى منتظمه أن المطيع لله كان يسمى بعد خلعه بالشيخ الفاضل .

﴿ ذكر الحرب بين المعز الفاطمى و بين الحسين بن أحمد القرمطى ﴾

لما استقر المعز الفاطمى بالديار المصرية وابتنى فيها القاهرة والقصرين وتأكد ملكه ، سار إليه الحسين بن أحمد القرمطى من الأحساء فى جمع كثيف من أصحابه ، والتف معه أمير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح الطائى ، فى عرب الشام بكمالهم ، فلما سمع بهم المعز الفاطمى أسقط فى يده لكثرتهم ، وكتب إلى القرمطى يستميله و يقول : إنما دعوة آبائك كانت إلى آبائى قديما ، فدعوتنا واحدة ، و يذكر فيه فضله وفضل آبائه ، فرد عليه الجواب : وصل كتابك الذى كثر تفضيله وقل تحصيله ونحن سائرون إليك على إثره والسلام . فلما انتهوا إلى ديار مصر عاثوا فيها قتلا ونهباً وفسادا وحار المعز فيما يصنع وضعف جيشه عن مقاومتهم ، فعدل إلى المكيدة والخديعة ، فراسل حسان بن الجراح أمير العرب ووعده بمائة ألف دينار إن هو خذل بين الناس ، فبعث إليه حسان يقول أن ابعث إلى بما التزمت وتعال بمن معك ، فاذا لقيتنا انهزمت بمن معى فلا يبقى للقرمطى قوة فتأخذه كيف شئت . فأرسل إليه بمائة ألف دينار فى أكياسها ، ولكن أكثرها زغل ضرب النحاس وألبسه ذهباً وجعله فى أسفل الأكياس ، وجعل فى رؤسها الدنانير الخالصة ، ولما بعثها إليه ركب فى إثرها فى جيشه فالتقى الناس فانهزم حسان بمن معه ، فضعف جانب القرمطى وقوى عليه الفاطمى فكسره ، وانهزمت القرامطة ورجعوا إلى أذرعات فى أذل حال وأرذله ، و بعث المعز فى آثارهم القائد أبا محمود بن إبراهيم فى عشرة آلاف فارس ، ليحسم مادة القرامطة و يطفئ نارهم عنه .

﴿ ذكر ملك المعز الفاطمى دمشق وانتزاعه إياها من القرامطة ﴾

لما انهزم القرمطى بعث المعز سرية وأمر عليهم ظالم بن موهوب العقيلى ، فجاؤا إلى دمشق فتسلمها من القرامطة بعد حصار شديد واعتقل متوليها أبا الهيجاء القرمطى وابنه ، واعتقل رجلا يقال له أبو بكر من أهل نابلس ، كان يتكلم فى الفاطميين و يقول : لو كان معى عشرة أسهم لرميت الروم بواحد و رميت الفاطميين بتسعة . فأمر به فسلخ بين يدى المعز وحشى جلده تبنا وصلب بعد ذلك . ولما تفرغ أبو محمود القائد من قتال القرامطة أقبل نحو دمشق فخرج إليه ظالم بن موهوب فتلقاه إلى ظاهر البلد وأكرمه وأنزله ظاهر دمشق ، فأفسد أصحابه فى الغوطة ونهبوا الفلاحين وقطعوا الطرقات ، فتحول أهل الغوطة إلى البلد من كثرة النهب ، وجئ بجماعة من القتلى فألقوا فكثر الضجيج ، وغلقت الأسواق ، واجتمعت العامة للقتال ، والتقوا مع المغاربة فقتل من الفريقين جماعة وانهزمت العامة غير مرة ، وأحرقت المغاربة ناحية باب الفراديس ، فاحترق شئ كثير من الأموال والدور ، وطال القتال بينهم إلى سنة أربع وستين وأحرقت البلد مرة أخرى بعد عزل ظالم بن موهوب وتولية جيش بن صمصامة بن أخت أبى محمود قبحه الله ، وقطعت القنوات وسائر المياه عن البلد ، ومات كثير من الفقراء فى الطرقات من الجوع والعطش ، ولم يزل الحال كذلك حتى ولى عليهم الطواشى ريان الخادم من جهة المعز الفاطمى ، فسكنت النفوس ولله الحمد .

فصل

ولما قويت الأتراك ببغداد تحير بختيار بن معز الدولة فى أمره وهو مقيم بالأهواز لا يستطيع الدخول إلى بغداد ، فأرسل إلى عمه ركن الدولة يستنجده فأرسل إليه بعسكر مع وزيره أبى الفتح بن العميد ، وأرسل إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة فأبطأ عليه وأرسل إلى عمران بن شاهين فلم يجبه ، وأرسل إلى أبى تغلب بن حمدان فأظهر نصره وإنما يريد فى الباطن أخذ بغداد ، وخرجت الأتراك من بغداد فى جحفل عظيم ومعهم الخليفة المطيع وأبوه ، فلما انتهوا إلى واسط توفى المطيع و بعد أيام توفى سبكتكين ، فحملا إلى بغداد والتف الأتراك على أمير يقال له الفتكين ، فاجتمع شملهم والتقوا مع بختيار فضعف أمره جدا وقوى عليه ابن عمه عضد الدولة فأخذ منه ملك العراق وتمزق شمله ، وتفرق أمره . وفيها خطب للمعز الفاطمى بالحرمين مكة والمدينة النبوية . وفيها خرج طائفة من بنى هلال وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقا كثيراً ، وعطلوا على من بقى منهم الحج فى هذا العام . وفيها انتهى تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وأوله من سنة خمس وتسعين ومائتين ، وهى أول دولة المقتدر . وفيها كانت زلزلة شديدة بواسط ، وحج بالناس فيها الشريف أبو أحمد الموسوى ، ولم يحصل لأحد حج فى هذه السنة سوى من كان معه على درب

العراق ، وقد أخذ بالناس على طريق المدينة فتم حجهم .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ العباس بن الحسين ﴾

أبو الفضل السراجى الوزير لعز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ، وكان من الناصرين للسنة المتعصبين لها ، عكس مخدومه ، فعزله وولى محمد بن بقية البابا كما تقدم ، وحبس هذا فقتل فى محبسه فى ربيع الآخر منها ، عن تسع وخمسين سنة ، وكان فيه ظلم وحيف فالله أعلم .

﴿ وأبو بكر عبد العزيز بن جعفر ﴾

الفقيه الحنبلى المعروف بغلام ، أحد مشاهير الحنابلة الأعيان ، وممن صنف وجمع وناظر ، وسمع الحديث من أبى القاسم البغوى وطبقته ، ومات وقد عدا الثمانين . قال ابن الجوزى : وله المقنع فى مائة جزء ، والشافى فى ثمانين جزء ، وزاد المسافر والخلاف مع الشافعى وكتاب القولين ومختصر السنة ، وغير ذلك فى التفسير والأصول .

﴿ على بن محمد ﴾

أبو الفتح البستى الشاعر المشهور ، له ديوان جيد قوى ، وله فى المطابقة والمجانسة اليد الطولى ، ومبتكرات أولى . وقد ذكر ابن الجوزى له فى منتظمه من ذلك قطعة كبيرة مرتبة على حروف المعجم ، من ذلك قوله :

إذا قنعت بميسور من القوت * بقيت فى الناس حراً غير ممقوت
يا قوت يومى إذا مادر خلفك لى * فلست آسى على در وياقوت

وقوله : يا أيها السائل عن منهجى * ليقتدى فيه بمنهاجى
منهاجى الحق وقمع الهوى * فهل لمنهاجى من هاجى

وقوله : افد طبعك المكدود بالجد راحة * تجم ، وعلله بشئ من المزح
ولكن إذا أعطيت ذلك فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

﴿ أبو فراس بن حمدان الشاعر ﴾

له ديوان مشهور . استنابه أخوه سيف الدولة على حران ومنبج ، فقاتل مرة الروم فأسروه ثم استنقذه سيف الدولة ، واتفق موته فى هذه السنة عن ثمان وأربعين سنة ، وله شعر رائق ومعانى حسنة ، وقد رثاه أخوه سيف الدولة فقال :

المرء رهن مصائب لاتنقضى * حتى يوارى جسمه فى رمسه
فمؤجل يلقى الردى فى أهله * ومعجل يلقى الاذى فى نفسه

فلما قالهما كان عنده رجل من العرب فقال قل فى معناهما فقال الأعرابى :

من يتمنى العمر فليتخذ * صبراً على فقد أحبابه
ومن يعمر يلق فى نفسه * ما يتمناه لأعدائه

كذا ذكر ابن الساعى هذين البيتين من شعر سيف الدولة فى أخيه أبى فراس ، وذكرها ابن الجوزى من شعر أبى فراس نفسه ، وأن الأعرابى أجازهما بالبيتين المذكورين بعدهما . ومن شعر أبى فراس : سيفقدنى قومى إذا جد جدهم * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ولوسدغيرى ماسددت اكتفوا * به وما فعل النسر الرفيق مع الصقر

وقوله من قصيدة :

إلى الله أشكو إننا بمنازل * تحكم فى آسادهن كلاب
فليتك تحلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر * وبينى وبين العالمين خراب

﴿ثم دخلت سنة أربع وستين وثلثمائة﴾

فيها جاء عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى واسط ومعه وزير أبيه أبو الفتح بن العميد ، فهرب منه الفتكين فى الأتراك إلى بغداد ، فسار خلفهم فنزل فى الجانب الشرقى منها ، وأمر بختيار أن ينزل على الجانب الغربى ، وحصر الترك حصراً شديدا ، وأمر أمراء الأعراب أن يغيروا على الأطراف ويقطعوا عن بغداد الميرة الواصلة إليها ، فغلت الأسعار وامتنع الناس من المعاش من كثرة العيارين والنهوب ، وكبس الفتكين البيوت لطلب الطعام واشتد الحال ، ثم التقت الأتراك وعضد الدولة فكسرهم وهربوا إلى تكريت واستحوذ عضد الدولة على بغداد وما والاها من البلاد ، وكانت الترك قد أخرجوا معهم الخليفة فرده عضد الدولة إلى دار الخلافة مكرما ، ونزل هو بدار الملك وضعف أمر بختيار جدا ، ولم يبق معه شئ بالكلية ، فأغلق بابه وطرد الحجبة والكتاب عن بابه واستعفى عن الامارة ، وكان ذلك بمشورة عضد الدولة ، فاستعطفه عضد الدولة فى الظاهر ، وقد أشار عليه فى الباطن أن لا يقبل فلم يقبل . وترددت الرسل بينهما فصمم بختيار على الامتناع ظاهراً ، فألزم عضد الدولة بذلك وأظهر للناس أنه إنما يفعل هذا عجزا منه عن القيام بأعباء الملك فأمر بالقبض على بختيار وعلى أهله واخوته ، ففرح بذلك الخليفة الطائع ، وأظهر عضد الدولة من تعظيم الخلافة ما كان دارسا ، وجدد دار الخلافة حتى صار كل محل منها آنساً ، وأرسل إلى الخليفة بالأموال والأمتعة الحسنة العزيزة وقتل المفسدين من مردة الترك وشطار العيارين .

قال ابن الجوزى : وفى هذه السنة عظم البلاء بالعيارين ببغداد ، وأحرقوا سوق باب الشعير ، وأخذوا أموالا كثيرة ، وركبوا الخيول وتلقبوا بالقواد ، وأخذوا الخفر من الأسواق والدروب ،

وعظمت المحنة بهم جدا . واستفحل أمرهم ، حتى أن رجلا منهم أسود كان مستضعفا نجم فيهم وكثر ماله حتى اشترى جارية بألف دينار ، فلما حصلت عنده حاولها عن نفسها فأبت عليه فقال لها : ماذا تكرهين منى ؟ قالت : أكرهك كلك . فقال : فما تحبين ؟ فقالت تبيعنى . فقال : أو خير من ذلك ؟ فحملها إلى القاضى فأعتقها وأعطاها ألف دينار وأطلقها ، فتعجب الناس من حلمه وكرمه مع فسقه وقوته . قال : وورد الخبر فى المحرم بأنه خطب للمعز الفاطمى بمكة والمدينة فى الموسم ، ولم يخطب للطائع . قال : وفى رجب منها غلت الأسعار ببغداد حتى بيع الكر الدقيق الحوارى بمائة ونيف وسبعين ديناراً . قال : وفيها اضمحل أمر عضد الدولة بن بويه وتفرق جنده عنه ولم يبق معه سوى بغداد وحدها ، فأرسل إلى أبيه يشكو له ذلك ، فأرسل يلومه على الغدر بابن عمه بختيار ، فلما بلغه ذلك خرج من بغداد إلى فارس بعد أن أخرج ابن عمه من السجن وخلع عليه وأعاده إلى ما كان عليه ، وشرط عليه أن يكون نائبا له بالعراق يخطب له بها ، وجعل معه أخاه أبا إسحاق أمير الجيوش لضعف بختيار عن تدبير الأمور ، واستمر ذاهبا إلى بلاده ، وذلك كله عن أمر أبيه له بذلك ، وغضبه عليه بسبب غدره بابن عمه وتكرار مكاتباته فيه إليه . ولما سار ترك بعده وزير أبيه أبا الفتح بن العميد ، ولما استقر عز الدولة بختيار ببغداد وملك العراق لم يف لابن عمه عضد الدولة بشئ مما قال ، ولا ما كان التزم ، بل تمادى على ضلاله القديم ، واستمر على مشيه الذى هو غير مستقيم ، من الرفض وغيره .

قال : وفى يوم الخميس لعشر خلون من ذى القعدة تزوج الخليفة الطائع شاه باز بنت عز الدولة على صداق مائة ألف دينار ، وفى سلخ ذى القعدة عزل القاضى أبو الحسن محمد بن صالح بن أم شيبان وقلده أبو محمد معروف . وإمام الحج فيها أصحاب الفاطمى ، وخطب له بالحرمين دون الطائع والله سبحانه أعلم .

﴿ ذكر أخذ دمشق من أيدى الفاطميين ﴾

ذكر ابن الأثير فى كامله أن الفتكين غلام معز الدولة الذى كان قد خرج عن طاعته كما تقدم ، والتف عليه عساكر وجيوش من الديلم والترك والأعراب ، نزل فى هذه السنة على دمشق ، وكان عليها من جهة الفاطميين ريان الخادم ، فلما نزل بظاهرها خرج إليه كبراء أهلها وشيوخها فذكروا له ماهم فيه من الظلم والغشم ومخالفة الاعتقاد بسبب الفاطميين ، وسألوه أن يصمم على أخذها ليستنقذها منهم ، فعند ذلك صمم على أخذها ولم يزل حتى أخذها وأخرج منها ريان الخادم وكسر أهل الشر بها ، ورفع أهل الخير ، ووضع فى أهلها العدل وقمع أهل اللعب واللهو ، وكف أيدى الأعراب الذين كانوا قد عاثوا فى الأرض فسادا ، وأخذوا عامة المرج والغوطة ، ونهبوا أهلها . ولما استقامت الأمور على يديه وصلح أمر أهل الشام كتب إليه المعز الفاطمى يشكر سعيه ويطلبه إليه

ليخلع عليه و يجعله نائباً من جهته ، فلم يجبه إلى ذلك ، بل قطع خطبته من الشام وخطب للطائع العباسي ، ثم قصد صيدا و بها خلق من المغاربة عليهم ابن الشيخ ، وفيهم ظالم بن موهوب العقيلي الذي كان نائباً على دمشق للمعز الفاطمي ، فأساء بهم السيرة ، فحاصرهم ولم يزل حتى أخذ البلد منهم ، وقتل منهم نحوا من أربعة آلاف من سراتهم ، ثم قصد طبرية ففعل بأهلها مثل ذلك ، فعند ذلك عزم المعز الفاطمي على المسير إليه ، فبينما هو يجمع له العساكر إذ توفى المعز في سنة خمس وستين كما سيأتي ، وقام بعده ولده العزيز ، فاطمأن عند ذلك الفتكين بالشام ، واستفحل أمره وقويت شوكته ، ثم اتفق أمر المصريين على أن يبعثوا جوهرا القائد لقتاله وأخذ الشام من يده ، فعند ذلك حلف أهل الشام لأفتكين أنهم معه على الفاطميين ، وأنهم ناصحون له غير تاركيه وجاء جوهر فحصر دمشق سبعة أشهر حصراً شديداً و رأى من شجاعة الفتكين ما بهره ، فلما طال الحال أشار من أشار من الدماشقة على الفتكين أن يكتب إلى الحسين بن أحمد القرمطي وهو بالحساء ، ليجيء إليه ، فلما كتب إليه أقبل لنصره ، فلما سمع به جوهر لم يمكنه أن يبقى بين عدوين من داخل البلد وخارجها ، فارتحل قاصدا الرملة فتبعه الفتكين والقرمطي في نحو من خمسين ألفا ، فتواقعوا عند نهر الطواحين على ثلاث فراسخ من الرملة ، وحصروا جوهرا بالرملة فضاق حاله جدا من قلة الطعام والشراب ، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك ، فسأل من الفتكين على أن يجتمع هو وهو على ظهور الخيل ، فأجابه إلى ذلك ، فلم يزل يترفق له أن يطلقه حتى يذهب بمن معه من أصحابه إلى أستاذه شاكراً له مثنيا عليه الخير ، ولا يسمع من القرمطي فيه ــ وكان جوهر داهية ــ فأجابه إلى ذلك فندمه القرمطي وقال : الرأى أنا كنا نحصرهم حتى يموتوا عن آخرهم فانه يذهب إلى أستاذه ثم يجمع العساكر و يأتينا ، ولا طاقة لنا به . وكان الأمر كما قال ، فانه لما أطلقه الفتكين من الحصر لم يكن له دأب إلا أنه حث العزيز على الخروج إلى الفتكين بنفسه ، فأقبل في جحافل أمثال الجبال ، وفي كثرة من الرجال والعدد والأثقال والأموال ، وعلى مقدمته جوهر القائد . وجمع الفتكين والقرمطي الجيوش والأعراب وساروا إلى الرملة فاقتتلوا في محرم سنة سبع وستين ، ولما تواجهوا رأى العزيز من شجاعة الفتكين ما بهره ، فأرسل إليه يعرض عليه إن أطاعه ورجع إليه أن يجعله مقدم عساكره ، وأن يحسن إليه غاية الاحسان . فترجل افتكين عن فرسه بين الصفين وقبل الأرض نحو العزيز ، وأرسل إليه يقول : لو كان هذا القول سبق قبل هذا الحال لأمكنني وسارعت وأطعت ، وأما الآن فلا . ثم ركب فرسه وحمل على ميسرة العزيز ففرق شملها و بدد خيلها ورجلها ، فبرز عند ذلك العزيز من القلب وأمر الميمنة فحملت حملة صادقة فانهزم القرمطي وتبعه بقية الشاميين وركبت المغاربة أقفيتهم يقتلون و يأسرون من شاؤا ، وتحول العزيز فنزل خيام الشاميين بمن معه ، وأرسل السرايا وراءهم ،

وجعل لا يؤتى بأسير إلا خلع على من جاء به ، وجعل لمن جاءه الفتكين مائة ألف دينار ، فاتفق أن الفتكين عطش عطشا شديدا ، فاجتاز بمفرج بن دغفل ، وكان صاحبه ، فاستسقاه فسقاه وأنزله عنده فى بيوته ، وأرسل إلى العزيز يخبره بأن طلبته عنده ، فليحمل المال إلى وليأخذ غريمه ، فأرسل إليه بمائة ألف دينار وجاء من تسلمه منه ، فلما أحيط بالفتكين لم يشك أنه مقتول ، فما هو إلا أن حضر عند العزيز أكرمه غاية الاكرام ، ورد إليه حواصله وأمواله لم يفقد منها شيئا ، وجعله من أخص أصحابه وأمرائه ، وأنزله إلى جانب منزله ، ورجع به إلى الديار المصرية مكرماً معظماً ، وأقطعه هنالك اقطاعات جزيلة ، وأرسل إلى القرمطى أن يقدم عليه ويكرمه كما أكرم الفتكين ، فامتنع عليه وخاف منه ، فأرسل إليه بعشرين ألف دينار ، وجعلها له عليه فى كل سنة ، يكف بها شره ، ولم يزل الفتكين مكرماً عند العزيز حتى وقع بينه وبين الوزير ابن كلس ، فعمل عليه حتى سقاه سما فمات ، وحين علم العزيز بذلك غضب على الوزير وحبسه بضعاً وأربعين يوماً ، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار ثم رأى أن لا غنى به عنه فأعاده إلى الوزارة . وهذا ملخص ما ذكره ابن الأثير .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ سبكتكين الحاجب التركى ﴾

مولى المعز الديلمى وحاجبه ، وقد ترقى فى المراتب حتى آل به الأمر إلى أن قلده الطائع الامارة وخلع عليه وأعطاه اللواء ، ولقبه بنور الدولة ، وكانت مدة أيامه فى هذا المقام شهرين وثلاثة عشر يوماً ، ودفن ببغداد وداره هى دار الملك ببغداد ، وهى دار عظيمة جدا ، وقد اتفق له أنه سقط مرة عن فرسه فانكسر صلبه فداواه الطبيب حتى استقام ظهره وقدر على الصلاة إلا أنه لا يستطيع الركوع ، فأعطاه شيئا كثيراً من الأموال ، وكان يقول للطبيب : إذا ذكرت وجعى ومداواتك لى لا أقدر على مكافأتك ، ولكن إذا تذكرت وضعك قدميك على ظهرى اشتد غضبى منك . توفى ليلة الثلاثاء لسبع بقين من المحرم منها ، وقد ترك من الأموال شيئا كثيراً جدا ، من ذلك ألف ألف دينار وعشرة آلاف ألف درهم ، وصندوقان من جوهر ، وخمسة عشر صندوقا من البلور ، وخمسة وأربعين صندوقا من آنية الذهب ، ومائة وثلاثون كوكبا من ذهب ، منها خمسون وزن كل واحد ألف دينار ، وستمائة مركب من فضة وأربعة آلاف ثوب من ديباج ، وعشرة آلاف دبيقى وعتابى ، وثلثمائة عدل معكومة من الفرش ، وثلاثة آلاف فرس وألف جمل وثلثمائة غلام وأربعون خادما وذلك غير ما أودع عند أبى بكر البزار . وكان صاحبه .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وثلثمائة ﴾

فيها قسم ركن الدولة بن بويه ممالكه بين أولاده عند ما كبرت سنه ، فجعل لولده عضد الدولة بلاد فارس وكرمان وأرجان ، ولولده مؤيد الدولة الرى وأصبهان ، ولفخر الدولة همدان والدينور ،

وجعل ولده أبا العباس فى كنف عضد الدولة وأوصاه به . وفيها جلس قاضى القضاة ببغداد أبو محمد ابن معروف فى دار عز الدولة لفصل الحكومات عن أمره له بذلك ، فحكم بين يديه بين الناس وفيها حج بالناس أمير المصريين من جهة العزيز الفاطمى بعد ما حاصر أهل مكة ولقوا شدة عظيمة ، وغلت الأسعار بها جدا . وفيها ذكر ابن الأثير أن يوسف بلتكين نائب المعز الفاطمى على بلاد إفريقية ذهب إلى سبتة فأشرف عليها من جبل فطل عليها فجعل يتأمل من أين يحاصرها ، فحاصرها نصف يوم فخافه أهلها خوفا شديدا ، ثم انصرف عنها إلى مدينة هنالك يقال لها بصرة فى المغرب ، فأمر بهدمها ونهبها ، ثم سار إلى مدينة برغواطة وبها رجل يقال له عيسى بن أم الأنصار ، وهو ملكها ، وقد اشتدت المحنة به لسحره وشعبذته وادعى أنه نبى فأطاعوه ، ووضع لهم شريعة يقتدون بها ، فقاتلهم بلتكين فهزمهم وقتل هذا الفاجر ونهب أموالهم وسبى ذراريهم فلم ير سبى أحسن أشكالا منهم فيما ذكره أهل تلك البلاد فى ذلك الزمان .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم ﴾

أبو بكر الحنبلى ، له مسند كبير ، روى عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وأبى محمد الكجى وخلق ، وروى عنه الدارقطنى وغيره ، وكان ثقة وقد قارب التسعين .

﴿ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابى ﴾ المؤرخ فيما ذكره ابن الأثير فى الكامل .

﴿ الحسين بن محمد بن أحمد ﴾

أبو على الماسرجسى الحافظ ، رحل وسمع الكثير وصنف مسندا فى ألف وثلثمائة جزء ، بطرقه وعلله ، وله المغازى والقبائل ، وخرج على الصحيح وغيره ، قال ابن الجوزى : وفى بيته وسلفه تسعة عشر محدثا ، توفى فى رجب منها .

﴿ أبو أحمد بن عدى الحافظ ﴾

أبو عبد الله بن محمد بن أبى أحمد الجرجانى ـ أبو أحمد بن عدى ـ الحافظ الكبير المفيد الامام العالم الجوال النقال الرحال ، له كتاب الكامل فى الجرح والتعديل ، لم يسبق إلى مثله ولم يلحق فى شكله . قال حمزة عن الدارقطنى : فيه كفاية لا يزاد عليه . ولد أبو أحمد بن عدى فى سنة سبع وسبعين ومائتين وهى السنة التى توفى فيها أبو حاتم الرازى ، وتوفى ابن عدى فى جمادى الآخرة من هذه السنة .

﴿ المعز الفاطمى ﴾

بانى القاهرة معد بن إسماعيل بن سعيد بن عبد الله أبو تميم المدعى أنه فاطمى ، صاحب الديار المصرية ، وهو أول من ملكها من الفاطميين ، وكان أولا ملكا ببلاد إفريقية وما والاها من بلاد المغرب ، فلما كان فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، بعث بين يديه جوهراً القائد فأخذ له بلاد مصر من

كافور الأخشيدى بعد حروب تقدم ذكرها ، واستقرت أيدى الفاطميين عليها ، فبنى بها القاهرة وبنى منزل الملك وهما القصران ، ثم أقام جوهر الخطبة للمعز الفاطمى فى سنة ثنتين وستين وثلثمائة ثم قدم المعز بعد ذلك ومعه جحافل من الجيوش ، وأمراء من المغاربة والأكابر ، وحين نزل الاسكندرية تلقاه وجوه الناس فخطبهم بها خطبة بليغة ادعى فيها أنه ينصف المظلوم من الظالم ، وافتخر فيها بنسبه وأن الله قد رحم الأمة بهم ، وهو مع ذلك متلبس بالرفض ظاهرا وباطنا كما قاله القاضى الباقلانى إن مذهبهم الكفر المحض ، واعتقادهم الرفض ، وكذلك أهل دولته ومن أطاعه ونصره ووالاه ، قبحهم الله وإياه . وقد أحضر إلى بين يديه الزاهد العابد الورع الناسك التقى أبو بكر النابلسى ، فقال له المعز بلغنى عنك أنك قلت لو أن معى عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم ، فقال ما قلت هذا ، فظن أنه رجع عن قوله فقال : كيف قلت ؟ قال : قلت ينبغى أن نرميكم بتسعة ثم نرميهم بالعاشر . قال : ولم ؟ قال : لأنكم غيرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين وأطفأتم نور الالهية ، وادعيتم ما ليس لكم . فأمر باشهاره فى أول يوم ثم ضرب فى اليوم الثانى بالسياط ضربا شديدا مبرحاً ثم أمر بسلخه فى اليوم الثالث ، فجئ بيهودى فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن قال اليهودى : فأخذتنى رقة عليه ، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات رحمه الله . فكان يقال له الشهيد ، وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى اليوم ، ولم تزل فيهم بقايا خير ، وقد كان المعز قبحه الله فيه شهامة وقوة حزم وشدة عزم ، وله سياسة ، وكان يظهر أنه يعدل وينصر الحق ولكنه كان مع ذلك منجما يعتمد على حركات النجوم ، قال له منجمه : إن عليك قطعاً ــ أى خوفا ــ فى هذه السنة فتوار عن وجه الأرض حتى تنقضى هذه المدة . فعمل له سردابا وأحضر الأمراء وأوصاهم بولده نزار ولقبه العزيز وفوض إليه الأمر حتى يعود إليهم ، فبايعوه على ذلك ، ودخل المعز ذلك السرداب فتوارى فيه سنة فكانت المغاربة إذا رأوا سحابا ترجل الفارس منهم له عن فرسه وأومأ إليه بالسلام ظانين أن المعز فى ذلك الغمام ، (فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين) ثم برز إليهم بعد سنة وجلس فى مقام الملك وحكم على عادته أياماً ، ولم تطل مدته بل عاجله القضاء المحتوم ، ونال رزقه المقسوم ، فكانت وفاته فى هذه السنة ، وكانت أيامه فى الملك قبل أن يملك مصر وبعد ما ملكها ثلاثا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، منها بمصر سنتان وتسعة أشهر والباقى ببلاد المغرب ، وجملة عمره كلها خمسة وأربعون سنة وستة أشهر ، لأنه ولد بافريقية فى عاشر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة وكانت وفاته بمصر فى اليوم السابع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة وهى هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين وثلثمائة ﴾

فيها توفى ركن الدولة بن على بن بويه وقد جاوز التسعين سنة ، وكانت أيام ولايته نيفا وأربعين

سنة ، وقبل موته بسنة قسم ملكه بين أولاده كما ذكرنا ، وقد عمل ابن العميد مرة ضيافة فى داره وكانت حافلة حضرها ركن الدولة و بنوه وأعيان الدولة ، فعهد ركن الدولة فى هذا اليوم إلى ابنه عضد الدولة وخلع عضد الدولة على إخوته وسائر الأمراء الأقبيـة والأكسية عـلى عادة الديلم ، وحفوه بالريحان على عادتهم أيضاً ، وكان يوماً مشهوداً . وقـد كان ركن الدولة قد أسن وكبر وتوفى بعد هذه الوليمة بقليل فى هذه السنة ، وكان حليما وقوراً كثير الصدقات محباً للعلماء فيه بر وكرم وإيثار ، وحسن عشرة ورياسة ، وحنو على الرعية وعلى أقاربه . وحين تمكن ابنه عضد الدولة قصد العراق ليأخذها من ابن عمه بختيار لسوء سيرته و رداءة سريرته ، فالتقوا فى هذه السنة بالأهواز فهزمه عضد الدولة وأخذ أثقاله وأمواله ، و بعث إلى البصرة فأخذها وأصلح بين أهلها حيي ربيعة ومضر ، وكان بينهما خلف متقادم من نحو مائة وعشرين سنة ، وكانت مضر تميل إليـه و ربيعة عليه ، ثم اتفق الحيان عليه وقويت شوكته ، وأذل بختيار وقبض عـلى وزيره ابن بقية لأنه استحوذ على الأمور دونه ، وجبى الأموال إلى خزائنه ، فاستظهر عضد الدولة بما وجده فى الخزائن والحواصل لابن بقية ولم يبق له منها بقية . وكذلك أمر ركن الدولة بالقبض على وزير أبيه أبى الفتح بن العميد لموجدة تقدمت منه إليه ، وقد سلف ذكرها . ولم يبق لابن العميد أيضا فى الأرض بقية ، وقد كانت الأكابر تتقيه . وقد كان ابن العميد من الفسوق والعصيان بأوفر مكان ، فخانته المقادير ونزل به غضب السلطان ، ونحن نعوذ بالله من غضب الرحمن .

وفى منتصف شوال منها توفى الأمير منصور بن نوح السامانى صاحب بلاد خراسان وبخارى وغيرها ، وكانت ولايته خمس عشر سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده أبو القاسم نوح ، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، ولقب بالمنصور .

وفيها توفى الحاكم وهو المستنصر بالله بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموى ، وقد كان هذا من خيار الملوك وعلمائهم ، وكان عالما بالفقه والخلاف والتواريخ محبا للعلماء محسنا إليهم . توفى وله من العمر ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر ، ومدة خلافته منها خمسة عشر سـنة وخمسة أشهر ، وقام بالأمر من بعده ولده هشام وله عشر سنين ولقب بالمؤيد بالله ، وقد اختلف عليه فى أيامه واضطربت الرعايا عليه وحبس مدة ثم أخرج وأعيد إلى الخلافة ، وقام بأعباء أمره حاجبه المنصور أبو عامر محمـد بن أبى عامر المعافرى ، وابناه المظفر والناصر ، فساسوا الرعايا جيدا وعدلا فيهم وغزوا الأعداء واستمر لهم الحال كذلك نحواً من ست وعشرين سنة . وقد ساق ابن الأثير هنا قطعة من أخبارهم وأطال .

وفيها رجع ملك حلب إلى أبى المعالى شريف بن سيف الدولة بن حمدان ، وذلك أنه لما مات أبوه وقام هو من بعـده تغلب قرعويه مولاهم واستولى عليهـم سار إليه فأخرجه منها خائفا يترقب ،

ثم جاء فنزل حماه وكانت الروم قد خربت حمص فسعى فى عمارتها وترميمها وسكنها، ثم لما اختلفت الأمور على قرعويه كتب أهل حلب إلى أبى المعالى هذا وهو بحمص أن يأتيهم، فسار إليهم فحاصر حلب أربعة أشهر فافتتحها وامتنعت منه القلعة وقد تحصن بها نكجور، ثم اصطلح مع أبى المعالى على أن يؤمنه على نفسه ويستنيبه بحمص، ثم انتقل إلى نيابة دمشق وإليه تنسب هذه المزرعة ظاهر دمشق التى تعرف بالقصر النكجورى.

﴿ ذكر ابتداء ملك بنى سبكتكين ﴾

والد محمود صاحب غزنة. وقد كان سبكتكين مولى الأمير أبى إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة وأعمالها للسامانية، وليس هذا بحاجب معز الدولة، ذاك توفى قبل هذه السنة كما تقدم، وأما هذا فانه لما مات مولاه لم يترك أحداً يصلح للملك من بعده لا من ولده ولا من قومه، فاصطلح الجيش على مبايعة سبكتكين هذا لصلاحه فيهم وخيره وحسن سيرته، وكمال عقله وشجاعته وديانته، فاستقر الملك فى يده واستمر من بعده فى ولده السعيد محمود بن سبكتكين، وقد غزا هذا بلاد الهند وفتح شيئا كثيراً من حصونهم، وغنم أموالا كثيرة، وكسر من أصنامهم ونذورهم أمراً هائلا، وباشر من معه من الجيوش حربا عظيمة هائلة، وقد قصده جيبال ملك الهند الأعظم بنفسه وجنوده التى تعم السهول والجبال، فكسره مرتين وردهم إلى بلادهم فى أسوأ حال وأردأ بال. وذكر ابن الأثير فى كامله أن سبكتكين لما التقى مع جيبال ملك الهند فى بعض الغزوات كان بالقرب منهم عين فى عقبة باغورك وكان من عادتهم أنها إذا وضعت فيها نجاسة أو قذرا كفهرت السماء وأرعدت وأبرقت وأمطرت، ولا تزال كذلك حتى تطهر تلك العين من ذلك الشئ الذى ألقى فيها، فأمر سبكتكين بالقاء نجاسة فيها - وكانت قريبة من نحو العدو - فلم يزالوا فى رعود وبروق وأمطار وصواعق حتى ألجأهم ذلك إلى الهرب والرجوع إلى بلادهم خائبين هاربين، وأرسل ملك الهند يطلب من سبكتكين الصلح فأجابه بعد امتناع من ولده محمود، على مال جزيل يحمله إليه، وبلاد كثيرة يسلمها إليه، وخمسين فيلا ورهائن من رؤس قومه يتركها عنده حتى يقوم بما التزمه من ذلك.

وفيها توفى ﴿ أبو يعقوب بن سيف ﴾

ابن الحسين الجنابى، صاحب هجر ومقدم القرامطة، وقام بالأمر من بعده ستة من قومه وكانوا يسمون بالسادة، وقد اتفقوا على تدبير الأمر من بعده ولم يختلفوا فمشى حالهم. وفيها كانت وفاة.

﴿ الحسين بن أحمد ﴾

ابن سعيد الجنابى أبو محمد القرمطى. قال ابن عساكر: واسم أبى سعيد الحسين بن بهرام، ويقال ابن أحمد، يقال أصلهم من الفرس، وقد تغلب هذا على الشام فى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ثم عاد

إلى الأحساء بعد سنة ثم عاد إلى دمشق فى سنة ستين ، وكسر جيش جعفر بن فلاح ، أول من ناب بالشام عن المعز الفاطمى قتله ، ثم توجه إلى مصر فحاصرها فى مستهل ربيع الأول من سنة إحدى وستين ، واستمر محاصرها شهوراً ، وقد كان استخلف على دمشق ظالم بن موهوب ثم عاد إلى الأحساء ثم رجع إلى الرملة فتوفى بها فى هذه السنة ، وقد جاوز التسعين ، وهو يظهر طاعة عبد الكريم الطائع لله العباسى ، وقد أورد له ابن عساكر أشعاراً رائقة ، من ذلك ما كتب به إلى جعفر بن فلاح قبل وقوع الحرب بينهما وهى من أفحل الشعر :

الكتب معذرة والرسل مخبرة * والحق متبع والخير محمود
والحرب ساكنة والخيل صافنة * والسلم مبتذل والظل ممدود
فان أنبتم فمقبول إنابتكم * وإن أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المنايا أو يردن بنا * دمشق والباب مسدود ومردود
إنى امرؤ ليس من شأنى ولا أربى * طبل يرن ولا ناى ولا عود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة * وذات دل لها غنج وتفنيد
ولا أبيت بطين البطن من شبع * ولى رفيق خميص البطن مجهود
ولا تسامت بى الدنيا إلى طمع * يوما ولا غرنى فيها المواعيد

ومن شعره أيضاً :

يا ساكن البلد المنيف تعززاً * بقلاعه وحصونه وكهوفه
لا عز إلا للعزيز بنفسه * وبخيله ، وبرجله وسيوفه
وبقبة بيضاء قد ضربت على * شرف الخيام بجاره وضيوفه
قوم إذا اشتد الوغا أردى العدا * وشفى النفوس بضربه وزحوفه
لم يجعل الشرف التليد لنفسه * حتى أفاد تليده بطريفه

وفيها تملك قابوس بن وشمكير بلاد جرجان وطبرستان وتلك النواحى . وفيها دخل الخليفة الطائع بشاه باز بنت عز الدولة بن بويه ، وكان عرساً حافلا . وفيها حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان فى تجمل عظيم ، حتى كان يضرب المثل بحجها ، وذلك أنها عملت أربعمائة محمل وكان لا يدرى فى أيها هى ، ولما وصلت إلى الكعبة نثرت عشرة آلاف دينار على الفقراء والمجاورين ، وكست المجاورين بالحرمين كلهم ، وأنفقت أموالا جزيلة فى ذهابها وإيابها . وحج بالناس من العراق الشريف أحمد بن الحسين بن محمد العلوى ، وكذلك حج بالناس إلى سنة ثمانين وثلثمائة ، وكانت الخطبة بالحرمين فى هذه السنة للفاطميين أصحاب مصر دون العباسيين .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ إسماعيل بن نجيد ﴾

ابن أحمد بن يوسف أبو عمرو السلمى ، صحب الجنيد وغيره ، وروى الحديث وكان ثقة ، ومن جيد كلامه قوله : من لم تهذبك رؤيته فليس بمهذب . وقد احتاج شيخه أبو عثمان مرة إلى شئ فسأل أصحابه فيه فجاءه ابن نجيد بكيس فيه ألفا درهم فقبضه منه وجعل يشكره إلى أصحابه ، فقال له ابن نجيد بين أصحابه : ياسيدى إن المال الذى دفعته إليك كان من مال أمى أخذته وهى كارهة فأنا أحب أن ترده إلى حتى أرده إليها . فأعطاه إياه ، فلما كان الليل جاء به وقال أحب أن تصرفها فى أمرك ولا تذكرها لأحد . فكان أبو عثمان يقول : أنا أجتنى من همة أبى عمرو بن نجيد رحمهم الله تعالى .

﴿ الحسن بن بويه ﴾

أبو على ركن الدولة عرض له قولنج فمات فى ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم منها ، وكانت مدة ولايته أربعاً وأربعين سنة وشهرا وتسعة أيام ، ومدة عمره ثمان وسبعون سنة ، وكان حليما كريماً

﴿ محمد بن إسحاق ﴾

ابن إبراهيم بن أفلح بن رافع بن رافع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرحمن بن رفاعة بن رافع أبو الحسن الأنصارى الزرقى ، كان نقيب الأنصار ، وقد سمع الحديث من أبى القاسم البغوى وغيره ، وكان ثقة يعرف أيام الأنصار ومناقبهم ، وكانت وفاته فى جمادى الآخرة منها .

﴿ محمد بن الحسن ﴾

ابن أحمد بن إسماعيل أبو الحسن السراج ، سمع يوسف بن يعقوب القاضى وغيره ، وكان شديد الاجتهاد فى العبادة . صلى حتى أقعد ، وبكى حتى عمى ، توفى يوم عاشوراء منها .

﴿ القاضى منذر البلوطى ﴾

رحمه الله قاضى قضاة الأندلس ، كان إماما عالما فصيحاً خطيباً شاعرا أديباً ، كثير الفضل ، جامعاً لصنوف من الخير والتقوى والزهد ، وله مصنفات واختيارات ، منها أن الجنة التى سكنها آدم وأهبط منها كانت فى الأرض وليست بالجنة التى أعدها الله لعباده فى الآخرة ، وله فى ذلك مصنف مفرد ، له وقع فى النفوس وعليه حلاوة وطلاوة ، دخل يوماً على الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموى وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها ، وقد بنى له فيها قصر عظيم منيف ، وقد زخرف بأنواع الدهانات وكسى الستور ، وجلس عنده رؤس دولته وأمراؤه ، فجاء القاضى فجلس إلى جانبه وجعل الحاضرون يثنون على ذلك البناء ويمدحونه ، والقاضى ساكت لا يتكلم ، فالتفت إليه الملك وقال : ماتقول أنت يا أبا الحكم ؟ فبكى القاضى وانحدرت دموعه على لحيته وقال : ما كنت أظن أن الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ المفضح المهتك ، المهلك لصاحبه فى الدنيا والآخرة ، ولا أنك تمكنه

من قيادك مع ما آتاك الله وفضلك به على كثير من الناس ، حتى أنزلك منازل الكافرين والفاسقين . قال الله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسرراً عليها يتكئون وزخرفا) الآية . قال : فوجم الملك عند ذلك و بكى وقال : جزاك الله خيراً ، وأكثر فى المسلمين مثلك . وقد قحط فى بعض السنين فأمره الملك أن يستسقى للناس ، فلما جاءته الرسالة مع البريد قال للرسول : كيف تركت الملك ؟ فقال تركته أخشع ما يكون وأكثره دعاء وتضرعا . فقال القاضى : سقيتم والله ، إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء . ثم قال لغلامه : ناد فى الناس الصلاة . فجاء الناس إلى محل الاستسقاء وجاء القاضى منذر فصعد المنبر والناس ينظرون إليه و يسمعون ما يقول ، فلما أقبل عليهم كان أول ما خاطبهم به قال : (سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم) ثم أعادها مراراً فأخذ الناس فى البكاء والنحيب والتوبة والانابة ، فلم يزالوا كذلك حتى سقوا و رجعوا يخوضون الماء .

﴿ أبو الحسن على بن أحمد ﴾

ابن المرزبان الفقيه الشافعى ، تفقه بأبى الحسين بن القطان وأخذ عنه الشيخ أبو حامد الاسفرايينى . قال ابن خلكان : كان ورعا زاهدا ليس لأحد عنده مظلمة ، وله فى المذهب وجه ، وكان له درس ببغداد . توفى فى رجب منها .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وثلثمائة ﴾

فيها دخل عضد الدولة إلى بغداد وخرج منها عز الدولة بختيار واتبعه عضد الدولة وأخذ معه الخليفة فاستعفاه فأعفاه ، وسار عضد الدولة وراءه فأخذه أسيراً ، ثم قتل سريعاً وتصرمت دولته واستقر أمر عضد الدولة ببغداد ، وخلع عليه الخليفة الخلع السنية والأسورة والطوق ، وأعطاه لواءين أحدهما ذهب والآخر فضة ، ولم يكن هذا لغيره إلا لأولياء العهد ، وأرسل إليه الخليفة بتحف سنية ، و بعث عضد الدولة إلى الخليفة أموالا جزيلة من الذهب والفضة واستقرت يده على بغداد وما والاها من البلاد ، وزلزلت بغداد مراراً فى هذه السنة ، وزادت دجلة زيادة كثيرة غرق بسببها خلق كثير ، وقيل لعضد الدولة إن أهل بغداد قد قلوا كثيرا بسبب الطاعون وما وقع بينهم من الفتن بسبب الرفض والسنة وأصابهم حريق وغرق ، فقال : إنما يهيج الشر بين الناس هؤلاء القصاص والوعاظ ، ثم رسم أن أحدا لا يقص ولا يعظ فى سائر بغداد ولا يسأل سائل باسم أحد من الصحابة ، و إنما يقرأ القرآن فمن أعطاه أخذ منه . فعمل بذلك فى البلد ، ثم بلغه أن أبا الحسين بن سمعون الواعظ ــ وكان من الصالحين ــ لم يترك الوعظ بل استمر على عادته ، فأرسل إليه من جاء به ،

وتحول عضد الدولة من مجلسه وجلس وحده لئلا يبدر من ابن سمعون إليه بين الدولة كلام يكرهه ، وقيل لابن سمعون إذا دخلت على الملك فتواضع فى الخطاب وقبّل التراب . فلما دخل دار الملك وجده قد جلس وحده لئلا يبدر من ابن سمعون فى حقه كلام بحضرة الناس يؤثر عنه . ودخل الحاجب بين يديه يستأذن له عليه ودخل ابن سمعون وراءه ، ثم استفتح القراءة بقوله (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة) الآية . ثم التفت بوجهه نحو دار عز الدولة ثم قرأ (ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظرهم كيف تعملون) ثم أخذ فى مخاطبة الملك ووعظه فبكى عضد الدولة بكاء كثيراً ، وجزاه خيرا . فلما خرج من عنده قال للحاجب : اذهب فخذ ثلاثة آلاف درهم وعشرة أثواب وادفعها له فان قبلها جئنى برأسه ، قال الحاجب : فجئته فقلت : هذا أرسل به الملك إليك . فقال : لا حاجة لى به ، هذه ثيابى من عهد أبى منذ أربعين سنة كلما خرجت إلى الناس لبستها ، فاذا رجعت طويتها ، ولى دار آكل من أجرتها تركها لى أبى ، فانا فى غنية عما أرسل به الملك . فقلت : فرقها فى فقراء أهلك . فقال : فقراء أهله أحق بها من فقراء أهلى ، وأفقر إليها منهم . فرجعت إلى الملك لأشاوره وأخبره بما قال ، فسكت ساعة ثم قال : الحمد لله الذى سلمه منا وسلمنا منه . ثم إن عضد الدولة أخذ ابن بقية الوزير لعز الدولة فأمر به فوضع بين قوائم الفيلة فتخبطته بأرجلها حتى هلك ، ثم صلب على رأس الجسر فى شوال منها ، فرثاه أبو الحسين بن الأنبارى بأبيات يقول فيها :

علو فى الحياة وفى الممات ❊ بحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا ❊ وفود نداك أيام الصلات
كأنك واقف فيهم خطيباً ❊ وكلهم وقوف للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء ❊ كمدهما إليهم بالهبات

وهى قصيدة طويلة أورد كثيرا منها ابن الأثير فى كامله .

﴿ صفة مقتل عز الدولة بختيار بن معز الدولة وأخذ الموصل وأعمالها ﴾

لما دخل عضد الدولة بغداد وتسلمها خرج منها بختيار ذليلا طريدا فى فل من الناس ، ومن عزمه أن ينهب إلى الشام فيأخذها ، وكان عضد الدولة قد حلفه أن لا يتعرض لأبى تغلب لمودة كانت بينهما ومراسلات ، فحلف له على ذلك ، وحين خرج من بغداد كان معه حمدان بن ناصر الدولة ابن حمدان فحسن لعز الدولة أخذ بلاد الموصل من أبى تغلب ، لأنها أطيب وأكثر مالا من الشام وأقرب إليه ، وكان عز الدولة ضعيف العقل قليل الدين ، فلما بلغ ذلك أبا تغلب أرسل إلى عز الدولة يقول له : لئن أرسلت إلى ابن أخى حمدان بن ناصر الدولة أغنيتك بنفسى وجيشى حتى آخذ لك ملك بغداد من عضد الدولة ، وأردك إليها . فعند ذلك أمسك حمدان وأرسله إلى عمه أبى تغلب

فسجنه فى بعض القلاع و بلغ ذلك عضد الدولة وأنهما قد اتفقا على حربه فركب إليهما بجيشه وأراد إخراج الخليفة الطائع معه فاستعفاه فأعفاه ، فذهب إليهما فالتقى معهما فكسرهما وهزمهما ، وأخذ عز الدولة أسيرا وقتله من فوره ، وأخذ الموصل ومعاملتها ، وكان قد حمل معه ميرة كثيرة ، وشرّد أبا تغلب فى البلاد و بعث وراءه السرايا فى كل وجه ، وأقام بالموصل إلى أواخر سنة ثمان وستين ، وفتح ميافارقين وآمد وغيرهما من بلاد بكر وربيعة ، وتسلم بلاد مضر من أيدى نواب أبى تغلب ، وأخذ منهم الرحبة ورد بقيتها على صاحب حلب سعد الدولة بن سيف الدولة ، وتسلط على سعد الدولة ، وحين رجع من الموصل استناب عليها أبا الوفا ، وعاد إلى بغداد فتلقاه الخليفة ورؤس الناس إلى ظاهر البلد ، وكان يوما مشهوداً .

ومما وقع من الحوادث فيها الوقعة التى كانت بين العزيز بن المعز الفاطمى و بين الفتكين غلام معز الدولة صاحب دمشق فهزمه وأسره وأخذه معه إلى الديار المصرية مكرماً معظماً كما تقدم ، وتسلم العزيز دمشق وأعمالها ، وقد تقدم بسط ذلك فى سنة أربع وستين .

وفيها خلع على القاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى بقضاء قضاة الرى وما تحت حكم مؤيد الدولة بن ركن الدولة ، وله مصنفات حسنة ، منها دلائل النبوة وعمد الأدلة وغيرها . وحج بالناس فيها نائب المصريين وهو الأمير باديس بن زيرى أخو يوسف بن بلكين . ولما دخل مكة اجتمع إليه اللصوص وسألوا منه أن يضمّنهم الموسم هذا العام بما شاء من الأموال . فأظهر لهم الاجابة إلى ماسألوا وقال لهم : اجتمعوا كلكم حتى أضمنكم كلكم ، فاجتمع عنده بضع وثلاثون حرامياً ، فقال : هل بقى منكم أحد ؟ فحلفوا له إنه لم يبق منهم أحد . فأخذ عند ذلك بالقبض عليهم و بقطع أيديهم كلهم ، ونعما ما فعل . وكانت الخطبة فى الحجاز للفاطميين دون العباسيين .

وممن توفى فيها من الأعيان الملك عز الدولة .

﴿ بختيار بن بويه الديلمى ﴾

ملك بعد أبيه وعمره فوق العشرين سنة بقليل ، وكان حسن الجسم شديد البطش قوى القلب ، يقال إنه كان يأخذ بقوائم الثور الشديد فيلقيه فى الأرض من غير أعوان ، ويقصد الأسود فى أماكنها ، ولكنه كان كثير اللهو واللعب والاقبال على اللذات ، ولما كسره ابن عمه ببلاد الأهواز كان فى جملة ما أخذ منه أمرد كان يحبه حبا شديداً لا يهنأ بالعيش إلا معه ، فبعث يترفق له فى رده إليه ، وأرسل إليه بتحف كثيرة وأموال جزيلة وجاريتين عوادتين لا قيمة لهما ، فرد عليه الغلام المذكور فكثر تعنيف الناس له عند ذلك وسقط من أعين الملوك ، فانه كان يقول : ذهاب هذا الغلام منى أشد على من أخذ بغداد من يدى ، بل وأرض العراق كلها . ثم كان من أمره بعد ذلك

أن ابن عمه أسره كما ذكرنا وقتله سريعاً ، فكانت مدة حياته ستا وثلاثين سنة ، ومدة دولته منها إحدى وعشرين سنة وشهور ، وهو الذى أظهر الرفض ببغداد وجرى بسبب ذلك شرور كما تقدم .

﴿ محمد بن عبد الرحمن ﴾

أبو بكر القاضى المعروف بابن قريعة ، ولى القضاء بالسندية ، وكان فصيحاً يأتى بالكلام المسجوع من غير تكلف ولا تردد ، وكان جميل المعاشرة ومن شعره :

لى حيلة فى من ينم * م وليس فى الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو * ل فحيلتى فيه قليله

وكان يقول للرجل من أصحابه إذا تماشيا : إذا تقدمت بين يديك فانى حاجب و إن تأخرت فواجب.

توفى يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة منها .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلثمائة ﴾

فى شعبان منها أمر الطائع لله أن يدعى لعضد الدولة بعد الخليفة على المنابر ببغداد ، وأن تضرب الدبادب على بابه وقت الفجر و بعد المغرب والعشاء . قال ابن الجوزى : وهذا شئ لم يتفق لغيره من بنى بويه ، وقد كان معز الدولة سأل من الخليفة أن يضرب الدبادب على بابه فلم يأذن له ، وقد افتتح عز الدولة فى هذه السنة وهو مقيم بالموصل أكثر بلاد أبى تغلب بن حمدان ، كآمد والرحبة وغيرهما ، ثم دخل بغداد فى سلخ ذى القعدة فتلقاه الخليفة والأعيان إلى أثناء الطريق .

﴿ ذكر ملك قسام التراب لدمشق فيها ﴾

لما ذهب الفتكين إلى ديار مصر نهض رجل من أهل دمشق يقال له قسام التراب ، كان الفتكين يقربه و يدنيه ، و يأمنه على أسراره ، فاستحوذ على دمشق وطاوعه أهلها وقصدته عساكر العزيز من مصر فحاصروه فلم يتمكنوا منه ، وجاء أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان فحاصره فلم يقدر أن يدخل دمشق ، فانصرف عنه خائباً إلى طبرية ، فوقع بينه و بين بنى عقيل وغيرهم من العرب حروب طويلة ، آل الحال إلى أن قتل أبو تغلب وكانت معه أخته وجميلة امرأته وهى بنت سيف الدولة ، فردتا إلى سعد الدولة بن سيف الدولة بحلب ، فأخذ أخته و بعث بجميلة إلى بغداد فحبست فى دار وأخذ منها أموال جزيلة . وأما قسام التراب هذا ــ وهو من بنى الحارث بن كعب من اليمن ــ فانه أقام بالشام فسد خللها وقام بمصالحها مدة سنين عديدة ، وكان مجلسه بالجامع يجتمع الناس إليه فيأمرهم وينهاهم فيمتثلون ما يأمر به . قال ابن عساكر : أصله من قرية تلفيتا ، وكان ترابا . قلت والعامة يسمونه قسيم الزبال ، و إنما هو قسام ، ولم يكن زبالا بل ترابا من قرية تلفيتا بالقرب من قرية منين ، وكان بدو أمره أنه انتمى إلى رجل من أحداث أهل دمشق يقال له أحمد بن المسطان ، فكان من

حز به ثم استحوذ على الأمور وغلب على الولاة والأمراء إلى أن قدم بلكتكين التركى من مصر فى يوم الخميس السابع عشر من المحرم سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، فأخذها منه واختفى قسام التراب مدة ثم ظهر فأخذه أسيرا وأرسله مقيدا إلى الديار المصرية ، فأطلق وأحسن إليه وأقام بها مكرما .

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ العقيقى ﴾

صاحب الحمام والدار المنسوبتين إليه بدمشق بمحلة باب البريد ، واسمه أحمد بن الحسن العقيقى ابن ضعفن بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب ، الشريف أبو القاسم الحسين العقيقى ، قال ابن عساكر : كان من وجوه الأشراف بدمشق وإليه تنسب الدار والحمام بمحلة باب البريد . وذكر أنه توفى يوم الثلاثاء لأربع خلون من جمادى الأولى منها ، وأنه دفن من الغد وأغلقت البلد لأجل جنازته ، وحضرها نكجور وأصحابه ـ يعنى نائب دمشق ـ ودفن خارج باب الصغير . قلت : وقد اشترى الملك الظاهر بيبرس داره وبناها مدرسة ودار حديث وتربة وبها قبره ، وذلك فى حدود سنة سبعين وستمائة كما سيأتى بيانه .

﴿ أحمد بن جعفر ﴾

ابن مالك بن شبيب بن عبد الله أبو بكر بن مالك القطيعى ـ من قطيعة الدقيق ببغداد ـ راوى مسند أحمد عن ابنه عبد الله ، وقد روى عنه غير ذلك من مصنفات أحمد ، وحدث عن غيره من المشايخ ، وكان ثقة كثير الحديث ، حدث عنه الدارقطنى وابن شاهين والبرقانى وأبو نعيم والحاكم ، ولم يمتنع أحد من الرواية عنه ولا التفتوا إلى ما طعن عليه بعضهم وتكلم فيه ، بسبب غرق كتبه حين غرقت القطيعة بالماء الاسود ، فاستحدث بعضها من نسخ أخرى ، وهذا ليس بشئ ، لأنها قد تكون معارضة على كتبه التى غرقت والله أعلم . ويقال إنه تغير فى آخر عمره فكان لايدرى ماجرى عليه ، وقد جاوز التسعين .

﴿ تميم بن المعز الفاطمى ﴾

وبه كان يكنى ، وقد كان من أكابر أمراء دولة أبيه وأخيه العزيز ، وقد اتفقت له كائنة غريبة وهى أنه أرسل إلى بغداد فاشتريت له جارية مغنية بمبلغ جزيل ، فلما حضرت عنده أضاف أصحابه ثم أمرها فغنت ـ وكانت تحب شخصاً ببغداد ـ :

وبداله من بعد ما انتقل الهوى * برق تألق من هنا لمعانه
يبدو لحاشية اللواء ودونه * صعب الذرى متمنع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق * نظراً إليه وشده أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ماسمحت به اجفانه

ثم غنته أبياتا غيرها فاشتد طرب تميم هذا وقال لها : لا بد أن تسأليني حاجة ، فقالت : عافيتك .

فقال : ومع العافية . فقالت : تردني إلى بغداد حتى أغنى بهذه الأبيات ، فوجم لذلك ثم لم يجد بداً من الوفاء لها بما سألت ، فأرسلها مع بعض أصحابه فأحجبها ثم سار بها على طريق العراق ، فلما أمسوا فى الليلة التى يدخلون فيها بغداد من صبيحتها ذهبت فى الليل فلم يدر أين ذهبت ، فلما سمع تميم خبرها شق عليه ذلك وتألم ألما شديدا ، وندم ندما شديدا حيث لا ينفعه الندم .

﴿ أبو سعيد السيرافى ﴾

النحوى الحسن بن عبد الله بن المرزبان . القاضى ، سكن بغداد وولى القضاء بها نيابة ، وله شرح كتاب سيبويه ، وطبقات النحاة . روى عن أبى بكر بن دريد وغيره ، وكان أبوه مجوسيا ، وكان أبو سعيد هذا عالما باللغة والنحو والقراءات والفرائض والحساب وغير ذلك من فنون العلم ، وكان مع ذلك زاهدا لا يأكل إلا من عمل يده ، كان ينسخ فى كل يوم عشر ورقات بعشرة دراهم ، تكون منها نفقته ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وكان ينتحل مذهب أهل العراق فى الفقه ، وقرأ القراءات على ابن مجاهد ، واللغة على ابن دريد ، والنحو على ابن السراج وابن المرزبان ، ونسبه بعضهم إلى الاعتزال وأنكره آخرون . توفى فى رجب منها عن أربع وثمانين سنة ، ودفن بمقبرة الخيزران .

﴿ عبد الله بن إبراهيم ﴾

ابن أبى القاسم الريحانى ، ويعرف بالانبدرى ، رحل فى طلب الحديث إلى الآفاق ووافق ابن عدى فى بعض ذلك ، ثم سكن بغداد وحدث بها عن أبى يعلى والحسن بن سفيان وابن خزيمة وغيرهم ، وكان ثقة ثبتا ، له مصنفات ، زاهداً روى عنه البرقانى وأثنى عليه خيراً ، وذكر أن أكثر أدم أهله الخبز المأدوم بمرق الباقلا ، وذكر أشياء من تقلله وزهده وورعه . توفى عن خمس وتسعين سنة .

﴿ عبد الله بن محمد بن ورقاء ﴾

الأمير أبو أحمد الشيبانى من أهل البيوتات والحشمة ، بلغ التسعين سنة ، روى عن ابن الأعرابى أنه أنشد فى صفة النساء :

هى الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
أيجمعن ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيباً ضعفها واقتدارها ؟

قلت : وهذا المعنى أخذه من الحديث الصحيح : « إن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج » .

﴿ محمد بن عيسى ﴾

ابن عمرويه الجلودى راوى صحيح مسلم عن إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه عن مسلم بن الحجاج وكان من الزهاد ، يأكل من كسب يده من النسخ وبلغ ثمانين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين وثلثمائة ﴾

فى المحرم منها توفى الأمير عمر بن شاهين صاحب بلاد البطيحة منذ أربعين سنة ، تغلب عليها وعجز عنه الأمراء والملوك والخلفاء ، وبعثوا إليه الجنود والسرايا والجيوش غير مرة ، فكل ذلك يفلها ويكسرها ، وكل ما له فى تمكن وزيادة وقوة ، ومكث كذلك هذه المدة ، ومع هذا كله مات على فراشه حتف أنفه ، فلا نامت أعين الجبناء . وقام بالأمر من بعده ولده الحسن فرام عضد الدولة أن ينتزع الملك من يده ، فأرسل إليه سرية حافلة من الجنود فكسرهم الحسن بن عمر بن شاهين ، وكاد أن يتلفهم بالكلية حتى أرسل إليه عضد الدولة فصالحه على مال يحمله إليه فى كل سنة ، وهذا من العجائب الغريبة . وفى صفر قبض على الشريف أبى أحمد الحسن بن موسى الموسوى نقيب الطالبيين ، وقد كان أمير الحج مدة سنين ، اتهم بأنه يفشى الأسرار وأن عز الدولة أودع عنده عقداً ثمينا ، ووجدوا كتابا بخطه فى إفشاء الأسرار فأنكر أنه خطه وكان مزوراً عليه ، واعترف بالعقد فأخذ منه وعزل عن النقابة وولوا غيره ، وكان مظلوما . وفى هذا الشهر أيضا عزل عضد الدولة قاضى القضاة أبا محمد بن معروف وولى غيره وفى شعبان منها ورد البريد من مصر إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة فرد الجواب بما مضمونه صدق النية وحسن الطوية ، ثم سأل عضد الدولة من الطائع أن يجدد عليه الخلع والجواهر ، وأن يزيد فى انشائه تاج الدولة ، فأجابه إلى ذلك ، وخلع عليه من أنواع الملابس مالم يتمكن معه من تقبيل الأرض بين يدى الخليفة ، وفوض إليه ماوراء بابه من الأمور ومصالح المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وحضر ذلك أعيان الناس ، وكان يوما مشهودا . وأرسل فى رمضان إلى الأعراب من بنى شيبان وغيرهم فقهرهم وكسرهم ، وكان أميرهم منبه ابن محمد الأسدى متحصنا بعين التمر مدة نيف وثلاثين سنة ، فأخذ ديارهم وأموالهم .

وفى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى القعدة تزوج الطائع لله بنت عضد الدولة الكبرى ، وعقد العقد بحضرة الأعيان على صداق مبلغه مائة ألف دينار ، وكان وكيل عضد الدولة الشيخ أبا على الحسين بن أحمد الفارسى النحوى ، صاحب الايضاح والتكملة ، وكان الذى خطب خطبة العقد القاضى أبو على الحسن بن على التنوخى . قال ابن الأثير : وفيها جدد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها ، وجدد المساجد والمشاهد ، وأجرى على الفقهاء الأرزاق ، وعلى الأئمة من الفقهاء والمحدثين والاطباء والحساب وغيرهم ، وأطلق الصلات لأرباب البيوتات والشرف ، وألزم أصحاب الأملاك بعمارة بيوتهم ودورهم ، ومهد الطرقات وأطلق المكوس وأصلح الطريق للحجاج من بغداد إلى مكة ، وأرسل الصدقات للمجاورين بالحرمين . قال : وأذن لوزيره نصر بن هارون ـ وكان نصرانيا ـ بعمارة البيع والأديرة وأطلق الأموال لفقرائهم .

وفيها توفى حسنويه بن حسين الكردى ، وكان قد استحوذ على نواحى بلاد الدينور وهمدان ونهاوند مدة خمسين سنة ، وكان حسن السيرة كثير الصدقة بالحرمين وغيرهما ، فلما توفى اختلف أولاده من بعده وتمزق شملهم ، وتمكن عضد الدولة من أكثر بلادهم ، وقويت شوكته فى تلك الأرض .

وفيها ركب عضد الدولة فى جنود كثيفة إلى بلاد أخيه فخر الدولة ، وذلك لما بلغه من ممالأته لعز الدولة واتفاقهم عليه ، فتسلم بلاد أخيه فخر الدولة وهمدان والرى وما بينهما من البلاد ، وسلم ذلك إلى مؤيد الدولة ـ وهو أخوه الآخر ـ ليكون نائبه عليها ، ثم سار إلى بلاد حسنويه الكردى فتسلمها وأخذ حواصله وذخائره ، وكانت كثيرة جدا ، وحبس بعض أولاده وأسر بعضهم ، وأرسل إلى الأكراد الهكارية فأخذ منهم بعض بلادهم ، وعظم شأنه وارتفع صيته ، إلا أنه أصابه فى هذا السفر داء الصداع ، وكان قد تقدم له بالموصل مثله ، وكان يكتمه إلى أن غلب عليه كثرة النسيان فلا يذكر الشئ إلا بعد جهد جهيد ، والدنيا لا تسر بقدر ما تضر :

دار إذا ما أضحكت فى يومها * أبكت غدا ، بعداً لها من دار

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن زكريا أبو الحسن اللغوى ﴾

صاحب كتاب المجمل فى اللغة وغيره ، ومن شعره قبل موته بيومين :

يارب إن ذنوبى قد أحطت بها * علما وبى وباعلانى وأسرارى
أنا الموحد لكنى المقر بها * فهب ذنوبى لتوحيدى وإقرارى

ذكر ذلك ابن الأثير . ﴿ أحمد بن عطاء بن أحمد ﴾

أبو عبد الله الروذبارى ـ ابن أخت أبى على الروذبارى ـ أسند الحديث ، وكان يتكلم على منهب الصوفية ، وكان قد انتقل من بغداد فأقام بصور وتوفى بها فى هذه السنة . قال : رأيت فى المنام كأن قائلا يقول : أى شئ أصح فى الصلاة ؟ فقلت صحة القصد ، فسمعت قائلا يقول . رؤية المقصود باسقاط رؤية القصد أتم . وقال : مجالسة الاضداد ذوبان الروح ، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول ، وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة ، ولا كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار ، ولا يؤمن على الأسرار الا الأمناء فقط . وقال : الخشوع فى الصلاة علامة الفلاح . قال تعالى (قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) وترك الخشوع فى الصلاة علامة النفاق وخراب القلب . قال تعالى (إنه لا يفلح الكافرون) .

﴿ عبد الله بن إبراهيم ﴾

ابن أيوب بن ماسى أبو محمد البزاز ، أسند الكثير وبلغ خمساً وتسعين سنة ، وكان ثقة ثبتا . توفى فى رجب منها ﴿ محمد بن صالح ﴾

ابن على بن يحيى أبو الحسن الهاشمى ، يعرف بابن أم شيبان ، كان عالما فاضلا ، له تصانيف ، وقد

ولى الحكم ببغداد قديما وكان جيد السيرة ، توفى فيها وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين .

﴿ ثم دخلت سنة سبعين وثلثمائة ﴾

فيها ورد الصاحب بن عباد من جهة مؤيد الدولة إلى أخيه عضد الدولة فتلقاه عضد الدولة إلى ظاهر البلد وأكرمه وأمر الأعيان باحترامه ، وخلع عليه وزاده فى إقطاعه ، ورد معه هدايا كثيرة . وفى جمادى الآخرة منها رجع عضد الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة الطائع وضرب له القباب وزينت الأسواق . وفى هذا الشهر أيضاً وصلت هدايا من صاحب اليمن إلى عضد الدولة ، وكانت الخطبة بالحرمين لصاحب مصر ، وهو العزيز بن المعز الفاطمى .

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ أبو بكر الرازى الحنفى ﴾

أحمد بن على أبو بكر الفقيه الحنفى الرازى أحد أئمة أصحاب أبى حنيفة ، وله من المصنفات المفيدة كتاب أحكام القرآن ، وهو تلميذ أبى الحسن الكرخى ، وكان عابدا زاهدا ورعا ، انتهت إليه رياسة الحنفية فى وقته ورحل إليه الطلبة من الآفاق ، وقد سمع الحديث من أبى العباس الأصم وأبى القاسم الطبرانى ، وقد أراده الطائع على أن يوليه القضاء فلم يقبل ، توفى فى ذى الحجة من هذا العام ، وصلى عليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى .

﴿ محمد بن جعفر ﴾

ابن محمد بن زكريا أبو بكر الوراق ، ويلقب بغندر ، كان جوالا رحالا ، سمع الكثير ببلاد فارس وخراسان ، وسمع الباغندى وابن صاعد وابن دريد وغيرهم ، وعنه الحافظ أبو نعيم الاصفهانى ، وكان ثقة حافظا .

﴿ ابن خالويه ﴾

الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوى اللغوى صاحب المصنفات ، أصله من همذان ، ثم دخل بغداد فأدرك بها مشايخ هذا الشأن : كابن دريد وابن مجاهد ، وأبى عمر الزاهد ، واشتغل على أبى سعيد السيرافى ثم صار إلى حلب فعظمت مكانته عند آل حمدان ، وكان سيف الدولة يكرمه وهو أحد جلسائه ، وله مع المتنبى مناظرات . وقد سرد له ابن خلكان مصنفات كثيرة منها كتاب ليس فى كلام العرب ـ لأنه كان يكثر أن يقول ليس فى كلام العرب كذا وكذا ـ وكتاب الآل تكلم فيه على أقسامه وترجم الأئمة الاثنى عشر وأعرب ثلاثين سورة من القرآن ، وشرح الدريدية وغير ذلك ، وله شعر حسن ، وكان به داء كانت به وفاته .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلثمائة ﴾

فى ربيع الأول منها وقع حريق عظيم بالكرخ ، وفيها سرق شئ نفيس لعضد الدولة فتعجب الناس من جرأة من سرقه مع شدة هيبة عضد الدولة ، ثم مع هذا اجتهدوا كل الاجتهاد فلم يعرفوا من

أخذه . ويقال إن صاحب مصر بعث من فعل ذلك فالله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ الاسماعيلى ﴾

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس أبو بكر الاسماعيلى الجرجانى الحافظ الكبير الرحال الجوال ، سمع الكثير وحدث وخرّج وصنف فأفاد وأجاد ، وأحسن الانتقاد والاعتقاد ، صنف كتابا على صحيح البخارى فيه فوائد كثيرة ، وعلوم غزيرة . قال الدارقطنى : كنت عزمت غير مرة على الرحلة إليه فلم أرزق . وكانت وفاته يوم السبت عاشر رجب سنة إحدى وسبعين وثلثمائة ، وهو ابن أربع وسبعين سنة رحمه الله .

﴿ الحسن بن صالح ﴾

أبو محمد السبيعى ، سمع ابن جرير وقاسما المطرز وغيرهما ، وعنه الدارقطنى والبرقانى ، وكان ثقة حافظاً مكثراً ، وكان عسر الرواية .

﴿ الحسن بن على بن الحسن ﴾

ابن الهيثم بن طهمان أبو عبد الله الشاهد ، المعروف بالبادى ، سمع الحديث وكان ثقة ، عاش سبعا وتسعين سنة ، منها خمس عشرة سنة مقيدا أعمى .

﴿ عبد الله بن الحسين ﴾

ابن إسماعيل بن محمد أبو بكر الضبى ، ولى الحكم ببغداد ، وكان عفيفا نزهاً دينا .

﴿ عبد العزيز بن الحارث ﴾

ابن أسد بن الليث أبو الحسن التميمى الفقيه الحنبلى . له كلام ومصنف فى الخلاف ، وسمع الحديث وروى عن غير واحد ، وقد ذكر الخطيب البغدادى أنه وضع حديثا . وأنكر ذلك ابن الجوزى وقال : ما زال هذا دأب الخطيب فى أصحاب أحمد بن حنبل . قال : وشيخ الخطيب الذى حكى عنه هذا هو أبو القاسم عبد الواحد بن أسد المكبرى لا يعتمد على قوله ، فانه كان معتزليا وليس من أهل الحديث ، وكان يقول بأن الكفار لا يخلدون فى النار . قلت : وهذا غريب فان المعتزلة يقولون بأن الكفار يخلدون فى النار ، بل يقولون بتخليد أصحاب الكبائر . قال : وعنه حكى الكلام عن ابن بطة أيضاً

﴿ على بن إبراهيم ﴾

أبو الحسن الحصرى الصوفى الواعظ شيخ المتصوفة ببغداد ، أصله من البصرة صحب الشبلى وغيره ، وكان يعظ الناس بالجامع ، ثم لما كبرت سنه بنى له الرباط المقابل لجامع المنصور ، ثم عرف بصاحبة المروزى ، وكان لا يخرج إلا من الجمعة إلى الجمعة ، وله كلام جيد فى التصوف على طريقتهم . ومما نقله ابن الجوزى عنه أنه قال : ماعلى منى ؟ وأى شئ لى فى ؟ حتى أخاف وأرجو ، إن رحم رحم ماله ،

وإن عذب عذب ماله . توفى فى ذى الحجة وقد نيف على الثمانين ، ودفن بمقبرة دار حرب من بغداد.

﴿ على بن محمد الأحدب المزور ﴾

كان قوى الخط ، له ملكة على التزوير لا يشاء يكتب على أحد كتابة إلا فعل ، فلا يشك ذلك المزور عليه أنه خطه ، وحصل للناس به بلاء عظيم ، وختم السلطان على يده مراراً فلم يقدر ، وكان يزور ثم كانت وفاته فى هذه السنة .

﴿ الشيخ أبو زيد المروزى الشافعى ﴾

محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو زيد المروزى شيخ الشافعية فى زمانه وإمام أهل عصره فى الفقه والزهد والعبادة والورع ، سمع الحديث ودخل بغداد وحدث بها فسمع منه الدارقطنى وغيره . قال أبو بكر البزاز : عادلت الشيخ أبا زيد فى طريق الحج فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة . وقد ذكرت ترجمته بكمالها فى طبقات الشافعية . قال الشيخ أبو نعيم : توفى بمرو يوم الجمعة الثالث عشر من رجب من هذه السنة

﴿ محمد بن خفيف ﴾

أبو عبد الله الشيرازى أحد مشاهير الصوفية ، صحب الجريرى وابن عطاء وغيرهما . قال ابن الجوزى : وقد ذكرت فى كتابى المسمى بتلبيس إبليس عنه حكايات تدل على أنه كان ينهب مذهب الاباحية

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وثلثمائة ﴾

قال ابن الجوزى : فى المحرم منها جرى الماء الذى ساقه عضد الدولة إلى داره وبستانه . وفى صفر فتح المارستان الذى أنشأه عضد الدولة فى الجانب الغربى من بغداد ، وقد رتب فيه الأطباء والخدم ، ونقل إليه من الأدوية والأشربة والعقاقير شيئا كثيرا . وقال : وفيها توفى عضد الدولة فكتم أصحابه وفاته حتى أحضروا ولده صمصامة فولوه الأمر وراسلوا الخليفة فبعث إليه بالخلع والولاية

﴿ ذكر شئ من أخبار عضد الدولة ﴾

أبو شجاع ابن ركن الدولة أبو على الحسين بن بويه الديلمى ، صاحب ملك بغداد وغيرها ، وهو أول من تسمى شاهنشاه ، ومعناه ملك الملوك . وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أوضع اسم ـ وفى رواية أخنع اسم ـ عند الله رجل تسمى ملك الملوك » وفى رواية « ملك الأملاك لاملك إلا الله عز وجل » . وهو أول من ضربت له الدبادب ببغداد ، وأول من خطب له بها مع الخليفة . وذكر ابن خلكان أنه امتدحه الشعراء بمدائح هائلة منهم المتنبي وغيره ، فمن ذلك قول أبى الحسن محمد بن عبد الله السلامى فى قصيدة له :

إليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمى فى الظلام وصارمى * ثلاثة أشياء كما اجتمع النسر

و بشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا و يوم هو الدهر

وقال المتنبى أيضا :

هى الغرض الأقصى و رؤيتك المنى * ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

قال وقال أبو بكر أحمد الارجانى فى قصيدة له بيتا فلم يلحق السلامى أيضاً وهو قوله :

لقيته فرأيت الناس فى رجل * والدهر فى ساعة والأرض فى دار

قال : وكتب إليه افتكين مولى أخيه يستمده بجيش إلى دمشق يقاتل به الفاطميين ، فكتب إليه عضد الدولة « غَرَّكَ عزُّكَ فصار قصارَاك ذلك ، فاخش فاحش فعلك ، فلعك بهذا تهدأ » . قال ابن خلكان : ولقد أبدع فيها كل الابداع ، وقد جرى له من التعظيم من الخليفة مالم يقع لغيره قبله ، وقد اجتهد فى عمارة بغداد والطرقات ، وأجرى النفقات على المساكين والمحاويج ، وحفر الأنهار و بنى المارستان العضدى وأدار السور على مدينة الرسول ، فعل ذلك مدة ملكه على العراق ، وهى خمسة سنين ، وقد كان عاقلا فاضلا حسن السياسة شديد الهيبة بعيد الهمة ، إلا أنه كان يتجاوز فى سياسة الأمور الشرعية ، كان يحب جارية فألهته عن تدبير المملكة ، فأمر بتغريقها . و بلغه أن غلاماً له أخذ لرجل بطيخة فضربه بسيفه فقطعه نصفين ، وهذه مبالغة . وكان سبب موته الصرع . وحين أخذ فى علة موته لم يكن له كلام سوى تلاوة قوله تعالى (ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه) فكان هذا هجيراه حتى مات . وحكى ابن الجوزى أنه كان يحب العلم والفضيلة ، وكان يقرأ عنده كتاب إقليدس وكتاب النحو لأبى على الفارسى ، وهو الايضاح والتكملة الذى صنفه له . وقد خرج مرة إلى بستان له فقال أود لو جاء المطر ، فنزل المطر فأنشأ يقول :

ليس شرب الراح إلا فى المطر * وغناء من جوار فى السحر

غانيات سالبات للنهى * ناعمات فى تضاعيف الوتر

راقصات زاهرت نجل * رافلات فى أفانين الحبر

مطربات غنجات لحن * رافضات الهم أمال الفكر

مبرزات الكاس من مطلعها * مسقيات الخمر من فاق البشر

عضد الدولة وابن ركنها * مالك الاملاك غلاب القدر [1]

سهل الله إليه نصره * فى ملوك الأرض مادام القمر

وأراه الخير فى أولاده * ولباس الملك فيهم بالغرر

قبحه الله وقبح شعره وقبح أولاده ، فانه قد اجترأ فى أبياته هذه فلم يفلح بعدها ، فيقال : إنه حين أنشد قوله غلاب القدر ، أخذه الله فأهلكه ، و يقال : إن هذه الأبيات إنما أنشدت بين يديه

(١) بهامش الاصل : كذب القائل فى لحنته . وكذا فى شعره أيضاً كفر .

ثم هلك عقيبها . مات فى شوال من هذه السنة عن سبع أو ثمان وأربعين سنة ، وحمل إلى مشهد على فدفن فيه ، وكان فيه رفض وتشيع ، وقد كتب على قبره فى تربته عند مشهد على : هذا قبر عضد الدولة ، وتاج المملكة ، أبى شجاع بن ركن الدولة ، أحب مجاورة هذا الامام المتقى لطمعه فى الخلاص (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها) والحمد لله وصلواته على محمد وعترته الطاهرة . وقد تمثل عند موته بهذه الأبيات وهى للقاسم بن عبيد الله :

قتلت صناديد الرجال فلم أدع * عدوا ولم أمهل على ظنه خلقا

وأخليت دور الملك من كان باذلا * فشردتهم غربا وشردتهم شرقا

فلما بلغت النجم عزا ورفعة * وصارت رقاب الخلق أجمع لى رقا

رمانى الردى سهما فأخمد جمرتى * فها أنا ذا فى حفرتى عاطلا ملقى

فأذهبت دنياى ودينى سفاهة * فمن ذا الذى منى بمصرعه أشقى ؟

ثم جعل يكرر هذه الأبيات وهذه الآية (ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه) إلى أن مات . وأجلس ابنه صمصامة على الأرض وعليه ثياب السواد ، وجاءه الخليفة معزيا وناح النساء عليه فى الأسواق حاسرات عن وجوههن أياما كثيرة ، ولما انقضى العزاء ركب ابنه صمصامة إلى دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع وطوقه وسوره وألبسه التاج ولقبه شمس الدولة ، وولاه ما كان يتولاه أبوه ، وكان يوماً مشهوداً .

﴿ محمد بن جعفر ﴾

ابن أحمد بن جعفر بن الحسن بن وهب أبو بكر الجريرى المعروف بزوج الحرة ، سمع ابن جرير والبغوى وابن أبى داود وغيرهم ، وعنه ابن رزقويه وابن شاهين والبزقانى ، وكان أحد العدول الثقات جليل القدر . وذكر ابن الجوزى والخطيب سبب تسميته بزوج الحرة أنه كان يدخل إلى مطبخ أبيه بدار مولاته التى كانت زوجة المقتدر بالله ، فلما توفى المقتدر وبقيت هذه المرأة سالمة من الكتاب والمصادرات وكانت كثيرة الأموال ، وكان هذا غلاماً شابا حدث السن يحمل شيئا من جوائج المطبخ على رأسه فيدخل به إلى مطبخها مع جملة الخدم ، وكان شابا رشيقا حركا ، فنفق على القهرمانة حتى جعلته كاتبا على المطبخ ، ثم ترقى إلى أن صار وكيلا للست على ضياعها ، ينظر فيها وفى أموالها ، ثم آل به الحال حتى صارت الست تحدثه من وراء الحجاب ، ثم علقت به وأحبته وسألته أن يتزوج بها فاستصغر نفسه وخاف من غائلة ذلك فشجعته هى وأعطته أموالا كثيرة ليظهر عليه الحشمة والسعادة مما يناسبها ليتأهل لذلك ، ثم شرعت تهادى القضاة والأكابر ، ثم عزمت على تزويجه ورضيت به عند حضور القضاة ، واعترض أولياؤها عليها فغلبتهم بالمكارم والهدايا ، ودخل عليها فمكثت معه دهرا طويلا ثم ماتت قبله فورث منها نحو ثلثمائة ألف دينار ، وطال عمره بعدها حتى كانت وفاته فى هذه السنة

والله أعلم

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكر من الطعام إلى أربعة آلاف وثمانمائة ، ومات كثير من الناس جوعاً ، وجافت الطرقات من الموتى من الجوع ، ثم تساهل الحال فى ذى الحجة منها ، وجاء الخبر بموت مؤيد الدولة بن ركن الدولة ، وأن أبا القاسم بن عباد الوزير بعث إلى أخيه فخر الدولة فولاه الملك مكانه ، فاستوزر ابن عباد أيضاً على ما كان عليه ، ولما بلغ القرامطة موت عضد الدولة قصدوا البصرة ليأخذوها مع الكوفة فلم يتم لهم ذلك ، ولكن صولحوا على مال كثير فأخذوه وانصرفوا .

وممن توفى فيها من الأعيان بويه مؤيد الدولة بن ركن الدولة ، وكان ملكا على بعض ما كان أبوه يملكه ، وكان الصاحب أبو القاسم بن عباد وزيره ، وقد تزوج مؤيد الدولة هذا ابنة عمه معز الدولة ، فغرم على عرسه سبعمائة ألف دينار ، وهذا سرف عظيم .

﴿ بلكين بن زيرى بن منادى ﴾

الحمدى الصنهاجى ، ويسمى أيضا يوسف ، وكان من أكابر أمراء المعز الفاطمى ، وقد استخلفه على بلاد إفريقية حين سار إلى القاهرة ، وكان حسن السيرة ، له أربعمائة حظية ، وقد بُشِّر فى ليلة واحدة بتسعة عشر ولدا ، وهو جد باديس المغربى .

﴿ سعيد بن سلام ﴾

أبو عثمان المغربى ، أصله من بلاد القيروان ، ودخل الشام وصحب أبا الخير الأقطع ، وجاور بمكة مدة سنين ، وكان لا يظهر فى المواسم ، وكانت له كرامات ، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطابى وغيره ، وروى له أحوال صالحة رحمه الله تعالى .

﴿ عبد الله بن محمد ﴾

ابن عبد الله بن عثمان بن المختار بن محمد المرى الواسطى ، يعرف بابن السقا ، سمع عبدان وأبا يعلى الموصلى وابن أبى داود والبغوى ، وكان فهماً حافظا ، دخل بغداد فحدث بها مجالس كثيرة من حفظه ، وكان يحضره الدارقطنى وغيره من الحفاظ فلم ينكروا عليه شيئا ، غير أنه حدث مرة عن أبى يعلى بحديث أنكروه عليه ثم وجدوه فى أصله بخط الضبى ، كما حدث به ، فبرئ من عهدته .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها جرى الصلح بين صمصامة وبين عمه فخر الدولة ، فأرسل الخليفة لفخر الدولة خلعا وتحفا . قال ابن الجوزى : وفى رجب منها عمل عرس فى درب رياح فسقطت الدار على من فيها فهلك أكثر النساء بها ، ونبش من تحت الردم فكانت المصيبة عامة .

وفيها كانت وفاة .

﴿ الحافظ أبى الفتح محمد بن الحسن ﴾

ابن أحمد بن الحسين الأزدى الموصلى المصنف فى الجرح والتعديل ، وقد سمع الحديث من أبى يعلى وطبقته ، وضعفه كثير من الحفاظ من أهل زمانه ، واتهمه بعضهم بوضع حديث رواه لابن بويه ، حين قدم عليه بغداد ، فساقه باسناد إلى النبى ﷺ « أن جبريل كان ينزل عليه فى مثل صورة ذلك الأمير » . فأجازه وأعطاه دراهم كثيرة . والعجب إن كان هذا صحيحاً كيف راج على أحد ممن له أدنى فهم وعقل ، وقد أرخ ابن الجوزى وفاته فى هذه السنة ، وقد قيل إنه توفى سنة تسع وستين .

وفيها توفى ﴿ الخطيب ابن نباتة الحذاء ﴾

فى بطن من قضاعة ، وقيل إياد الفارقى خطيب حلب فى أيام سيف الدولة بن حمدان ، ولهذا أكثر دوانه الخطب الجهادية ، ولم يسبق إلى مثل دوانه هذا ، ولا يلحق إلا أن يشاء الله شيئا ، لأنه كان فصيحاً بليغا دينا ورعا ، روى الشيخ تاج الدين الكندى عنه أنه خطب يوم جمعة بخطبة المنام ثم رأى ليلة السبت رسول الله ﷺ فى جماعة من أصحابه بين المقابر ، فلما أقبل عليه قال له : مرحباً بخطيب الخطباء ، ثم أومأ إلى قبور هناك فقال لابن نباتة : كأنهم لم يكونوا للعيون قرة ، ولم يعدوا فى الأحياء مرة ، أبادهم الذى خلقهم ، وأسكتهم الذى أنطقهم ، وسيجدهم كما أخلقهم ، ويجمعهم كما فرقهم ، فتم الكلام ابن نباتة حتى انتهى إلى قوله (يوم تكونوا شهداء على الناس ـ وأشار إلى الصحابة الذين مع الرسول ـ ويكون الرسول عليكم شهيداً) وأشار إلى رسول الله ﷺ . فقال : أحسنت أحسنت أدنه أدنه ، فقبل وجهه وتفل فى فيه ـ وقال : وفقك الله : فاستيقظ وبه من السرور أمر كبير ، وعلى وجهه بهاء ونور ، ولم يعش بعد ذلك إلا سبعة عشر يوما لم يستطعم بطعام ، وكان يوجد منه مثل رائحة المسك حتى مات رحمه الله . قال ابن الأزرق الفارقى : ولد ابن نباتة فى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ، وتوفى فى سنة أربع وسبعين وثلثمائة . حكاه ابن خلكان .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها خلع الخليفة على صمصامة الدولة وسوره وطوقه وأركب على فرس بسرج ذهب ، وبين يديه جنيب مثله ، وفيها ورد الخبر بأن اثنين من سادة القرامطة وهما إسحاق وجعفر ، دخلا الكوفة فى حفل عظيم فانزعجت النفوس بسبب ذلك ، وذلك لصرامتهما وشجاعتهما ، ولأن عضد الدولة مع شجاعته كان يصانعهما ، وأقطعهما أراضى من أراضى واسط ، وكذلك عز الدولة من قبله أيضا . فجهز إليهما صمصامة جيشا فطردهما عن تلك النواحى التى قد أكثروا فيها الفساد ، وبطل ما كان فى نفوس الناس منهما . وفيها عزم صمصامة الدولة على أن يضع مكسا على الثياب الابريسميات ، فاجتمع الناس بجامع المنصور وأرادوا تعطيل الجمعة وكادت الفتنة تقع بينهم فأعفوا من ذلك .

وفى ذى الحجة ورد الخبر بموت مؤيد الدولة فجلس صمصامة للعزاء ، وجاء إليه الخليفة معزياله فقام إليه صمصامة وقبّل الأرض بين يديه وتخاطبا فى العزاء بألفاظ حسنة . وفيها توفى الشيخ .

﴿ أبو على بن أبى هريرة ﴾

واسمه الحسن بن الحسين ، وهو أحد مشايخ الشافعية ، وله اختيارات كثيرة غريبة فى المذهب وقد ترجمناه فى طبقات الشافعية .

﴿ الحسين بن على ﴾

ابن محمد بن يحيى أبو أحمد النيسابورى المعروف بحسنك ، كانت تربيته عند ابن خزيمة وتلميذاً له ، وكان يقدمه على أولاده ويقر له مالا يقر لغيره ، وإذا تخلف ابن خزيمة عن مجالس السلطان بعث حسنك مكانه . ولما توفى ابن خزيمة كان عمر حسنك ثلاثا وعشرين سنة ، ثم عمر بعده دهرا طويلاً ، وكان من أكثر الناس عبادة وقراءة للقرآن ، لا يترك قيام الليل حضراً ولا سفرا ، كثير الصدقات والصِّلات ، وكان يحكى وضوء ابن خزيمة وصلاته ، ولم يكن فى الأغنياء أحسن صلاة منه رحمه الله ، وصلى عليه الحافظ أبو أحمد النيسابورى .

﴿ أبو القاسم الداركى ﴾

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد أبو القاسم الداركى أحد أئمة الشافعية فى زمانه ، نزل نيسابور ثم سكن بغداد إلى أن مات بها ، قال الشيخ أبو حامد الاسفرايينى : ما رأيت أفقه منه . وحكى الخطيب عنه أنه كان يسأل عن الفتوى فيجيب بعد تفكر طويل ، فربما كانت فتواه مخالفة لمذهب الشافعى وأبى حنيفة فيقال له فى ذلك فيقول : ويلكم روى فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ كذا وكذا ، فالأخذ به أولى من الأخذ بمذهب الشافعى وأبى حنيفة ، ومخالفتهما أسهل من مخالفة الحديث . قال ابن خلكان : وله فى المذهب وجوه جيدة دالة على متانة علمه ، وكان يتهم بالاعتزال ، وكان قد أخذ العلم عن الشيخ أبى إسحاق المروزى ، والحديث عن جده لأمه الحسن بن محمد الداركى ، وهو أحد مشايخ أبى حامد الأسفرايينى ، وأخذ عنه عامة شيوخ بغداد وغيرهم من أهل الآفاق ، وكانت وفاته فى شوال ، وقيل فى ذى القعدة منها ، وقد نيف على السبعين رحمه الله .

﴿ محمد بن أحمد بن محمد بن حسنويه ﴾

أبو سهل النيسابورى ، ويعرف بالحسنوى ، كان فقيهاً شافعياً أديباً محدثا مشتغلا بنفسه عما لا يعنيه

﴿ محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح ﴾

أبو بكر الفقيه المالكى ، سمع من ابن أبى عمرويه والباغندى وأبى بكر بن أبى داود وغيرهم ، وعنه البرقانى ، وله تصانيف فى شرح مذهب مالك ، وانتهت إليه رياسة مذهب مالك ، وعرض عليه

القضاء فأباه وأشار بأبي بكر الرازى الحنفى ، فلم يقبل الآخر أيضاً . توفى فى شوال منها عن ست وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلثمائة ﴾

قال ابن الجوزى : فى محرمها كثرت الحيات فى بغداد فهلك بسبب ذلك خلق كثير . ولسبع خلون من ربيع الأول ـ وكان يوم العشرين من تموز ـ وقع مطر كثير ببرق ورعد . وفى رجب غلت الأسعار جدا وورد الخبر فيه بأنه وقع بالموصل زلزلة عظيمة سقط بسببها عمران كثير ، ومات من أهلها أمة عظيمة . وفيها وقع بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة فاقتتلا فغلبه شرف الدولة ودخل بغداد فتلقاه الخليفة وهنأه بالسلامة ، ثم استدعى شرف الدولة بفراش ليكحل صمصام الدولة فاتفق موته فأكحله بعد موته ، وهذا من غريب ما وقع . وفى ذى الحجة منها قبل قاضى القضاة أبو محمد ابن معروف شهادة القاضى الحافظ أبى الحسن الدارقطنى ، وأبى محمد بن عقبة ، فذكر أن الدارقطنى ندم على ذلك وقال : كان يقبل قولى على رسول الله ﷺ وحدى فصار لا يقبل قولى على نقلى إلا مع غيرى .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلثمائة ﴾

فى صفرها عقد مجلس بحضرة الخليفة فيه القضاة وأعيان الدولة وجددت البيعة بين الطائع وبين شرف الدولة بن عضد الدولة وكان يوما مشهودا ، ثم فى ربيعها الأول ركب شرف الدولة من داره إلى دار الخليفة وزينت البلد وضربت البوقات والطبول والدبادب ، فخلع عليه الخليفة وسوره وأعطاه لواءين معه ، وعقد له على ما وراء داره ، واستخلفه على ذلك ، وكان فى جملة من قدم مع شرف الدولة القاضى أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف ، فلما رآه الخليفة قال :

مرحبا بالأحبة القادمينا ✱ أوحشونا وطال ما آنسونا

فقبّل الأرض بين يدى الخليفة ، ولما قضيت البيعة دخل شرف الدولة على أخته امرأة الخليفة فمكث عندها إلى العصر والناس ينتظرونه ، ثم خرج وسار إلى داره للتهنئة . وفيها اشتد الغلاء جدا ثم لحقه فناء كثير . وفيها توفيت أم شرف الدولة ـ وكانت تركية أم ولد ـ فجاءه الخليفة فعزاه . وفيها ولد لشرف الدولة ابنان توأمان .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن الحسين بن على ﴾

أبو حامد المروزى ، ويعرف بابن الطبرى ، كان حافظا للحديث مجتهدا فى العبادة ، متقنا بصيرا بالأثر ، فقيها حنفيا ، درس على أبى الحسين الكرخى وصنف كتباً فى الفقه والتاريخ ، وولى قضاء القضاة بخراسان ، ثم دخل بغداد وقد علت سنه ، فحدث الناس وكتب الناس عنه ، منهم الدارقطنى .

﴿ إسحاق بن المقتدر بالله ﴾

توفى ليلة الجمعة لسبع عشر من ذى الحجة عن ستين سنة ، وصلى عليه ابنه القادر بالله وهو إذ ذاك أمير المؤمنين ، ودفن فى تربة جدته شغب أم المقتدر ، وحضر جنازته الأمراء والأعيان من جهة الخليفة وشرف الدولة ، وأرسل شرف الدولة من عزى الخليفة فيه ، واعتذر من الحضور لوجع حصل له

﴿ جعفر بن المكتفى بالله ﴾

كان فاضلا توفى فيها أيضاً .

﴿ أبو على الفارسى النحوى ﴾

صاحب الايضاح والمصنفات الكثيرة ، ولد ببلده ثم دخل بغداد وخدم الملوك وحظى عند عضد الدولة بحيث إن عضد الدولة كان يقول أنا غلام أبى على فى النحو ، وحصلت له الأموال ، وقد اتهمه قوم بالاعتزال وفضله قوم من أصحابه على المبرد ، وممن أخذ عنه أبو عثمان بن جنى وغيره ، توفى فيها عن بضع وتسعين سنة .

﴿ ستيتة ﴾

بنت القاضى أبى عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملى ، وتكنى أم عبد الواحد ، قرأت القرآن وحفظت الفقه والفرائض والحساب والدرر والنحو وغير ذلك ، وكانت من أعلم الناس فى وقتها بمذهب الشافعى ، وكانت تفتى به مع الشيخ أبى على بن أبى هريرة ، وكانت فاضلة فى نفسها كثيرة الصدقة ، مسارعة إلى فعل الخيرات ، وقد سمعت الحديث أيضا ، وكانت وفاتها فى رجب عن بضع وتسعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وثلثمائة ﴾

فى محرمها كثر الغلاء والفناء ببغداد إلى شعبان كثرت الرياح والعواصف ، بحيث هدمت كثيرا من الأبنية ، وغرق شئ كثير من السفن ، واحتملت بعض الزوارق فألقته بالأرض من ناحية جوخى ، وهذا أمر هائل وخطب شامل . وفى هذا الوقت لحق أهل البصرة حر شديد بحيث سقط كثير من الناس فى الطرقات وماتوا من شدته .

وفيها توفى من الأعيان

﴿ الحسن بن على بن ثابت ﴾

أبو عبد الله المقرى ، ولد أعمى ، وكان يحضر مجلس ابن الأنبارى فيحفظ ما يقول وما يمليه كله ، وكان ظريفا حسن الزى ، وقد سبق الشاطبى إلى قصيدة عملها فى القراءات السبع ، وذلك فى حياة النقاش ، وكانت تعجبه جدا ، وكذلك شيوخ ذلك الزمان أذعنوا إليها .

﴿ الخليل بن أحمد القاضى ﴾

شيخ الحنفية فى زمانه ، كان مقدماً فى الفقه والحديث ، سمع ابن جرير والبغوى وابن صاعد وغيرهم ، ولهذا سمى باسم النحوى المتقدم .

﴿ زياد بن محمد بن زياد بن الهيثم ﴾

أبو العباس الخرخانى بخاءين معجمتين نسبة إلى قرية من قرى قومس ، ولهم الجرجانى بجيمين ، وهم جماعة ، ولهم الخرجانى بخاء معجمة ثم جيم . وقد حرر هذه المواضع الشيخ ابن الجوزى فى منتظمه

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلثمائة ﴾

فيها كانت وفاة شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه الديلمى ، وكان قد انتقل إلى قصر معز الدولة عن إشارة الأطباء لصحة الهواء ، وذلك لشدة ما كان يجده من الداء ، فلما كان فى جمادى الأولى تزايد به ومات فى هذا الشهر ، وقد عهد إلى ابنه أبى نصر ، وجاء الخليفة فى طيارة لتعزيته فى والده فتلقاه أبو نصر والترك بين يديه والديلم ، فقبّل الأرض بين يدى الخليفة ، وكذلك بقية العسكر والخليفة فى الطيارة وهم يقبلون الأرض إلى ناحيته . وجاء الرئيس أبو الحسين على بن عبد العزيز من عند الخليفة إلى أبى نصر فبلغه تعزيته له فى والده فقبّل الأرض أيضا ثانية ، وعاد الرسول أيضا إلى الخليفة فبلغه شكر الأمير ، ثم عاد من جهة الخليفة لتوديع أبى نصر فقبل الأرض ثالثا ، ورجع الخليفة . فلما كان يوم السبت عاشر هذا الشهر ركب الأمير أبو نصر إلى حضرة الخليفة الطائع لله ومعه الأشراف والأعيان والقضاة والأمراء ، وجلس الخليفة فى الرواق ، فلما وصل الأمير أبو نصر خلع عليه الخليفة سبع خلع أعلاهن السواد وعمامة سوداء وفى عنقه طوق وفى يده سواران ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف والمناطق ، فقبل الأرض ثانية ووضع له كرسى فجلس عليه وقرأ الرئيس أبو الحسن عهده ، وقدم إلى الطائع لواء فعقده بيده ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة ، ثم خرج من بين يديه والعسكر معه حتى عاد إلى دار المملكة ، وأقر الوزير أبا منصور بن صالح على الوزارة ، وخلع عليه . وفيها بنى جامع القطيعة ـ قطيعة أم جعفر ـ بالجانب الغربى من بغداد ، وكان أصل بناء هذا المسجد أن امرأة رأت فى منامها رسول الله ﷺ يصلى فى مكانه ، ووضع يده فى جدار هناك ، فلما أصبحت فذكرت ذلك فوجدوا أثر الكف فى ذلك الموضع ، فبنى مسجدا ثم توفيت تلك المرأة فى ذلك اليوم ، ثم إن الشريف أبا أحمد الموسوى جدده وجعله جامعاً ، وصلى الناس فيه فى هذه السنة .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ شرف الدولة ﴾

ابن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمى ، تملك بغداد بعد أبيه ، وكان يحب الخير ويبغض الشر ، وأمر بترك المصادرات . وكان مرضه بالاستسقاء فتزايد به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة الثانى من جمادى الآخرة عن ثمان وعشرين سنة وخمسة أشهر ، وكانت مدة ملكه سنتين وثمانية أشهر ، وحمل تابوته إلى تربة أبيه بمشهد على ، وكلهم فيهم تشيع ورفض .

﴿ محمد بن جعفر بن العباس ﴾

أبو جعفر ، وأبو بكر النجار ، ويلقب غندر أيضا ، روى عن أبي بكر النيسابورى وطبقته ، وكان فهما يفهم القرآن فهماً حسنا وهو من ثقات الناس .

﴿ عبد الكريم بن عبد الكريم ﴾

ابن بديل أبو الفضل الخزاعى الجرجانى قدم بغداد وحدث بها . قال الخطيب : كانت له عناية بالقراءات وصنف أسانيدها ، ثم ذكر أنه كان يخلط ولم يكن مأمونا على ما يرويه ، وأنه وضع كتابا فى الحروف ونسبه إلى أبى حنيفة ، فكتب الدارقطنى وجماعة أن هذا الكتاب موضوع لا أصل له ، فافتضح وخرج من بغداد إلى الجبل فاشتهر أمره هناك وحبطت منزلته ، وكان يسمى نفسه أولا جميلا ، ثم غيره إلى محمد

﴿ محمد بن المطرف ﴾

ابن موسى بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن سلمة بن إياس ، أبو الحسين البزار الحافظ ، ولد فى محرم سنة ثلثمائة ، ورحل إلى بلاد شتى ، وروى عن ابن جرير والبغوى وخلق ، وروى عنه جماعة من الحفاظ - منهم الدارقطنى - شيئا كثيراً ، وكان يعظمه ويجله ولا يستند بحضرته ، كان ثقة ثبتا ، وكان قديما ينتقد على المشايخ ، ثم كانت وفاته فى هذه السنة ودفن يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الأولى أو الأخرى منها .

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وثلثمائة من الهجرة ﴾

فيها قلد الشريف أبو أحمد الحسن بن موسى الموسوى نقابة الأشراف الطالبيين والنظر فى المظالم وإمرة الحاج ، وكتب عهده بذلك واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم والرضى أبو الحسين على النقابة وخلع عليهما . وفيها تفاقم الأمر بالعيارين ببغداد وصار الناس أحزابا فى كل محلة أمير مقدم ، واقتتل الناس وأخذت الأموال واتصلت الكبسات وأحرقت دور كبار ، ووقع حريق بالنهار فى نهر الدجاج ، فاحترق بسببه شئ كثير للناس والله أعلم .

وفيها توفى من الأعيان

﴿ يعقوب بن يوسف ﴾

أبو الفتوح بن كاس ، وزير العزيز صاحب مصر ، وكان شهماً فهماً ذا همة وتدبير وكلمة نافذة عند مخدومه ، وقد فوض إليه أموره فى سائر مملكته ، ولما مرض عاده العزيز ووصاه الوزير بأمر مملكته ولما مات دفنه فى قصره وتولى دفنه بيده وحزن عليه كثيراً ، وأغلق الديوان أياما من شدة حزنه عليه

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ﴾

فيها كان القبض على الخليفة الطائع لله وخلافة القادر بالله أبى العباس أحمد بن الأمير إسحاق ابن المقتدر بالله ، وكان ذلك فى يوم السبت التاسع عشر من شعبان منها ، وذلك أنه جلس الخليفة على عادته فى الرواق وقعد الملك بهاء الدولة على السرير ، ثم أرسل من اجتذب الخليفة بحمائل سيفه

عن السرير ولفوه فى كساء وحملوه إلى الخزانة بدار المملكة ، وتشاغل الناس بالنهب ولم يدر أكثر الناس ما الخطب وما الخبر ، حتى أن كبير المملكة بهاء الدولة ظن الناس أنه هو الذى مسك ، فنهبت الخزائن والحواصل وأشياء من أثاث دار الخلافة ، حتى أخذت ثياب الأعيان والقضاة والشهود وجرت كائنة عظيمة جدا ، ورجع بهاء الدولة إلى داره وكتب على الطائع كتابا بالخلع من الخلافة ، وأشهد عليه الأشراف وغيرهم أنه قد خلع نفسه من الخلافة وسلمها إلى القادر بالله ، ونودى بذلك فى الأسواق ، وسبقت الديلم والأتراك وطالبوا برسم البيعة ، وراسلوا بهاء الدولة فى ذلك وتطاول الأمر فى يوم الجمعة ، ولم يمكنوا من الدعاء له على المنبر بصريح اسمه ، بل قالوا اللهم أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله ، ثم أرضوا وجوههم وأكابرهم وأخذت البيعة له واتفقت الكلمة ، وأمر بهاء الدولة بتحويل جميع ما فى دار الخلافة من الأوانى والأثاث وغيره إلى داره ، وأبيحت للعامة والخاصة، فقلعوا وشعثوا أبنيتها ، هذا والخليفة القادر قد هرب إلى أرض البطيحة من الطائع حين كان يطلبه ، ولما رجع إلى بغداد ما نعته الديلم من الدخول إليها حتى يعطيهم رسم البيعة ، وجرت بينهم خطوب طويلة ، ثم رضوا عنه ودخل بغداد ، وكانت مدة هربه إلى أرض البطيحة ثلاث سنين . ولما دخل بغداد جلس فى اليوم الثانى جلوسا عاماً إلى التهنئة وسماع المدائح والقصائد فيه ، وذلك فى العشر الأخير من شوال ، ثم خلع على بهاء الدولة وفوض إليه ما وراء بابه ، وكان الخليفة القادر بالله من خيار الخلفاء وسادات العلماء فى ذلك الزمان ، وكان كثير الصدقة حسن الاعتقاد ، وصنف قصيدة فيها فضائل الصحابة وغير ذلك ، فكانت تقرأ فى حلق أصحاب الحديث كل جمعة فى جامع المهدى ، ويجتمع الناس لسماعها مدة خلافته ، وكان ينشد هذه الأبيات يترنم بها وهى لسابق البربرى :

سبق القضاء بكل ما هو كائن * والله يا هذا لرزقك ضامن
تعنى بما تكفى وتترك ما به * تعنى كأنك للحوادث آمن
أو ما ترى الدنيا ومصرع أهلها * فاعمل ليوم فراقها يا خائن
واعلم بأنك لا أبالك فى الذى * أصبحت تجمعه لغيرك خازن
يا عامر الدنيا أتعمر منزلا * لم يبق فيه مع المنية ساكن
الموت شىء أنت تعلم أنه * حق وأنت بذكره متهاون
إن المنية لا تؤامر من أتت * فى نفسه يوما ولا تستأذن

وفى اليوم الثالث عشر من ذى الحجة - وهو يوم غدير خم - جرت فتنة بين الروافض والسنة واقتتلوا فقتل منهم خلق كثير ، واستظهر أهل باب البصرة وخرقوا أعلام السلطان ، فقتل جماعة اتهموا بفعل ذلك ، وصلبوا على القناطر ليرتدع أمثالهم . وفيها ظهر أبو الفتوح الحسين بن جعفر

العلوى أمير مكة ، وادعى أنه خليفة ، وسمى نفسه الراشد بالله ، فوالاه أهل مكة وحصل له أموال من رجل أوصى له بها ، فانتظم أمره بها ، وتقلد سيفا و زعم أنه ذو الفقار ، وأخذ بيده قضيبا زعم أنه كان لرسول الله ﷺ ، ثم قصد بلاد الرملة ليستمين بعرب الشام ، فتلقوه بالرحب وقبلوا له الأرض ، وسلموا عليه بأمير المؤمنين ، وأظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر و إقامة الحدود . ثم إن الحاكم صاحب مصر - وكان قدقام بالأمر من بعد أبيه العزيز فى هذه السنة - بعث إلى عرب الشام بملطفات ووعدهم من الذهب بألوف ومئات ، وكذلك إلى عرب الحجاز ، واستناب على مكة أميراً و بعث إليه بخمسين ألف دينار ، فانتظم أمر الحاكم وتمزق أمر الراشد ، وانسحب إلى بلاده كما بدأ منها ، وعاد إليها كما خرج عنها ، واضمحل حاله وانتقضت حباله ، وتفرق عنه رجاله .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن الحسن بن مهران ﴾

أبو بكر المقرى ، توفى فى شوال منها عن ست وثمانين سنة ، واتفق له أنه مات فى يوم وفاته أبو الحسن العامرى الفيلسوف ، فرأى بعض الصالحين أحمد بن الحسين بن مهران هذا فى المنام فقيل له : مافعل الله بك ؟ فقال : أقام أبا الحسن العامرى بجانبى ، وقال هذا فداؤك من النار .

﴿ عبد الله بن أحمد بن معروف ﴾

أبو محمد قاضى قضاة بغداد ، روى عن ابن صاعد وعنه الخلال والازهرى وغيرهما ، وكان من العلماء الثقات العقلاء الفطناء ، حسن الشكل جميل اللبس ، عفيفاً عن الأموال ، توفى عن خمس وسبعين سنة ، وصلى عليه أبو أحمد الموسوى ، فكبر عليه خمساً ، ثم صلى عليه ابنه بجامع المنصور فكبر عليه أربعاً ، ثم دفن فى داره سامحه الله .

﴿ جوهر بن عبد الله ﴾

القائد بانى القاهرة ، أصله أرمنى و يعرف بالكاتب ، أخذ مصر بعد موت كافور الأخشيدى ، أرسله مولاه العزيز الفاطمى إليها فى ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، فوصل إليها فى شعبان منها فى مائة ألف مقاتل ، ومائتى صندوق لينفقه فى عمارة القاهرة ، فبرزوا لقتاله فكسرهم وجدد الامان لأهلها ، ودخلها يوم الثلاثاء لثمان عشرة خلت من شعبان ، فشق مصر ونزل فى مكان القاهرة اليوم ، وأسس من ليلته القصرين وخطب يوم الجمعة الآتية لمولاه ، وقطع خطبة بنى العباس ، وذكر فى خطبته الأئمة الاثنى عشر ، وأمر فأذن بحى على خير العمل ، وكان يظهر الاحسان إلى الناس ، ويجلس كل يوم سبت مع الوزير ابن الفرات والقاضى ، واجتهد فى تكميل القاهرة وفرغ من جامعها الأزهر سريعاً ، وخطب به فى سنة إحدى وستين ، وهو الذى يقال له الجامع الأزهر ، ثم أرسل جعفر بن فلاح إلى الشام فأخذها ، ثم قدم مولاه المعز فى سنة اثنتين وستين كما تقدم ، فنزل بالقصرين

ولم تزل منزلته عالية عنده إلى أن مات فى هذه السنة ، وقام مكانه الحسين الذى كان يقال له قائد القواد ، وهو أكبر أمراء الحاكم ، ثم كان قتله على يديه فى سنة إحدى وأربعمائة ، وقتل معه صهره زوج أخته القاضى عبد العزيز بن النعمان ، وأظن هذا القاضى هو الذى صنف البلاغ الأكبر ، والناموس الأعظم ، الذى فيه من الكفر مالم يصل إبليس إلى مثله ، وقد رد على هذا الكتاب أبو بكر الباقلانى رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وثلثمائة ﴾

فى عاشر محرمها أمر الوزير أبو الحسن على بن محمد الكوكبى ـ ويعرف بابن المعلم وكان قد استحوذ على السلطان ـ أهل الكرخ وباب الطاق من الرافضة بأن لايفعلوا شيئاً من تلك البدع التى كانوا يتعاطونها فى عاشوراء : من تعليق المسوح وتغليق الاسواق والنياحة على الحسين ، فلم يفعلوا شيئاً من ذلك ولله الحمد . وقد كان هذا الرجل من أهل السنة إلا أنه كان طماعاً ، رسم أن لايقبل أحداً من الشهود ممن أحدثت عدالته بعد ابن معروف ، وكان كثيراً منهم قد بذل أموالا جزيلة فى ذلك ، فاحتاجوا إلى أن جمعوا له شيئاً فوقّع لهم بالاستمرار ، ولما كان فى جمادى الآخرة سعت الديلم والترك على ابن المعلم هذا وخرجوا بخيامهم إلى باب الشماسية وراسلوا بهاء الدولة ليسلمه إليهم ، لسوء معاملته لهم ، فدافع عنه مدافعة عظيمة فى أيام متعددة ، ولم يزالوا يراسلونه فى أمره حتى خنقه فى حبل ومات ودفن بالمخرم . وفى رجب منها سلم الخليفة الطائع الذى خلع إلى الخليفة القادر فأمر بوضعه فى حجرة من دار الخلافة وأمر أن تجرى عليه الأرزاق والتحف والألطاف ، مما يستعمله الخليفة القادر من مأكل وملبس وطيب وغيره ووكل به من يحفظه ويخدمه ، وكان يتعنت على القادر فى تقلله فى المأكل والملبس ، فرتب من يحضر له من سائر الأنواع ، ولم يزالوا كذلك حتى توفى وهو فى السجن . وفى شوال منها ولد للخليفة القادر ولد ذكر ، وهو أبو الفضل محمد بن القادر بالله ، وقد ولاه العهد من بعده وسماه الغالب بالله ، فلم يتم له الأمر . وفى هذا الوقت غلت الأسعار ببغداد حتى بيع رطل الخبز بأربعين درهماً ، والجزر بدرهم . وفى ذى القعدة قام صاحب الصفراء الأعرابى والتزم بحراسة الحجاج فى ذهابهم وإيابهم ، وأن يخطب للقادر من اليمامة والبحرين إلى الكوفة ، فأجيب إلى ذلك ، وأطلقت له الخلع والأموال والاوانى وغيرها .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ محمد بن العباس ﴾

ابن محمد بن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ أبو عمر القزاز المعروف بابن حيوة ، سمع البغوى والباغندى وابن صاعد وخلقاً كثيراً ، وانتقد عليه الدار قطنى وسمع منه الأعيان ، وكان ثقة ديناً متيقظاً ذا مروءة ، وكتب من الكتب الكبار كثيراً بيده ، وكانت وفاته فى ربيع الآخر منها وقد

قارب التسعين ﴿ أبو أحمد العسكرى ﴾

الحسن بن عبد الله بن سعيد أحد الائمة فى اللغة والادب والنحو والنوادر ، وله فى ذلك تصانيف مفيدة ، منها التصحيف وغيره ، وكان الصاحب بن عباد يود الاجتماع به فسافر إلى عسكر خلفه حتى اجتمع به فأكرمه و راسله بالأشعار . توفى فيها وله تسعون سنة . كذا ذكره ابن خلكان . وذكره ابن الجوزى فيمن توفى فى سنة سبع وثمانين كما سيأتى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ﴾

فيها أمر القادر بالله بعمارة مسجد الحربية وكسوته ، وأن يجرى مجرى الجوامع فى الخطب وغيرها وذلك بعد أن استفتى العلماء فى جواز ذلك . قال الخطيب البغدادى : أدركت الجمعة تقام ببغداد فى مسجد المدينة ، ومسجد الرصافة ، ومسجد دار الخلافة ، ومسجد براثا ، ومسجد قطيعة أم جعفر ، ومسجد الحربية . قال : ولم يزل الأمر على هذا إلى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، فتعطلت فى مسجد براثا . وفى جمادى الأولى فرغ من الجسر الذى بناه بهاء الدولة فى مشرعة القطانين ، واجتاز عليه هو بنفسه ، وقد زين المكان . وفى جمادى الآخرة شعثت الديالم والأتراك فى نواحى البلد لتأخر العطاء عنهم ، وغلت الأسعار و راسلوا بهاء الدولة فأزيحت عللهم .

وفى يوم الخميس الثانى من ذى القعدة تزوج الخليفة سكينة بنت بهاء الدولة على صداق مائة ألف دينار وكان وكيل بهاء الدولة الشريف أبو أحمد الموسوى ، ثم توفيت هذه المرأة قبل دخول الخليفة بها . وفيها ابتاع الوزير أبو نصر سابور بن أزدشير داراً بالكرخ وجدد عمارتها ، ونقل إليها كتباً كثيرة ، ووقفها على الفقهاء ، وسماها دار العلم . وأظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء ، وكانت قبل النظامية بمدة طويلة . وفيها فى أواخرها ارتفعت الأسعار وضاق الحال وجاع العيال .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن إبراهيم بن ﴾

الحسن بن شاذان بن حرب بن مهران ، أبو بكر البزار ، سمع الكثير من البغوى وابن صاعد وابن أبى داود وابن دريد ، وعنه الدارقطنى والبرقانى والأزهرى وغيرهم ، وكان ثبتاً صحيح السماع ، كثير الحديث ، متحريا ورعاً . توفى عن خمس وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلثمائة ﴾

فيها عظم الخطب بأمر العيارين ، عاثوا ببغداد فساداً وأخذوا الأموال والعملات الثقال ليلا ونهارا ، وحرقوا مواضع كثيرة ، وأخذوا من الأسواق الجبايات ، وتطلبهم الشرط فلم يفد ذلك شيئاً ولا فكروا فى الدولة ، بل استمروا على ماهم عليه من أخذ الأموال ، وقتل الرجال ، و إرعاب النساء والأطفال ، فى سائر المحال . فلما تفاقم الحال بهم تطلبهم السلطان بهاء الدولة وألح فى طلبهم فهربوا

بين يديه واستراح الناس من شرهم . وأظن هذه الحكايات التي يذكرها بعض الناس عن أحمد الدنف عنهم ، أو كان منهم والله أعلم .

وفي ذي القعدة عزل الشريف الموسوي وولداه عن نقابة الطالبيين . وفيها رجع ركب العراق من أثناء الطريق بعد ما فاتهم الحج ، وذلك أن الاصيفر الاعرابي الذي كان قد تكفل بحراستهم اعترض لهم في الطريق وذكر لهم أن الدنانير التي أقطعت له من دار الخلافة كانت دراهم مطلية ، وأنه يريد من الحجيج بدلها وإلا لا يدعهم يتجاوزوا هذا المكان ، فمانعوه وراجعوه ، فحبسهم عن السير حتى ضاق الوقت ولم يبق فيه ما يدركوا فيه الحج فرجعوا إلى بلادهم ، ولم يحج منهم أحد ، وكذلك ركب الشام وأهل اليمن لم يحج منهم أحد ، وإنما حج أهل مصر والمغرب خاصة . وفي يوم عرفة قلد الشريف أبو الحسين الزينبي محمد بن علي بن أبي تمام الزينبي نقابة العباسيين ، وقرئ عهده بين يدي الخليفة بحضرة القضاة والأعيان .

وفيها توفي من الأعيان الصابئ الكاتب المشهور صاحب التصانيف ، وهو :

﴿ إبراهيم بن هلال ﴾

ابن إبراهيم بن زهرون بن حبون أبو إسحاق الحراني كاتب الرسائل للخليفة ولمعز الدولة بن بويه ، كان على دين الصابئة إلى أن مات عليه ، وكان مع هذا يصوم رمضان ويقرأ القرآن من حفظه ، وكان يحفظه حفظا حسنا ، ويستعمل منه في الرسائل ، وكانوا يحرضون عليه أن يسلم فلم يفعل ، وله شعر جيد قوي . توفي في شوال منها وقد جاوز السبعين ، وقد رثاه الشريف الرضي وقال : إنما رثيت فضائله ، وليس له فضائل ولا هو أهل لها ولا كرامة .

﴿ عبد الله بن محمد ﴾

ابن نافع بن مكرّم أبو العباس البستي الزاهد ، ورث من آبائه أموالا كثيرة فأنفقها كلها في وجوه الخير والقُرَب ، وكان كثير العبادة ، يقال إنه مكث سبعين سنة لم يستند إلى حائط ولا إلى شيء ، ولا اتكأ على وسادة ، وحج من نيسابور ماشيا حافيا ، ودخل الشام وأقام ببيت المقدس شهوراً ، ثم دخل مصر وبلاد المغرب ، وحج من هناك ثم رجع إلى بلاده بُست ، وكان له بها بقية أموال وأملاك فتصدق بها كلها ، ولما حضرته الوفاة جعل يتألم ويتوجع ، فقيل له في ذلك فقال : أرى بين يدي أموراً هائلة ، ولا أدري كيف أنجو منها . توفي في المحرم من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ، وليلة موته رأت امرأة أمها بعد موتها وعليها ثياب حسان وزينة فقالت : يا أمه ما هذه الزينة؟ فقالت : نحن في عيد لأجل قدوم عبيد الله بن محمد الزاهد البستي علينا رحمه الله تعالى .

﴿ على بن عيسى بن عبيد الله ﴾

أبو الحسن النحوى المعروف بالرمانى ، روى عن ابن دريد ، وكانت له يد طولى فى النحو واللغة والمنطق والكلام ، وله تفسير كبير وشهد عند ابن معروف فقبله ، وروى عنه التنوخى والجوهرى، قال ابن خلكان : والرمانى نسبة إلى بيع الرمان أو إلى قصر الرمان بواسط ، توفى عن ثمان وثمانين سنة ودفن فى الشونيزية عند قبر أبى على الفارسى .

﴿ محمد بن العباس بن أحمد بن القزاز ﴾

أبو الحسن الكاتب المحدث الثقة المأمون . قال الخطيب : كان ثقة ، كتب الكثير وجمع مالم يجمعه أحد فى وقته ، بلغنى أنه كتب مائة تفسير ومائة تاريخ ، وخلف ثمانية عشر صندوقا مملوءة كتبا أكثرها بخطه سوى ما سرق له ، وكان حفظه فى غاية الصحة ، ومع هذا كان له جارية تعارض معه - أى تقابل ما يكتبه - رحمه الله تعالى .

﴿ محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله ﴾

أبو عبد الله الكاتب المعروف بابن المرزبان ، روى عن البغوى وابن دريد وغيرهما ، وكان صاحب اختيار وآداب ، وصنف كتبا كثيرة فى فنون مستحسنة ، وهو مصنف كتاب تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب ، وكان مشايخه وغيرهم يحضرون عنده ويبيتون فى داره على فرش وأطعمة وغير ذلك ، وكان عضد الدولة إذا اجتاز بداره لا يجوز حتى يسلم عليه ، وكان يقف حتى يخرج إليه ، وكان أبو على الفارسى يقول عنه : هو من محاسن الدنيا . وقال العقيقى : كان ثقة. وقال الأزهرى : ما كان ثقة . وقال ابن الجوزى : ما كان من الكذابين وإنما كان فيه تشيع واعتزال ويخالط السماع بالاجازة ، وبلغ الثمانين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلثمائة ﴾

فيها استوزر ابن ركن الدولة بن بويه أبا العباس أحمد بن إبراهيم الضبى ، الملقب بالكافى ، وذلك بعد وفاة الصاحب إسماعيل بن عباد ، وكان من مشاهير الوزراء . وفيها قبض بهاء الدولة على القاضى عبد الجبار وصادره بأموال جزيلة ، فكان من جملة ما بيع له فى المصادرة ألف طيلسان وألف ثوب معدنى ، ولم يحج فى هذه السنة وما قبلها وما بعدها ركب العراق ، والخطبة فى الحرمين للفاطميين .

وممن توفى فيها من الأعيان:

﴿ الصاحب بن عباد ﴾

وهو إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقانى ، أبو القاسم الوزير المشهور بكافى الكفاة ، وزر لمؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وقد كان من العلم والفضيلة والبراعة والكرم والاحسان إلى العلماء والفقراء على جانب عظيم ، كان يبعث فى كل سنة إلى بغداد

بخمسة آلاف دينار لتصرف على أهل العلم، وله اليد الطولى فى الادب، وله مصنفات فى فنون العلم واقتنى كتبا كثيرة، وكانت تحمل على أربعمائة بعير، ولم يكن فى وزراء بنى بويه مثله ولا قريب منه فى مجموع فضائله، وقد كانت دولة بنى بويه مائة وعشرين سنة وأشهراً، وفتح خمسين قلعة لمخدومه مؤيد الدولة، وابنه فخر الدولة، بصرامته وحسن تدبيره وجودة رأيه، وكان يحب العلوم الشرعية، ويبغض الفلسفة وماشابهها من علم الكلام والآراء البدعية، وقد مرض مرة بالاسهال فكان كلما قام عن المطهرة وضع عندها عشرة دنانير لئلا يتبرم به الفراشون، فكانوا يتمنون لو طالت علته، ولما عوفى أباح للفقراء نهب داره، وكان فيها مايساوى نحواً من خمسين ألف دينار من الذهب، وقد سمع الحديث من المشايخ الجياد العوالى الاسناد، وعقد له فى وقت مجلس للاملاء فاحتفل الناس لحضوره، وحضره وجوه الأمراء، فلما خرج إليه لبس زى الفقهاء وأشهد على نفسه بالتوبة والانابة مما يعانيه من أمور السلطان، وذكر للناس أنه كان يأكل من حين نشأ إلى يومه هذا من أموال أبيه وجده مماورثه منهم، ولكن كان يخالط السلطان وهو تائب مما يمارسونه، واتخذ بناء فى داره سماه بيت التوبة، ووضع العلماء خطوطهم بصحة توبته، وحين حدث أستملى عليه جماعة لكثرة مجلسه، فكان فى جملة من يكتب عنه ذلك اليوم القاضى عبد الجبار الهمدانى وأضرابه من رؤس الفضلاء وسادات الفقهاء والمحدثين، وقد بعث إليه قاضى قزوين بهدية كتب سنية، وكتب معها.

العميدى عبد كافى الكفاة وأنه * اعقل فى وجوه القضاة

خدم المجلس الرفيع، بكتب * منعمات، من حسنها مترعات

فلما وصلت إليه أخذ منها كتابا واحدا ورد باقيها وكتب تحت البيتين.

قد قبلنا من الجميع كتابا * ورددنا لوقتها الباقيات

لست أستغنم الكثير وطبعى * قول: خذ. ليس مذهبى قول هات

وجلس مرة فى مجلس شراب فناوله الساقى كأسا، فلما أراد شربها قال له بعض خدمه: إن هذا الذى فى يدك مسموم. قال: وما الشاهد على صحة قولك؟ قال تجربه، قال: فيمن؟ قال فى الساقى. قال ويحك لا أستحل ذلك، قال ففى دجاجة، قال: إن التمثيل بالحيوان لايجوز، ثم أمر بصب مافى ذلك القدح وقال للساقى: لا تدخل بعد اليوم دارى، ولم يقطع عنه معلومه. وقد عمل عليه الوزير أبو الفتح ابن ذى الكفايتين حتى عزله عن وزارة مؤيد الدولة فى وقت وباشرها عوضه واستمر فيها مدة، فبينما هو ذات ليلة قد اجتمع عنده أصحابه وهو فى أتم السرور، قد هيء له فى مجلس حافل بأنواع اللذات، وقد نظم أبياتا والمغنون يغنونه بها وهو فى غاية الطرب والسرور والفرح، وهى هذه الأبيات

دعوت المنا ودعوت العلا * فلما أجابا دعوت القدح

وقلت لأيام شرخ الشبا * ب إلى. فهذا أوان الفرح

إذا بلغ المرء آماله * فليس له بعدها منتزح

ثم قال لأصحابه : باكرونى غدا إلى الصبوح ، ونهض إلى بيت منامه فما أصبح حتى قبض عليه مؤيد الدولة وأخذ جميع ما فى داره من الحواصل والأموال ، وجعله مثلة فى العباد، وأعاد إلى وزارته ابن عباد . وقد ذكر ابن الجوزى أن ابن عباد هـذا حين حضرته الوفاة جاءه الملك فخر الدولة بن مؤيد الدولة يعوده ليوصيه فى أموره فقال له . إنى موصيك أن تستمر فى الأمور على ما تركتها عليه ، ولا تغيرها ، فانك إن استمريت بها نسبت إليك من أول الأمر إلى آخره ، وإن غيرتها وسلكت غيرها نسب الخير المتقدم إلىّ لا إليك ، وأنا أحب أن تكون نسبة الخير إليك وإن كنت أنا المشير بها عليك . فأعجبه ذلك منه واستمر بما أوصاه به من الخير ، وكانت وفاته فى عشية يوم الجمعة لست بقين من صفر منها . قال ابن خلكان : وهو أول من تسمى من الوزراء بالصاحب ، ثم استعمل بعده منهم ، وإنما سمى بذلك لكثرة صحبته الوزير أبا الفضل بن العميد ، ثم أطلق عليه أيام وزارته . وقال الصابئ فى كتابه التاجى : إنما سماه الصاحب مؤيد الدولة لأنه كان صاحبه من الصغر ، وكان إذ ذاك يسميه الصاحب ، فلما ملك واستوزره سماه به واستمر فاشتهر به ، وسمى به الوزراء بعده ، ثم ذكر ابن خلكان قطعة صالحة من مكارمه وفضائله وثناء الناس عليه ، وعدد له مصنفات كثيرة ، منها كتابه المحيط فى اللغة فى سبع مجلدات ، يحتوى على أكثر اللغة وأورد من شعره أشياء منها فى الخمر :

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها فتشا كل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

قال ابن خلكان : توفى بالرى فى هذه السنة وله نحو ستين سنة ونقل إلى أصبهان رحمه الله .

﴿ الحسن بن حامد ﴾

أبو محمد الأديب ، كان شاعرا متجولا كثير المكارم ، روى عن على بن محمد بن سعيد الموصلى وعنه الصورى ، وكان صدوقا . وهو الذى أنزل المتنبى داره حين قدم بغداد وأحسن إليه حتى قال له المتنبى : لو كنت مادحا تاجراً لمدحتك ، وقد كان أبو محمد هذا شاعراً ماهراً ، فمن شعره الجيد قوله:

شربت المعالى غير منتظر بها * كسادا ولا سوقا يقام لها أخرى

وما أنا من أهل المكاسب كلما * توفرت الاثمان كنت لها أشرى

﴿ ابن شاهين الواعظ ﴾

عمر بن أحمـد بن عثمان بن محمد بن أيوب بن زذان ، أبو حفص المشهور ، سمع الكثير وحدث عن الباغنـدى وأبى بكر بن أبى داود والبغوى ، وابن صاعد ، وخلق . وكان ثقـة أمينا ، يسكن الجانب الشرقى من بغداد ، وكانت له المصنفات العديدة . ذكر عنه أنه صنف ثلثمائة وثلاثين مصنفا

منها التفسير فى ألف جزء ، والمسند فى ألف وخمسمائة جزء ، والتاريخ فى مائة وخمسين جزءا ، والزهد فى مائة جزء . توفى فى ذى الحجة منها وقد قارب التسعين رحمه الله .

﴿ الحافظ الدارقطنى ﴾

على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن دينار بن عبد الله الحافظ الكبير ، أستاذ هذه الصناعة ، وقبله بمدة و بعده إلى زماننا هذا ، سمع الكثير ، وجمع وصنف وألف وأجاد وأفاد ، وأحسن النظر والتعليل والانتقاد والاعتقاد ، وكان فريد عصره ، ونسيج وحده ، و إمام دهره فى أسماء الرجال وصناعة التعليل ، والجرح والتعديل ، وحسن التصنيف والتأليف ، واتساع الرواية ، والاطلاع التام فى الدراية ، له كتابه المشهور من أحسن المصنفات فى بابه ، لم يسبق إلى مثله ولا يلحق فى شكله إلا من استمد من بحره وعمل كعمله ، وله كتاب العلل بين فيه الصواب من الدخل ، والمتصل من المرسل والمنقطع والمعضل ، وكتاب الافراد الذى لا يفهمه ، فضلا عن أن ينظمه ، إلا من هو من الحفاظ الأفراد ، والأئمة النقاد ، والجهابذة الجياد ، وله غير ذلك من المصنفات التى هى كالعقود فى الأجياد ، وكان من صغره موصوفا بالحفظ الباهر ، والفهم الثاقب ، والبحر الزاخر ، جلس مرة فى مجلس إسماعيل الصفار وهو يملى على الناس الأحاديث ، والدارقطنى ينسخ فى جزء حديث ، فقال له بعض المحدثين فى أثناء المجلس : إن سماعك لا يصح وأنت تنسخ ، فقال الدارقطنى : فهمى للاملاء أحسن من فهمك وأحضر ، ثم قال له ذلك الرجل : أتحفظ كم أملى حديثا ؟ فقال : إنه أملى ثمانية عشر حديثا إلى الآن ، والحديث الأول منها عن فلان عن فلان ، ثم ساقها كلها بأسانيدها وألفاظها لم يخرم منها شيئا ، فتعجب الناس منه . وقال الحاكم أبو عبد الله النيسابورى : لم ير الدارقطنى مثل نفسه . وقال ابن الجوزى : وقد اجتمع له مع معرفة الحديث والعلم بالقراءات والنحو والفقه والشعر مع الامامة والعدالة ، وصحة العقيدة ، وقد كانت وفاته فى يوم الثلاثاء السابع من ذى القعدة منها ، وله من العمر سبع وسبعون سنة و يومان ، ودفن من الغد بمقبرة معروف الكرخى رحمه الله .

قال ابن خلكان : وقد رحل إلى الديار المصرية فأكرمه الوزير أبو الفضل جعفر بن خنزابة وزير كافور الاخشيدى ، وساعده هو والحافظ عبد الغنى على إكمال مسنده ، وحصل للدارقطنى منه مال جزيل . قال : والدارقطنى نسبة إلى دار القطن وهى محلة كبيرة ببغداد ، وقال عبد الغنى بن سعيد الضرير : لم يتكلم على الأحاديث مثل على بن المدينى فى زمانه ، وموسى بن هارون فى زمانه ، والدارقطنى فى زمانه . وسئل الدارقطنى : هل رأى مثل نفسه ؟ قال : أما فى فن واحد فربما رأيت من هو أفضل منى ، وأما فيما اجتمع لى من الفنون فلا . وقد روى الخطيب البغدادى عن الأمير أبى نصر هبة الله بن ما كولا قال : رأيت فى المنام كأنى أسأل عن حال أبى الحسن الدارقطنى وما آل أمره إليه فى

الآخرة ، فقيل لى ذاك يدعى فى الجنة الامام .

﴿ عباد بن عباس بن عباد ﴾

أبو الحسن الطالقانى ، والد الوزير إسماعيل بن عباد المتقدم ذكره ، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب وغيره من البغداديين والاصفهانيين والرازيين وغيرهم ، وحدث عنه ابنه الوزير أبو الفضل القاسم ، وأبو بكر بن مردويه ، ولعباد هذا كتاب فى أحكام القرآن ، وقد اتفق موته وموت ابنه فى هذه السنة رحمهما الله .

﴿ عقيل بن محمد بن عبد الواحد ﴾

أبو الحسن الأحنف العكبرى الشاعر المشهور ، له ديوان مفرد ، ومن مستجاد شعره ما ذكره ابن الجوزى فى منتظمه قوله :

أقضى على من الأجل * عذل العذول إذا عذل
وأشد من عذل العدو * لصدود إلف قد وصل
وأشد من هذا وذا * طلب النوال من السفل

وقوله

من أراد العز والرا * حة من هم طويل * فليكن فردا فى النا * س ويرضى بالقليل
ويرى أن منيرى * كافياً عما قليل * ويرى بالحزم أن الحز * م فى ترك الفضول
ويداوى مرض الوحـ * ـدة بالصبر الجميل * لا يمارى أحداً ما * عاش فى قال وقيل
يلزم الصمت فان الصمـ * ـت تهذيب العقول * يذر الكبر لأهل الكبـ * ـر ويرضى بالخمول
أى عيش لامرئ * يصبح فى حال ذليل * بين قصد من عدو * ومداراة جهول
واعتلال من صديـ * ـق وتجنى من ملول * واحتراس من ظنون السو * ء مع عذل العذول
ومقاسات بغيض * ومداناة ثقيل * أف من معرفة النا * س على كل سبيل
وتمام الأمر لا يعـ * ـرف سمحاً من بخيل * فاذا أكمل هذا كا * ن فى ظل ظليل

﴿ محمد بن عبد الله بن سكرة ﴾

أبو الحسين الهاشمى ، من ولد على بن المهدى ، كان شاعراً خليعا ظريفا ، وكان ينوب فى نقابة الهاشميين . فترافع إليه رجل اسمه على وامرأة اسمها عائشة يتحاكمان فى جمل فقال هذه قضية لا أحكم فيها بشئ لئلا يعود الحال خدعة . ومن مستجاد شعره ولطيف قوله :

فى وجه إنسانة كلفت بها * أربعة ما اجتمعن فى أحد
الوجه بدر ، والصدغ غالية * والريق خمر ، والثغر من برد

وله فى قوله وقد دخل حماما فسرق نعليه فعاد إلى منزله حافيا فقال :

إليك أذم حمام ابن موسى * وإن فاق المنى طيباً وحراً

تكاثرت اللصوص عليه حتى * ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوبا ولكن * دخلت محمدا وخرجت بشرا

﴿ يوسف بن عمر بن مسرور ﴾

أبو الفتح القواس ، سمع البغوى وابن أبى داود وابن صاعد وغيرهم ، وعنه الخلال والعشارى والبغدادى والتنوخى وغيرهم ، وكان ثقة ثبتا، يعد من الأبدال . قال الدارقطنى : كنا نتبرك به وهو صغير . توفى لثلاث بقين من ربيع الآخر عن خمس وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

﴿ يوسف بن أبى سعيد ﴾

السيرافى أبو محمد النحوى ،وهو الذى تمم شرح أبيه لكتاب سيبويه ، وكان يرجع إلى علم ودين وكانت وفاته فى ربيع الأول منها عن خمس وخمسين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلثمائة ﴾

فى محرمها كشف أهل البصرة عن قبر عتيق فاذا هم بميت طرى عليه ثيابه وسيفه ، فظنوه الزبير ابن العوام ، فأخرجوه وكفنوه ودفنوه واتخذوا عند قبره مسجدا ، ووقف عليه أوقاف كثيرة ، وجعل عنده خدام وقوام وفرش وتنوير . وفيها ملك الحاكم العبيدى بلاد مصر بعد أبيه العزيز بن المعز الفاطمى ، وكان عمره إذ ذاك إحدى عشرة سنة وستة أشهر ، وقام بتدبير المملكة أرجوان الخادم ، وأمير الدولة الحسن بن عمارة ، فلما تمكن الحاكم قتلهما وأقام غيرهما ، ثم قتل خلقا حتى استقام له الأمر على ما سنذكره . وحج بالناس الأمير الذى من جهة المصريين والخطبة لهم .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن إبراهيم ﴾

ابن محمد بن يحيى بن سحنويه أبو حامد بن إسحاق المزكى النيسابورى ، سمع الأصم وطبقته وكان كثير العبادة من صغره إلى كبره ، وصام فى عمره سردا تسعا وعشرين سنة ، وقال الحاكم : وعندى أن الملائكة لم تكتب عليه خطيئة ، توفى فى شعبان منها عن ثلاث وستين سنة .

﴿ أبو طالب المكى ﴾

صاحب قوت القلوب ، محمد بن على بن عطية أبو طالب المكى الواعظ المذكر ، الزاهد المتعبد ، الرجل الصالح ، سمع الحديث وروى عن غير واحد . قال العتيقى : كان رجلا صالحا مجتهدا فى العبادة وصنف كتابا سماه قوت القلوب ، وذكر فيه أحاديث لا أصل لها ، وكان يعظ الناس فى جامع بغداد ، وحكى ابن الجوزى أن أصله من الجبل ، وأنه نشأ بمكة ، وأنه دخل البصرة بعد وفاة أبى الحسن بن سالم ، فانتمى إلى مقالته ، ودخل بغداد فاجتمع عليه الناس وعقد له مجلس الوعظ بها ، فغلط فى كلام وحفظ عنه أنه قال : ليس على المخلوقين أضر من الخالق ، فبدعه الناس وهجروه ، وامتنع من الكلام

على الناس : وقد كان أبو طالب هذا يبيح السماع ، فدعا عليه عبدالصمد بن على ودخل عليه فعاتبه على ذلك فأنشد أبو طالب :

فيا ليل كم فيك من متعب * ويا صبح ليتك لم تقرب

فخرج عبد الصمد مغضبا . وقال أبو القاسم بن مرات : دخلت على شيخنا أبي طالب المكى وهو يموت فقلت له : أوص ، فقال : إذا ختم لى بخير فانثر علـى جنازتى لوزا وسكراً فقلت : كيف أعلم بذلك ؟ فقال : اجلس عندى ويدك فى يدى ، فان قبضت على يدك فاعلم أنه قد ختم لى بخير . قال ففعلت فلما حان فراقه قبض على يدى قبضاً شـديدا ، فلما رفع على جنازته نثرت اللوز والسكر على نعشه . قال ابن الجوزى : توفى فى جمادى الآخرة منها وقبره ظاهر فى جامع الرصافة .

﴿ العزيز صاحب مصر ﴾

نزار بن المعز سعد أبى تميم ، ويكنى نزار بأبى منصور ، ويلقب بالعزيز ، توفى عن اثنين وأربعين سنة منها ، وكانت ولايته بعد أبيه إحدى وعشرين سنة ، وخمسة أشهر وعشرة أيام ، وقام بالأمر من بعده ولده الحاكم قبحه الله ، والحاكم هذا هو الذى ينسب إليه الفرقة الضالة المضلة الزنادقة الحاكمية وإليه ينسب أهل وادى التيم من الدرزية أتباع هستكر غـلام الحاكم الذى بعثه إليهم يدعوهم إلى الـكفر المحض فأجابوه ، لعنه الله وإياهم أجمعين ، أما العزيز هذا فانه كان قد استوزر رجلا نصرانيا يقال له عيسى بن نسطورس ، وآخر يهوديا اسمه ميشا ، فعز بسببهما أهل هذين الملتين فى ذلك الزمان على المسلمين ، حتى كتبت إليه امرأة قصة فى حاجـة لها تقول فيها : بالذى أعز النصارى بعيسى بن نسطورس ، واليهود بميشا وأذل المسلمين بهما لما كشفت ظلامتى . فعندذلك أمر بالقبض على هذين الرجلين وأخذ من النصارى ثلاثمائة ألف دينار .

وفيها توفيت بنت عضد الدولة امرأة الطائع فحملت تركتها إلى ابن أخيها بهاء الدولة ، وكان فيها جوهر كثير والله أعلم.

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلثمائة ﴾

فيها توفى فخر الدولة أبو الحسن على بن ركن الدولة بن بويه ، وأقيم ولده رستم فى الملك مكانه ، وكان عمره أربع سنين ، وقام خواص أبيه بتدبير الملك فى الرعايا .

وممن توفى فيها من الأعيان أبو أحمد العسكرى اللغوى .

﴿ الحسن بن عبيد الله ﴾

ابن سعيد بن أحمد العسكرى اللغوى ، العلامة فى فنه وتصانيفه ، المفيد فى اللغة وغيرها ، يقال إنه كان يميل إلى الاعتزال ، ولما قدم الصاحب بن عباد هو وفخر الدولة البلدة التى كان فيها أبو أحمد العسكرى ــ وكان قد كبر وأسن ــ بعث إليه الصاحب رقعة فيها هذه الأبيات :

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم * ضعفنا فما نقوى على الوحدان
أتيناكم من بعد أرض نزوركم * فكم من منزل بكر لنا وعوان
نناشدكم هل من قرى لنزيلكم * بطول جوار لا بمل جفان
تضمنت بنت ابن الرشيد كأنما * تعمد تشبيهي به وعناني
أهم بأمر الحزم لا أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

ثم ركب بغلته تحاملا وصار إلى الصاحب فوجده مشغولا في خيمته بابهة الوزارة فصعد أكمة ثم نادى بأعلى صوته :

مالي أرى القبة الفيحاء مقفلة * دوني وقد طال ما استفتحت مقفلها
كأنها جنة الفردوس معرضة * وليس لي عمل زاك فأدخلها

فلما سمع الصاحب صوته ناداه : ادخلها يا أبا أحمد فلك السابقة الأولى ، فلما صار إليه أحسن إليه . توفي في يوم التروية منها . قال ابن خلكان : وكانت ولادته يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاثة وتسعين ومائتين ، وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة

﴿ عبد الله بن محمد بن عبد الله ﴾

ابن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن مهران ، أبو القاسم الشاعر المعروف بابن الثلاج ، لأن جده أهدى لبعض الخلفاء ثلجاً ، فوقع منه موقعا ، فعرف عند الخليفة بالثلاج ، وقد سمع أبو القاسم هذا من البغوي وابن صاعد وأبي داود ، وحدث عن التنوخي والأزهري والعقيقي وغيرهم من الحفاظ . قال ابن الجوزي : وقد اتهمه المحدثون منهم الدارقطني ونسبوه إلى أنه كان يركب الاسناد ويضع الحديث على الرجال . توفي في ربيع الأول فجأة .

﴿ ابن زولاق ﴾

الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خلد بن راشد بن عبيد الله بن سليمان بن زولاق ، أبو محمد المصري الحافظ ، صنف كتابا في قضاة مصر ذيل به كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي ، إلى سنة ست وأربعين ومائتين ، وذيل ابن زولاق من القاضي بكار إلى سنة ست وثمانين وثلثمائة ، وهي أيام محمد بن النعمان قاضي الفاطميين ، الذي صنف البلاغ الذي انتصب فيه للرد على القاضي الباقلاني ، وهو أخو عبد العزيز بن النعمان والله أعلم . وكانت وفاته في أواخر ذي القعدة من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة .

﴿ ابن بطة عبيد الله بن محمد ﴾

ابن حمران ، أبو عبد الله العكبري ، المعروف بابن بطة ، أحد علماء الحنابلة ، وله التصانيف

الكثيرة الحافلة فى فنون من العلوم ، سمع الحديث من البغوى وأبى بكر النيسابورى وابن صاعد وخلق فى أقاليم متعددة ، وعنه جماعة من الحفاظ ، منهم أبو الفتح بن أبى الفوارس ، والأزجى والبرمكى ، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة ، وكان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد رأى بعضهم رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله قد اختلفت على المذاهب . فقال : عليك بأبى عبد الله ابن بطة ، فلما أصبح ذهب إليه ليبشره بالمنام فحين رآه ابن بطة تبسم إليه وقال له قبل أن يخاطبه صدق رسول الله ﷺ ثلاث مرات . وقد تصدى الخطيب البغدادى للكلام فى ابن بطة والطعن عليه وفيه بسبب بعض الجرح فى ابن بطة الذى أسنده إلى شيخه عبد الواحد بن على الأسدى المعروف بابن برهان الغوى ، فانتدب ابن الجوزى للرد على الخطيب والطعن عليه أيضاً بسبب بعض مشايخه والانتصار لابن بطة ، فحكى عن أبى الوفا بن عقيل أن ابن برهان كان يرى مذهب مرجئة المعتزلة ، فى أن الكفار لا يخلدون فى النار ، وإنما قالوا ذلك لأن دوام ذلك إنما هو للتشفى ولا معنى له هنا مع أنه قد وصف نفسه بأنه غفور رحيم ، وأنه أرحم الراحمين . ثم شرع ابن عقيل يرد على ابن برهان . قال ابن الجوزى : فكيف يقبل الجرح من مثل هذا ؟! . ثم روى ابن الجوزى بسنده عن ابن بطة أنه سمع المعجم من البغوى ، قال : والمثبت مقدم على النافى . قال الخطيب : وحدثنى عبد الواحد بن برهان قال : ثنا محمد بن أبى الفوارس روى عن ابن بطة عن البغوى عن أبى مصعب عن مالك عن الزهرى عن أنس . قال قال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . قال الخطيب : وهذا باطل من حديث مالك ، والحمل فيه على ابن بطة . قال ابن الجوزى : والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أنه وجد بخط ابن برهان : ما حكاه الخطيب فى القدح فى ابن بطة وهو شيخى أخذت عنه العلم فى البداية ، الثانى أن ابن برهان قد تقدم القدح فيه بما خالف فيه الاجماع ، فكيف قبلت القول فى رجل قد حكيت عن مشايخ العلماء أنه رجل صالح مجاب الدعوة ، نعوذ بالله من الهوى

﴿ على بن عبد العزيز بن مدرك ﴾

أبو الحسن البردعى ، روى عن أبى حاتم وغيره ، وكان كثير المال فترك الدنيا وأقبل على الآخرة ، فاعتكف فى المسجد ، وكان كثير الصلاة والعبادة .

﴿ فخر الدولة بن بويه ﴾

على بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى ، ملك بلاد الرى ونواحيها ، وحين مات أخوه مؤيد الدولة كتب إليه الوزير ابن عباد بالاسراع إليه فولاه الملك بعده ، واستوزر ابن عباد على ما كان عليه . توفى عن ست وأربعين سنة ، منها مدة ملكه ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة عشر يوماً ، وترك من الأموال شيئاً كثيراً ، من الذهب ما يقارب ثلاثة آلاف ألف دينار ،

ومن الجواهر نحوا من خمسة عشر ألف قطعة ، يقارب قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ذهبا . وغير ذلك من أوانى الذهب زنته ألف ألف دينار ، ومن الفضة زنته ثلاثة آلاف ألف درهم ، كلها آنية ، ومن الثياب ثلاثة آلاف حمل ، وخزانة السلاح ألف حمل ، ومن الفرش ألف وخمسمائة حمل ، ومن الأمتعة مما يليق بالملوك شيئا كثيراً لا يحصر ، ومع هذا لم يصلوا ليلة موته إلى شئ من المال ولم يحصل له كفن إلا ثوب من المجاورين فى المسجد ، واشتغلوا عنه بالملك حتى تم لولده رسم من بعده ، فأنتن الملك ولم يتمكن أحد من الوصول إليه فربطوه فى حبال وجروه على درج القلعة من نتن ريحه ، فتقطع ، جزاء وفاقا .

﴿ ابن سمعون الواعظ ﴾

محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو الحسين بن سمعون الواعظ ، أحد الصلحاء والعلماء ، كان يقال له الناطق بالحكمة ، روى عن أبى بكر بن داود وطبقته ، وكان له يد طولى فى الوعظ والتدقيق فى المعاملات ، وكانت له كرامات ومكاشفات ، كان يوماً يعظ على المنبر وتحته أبو الفتح بن القواس ، وكان من الصالحين المشهورين ، فنعس ابن القواس فأمسك ابن سمعون عن الوعظ حتى استيقظ ، فحين استيقظ قال ابن سمعون : رأيت رسول الله ﷺ فى منامك هذا ؟ قال نعم ! قال فلهذا أمسكت عن الوعظ حتى لا أزعجك عما كنت فيه . وكان لرجل ابنة مريضة مدنفة فرأى أبوها رسول الله ﷺ فى المنام وهو يقول له : اذهب إلى ابن سمعون ليأتى منزلك فيدعو لابنتك تبرأ باذن الله . فلما أصبح ذهب إليه فلما رآه نهض ولبس ثيابه وخرج مع الرجل ، فظن الرجل أنه يذهب إلى مجلس وعظه ، فقال فى نفسه أقول له فى أثناء الطريق ، فلما مر بدار الرجل دخل إليها فأحضر إليه ابنته فدعا لها وانصرف ، فبرأت من ساعتها . وبعث إليه الخليفة الطائع لله من أحضره إليه وهو مغضب عليه ، فخيف على ابن سمعون منه ، فلما جلس بين يديه أخذ فى الوعظ ، وكان أكثر ما أورده من كلام على بن أبى طالب ، فبكى الخليفة حتى سمع نشيجه ، ثم خرج من بين يديه وهو مكرم ، فقيل للخليفة : رأيناك طلبته وأنت غضبان ، فقال : بلغنى أنه ينتقص علياً فأردت أن أعاقبه ، فلما حضر أكثر من ذكر على فعلمت أنه موفق ، فذكرنى وشفى ما كان فى خاطرى عليه . ورأى بعضهم فى المنام رسول الله ﷺ وإلى جانبه عيسى بن مريم عليه السلام ، وهو يقول : أليس من أمتى الأحبار أليس من أمتى أصحاب الصوامع . فبينا هو يقول ذلك إذ دخل ابن سمعون فقال رسول الله ﷺ لعيسى عليه السلام : أفى أمتك مثل هذا ؟ فسكت عيسى . ولد ابن سمعون فى سنة ثلثمائة ، وتوفى يوم الخميس الرابع عشر من ذى القعدة فى هذه السنة ، ودفن بداره . قال ابن الجوزى : ثم أخرج بعد سنتين إلى مقبرة أحمد بن حنبل وأكفانه لم تبل رحمه الله .

﴿ آخر ملوك السامانية نوح بن منصور ﴾

ابن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل ، أبو القاسم السامانى ، ملك خراسان وغزنة وما وراء

النهر ، ولى الملك وعمره ثلاث عشرة سنة ، واستمر فى الملك إحدى وعشرين سنة وتسعة أشهر ، ثم قبض عليه خواصه وأجلسوا مكانه أخاه عبد الملك ، فقصدهم محمود بن سبكتكين فانتزع الملك من أيديهم ، وقد كان لهم الملك مائة وستين سنة ، فباد ملكهم فى هذا العام ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

﴿ أبو الطيب سهل بن محمد ﴾

ابن سليمان بن محمد بن سليمان الصعلوكى الفقيه الشافعى إمام أهل نيسابور ، وشيخ تلك الناحية ، كان يحضر مجلسه خمسمائة محبرة ، وكانت وفاته فى هذه السنة على المشهور . وقال الحافظ أبو يعلى الخليلى فى الارشاد : مات فى سنة ستين وأربعمائة فالله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ﴾

قال ابن الجوزى : فى ذى الحجة منها سقط فى بغداد برد عظيم ، بحيث جمد الماء فى الحمامات ، وبول الدواب فى الطرقات . وفيها جاءت رسل أبى طالب بن فخر الدولة فى البيعة له فبايعه الخليفة وأمره على بلاد الرى ولقبه مجد الدولة كهف الأمة ، وبعث إليه بالخلع والألوية ، وكذلك فعل ببدر ابن حسنويه ولقبه ناصر الدين والدولة ، وكان كثير الصدقات . وفيها هرب أبو عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب ، المنتسب إلى جده الطائع ، من السجن بدار الخلافة إلى البطيحة ، فآواه صاحبها مهذب الدولة ، ثم أرسل القادر بالله فى أمره فجئ به مضيقا عليه فاعتقله ، ثم هرب من الاعتقال أيضاً فذهب إلى بلاد كيلان فادعى أنه الطائع لله ، فصدقوه وبايعوه وأدوا إليه العشر ، وغير ذلك من الحقوق ، ثم اتفق مجئ بعضهم إلى بغداد فسألوا عن الأمر فاذا ليس له أصل ولا حقيقة ، فرجعوا عنه واضمحل أمره وفسد حاله ، فانهزم عنهم . وحج بالناس فيها أمير المصريين ، والخطبة بالحرمين للحاكم العبيدى قبحه الله .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الخطابى ﴾

أبو سليمان حمد ويقال أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابى البستى ، أحد المشاهير الأعيان ، والفقهاء المجتهدين المكثرين ، له من المصنفات معالم السنن وشرح البخارى ، وغير ذلك . وله شعر حسن . فمنه قوله :

ما دمت حيا فدار الناس كلهم * فانما أنت فى دار المداراة
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات

توفى بمدينة بست فى ربيع الأول من هذه السنة . قاله ابن خلكان .

﴿ الحسين بن أحمد بن عبد الله ﴾

ابن عبد الرحمن بن بكر بن عبد الله الصيرفى الحافظ المطبق سمع إسماعيل الصفار وابن السماك

والنجاد والخلدى وأبا بكر الشاشى . وعنه ابن شاهين والأزهرى والتنوخى ، وحكى الأزهرى أنه دخل عليه وبين يديه أجزاء كبار فجعل إذا ساق إسنادا أورد متنه من حفظه وإذا سرد متناساق إسناده من حفظه . قال : وفعلت هذا معه مراراً ، كل ذلك يورد الحديث إسنادا ومتنا كما فى كتابه . قال : وكان ثقة فحسدوه وتكلموا فيه . وحكى الخطيب أن ابن أبى الفوارس اتهمه بأنه يزيد فى سماع الشيوخ ، ويلحق رجالا فى الأحاديث ويصل المقاطيع . توفى فى ربيع الأول منها عن إحدى وسبعين سنة .

﴿ صمصامة الدولة ﴾

ابن عضد الدولة صاحب بلاد فارس ، خرج عليه ابن عمه أبو نصر بن بختيار فهرب منه ونجا فى جماعة من الأكراد ، فلما وغلوا به أخذوا ما فى خزائنه وحواصله ، ولحقه أصحاب ابن بختيار فقتلوه وحملوا رأسه إليه ، فلما وضع بين يدى ابن بختيار قال : هذه سنة سنها أبوك . وكان ذلك فى ذى الحجة من هذه السنة ، وكان عمره يوم قتل خمساً وثلاثين سنة ، ومدة ملكه منها تسع سنين وأشهر .

﴿ عبد العزيز بن يوسف الحطان ﴾

أبو القاسم ، كاتب الانشاء لعضد الدولة ، ثم وزر لابنه بهاء الدولة خمسة أشهر ، وكان يقول الشعر . توفى فى شعبان منها

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن إبراهيم أبو الفتح المعروف بغلام الشنبوذى ، كان عالما بالقراءات وتفسيرها ، يقال إنه كان يحفظ خمسين ألف بيت من الشعر ، شواهد للقرآن ، ومع هذا تكلموا فى روايته عن أبى الحسين بن شنبوذ ، وأساء الدارقطنى القول فيه . توفى فى صفر منها ، وولد سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلثمائة ﴾

فيها قصد محمود بن سبكتكين بلاد خراسان فاستلب ملكها من أيدى السامانية ، وواقعهم مرات متعددة فى هذه السنة وما قبلها ، حتى أزال اسمهم ورسمهم عن البلاد بالكلية ، وانقرضت دولتهم بالكلية ، ثم صمد لقتال ملك الترك بما وراء النهر ،وذلك بعد موت الخاقان الكبير الذى يقال له فائق ، وجرت له معهم حروب وخطوب . وفيها استولى بهاء الدولة على بلاد فارس وخوزستان ، وفيها أرادت الشيعة أن يصنعوا ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدير خم ، وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة فيما يزعمونه ، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين إلى السنة فادعوا أن فى مثل هذا اليوم حصر النبى ﷺ وأبو بكر فى الغار فامتنعوا من ذلك ، وهذا أيضاً جهل من هؤلاء ، فان هذا إنما كان فى أوائل ربيع الأول من أول سنى الهجرة ، فانهما أقاما فيه ثلاثا ، وحين خرجا منه قصدا المدينة فدخلاها بعد ثمانية أيام أو نحوها ، وكان دخولهما المدينة فى اليوم الثانى عشر من ربيع الأول ، وهذا أمر معلوم مقرر محرر . ولما كانت الشيعة يصنعون فى يوم عاشوراء مأتما يظهرون فيه الحزن على الحسين

ابن على ، قابلتهم طائفة أخرى من جهلة أهـل السنة فادعوا أن فى اليوم الثانى عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير ، فعملوا له مأتما كما تعمل الشيعة للحسين ، وزاروا قبره كما زاروا قبر الحسين ، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها ، ولا يرفع البدعة إلا السنة الصحيحة . وفيها وقع برد شديد مع غيم مطبق ، وريح قوية ، بحيث أتلفت شيئا كثيراً من النخيل ببغداد ، فلم يتراجع حملها إلى عادتها إلا بعد سنتين . وفيها حج بركب العراق الشريفان الرضى والمرتضى فاعتقلهما أمير الأعراب ابن الجراح فافتديا أنفسهما منه بتسعة آلاف دينار من أموالهما فأطلقهما .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ زاهد بن عبد الله ﴾

ابن أحمد بن محمد بن عيسى السرخسى المقرئ الفقيه المحدث ، شيخ عصره بخراسان ، قرأ على ابن مجاهد ، وتفقه بأبى إسحاق المروزى إمام الشافعية ، وأخذ اللغة والأدب والنحو عن أبى بكر بن الأنبارى . توفى فى ربيع الآخر عن ست وتسعين سنة .

﴿ عبد الله بن محمد بن إسحاق ﴾

ابن سليمان بن مخلد بن إبراهيم بن مروز أبو القاسم المعروف بابن حبـابة ، روى عن البغوى وأبى بكر بن أبى داود وطبقتهما ، وكان ثقة مأمونا مسندا ، ولد ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين ، ومات فى جمادى الأولى من هذه السنة عن تسعين سنة ، وصلى عليه الشيخ أبو حامد الاسفراييني شيخ الشافعية ، ودفن فى مقابر جامع المنصور .

﴿ ثم دخلت سنة تسعين وثلثمائة من الهجرة النبوية ﴾

فيها ظهر بأرض سجستان معدن من ذهب كانوا يحفرون فيه مثل الآبار ، ويخرجون منه ذهباً أحمر . وفيها قتل الأمير أبو نصر بن بختيار صاحب بلاد فارس واستولى عليها بهاء الدولة . وفيها قلد القادر بالله القضاء بواسط وأعمالها أبا حازم محمد بن الحسن الواسطى ، وقرئ عهده بدار الخلافة ، وكتب له القادر وصية حسنة طويلة أوردها ابن الجوزى فى منتظمه ، وفيها مواعظ وأوامر ونواهى حسنة جيدة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن أبى موسى أبو بكر الهاشمى الفقيه المالكى القاضى بالمدائن وغيرها ، وخطب بجامع المنصور ، وسمع الكثير ، وروى عنه الجم الغفير ، وعنـه الدارقطنى الكبير ، وكان عفيفا نزهاً ثقة دينا . توفى فى محرم هذه السنة عن خمس وسبعين سنة .

﴿ عبيد الله بن عثمان بن يحيى ﴾

أبو القـاسم الدقاق ، ويعرف بابن حنيفا قال القاضى العـلامة أبو يعلى بن الفراء ـ وهذا جده ـ وروى باللام لا بالنون ـ حليفا ـ وقد سمع الحديث سماعاً صحيحاً ، وروى عنه الأزهرى وكان ثقة

مأمونا حسن الخلق ، ما رأينا مثله فى معناه .

﴿ الحسين بن محمد بن خلف ﴾

ابن الفراء والد القاضى أبى يعلى ، وكان صالحا فقيهاً على مذهب أبى حنيفة ، أسند الحديث وروى عنه ابنه أبو حازم محمد بن الحسين .

﴿ عبد الله بن أحمد ﴾

ابن على بن أبى طالب البغدادى ، نزيل مصر ، وحدث بها فسمع منه الحافظ عبد الغنى بن سعيد المصرى .

﴿ عمر بن إبراهيم ﴾

ابن أحمد أبو نصر المعروف بالكتانى المقرى ، ولد سنة ثلثمائة ، روى عن البغوى وابن مجاهد وابن صاعد ، وعنه الأزهرى وغيره ، وكان ثقة صالحا .

﴿ محمد بن عبد الله بن الحسين ﴾

ابن عبد الله بن هارون ، أبو الحسين الدقاق ، المعروف بابن أخى ميمى ، سمع البغوى وغيره ، وعنه جماعة ، ولم يزل على كبر سنه يكتب الحديث إلى أن توفى وله تسعون سنة ، وكان ثقة مأمونا دينا فاضلا حسن الأخلاق ، توفى ليلة الجمعة لثمان وعشرين من شعبان منها .

﴿ محمد بن عمر بن يحيى ﴾

ابن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الشريف أبو الحسين العلوى ، الكوفى ، ولد سنة خمس عشرة ، وسمع من أبى العباس بن عقدة وغيره ، وسكن بغداد ، وكانت له أموال كثيرة وضياع ، ودخل غظيم وحشمة وافرة ، وهمة عالية ، وكان مقدما على الطالبيين فى وقته ، وقد صادره عضد الدولة فى وقت واستحوذ على جمهور أمواله وسجنه ، ثم أطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة ، ثم صادره بهاء الدولة بألف ألف دينار ثم سجنه ، ثم أطلقه واستنابه على بغداد . ويقال إن غلاته كانت تساوى فى كل سنة بألفى ألف دينار ، وله وجاهة كبيرة جداً ، ورياسة باذخة .

﴿ الأستاذ أبو الفتوح بن برجوان ﴾

الناظر فى الأمور بالديار المصرية فى الدولة الحاكمية ، وإليه تنسب حارة برجوان بالقاهرة ، كان أولا من غلمان العزيز بن المعز ، ثم صار عند الحاكم نافذ الأمر مطاعاً كبيراً فى الدولة ، ثم أمر بقتله فى القصر فضربه الأمير ريدان ــ الذى تنسب إليه الريدانية خارج باب الفتوح ــ بسكين فى بطنه فقتله . وقد ترك شيئا كثيراً من الأثاث والثياب ، من ذلك ألف سراويل بيدقى بألف تكة من حرير ، قاله ابن خلكان . وولى الحاكم بعده فى منصبه الأمير حسين بن القائد جوهر .

﴿ الجريرى المعروف بابن طرار ﴾

المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود أبو الفرج النهروانى القاضى -لأنه ناب فى الحكم- المعروف بابن طرار الجريرى، لأنه اشتغل على ابن جرير الطبرى، وسلك وراءه فى منهبه، فنسب إليه. سمع الحديث من البغوى وابن صاعد وخلق، وروى عنه جماعة، وكان ثقة مأمونا عالما فاضلا كثير الآداب والتمكن فى أصناف العلوم، وله المصنفات الكثيرة منها كتابه المسمى بالجليس والأنيس، فيه فوائد كثيرة جمة، وكان الشيخ أبو محمد الباقلانى أحد أئمة الشافعية يقول: إذا حضر المعافى حضرت العلوم كلها، ولو أوصى رجل بثلث ماله لأعلم الناس لوجب أن يصرف إليه. وقال غيره: اجتمع جماعة من الفضلاء فى دار بعض الرؤساء وفيهم المعافى فقالوا: هل نتذاكر فى فن من العلوم؟ فقال المعافى لصاحب المنزل - وكان عنده كتب كثيرة فى خزانة عظيمة - مر غلامك أن يأتى بكتاب من هذه الكتب، أى كتاب كان نتذاكر فيه. فتعجب الحاضرون من تمكنه وتبحره فى سائر العلوم، وقال الخطيب البغدادى: أنشدنا الشيخ أبو الطيب الطبرى أنشدنا المعافى بن زكريا لنفسه:

ألا قل لمن كان لى حاسداً * أتدرى على من أسأت الأدب

أسأت على الله سبحانه * لأنك لا ترضى لى ما وهب

فجازاك عنى بأن زادنى * وسد عليك وجوه الطلب

توفى فى ذى الحجة من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة، رحمه الله.

﴿ ابن فارس ﴾

صاحب المجمل، وقيل إنه توفى فى سنة خمس وتسعين كما سيأتى.

﴿ أم السلامة ﴾

بنت القاضى أبى بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة، أم الفتح، سمعت من محمد بن إسماعيل البصلانى وغيره، وعنها الأزهرى والتنوخى وأبو يعلى بن الفراء وغيرهم، وأثنى عليها غير واحد فى دينها وفضلها وسيادتها، وكان مولدها فى رجب من سنة ثمان وتسعين، وتوفيت فى رجب أيضاً من هذه السنة عن ثلثين وتسعين سنة، رحمها الله تعالى.

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ﴾

فيها بايع الخليفة القادر بالله لولده أبى الفضل بولاية العهد من بعده، وخطب له على المنابر بعد أبيه، ولقب بالغالب بالله، وكان عمره حينئذ ثمانى سنين وشهوراً، ولم يتم له ذلك وكان سبب ذلك ان رجلا يقال له عبد الله بن عثمان الواثقى ذهب إلى بعض الاطراف من بلاد الترك، وادعى أن

القادر بالله جعله ولى العهد من بعده ، فخطبوا له هنالك ، فلما بلغ القادر أمره بعث يتطلبه فهرب فى البلاد وتمزق ، ثم أخذه بعض الملوك فسجنه فى قلعة إلى أن مات ، فلهذا بادر القادر إلى هذه البيعة . وفى يوم الخميس الثامن عشر من ذى القعدة ولد الأمير أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ، وهذا هو الذى صارت إليه الخلافة ، وهو القائم بأمر الله . وفيها قتل الأمير حسام الدولة المقلد بن المسيب العقيلى غيلة ببلاد الأنبار ، وكان قد عظم شأنه بتلك البلاد ، ورام المملكة فجاءه القدر المحتوم فقتله بعض غلمانه الأتراك ، وقام بالأمر من بعده ولده قرواش . وحج بالناس المصريون .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ جعفر بن الفضل بن جعفر ﴾

ابن محمد بن الفرات أبو الفضل ، المعروف بابن حنزابة الوزير ، ولد سنة ثمان وثلثمائة ببغداد ، ونزل الديار المصرية ووزر بها للأمير كافور الأخشيدى ، وكان أبوه وزيراً للمقتدر ، وقد سمع الحديث من محمد بن هارون الحضرمى وطبقته من البغداديين ، وكان قد سمع مجلساً من البغوى ، ولم يكن عنده ، وكان يقول : من جاءنى به أغنيته ، وكان له مجلس للاملاء بمصر ، وبسببه رحل الدارقطنى إلى مصر فنزل عنده وخرّج له مسندا ، وحصل له منه مال جزيل ، وحدث عنه الدارقطنى وغيره من الأكابر . ومن مستجاد شعره قوله :

من أخمل النفس أحياها وروّحها * ولم يبت طاويا منها على ضجر

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها * فليس ترمى سوى العالى من الشجر

قال ابن خلكان : كانت وفاته فى صفر ، وقيل فى ربيع الأول منها ، عن ثنتين وثمانين سنة ودفن بالقرافة ، وقيل بداره ، وقيل إنه كان قد اشترى بالمدينة النبوية داراً فجعل له فيها تربة ، فلما نقل إليها تلقته الأشراف لاحسانه إليهم ، فحملوه وحجوا به ووقفوا به بعرفات ، ثم أعادوه إلى المدينة فدفنوه بتربته ﴿ ابن الحجاج الشاعر ﴾

الحسين بن أحمد بن الحجاج أبو عبدالله الشاعر الماجن المقذع فى نظمه ، يستنكف اللسان عن التلفظ بها والأذنان عن الاستماع لها ، وقد كان أبوه من كبار العمال ، وولى هو حسبة بغداد فى أيام عز الدولة ، فاستخلف عليها نوابا ستة ، وتشاغل هو بالشعر السخيف والرأى الضعيف ، إلا أن شعره جيد من حيث اللفظ ، وفيه قوة تدل على تمكين واقتدار على سبك المعانى القبيحة التى هى فى غاية الفضيحة ، فى الألفاظ الفصيحة وله غير ذلك من الاشعار المستجادة ، وقد امتدح مرة صاحب مصر فبعث إليه بألف دينار . وقول ابن خلكان بأنه عزل عن حسبة بغداد بأبى سعيد الأصطخرى قول ضعيف لا يسامح بمثله ، فان أبا سعيد توفى فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، فكيف يعزل به ابن الحجاج وهو لا يمكن ادعاء أن يلى الحسبة بعده أبو سعيد الأصطخرى ، وابن خلكان قد أرخ وفاة

هذا الشاعر بهذه السنة ، ووفاة الاصطخرى بما تقدم . وقد جمع الشريف الرضى أشعاره الجيدة على حدة فى ديوان مفرد ورثاه حين توفى هو وغيره من الشعراء :

﴿ عبد العزيز بن أحمد بن الحسن الجزرى ﴾

القاضى بالحرم وحريم دار الخلافة وغير ذلك من الجهات ، كان ظاهريا على مذهب داود ، وكان لطيفا ، تحاكم إليه وكيلان فبكى أحدهما فى أثناء الخصومة فقال له القاضى : أرنى وكالتك ، فناوله فقرأها ثم قال له : لم يجعل إليك أن تبكى عنه . فاستضحك الناس ونهض الوكيل خجلا .

﴿ عيسى بن الوزير على بن عيسى ﴾

ابن داود بن الجراح ، أبو القاسم البغدادى ، وكان أبوه من كبار الوزراء ، وكتب هو للطائع أيضاً ، وسمع الحديث الكثير ، وكان صحيح السماع كثير العلوم ، وكان عارفا بالمنطق وعلم الأوائل فاتهموه بشئ من مذهب الفلاسفة ، ومن جيد شعره قوله :

رب ميت قد صار بالعلم حيا * ومبقًّى قد مات جهلا وغيا

فاقتنوا العلم كى تنالوا خلودا * لا تعدوا الحياة فى الجهل شيا

ولد فى سنة ثنتين وثلثمائة وتوفى فى هذه السنة عن تسع وثمانين سنة ، ودفن فى داره ببغداد .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وثلثمائة ﴾

فى محرمها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فقصده ملكها جيبال فى جيش عظيم فاقتتلوا قتالا شديدا ، ففتح الله على المسلمين ، وانهزمت الهنود ، وأسر ملكهم جيبال ، وأخذوا من عنقه قلادة قيمتها ثمانون[1] ألف دينار، وغنم المسلمون منهم أموالا عظيمة ، وفتحوا بلادا كثيرة ، ثم إن محمودا سلطان المسلمين أطلق ملك الهند احتقارا له واستهانة به ، ليراه أهل مملكته والناس فى المذلة فحين وصل جيبال إلى بلاده ألقى نفسه فى النار التى يعبدونها من دون الله فاحترق ، لعنه الله . وفى ربيع الأول منها ثارت العوام على النصارى ببغداد فنهبوا كنيستهم التى بقطيعة الدقيق وأحرقوها ، فسقطت على خلق فماتوا ، وفيهم جماعة من المسلمين رجال ونساء وصبيان . وفى رمضان منها قوى أمر العيارين وكثرت العملات ونهبت بغداد وانتشرت الفتنة . قال ابن الجوزى : وفى ليلة الاثنين منها ثالث القعدة انقض كوكب أضاء كضوء القمر ليلة التمام ، ومضى الشعاع وبقى جرمه يتموج نحو ذراعين فى ذراعين فى رأى العين ثم توارى بعد ساعة . وفى هذا الشهر قدم الحجاج من خراسان إلى بغداد ليسيروا إلى الحجاز فبلغهم عيث الأعراب فى الأرض بالفساد ، وأنه لا ناصر لهم ولا ناظر ينظر فى أمرهم ، فرجعوا إلى بلادهم ، ولم يحج من بلاد المشرق أحد فى هذه السنة . وفى يوم عرفة منها ولد لبهاء

(١) قال ابن الأثير : قوموها بمائتى ألف دينار .

الدولة ابنان توأمان فمات أحدهما بعد سبع سنين ، وأقام الآخر حتى قام بالأمر من بعد أبيه ، ولقب شرف الدولة ، وحج المصريون فيها بالناس .

ومن توفى فيها من الأعيان

﴿ ابن جنى ﴾

أبو الفتح [عثمان بن جنى] الموصلى النحوى اللغوى ، صاحب التصانيف الفائقة المتداولة فى النحو واللغة ، وكان جنى عبدا روميا مملوكا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدى الموصلى ، ومن شعره فى ذلك قوله :

فان أصبح بلا نسب * فعلمى فى الورى نسبى
على أنى أؤول إلى * قروم سادة نجب
قياصرة إذا نطقوا * أرمّ الدهر ذا الخطب
أولاك دعا النبى لهم * كفى شرفا دعاء نبى

وقد أقام ببغداد ودرس بها العلم إلى أن توفى ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها ، قال ابن خلكان : ويقال إنه كان أعور وله فى ذلك :

صدودك عنى ولا ذنب لى * يدل على نية فاسده
فقد ـ وحياتك ـ مما بكيت * خشيت على عينى الواحده
ولولا مخافة أن لا أرا * ك لما كان فى تركها فائده

ويقال : إن هذه الأبيات لغيره ، وكان قائلها أعور . وله فى مملوك حسن الصورة أعور قوله :

له عين أصابت كل عين * وعين قد أصابتها العيون

أبو الحسن الجرجانى الشاعر الماهر .

﴿ على بن عبد العزيز ﴾

القاضى بالرى ، سمع الحديث وترقى فى العلوم حتى أقر له الناس بالتفرد ، وله أشعار حسان من ذلك قوله :

يقولون لى فيك انقباض وإنما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم * ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولم أقض حق العلم إن كان كلما * بدا طمع صيرته لى سلما
إذا قيل لى هذا مطمع قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتى * لا خدم من لاقيت ولكن لا خدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة * إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه فى النفوس لعظما

ولكن أهانوه ، فهان ، ودنسوا * محياه بالأطماع حتى تجهما

ومن مستجاد شعره أيضا :

ما تطعمت لذة العيش حتى * صرت للبيت والكتاب جليسا

ليس عندى شيء ألذ من الـ * علم فما أبتغى سواه أنيسا

ومن شعره أيضاً :

إذا شئت أن تستقرض المال منفقا * على شهوات النفس فى زمن العسر

فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها * عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر

فان فعلت كنتَ الغنى وإن أبت * فكل منوع بعدها واسع العذر

توفى رحمه الله فى هذه السنة ، وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ﴾

وفيها كانت وفاة الطائع لله على ما سنذكره . وفيها منع عميد الجيوش الشيعة من النوح على الحسين فى يوم عاشوراء ، ومنع جهلة السنة بباب البصرة وباب الشعير من النوح على مصعب بن الزبير بعد ذلك بثمانية أيام ، فامتنع الفريقان ولله الحمد والمنة . وفى أواخر المحرم خلع بهاء الدولة وزيره أبا غالب محمد بن خلف عن الوزارة وصادره بمائة ألف دينار قاشانيـة ، وفى أوائل صفر منها غلت الأسعار ببغداد جدا ، وعدمت الحنطة حتى بيع الكر بمائة وعشرين ديناراً . وفيها برز عميد الجيوش إلى سر من رأى واستدعى سيد الدولة أبا الحسن ، على بن مزيد ، وقرر عليه فى كل سنة أربعين ألف دينار ، فالتزم بذلك فقرره على بلاده . وفيها هرب أبو العباس الضبى وزير مجد الدولة بن فخر الدولة من الرى إلى بدر بن حسنويه ، فأكرمه ، وولى بعد ذلك وزارة مجد الدولة أبو على الخطير . وفيها استناب الحاكم على دمشق وجيوش الشام أبا محمد الأسود ثم بلغه أنه عزر رجلا مغربياً سب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وطاف به فى البلد ، فخاف من معرة ذلك فبعث إليه فعزله مكرا وخديعة . وانقطع الحج فيها من العراق بسبب الأعراب .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ إبراهيم بن أحمد بن محمد ﴾

أبو إسحاق الطبرى الفقيه المالكى ، مقدم المعدلين ببغداد ، وشيخ القراءات ، وقد سمع الكثير من الحديث ، وخرج له الدارقطنى خمسمائة جزء حديث ، وكان كريما مفضلا على أهل العلم .

﴿ الطائع لله عبد الكريم بن المطيع ﴾

تقدم خلعه وذكر ما جرى له ، توفى ليلة عيد الفطر منها عن خمس أو ست وسبعين سنة ، منها سبع عشرة سنة وستة أشهر وخمسة أيام خليفة ، وصلى عليه الخليفة القادر فكبر عليه خمساً ، وشهد جنازته الأكابر ، ودفن بالرصافة .

﴿ محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن زكريا ﴾

أبو طاهر المخلص ، شيخ كبير الرواية ، سمع البغوى وابن صاعد وخلقا ، وعنه البرقانى والأزهرى والخلال والتنوخى ، وكان ثقة من الصالحين . توفى فى رمضان منها عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله .

﴿ محمد بن عبد الله ﴾

أبو الحسن السلامى الشاعر المجيد ، له شعر مشهور ، ومدائح فى عضد الدولة وغيره .

﴿ ميمونة ﴾

بنت شاقولة الواعظة التى هى للقرآن حافظة ، ذكرت يوما فى وعظها أن ثوبها الذى عليها ــ وأشارت إليه ــ له فى صحبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة وماتغير، وأنه كان من غزل أمها . قالت والثوب إذا لم يعص الله فيه لا يتخرق سريعا ، وقال ابنها عبد الصمد : كان فى دارنا حائط يريد أن ينقض فقلت لأمى : ألا ندعو البناء ليصلح هذا الجدار ؟ فأخذت رقعة فكتبت فيها شيئا ثم أمرتنى أن أضعها فى موضع من الجدار ، فوضعتها فمكث على ذلك عشرين سنة ، فلما توفيت أردت أن أستعلم ما كتبت فى الرقعة ، فحين أخذتها من الجدار سقط ، وإذا فى الرقعة (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) اللهم ممسك السموات والأرض أمسكه .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلثمائة ﴾

وفيها ولى بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن أحمد بن موسى الموسوى ، قضاء القضاة والحج والمظالم ، ونقابة الطالبيين ، ولقب بالطاهر الأوحد ، ذوى المناقب ، وكان التقليد له بسيراج ، فلما وصل الكتاب إلى بغداد لم يأذن له الخليفة القادر فى قضاء القضاة ، فتوقف حاله بسبب ذلك . وفيها ملك أبو العباس بن واصل بلاد البطيحة وأخرج منها مهذب الدولة ، فقصده زعيم الجيوش ليأخذها منه ، فهزمه ابن واصل ونهب أمواله وحواصله ، وكان فى جملة ما أصاب فى خيمة الخزانة ثلاثون ألف دينار ، وخمسون ألف درهم . وفيها خرج الركب العراقى إلى الحجاز فى جحفل عظيم كبير وتجمل كثير ، فاعترضهم الأصيفر أمير الأعراب ، فبعثوا إليه بشابين قارئين مجيدين كانا معهم ، يقال لهما أبو الحسن الرفا وأبو عبد الله بن الزجاجى ، وكانا من أحسن الناس قراءة ، ليكلماه فى شىء يأخذه من الحجيج ، ويطلق سراحهم ليدركوا الحج ، فلما جلسا بين يديه قرآ جميعا عشراً بأصوات هائلة مطربة مطبوعة ، فأدهشه ذلك وأعجبه جدا ، وقال لهما : كيف عيشكما ببغداد ؟ فقالا : بخير لا يزال الناس يكرموننا ويبعثون إلينا بالذهب والفضة والتحف . فقال لهما : هل أطلق لكما أحدهم بألف ألف دينار فى يوم واحد ؟ فقالا : لا ، ولا ألف درهم فى يوم واحد . قال : فانى أطلق لكما ألف ألف دينار فى هذه اللحظة ، أطلق لكما الحجيج كله ، ولولا كما لما قنعت منهم بألف ألف دينار . فأطلق

الحجيج كله بسببهما ، فلم يتعرض أحد من الأعراب لهم ، وذهب الناس إلى الحج سالمون شاكرون لذينك الرجلين المقرئين . ولما وقف الناس بعرفات قرأ هذان الرجلان قراءة عظيمة على جبل الرحمة فضج الناس بالبكاء من سائر الركوب لقراءتهما ، وقالوا لأهل العراق : ما كان ينبغي لكم أن تخرجوا معكم بهذين الرجلين فى سفرة واحدة ، لا حتمال أن يصابا جميعا ، بل كان ينبغي أن تخرجوا بأحدهما وتدعوا الآخر ، فاذا أصيب سلم الآخر . وكانت الحجة والخطبة للمصريين كما هى لهم من سنين متقدمة ، وقد كان أمير العراق عزم على العود سريعاً إلى بغداد على طريقهم التى جاؤا منها ، وأن لا يسيروا إلى المدينة النبوية خوفا من الأعراب ، وكثرة الخفارات ، فشق ذلك على الناس ، فوقف هذان الرجلان القارئان على جادة الطريق التى منها يعدل إلى المدينة النبوية ، وقرآ (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) الآيات فضج الناس بالبكاء وأمالت النوق أعناقها نحوهما ، فمال الناس بأجمعهم والأمير إلى المدينة النبوية فزاروا وعادوا سالمين إلى بلادهم ولله الحمد والمنة . ولما رجع هذان القارئان رتبهما ولى الأمر مع أبى بكر بن البهلول - وكان مقرئا مجيدا أيضاً - ليصلوا بالناس صلاة التراويح فى رمضان ، فكثر الجمع وراءهم لحسن تلاوتهم ، وكانوا يطيلون الصلاة جدا ويتناوبون فى الامامة ، يقرؤن فى كل ركعة بقدر ثلاثين آية ، والناس لا ينصرفون من التراويح إلا فى الثلث الأول من الليل ، أو قريب النصف منه . وقد قرأ ابن البهلول يوماً فى جامع المنصور قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) فنهض إليه رجل صوفى وهو يتمايل فقال : كيف قلت ؟ فأعاد الآية ، فقال الصوفى : بلى والله ، وسقط ميتا رحمه الله . قال ابن الجوزى : وكذلك وقع لأبى الحسن بن الخشاب شيخ ابن الرضا ، وكان تلميذا لأبى بكر بن الأدمى المتقدم ذكره ، وكان جيد القراءة حسن الصوت أيضاً ، قرأ ابن الخشاب هذا فى جامع الرصافة فى الاحياء هذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا) فتواجد رجل صوفى وقال : بلى والله قد آن ، وجلس وبكى بكاء طويلا ، ثم سكت سكتة فاذا هو ميت رحمه الله .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو على الاسكافى ﴾

ويلقب بالموفق ، وكان مقدماً عند بهاء الدولة ، فولاه بغداد فأخذ أموالا كثيرة من اليهود ثم هرب إلى البطيحة ، فأقام بها سنتين ، ثم قدم بغداد فولاه بهاء الدولة الوزارة ، وكان شهماً منصورا فى الحرب ثم عاقبه بعد ذلك وقتله فى هذه السنة ، عن تسع وأربعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلثمائة ﴾

فيها عاد مهذب الدولة إلى البطيحة ولم يمانعه ابن واصل ، وقرر عليه فى كل سنة لبهاء الدولة

خمسين ألف دينار . وفيها كان غلاء عظيم بافريقية ، بحيث تعطلت المخابز والحمامات ، وذهب خلق كثير من الفناء ، وهلك آخرون من شدة الغلاء ، فنسأل الله حسن العافية والخاتمة آمين . وفيها أصاب الحجيج فى الطريق عطش شديد بحيث هلك كثير منهم . وكانت الخطبة للمصريين .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ محمد بن أحمد بن موسى بن جعفر ﴾

أبو نصر البخارى ، المعروف بالملاحمى ، أحد الحفاظ ، قدم بغداد وحدث بها عن محمود بن إسحاق عن البخارى ، و روى عن الهيثم بن كليب وغيره ، وحدث عنه الدارقطنى ، وكان من أعيان أصحاب الحديث . توفى ببخارى فى شعبان منها ، وقد جاوز الثمانين .

﴿ محمد بن أبى إسماعيل ﴾

على بن الحسين بن الحسن بن القاسم أبى الحسن العلوى ، ولد بهمذان ونشأ ببغداد ، وكتب الحديث عن جعفر الخلدى وغيره ، وسمع بنيسابور من الأصم وغيره ، ودرس فقه الشافعى على على بن أبى هريرة ، ثم دخل الشام فصحب الصوفية حتى صار من كبارهم ، وحج مرات على الوحدة ، توفى فى محرم هذه السنة

﴿ أبو الحسين أحمد بن فارس ﴾

ابن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوى الرازى ، صاحب المجمل فى اللغة ، وكان مقيما بهمذان ، وله رسائل حسان ، أخذ عنه البديع صاحب المقامات ، ومن رائق شعره قوله :

مرت بنا هيفاء مجدولة * تركية تنمى لتركى
ترنو بطرف فاتر فاتن * أضعف من حجة نحوى

وله أيضا :

إذا كنت فى حاجة مرسلا * وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيما ولا توصه * وذاك الحكيم هو الدرهم

قال ابن خلكان : توفى سنة تسعين وثلثمائة ، وقيل سنة خمس وتسعين . والأول أشهر .

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلثمائة ﴾

قال ابن الجوزى : فى ليلة الجمعة مستهل شعبان طلع نجم يشبه الزهرة فى كبره وكثرة ضوئه عن يسار القبلة يتموج ، وله شعاع على الأرض كشعاع القمر ، وثبت إلى النصف من ذى القعدة ، ثم غاب . وفيها ولى محمد بن الاكفانى قضاء جميع بغداد . وفيها جلس القادر بالله للأمير قرواش بن أبى حسان وأقره فى إمارة الكوفة ، ولقبه معتمد الدولة . وفيها قلد الشريف الرضى نقابة الطالبيين ، ولقب بالرضى ذى الحسبين ، ولقب أخوه المرتضى ذا المجدين . وفيها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند فافتتح مدنا كبارا ، وأخذ أموالا جزيلة ، وأسر بعض ملوكهم وهو ملك كراشى حين هرب منه لما افتتحها ، وكسر أصنامها ، فألبسه منطقته وشدها على وسطه بجهد تمنع شديد ،

وقطع خنصره ثم أطلقه إهانة له ، و إظهاراً لعظمة الاسلام وأهله . وفيها كانت الخطبة للحاكم العبيدى، وتجدد فى الخطبة أنه إذا ذكر الخطيب الحاكم يقوم الناس كلهم إجلالا له ، وكذلك فعلوا بديار مصر مع زيادة السجود له ، وكانوا يسجدون عند ذكره ، يسجد من هو فى الصلاة ومن هو فى الاسواق يسجدون لسجودهم ، لعنه الله وقبحه .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو سعيد الاسماعيلى ﴾

إبراهيم بن إسماعيل أبو سعيد الجرجانى ، المعروف بالاسماعيلى ، ورد بغداد والدارقطنى حىٌّ فحدث عن أبيه أبى بكر الاسماعيلى والأصم بن عدى ، وحدث عنه الخلال والتنوخى ، وكان ثقة فقيها فاضلا ، على مذهب الشافعى ، عارفا بالعربية ، سخياً جوادا على أهل العلم ، وله ورع ورياسة إلى اليوم فى بلده إلى ولده . قال الخطيب : سمعت الشيخ أبا الطيب يقول : ورد أبو سعيد الاسماعيلى بغداد فعقد له الفقهاء مجلسين تولى أحدهما أبو حامد الاسفرايينى ، وتولى الثانى أبو محمد الباجى ، فبعث الباجى إلى القاضى المعافى بن زكريا الجريرى يستدعيه إلى حضور المجلس ليجمل المجلس ، وكانت الرسالة مع ولده أبى الفضل ، وكتب على يده هذين البيتين :

إذا أكرم القاضى الجليل وليه * وصاحبه ألفاه للشكر موضعا

ولى حاجة يأتى بنى بذكرها * ويسأله فيها التطول أجمعا

فأجابه الجريرى مع ولد الشيخ :

دعا الشيخ مطواعا سميعالأمره * نواتيه طوعا حيث يرسم أصنعا

وها أنا غاد فى غد نحو داره * أبادر ما قد حده لى مسرعا

توفى الاسماعيلى فجأة بجرجان فى ربيع الآخر وهو قائم يصلى فى المحراب ، فى صلاة المغرب ، فلما قرأ (إياك نعبد و إياك نستعين) فاضت نفسه فمات رحمه الله .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن محمد بن جعفر بن محمد بن محمد بن بحير أبو عمرو المزكى ، الحافظ النيسابورى ، ويعرف بالبحيرى ، رحل إلى الآفاق فى طلب العلم ، وكان حافظا جيد المذاكرة ، ثقة ثبتا ، حدث ببغداد وغيرها من البلاد ، وتوفى فى شعبان عن ثلاث وسبعين سنة .

﴿ أبو عبد الله بن منده ﴾

الحافظ محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبد الله الاصفهانى الحافظ ، كان ثبت الحديث والحفظ ، رحل إلى البلاد الشاسعة ، وسمع الكثير وصنف التاريخ ، والناسخ والمنسوخ . قال أبو العباس جعفر بن محمد : ما رأيت أحفظ من ابن منده ، توفى فى أصفهان فى صفر منها .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلثمائة ﴾

فيها كان خروج أبى ركوة على الحاكم العبيدى صاحب مصر . وملخص أمر هذا الرجل أنه كان من سلالة هشام بن عبد الملك بن مروان الأموى ، واسمه الوليد ، وإنما لقب بأبى ركوة لركوة كان يصحبها فى أسفاره على طريق الصوفية ، وقد سمع الحديث بالديار المصرية ، ثم أقام بمكة ثم رحل إلى اليمن ثم دخل الشام ، وهو فى غضون ذلك يبايع من انقاد له ، ممن يرى عنده همة ونهضة للقيام فى نصرة ولد هشام ، ثم إنه أقام ببعض بلاد مصر فى محلة من محال العرب ، يعلم الصبيان ويظهر التقشف والعبادة والورع ، ويخبر بشئ من المغيبات ، حتى خضعوا له وعظموه جدا ، ثم دعا إلى نفسه وذكر لهم أنه الذى يدعى إليه من الأمويين ، فاستجابوا له وخاطبوه بأمير المؤمنين ، ولقب بالثائر بأمر الله المنتصر من أعداء الله ، ودخل برقة فى جحفل عظيم ، فجمع له أهلها نحوا من مائتى ألف دينار ، وأخذ رجلا من اليهود اتهم بشئ من الودائع فأخذ منه مائتى ألف دينار أيضاً ، ونقشوا الدراهم والدنانير بألقابه ، وخطب بالناس يوم الجمعة ولعن الحاكم فى خطبته ونعما فعل ، فالتف على أبى ركوة من الجنود نحو من ستة عشر ألفا ، فلما بلغ الحاكم أمره وما آل إليه حاله بعث بخمسمائة ألف دينار وخمسة آلاف ثوب إلى مقدم جيوش أبى ركوة وهو الفضل بن عبد الله يستميله إليه ويثنيه عن أبى ركوة ، فحين وصلت الأموال إليه رجع عن أبى ركوة وقال له : إنا لا طاقة لنا بالحاكم ، ومادمت بين أظهرنا فنحن مطلوبون بسببك ، فاختر لنفسك بلدا تكون فيها . فسأل أن يبعثوا معه فارسين يوصلانه إلى النوبة فان بينه وبين ملكها مودة وصحبة ، فأرسله ، ثم بعث وراءه من رده إلى الحاكم بمصر ، فلما وصل إليه أركبه جملا وشهره ثم قتله فى اليوم الثانى ، ثم أكرم الحاكم الفضل وأقطعه أقطاعا كثيرة . واتفق مرض الفضل فعاده الحاكم مرتين ، فلما عوفى قتله وألحقه بصاحبه . وهذه مكافأة التمساح . وفى رمضان منها عزل قرواش عما كان بيده ووليه أبو الحسن على بن يزيد ، ولقب بسند الدولة . وفيها هزم يمين الدولة محمود بن سبكتكين ملك الترك عن بلاد خراسان وقتل من الأتراك خلقا كثيراً . وفيها قتل أبو العباس بن واصل وحمل رأسه إلى بهاء الدولة فطيف به بخراسان وفارس . وفيها ثارت على الحجيج وهم بالطريق ريح سوداء مظلمة جدا ، واعترضهم ابن الجراح أمير الأعراب فاعتاقهم عن الذهاب ففاتهم الحج فرجعوا إلى بلادهم فدخلوها فى يوم التروية . وكانت الخطبة بالحرمين للمصريين.

وفيها توفى من الأعيان ﴿ عبد الصمد بن عمر بن إسحاق ﴾

أبو القاسم الدينورى الواعظ الزاهد ، قرأ القرآن ودرس على مذهب الشافعى على أبى سعيد الاصطخرى ، وسمع الحديث من النجاد ، وروى عنه الصيمرى ، وكان ثقة صالحا ، يضرب به المثل فى مجاهدة النفس ، واستعمال الصدق المحض ، والتعفف والتفقه والتقشف ، والأمر بالمعروف والنهى

عن المنكر ، وحسن وعظه ووقعه فى القلوب ، جاءه يوماً رجل بمائة دينار فقال : أنا غنى عنها ، قال خذها ففرقها على أصحابك هؤلاء ، فقال : ضعها على الأرض . فوضعها ثم قال للجماعة . ليأخذ كل واحد منكم حاجته منها ، فجعلوا يأخذون بقدر حاجاتهم حتى أنفذوها ، وجاء ولده بعد ذلك فشكى إليه حاجتهم فقال : اذهب إلى البقال فخذ على ربع رطل تمر . ورآه رجل وقد اشترى دجاجة وحلواء فتعجب من ذلك فاتبعه إلى دار فيها امرأة ولها أيتام فدفعها إليهم ، وقد كان يدق السعد للعطارين بالأجرة ويقتات منه ، ولما حضرته الوفاة جعل يقول : سيدى لهذه الساعة خبأتك . توفى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى الحجة منها ، وصلى عليه بالجامع المنصورى ، ودفن بمقبرة الامام أحمد .

﴿ أبو العباس بن واصل ﴾

صاحب سيراف والبصرة وغيرهما ، كان أولا يخدم بالكرخ ، وكان منصوراً له أنه سيملك ، كان أصحابه يهزؤن به ، فيقول أحدهم : إذا ملكت فأى شىء تعطينى ؟ ويقول الآخر : ولنى ، ويقول الآخر : استخدمنى ، ويقول الآخر : اخلع على . فقدر له أنه تقلبت به الأحوال حتى ملك سيراف والبصرة ، وأخذ بلاد البطيحة من مهذب الدولة ، وأخرجه منها طريدا ، بحيث إنه احتاج فى أثناء الطريق إلى أن ركب بقرة . واستحوذ ابن واصل على ما هناك ، وقصد الأهواز وهزم بهاء الدولة ، ثم ظفر به بهاء الدولة فقتله فى شعبان منها ، وطيف برأسه فى البلاد .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ﴾

فيها غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند ، ففتح حصونا كثيرة ، وأخذ أموالا جزيلة وجواهر نفيسة ، وكان فى جملة ما وجد بيت طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعاً مملوء فضة ، ولما رجع إلى غزنة بسط هذه الأموال كلها فى صحن داره وأذن لرسل الملك فدخلوا عليه فرأوا ما بهرهم وهالهم . وفى يوم الأربعاء الحادى عشر من ربيع الآخر وقع ببغداد ثلج عظيم ، بحيث بقى على وجه الأرض ذراعا ونصفا ، ومكث أسبوعاً لم يذب ، وبلغ سقوطه إلى تكريت والكوفة وعبادان والنهروان . وفى هذا الشهر كثرت العملات جهرة وخفية ، حتى من المساجد والمشاهد ثم ظفر أصحاب الشرطة بكثير منهم فقطعوا أيديهم وكحلوهم .

﴿ قصة مصحف ابن مسعود وتحريقه ﴾

« على فتيا الشيخ أبى حامد الاسفراييني فيما ذكره ابن الجوزى فى منتظمه »

وفى عاشر رجب جرت فتنة بين السنة والرافضة ، سببها أن بعض الهاشميين قصد أبا عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم ــ وكان فقيه الشيعة ــ فى مسجده بدرب رباح ، فعرض له بالسب فثار أصحابه له واستنفر أصحاب الكرخ وصاروا إلى دار القاضى أبى محمد الاكفانى والشيخ أبى حامد الاسفراييني ،

وجرت فتنة عظيمة طويلة ، وأحضرت الشيعة مصحفا ذكروا أنه مصحف عبد الله بن مسعود ، وهو مخالف للمصاحف كلها ، فجمع الاشراف والقضاة والفقهاء فى يوم جمعة لليلة بقيت من رجب ، وعرض المصحف عليهم فأشار الشيخ أبو حامد الاسفراييني والفقهاء بتحريقه ، ففعل ذلك بمحضر منهم ، فغضب الشيعة من ذلك غضبا شديدا ، وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه ، وقصد جماعة من أحداثهم دار الشيخ أبى حامد ليؤذوه فانتقل منها إلى دار القطن ، وصاحوا يا حاكم يا منصور ، وبلغ ذلك الخليفة فغضب وبعث أعوانه لنصرة أهل السنة ، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة ، وجرت خطوب شديدة ، وبعث عميد الجيوش إلى بغداد لينفى عنها ابن المعلم فقيه الشيعة ، فأخرج منها ثم شفع فيه ، ومنعت القصاص من التعرض للذكر والسؤال باسم الشيخين ، وعلى رضى الله عنهم ، وعاد الشيخ أبو حامد إلى داره على عادته . وفى شعبان منها زلزلت الدينور زلزالا شديدا ، وسقطت منها دور كثيرة ، وهلك للناس شئ كثيرمن الأثاث والأمتعة ، وهبت ريح سوداء بدقوقى وتكريت وشيراز ، فأتلفت كثيراً من المنازل والنخيل والزيتون ، وقتلت خلقا كثيراً ، وسقط بعض شيراز وقعت رجفة بشيراز غرق بسببها مراكب كثيرة فى البحر . ووقع بواسط برد زنة الواحدة مائة درهم وستة دراهم ، ووقع ببغداد فى رمضان ـ وذلك فى إيار ـ مطر عظيم سالت منه المزاريب .

﴿ ذكر تخريب قمامة فى هذه السنة ﴾

وفيها أمر الحاكم بتخريب قمامة وهى كنيسة النصارى ببيت المقدس ، وأباح للعامة ما فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك ، وكان سبب ذلك البهتان الذى يتعاطاه النصارى فى يوم الفصح من النار التى يحتالون بها ، وهى التى يوهمون جهلتهم أنها نزلت من السماء ، وإنما هى مصنوعة بدهن البلسان فى خيوط الابريسم ، والرقاع المدهونة بالكبريت وغيره ، بالصنعة اللطيفة التى تروج على الطغام منهم والعوام ، وهم إلى الآن يستعملونها فى ذلك المكان بعينه . وكذلك هدم فى هذه السنة عدة كنائس ببلاد مصر ، ونودى فى النصارى : من أحب الدخول فى دين الاسلام دخل ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمنا ، ومن أقام منهم على دينه فليلتزم بما شرط عليهم من الشروط التى زادها الحاكم على العمرية ، من تعليق الصلبان على صدورهم ، وأن يكون الصليب من خشب زنته أربعة أرطال ، وعلى اليهود تعليق رأس العجل زنته ستة أرطال . وفى الحمام يكون فى عنق الواحد منهم قربة زنة خمسة أرطال ، بأجراس ، وأن لا يركبوا خيلا . ثم بعد هذا كله أمر بإعادة بناء الكنائس التى هدمها وأذن لمن أسلم منهم فى الارتداد إلى دينه . وقال ننزه مساجدنا أن يدخلها من لا نية له ، ولا يعرف باطنه ، قبحه الله .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو محمد الباجى ﴾

سبق ذكره ، اسمه عبد الله بن محمد الباجى البخارى الخوارزمى ، أحد أئمة الشافعية ، تفقه على أبى القاسم الداركى ودرس مكانه ، وله معرفة جيدة بالأدب والفصاحة والشعر ، جاء مرة ليزور بعض أصحابه فلم يجده فى المنزل فكتب هذه الابيات :

قد حضرنا وليس نقضى التلاقى * نسأل الله خير هذا الفراق
إن تغب لم أغب وإن لم تغب * غبت كأن افتراقنا باتفاق

توفى فى محرم هذه السنة ، وقد ذكرنا ترجمته فى طبقات الشافعية .

﴿ عبد الله بن أحمد ﴾

ابن على بن الحسين ، أبو القاسم المعروف بالصيدلانى ، وهو آخر من حدث عن ابن صاعد من الثقات ، وروى عنه الأزهرى ، وكان ثقة مأمونا صالحا . توفى فى رجب من هذه السنة ، وقد جاوز التسعين .

﴿ الببغاء الشاعر ﴾

عبد الواحد بن نصر بن محمد ، أبو الفرج المخزومى ، الملقب بالببغاء ، توفى فى شعبان من هذه السنة ، وكان أديباً فاضلا مترسلا شاعرا مطبقا ، فمن ذلك قوله :

يا من تشابه منه الخلق والخلق * فما تسافر إلا نحوه الحدق
فورد دمعى من خديك مختلس * وسقم جسمى من جفنيك مسترق
لم يبق لى رمق أشكو هواك به * وإنما يتشكى من به رمق

﴿ محمد بن يحيى ﴾

أبو عبد الله الجرجانى ، أحد العلماء الزهاد العباد ، المناظرين لأبى بكر الرازى ، وكان يدرس فى قطيعة الربيع ، وقد فلج فى آخر عمره ، وحين مات دفن مع أبى حنيفة .

﴿ بديع الزمان ﴾

صاحب المقامات ، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد . أبو الفضل الهمذانى ، الحافظ المعروف ببديع الزمان ، صاحب الرسائل الرائقة ، والمقامات الفائقة ، وعلى منواله نسج الحريرى ، واقتفى أثره وشكر تقدمه ، واعترف بفضله ، وقد كان أخذ اللغة عن ابن فارس ، ثم برز ، وكان أحد الفضلاء الفصحاء ، ويقال إنه سم وأخذه سكتة ، فدفن سريعاً . ثم عاش فى قبره وسمعوا صراخه فنبشوا عنه فاذا هو قد مات وهو آخذ على لحيته من هول القبر ، وذلك يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الآخرة منها ، رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلثمائة ﴾

فيها قتل على بن ثمال نائب الرحبة من طرف الحاكم العبيدى ، قتله عيسى بن خلاط العقيلى ، وملكها ، فأخرجه منها عباس بن مرداس صاحب حلب وملكها ، وفيها صرف عمرو بن عبد الواحد عن قضاء البصرة ووليه أبو الحسن بن أبى الشوارب ، فذهب الناس يهنون هـذا ويعزون هذا ، فقال فى ذلك العصفرى :

عندى حديث ظريف * بمثـــله يتغنى * من قاضيين يعزى * هـذا وهذا يهنا
فـذا يقول أكرهونى * وذا يقول استرحنا * ويكذبان جميعاً * ومن يصدق منا

وفى شعبان من هذه السنة عصفت ريح شديدة فألقت وحلا أحمر فى طرقات بغداد . وفيها هبت على الحجاج ريح سوداء مظلمة واعترضهم الأعراب فصدوهم عن السبيل ، واعتاقوهم حتى فاتهم الحج فرجعوا ، وأخذت بنو هلال طائفة من حجاج البصرة نحواً من ستمائة واحد ، وأخذوا منهم نحوا من ألف ألف دينار ، وكانت الخطبة فيها للمصريين .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الله بن بكر بن محمد بن الحسين ﴾

أبو أحمد الطبرانى ، سمع بمكة و بغداد وغيرهما من البلاد ، وكان مكرماً ، سمع منـه الدارقطنى وعبد الغنى بن سعيد ثم أقام بالشام بالقرب من جبل عند بانياس يعبد الله تعالى إلى أن مات فى ربيع الأول منها .

﴿ محمد بن على بن الحسن ﴾

أبو مسلم كاتب الوزير بن خنزابة ، روى عن البغوى وابن صاعـد وابن دريد وابن أبى داود وابن عرفة وابن مجاهد وغيرهم ، وكان آخر من بقى من أصحاب البغوى ، وكان من أهل العلم والحديث والمعرفة والفهم ، وقد تكلم بعضهم فى روايته عن البغوى لأن أصله كان غالبا مفسودا . وذكر الصورى أنه خلط فى آخر عمره .

﴿ أبو الحسن على بن أبى سعيد ﴾

عبد الواحد بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى ، صاحب كتاب الزيج الحاكمى فى أربع مجلدات ، كان أبوه من كبار المحدثين الحفاظ ، وقد وضع لمصر تاريخا نافعا يرجع العلماء إليه فيه ، وأما هذا فانه اشتغل فى علم النجوم فنال من شأنه منالا جيدا ، وكان شديد الاعتناء بعلم الرصد وكان مع هذا مغفلا سئ الحال ، رث الثياب ، طويلا يتعمم عـلى طرطور طويل ، ويتطيلس فوقه ، ويركب حماراً ، فمن رآه ضحك منـه ، وكان يدخل على الحاكم فيكرمه ويذكر من تغفـله ما يدل على اعتنائه بأمر نفسه ، وكان شاهدا معدلا ، وله شعر جيد ، فمنه ما ذكره ابن خلكان :

أحمل نشر الريح عند هبوبه * رسالة مشتاق إلى حبيبه
بنفسى من تحيا النفوس بريقه * ومن طابت الدنيا به وبطيبه

يجدد وجدى طائف منه فى الكرا * سرى موهنا فى جفنه من رقيبه
لعمرى لقد عطلت كأسى بعده * وغيبتها عنى لطول مغيبه

﴿ تمنى أم أمير المؤمنين القادر بالله ﴾

مولاة عبد الواحد بن المقتدر ، كانت من العابدات الصالحات ، ومن أهل الفضل والدين توفيت ليلة الخميس الثانى والعشرين من شعبان منها ، وصلى عليها ابنها القادر ، وحملت بعد العشاء إلى الرصافة

﴿ ثم دخلت سنة أربعمائة من الهجرة ﴾

فى ربيع الآخر منها نقصت دجلة نقصا كثيراً ، حتى ظهرت جزائر لم تعرف ، وامتنع سير السفن فى أعاليها من أذنة والراشدية ، فأمر بكرى تلك الأماكن ، وفيها كمل السور على مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام الذى بناه أبو إسحاق الأرجانى ، وذلك أن أبا محمد بن سهلان مرض فنذر إن عوفى ليبنينه فعوفى . وفى رمضان أرجف الناس بالخليفة القادر بالله بأنه مات فجلس للناس يوم جمعة بعد الصلاة وعليه البردة وبيده القضيب ، وجاء الشيخ أبو حامد الاسفراييني فقبل الأرض بين يديه وقرأ (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم) الآيات فتباكى الناس ودعوا وانصرفوا وهم فراحا . وفيها ورد الخبر بأن الحاكم أنفذ إلى دار جعفر بن محمد الصادق بالمدينة فأخذ منها مصحفا وآلات كانت بها ، وهذه الدار لم تفتح بعد موت صاحبها إلى هذا الآن ، وكان مع المصحف قعب خشب مطوق بحديد ودرقة خيزران وحربة وسرير ، حمل ذلك كله جماعة من العلويين إلى الديار المصرية ، فأطلق لهم الحاكم أنعاما كثيرة ونفقات زائدة ، ورد السرير وأخذ الباقى ، وقال : أنا أحق به . فردوا وهم ذامون له داعون عليه . وبنى الحاكم فيها داراً للعلم وأجلس فيها الفقهاء ، ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل خلقا كثيرا ممن كان فيها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير . وفيها عمر الجامع المنسوب إليه بمصر وهو جامع الحاكم ، وتأنق فى بنائه . وفى ذى الحجة منها أعيد المؤيد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الأموى إلى ملكه بعد خلعه وحبسه مدة طويلة ، وكانت الخطبة بالحرمين للحاكم صاحب مصر والشام .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو أحمد الموسوى النقيب ﴾

الحسن بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الموسوى ، والد الرضى والمرتضى ، ولى نقابة الطالبيين مرات نحوا من خمس مرات ، يعزل ويعاد ، ثم أخر فى آخر عمره ، وتوفى عن سبع وتسعين سنة ، وصلى عليه ابنه المرتضى ، ودفن فى مشهد الحسين . وقد رثاه ابنه المرتضى فى قصيدة حسنة قوية المنزع والمطلع فمنها :

سلام الله تنقله الليالى * وتهديه الغدو إلى الرواح

على جدث حسيب من لؤى * لينبوع العبادة والصلاح
فتى لم يرو إلا من حلال * ولم يك زاده إلا المباح
ولا دنست له أزر لزور * ولا علقت له راح براح
خفيف الظهر من ثقل الخطايا * وعريان الجوارح من جناح
مشوق فى الأمور إلى علاها * ومدلول على باب النجاح
من القوم الذين لهم قلوب * بذكر الله عامرة النواحى
بأجسام من التقوى مراض * لنصرتها وأديان صحاح

﴿ الحجاج بن هرمز أبو جعفر ﴾

نائب بهاء الدولة على العراق ، وكان تقليده لقتال الأعراب والأكراد ، وكان من المقدمين فى أيام عضد الدولة ، وكانت له خبرة تامة بالحرب ، وحزمة شديدة ، وشجاعة تامة وافرة ، وهمة عالية وآراء سديدة . ولما خرج من بغداد فى سنة ثنتين وسبعين وثلثمائة كثرت بها الفتن . توفى بالأهواز عن مائة سنة وخمس سنين . رحمه الله .

﴿ أبو عبد الله القمى المصرى التاجر ﴾

كان ذا مال جزيل جدا ، اشتملت تركته على أزيد من ألف ألف دينار ، من سائر أنواع المال . توفى بأرض الحجاز ودفن بالمدينة النبوية عند قبر الحسن بن على ، رضى الله عنهم .

﴿ أبو الحسين ابن الرفا المقرى ﴾

تقدم ذكره وقراءته على كبير الأعراب فى سنة أربع وتسعين وثلثمائة ، كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن وأحلاهم أداء رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة ﴾

فى يوم الجمعة الرابع من المحرم منها خطب بالموصل للحاكم العبيدى عن أمر صاحبها قرواش بن مقلد أبى منيع ، وذلك لقهره رعيته ، وقد سرد ابن الجوزى صفة الخطبة بحروفها . وفى آخر الخطبة صلوا على آبائه المهدى ثم ابنه القائم ثم المنصور ، ثم ابنه المعز ، ثم ابنه العزيز ، ثم ابنه الحاكم صاحب الوقت ، وبالغوا فى الدعاء لهم ، ولاسيما للحاكم ، وكذلك تبعته أعمالها من الأنبار والمدائن وغيرها . وكان سبب ذلك أن الحاكم ترددت مكاتباته ورسله وهداياه إلى قرواش يستميله إليه ، وليقبل بوجهه عليه ، حتى فعل ما فعل من الخطبة وغيرها ، فلما بلغ الخبر القادر بالله العباسى كتب يعاتب قرواش على ما صنع ، ونفذ بهاء الدولة إلى عميد الجيوش بمائة ألف دينار لمحاربة قرواش . فلما بلغ قرواشا رجع عن رأيه وندم على ما كان منه ، وأمر بقطع الخطبة للحاكم من بلاده ، وخطب للقادر على عادته .

قال ابن الجوزى :- ولخمس بقين من رجب زادت دجلة زيادة كثيرة واستمرت الزيادة إلى رمضان ، وبلغت أحدا وعشرين ذراعا وثلثا ، ودخل إلى أكثر دور بغداد . وفيها رجع الوزير أبو خلف إلى بغداد ولقب فخر الملك بعميد الجيوش . وفيها عصى أبو الفتح الحسن بن جعفر العلوى ودعا إلى نفسه وتلقب بالراشد بالله . ولم يحج فيها أحد من أهل العراق والخطبة للحاكم .

وممن توفى فيها من الأعيان أبو مسعود صاحب الأطراف .

﴿ إبراهيم بن محمد بن عبيد ﴾

أبو مسعود الدمشقى الحافظ الكبير ، مصنف كتاب الأطراف على الصحيحين ، رحل إلى بلاد شتى كبغداد والبصرة والكوفة وواسط وأصبهان وخراسان ، وكان من الحفاظ الصادقين ، والامناء الضابطين ، ولم يرو إلا اليسير ، روى عنه أبو القاسم وأبو ذر الهروى ، وحمزة السهمى ، وغيرهم . توفى ببغداد فى رجب وأوصى إلى أبى حامد الاسفراييني فصلى عليه ، ودفن فى مقبرة جامع المنصور قريباً من السكك . وقد ترجمه ابن عساكر وأثنى عليه .

﴿ عميد الجيوش الوزير ﴾

الحسن بن أبى جعفر أستاذ هرمز ، ولد سنة خمسين وثلثمائة ، وكان أبوه من حجاب عضد الدولة ، وولاه بهاء الدولة وزارته سنة ثنتين وتسعين ، والشرور كثيرة منتشرة ، فمهد البلاد وأخاف العيارين واستقامت به الأمور ، وأمر بعض غلمانه أن يحمل صينية فيها دراهم مكشوفة من أول بغداد إلى آخرها وأن يدخل بها فى جميع الأزقة ، فان اعترضه أحد فليدفعها إليه وليعرف ذلك المكان ، فذهب الغلام فلم يعترضه أحد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ومنع الروافض النياحة فى يوم عاشوراء ، وما يتعاطونه من الفرح فى يوم ثامن عشر ذى الحجة الذى يقال له عيد غدير خم ، وكان عادلا منصفا .

﴿ خلف الواسطى ﴾

صاحب الأطراف أيضاً ، خلف بن محمد بن على بن حمدون ، أبو محمد الواسطى ، رحل إلى البلاد وسمع الكثير ثم عاد إلى بغداد ، ثم رحل إلى الشام ومصر ، وكتب الناس عنه بانتخابه ، وصنف أطرافا على الصحيحين ، وكانت له معرفة تامة ، وحفظ جيد ، ثم عاد إلى بغداد واشتغل بالتجارة وترك النظر فى العلم حتى توفى فى هذه السنة سامحه الله . روى عنه الأزهرى .

﴿ أبو عبيد الهروى ﴾

صاحب الغريبين ، أحمد بن محمد بن أبى عبيد العبدى أبو عبيد الهروى اللغوى البارع ، كان من علماء الناس فى الأدب واللغة ، وكتابه الغريبين ، فى معرفة غريب القرآن والحديث ، يدل على اطلاعه وتبحره فى هذا الشأن ، وكان من تلامذة أبى منصور الأزهرى . قال ابن خلكان : وقيل كان

يحب التنزه ويتناول فى خلوته ما لا يجوز، ويعاشر أهـل الأدب فى مجلس اللذة والطرب، والله أعلم . سامحه الله . قال : وكانت وفاته فى رجب سنة إحدى وأربعمائة ، وذكر ابن خلكان أن فى هذه السنة أو التى قبلها كانت وفاة البستى الشاعر وهو :

﴿ على بن محمد بن الحسين بن يوسف الكاتب ﴾

صاحب الطريقـة الأنيقة والتجنيس الأنيس ، البديع التأسيس ، والحذاقة والنظم والنثر ، وقد ذكرناه ، ومما أورد له ابن خلكان قوله : من أصلح فاسده أرغم حاسده ، ومن أطاع غضبه أضاع أدبه . من سعادة جدك وقوفك عند حدك . المنية تضحك من الأمنية . الرشوة رشا الحاجات ، حد العفاف الرضى بالكفاف . ومن شعره :

إن هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمى هز عامله
وإن أمر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الأنام له

وله :
إذا تحدثت فى قوم لتؤنسهم * بما تحدث من ماض ومن آت
فلا تعد لحديث إن طبعهم * موكل بمعاداة المعادات

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعمائة ﴾

فى المحرم منها أذن فخر الملك الوزير للروافض أن يعملوا بدعتهم الشنعاء ، والفضيحة الصلعاء ، من الانتحاب والنوح والبكاء ، وتعليق المسوح وأن تغلق الأسواق من الصباح إلى المساء ، وأن تدور النساء حاسرات عن وجوههن ورؤسهن ، يلطمن خـدودهن ، كفعل الجاهلية الجهلاء ، على الحسين بن عـلى ، فلا جزاه الله خيراً ، وسود الله وجهـه يوم الجزاء ، إنه سميع الدعاء . وفى ربيع الآخر أمر القادر بعمارة مسجد الكف بقطيعة الدقيق ، وأن يعاد إلى أحسن ما كان ، ففعل ذلك وزخرف زخرفة عظيمة جدا ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ ذكر الطعن من أئمة بغداد وعلمائهم وغيرهم من البلاد فى نسب الفاطميين وأنهم أدعياء كذبة ﴾

وفى ربيع الآخر منها كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح فى نسب الفاطميين وهم ملوك مصر وليسوا كذلك ، وإنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمى ، وكتب فى ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول ، والصالحين والفقهاء ، والمحدثين ، وشهدوا جميعا أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم ، حكم الله عليه بالبوار والخزى والدمار ، ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد ، لا أسعده الله ، فأنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله ، وتلقب بالمهدى ، وأن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج ، لانسب لهم فى ولد على بن أبى طالب ، ولا يتعلقون بسبب وأنه منزه عن باطلهم ، وأن الذى ادعوه إليـه باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون أحدا من أهل بيوتات

على بن أبى طالب توقف عن إطلاق القول فى أنهم خوارج كذبة ، وقد كان هذا الانكار لباطلهم شائعا فى الحرمين ، وفى أول أمرهم بالمغرب منتشراً انتشاراً يمنع أن يدلس أمرهم على أحد ، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه ، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار ، ملحدون زنادقة ، معطلون ، وللاسلام جاحدون ، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون ، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء ، وسبُّوا الأنبياء ، ولعنوا السلف ، وادعوا الربوبية . وكتب فى سنة اثنتين وأربعمائة ، وقد كتب خطه فى المحضر خلق كثير ، فمن العلويين : المرتضى والرضى وابن الأزرق الموسوى ، وأبو طاهر بن أبى الطيب ، ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبى يعلى . ومن القضاة أبو محمد بن الاكفانى وأبو القاسم الجزرى ، وأبو العباس بن الشيورى . ومن الفقهاء أبو حامد الاسفراييني وأبو محمد بن الكسفلى ، وأبو الحسن القدورى ، وأبو عبد الله الصيمرى ، وأبو عبد الله البيضاوى ، وأبو على بن حمكان . ومن الشهود أبو القاسم التنوخى فى كثير منهم ، وكتب فيه خلق كثير . هذه عبارة أبى الفرج ابن الجوزى .

قلت : ومما يدل على أن هؤلاء أدعياء كذبة ، كما ذكر هولاء السادة العلماء ، والأئمة الفضلاء ، وأنهم لا نسب لهم إلى على بن أبى طالب ، ولا إلى فاطمة كما يزعمون ، قول ابن عمر للحسين بن على حين أراد الذهاب إلى العراق ، وذلك حين كتب عوام أهل الكوفة بالبيعة إليه فقال له ابن عمر : لا تذهب إليهم فانى أخاف عليك أن تقتل ، وإن جدك قد خيرٌ بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا ، وأنت بضعة منه ، وإنه والله لا تنالها لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهل بيتك . فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول ، من هذا الصحابى الجليل ، يقتضى أنه لا يلى الخلافة أحد من أهل البيت إلا محمد بن عبد الله المهدى الذى يكون فى آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم ، رغبة بهم عن الدنيا ، وأن لا يدنسوا بها . ومعلوم أن هؤلاء قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة ، فدل ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت ، كما نص عليه سادة الفقهاء . وقد صنف القاضى الباقلانى كتابا فى الرد على هؤلاء وسماه « كشف الأسرار وهتك الاستار » بين فيه فضائحهم وقبائحهم ، ووضح أمرهم لكل أحد ، ووضوح أمرهم ينبىء عن مطاوى أفعالهم ، وأقوالهم ، وقد كان الباقلانى يقول فى عبارته عنهم : هم قوم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض . والله سبحانه أعلم .

وفى رجب وشعبان ورمضان أجرى الوزير فخر الملك صدقات كثيرة على الفقراء والمساكين والمقيمين بالمشاهد والمساجد وغير ذلك ، وزار بنفسه المساجد والمشاهد ، وأخرج خلقا من المحبوسين وأظهر نسكا كثيرا ، وعمر داراً عظيمة عند سوق الدقيق . وفى شوال عصفت ريح شديدة فقصفت كثيرا من النخل وغيره ، أكثر من عشرة آلاف نخلة ، وورد كتاب من يمين الدولة محمود بن

سبكتكين صاحب غزنة بأنه ركب بجيشه إلى أرض العدو فجازوا بمفازة فأعوزهم الماء حتى كادوا يهلكون عن آخرهم عطشا ، فبعث الله لهم سحابة فأمطرت عليهم حتى شربوا وسقوا واستقوا ، ثم تواقفوا هم وعدوهم ، ومع عدوهم نحو من ستمائة فيل ، فهزموا العدو وغنموا شيئا كثيرا من الأموال ولله الحمد . وفيها عملت الشيعة بدعتهم التى كانوا يعملونها يوم غدير خم ، وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة ، وزينت الحوانيت وتمكنوا بسبب الوزير وكثير من الأتراك تمكنا كثيراً .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ الحسن بن الحسن بن على بن العباس ﴾

ابن نوبخت أبو محمد النوبختى ، ولد سنة عشرين وثلثمائة ، وروى عن المحاملى وغيره ، وعنه البرقانى وقال كان شيعياً معتزليا ، إلا أنه تبين لى أنه كان صدوقا ، وروى عنه الأزهرى وقال : كان رافضياً ، ردئ المذهب . وقال العقيقى : كان فقيرا فى الحديث ، ويذهب إلى الاعتزال والله أعلم .

﴿ عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلانى ﴾

أحد الزهاد الكبار المشهورين ، كانت له نخلات يأكل منها ويعمل بيده فى البوارى ، ويأكل من ذلك ، وكان فى غاية الزهادة والعبادة الكثيرة ، وكان لا يخرج من مسجده إلا من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة ، لاجل صلاة الجمعة ثم يعود إلى مسجده ، وكان لا يجد شيئا يشعله فى مسجده ، فسأله بعض الأمراء أن يقبل شيئا ولو زيتا يشعله فى قناديل مسجده ، فأبى الشيخ ذلك ، ولهذا وأمثاله لما مات رأى بعضهم بعض الأموات من جيرانه فى القبور فسأله عن جواره فقال : وأين هو ، لما مات ووضع فى قبره سمعنا قائلا يقول : إلى الفردوس الأعلى ، إلى الفردوس الأعلى . أو كما قال : توفى فى رجب منها عن ستة وثمانين سنة

﴿ محمد بن جعفر بن محمد ﴾

ابن هارون بن فروة بن ناجية ، أبو الحسن النحوى ، المعروف بابن النجار التميمى الكوفى ، قدم بغداد وروى عن ابن دريد والصولى ونفطويه وغيرهم ، توفى فى جمادى الأولى منها عن سبع وسبعين سنة

﴿ أبو الطيب سهل بن محمد ﴾

الصعلوكى النيسابورى ، قال أبو يعلى الخليلى : توفى فيها ، وقد ترجمناه فى سنة سبع وثمانين وثلثمائة

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة ﴾

فى سادس عشر محرمها قلد الشريف الرضى أبو الحسن الموسوى نقابة الطالبيين فى سائر الممالك وقرىء تقليده فى دار الوزير فخر الملك ، بمحضر الأعيان ، وخلع عليه السواد ، وهو أول طالبى خلع عليه السواد . وفيها جئ بأمير بنى خفاجة أبو قلنبة قبحه الله وجماعة من رؤس قومه أسارى ، وكانوا قد اعترضوا للحجاج فى السنة التى قبلها وهم راجعون ، وغوروا المناهل التى يردها الحجاج ، ووضعوا فيها الحنظل بحيث إنه مات من الحجاج من العطش نحو من خمسة عشر ألفا ، وأخذوا

بقيتهم فجعلوهم رعاة لدوابهم فى أسوأ حال ، وأخذوا جميع ما كان معهم ، فحين حضروا عنددار الوزير سجنهم ومنعهم الماء ، ثم صلبهم يرون صفاء الماء ولا يقدرون على شئ منه ، حتى ماتوا عطشا جزاء وفاقا ، وقد أحسن فى هذا الصنع اقتداء بحديث أنس فى الصحيحين . ثم بعث إلى أولئك الذين اعتقلوا فى بلاد بنى خفاجة من الحجاج فجئ بهم ، وقد تزوجت نساؤهم وقسمت أموالهم ، فردوا إلى أهاليهم وأموالهم . قال ابن الجوزى : وفى رمضان منها انقضّ كوكب من المشرق إلى المغرب عليه ضوء على ضوء القمر ، وتقطع قطعاً و بقى ساعة طويلة . قال : وفى شوال توفيت زوجة بعض رؤساء النصارى ، فخرجت النوائح والصلبان معها جهاراً ، فأنكر ذلك بعض الهاشميين فضربه بعض غلمان ذلك الرئيس النصرانى بدبوس فى رأسه فشجه ، فثار المسلمون بهم فانهزموا حتى لجأوا إلى كنيسة لهم هناك ، فدخلت العامة إليها فنهبوا ما فيها ، وما قرب منها من دور النصارى ، وتتبعوا النصارى فى البلد ، وقصدوا الناصح وابن أبى إسرائيل فقاتلهم غلمانهم ، وانتشرت الفتنة ببغداد ، ورفع المسلمون المصاحف فى الأسواق ، وعطلت الجمع فى بعض الأيام ، واستعانوا بالخليفة ، فأمر باحضار ابن أبى إسرائيل فامتنع ، فعزم الخليفة على الخروج من بغداد ، وقويت الفتنة جدا ونهبت دور كثير من النصارى ، ثم احضر ابن أبى إسرائيل فبذل أموالا جزيلة ، فعفى عنه وسكنت الفتنة . وفى ذى القعدة ورد كتاب يمين الدولة محمود إلى الخليفة يذكر أنه ورد إليه رسول من الحاكم صاحب مصر ومعه كتاب يدعوه إلى طاعته فبصق فيه وأمر بتحريقه ، وأسمع رسوله غليظ ما يقال . وفيها قلد أبو نصر بن مروان الكردى آمد وميافارقين وديار بكر ، وخلع عليه طوق وسواران ، ولقب بناصر الدولة ، ولم يتمكن ركب العراق وخراسان من الذهاب إلى الحج لفساد الطريق ، وغيبة فخر الملك فى إصلاح الأراضى .

وفيها عادت مملكة الأمويين ببلاد الأندلس فتولى فيها سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموى ، ولقب بالمستعين بالله ، وبايعه الناس بقرطبة . وفيها مات بهاء الدولة بن بويه الديلمى صاحب بغداد وغيرها ، وقام بالأمر من بعده ولده سلطان الدولة أبو شجاع . وفيها مات ملك الترك الأعظم واسمه إيلك الخان ، وتولى مكانه أخوه طغان خان . وفيها هلك شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، أدخل بيتا باردا فى الشتاء وليس عليه ثياب حتى مات كذلك ، وولى الأمر من بعده منوجهر ، ولقب فلك المعالى ، وخطب لمحمود بن سبكتكين ، وقد كان شمس المعالى قابوس عالما فاضلا أديبا شاعرا ، فمن شعره قوله :

قل للذى بصروف الدهر عيّرنا * هل عاند الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر يطفو فوقه جيف * ويستقر بأقصى قعره الدرر

فان تكن نشبت أيدى الخطوب بنا * ومسنا من توالى صرفها ضرر
ففى السماء نجوم غير ذى عدد * وليس يكسف إلا الشمس والقمر

ومن مستجاد شعره قوله :

خطرات ذكرك تستثير مودتى * فأحس منها فى الفؤاد دبيبا
لا عضو لى إلا وفيه صبابة * وكأن أعضائى خلقن قلوبا

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن على أبو الحسن الليثى ﴾

كان يكتب للقادر وهو بالبطيحة ، ثم كتب له على ديوان الخراج والبريد ، وكان يحفظ القرآن حفظا حسنا ، مليح الصوت والتلاوة ، حسن المجالسة ، ظريف المعانى ، كثير الضحك والمجانة ، خرج فى بعض الأيام هو والشريفان الرضى والمرتضى وجماعة من الأكابر لتلقى بعض الملوك ، فخرج بعض اللصوص فجعلوا يرمونهم بالحراقات ويقولون : يا أزواج القحاب ، فقال الليثى : ما خرج هؤلاء علينا إلا بعين ، فقالوا : ومن أين علمت هذا ؟ فقال . وإلا من أين علموا أنا أزواج قحاب .

﴿ الحسن بن حامد بن على بن مروان ﴾

الوراق الحنبلى ، كان مدرس أصحاب أحمد وفقيههم فى زمانه ، وله المصنفات المشهورة ، منها كتاب الجامع فى اختلاف العلماء فى أربعمائة جزء ، وله فى أصول الفقه والدين ، وعليه اشتغل أبو يعلى بن الفراء ، وكان معظما فى النفوس ، مقدما عند السلطان ، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه من النسج ، وروى الحديث عن أبى بكر الشافعى ، وابن مالك القطيعى ، وغيرهما ، وخرج فى هذه السنة إلى الحج فلما عطش الناس فى الطريق استند هو إلى حجر هناك فى الحر الشديد ، فجاءه رجل بقليل من ماء فقال له ابن حامد : من أين لك ؟ فقال : ما هذا وقت سؤالك اشرب ، فقال : بلى هذا وقته عند لقاء الله عز وجل ، فلم يشرب ومات من فوره رحمه الله .

﴿ الحسين بن الحسن ﴾

ابن محمد بن حليم ، أبو عبد الله الحليمى ، صاحب المنهاج فى أصول الديانة ، كان أحد مشايخ الشافعية ، ولد بجرجان وحمل إلى بخارى ، وسمع الحديث الكثير حتى انتهت إليه رياسة المحدثين فى عصره ، وولى القضاء ببخارى . قال ابن خلكان : انتهت إليه الرياسة فيما وراء النهر ، وله وجوه حسنة فى المذهب ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله .

﴿ فيروز أبو نصر ﴾

الملقب ببهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمى ، صاحب بغداد وغيرها ، وهو الذى قبض على الطائع وولى القادر ، وكان يحب المصادرات فجمع من الأموال مالم يجمعه أحد قبله من بنى بويه ،

وكان بخيلا جدا ، توفى بأرّجان فى جمادى الآخرة منها عن ثنتين وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وكان مرضه بالصرع ، ودفن بالمشهد إلى جانب أبيه .

﴿ قابوس بن وشمكير ﴾

كان أهل دولته قد تغيروا عليه فبايعوا ابنه منوجهر وقتلوه كما ذكرنا ، وكان قد نظر فى النجوم فرأى أن ولده يقتله ، وكان يتوهم أنه ولده دارا ، لمـا يرى من مخالفته له ، ولا يخطر بباله منوجهر لمـا يرى من طاعته له ، فكان هلاكه على يد منوجهر ، وقد قدمنا شيئا من شعره فى الحوادث .

﴿ القاضى أبو بكر الباقلانى ﴾

محمد بن الطيب أبو بكر الباقلانى ، رأس المتكلمين على منهب الشافعى ، وهو من أكثر الناس كلاماً وتصنيفا فى الكلام ، يقال إنه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة من مدة طويلة من عمره ، فانتشرت عنه تصانيف كثيرة ، منها التبصرة ، ودقائق الحقائق ، والتمهيد فى أصول الفقه ، وشرح الابانة ، وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار ، ومن أحسنها كتابه فى الرد على الباطنية ، الذى سماه كشف الأسرار وهتك الأستار ، وقد اختلفوا فى مذهبه فى الفروع : فقيل شافعى وقيل مالكى ، حكى ذلك عنه أبو ذر الهروى ، وقيل إنه كان يكتب على الفتاوى : كتبه محمد بن الطيب الحنبلى ، وهذا غريب جدا ، وقد كان فى غاية الذكاء والفطنة ، ذكر الخطيب وغيره عنه أن عضد الدولة بعثه فى رسالة إلى ملك الروم ، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل عليه أحد إلا من باب قصير كهيئة الراكع ، ففهم الباقلانى أن مراده أن ينحنى الداخل عليه له كهيئة الراكع لله عز وجل ، فدار إسته إلى الملك ودخل الباب بظهره يمشى إليه القهقرا ، فلما وصل إليه انفتل فسلم عليه ، فعرف الملك ذكاءه ومكانه من العلم والفهم ، فعظمه . ويقال إن الملك أحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل ، ليستفز عقله بها ، فلما سمعها الباقلانى خاف على نفسه أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك ، فجعل لا يألو جهدا أن جرح رجله حتى خرج منها الدم الكثير ، فاشتغل بالألم عن الطرب ، ولم يظهر عليه شئ من النقص والخفة ، فعجب الملك من ذلك ، ثم إن الملك استكشف الأمر فاذا هو قد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب ، فتحقق الملك وفور همته وعلو عزيمته ، فأن هذه الآلة لا يسمعها أحد إلا طرب شاء أم أبى . وقد سأله بعض الأساقفة بحضرة ملكهم فقال : ما فعلت زوجة نبيكم ؟ وما كان من أمرها بما رميت به من الافك ؟ فقال الباقلانى مجيبا له على البديهة : هما امرأتان ذكرتا بسوء : مريم وعائشة ، فبرأهما الله عز وجل ، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد ، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج ـ يعنى أن عائشة أولى بالبراءة من مريم ـ وكلاهما بريئة ممـا قيل فيها ، فان تطرق فى الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع ، وهما بحمد الله منزهتان مبرأتان من السماء بوحى الله عز وجل ، عليهما السلام .

وقد سمع الباقلاني الحديث من أبي بكر بن مالك القطيعي وأبي محمد بن ماسي وغيرهما ، وقد قبله الدارقطني يوماً وقال : هذا يرد على أهل الأهواء باطلهم ، ودعا له . وكانت وفاته يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة ، ودفن بداره ثم نقل إلى مقبرة باب حرب .

﴿ محمد بن موسى بن محمد ﴾

أبو بكر الخوارزمي شيخ الحنفية وفقيههم ، أخذ العلم عن أحمد بن على الرازي ، وانتهت إليه رياسة الحنفية ببغداد ، وكان معظما عند الملوك ، ومن تلامذة الرضي والصيمري ، وقد سمع الحديث من أبي بكر الشافعي وغيره ، وكان ثقة دينا حسن الصلاة على طريقة السلف ، ويقول في الاعتقاد : ديننا دين العجائز ، لسنا من الكلام في شئ ، وكان فصيحا حسن التدريس ، دعي إلى ولاية القضاء غير مرة فلم يقبل ، توفي ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة ، ودفن بداره من درب عبده .

﴿ الحافظ أبو الحسن على بن محمد بن خلف ﴾

العامري القابسي مصنف التلخيص ، أصله قرويني وإنما غلب عليه القابسي لأن عمه كان يتعمم قابسية ، فقيل لهم ذلك ، وقد كان حافظا بارعا في علم الحديث ، رجلا صالحا جليل القدر ، ولما توفي في ربيع الآخر من هذه السنة عكف الناس على قبره ليالي يقرؤن القرآن ويدعون له ، وجاء الشعراء من كل أوب يرثون ويترحمون ، ولما أجلس للمناظرة أنشد لغيره :

لعمر أبيك ما نسب المعلى * إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اقشعرت * وصوح نبتها رعي الهشيم

ثم بكى وأبكى ، وجعل يقول : أنا الهشيم أنا الهشيم . رحمه الله .

﴿ الحافظ بن الفرضي ﴾

أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الفرضي ، قاضي بكنسية ، سمع الكثير وجمع وصنف التاريخ ، وفي المؤتلف والمختلف ، ومشتبه النسبة وغير ذلك ، وكان علامة زمانه ، قتل شهيدا على يد البربر فسمعوه وهو جريح طريح يقرأ على نفسه الحديث الذي في الصحيح « ما يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » . وقد كان سأل الله الشهادة عند أستار الكعبة فأعطاه إياها ، ومن شعره قوله :

أسير الخطايا عند بابك واقف * على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيها * ويرجوك فيها وهو راج وخائف
ومن ذا الذي يرجى سواك ويتقى * ومالك في فصل القضاء مخالف
فياسيدي لا تخزني في صحيفتي * إذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عند ما * يصد ذوو القربى ويجفو المؤالف

لئن ضاق عني عفوك الواسع الذى * أرجّى لاسرافى فانى تالف

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة ﴾

فى يوم الخميس غرة ربيع الأول منها جلس الخليفة القادر فى أبهة الخلافة وأحضر بين يديه سلطان الدولة والحجبة ، فخلع عليه سبع خلع على العادة ، وعممه بعمامة سوداء ، وقلد سيفا وتاجاً مرصعاً ، وسوارين وطوقا ، وعقد له لواءين بيده ، ثم أعطاه سيفا وقال للخادم : قلده به ، فهو شرف له ولعقبه ، يفتح شرق الأرض وغربها ، وكان ذلك يوما مشهودا ، حضره القضاة والأمراء والوزراء . وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند ففتح وقتل وسبى وغنم ، وسلم ، وكتب إلى الخليفة أن يوليه ما بيده من مملكة خراسان وغيرها من البلاد ، فأجابه إلى ما سأل . وفيها عاثت بنو خفاجة ببلاد الكوفة فبرز إليهم نائبها أبو الحسن بن مزيد فقتل منهم خلقا وأسر محمد بن يمان وجماعة من رؤسهم ، وانهزم الباقون ، فأرسل الله عليهم ريحا حارة فأهلك منهم خمسمائة إنسان . وحج بالناس أبو الحسن محمد بن الحسن الأفساسى .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ الحسن بن أحمد ﴾

ابن جعفر بن عبد الله المعروف بابن البغدادى ، سمع الحديث ، وكان زاهدا عابدا كثير المجاهدة ، لا ينام إلا عن غلبة ، وكان لا يدخل الحمام ولا يغسل ثيابه إلا بماء ، وجده الحسين بن عثمان بن على أبو عبد الله المقرى الضرير المجاهدى ، قرأ على ابن مجاهد القرآن وهو صغير ، وكان آخر من بقى من أصحابه ، توفى فى جمادى الأولى منها ، وقد جاوز المائة سنة ، ودفن فى مقابر الزرادين .

﴿ على بن سعيد الاصطخرى ﴾

أحد شيوخ المعتزلة ، صنف للقادر بالله الرد على الباطنية فأجرى عليه جراية سنية ، وكان يسكن درب رباح ، توفى فى شوال وقد جاوز الثمانين .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة ﴾

فيها منع الحاكم صاحب مصر النساء من الخروج من منازلهم ، أو أن يطلعن من الأسطحة أو من الطاقات ، ومنع الخفافين من عمل الخفاف لهن ، ومنعهن من الخروج إلى الحمامات ، وقتل خلقا من النساء على مخالفته فى ذلك ، وهدم بعض الحمامات عليهن ، وجهز نساء عجائز كثيرة يستعلمن أحوال النساء لمن يعشقن أو يعشقهن ، بأسمائهن وأسماء من يتعرض لهن ، فمن وجدنهن كذلك أطفأها وأهلكها ، ثم إنه أكثر من الدوران بنفسه ليلا ونهاراً فى البلد ، فى طلب ذلك ، وغرق خلقا من الرجال والنساء والصبيان ممن يطلع على فسقهم ، فضاق الحال واشتد على النساء ، وعلى الفساق ذلك ، ولم يتمكن أحد منهن أن يصل إلى أحد إلا نادراً ، حتى أن امرأة كانت عاشقة لرجل عشقا قويا كادت أن تهلك بسببه ، لما حيل بينها وبينه ، فوقفت لقاضى القضاة وهو مالك بن سعد الفارقى وحلفته بحق

الحاكم لما وقف لها واستمع كلامها ، ، فرحمها فوقف لها فبكت إليه بكاء شديدا مكرا وحيلة وخداعا ، وقالت له : أيها القاضى إن لى أخا ليس لى غيره ، وهو فى السياق وإنى أسألك بحق الحاكم عليك لما أوصلتنى إلى منزله ، لأنظر إليه قبل أن يفارق الدنيا ، وأجرُك على الله . فرق لها القاضى رقة شديدة وأمر رجلين كانا معه يكونان معها حتى يبلغانها إلى المنزل الذى تريده ، فأغلقت بابها وأعطت المفتاح لجارتها ، وذهبت معهما حتى وصلت إلى منزل معشوقها ، فطرقت الباب ودخلت وقالت لهما : اذهبا هذا منزله فاذا رجل كانت تهواه وتحبه ويهواها ويحبها ، فقال لها : كيف قدرت على الوصول إلىّ ؟ فأخبرته بما احتالت به من الحيلة على القاضى ، فأعجبه ذلك من مكرها وحيلتها ، وجاء زوجها من آخر النهار فوجد بابه مغلقا وليس فى بيته أحد ، فسأل الجيران عن أمرها فذكرت له جارتها ماصنعت فاستغاث على القاضى وذهب إليه وقال له : ما أريد امرأتى إلا منك الساعة ، وإلا عرّفت الحاكم ، فان امرأتى ليس لها أخ بالكلية ، وإنما ذهبت إلى معشوقها ، فخاف القاضى من معرّة هذا الأمر ، فركب إلى الحاكم وبكى بين يديه ، فسأله عن شأنه فأخبره بما اتفق له من الأمر مع المرأة ، فأرسل الحاكم مع ذينك الرجلين من يحضر المرأة والرجل جميعا على أى حال كانا عليه ، فوجدهما متعانقين سكارى ، فسألهما الحاكم عن أمرهما فأخذا يعتذران بما لا يجدى شيئا ، فأمر بتحريق المرأة فى بادية وضرب الرجلَ ضربا مبرحاً حتى أتلفه ، ثم ازداد احتياطا وشدة على النساء حتى جعلهن فى أضيق من جحر ضب ، ولا زال هذا دأبه حتى مات . ذكره ابن الجوزى .

وفى رجب منها ولى أبو الحسن أحمد بن أبى الشوارب قضاء الحضرة بعد موت أبى محمد الأكفانى . وفيها عمّر فخر الدولة مسجد الشرقية ونصب عليه الشبابيك من الحديد .

ومن توفى فيها من الأعيان

﴿ بكر بن شاذان بن بكر ﴾

أبو القاسم المقرى الواعظ ، سمع أبا بكر الشافعى ، وجعفر الخلدى ، وعنه الأزهرى والخلال ، وكان ثقة أمينا صالحا عابدا زاهدا ، له قيام ليل ، وكريم أخلاق . مات فيها عن نيف وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب

﴿ بدر بن حسنويه بن الحسين ﴾

أبو النجم الكردى ، كان من خيار الملوك بناحية الدينور وهمدان ، وله سياسة وصدقة كثيرة ، كنّاه القادر بأبى النجم ، ولقبه ناصر الدولة ، وعقد له لواء وأنفذه إليه ، وكانت معاملاته وبلاده فى غاية الأمن والطيبة ، بحيث إذا أعيى جمل أحد من المسافرين أودابته عن حمله يتركها بما عليها فى البرية فيرد عليه ، ولو بعد حين لاينقص منه شئ ، ولما عاثت أمراؤه فى الأرض فساداً عمل لهم ضيافة حسنة ، فقدمها إليهم ولم يأتهم بخبز ، فجلسوا ينتظرون الخبز ، فلما استبطاؤه سألوا عنه فقال لهم : إذا كنتم تهلكون الحرث وتظلمون الزراع ، فمن أين تؤتون بخبز ؟ ثم قال لهم : لا أسمع بأحد أفسد فى الأرض بعد اليوم إلا أرقت دمه . واجتاز مرة فى بعض أسفاره برجل قد حمل حزمة حطب وهو

يبكي فقال له : مالك تبكي؟ فقال : إني كان معي رغيفان أريد أن أتقوتهما فأخذهما مني بعض الجند ، فقال : له أتعرفه إذا رأيته ؟ قال : نعم ، فوقف به في موضع مضيق حتى مر عليه ذلك الرجل الذي أخذ رغيفيه ، قال : هذا هو ، فأمر به أن ينزل عن فرسه وأن يحمل حزمته التي احتطبها حتى يبلغ بها إلى المدينة ، فأراد أن يفتدي من ذلك بمال جزيل فلم يقبل منه ، حتى تأدب به الجيش كلهم .
وكان يصرف كل جمعة عشرين ألف درهم على الفقراء والأرامل ، وفي كل شهر عشرين ألف درهم في تكفين الموتى ، ويصرف في كل سنة ألف دينار إلى عشرين نفسا يحجون عن والدته ، وعن عضد الدولة ، لأنه كان السبب في تمليكه ، وثلاثة آلاف دينار في كل سنة إلى الحدادين والحذائين لأجل المنقطعين من همذان وبغداد ، يصلحون الأحذية ونعال دوابهم ، ويصرف في كل سنة مائة ألف دينار إلى الحرمين صدقة على المجاورين ، وعمارة المصانع ، وإصلاح المياه في طريق الحجاز ، وحفر الآبار . وما اجتاز في طريقه وأسفاره بماء إلا بنى عنده قرية ، وعمّر في أيامه من المساجد والخانات ما ينيف على ألفي مسجد وخان ، هذا كله خارجاً عما يصرف من ديوانه من الجرايات ، والنفقات والصدقات ، والبر والصلات ، على أصناف الناس ، من الفقهاء والقضاة ، والمؤذنين والأشراف ، والشهود والفقراء ، والمساكين والأيتام والأرامل . وكان مع هذا كثير الصلاة والذكر وكان له من الدواب المربوطة في سبيل الله وفي الحشر ما ينيف على عشرين ألف دابة . توفي في هذه السنة رحمه الله عن نيف وثمانين سنة ، ودفن في مشهد علي ، وترك من الأموال أربعة عشر ألف بدرة ، ونيفا وأربعين بدرة ، البدرة عشرة آلاف ، رحمه الله .

﴿ الحسن بن الحسين بن حمكان ﴾

أبو علي الهمداني ، أحد الفقهاء الشافعية ببغداد ، عني أولا بالحديث فسمع منه أبو حامد المروزي وروى عنه الأزهري ، وقال : كان ضعيفا ليس بشيء في الحديث .

﴿ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم ﴾

أبو محمد الأسدي المعروف بابن الأكفاني ، قاضي قضاة بغداد ، ولد سنة ست عشرة وثلثمائة وروى عن القاضي المحاملي ، ومحمد بن خلف ، وابن عقدة وغيرهم ، وعنه البرقاني والتنوخي ، يقال إنه أنفق على طلب العلم مائة ألف دينار ، وكان عفيفا نزها ، صين العرض . توفي في هذه السنة عن خمس وثمانين سنة ، ولي الحكم منها أربعين سنة نيابة واستقلالا ، رحمه الله .

﴿ عبد الرحمن بن محمد ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن إدريس بن سعد ، الحافظ الاستراباذي المعروف بالإدريسي ، رحل في طلب العلم والحديث ، وعني به وسمع الأصم وغيره ، وسكن سمرقند ، وصنف لها تاريخا وعرضه على الدارقطني فاستحسنه ، وحدث ببغداد فسمع منه الأزهري والتنوخي ، وكان ثقة حافظا .

﴿ أبو نصر عبد العزيز بن عمر ﴾

ابن أحمد بن نباتة الشاعر المشهور، امتدح سيف الدولة بن حمدان، أظنه أخو الخطيب ابن نباتة أوغيره، وهو القائل البيت المطروق المشهور:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تنوعت الأسباب والموت واحد

﴿ عبد العزيز بن عمر بن محمد بن نباتة ﴾ أبو نصر السعدى الشاعر وشعره موقوف ومن شعره قوله:

وإذا عجزت عن العدو فداره * وامزج له إن المزاج وفاق

كالماء بالنار الذى هو ضدها * يعطى النضاج وطبعها الاحراق

توفى فيها ﴿ عبد الغفار بن عبد الرحمن ﴾ أبو بكر الدينورى الفقيه السفيانى، وهو آخر من كان يفتى بمذهب سفيان الثورى ببغداد، فى جامع المنصور، وكان إليه النظر فى الجامع والقيام بأمره. توفى فيها ودفن خلف جامع الحاكم. ﴿ الحاكم النيسابورى ﴾ صاحب المستدرك، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه، بن نعيم بن الحكم، أبو عبد الله الحاكم الضبى الحافظ، ويعرف بابن البيع، من أهل نيسابور، وكان من أهل العلم والحفظ والحديث، ولد سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، وأول سماعه من سنة ثلاثين وثلثمائة، سمع الكثير وطاف الآفاق، وصنف الكتب الكبار والصغار، فمنها المستدرك على الصحيحين، وعلوم الحديث والاكليل وتاريخ نيسابور، وقد روى عن خلق، ومن مشايخه الدارقطنى وابن أبى الفوارس وغيرهما، وقدكان من أهل الدين والأمانة والصيانة، والضبط، والتجرد، والورع، لكن قال الخطيب البغدادى: كان ابن البيع يميل إلى التشيع، فحدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأرموى، قال: جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخارى ومسلم، يلزمهما إخراجها فى صحيحيهما، فمنها حديث الطير، « ومن كنت مولاه فعلى مولاه »، فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا إلى قوله ولاموه فى فعله. وقال محمد بن طاهر المقدسى: قال الحاكم: حديث الطير لم يخرج فى الصحيح وهو صحيح، قال ابن طاهر: بل موضوع لا يروى إلا عن أسقاط أهل الكوفة من المجاهيل، عن أنس؛ فان كان الحاكم لا يعرف هذا فهو جاهل، وإلا فهو معاند كذاب. وقال أبو عبد الرحمن السلمى: دخلت على الحاكم وهو مختف من الكرامية لا يستطيع أن يخرج منهم، فقلت له: لو خرجت حديثا فى فضائل معاوية لاسترحت مما أنت فيه، فقال: لا يجئ من قبلى، لا يجئ من قبلى. توفى فيها عن أربع وثمانين سنة.

﴿ ابن كج ﴾ هو يوسف بن أحمد بن كج أبو القاسم القاضى، أحد أئمة الشافعية، وله فى المذهب وجوه غريبة وكانت له نعمة عظيمة جدا، وولى القضاء بالدينور لبدر بن حسنويه فلما تغيرت البلاد بعد موت بدر وثب عليه جماعة من العيارين فقتلوه ليلة سبع وعشرين من رمضان من هذه السنة.

(تم الجزء الحادى عشر من البداية والنهاية ويليه الجزء الثانى عشر وأوله سنة ست وأربعمائة وبالله التوفيق)

فهرس الجزء الحادى عشر من البداية والنهاية

﴿ تم الفهرس ﴾

البداية والنهاية

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الثاني عشر

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر



﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعمائة ﴾

فى يوم الثلاثاء مستهل المحرم منها وقعت فتنة بين أهل السنة والروافض ، ثم سكّن الفتنة الوزير فخر الملك على أن تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشوراء من تعليق المسوح والنوح . وفى هذا الشهر ورد الخبر بوقوع وباء شديد فى البصرة أعجز الحفارين ، والناس عن دفن موتاهم ، وأنه أظلت البلد سحابة فى حزيران . فامطرتهم مطرا شديدا . وفى يوم السبت ثالث صفر تولى المرتضى نقابة الطالبيين والمظالم والحج ، وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضى ، وقرئ تقليده بحضرة الأعيان ، وكان يوماً مشهودا . وفيها ورد الخبر عن الحجاج بأنه هلك منهم بسبب العطش أربعة عشر ألفا ، وسلم ستة آلاف ، وأنهم شربوا بول الابل من العطش . وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند فأخذه الادلاء فسلكوا به على بلاد غريبة فانتهوا إلى أرض قد غمرها الماء من البحر فخاض بنفسه الماء أياما وخاض الجيش حتى خلصوا بعد ما غرق كثير من جيشه ، وعاد إلى خراسان بعد جهد جهيد . ولم يحج فيها من العراق ركب لفساد البلاد من الاعراب .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ الشيخ أبو حامد الاسفرايني ﴾

إمام الشافعية ، أحمد بن محمد بن أحمد إمام الشافعية فى زمانه ، ولد فى سنة أربع وأربعين وثلثمائة وقدم بغداد وهو صغير سنة ثلاث أو أربع وستين وثلثمائة ، فدرس الفقه على أبى الحسن ابن المرزبان ، ثم على أبى القاسم الداركى ، ولم يزل تترقى به الأحوال حتى صارت إليه رياسة

الشافعية ، وعظم جاهه عند السلطان والعوام ، وكان فقيها إماماً ، جليلا نبيلاً ، شرح المزنى فى تعليقة حافلة نحواً من خمسين مجلداً ، وله تعليقة أخرى فى أصول الفقه ، وروى عن الاسماعيلى وغيره . قال الخطيب : ورأيته غير مرة وحضرت تدريسه بمسجد عبد الله بن المبارك ، فى صدر قطيعة الربيع ، وحدثنا عنه الأزجى والخلال ، وسمعت من يذكر أنه كان يحضر تدريسه سبعمائة متفقه ، وكان الناس يقولون : لو رآه الشافعى لفرح به . وقال أبو الحسن القدورى : ما رأيت فى الشافعية أفقه من أبى حامد ، وقد ذكرت ترجمته مستقصاة فى طبقات الشافعية : وذكر ابن خلكان أن القدورى قال : هو أفقه وأنظر من الشافعى . قال الشيخ أبو إسحاق : ليس هذا مسلما إلى القدورى فان أبا حامد وأمثاله بالنسبة إلى الشافعى كما قال الشاعر :

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل * ونزلت بالبيداء أبعد منزل

قال ابن خلكان : وله مصنفات : التعليقة الكبرى ، وله كتاب البستان ، وهو صغير فيه غرائب قال وقد اعترض عليه بعض الفقهاء فى بعض المناظرات فأنشأ الشيخ أبو حامد يقول :

جفاء جرى جهرا لدى الناس وانبسط * وعذر أتى سراً فأكد ما فرط

ومن ظن أن يمحو جلى جفائه * خفى اعتذار فهو فى أعظم الغلط

توفى ليلة السبت لاحدى عشرة بقيت من شوال منها ، ودفن بداره بعدما صلى عليه بالصحراء وكان الجمع كثيرا والبكاء غزيراً ، ثم نقل إلى مقبرة باب حرب فى سنة عشر وأربعمائة . قال ابن الجوزى : وبلغ من العمر إحدى وستين سنة وأشهراً .

﴿ أبو أحمد الفرضى ﴾

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن على بن مهران ، أبو مسلم الفرضى المقرى . سمع المحاملى ويوسف ابن يعقوب ، وحضر مجلس أبى بكر بن الأنبارى ، وكان إماماً ثقة ، ورعا وقوراً ، كثير الخير ، يقرأ القرآن كثيرا ، ثم سمع الحديث ، وكان إذا قدم على الشيخ أبى حامد الاسفرايني ، نهض إليه حافيا فتلقاه إلى باب المسجد ، توفى وقد جاوز الثمانين .

﴿ الشريف الرضى ﴾

محمد بن الطاهر أبو أحمد الحسين بن موسى أبو الحسن العلوى لقبه بهاء الدولة بالرضى ، ذى الحسبتين ، ولقب أخاه المرتضى ذى المجدين ، ولى نقابة الطالبيين ببغداد بعد أبيه ، وكان شاعرا مطبقا ، سخيا جوادا . وقال بعضهم : كان الشريف فى كثرة أشعاره أشعر قريش فمن شعره المستجاد قوله :

اشتر العز بما شئـ * ـت فما العز بغال

بالقصار إن شئـ * ـت أو بالسمر الطوال

ليس بالمغبون عقلا * من شرى عزاً بمال
إنما يذخر الما * ل لحاجات الرجال
والفتى من جعل الأموا * ل أثمان المعالى

وله أيضاً يا طائر البان غريدا على فنن * ما هاج نوحك لى يا طائر البان
هل أنت مبلغ من هام الفؤاد به * إن الطليق يؤدى حاجة العانى
جناية ما جناها غير متلفنا * يوم الوداع وواشوقى إلى الجانى
لولا تذكر أيام بذى سلم * وعند رامة أو طارى وأوطانى
لما قدحت بنار الوجد فى كبدى * ولا بللت بماء الدمع أجفانى

وقد نسب إلى الرضى قصيدة يتمنى فيها أن يكون عند الحاكم العبيدى ، ويذكر فيها أباه ويا ليته كان عنده ، حين يرى حاله ومنزلته عنده ، وأن الخليفة لما بلغه ذلك أراد أن يسيره إليه ليقضى أربه ويعلم الناس كيف حاله . قال فى هذه القصيدة :

ألبس الذل فى بلاد الأعاد * ى وبمصر الخليفة العلوى
وأبوه أبى ومولاه مولا * ى إذا ضامنى البعيد القصى

إلى آخرها ، فلما سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة انزعج وبعث إلى أبيه الموسوى يعاتبه ، فأرسل إلى ابنه الرضى فأنكر أن يكون قالها بالمرة ، والروافض من شأنهم التزوير . فقال له أبوه : فاذا لم تكن قلتها فقل أبياتا تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعى لانسب له ، فقال : إنى أخاف غائلة ذلك ، وأصر على أن لا يقول ما أمره به أبوه ، وترددت الرسائل من الخليفة إليهم فى ذلك ، وهم ينكرون ذلك حتى بعث الشيخ أبا حامد الاسفراينى والقاضى أبا بكر إليهما ، فحلف لهما بالايمان المؤكدة أنه ما قالها والله أعلم بحقيقة الحال . توفى فى خامس المحرم منها عن سبع وأربعين سنة ، وحضر جنازته الوزير والقضاة ، وصلى عليه الوزير ودفن بداره بمسجد الأنبارى ، وولى أخوه المرتضى ما كان يليه ، وزيد على ذلك أشياء ومناصب أخرى ، وقد رثى الرضى أخاه بمرثاة حسنة .

﴿ باديس بن منصور الحميرى ﴾

أبو المعز مناذر بن باديس[1] نائب الحاكم على بلاد إفريقية وابن نائبها ، لقبه الحاكم بنصير الدولة ، كان ذا همة وسطوة وحرمة وافرة ، كان إذا هز رمحا كسره ، توفى فجأة ليلة الأربعاء سلخ ذى القعدة منها ، ويقال إن بعض الصالحين دعى عليه تلك الليلة ، وقام فى الأمر بعده ولده المعز مناذر .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة ﴾

فى ربيع الأول منها ، احترق مشهد الحسين بن على [بكربلاء] وأروقته ، وكان سبب ذلك

---

(١) فى النجوم الزاهرة : المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميرى .

أن القومة اشعلوا شمعتين كبيرتين فمالتا فى الليل على التازير ، ونفذت النار منه إلى غيره حتى كان ما كان . وفى هذا الشهر أيضاً احترقت دار القطن ببغداد وأماكن كثيرة بباب البصرة ، واحترق جامع سامرا . وفيها ورد الخبر بتشعيث الركن اليمانى من المسجد الحرام ، وسقوط جدار بين يدى قبر الرسول ﷺ بالمدينة ، وأنه سقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس ، وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها . وفى هذه السنة قتلت الشيعة الذين ببلاد إفريقية ونهبت أموالهم ، ولم يترك منهم إلا من لا يعرف . وفيها كان ابتداء دولة العلويين ببلاد الأندلس ، وليها على بن حمود بن أبى العيس العلوى ، فدخل قرطبة فى المحرم منها ، وقتل سليمان بن الحكم الأموى ، وقتل أباه أيضا ، وكان شيخا صالحا ، وبايعه الناس وتلقب بالمتوكل على الله ، ثم قتل فى الحمام فى ثامن ذى القعدة منها عن ثمان وأربعين سنة ، وقام بالأمر من بعده أخوه القاسم بن حمود ، وتلقب بالمأمون ، فأقام فى الملك ست سنين ، ثم قام ابن أخيه يحيى بن ادريس ، ثم ملك الأمويون حتى ملك أمر المسلمين على بن يوسف ابن تاشفين . وفيها ملك محمود بن سبكتكين بلاد خوارزم بعد ملكها خوارزم شاه مأمون بن مأمون وفيها استوزر سلطان الدولة أبا الحسن على بن الفضل الرامهرمزى ، عوضا عن فخر الملك ، وخلع عليه . ولم يحج أحد فى هذه السنة من بلاد المغرب لفساد البلاد والطرقات .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن يوسف بن دوست ﴾

أبو عبد الله البزار ، أحد حفاظ الحديث ، وأحد الفقهاء على مذهب مالك ، كان يذكر بحضرة الدارقطنى ويتكلم على علم الحديث ، فيقال إن الدارقطنى تكلم فيه لذلك السبب ، وقد تكلم فى غيره بما لا يقدح فيه كبير شئ . قال الأزهرى : رأيت كتبه طرية ، وكان يذكر أن أصوله العتق غرقت ، وقد أملى الحديث من حفظه ، والمخلص وابن شاهين حيان موجودان . توفى فى رمضان عن أربع وثمانين سنة .

﴿ الوزير فخر الملك ﴾

محمد بن على بن خلف أبو غالب الوزير ، كان من أهل واسط ، وكان أبوه صيرفيا ، فتنقلت به الأحوال إلى أن وزر لبهاء الدولة ، وقد اقتنى أموالا جزيلة ، وبنى دارا عظيمة ، تعرف بالفخرية ، وكانت أولا للخليفة المتقى لله ، فأنفق عليها أموالا كثيرة ، وكان كريماً جواد ، كثير الصدقة ، كسى فى يوم واحد ألف فقير ، وكان كثير الصلاة أيضاً ، وهو أول من فرق الحلاوة ليلة النصف من شعبان ، وكان فيه ميل إلى التشيع ، وقد صادره سلطان الدولة بالأهواز ، وأخذ منه شيئا أزيد من ستمائة ألف دينار ، خارجا عن الاملاك والجواهر والمتاع ، قتله سلطان الدولة ، وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة وأشهراً وقيل إن سبب هلاكه أن رجلا قتله بعض غلمانه ، فاستعدت امرأة الرجل على الوزير هذا ، ورفعت إليه قصصتها ، وكل ذلك لا يلتفت إليها ، فقالت له ذات يوم : أيها الوزير

أرأيت القصص التى رفعتها إليك ، فلم تلتفت إليها قد رفعتها إلى الله عز وجل ، وأنا أنتظر التوقيع عليها ، فلما مسك قال قد والله خرج توقيع المرأة ، فكان من أمره ما كان ·

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة ﴾

فيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والروافض ببغداد ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين . وفيها ملك أبو المظفر بن خاقان بلاد ما وراء النهر وغيرها ، وتلقب بشرف الدولة ، وذلك بعد وفاة أخيه طغان خان ، وقد كان طغان خان هذا دينا فاضلا ، يحب أهل العلم والدين ، وقد غزا الترك مرة فقتل منهم مائتى ألف مقاتل ، وأسر منهم مائة ألف ، وغنم من أوانى الذهب والفضة ، وأوانى الصين شيئا لا يعهد لأحد مثله ، فلما مات ظهرت ملوك الترك على البلاد الشرقية . وفى جمادى الأولى منها ولى أبو الحسين أحمد بن مهذب الدولة على بن نصر بلاد البطائح بعد أبيه ، فقاتله ابن عمه فغلبه وقتله ، ثم لم تطل مدته فيها حتى قتل ، ثم آلت تلك البلاد بعد ذلك إلى سلطان الدولة صاحب بغداد ، وطمع فيهم العامة ، فنزلوا إلى واسط فقاتلوهم مع الترك . وفيها ولى نور الدولة أبو الأغر دبيس ابن أبى الحسن على بن مزيد بعد وفاة أبيه . وفيها قدم سلطان الدولة إلى بغداد ، وضرب الطبل فى أوقات الصلوات ، ولم تجر بذلك عادة ، وعقد عقده على بنت قرواش على صداق خمسين ألف دينار . ولم يحج أحد من أهل العراق لفساد البلاد ، وعيث الأعراب وضعف الدولة . قال ابن الجوزى فى المنتظم : أخبرنا سعد الله بن على البزار أنبأ أبو بكر الطريثيثى أنبأ هبة الله بن الحسن الطبرى . قال : وفى سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله الخليفة فقهاء المعتزلة ، فأظهروا الرجوع وتبرؤا من الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للاسلام ، وأخذت خطوطهم بذلك ، وأنهم متى خالفوا أحل فيهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم ، وامتثل محمود بن سبكتكين أمر أمير المؤمنين فى ذلك واستن بسننه فى أعماله التى استخلفه عليها من بلاد خراسان وغيرها ، فى قتل المعتزلة والرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة ، وصلبهم وحبسهم ونفاهم ، وأمر بلعنهم على المنابر ، وأبعد جميع طوائف أهل البدع ، ونفاهم عن ديارهم ، وصار ذلك سنة فى الاسلام . وفيها توفى من الأعيان الحاجب الكبير. ﴿ شباشى أبو نصر ﴾

مولى شرف الدولة ، ولقبه بهاء الدولة بالسعيد ، وكان كثير الصدقة والاوقاف على وجوه القربات فمن ذلك أنه وقف دباها على المارستان وكانت تغل شيئا كثيراً من الزروع والثمار والخراج وبنى قنطرة الخندق والمارستان والناصرية وغير ذلك ، ولما مات دفن بمقبرة الأمام أحمد وأوصى أن لايبنى عليه فخالفوه ، فعقدوا قبة عليه فسقطت بعد موته بنحو من سبعين سنة واجتمع نسوة عند قبره ينحن يبكين ، فلما رجعن رأت عجوز منهن ـ كانت هى المقدمة فيهن ـ فى المنام كأن تركيا خرج إليهن من

قبره ومعه دبوس فحمل عليهن وزجرهن عن ذلك ، وإذا هو الحاجب السعيد ، فانتبهت مذعورة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة ﴾

فى يوم الخميس السابع عشر من المحرم قرىء بدار الخلافة فى الموكب كتاب فى مذهب أهل السنة وفيه أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم . وفى النصف من جمادى الأولى منها قاض البحر المالح وتدانى إلى الأبلة ، ودخل البصرة بعد يومين . وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند وتواقع هو وملك الهند فاقتتل الناس قتالا عظيما ، ثم انجلت عن هزيمة عظيمة على الهند ، وأخذ المسلمون يقتلون فيهم كيف شاؤا ، وأخذوا منهم أموالا عظيمة من الجواهر والذهب والفضة ، وأخذوا منهم مائتى فيل ، واقتصوا آثار المنهزمين منهم ، وهدموا معامل كثيرة . ثم عاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً . ولم يحج أحد من درب العراق فيها لفساد البلاد وعيث الأعراب .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ رجاء بن عيسى بن محمد ﴾

أبو العباس الأنصناوى ، نسبة إلى قرية من قرى مصر يقال لها أنصنا ، قدم بغداد فحدث بها وسمع منه الحفاظ ، وكان ثقة فقيها مالكيا عدلا عند الحكام ، مرضياً . ثم عاد إلى بلده وتوفى فيها ، وقد جاوز الثمانين . ﴿ عبد الله بن محمد بن أبى علان ﴾

أبو أحمد قاضى الأهواز ، كان ذامال ، وله مصنفات منها كتاب فى معجزات النبى ﷺ ، جمع فيه ألف معجزة ، وكان من كبار شيوخ المعتزلة ، توفى فيها عن تسع وثمانين سنة .

﴿ على بن نصر ﴾

ابن أبى الحسن ، مهذب الدولة ، صاحب بلاد البطيحة ، له مكارم كثيرة ، وكان الناس يلجؤن إلى بلاده فى الشدائد فيؤويهم ، ويحسن إليهم ، ومن أكبر مناقبه إحسانه إلى أمير المؤمنين القادر لما استجار به ونزل عنده بالبطائح فاراً من الطائع ، فآواه وأحسن إليه ، وكان فى خدمته حتى ولى إمرة المؤمنين ، وكان له بذلك عنده اليد البيضاء ، وقد ولى البطائح ثنتين وثلاثين سنة وشهورا ، وتوفى فيها عن ثنتين وسبعين سنة ، وكان سبب موته أنه افتصد فانتفخ زراعه فمات .

﴿ عبد الغنى بن سعيد ﴾

ابن على بن بشر بن مروان بن عبد العزيز ، أبو محمد الأزدى المصرى ، الحافظ ، كان عالما بالحديث وفنونه ، وله فيه المصنفات الكثيرة الشهيرة . قال أبو عبد الله الصورى الحافظ : ما رأت عيناى مثله فى معناه ، وقال الدارقطنى : ما رأيت بمصر مثل شاب يقال له عبد الغنى ، كأنه شعلة نار ، وجعل يفخم أمره ويرفع ذكره . وقد صنف الحافظ عبد الغنى هذا كتابا فيه أوهام الحاكم ، فلما وقف الحاكم عليه جعل يقرؤه على الناس ويعترف لعبد الغنى بالفضل ، ويشكره ويرجع فيه إلى ما أصاب

فيه من الرد عليه ، رحمهما الله ، ولد عبد الغنى لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة ثنتين وثلثمائة وتوفى فى صفر من هذه السنة رحمه الله .

﴿ محمد بن أمير المؤمنين ﴾

ويكنى بأبى الفضل ، كان قد جعله ولى عهده من بعده ، وضربت السكة باسمه وخطب له الخطباء على المنابر ، ولقب بالغالب بالله ، فلم يقدر ذلك . توفى فيها عن سبع وعشرين سنة .

﴿ محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد ﴾

أبو الفتح البزار الطرسوسى ، ويعرف بابن البصرى ، سمع الكثير من المشايخ ، وسمع منه الصورى ببيت المقدس ، حين أقام بها ، وكان ثقة مأموناً .

﴿ ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة ﴾

فيها ورد كتاب يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند فى السنة الخالية ، وفيه أنه دخل مدينة فيها ألف قصر مشيد ، وألف بيت للأصنام . وفيها من الأصنام شىء كثير ، ومبلغ ما على الصنم من الذهب ما يقارب مائة ألف دينار ، ومبلغ الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم ، وعندهم صنم معظم ، يؤرخون له وبه بجهالتهم ثلثمائة ألف عام ، وقد سلبنا ذلك كله وغيره مما لا يحصى ولا يعد ، وقد غنم المجاهدون فى هذه الغزوة شيئا كثيرا ، وقد عموا المدينة بالاحراق ، فلم يتركوا منها إلا الرسوم ، وبلغ عدد القتلى من الهنود خمسين ألفا ، وأسلم منهم نحو من عشرين ألفاً ، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثا وخمسين ألفا ، واعترض من الأفيال ثلثمائة وست وخمسين فيلا ، وحصل من الأموال عشرون ألف ألف درهم ، ومن الذهب شىء كثير . وفى ربيع الآخر منها قرئ عهد أبى الفوارس ولقب قوام الدولة ، وخلع عليه خلعا حملت إليه بولاية كرمان ، ولم يحج فى هذه السنة أحد من العراق .

وممن توفى فيها من الأعيان الاصيفر الذى كان يخفر الحجاج .

﴿ أحمد بن موسى بن مردويه ﴾

ابن فورك ، أبو بكر الحافظ الأصبهانى ، توفى فى رمضان منها .

﴿ هبة الله بن سلامة ﴾

أبو القاسم الضرير المقرئ المفسر ، كان من أعلم الناس وأحفظهم للتفسير ، وكانت له حلقة فى جامع المنصور ، روى ابن الجوزى بسنده إليه قال : كان لنا شيخ نقرأ عليه فمات بعض أصحابه فرآه فى المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى . قال : فما كان حالك مع منكر ونكير ؟ قال : لما أجلسانى وسألانى ألهمنى الله أن قلت : بحق أبى بكر وعمر دعانى ، فقال أحدهما للآخر : قد أقسم بعظيمين فدعه ، فتركانى وذهبا .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة ﴾

فيها عدم الحاكم بمصر، وذلك أنه لما كان ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال فقد الحاكم بن المعز الفاطمى صاحب مصر، فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك، وذلك لأنه كان جبارا عنيدا، وشيطانا مريدا. ولنذكر شيئا من صفاته القبيحة، وسيرته الملعونة، أخزاه الله.

كان كثير التلون فى أفعاله وأحكامه وأقواله، جائرا، وقد كان يروم أن يدعى الالوهية كما ادعاها فرعون، فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوفا، إعظاما لذكره واحتراما لاسمه، فعل ذلك فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجدا له، حتى إنه ليسجد بسجودهم من فى الاسواق من الرعاع وغيرهم، ممن كان لا يصلى الجمعة، وكانوا يتركون السجود لله فى يوم الجمعة وغيره ويسجدون للحاكم، وأمر فى وقت لأهل الكتابين بالدخول فى دين الاسلام كرها، ثم أذن لهم فى العود إلى دينهم، وخرب كنائسهم ثم عمرها، وخرب القمامة ثم أعادها، وابتنى المدارس. وجعل فيها الفقهاء والمشايخ، ثم قتلهم وأخربها، وألزم الناس بغلق الأسواق نهارا، وفتحها ليلا، فامتثلوا ذلك دهرا طويلا، حتى اجتاز مرة برجل يعمل النجارة فى أثناء النهار. فوقف عليه فقال: ألم أنهكم؟ فقال: يا سيدى لما كان الناس يتعيشون بالنهار كانوا يسهرون بالليل، ولما كانوا يتعيشون بالليل سهروا بالنهار فهذا من جملة السهر، فتبسم وتركه. وأعاد الناس إلى أمرهم الأول، وكل هذا تغيير للرسوم، واختبار لطاعة العامة له، ليرقى فى ذلك إلى ماهو أشر وأعظم منه. وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور بنفسه فى الأسواق على حمار له — وكان لا يركب إلا حماراً — فمن وجده قد غش فى معيشة أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود، أن يفعل به الفاحشة العظمى، وهذا أمر منكر ملعون، لم يسبق إليه، وكان قد منع النساء من الخروج من منازلهن وقطع شجر الأعناب حتى لا يتخذ الناس منها خمرا، ومنعهم من طبيخ الملوخية، وأشياء من الرعونات التى من أحسنها منع النساء من الخروج، وكراهة الخمر، وكانت العامة تبغضه كثيراً، ويكتبون له الأوراق بالشتيمة البالغة له ولأسلافه، فى صورة قصص، فاذا قرأها ازداد غيظا وحنقا عليهم، حتى إن أهل مصر عملوا صورة امرأة من ورق بخفيها وإزارها. وفى يدها قصة من الشتم واللعن والمخالفة شىء كثير، فلما رآها ظنها امرأة، فذهب من ناحيتها وأخذ القصة من يدها فقرأها فرأى ما فيها، فأغضبه ذلك جدا، فأمر بقتل المرأة، فلما تحققها من ورق ازداد غيظا إلى غيظه، ثم لما وصل إلى القاهرة أمر السودان أن يذهبوا إلى مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها من الأموال والمتاع والحريم، فذهبوا فامتثلوا ما أمرهم به، فقاتلهم أهل مصر قتالا شديدا، ثلاثة أيام، والنار تعمل فى الدور والحريم، وهو فى كل يوم قبحه الله، يخرج فيقف من بعيد وينظر ويبكى ويقول: من أمر

هؤلاء العبيد بهذا ؟ ثم اجتمع الناس فى الجوامع ورفعوا المصاحف وصاروا إلى الله عز وجل ، واستغاثوا به ، فرق لهم الترك والمشارقة وانحازوا إليهم ، وقاتلوا معهم عن حريمهم ودورهم ، وتفاقم الحال جداً ، ثم ركب الحاكم لعنه الله ففصل بين الفريقين ، وكف العبيد عنهم ، وكان يظهر التنصل مما فعله العبيد وأنهم ارتكبوا ذلك من غير علمه وإذنه ، وكان ينفذ إليهم السلاح ويحثهم على ذلك فى الباطن ، وما انجلى الأمر حتى احترق من مصر نحو ثلثها ، ونهب قريب من نصفها ، وسبيت نساء وبنات كثيرة وفعل معهن الفواحش والمنكرات ، حتى أن منهن من قتلت نفسها خوفاً من العار والفضيحة ، واشترى الرجال منهم من سبى لهم من النساء والحريم . قال ابن الجوزى : ثم ازداد ظلم الحاكم حتى عنّ له أن يدعى الربوبية ، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون : يا واحد يا أحد : يا محيى يا مميت قبحهم الله جميعا .

﴿ صفة مقتله لعنه الله ﴾

كان قد تعدى شره إلى الناس كلهم حتى إلى أخته ، وكان يتهمها بالفاحشة ، ويسمعها أغلظ الكلام ، فتبرمت منه ، وعملت على قتله ، فراسلت أكبر الأمراء ، أميراً يقال له ابن دواس ، فتوافقت هى وهو على قتله ودماره ، وتواطآ على ذلك ، فجهز من عنده عبدين ، أسودين شهمين ، وقال لهما : إذا كانت الليلة الفلانية فكونا فى جبل المقطم ، ففى تلك الليلة يكون الحاكم هناك فى الليل لينظر فى النجوم ، وليس معه أحد إلا ركابى وصبى ، فاقتلاه واقتلاهما معه ، واتفق الحال على ذلك . فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمه : على فى هذه الليلة قطع عظيم ، فان نجوت منه عمرت نحواً من ثمانين سنة ، ومع هذا فانقلى حواصلى إليك ، فان أخوف ما أخاف عليك من أختى ، وأخوف ما أخاف على نفسى منها ، فنقل حواصله إلى أمه ، وكان له فى صناديق قريب من ثلثمائة ألف دينار ، وجواهر أخر ، فقالت له أمه : يا مولانا إذا كان الأمر كما تقول فارحمنى ولا تركب فى ليلتك هذه إلى موضع وكان يحبها . فقال : أفعل ، وكان من عادته أن يدور حول القصر كل ليلة ، فدار ثم عاد إلى القصر ، فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير ، فاستيقظ وقال : إن لم أركب الليلة فاضت نفسى ، فثار فركب فرساً وصحبه صبى وركابى ، وصعد الجبل المقطم فاستقبله ذانك العبدان فأنزلاه عن مركوبه ، وقطعا يديه ورجليه ، وبقرا بطنه ، فأتيا به مولاهما ابن دواس ، فحمله إلى أخته فدفنته فى مجلس دارها ، واستدعت الأمراء والأكابر والوزير وقد أطلعته على الجلية ، فبايعوا لولد الحاكم أبى الحسن على ، ولقب بالظاهر لاعزاز دين الله ، وكان بدمشق ، فاستدعت به وجعلت تقول للناس : إن الحاكم قال لى : إنه يغيب عنكم سبعة أيام ثم يعود ، فاطمأن الناس ، وجعلت ترسل ركابيين إلى الجبل فيصعدونه ، ثم يرجعون فيقولون تركناه فى الموضع الفلانى ، ويقول الذين بعدهم لأمه : تركناه فى موضع كذا وكذا . حتى اطمأن الناس وقدم ابن أخيها واستصحب معه من دمشق ألف ألف دينار ، وألفى ألف درهم ، فحين وصل ألبسته

تاج جد أبيه المعز ، وحلة عظيمة ، وأجلسته على السرير ، وبايعه الأمراء والرؤساء ، وأطلق لهم الأموال ، وخلعت على ابن دواس خلعة سنية هائلة ، وعملت عزاء أخيها الحاكم ثلاثة أيام ، ثم أرسلت إلى ابن دواس طائفة من الجند ليكونوا بين يديه بسيوفهم وقوفا فى خدمته ، ثم يقولوا له فى بعض الأيام : أنت قاتل مولانا ، ثم يهبرونه بسيوفهم ، ففعلوا ذلك ، وقتلت كل من اطلع على سرها فى قتل أخيها ، فعظمت هيبتها وقويت حرمتها وثبتت دولتها . وقد كان عمر الحاكم يوم قتل سبعاً وثلاثين سنة ، ومدة ملكه من ذلك خمساً وعشرين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وأربعمائة ﴾

فيها تولى القاضى أبو جعفر أحمد بن محمد السمنانى الحسبة والمواريث ببغداد ، وخلع عليه السواد وفيها قالت جماعة من العلماء والمسلمين للملك الكبير يمين الدولة ، محمود بن سبكتكين : أنت أكبر ملوك الأرض ، وفى كل سنة تفتح طائفة من بلاد الكفر ، وهذه طريق الحج ، قد تعطلت من مدة سنين وفتحك لها أوجب من غيرها . فتقدم إلى قاضى القضاة أبى محمد الناصحى أن يكون أمير الحج فى هذه السنة ، وبعث معه بثلاثين ألف دينار للأعراب ، غير ما جهز من الصدقات ،فسار الناس بصحبته ، فلما كانوا بفَيْد اعترضهم الأعراب فصالحهم القاضى أبو محمد الناصحى بخمسة آلاف دينار ، فامتنعوا وصمم كبيرهم ـ وهو جماز بن عُدَى ـ على أخذ الحجيج ، وركب فرسه وجال جولة واستنهض شياطين العرب ، فتقدم إليه غلام من سمرقند [يقال له ابن عفان] فرماه بسهم فوصل إلى قلبه فسقط ميتا ، وانهزمت الأعراب ، وسلك الناس الطريق فحجوا ورجعوا سالمين ولله الحمد والمنة .

وممن توفى فيها من الأعيان

﴿ أبو سعد المالينى ﴾

أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن حفص ، أبو سعد المالينى ، ومالين قرية من قرى هراة ، كان من الحفاظ المكثرين الراحلين فى طلب الحديث إلى الآفاق ، وكتب كثيراً ، وكان ثقة صدوقا صالحا ، مات بمصر فى شوال منها .

﴿ الحسن بن الحسين ﴾

ابن محمد بن الحسين بن رامين القاضى ، أبو محمد الاستراباذى ، نزل بغداد وحدث بها عن الاسماعيلى وغيره ، كان شافعياً كبيرا ، فاضلا صالحا .

﴿ الحسن بن منصور بن غالب ﴾

الوزير الملقب ذا السعادتين ، ولد بسيراف سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، ثم صار وزيرا ببغداد ثم قتل وصودر أبوه على ثمانين ألف دينار .

﴿ الحسين بن عمرو ﴾

أبو عبد الله الغزال ، سمع النجاد والخلدى وابن السماك وغيرهم . قال الخطيب : كتبت عنه وكان ثقة صالحا كثير البكاء عند الذكر .

﴿ محمد بن عمر ﴾

أبو بكر العنبرى الشاعر ، كان أديبا ظريفا ، حسن الشعر ، فمن ذلك قوله :

إنى نظرت إلى الزما * ن وأهله نظراً كفانى

فعرفته وعرفتهم * وعرفت عزى من هوانى

فلذاك أطرح الصد * يق فلا أراه ولا يرانى

وزهدت فيما فى يدي * ه ودونه نيل الأمانى

فتعجبوا لمغالب * وهب الاقاصى للأدانى

وانسل من بين الزحا * م فماله فى الغلب ثانى

قال ابن الجوزى : وكان متصوفا ثم خرج عنهم وذمهم بقصائد ذكرتها فى تلبيس إبليس توفى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى منها .

﴿ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ﴾

ابن روق بن عبد الله بن يزيد بن خالد ، أبو الحسن البزار ، المعروف بابن رزقويه . قال الخطيب : هو أول شيخ كتبت عنه فى سنة ثلاث وأربعمائة ، وكان يذكر أنه درس القرآن ودرس الفقه على مذهب الشافعى ، وكان ثقة صدوقا كثير السماع والكتابة ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، مديما لتلاوة القرآن ، شديدا على أهل البدع ، وأكب دهراً على الحديث ، وكان يقول : لا أحب الدنيا إلا لذكر الله وتلاوة القرآن ، وقراءتى عليكم الحديث ، وقد بعث بعض الأمراء إلى العلماء بذهب فقبلوا كلهم غيره ، فانه لم يقبل شيئا ، وكانت وفاته يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى منها ، عن سبع وثمانين سنة ، ودفن بالقرب من مقبرة معروف الكرخى .

﴿ أبو عبد الرحمن السلمى ﴾

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ، أبو عبد الرحمن السلمى النيسابورى ، روى عن الأصم وغيره ، وعنه مشايخ البغداديين ، كالأزهرى والعشارى وغيرهما ، وروى عنه البيهقى وغيره . قال ابن الجوزى : كانت له عناية بأخبار الصوفية ، فصنف لهم تفسيرا على طريقتهم ، وسننا وتاريخا ، وجمع شيوخا وتراجم وأبوابا ، له بنيسابور دار معروفة ، وفيها صوفية وبها قبره ، ثم ذكر كلام الناس فى تضعيفه فى الرواية ، فحكى عن الخطيب عن محمد بن يوسف القطان أنه قال : لم يكن بثقة ، ولم يكن سمع

من الأصم شيئا كثيراً ، فلما مات الحاكم روى عنه أشياء كثيرة جداً ، وكان يضع للصوفية الأحاديث . قال ابن الجوزى : وكانت وفاته فى ثالث شعبان منها .

﴿ أبو على الحسن بن على الدقاق النيسابورى ﴾

كان يعظ الناس ويتكلم على الأحوال والمعرفة ، فمن كلامه : من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه ، لأنه خضع له بلسانه وأركانه ، فان اعتقد تعظيمه بقلبه أو خضع له به ذهب دينه كله . وقال فى قوله تعالى (اذكرونى أذكركم) اذكرونى وأنتم أحياء أذكركم وأنتم أموات تحت التراب ، وقد تخلى عنكم الأقارب والأصحاب والأحباب . وقال : البلاء الأكبر أن تريد ولا تراد، وتدنو فترد إلى الطرد والابعاد ، وأنشد عند قوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف)

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وقال فى قوله ﷺ « حفت الجنة بالمكاره » : إذا كان هذا المخلوق لاوصول إليه إلا بتحمل المشاق فما الظن بمن لم يزل ؟ وقال فى قوله عليه السلام « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » . يا عجبا لمن لم ير محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته إليه ؟ قلت : كلامه على هذا الحديث جيد والحديث لا يصح بالكلية

﴿ صريع الدلال الشاعر ﴾

أبو الحسن على بن عبيد الواحد ، الفقيه البغدادى ، الشاعر الماجن ، المعروف بصريع الدلال ، قتيل الغوانى ذى الرقاعتين ، له قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد يقول فيها :

وألف حمل من متاع تستر * أنفع للمسكين من لقط النوى
من طبيخ الديك ولا يذبحه * طار من القدر إلى حيث انتهى
من دخلت فى عينه مسلة * فسله من ساعته كيف العمى
والذقن شعر فى الوجوه طالع * كذلك العقصة من خلف القفى

إلى أن ختمها بالبيت الذى حسد عليه وهو قوله :

من فاته العلم وأخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوى

قدم مصر فى سنة ثنتى عشرة وأربعمائة وامتدح فيها خليفتها الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم واتفقت وفاته بها فى رجبها .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ﴾

فيها جرت كائنة غريبة عظيمة ، ومصيبة عامة ، وهى أن رجلا من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء ، وذلك أنه لما كان يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات

متواليات ، وقال : إلى متى نعبـد هذا الحجر ؟ ولا محمد ولا على يمنعنى مما أفعـله ، فانى أهدم اليوم هذا البيت ، وجعل يرتعد ، فاتقاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه ، وذلك لأنه كان رجلا طوالا جسيما أحمر اللون أشقر الشعر ، وعلى باب الجامع جماعـة من الفرسـان ، وقوف ليمنعوه ممن يريد منعه من هذا الفعل ، وأراده بسوء ، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه خنجر فوجأه بها ، وتكاثر الناس عليه فقتلوه وقطعوه قطعا ، وحرقوه بالنار ، وتتبعوا أصحابه فقتلوا منهم جماعـة ، ونهبت أهل مكة الركب المصرى ، وتعدى النهب إلى غيرهم ، وجرت خبطة عظيمة ، وفتنة كبيرة جدا ، ثم سكن الحال بعد أن تتبع أولئك النفر الذين تمالؤا على الالحاد فى أشرف البلاد غير أنه قـد سقط من الحجر ثلاث فاق مثل الأظفار ، و بدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة ، محببا مثل الخشخاش ، فأخذ بنو شيبة تلك الفاق فعجنوها بالمسك واللك وحشوا بها تلك الشقوق التى بدت ، فاستمسك الحجر واستمر على ما هو عليه الآن ، وهو ظاهر لمن تأمله . وفيها فتح المارستان الذى بناه الوزير مؤيد الملك ، أبو على الحسن ، وزير شرف الملك بواسط ، ورتب له الخزان والأشربة والأدوية والعقاقير ، وغـير ذلك مما يحتاج إليه .

وفيها توفى من الأعيان

﴿ ابن البواب الكاتب ﴾

صاحب الخط المنسوب ، على بن هلال أبو الحسن ابن البواب ، صاحب أبى الحسين بن سمعون الواعظ ، وقد أثنى على ابن البواب غير واحد فى دينه وأمانته ، وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن ننبه عليها ، وخطه أوضح تعريبا من خط أبى على بن مقلة ، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه ، وعلى طريقته الناس اليوم فى سائر الأقاليم إلا القليـل . قال ابن الجوزى : توفى يوم السبت ثانى جمادى الآخرة منها ، ودفن بمقبرة باب حرب ، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها قوله :

فللقلوب التى أبهجتها حرق * وللعيون التى أقررتها سهر

فما لعيش وقد ودعته ارج * وما لليل وقد فارقته سحر

قال ابن خلكان : ويقال له السترى ، لأن أباه كان ملازما لستر الباب ، ويقال له ابن البواب وكان قد أخذ الخط عن عبدالله بن محمد بن أسد بن على بن سعيد البزار ، وقد سمع أسد هذا على النجاد وغيره ، وتوفى سنة عشر وأربعمائة ، وأما ابن البواب فانه توفى فى جمادى الأولى من هـذه السنة ، وقيل فى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وقد رثاه بعضهم فقال :

استشعرت الكتاب فقدك سالفا * وقضت بصحة ذلك الأيام

فلذاك سودت الدوى كآبة * أسفا عليك وشقت الاقلام

ثم ذكر ابن خلكان أول من كتب بالعربيـة ، فقيل إسماعيل عليه السـلام ، وقيل أول من

كتب بالعربية من قريش حرب بن أمية بن عبد شمس ، أخذها من بلاد الحيرة عن رجل يقال له أسلم بن سدرة ، وسأله ممن اقتبستها ؟ فقال : من واضعها رجل يقال له مرامر بن مروة ، وهو رجل من أهل الأنبار . فاصل الكتابة فى العرب من الأنبار . وقال الهيثم بن عدى :وقدكان لحمير كتابة يسمونها المسند ، وهى حروف متصلة غيرمنفصلة ، وكانوا يمنعون العامة من تعلمها،وجميع كتابات الناس تنتهى إلى اثنى عشر صنفا وهى العربية والحميرية ، واليونانية ،والفارسية ، والرومانية ، والعبرانية ، والرومية، والقبطية ، والبربرية ، والهندية والاندلسية ، والصينية . وقد اندرس كثير منها فقل من يعرف شيئا منها .

وفيها توفى من الأعيان

﴿ على بن عيسى ﴾

ابن سليمان بن محمد بن أبان ، أبو الحسن الفارسى المعروف بالسكرى الشاعر ، وكان يحفظ القرآن ويعرف القراءات ، وصحب أبا بكر الباقلانى ، وأكثرشعره فى مديح الصحابة وذم الرافضة .وكانت وفاته فى شوال من هذه السنة ودفن بالقرب من قبر معروف ، وقد كان أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات التى عملها وهى قوله :

نفس ، يا نفس كم تمادين فى تلفى * وتمشين فى الفعال المعيب
راقبى الله واحذرى موقف العر * ض وخافى يوم الحساب العصيب
لا تغرنك السلامة فى العيـ * ـش فان السليم رهن الخطوب
كل حى فللمنون ولا يد * فع كأس المنون كيد الأديب
واعلمى أن للمنية وقتا * سوف يأتى عجلان غير هيوب
إن حب الصديق فى موقف الـ * ـحشر أمان للخائف المطلوب

﴿ محمد بن أحمد بن محمد بن منصور ﴾

أبو جعفر البيع ، و يعرف بالعتيقى ، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، وأقام بطرسوس مدة ، وسمع بها و بغيرها ، وحدث بشئ يسير .

﴿ ابن النعمان ﴾

شيخ الامامية الروافض ، والمصنف لهم ، والمحامى عن حوزتهم ، كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف ، لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع ، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، وكان من جملة تلاميذه الشريف الرضى والمرتضى ، وقد رثاه بقصيدة بعد وفاته فى هذه السنة ، منها قوله :

من لمعضل أخرجت منه حساما * ومعان فضضت عنها ختاما ؟
من يثير العقول من بعد ما * كن همودا ويفتح الافهاما ؟

من يعير الصديق رأيا * إذا ماسل فى الخطوب حساما ؟

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة ﴾

فيها قدم الملك شرف الدولة إلى بغداد فخرج الخليفة فى الطيارة لتلقيه ، وصحبته الأمراء والقضاة والفقهاء والوزراء والرؤساء ، فلما واجه شرف الدولة قبل الأرض بين يديه مرات والجيش واقف برمته ، والعامة فى الجانبين . وفيها ورد كتاب من يمين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضاً ، وأنه فتح بلاداً ، وقتل خلقا منهم ، وأنه صالحه بعض ملوكهم وحمل إليه هدايا سنية ، منها فيول كثيرة ، ومنها طائر على هيئة القمرى ، إذا وضع عند الخوان وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء ، ومنها حجر يحك ويؤخذ منه ما تحصل منه فيطلى بها الجراحات ذات الأفواه الواسعة فيلحمها ، وغير ذلك . وحج الناس من أهل العراق ولكن رجعوا على طريق الشام لاحتياجهم إلى ذلك .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ الحسن بن الفضل بن سهلان ﴾

أبو محمد الرامهرمزى ، وزير سلطان الدولة ، وهو الذى بنى سور الحائر عند مشهد الحسين ، قتل فى شعبان منها. ﴿ الحسن بن محمد بن عبد الله ﴾

أبو عبد الله الكشغلى الطبرى ، الفقيه الشافعى ، تفقه على أبى القاسم الداركى ، وكان فهما فاضلا صالحا زاهداً ، وهو الذى درس بعد الشيخ أبى حامد الاسفرائينى فى مسجده ، مسجد عبد الله بن المبارك . فى قطيعة الربيع ، وكان الطلبة عنده مكرمين ، اشتكى بعضهم إليه حاجة وأنه قد تأخرت عنه نفقته التى ترد إليه من أبيه ، فأخذه بيده وذهب إلى بعض التجار فاستقرض له منه خمسين ديناراً . فقال التاجر : حتى تأكل شيئا ، فمد السماط فأكلوا وقال : يا جارية هاتى المال ، فأحضرت شيئا من المال فوزن منها خمسين ديناراً ودفعها إلى الشيخ ، فلما قاما إذا بوجه ذلك الطالب قد تغير ، فقال له الكشغلى : مالك ؟ فقال : يا سيدى قد سكن قلبى حب هذه الجارية ، فرجع به إلى التاجر ، فقال له : قد وقعنا فى فتنة أخرى ، فقال : وما هى ؟ فقال : إن هذا الفقيه قد هوى الجارية فأمر التاجر الجارية أن تخرج فتسلمها الفقيه ، وقال ربما أن يكون قد وقع فى قلبها منه مثل الذى قد وقع فى قلبه منها ، فلما كان عن قريب قدم على ذلك الطالب نفقته من أبيه ستمائة دينار ، فوفى ذلك التاجر ما كان له عليه من ثمن الجارية والقرض ، وذلك بسفارة الشيخ . توفى فى ربيع الآخر منها ودفن بباب حرب .

﴿ على بن عبد الله بن جهضم ﴾

أبو الحسن الجهضمى الصوفى المكى ، صاحب بهجة الأسرار ، كان شيخ الصوفية بمكة ، وبها توفى قال ابن الجوزى : وقد ذكر أنه كان كذابا ، ويقال إنه الذى وضع حديث صلاة الرغائب .

﴿ القاسم بن جعفر بن عبد الواحد ﴾

أبو عمر الهاشمى البصرى ، قاضيها ، سمع الكثير ، وكان ثقة أمينا ، وهو راوى سنن أبى داود عن أبى على اللؤلؤى ، توفى فيها وقد جاوز التسعين .

﴿ محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار ﴾

أبو الفرج القاضى الشافعى ، يعرف بابن سميكة ، روى عن النجاد وغيره ، وكان ثقة ، توفى فى ربيع الأول منها ودفن بباب حرب .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

أبو جعفر النسفى ، عالم الحنفية فى زمانه ، وله طريقة فى الخلاف ، وكان فقيراً متزهدا ، بات ليلة قلقا لما عنده من الفقر والحاجة ، فعرض له فكر فى فرع من الفروع كان أشكل عليه ، فانفتح له فقام يرقص و يقول : أين الملوك ؟ فسألته امرأته عن خبره فأعلمها بما حصل له ، فتعجبت من شأنه رحمه الله ، وكانت وفاته فى شعبان منها .

﴿ هلال بن محمد ﴾

ابن جعفر بن سعدان ، أبو الفتح الحفار ، سمع إسماعيل الصفار والنجاد وابن الصواف ، وكان ثقة توفى فى صفر منها عن اثنتين وتسعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة ﴾

فيها ألزم الوزير جماعة الأتراك والمولدين والشريف المرتضى ونظام الحضرة أبا الحسن الزينبى وقاضى القضاة أبا الحسن بن أبى الشوارب ، والشهود ، بالحضور لتجديد البيعة لشرف الدولة ، فلما بلغ ذلك الخليفة توهم أن تكون هذه البيعة لنية فاسدة من أجله ، فبعث إلى القاضى والرؤساء ينهاهم عن الحضور ، فاختلفت الكلمة بين الخليفة وشرف الدولة ، واصطلحا وتصافيا ، وجددت البيعة لكل منهما من الآخر . ولم يحج فيها من ركب العراق ولا خراسان أحد ، واتفق أن بعض الأمراء من جهة محمود بن سبكتكين شهد الموسم فى هذه السنة ، فبعث إليه صاحب مصر بخلع عظيمة ليحملها للملك محمود ، فلما رجع بها إلى الملك أرسل بها إلى بغداد إلى الخليفة القادر فحرقت بالنار .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن ﴾

أبو الفرج المعدل المعروف بابن المسلمة ، ولد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وسمع أباه وأحمد بن كامل والنجاد والجهضمى ودعلج وغيرهم ، وكان ثقة . سكن الجانب الشرقى من بغداد ، وكان يملى فى أول كل سنة مجلساً فى المحرم ، وكان عاقلا فاضلا ، كثير المعروف ، داره مألف لأهل العلم ، وتفقه بأبى بكر الرازى ، وكان يصوم الدهر ، ويقرأ فى كل يوم سبعاً ، ويعيده بعينه فى التهجد ، توفى فى ذى القعدة منها

﴿ أحمد بن محمد بن أحمد ﴾

ابن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي ، أبو الحسن المحاملي ، نسبة إلى المحامل التي يحمل عليها الناس في السفر ، تفقه على أبي حامد الاسفرايينى ، وبرع فيه ، حتى إن الشيخ كان يقول : هو أحفظ للفقه منى ، وله المصنفات المشهورة ، منها اللباب ، والأوسط والمقنع وله في الخلاف ، وعلق على أبي حامد تعليقة كبيرة . قال ابن خلكان : ولد سنة ثمان وستين وثلثمائة ، وتوفى في يوم الأربعاء لتسع بقين من ربيع الآخر منها ، وهو شاب .

﴿ عبيد الله بن عبد الله ﴾

ابن الحسين أبو القاسم الخفاف ، المعروف بابن النقيب ، كان من أئمة السنة ، وحين بلغه موت بن المعلم فقيه الشيعة سجد لله شكرا . وجلس للتهنئة وقال : ما أبالى أى وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم ، ومكث دهرا طويلا يصلى الفجر بوضوء العشاء . قال الخطيب : وسألته عن مولده فقال في سنة خمس وثلاثمائة ، وأذكر من الخلفاء المقتدر والقاهر والرضى والمتقى لله والمستكفى والمطيع والطائع والقادر والغالب بالله ، الذى خطب له بولاية العهد ، توفى في سلخ شعبان منها عن مائة وعشر سنين .

﴿ عمر بن عبد الله بن عمر ﴾

أبو حفص الدلال ، قال سمعت الشبلى ينشد قوله :

وقد كان شيء سمى السرور * قديما سمعنا به ما فعل

خليلى ، إن دام هم النفو * س قليلا على ماتراه قتل

يؤمل دنيا لتبقى له * فات المؤمل قبل الأمل

﴿ محمد بن الحسن أبو الحسن ﴾

الاقساسى العلوى ، نائب الشريف المرتضى في إمرة الحجيج ، حج بالناس سنين متعددة ، وله فصاحة وشعر ، وهو من سلالة زيد بن على بن الحسين .

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة ﴾

فيها قوى أمر العيارين ببغداد ونهبوا الدور جهرة ، واستهانوا بأمر السلطان ، وفى ربيع الأول منها توفى شرف الدولة بن بويه الديلمى صاحب بغداد والعراق وغير ذلك ، فكثرت الشرور ببغداد ونهبت الخزائن ، ثم سكن الأمر على تولية جلال الدولة أبى الطاهر ، وخطب له على المنابر ، وهو إذ ذاك على البصرة ، وخلع على شرف الملك أبى سعيد بن ما كولا وزيره ، ولقب علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك ، وهو أول من لقب بالألقاب الكثيرة ، ثم طلب من الخليفة أن يبايع لأبى كاليجار ولى عهد أبيه سلطان الدولة ، الذى استخلفه بهاء الدولة عليهم ، فتوقف في الجواب ثم

وافقهم على ما أرادوا ، وأقيمت الخطبة للملك أبى كاليجار يوم الجمعة سادس عشر شوال منها ، ثم تفاقم الأمر ببغداد من جهة العيارين ، وكبسوا الدور ليلا ونهارا ، وضربوا أهلها كما يضرب المصادرون و يستغيث أحدهم فلا يغاث ، واشتد الحال وهربت الشرطة من بغداد ولم تغن الأتراك شيئا ، وعملت السرايج على أفواه السكك فلم يفد ذلك شيئا ، وأحرقت دار الشريف المرتضى فانتقل منها ، وغلت الأسعار جدا . ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان .

ومِمن توفى فيها من الأعيان ﴿ سابور بن ازدشير ﴾

وزر لبهاء الدولة ثلاث مرات ، ووزر لشرف الدولة ، وكان كاتبا شديداً عفيفا عن الأموال ، كثير الخير ، سليم الخاطر ، وكان إذا سمع المؤذن لا يشغله شئ عن الصلاة ، وقد وقف دارا للعلم فى سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ، وجعل فيها كتبا كثيرة جدا ، ووقف عليها غلة كبيرة ، فبقيت سبعين سنة ثم أحرقت عند مجئ الملك طغرلبك فى سنة خمسين وأربعمائة ، وكانت محلتها بين السورين ، وقد كان حسن المعاشرة إلا أنه كان يعزل عماله سريعا خوفا عليهم من الاشر والبطر ، توفى فيها وقد قارب التسعين .

﴿ عثمان النيسابورى ﴾

الجداوى الواعظ . قال ابن الجوزى : صنف كتبا فى الوعظ من أبرد الأشياء ، وفيه أحاديث كثيرة موضوعة ، وكلمات مرذولة ، إلا أنه كان خيرا صالحا ، وكانت له وجاهة عند الخلفاء والملوك ، وكان الملك محمود بن سبكتكين إذا رآه قام له ، وكانت محلته حمى يحتمى بها من الظلمة ، وقد وقع فى بلده نيسابور موت ، وكان يغسل الموتى محتسباً ، فغسل نحواً من عشرة آلاف ميتا ، رحمه الله .

﴿ محمد بن الحسن بن صالحان ﴾

أبو منصور الوزير لشرف الدولة ولبهاء الدولة ، كان وزير صدق جيد المباشرة حسن الصلاة ، محافظا على أوقاتها ، وكان محسنا إلى الشعراء والعلماء ، توفى فيها عن ست وسبعين سنة .

﴿ الملك شرف الدولة ﴾

أبو على بن بهاء الدولة ، أبى نصر بن عضد الدولة بن بويه ، أصابه مرض حار فتوفى لثمان بقين من ربيع الآخر عن ثلاث وعشرين سنة ، وثلاثة أشهر وعشرين يوما .

﴿ التهامى الشاعر ﴾

على بن محمد التهامى أبو الحسن ، له ديوان مشهور ، وله مرثاة فى ولده وكان قد مات صغيراً أولها :

حكم المنية فى البرية جارى * ما هذه الدنيا بدار قرار

ومنها :— إنى لأرحم حاسدىّ لحرّ ما * ضمت صدورهم من الاوغار

نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار

ومنها فى ذم الدنيا :

جبلت على كدر وأنت ترومها * صفوا من الاقذار والا كدار

ومكاف الأيام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

و إذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار

ومنها قوله فى ولده بعد موته :

جاورت أعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى

وقد ذكر ابن خلكان أنه رآه بعضهم فى المنام فى هيئة حسنة فقال له بعض أصحابه : بم نلت هذا ؟ فقال : بهذا البيت * شتان بين جواره وجوارى *

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة ﴾

فى العشرين من محرمها وقعت فتنة بين الاسفهلارية و بين العيارين ، وركبت لهم الأتراك بالدبابات ، كما يفعل فى الحرب ، وأحرقت دور كثيرة من الدور التى احتمى فيها العيارون ، وأحرق من الكرخ جانب كبير ، ونهب أهله ، وتعدى بالنهب إلى غيرهم ، وقامت فتنة عظيمة ثم خمدت الفتنة فى اليوم الثانى ، وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار ، مصادرة ، لاثارتهم الفتن والشرور. وفى شهر ربيع الآخر منها شهد أبو عبد الله الحسين بن على ، الصيمرى عند قاضى القضاة ابن أبى الشوارب بعد ما كان استتابه عما ذكر عنه من الاعتزال . وفى رمضان منها انقض كوكب سمع له دوى كدوى الرعد ، ووقع فى سلخ شوال برد لم يعهد مثله ، واستمر ذلك إلى العشرين من ذى الحجة ، وجمد الماء طول هذه المدة ، وقاسى الناس شدة عظيمة ، وتأخر المطر وزيادة دجلة ، وقلت الزراعة ، وامتنع كثير من الناس عن التصرف . ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان فى هذه السنة لفساد البلاد وضعف الدولة .

وفيها توفى من الأعيان قاضى القضاة ابن أبى الشوارب .

﴿ أحمد بن محمد بن عبد الله ﴾

ابن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب ، أبو الحسن القرشى الأموى ، قاضى قضاة بغداد بعد ابن الاكفانى بثنتى عشرة سنة ، وكان عفيفا نزها ، وقد سمع الحديث من أبى عمر الزاهد وعبد الباقى بن قانع ، إلا أنه لم يحدث . قاله ابن الجوزى : وحكى الخطيب عن شيخه أبى العلاء الواسطى :أن أبا الحسن هذا آخر من ولى الحكم ببغداد، من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب وقد ولى الحكم من سلالته أربعة وعشرون ، منهم ولوا قضاء قضاة بغداد . قال أبو العلاء : ما رأينا مثل أبى الحسن هذا ، جلالة ونزاهة وصيانة وشرفا . وقد ذكر القاضى الماوردى أنه كان له صديقا

وصاحباً ، وأن رجلا من خيار الناس أوصى له بمائتى دينار ، فحملها إليه الماوردى فأبى القاضى أن يقبلها ، وجهد عليه كل الجهد فلم يفعل ، وقال له : سألتك بالله لا تذكرن هذا لأحد مادمت حياً ، ففعل الماوردى ، فلم يخبر عنه إلا بعد موته ، وكان ابن أبى الشوارب فقيراً إليها ، و إلى ما هو دونها فلم يقبلها رحمه الله . توفى فى شوال منها .

﴿ جعفر بن أبان ﴾

أبو مسلم الختلى سمع ابن بطة ودرس فقه الشافعى على الشيخ أبى حامد الاسفراييني ، وكان ثقة دينا، توفى فى رمضان منها

﴿ عمر بن أحمد بن عبدويه ﴾

أبو حازم الهذلى النيسابورى ، سمع ابن نجيد والاسماعيلى ، وخلقا ، وسمع منه الخطيب وغيره ، وكان الناس ينتفعون بإفادته وانتخابه ، توفى يوم عيد الفطر منها .

﴿ على بن أحمد بن عمر بن حفص ﴾

أبو الحسن المقرى المعروف بالحمامى ، سمع النجاد والخلدى وابن السماك وغيرهم ، وكان صدوقا فاضلا ، حسن الاعتقاد ، وتفرد بأسانيد القراءات وعلوها، توفى فى شعبان منها عن تسع وثمانين سنة .

﴿ صاعد بن الحسن ﴾

ابن عيسى الربعى البغدادى، صاحب كتاب الفصوص فى اللغة على طريقة القالى فى الامالى ، صنفه للمنصور بن أبى عامر ، فأجازه عليه خمسة آلاف دينار ، ثم قيل له إنه كذاب متهم ، فقال فى ذلك بعض الشعراء :

قد غاص فى الماء كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقيل يغوص

فلما بلغ صاعدا هذا البيت أنشد :

عاد إلى عنصره إنما * يخرج من قعر البحور الفصوص

قلت : كأنه سمى هذا الكتاب بهذا الاسم ليشاكل به الصحاح للجوهرى ، لكنه كان مع فصاحته وبلاغته وعلمه متهما بالكذب ، فلهذا رفض الناس كتابه ، ولم يشتهر ، وكان ظريفا ماجنا سريع الجواب ، سأله رجل أعمى على سبيل التهكم فقال له: ما الحر تقل ؟ فأطرق ساعة وعرف أنه افتعل هذا من عند نفسه ثم رفع رأسه إليه فقال : هو الذى يأتى نساء العميان ، ولا يتعداهن إلى غيرهن ، فاستحى ذلك الأعمى وضحك الحاضرون . توفى فى هذه السنة سامحه الله .

﴿ القفال المروزى ﴾

أحد أئمة الشافعية الكبار ، علما و زهدا وحفظا وتصنيفا ، و إليه تنسب الطريقة الخراسانية ، ومن أصحابه الشيخ أبو محمد الجوينى ، والقاضى حسين ، وأبو على السبخى ، قال ابن خلكان :

وأخذ عنه إمام الحرمين ، وفيما قاله نظر . لأن سن إمام الحرمين لا يحتمل ذلك ، فان القفال هذا مات فى هذه السنة وله تسعون سنة ، ودفن بسجستان ، و إمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة كما سيأتى ، وإنما قيل له القفال لأنه كان أولا يعمل الأقفال ، ولم يشتغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة ، رحمه الله تعالى

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة ﴾

فى ربيع الأول منها وقع برد أهلك شيئا كثيرا من الزروع والثمار ، وقتل خلقا كثيراً من الدواب. قال ابن الجوزى: وقد قيل إنه كان فى برده كل بردة رطلان وأكثر ، و فى واسط بلغت البردة أرطالا، و فى بغداد بلغت قدر البيض. و فى ربيع الآخر سألت الاسفهلارية الغلمان الخليفة أن يعزل عنهم أبا كاليجار، لتهاونه بأمرهم ،وفساده وفساد الأمور فى أيامه ، و يولى عليهم جلال الدولة ، الذى كانوا قد عزلوه عنهم ، فما طلهم الخليفة فى ذلك وكتب إلى أبى كاليجار أن يتدارك أمره ، وأن يسرع الأوبة إلى بغداد ، قبل أن يفوت الأمر ؛ وألح أولئك على الخليفة فى تولية جلال الدولة ، وأقاموا له الخطبة ببغداد ، وتفاقم الحال ، وفسد النظام . وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضا ، وأنه كسر الصنم الأعظم الذى لهم المسمى بسومنات ، وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عميق ، كما يفد الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم ، و ينفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة ، التى لا توصف ولا تعد ، وكان عليه من الاوقاف عشرة آلاف قرية ، ومدينة مشهورة ، وقد امتلأت خزائنه أموالا ، وعنده ألف رجل يخدمونه ، وثلثمائة رجل يحلقون رؤس حجيجه ،وثلثمائة رجل يغنون و يرقصون على بابه ، لما يضرب على بابه الطبول والبوقات ، وكان عنده من المجاورين ألوف يأكلون من أوقافه ، وقد كان البعيد من الهنود يتمنى لو بلغ هذا الصنم ، وكان يعوقه طول المفاوز وكثرة الموانع والآفات ، ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده ، وكثرة الهنود فى طريقه ، والمفاوز المهلكة ، والأرض الخطرة ، فى تجشم ذلك فى جيشه ، وأن يقطع تلك الأهوال إليه ، فندب جيشه لذلك فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة ، ممن اختارهم لذلك ، سوى المتطوعة ، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن ، ونزلوا بساحة عباده ، فاذا هو بمكان بقدر المدينة العظيمة ، قال : فما كان بأسرع من أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار. وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم ، فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال و إبقاء هذا الصنم لهم ، فقال : حتى أستخير الله عز وجل ، فلما أصبح قال : إنى فكرت فى الأمر الذى ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذى كسر الصنم ؟ أحب إلى من أن يقال الذى ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا،ثم عزم فكسره رحمه الله،فوجد عليه وفيه من الجواهر واللآلى والذهب والجواهر

النفيسة ما ينيف علي ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة ، ونرجو من الله له فى الآخرة الثواب الجزيل الذى مثقال دانق منه خير من الدنيا وما فيها ، مع ما حصل له من الثناء الجميل الدنيوى ، فرحمه الله وأكرم مثواه . وفى يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة فى دجلة فى طيارة ، ومعه الأكابر والأمراء ، فلما واجه جلال الدولة الخليفة قبل الأرض دفعات ، ثم سار إلى دار الملك ، وعاد الخليفة إلى داره ، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل فى أوقات الصلوات الثلاث ، كما كان الأمر فى زمن عضد الدولة ، وصمصامها وشرفها وبهائها ، وكان الخليفة يضرب له الطبل فى أوقات الخمس ، فأراد جلال الدولة ذلك فقيل له يحمل هذه المساواة الخليفة فى ذلك ، ثم صمم على ذلك فى أوقات الخمس . قال ابن الجوزى :وفيها وقع برد شديد حتى جمد الماء والنبيذ وأبوال الدواب والمياه الكبار ، وحافات دجلة . ولم يحج أحد من أهل العراق.

وفيها توفى من الأعيان

﴿ أحمد بن محمد بن عبد الله ﴾

ابن عبد الصمد بن المهتدى بالله ، أبو عبدالله الشاهد ، خطب له فى جامع المنصور فى سنة ست وثمانين وثلثمائة ، ولم يخطب له إلا بخطبة واحدة جمعات كثيرة متعددة ، فكان إذا سمعها الناس منه ضجوا بالبكاء وخشعوا لصوته .

﴿ الحسين بن على بن الحسين ﴾

أبو القاسم المغربى الوزير ، ولد بمصر فى ذى الحجة سنة تسعين وثلثمائة ، وهرب منها حين قتل صاحبها الحاكم أباه وعمه محمدا ، وقصد مكة ثم الشام ، ووزر فى عدة أماكن ،وكان يقول الشعر الحسن ، وقد تذاكر هو وبعض الصالحين فأنشده ذلك الصالح شعراً :

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة إلا رضيت بدونها

فاعتزل المناصب والسلطان ، فقال له بعض أصحابه : تركت المنازل والسلطان فى عنفوان شبابك ؟ فأنشأ يقول :

كنت فى سفر الجهل والبطالة * حينا فحان منى القدوم

تبت من كل مأثم فعسى * يمحى بهذا الحديث ذاك القديم

بعد خمس وأربعين تعد * ألا إن الإله القديم كريم

توفى بميا فارقين فى رمضان منها عن خمس وأربعين سنة ، ودفن بمشهد على .

﴿ محمد بن الحسن بن إبراهيم ﴾

أبو بكر الوراق ، المعروف بابن الخفاف ، روى عن القطيعى وغيره ، وقد اتهموه بوضع الحديث والاسانيد ، قاله الخطيب وغيره .

﴿ أبو القاسم اللالكائى ﴾

هبة الله بن الحسن بن منصور : الرازى ، وهو طبرى الأصل ، أحد تلامذة الشيخ أبى حامد الاسفرايينى ، كان يفهم و يحفظ ، وعنى بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة ، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه ، وله كتاب فى السنة وشرفها ، وذكر طريقة السلف الصالح فى ذلك ، وقع لنا سماعة على الحجار عاليا عنه ، توفى بالدينور فى رمضان منها ، ورآه بعضهم فى المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : غفرلى ، قال بم ؟ قال بشئ قليل من السنة أحييته :

﴿ أبو القاسم بن أمير المؤمنين القادر ﴾

توفى ليلة الأحد فى جمادى الآخرة ، وصلى عليه غير مرة ، ومشى الناس فى جنازته ، وحزن عليه أبوه حزنا شديدا ، وقطع الطبل أياماً .

﴿ ابن طباطبا الشريف ﴾

كان شاعراً ، وله شعر حسن .

﴿ أبو إسحاق ﴾

وهو الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايينى إبراهيم بن محمد بن مهران . الشيخ أبو إسحاق الامام العلامة ، ركن الدين الفقيه الشافعى ، المتكلم الأصولى ، صاحب التصانيف فى الأصلين ، جامع الحلى فى مجلدات ، والتعليقة النافعة فى أصول الفقه ، وغير ذلك ، وقد سمع الكثير من الحديث من أبى بكر الاسماعيلى ودعلج وغيرهما ، وأخذ عنه البيهقى والشيخ أبو الطيب الطبرى ، والحاكم النيسابورى ، وأثنى عليه ، توفى يوم عاشوراء منها بنيسابور ، ثم نقل إلى بلده ودفن بمشهده .

﴿ القدورى ﴾

صاحب الكتاب المشهور فى مذهب أبى حنيفة ، أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان ، أبو الحسن القدورى الحنفى ، صاحب المصنف المختصر ، الذى يحفظ ، كان إماماً بارعا عالما ، وثبتا مناظرا ، وهو الذى تولى مناظرة الشيخ أبى حامد الاسفرايينى من الحنفية ، وكان القدورى يطريه ويقول : هو أعلم من الشافعى ، وأنظر منه ، توفى يوم الأحد الخامس من رجب منها ، عن ست وخمسين سنة ، ودفن إلى جانب الفقيه أبى بكر الخوارزمى الحنفى .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة ﴾

فيها وقع بين الجيش و بين جلال الدولة ونهبوا دار وزيره ، وجرت له أمور طويلة ، آل الحال فيها إلى اتفاقهم على إخراجه من البلد ، فهيئ له برذون رث ، فخرج وفى يده طير نهارا ، فجعلوا لا يلتفتون إليه ولا يفكرون فيه ، فلما عزم على الركوب على ذلك البرذون الرث رثوا له ورقوا له ولهيئته وقبلوا الأرض بين يديه ، وانصلحت قضيته بعد فسادها . وفيها قل الرطب جدا بسبب هلاك النخل فى

السنة الماضيــة بالبرد ، فبيع الرطب كل ثلاثة أرطال بدينار جلالى ، ووقع برد شــديد أيضا فأهلك شيئا كثيرا من النخيل أيضا . ولم يحج أحد من أهل المشرق ولا من أهل الديار المصرية فيها ، إلا أن قوماً من خراسان ركبوا فى البحر من مدينة مكران فانتهوا إلى جدة فحجوا .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ حمزة بن إبراهيم بن عبد الله ﴾

أبو الخطاب المنجم ، حظى عند بهاء الدولة وعلماء النجوم ، وكان له بذلك وجاهة عنده ، حتى أن الوزراء كانوا يخافونه ويتوسلون به إليــه ، ثم صار أمره طريدا بعيداً حتى مات يوم مات بالكرخ من سامرا غريبا ، فقيرا مفلوجاً ، قد ذهب ماله وجاهه وعقله .

﴿ محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد ﴾

أبو الحسن التاجر ، سمع الكثير على المشايخ المتقدمين ، وتفرد بعلو الاسناد ، وكان ذا مال جزيل يخاف من المصادرة ببغــداد فانتقل إلى مصر فأقام بها سنة ، ثم عاد إلى بغــداد فاتفق مصادرة أهل محلته فقسط عليه ما أفقره ، ومات حــين مات ولم يوجد له كفن ولم يترك شيئا فأرسل له القادر بالله ما كفن فيه .

﴿ مبارك الأنماطى ﴾

كان ذا مال جزيل نحو ثلثمائة ألف دينــار ، مات ولم يترك وارثا سوى ابنة واحــدة ببغداد ، وتوفى هو بمصر .

﴿ أبو الفوارس بن بهاء الدولة ﴾

كان ظالما ، وكان إذا سكر يضرب الرجل من أصحــابه أو وزيره مائتى مقرعة ، بعــد أن يحلفه بالطلاق أنه لا يتأوه ، ولا يخبر بذلك أحدا . فيقال إن حاشــيته سموه ، فلما مات نادوا بشعار أخيه كاليجار .

﴿ أبو محمد بن الساد ﴾

وزير كاليجار ، ولقبه معز الدولة ، فلك الدولة ، رشيد الأمة ، وزير الوزراء ، عماد الملك ، ثم سلم بعد ذلك إلى جلال الدولة فاعتقله ومات فيها .

﴿ أبو عبد الله المتكلم ﴾

توفى فيها ، هكذا رأيت ابن الجوزى ترجمه مختصرا .

﴿ ابن غلبون الشاعر ﴾

عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب أبو محمد الشامى ثم الصورى ، الشاعر المطبق ، له ديوان مليح ، كان قد نظم قصيدة بليغة فى بعض الرؤساء ، ثم أنشدها لرئيس آخر يقال له ذو النعمتين ، وزاد فيها بيتا واحدا يقول فيه :

ولك المناقب كلها * فلم اقتصرت على اثنتين

فأجازه جائزة سنية ، فقيل له : إنه لم يقلها فيك ، فقال : إن هــذا البيت وحده بقصيدة ، وله أيضا فى بخيل نزل عنده :

وأخ مسه نزولى بقرح * مثل ما مسنى من الجرح
بت ضيفا له كما حكم الده * ر وفى حكمه على الحر فتح
فابتدانى يقول وهو من الـ * ـسكر بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت؟ قلت قال رسول الله * ه والقول منه نصح ونجح
«سافروا تغنموا» فقال وقد * قال تمام الحديث «صوموا تصحوا»

﴿ ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة ﴾

فيها سقط بناحية المشرق مطر شديد، معه برد كبار. قال ابن الجوزى: حزرت البردة الواحدة منه مائة وخمسون رطلا، وغاصت فى الأرض نحوا من ذراع. وفيها ورد كتاب من محمود ابن سبكتكين أنه أحل بطائفة من أهل الرى من الباطنية والروافض قتلا ذريعاً، وصلبا شنيعا، وأنه انتهب أموال رئيسهم رستم بن على الديلمى، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار، وقد كان فى حيازته نحو من خمسين امرأة حرة، وقد ولدن له ثلاثا وثلاثين ولداً بين ذكر وأنثى، وكانوا يرون إباحة ذلك. وفى رجب منها انقض كواكب كثيرة شديدة الضوء شديدة الصوت. وفى شعبان منها كثرت العملات وضعفت رجال المعونة عن مقاومة العيارين. وفى يوم الاثنين منها ثامن عشر رجب غار ماء دجلة حتى لم يبق منه إلا القليل، ووقفت الأرحاء عن الطحن، وتعذر ذلك. وفى هذا اليوم جمع القضاة والعلماء فى دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب جمعه القادر بالله، فيه مواعظ وتفاصيل مذاهب أهل البصرة، وفيه الرد على أهل البدع، وتفسيق من قال بخلق القرآن، وصفة ما وقع بين بشر المريسى وعبد العزيز بن يحيى الكنانى من المناظرة، ثم ختم القول بالمواعظ، والقول بالمعروف، والنهى عن المنكر. وأخذ خطوط الحاضرين بالموافقة على ما سمعوه. وفى يوم الاثنين غرة ذى القعدة جمعوا أيضاً كلهم وقرئ عليهم كتاب آخر طويل يتضمن بيان السنة والرد على أهل البدع ومناظرة بشر المريسى والكنانى أيضاً، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وفضل الصحابة، وذكر فضائل أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة، وأخذت خطوطهم بموافقة ما سمعوه. وعزل خطباء الشيعة، وولى خطباء السنة ولله الحمد والمنة على ذلك وغيره. وجرت فتنة بمسجد براثا، وضربوا الخطيب السنى بالآجر، حتى كسروا أنفه وخلعوا كتفه، فانتصر لهم الخليفة وأهان الشيعة وأذلهم، حتى جاؤا يعتذرون مما صنعوا، وأن ذلك إنما تعاطاه السفهاء منهم. ولم يتمكن أحد من أهل العراق وخراسان فى هذه السنة من الحج.

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن أبى القين ﴾

أبو على الزاهد، أحد العباد والزهاد وأصحاب الأحوال، دخل عليه بعض الوزراء فقبل يده،

فعوتب الوزير بذلك فقال: كيف لا أقبل يدا ما امتدت إلا إلى الله عز وجل .

﴿ على بن عيسى بن الفرج بن صالح ﴾

أبو الحسن الربعى النحوى ، أخذ العربية أولا عن أبى سعيد السيرافى ، ثم عن أبى على الفارسى ولازمه عشرين سنة حتى كان يقول : قولوا له لو سار من المشرق إلى المغرب لم يجد أحداً أنحى منه ، كان يوماً يمشى على شاطئ دجلة إذ نظر إلى الشريفين الرضى والمرتضى فى سفينة ، ومعهما عثمان بن جنى ، فقال لهما : من أعجب الأشياء عثمان معكما ، وعلى بعيد عنكما ، يمشى على شاطئ الفرات . [فضحكا وقالا : باسم الله] توفى فى المحرم منها عن ثنتين وتسعين سنة ، ودفن بباب الدير ، ويقال إنه لم يتبع جنازته إلا ثلاثة أنفس

﴿ أسد الدولة ﴾

أبو على صالح بن مرداس بن إدريس الكلابى ، أول ملوك بنى مرداس بحلب ، انتزعها من يدى نائبها عن الظاهر بن الحاكم العبيدى ، فى ذى الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة ، ثم جاءه جيش كثيف من مصر فاقتتلوا فقتل أسد الدولة هذا فى سنة تسع عشرة ، وقام حفيده نصر .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ﴾

فيها توفى الملك الكبير المجاهد المغازى ، فاتح بلاد الهند محمود بن سبكتكين رحمه الله ، لما كان فى ربيع الأول من هذه السنة توفى الملك العادل الكبير الثاغر المرابط ، المؤيد المنصور ، يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، صاحب بلاد غزنة ومالك تلك الممالك الكبار ، وفاتح أكثر بلاد الهند قهرا ، وكاسر أصنامهم ونددوهم وأوثانهم وهنودهم ، وسلطانهم الأعظم قهرا ، وقد مرض رحمه الله نحواً من سنتين لم يضطجع فيهما على فراش ، ولا توسد وساداً ، بل كان يتكىء جالساً حتى مات وهو كذلك ، وذلك لشهامته وصرامته ، وقوة عزمه ، وله من العمر ستون سنة رحمه الله . وقد عهد بالأمر من بعده لولده محمد ، فلم يتم أمره حتى عافصه أخوه مسعود بن محمود المذكور ، فاستحوذ على ممالك أبيه ، مع ما كان يليه مما فتحه هو بنفسه من بلاد الكفار ، من الرساتيق الكبار والصغار ، فاستقرت له الممالك شرقا وغربا فى تلك النواحى ، فى أواخر هذا العام ، وجاءته الرسل بالسلام من كل ناحية ومن كل ملك همام ، وبالتحية والاكرام ، وبالخضوع التام ، وسيأتى ذكر أبيه فى الوفيات . وفيها استحوذت السرية التى كان بعثها الملك المذكور محمود إلى بلاد الهند على أكثر مدائن الهنود وأكبرها مدينة ، وهى المدينة المسماة نرسى ، دخلوها فى نحو من مائة ألف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، فنهبوا سوق العطر والجوهر بها نهاراً كاملا ، ولم يستطيعوا أن يحولوا ما فيه من أنواع الطيب والمسك والجواهر واللآلى واليواقيت ، ومع هذا لم يدر أكثر أهل البلد بشىء من ذلك لاتساعها ، وذلك أنها كانت فى غاية الكبر : طولها مسيرة منزلة من منازل الهند ، وعرضها كذلك ، وأخذوا منها من الأموال والتحف

والأثاث مالا يحد ولا يوصف ، حتى قيل إنهم اقتسموا الذهب والفضة بالكيل ، ولم يصل جيش من جيوش المسلمين إلى هذه المدينة قط، لا قبل هذه السنة ولا بعدها ، وهذه المدينة من أكثر بلاد الهند خيراً ومالا ، بل قيل إنه لا يوجد مدينة أكثر منها مالا ورزقا ، مع كفر أهلها وعبادتهم الأصنام ، فليسلم المؤمن على الدنيا سلام . وقد كانت محل الملك، وأخذوا منها من الرقيق من الصبيان والبنات مالا يحصى كثرة . وفيها عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء، وحادثتهم الصلعاء ، فى يوم عاشوراء ، من تعليق المسوح ، وتغليق الاسواق ، والنوح والبكاء فى الازقة ، فأقبل أهل السنة إليهم فى الحديد فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتل من الفريقين طوائف كثيرة ، وجرت بينهم فتن وشرور مستطيرة . وفيها مرض أمير المؤمنين القادر بالله وعهد بولاية العهد من بعده إلى ولده أبى جعفر القائم بأمر الله ، بمحضر من القضاة والوزراء والأمراء ، وخطب له بذلك ، وضرب اسمه على السكة المتعامل بها . وفيها أقبل ملك الروم من قسطنطينية فى مائة ألف مقاتل ، فسار حتى بلغ بلاد حلب ، وعليها شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ، فنزلوا على مسيرة يوم منها، ومن عزم ملك الروم أن يستحوذ على بلاد الشام كلها ، وأن يستردها إلى دين النصرانية ، وقد قال رسول الله ﷺ « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، و إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » وقيصر هو من ملك الشام من الروم مع بلاد الروم فلا سبيل لملك الروم إلى هذا . فلما نزل من حلب كما ذكرنا أرسل الله عليهم عطشا شديدا ، وخالف بين كلمتهم ، وذلك أنه كان معه الدمستق ، فمامل طائفة من الجيش على قتله ليستقل هو بالأمر من بعده ، ففهم الملك ذلك فكر من فوره راجعاً ، فاتبعهم الأعراب ينهبونهم ليلا ونهاراً ، وكان من جملة ما أخذوا منهم أربعمائة حمل محجل محملة أموالا وثياباً للملك، وهلك أكثرهم جوعاً وعطشا ، ونهبوا من كل جانب ولله الحمد والمنة . وفيها ملك جلال الدولة واسطا واستناب عليها ولده ، وبعث وزيره أبا على بن ما كولا إلى البطائح ففتحها ، وسار فى الماء إلى البصرة وعليها نائب لأبى كاليجار ، فهزمهم البصريون فسار إليهم جلال الدولة بنفسه فدخلها فى شعبان منها . وفيها جاء سيل عظيم بغزنة فأهلك شيئا كثيرا من الزروع والأشجار . وفى رمضان منها تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين بألف ألف درهم ، وأدرأر زاقا كثيرة للفقهاء والعلماء ببلاده ، على عادة أبيه من قبله ، وفتح بلادا كثيرة ، واتسعت ممالكه جدا ، وعظم شأنه ، وقويت أركانه ، وكثرت جنوده وأعوانه . وفيها دخل خلق كثير من الأكراد إلى بغداد يسرقون خيل الأتراك ليلا ، فتحصن الناس منهم فأخذوا الخيول كلها حتى خيل السلطان . وفيها سقط جسر بغداد على نهر عيسى . وفيها وقعت فتنة بين الأتراك النازلين بباب البصرة ، و بين الهاشميين ، فرفعوا المصاحف ورمتهم الأتراك بالنشاب ، وجرت خبطة عظيمة ثم أصلح بين الفريقين . وفيها كثرت العملات ، وأخذت الدور جهرة ، وكثر العيارون ولصوص

الأكراد . وفيها تعطل الحج أيضاً سوى شرذمة من أهل العراق ركبوا من جمال البادية مع الأعراب ، ففازوا بالحج .

ذكر من توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن عبد الله بن أحمد ﴾

أبو الحسن الواعظ ، المعروف بابن اكرات ، صاحب كرامات ومعاملات ، كان من أهل الجزيرة فسكن دمشق ، وكان يعظ الناس بالرفادة القيلية ، حيث كان يجلس القصاص . قاله ابن عساكر . قال : وصنف كتبا فى الوعظ ، وحكى حكايات كثيرة ، ثم قال : سمعت أبا الحسن أحمد بن عبد الله اكرات الواعظ ينشد أبياتا :

أنا ما أصنع باللذا * ت شغلى بالذنوب
إنما العيد لمن فا * ز بوصل من حبيب
أصبح الناس على رو * ح وريحان وطيب
ثم أصبحت على نوح * وحزن ونحيب
فرحوا حين أهلوا * شهرهم بعد المغيب
وهلالى متوار * من ورا حجب الغيوب
فلهذا قلت للذا * ت غيبى ثم غيبى
وجعلت الهم والحز * ن من الدنيا نصيبى
يا حياتى ومماتى * وشقائى وطبيبى
جد لنفس تتلظى * منك بالرحب الرحيب

﴿ الحسين بن محمد الخليع ﴾

الشاعر ، له ديوان شعر حسن ، عمر طويلا ، وتوفى فى هذه السنة .

﴿ الملك الكبير العادل ﴾

محمود بن سبكتكين ، أبو القاسم الملقب يمين الدولة ، وأمين الملة ، وصاحب بلاد غزنة ، وما والاها ، وجيشه يقال لهم السامانية ، لأن أباه كان قد تملك عليهم ، وتوفى سنة سبع وثلاثين وثلثمائة فتملك عليهم بعده ولده محمود هذا ، فسار فيهم و فى سائر رعاياه سيرة عادلة ، وقام فى نصر الاسلام قياماً تاما ، وفتح فتوحات كثيرة فى بلاد الهند وغيرها ، وعظم شأنه ، واتسعت مملكته ، وامتدت رعاياه ، وطالت أيامه لعدله وجهاده ، وما أعطاه الله إياه ، وكان يخطب فى سائر ممالكه للخليفة القادر بالله ، وكانت رسل الفاطميين من مصر تفد إليه بالكتب والهدايا لأجل أن يكون من جهتهم ، فيحرق بهم و يحرق كتبهم وهداياهم ، وفتح فى بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة ، لم يتفق لغيره من

الملوك ، لا قبله ولا بعده ، وغنم مغانم منهـم كثيرة لا تنحصر ولا تنضبط ، من الذهب واللآلى ، والسبى ، وكسر من أصنامهم شيئا كثيرا ، وأخذ من حليتها . وقد تقدم ذلك مفصلا متفرقا فى السنين المتقدمة من أيامه ، ومن جملة ما كسر من أصنامهـم صنم يقال له سومنان ، بلغ ما تحصـل من حليته من الذهب عشرين ألف ألف دينار ، وكسر ملك الهند الأكبر الذى يقال له صينال ، وقهر ملك الترك الأعظم الذى يقال له إيلك الخان ، وأباد ملك السامانية ، وقد ملكوا العالم فى بلاد سمرقند وما حولها ، ثم هلكوا . و بنى على جيحون جسراً تعجز الملوك والخلفاء عنه ، غرم عليه ألفى ألف دينار ، وهذا شىء لم يتفق لغيره ، وكان فى جيشه أر بعمائة فيل تقاتل ، وهذا شىء عظيم هائل ، وجرت له فصول يطول تفصيلها ، وكان مع هذا فى غاية الديانة والصيانة وكراهة المعاصى وأهلها ، لا يحب منها شيئا ، ولا يألفه ، ولا أن يسمع بها ، ولا يجسر أحـد أن يظهر معصية ولا خمرا فى مملكته ، ولا غير ذلك ، ولا يحب الملاهى ولا أهلها ، وكان يحب العلماء والمحـدثين ويكرمهم و يجالسهم ، و يحب أهل الخير والدين والصلاح ، و يحسن إليهم ، وكان حنفيا ثم صار شافعيا على يدى أبى بكر القفال الصغير عـلى ما ذكره إمام الحرمين وغيره ، وكان على مذهب الـكرامية فى الاعتقاد ، وكان من جمـلة من يجالسه منهم محمد بن الهيضم ، وقد جرى بينه و بين أبى بكر بن فورك مناظرات بين يدى السلطان محمود فى مسألة العرش ، ذكرها ابن الهيضم فى مصنف له ، فمال السلطان محمود إلى قول ابن الهيضم ، ونقم على ابن فورك كلامه ، وأمر بطرده و إخراجه ، لموافقته لرأى الجهمية ، وكان عادلا جيداً ، اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه فى داره وعلى أهله فى كل وقت ، فيخرجه من البيت و يختلى بامرأته ، وقد حار فى أمره ، وكلما اشتكاه لأحد من أولى الأمر لا يجسر أحد عليه خوفا وهيبة للملك . فلما سمع الملك ذلك غضب غضبا شديدا وقال للرجل ، ويحك متى جاءك فائتنى فأعلمنى ، ولا تسمعن من أحد منعك من الوصول إلى ، ولو جاءك فى الليل فائتنى فاعلمنى ، ثم إن الملك تقدم إلى الحجبة وقال لهم : إن هذا الرجل متى جاءنى لا يمنعه أحد من الوصول إلىّ من ليل أو نهار ، فذهب الرجل مسرورا داعيا ، فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختلى بأهله ، فذهب باكيا إلى دار الملك فقيـل له إن الملك نائم ، فقال : قد تقدم إليكم أن لا أمنع منـه ليلا ولا نهارا ، فنبهوا الملك فخرج معه بنفسه وليس معه أحـد ، حتى جاء إلى منزل الرجل فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة فى فراش واحـد ، وعندهما شمعة تقد ، فتقـدم الملك فأطفأ الضوء ثم جاء فاحتز رأس الغلام وقال للرجل : ويحك الحقنى بشربة ماء ، فأتاه بها فشرب ثم انطلق الملك ليذهب ، فقال له الرجل : بالله لم أطفأت الشمعة ؟ قال : و يحك إنه ابن أختى ، و إنى كرهت أن أشاهده حالة الذبح ، فقال : ولم طلبت الماء سريعاً ؟ فقال الملك : إنى آليت على نفسى منذ أخبرتنى أن لا أطعم طعاماً ولا أشرب

شرابا حتى أنصرك ، وأقوم بحقك ، فكنت عطشانا هذه الأيام كلها ، حتى كان ما كان مما رأيت .
فدعا له الرجل وانصرف الملك راجعا إلى منزله ، ولم يشعر بذلك أحد . وكان مرض الملك محمود هذا
بسوء المزاج ، اعتراه معه انطلاق البطن سنتين ، فكان فيهما لا يضطجع على فراش ، ولا يتكئ
على شئ ، لقوة بأسه وسوء مزاجه ، وكان يستند على مخاد توضع له ويحضر مجلس الملك ، ويفصل
على عادته بين الناس ، حتى مات كذلك فى يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة
عن ثلاث وستين سنة ، ملكه منها ثلاث وثلاثون سنة ، وخلف من الأموال شيئا كثيرا ، من ذلك
سبعون رطلا من جوهر ، الجوهرة منه لها قيمة عظيمة سامحه الله . وقام بالأمر من بعده ولده محمد ، ثم
صار الملك إلى ولده الآخر مسعود بن محمود فأشبه أباه ، وقد صنف بعض العلماء مصنفا فى سيرته وأيامه
وفتوحاته وممالكه .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ﴾

فيها كانت وفاة القادر بالله الخليفة ، وخلافة ابنه القائم بأمر الله على ما سيأتى تفصيله وبيانه .
وفيها وقعت فتنة عظيمة بين السنة والروافض ، فقويت عليهم السنة وقتلوا خلقا منهم ، ونهبوا الكرخ
ودار الشريف المرتضى ، ونهبت العامة دور اليهود لأنهم نسبوا إلى معاونة الروافض ، وتعدى النهب
إلى دور كثيرة ، وانتشرت الفتنة جدا ، ثم سكنت بعد ذلك . وفيها كثرت العملات وانتشرت
المحنة بأمر العيارين فى أرجاء البلد ، وتجاسروا على أمور كثيرة ، ونهبوا دورا وأماكن سرا وجهرا ،
ليلا ونهارا ، والله سبحانه أعلم .

﴿ خلافة القائم بالله ﴾

أبى جعفر عبد الله بن القادر بالله ، بويع له بالخلافة لما توفى أبوه أبو العباس أحمد بن المقتدر بن
المعتضد بن الأمين أبو أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور ، فى
ليلة الاثنين الحادى عشر من ذى الحجة من هذه السنة ، عن ست وثمانين سنة ، وعشرة أشهر
وإحدى عشر يوما ، ولم يعمر أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ولا بعده ، مكث من ذلك خليفة إحدى
وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وهذا أيضاً شئ لم يسبقه أحد إليه ، وأمه أم ولد اسمها يمنى ، مولاة عبد
الواحد بن المقتدر ، وقد كان حليما كريما ، محبا لأهل العلم والدين والصلاح ، ويأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر ، وكان على طريقة السلف فى الاعتقاد ، وله فى ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس ،
وكان أبيض حسن الجسم طويل اللحية عريضها يخضبها ، وكان يقوم الليل كثير الصدقة ، محباً للسنة
وأهلها ، مبغضا للبدعة وأهلها ، وكان يكثر الصوم ويبر الفقراء من أقطاعه ، يبعث منه إلى
المجاورين بالحرمين وجامع المنصور ، وجامع الرصافة ، وكان يخرج من داره فى زى العامة فيزور قبور
الصالحين ، وقد ذكرنا طرفا صالحا من سيرته عند ذكر ولايته فى سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ، وجلسنوا

في عزائه سبعة أيام لعظم المصيبة به ، ولتوطيد البيعة لولده المذكور، وأمه يقال لها قطر الندى ، أرمنية أدركت خلافته في هذه السنة ، وكان مولده يوم الجمعة الثامن عشر من ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، ثم بويع له بحضرة القضاة والامراء والكبراء في هذه السنة ، وكان أول من بايعه المرتضى وأنشده أبياتا : فأما مضى جبل وانقضى * فمنك لنا جبل قد رسى

وأما فجعنا ببدر التمام * فقد بقيت منه شمس الضحى

لنا حزن في محل السرور * فكم ضحك في محل البكا

فياصارما أغمدته يد * لنا بعدك الصارم المنتضى

ولما حضرنا لعقد البياع * عرفنا بهديك طرق الهدى

فقابلتنا بوقار المشيب * كما لا وسنك سن الفتى

فطالبته الأتراك برسم البيعة فلم يكن مع الخليفة شيء يعطيهم ، لأن أباه لم يترك شيئا ، وكادت الفتنة تقع بين الناس بسبب ذلك ، حتى دفع عنه الملك جلال الدولة مالا جزيلا لهم ، نحوا من ثلاثة آلاف دينار، واستوزر الخليفة أبا طالب محمد بن أيوب ، واستقضى ابن ما كولا . ولم يحج أحد من أهل المشرق سوى شرذمة خرجوا من الكوفة مع العرب فحجوا .

وفيها توفي من الأعيان غير الخليفة ﴿ الحسن بن جعفر ﴾

أبو علي بن ما كولا الوزير لجلال الدولة ، قتله غلام له وجارية تعاملا عليه فقتلاه ، عن ست وخمسين سنة ﴿ عبد الوهاب بن علي ﴾

ابن نصر بن أحمد بن الحسن بن هارون بن مالك بن طوق ، صاحب الرحبة ، التغلبي البغدادى أحد أئمة المالكية ، ومصنفيهم ، له كتاب التلقين يحفظه الطلبة ، وله غيره في الفروع والأصول ، وقد أقام ببغداد دهراً ، وولي قضاء داريا وما كسايا ، ثم خرج من بغداد لضيق حاله ، فدخل مصر فأكرمه المغاربة وأعطوه ذهبا كثيرا ، فتمول جدا ، فأنشأ يقول متشوقا إلى بغداد .

سلام على بغداد في كل موقف * وحق لها مني السلام مضاعف

فو الله ما فارقتها عن ملالة * وإني بشطي جانبيها لعارف

ولكنها ضاقت علي بأسرها * ولم تكن الارزاق فيها تساعف

فكانت كخل كنت أهوى دنوه * وأخلاقه تنأى به وتخالف

قال الخطيب : سمع القاضي عبد الوهاب من ابن السماك ، وكتبت عنه ، وكان ثقة ، ولم تر المالكية أحداً أفقه منه . قال ابن خلكان : وعند وصوله إلى مصر حصل له شيء من المال ، وحسن حاله ، ومرض من أكلة اشتهاها فذكر عنه أنه كان يتقلب ويقول : لا إله إلا الله ، عند ما عشنا متنا

قال : وله أشعار رائقة فمنها قوله :

ونائمــة قبلتهـــا فتنبهت * فقالت تعالوا واطلبوا اللص بالحد

فقلت إنى فـديتك غاصب * وماحكموا فى غاصب بسوى الرد

خـذيها وكفى عن أثيم ظلابة * وإن أنت لم ترضى فالفا على العد

فقالت قصاص يشهد العقل أنه * على كبد الجانى ألذ من الشهد

فباتت يمينى وهى هميان خصرها * وباتت يسارى وهى واسطة العقد

فقالت ألم تخبر بأنك زاهـد * فقلت بلى ، مازلت أزهد فى الزهد

ومما أنشده ابن خلكان للقاضى عبد الوهاب :

بغداد دار لأهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظللت حيران أمشى فى أزقتها * كأننى مصحف فى بيت زنديق

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ﴾

فى سادس المحرم منها استسقى أهل بغـداد لتأخر المطر عن أوانه ، فلم يسقوا ، وكثر الموت فى الناس ، ولما كان يوم عاشوراء عملت الروافض بدعتهـم ، وكثر النوح والبكاء ، وامتـلأت بذلك الطرقات والأسواق . وفى صفر منها أمر الناس بالخروج إلى الاستسقاء فلم يخرج من أهل بغداد مع اتساعها وكثرة أهلها مائة واحد . وفيها وقع بين الجيش و بين جلال الدولة فاتفق على خروجه إلى البصرة منفيا ، ورد كثيرا من جواريه ، واستبقى بعضهن معـه ، وخرج من بغـداد ليلة الاثنين سادس ربيع الأول منها . وكتب الغلمان الاسـفهلارية إلى الملك أبى كاليجار ليقدم عليهم ، فلما قدم نهبت البلاد ولم يبق أحد من أهل العناد والالحاد ، ونهبوا دار جـلال الدولة وغيرها ، وتأخر مجئ أبى كاليجار ، وذلك أن وزيره أشار عليه بعـدم القدوم إلى بغداد . فأطاعه فى ذلك ، فكثر العيارون وتفاقم الحال ، وفسد البلد ، وافتقر جلال الدولة بحيث أن احتاج إلى أن باع بعض ثيابه فى الأسواق ، وجعل أبو كاليجار يتوهم من الأتراك و يطلب منهـم رهائن ، فـلم يتفق ذلك ، وطال الفصل فرجعوا إلى مكاتبة جلال الدولة ، وأن يرجع إلى بلده ، وشرعوا يعتذرون إليه ، وخطبوا له فى البلد على عادته ، وأرسل الخليفة الرسل إلى الملك كاليجار ، وكان فيمن بعث إليه القاضى أبو الحسن الماوردى ، فسلم عليه مستوحشا منه ، وقد تحمل أمرا عظيما ، فسأل من القضاة أن يلقب بالسلطان الأعظم مالك الأمم ، فقال الماوردى : هذا مالا سبيل إليـه ، لأن السلطان المعظم هو الخليفة ، وكذلك مالك الأمم ، ثم اتفقوا على تلقيبه بملك الدولة ، فأرسل مع الماوردى تحفا عظيمة منها ألف ألف دينار سابورية ، وغير ذلك من الدراهم آلاف مؤلفة ، والتحف والألطاف ، واجتمع الجند على

طلب من الخليفة فتعذر ذلك فراموا أن يقطعوا خطبته ، فلم تصل الجمعة ، ثم خطب له من الجمعة القابلة ، وتخبط البلد جدا ، وكثر العيارون . ثم فى ربيع الآخر منها حلف الخليفة لجلال الدولة بخلوص النية وضفائها ، وأنه على ما يحب من الصدق وصلاح السريرة . ثم وقع بينهما بسبب جلال الدولة وشربه النبيذ وسكره . ثم اعتذر إلى الخليفة واصطلحا على فساد . وفى رجب غلت الأسعار جدا ببغداد وغيرها ، من أرض العراق . ولم يحج أحد منهم .

وفيها وقع موتان عظيم ببلاد الهند وغزنة وخراسان وجرجان والرى وأصبهان ، خرج منها فى أدنى مدة أربعون ألف جنازة . وفى نواحى الموصل والجبل و بغداد طرف قوى من ذلك بالجدرى ، بحيث لم تخل دار من مصاب به ، واستمر ذلك فى خزيران وتموز وآزار وأيلول وتشرين الأول والثانى ، وكان فى الصيف أكثر منه فى الخريف . قاله ابن الجوزى فى المنتظم . وقد رأى رجل فى منامه من أهل أصبهان فى هذه السنة مناديا ينادى بصوت جهورى : ياأهل أصبهان سكت ، نطق ، سكت ، نطق ، فانتبه الرجل مذعوراً فلم يدر أحد تأويلها ما هو ، حتى قال رجل بيت أبى العتاهية فقال : احذروا يا أهل أصبهان فانى قرأت فى شعر أبى العتاهية قوله :

سكت الدهر زمانا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق

فما كان إلا قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود فقتل منهم خلقا كثيرا ، حتى قتل الناس فى الجوامع . وفى هذه السنة ظفر الملك أبو كاليجار بالخادم جندل فقتله ، وكان قد استحوذ على مملكته ولم يبق معه سوى الاسم ، فاستراح منه . وفيها مات ملك الترك الكبير صاحب بلاد ما وراء النهر ، واسمه قدرخان .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ روح بن محمد بن أحمد ﴾

أبو زرعة الرازى . قال الخطيب : سمع جماعة ، وفد علينا حاجاً فكتبت عنه ، وكان صدوقا فهماً ، أديباً ، يتفقه على مذهب الشافعى ، وولى قضاء أصبهان . قال : وبلغنى أنه مات بالكرخ سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

﴿ على بن محمد بن الحسن ﴾

ابن محمد بن نعيم بن الحسن البصرى ، المعروف بالنعيمى ، الحافظ الشاعر ، المتكلم الفقيه الشافعى . قال البرقانى : هو كامل فى كل شئ لولا بادرة فيه ، وقد سمع على جماعة ، ومن شعره قوله :

إذا أظمأتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعاً وريا

فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همه فى الثريا

أبياً لنائل ذى نعمة * تراه بما فى يديه أبيا

فان إراقة ماء الحيا * ةدون إراقة ماء المحيا

﴿ محمد بن الطيب ﴾

ابن سعد بن موسى أبو بكر الصباغ ، حدث عن النجاد وأبى بكر الشافعى ، وكان صدوقا ، حكى الخطيب أنه تزوج تسعمائة امرأة ، وتوفى عن خمس وتسعين سنة .

﴿ على بن هلال ﴾

الكاتب المشهور ، ذكر ابن خلكان أنه توفى فى هذه السنة ، وقيل فى سنة ثلاث عشرة كما تقدم

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة ﴾

فيها تفاقم الحال بأمر العيارين ، وتزايد أمرهم ، وأخذوا العملات الكثيرة ، وقوى أمر مقدمهم البرجمى ، وقتل صاحب الشرطة غيلة ، وتواترت العملات فى الليل والنهار ، وحرس الناس دورهم ، حتى دار الخليفة منه ، وكذلك سور البلد ، وعظم الخطب بهم جدا ، وكان من شأن هذا البرجمى أنه لا يؤذى امرأة ولا يأخذ مما عليها شيئا ، وهذه مروءة فى الظلم ، وهذا كما قيل * حنانيك بعض الشر أهون من بعض * وفيها أخذ جلال الدولة البصرة وأرسل إليها ولده العزيز ، فأقام بها الخطبة لأبيه ، وقطع منها خطبة أبى كاليجار فى هذه السنة والتى بعدها ، ثم استرجعت ، وأخرج منها ولده . وفيها ثارت الأتراك بالملك جلال الدولة ليأخذوا أرزاقهم ، وأخرجوه من داره ، ورسموا عليه فى المسجد ، وأخرجت حريمه ، فذهب فى الليل إلى دار الشريف المرتضى فنزلها ، ثم اصطلحت الأتراك عليه وحلفوا له بالسمع والطاعة ، وردوه إلى داره ، وكثر العيارون واستطالوا على الناس جدا . ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان لفساد البلاد .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن الحسين بن أحمد ﴾

أبو الحسين الواعظ المعروف بابن السماك ، ولد سنة ثلاثين وثلثمائة ، وسمع جعفر الخلدى وغيره وكان يعظ بجامع المنصور وجامع المهدى ، ويتكلم على طريق الصوفية ، وقد تكلم بعض الأئمة فيه ، ونسب إليه الكذب . توفى فيها عن أربع وتسعين سنة ودفن بباب حرب .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة ﴾

فيها غزا السلطان مسعود بن محمود بلاد الهند ، وفتح حصونا كثيرة ، وكان من جملتها أنه حاصر قلعة حصينة فخرجت من السور عجوز كبيرة ساحرة ، فأخذت مكنسة فبلتها ورشتها من ناحية جيش المسلمين ، فمرض السلطان تلك الليلة مرضا شديدا ، فارتحل عن تلك القلعة ، فلما استقل ذاهبا عنها عوفى عافية كاملة ، فرجع إلى غزنة سالما . وفيها ولى البساسيرى حماية الجانب الشرقى من بغداد ، لما تفاقم أمر العيارين . وفيها ولى سنان بن سيف الدولة بعد وفاة أبيه ، فقصد عمه قرواشا فأقره

وساعده على أموره . وفيها هلك ملك الروم أرمانوس ، فملكهم رجل ليس من بيت ملكهم ، قدكان صيرفيا فى بعض الأحيان ، إلا أنه كان من سلالة الملك قسطنطين . وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام فهدمت شيئا كثيرا ، ومات تحت الردم خلق كثير ، وانهدم من الرملة ثلثها ، وتقطع جامعها تقطيعاً ، وخرج أهلها منها هاربين ، فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام ، ثم سكن الحال فعادوا إليها ، وسقط بعض حائط بيت المقدس ، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ، ومن مسجد إبراهيم قطعة ، وسلمت الحجرة ، وسقطت منارة عسقلان ، ورأس منارة غزة ، وسقط نصف بنيان نابلس ، وخسف بقرية البار زاد و بأهلها و بقرها وغنمها ، وساخت فى الأرض . وكذلك قرى كثيرة هنالك ، وذكر ذلك ابن الجوزى . ووقع غلاء شديد ببلاد إفريقية ، وعصفت ريح سوداء بنصيبين فألقت شيئا كثيرا من الأشجار كالتوت والجوز والعناب ، واقتلعت قصراً مشيداً بحجارة وآجر وكلس فألقته وأهله فهلكوا ، ثم سقط مع ذلك مطر أمثال الأكف ، والزنود والأصابع ، وجزر البحر من تلك الناحية ثلاث فراسخ ، فذهب الناس خلف السمك فرجع البحر عليهم فهلكوا . وفيها كثر الموت بالخوانيق حتى كان يغلق الباب على من فى الدار كلهم موتى ، وأكثر ذلك كان ببغداد ، فمات من أهلها فى شهر ذى الحجة سبعون ألفا . وفيها وقعت الفتنة بين السنة والروافض حتى بين العيارين من الفريقين مع ابنا الاصفهانى وهما مقدمى عيارى أهل السنة ، منعا أهل الكرخ من ورود ماء دجلة فضاق عليهم الحال ، وقتل ابن البرجمى وأخوه فى هذه السنة . ولم يحج أحد من أهل العراق .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب ﴾

الحافظ أبو بكر المعروف بالبرقانى ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وسمع الكثير ، ورحل إلى البلاد ، وجمع كتبا كثيرة جدا ، وكان عالما بالقرآن والحديث والفقه والنحو ، وله مصنفات فى الحديث حسنة نافعة . قال الأزهرى : إذا مات البرقانى ذهب هذا الشأن ، وما رأيت أتقن منه . وقال غيره : ما رأيت أعبد منه فى أهل الحديث . توفى يوم الخميس مستهل رجب ، وصلى عليه أبو على بن أبى موسى الهاشمى ، ودفن فى مقبرة الجامع ببغداد ، وقد أورد له ابن عساكر من شعره :

أعلل نفسى بكتب الحديث * وأجمل فيه لها الموعدا
وأشغل نفسى بتصنيفه * وتخريجه دائما سرمدا
فطوراً أصنفه فى الشيو * خ وطوراً أصنفه مسنداً
وأقفو البخارى فيما حوا * ه وصنفه جاهدا مجهدا
ومسلم إذ كان زين الانام * بتصنيفه مسلما مرشدا
ومالى فيه سوى أننى * أراه هوى صادف المقصدا

وأرجو الثواب بكتب الصلا * ة على السيد المصطفى أحمدا

{ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد }

أبو العباس الأبيوردي ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، كانت له حلقة في جامع المنصور للفتيا ؛ وكان يدرس في قطيعة الربيع ، وولي الحكم ببغداد نيابة عن ابن الأكفاني ، وقد سمع الحديث ، وكان حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، فصيح اللسان ، صبوراً على الفقر ، كاتما له ، وكان يقول الشعر الجيد ، وكان كما قال تعالى (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا) توفي في جمادى الآخرة ، ودفن بمقبرة باب حرب :

{ أبو علي البندنيجي }

الحسن بن عبد الله بن يحيى ، الشيخ أبو علي البندنيجي ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ أبي حامد أيضاً ، ولم يكن في أصحابه مثله ، تفقه ودرس وأفتى وحكم ببغداد ، وكان دينا ورعا . توفي في جمادى الآخرة منها أيضا .

{ عبد الوهاب بن عبد العزيز }

الحارث بن أسد ، أبو الصباح التميمي ، الفقيه الحنبلي الواعظ ، سمع من أبيه أثرا مسلسلا عن علي «الحنان : الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال» توفي في ربيع الأول ودفن في مقبرة أحمد بن حنبل .

{ غريب بن محمد }

ابن مقن سيف الدولة أبو سنان ، كان قد ضرب السكة باسمه ، وكان ملكا متمكنا في الدولة ، وخلف خمسمائة ألف دينار ، وقام ابنه سنان بعده ، وتقوى بعمه قرواش ، واستقامت أموره ، توفي بالكرخ سابور عن سبعين سنة .

{ ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة }

في محرمها كثر تردد الأعراب في قطع الطرقات إلى حواشي بغداد وما حولها ، بحيث كانوا يسلبون النساء ما عليهن ، ومن أسروه أخذوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه ، واستفحل أمر العيارين وكثرت شرورهم ، وفي مستهل صفر زادت دجلة بحيث ارتفع الماء على الضياع ذراعين ، وسقط من البصرة في مدة ثلاثة نحو من ألفي دار . وفي شعبان منها ورد كتاب من مسعود بن محمود بأنه قد فتح فتحا عظيما في الهند ، وقتل منهم خمسين ألفا وأسر تسعين ألفا ، وغنم شيئا كثيراً ، ووقعت فتنة بين أهل بغداد والعيارين ، ووقع حريق في أماكن من بغداد ، واتسع الخرق على الراقع ، ولم يحج أحد من هؤلاء ولا من أهل خرسان .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن كليب الشاعر ﴾

وهو أحد من هلك بالعشق ، روى ابن الجوزى فى المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المغتر عشق غلاما يقال له أسلم بن أبى الجعد ، من بنى خلد[1] وكان فيهم وزارة ، أى كانوا وزراء للملوك وحجابا ، فأنشد فيه أشعارا تحدث الناس بها ، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم فى مجالس المشايخ فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحى من الناس وانقطع فى دارهم ، وكان لا يجتمع بأحد من الناس ، فازداد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضا شديدا ، بحيث عاده منه الناس ، ولا يدرون ما به ، وكان فى جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء ، فسأله عن مرضه فقال : أنتم تعلمون ذلك ، ومن أى شئ مرضى ، وفى أى شئ دوائى ، لو زارنى أسلم ونظر إلى نظرة ونظرته نظرة واحدة لبرأت ، فرأى ذلك العالم من المصلحة أن لو دخل على أسلم وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة مختفياً ، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته ، فانطلقا إليه فلما دخلا دربه ومحلته تجبن الغلام واستحى من الدخول عليه ، وقال للرجل العالم : لا أدخل عليه ، وقد ذكرنى ونوه باسمى ، وهذا مكان ريبة وتهمة ، وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم ، فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه فأبى عليه ، فقال له : إنه ميت لا محالة ، فاذا دخلت عليه أحييته . فقال : يموت وأنا لا أدخل مدخلا يسخط الله على ويغضبه ، وأبى أن يدخل ، وانصرف راجعاً إلى دارهم ، فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه ، وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدوم معشوقه عليه ، ففرح بذلك جدا ، فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب فى نفسه ، وقال لذلك الرجل الساعى بينهما : اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عنى ما أقول ، ثم أنشده :

أسلم ياراحة العليل * رفقا على الهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فؤادى * من رحمة الخالق الجليل

فقال له الرجل : ويحك اتق الله تعالى ، ما هذه العظيمة ؟ فقال : قد كان ما سمعت ، أو قال القول ما سمعت . قال فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه ، وسمع صيحة الموت وقد فارق الدنيا على ذلك . وهذه زلة شنعاء ، وعظيمة صلعاء ، وداهية دهياء ، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ماذكرتها ، ولكن فيها عبرة لأولى الألباب ، وتنبيه لذوى البصائر والعقول ، أن يسألوا الله رحمته وعافيته ، وأن يستعينوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد .

قال الحميدى : وأنشدنى أبو على بن أحمد قال : أنشدنى محمد بن عبد الرحمن لأحمد بن كليب وقد أهدى إلى أسلم كتاب الفصيح لثعلب :

(١) فى النجوم الزاهرة : أسلم بن أحمد بن سعيد قاضى قضاة الاندلس .

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح * وهبته لك طوعا * كما وهبتك روحى

﴿ الحسن بن أحمد ﴾

ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران البزاز ، أحد مشايخ الحديث ، سمع الكثير ، وكان ثقة صدوقا ، جاء يوما شاب غريب فقال له : إنى رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال لى : اذهب إلى أبى على بن شاذان فسلم عليه وأقره منى السلام . ثم انصرف الشاب فبكى الشيخ وقال : ما أعلم لى عملا أستحق به هذا غير صبرى على سماع الحديث ، وصلاتى على رسول الله ﷺ كلما ذكر . ثم توفى بعد شهرين أو ثلاثة من هذه الرؤيا فى محرمها ، عن سبع وثمانين سنة ودفن بباب الدير .

﴿ الحسن بن عثمان ﴾

ابن أحمد بن الحسين بن سورة ، أبو عمر الواعظ المعروف بابن الغلو ، سمع الحديث عن جماعة . قال ابن الجوزى : وكان يعظ ، وله بلاغة ، وفيه كرم ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر ، ومن شعره قوله :

دخلت على السلطان فى دار عزه * بفقر ولم أجلب بخيل ولا رجل

وقلت : انظروا ما بين فقرى وملككم * بمقدار ما بين الولاية والعزل

توفى فى صفر منها وقد قارب الثمانين ، ودفن بمقبرة حرب إلى جانب ابن السماك رحمهما الله .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة ﴾

فى المحرم منها تكاملت قنطرة عيسى التى كانت سقطت ، وكان الذى ولى مشارفة الانفاق عليها الشيخ أبو الحسين القدورى الحنفى ، وفى المحرم وما بعده تفاقم أمر العيارين ، وكبسوا الدور وتزايد شرهم جدا .

وفيها توفى صاحب مصر الظاهر أبو الحسن على بن الحاكم الفاطمى ، وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده المستنصر وعمره سبع سنين ، واسمه معد ، وكنيته أبو تميم ، وتكفل بأعباء المملكة بين يديه الأفضل أمير الجيوش ، واسمه بدر بن عبد الله الجمالى ، وكان الظاهر هذا قد استوزر الصاحب أبا القاسم على بن أحمد الجرجرائى ، وكان مقطوع اليدين من المرفقين ، فى سنة ثمانى عشرة ، فاستمر فى الوزارة مدة ولاية الظاهر ، ثم لولده المستنصر ، حتى توفى الوزير الجرجرائى المذكور فى سنة ست وثلاثين ، وكان قد سلك فى وزارته العفة العظيمة ، وكان الذى يعلم عنه القاضى أبو عبد الله القضاعى صاحب كتاب الشهاب ، وكانت علامته الحمد لله شكرا لنعمه ، وكان الذى قطع يديه من المرفقين الحاكم ، لجناية ظهرت منه فى سنة أربع وأربعمائة ، ثم استعمله فى بعض الأعمال سنة تسع ، فلما فقد الحاكم فى السابع والعشرين من شوال ، سنة إحدى عشرة ، تنقلت بالجرجرائى المذكور الأحوال حتى استوزر سنة ثمانى عشرة كما ذكرنا ، وقد هجاه بعض الشعراء

قال : يا أجما اسمع وقل * ودع الرقاعة والتحامق

أأقمت نفسك فى الثقا * ت وهبك فما قلت صادق

أمن الأمانة والتقى * قطعت يداك من المرافق

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبى ﴾

ويقال الثعلبى أيضا ـ وهو لقب أيضاً وليس ـ بنسبة ، النيسابورى المفسر المشهور ، له التفسير الكبير ، وله كتاب العرايس فى قصص الأنبياء عليهم السلام ، وغير ذلك ، وكان كثير الحديث واسع السماع ، ولهذا يوجد فى كتبه من الغرائب شئ كثير ، ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى فى تاريخ نيسابور ، وأثنى عليه ، وقال : هو صحيح النقل موثوق به ، توفى فى سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وقال غيره : توفى يوم الاربعاء لسبع بقين من المحرم منها ، ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله . وقال السمعانى : ونيسابور كانت مغصبة فأمر سابور الثانى ببنائها مدينة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ﴾

فيها خلع الخليفة على أبى تمام محمد بن محمد بن على الزينبى ، وقلده ما كان إلى أبيه من نقابة العباسيين والصلاة . وفيها وقعت الفرقة بين الجند و بين جلال الدولة وقطعوا خطبته وخطبة الملك أبى كاليجار ، ثم أعادوا الخطبة ، واستوزر أبا المعالى بن عبد الرحيم ، ، وكان جلال الدولة قد جمع خلقا كثيرا معه ، منهم البساسيرى ، ودبيس بن على بن مرثد ، وقرواش بن مقلد ، ونازل بغداد من جانبها الغربى حتى أخذها قهرا ، واصطلح هو وأبو كاليجار نائب جلال الدولة على يدى قاضى القضاة الماوردى ، وتزوج أبو منصور بن أبى كاليجار بابنة جلال الدولة على صداق خمسين ألف دينار واتفقت كلمتهما وحسن حال الرعية . وفيها نزل مطر ببلاد قم الصلح ومعه سمك و زن السمكة رطل و رطلان ، وفيها بعث ملك مصر بمال لاصلاح نهر بالكوفة إن أذن الخليفة العباسى فى ذلك ، فجمع الخليفة الفقهاء وسألهم عن هذا المال فأفتوا بأن هذا المال فئ للمسلمين ، يصرف فى مصالحهم . فأذن فى صرفه فى مصالح المسلمين . وفيها ثار العيارون ببغداد وفتحوا السجن بالجانب الشرقى ، وأخذوا منه رجالا وقتلوا من رجال الشرط سبعة عشر رجلا ، وانتشرت الشرور فى البلد جدا . ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان لاختلاف الكلمة .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ القدورى أحمد بن محمد ﴾

ابن أحمد بن جعفر ، أبو الحسن القدورى الحنفى البغدادى ، سمع الحديث ولم يحدث إلا بشئ يسير . قال الخطيب : كتبت عنه . وقد تقدمت وفاته ، ودفن بداره فى درب خلف .

﴿ الحسن بن شهاب ﴾

ابن الحسن بن على ، أبو على العكبرى ، الفقيه الحنبلى الشاعر ، ولد سنة خمس وثلاثين وثلثمائة

سمع من أبى بكر بن مالك وغيره ، وكان كما قال البرقانى ثقة أمينا ، وكان يسترزق من الوراقة ـ وهو النسخ ـ يقال إنه كان يكتب ديوان المتنبى فى ثلاث ليال فيبيعه بمائتى درهم ، ولما توفى أخذ السلطان من تركتـه ألف دينار سوى الأملاك ، وكان قـد أوصى بثلث ماله فى متفقهة الحنابلة ، فلم تصرف

﴿ لطف الله أحمد بن عيسى ﴾

أبو الفضل الهاشمى ، ولى القضاء والخطابة بدرب ريحان ، وكان ذا لسان ، وقـد أضر فى آخر عمره ، وكان يروى حكايات وأناشيد من حفظه ، توفى فى صفر منها .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن على بن موسى بن عبد المطلب ، أبو على الهاشمى ، أحد أئمة الحنابلة وفضلائهم .

﴿ محمد بن الحسن ﴾

ابن أحمد بن على أبو الحسن الأهوازى ، ويعرف بابن أبى عـلى الأصبهانى ، ولد سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، وقدم بغداد وخرج له أبو الحسن النعيمى أجزاء من حديثه ، فسمعها منه البرقانى ، إلا أنه بان كذبه ، حتى كان بعضهم يسميـه جراب الكذب ، أقام ببغـداد سبع سنين ، ثم عاد إلى الأهوزا فمات بها

﴿ مهيار الديلمى الشاعر ﴾

مهيار بن مرزويه أبو الحسين الكاتب الفارسى ، ويقال له الديلمى ، كان مجوسياً فأسلم ، إلا أنه سلك سبيل الرافضة ، وكان ينظم الشعر القوى الفحل فى مذاهبهم ، من سب الصحابة وغيرهم ، حتى قال له أبو القاسم بن برهان : يا مهيار انتقلت من زاوية فى النار إلى زاوية أخرى فى النار ، كنت مجوسيا فأسلمت فصرت تسب الصحابة ، وقد كان منزله بدرب رباح من الكرخ ، وله ديوان شعر مشهور ، فمن مستجاد قوله :

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغى عندكم قلبا سمحت به * وكيف يرجع شئ وهو موهوب
ما كنت أعرف مقدار حبكم * حتى هجرت وبعض الهجر تأديب

ولمهيار أيضاً :

أجارتنا بالغور والركب منهم * أيعلم خال كيف بات المتيم
رحلتم وجمر القلب فينا وفيكم * سواء ولكن ساهرون ونوّم
فبنتم عنا ظاعنين وخلفوا * قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم
ولما خلى التوديع عما حذرته * ولم يبق إلا نظرة لى تغنم
بكيت على الوادى وحرمت ماءه * وكيف به ماء وأكثره دم

قال ابن الجوزى : ولما كان شعره أكثره جيـداً اقتصرت على هـذا القدر . توفى فى جمادى

﴿ هبة الله بن الحسن ﴾

أبو الحسين المعروف بالحاجب ، كان من أهل الفضل والأدب والدين ، وله شعر حسن ، فمنه قوله :

يا ليلة سلك الزما * ن فى طيبها كل مسلك
إذ ترتقى روحى المسر * ة مدركا ما ليس يدرك
والبدر قد فضح الزما * ن وسرُّه فيه مهتّك
وكأنما زهر النجو * م بلمعها شعل تحرك
والغيب أحيانا يلو * ح كأنه ثوب ممسك
وكأن تجعيد الريا * ح لدجلة ثوب مفرّك
وكان نشر المسك * ينفح فى النسيم إذا تحرك
وكأنما المنثور مصفر * الذرى ذهب مسبّك
والنور يبسم فى الريا * ض فان نظرت إليه سرك
شارطت نفسى أن أقو * م بحقها والشرط أملك
حتى تولى الليـل منـ * ـهزما وجاء الصبح يضحك
وذا الفتى لو أنه * فى طيب العيش يترك
والدهر يحسب عمره * فاذا أتاه الشيب فذلك

﴿ أبو على بن سينا ﴾

الطبيب الفيلسوف ، الحسن بن عبد الله بن سينا الرئيس ، كان بارعاً فى الطب فى زمانه ، كان أبوه من أهل بلخ ، وانتقل إلى بخارى ، واشتغل بها فقرأ القرآن وأتقنه ، وهو ابن عشر سنين ، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة و إقليدس والمجسطى ، ثم اشتغل على أبى عبد الله الناتلى الحكيم ، فبرع فيه وفاق أهل زمانه فى ذلك ، وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وعالج بعض الملوك السامانية ، وهو الأمير نوح بن نصر ، فأعطاه جائزة سنية ، وحكمه فى خزانة كتبه ، فرأى فيها من العجائب والمحاسن مالا يوجد فى غيرها ، فيقال إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه ، وله فى الالٓهيات والطبيعات كتب كثيرة ، قال ابن خلكان : له نحو من مائة مصنف ، صغار وكبار ، منها القانون ، والشفا ، والنجاة ، والاشارات ، وسلامان ، وانسان ، وحى بن يقظان ، وغير ذلك . قال وكان من فلاسفة الاسلام ، أورد له من الأشعار قصيدته فى نفسه التى يقول فيها :

هبطت إليك من المقام الأرفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف * وهى التى سفرت ولم تتبرقع

وصلت عـلى كره إليك وربما * كرهت فراقك وهى ذات تفجع

وهى قصيدة طويلة وله :

اجعل غـذاءك كل يوم مرة * واحذر طعاما قبل هضم طعام

واحفظ منيك ما استطعت فانه * ماء الحياة يراق فى الارحام

وذكر أنه مات بالقولنج فى همذان ، وقيل بأصبهان ، والأول أصح ، يوم الجمعة فى شهر رمضان منها ، عن ثمان وخمسين سـنة . قلت : قد حصر الغزالى كلامه فى مقاصد الفلاسـفة ، ثم رد عليه فى تهافت الفلاسـفة فى عشرين مجلساً له ، كفره فى ثلاث منها ، وهى قوله بقـدم العالم ، وعـدم المعاد الجثمانى ، وأن الله لا يعلم الجزئيات ، و بدعه فى البواقى ، ويقال إنه تاب عند الموت فالله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة ﴾

فيها كان بدو ملك السلاجقة ، وفيها استولى ركن الدولة أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، على نيسابور ، وجلس عـلى سرير ملكها ، و بعث أخاه داود إلى بلاد خراسان فملكها ، وانتزعها من نواب الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين . وفيها قتل جيش المصريين لصاحب حلب وهو شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ، واستولوا عـلى حلب وأعمالها . وفيها سأل جلال الدولة الخليفة أن يلقب ملك الدولة ، فأجابه إلى ذلك بعد تمنع . وفيها اسـتدعى الخليفة بالقضاة والفقهاء وأحضر جاثليق النصارى ورأس جالوت اليهود ، وألزموا بالغيار . وفى رمضان منها لقب جلال الدولة شاهنشاه الأعظم ملك الملوك ، بأمر الخليفة ، وخطب له بذلك على المنابر ، فنفرت العامة من ذلك ورموا الخطباء بالآجر ، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك ، واستفتوا القضاة والفقهاء فى ذلك فأفتى أبو عبد الله الصيمرى أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية ، وقد قال تعالى (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وقال (وكان وراءهم ملك) وإذا كان فى الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهـم فوق بعض ، وأعظم من بعض ، وليس فى ذلك ما يوجب النكير والمماثلة بين الخالق والمخلوقين . وكتب القاضى أبو الطيب الطبرى أن إطلاق ملك الملوك جائز ، ويكون معناه ملك ملوك الأرض ، وإذا جاز أن يقال كافى الكفاة وقاضى القضاة ، جاز أن يقال ملك الملوك ، وإذا كان فى اللفظ ما يدل على أن المراد به ملوك الأرض زالت الشبهة ، ومنه قولهم : اللهـم أصلح الملك ، فيصرف الـكلام إلى المخلوقين وكتب التميمى الحنبلى نحو ذلك ، وأما الماوردى صاحب الحاوى الكبير فقد نقل عنه أنه أجاز ذلك أيضا ، والمشهور عنه مانقله ابن الجوزى والشيخ أبو منصور بن الصلاح فى أدب المفتى أنه منع من ذلك وأصر على المنع من ذلك ، مع صحبته للملك جلال الدولة ، وكثرة تردداه إليه ، ووجاهته عنده ، وأنه امتنع من الحضور عن مجلسه حتى استدعاه جلال الدولة فى يوم عيد ، فلما دخل عليه ،

دخل وهو وجل خائف أن يوقع به مكروها ، فلما واجهه قال له جلال الدولة : قد علمت أنه إنما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياى و وجاهتك عندى ، دينك واتباعك الحق ، و إن الحق آثر عندك من كل أحد ، ولو حابيت أحدا من الناس لحابيتنى ، وقد زادك ذلك عندى صحبة ومحبة ، وعلو مكانة .

قلت : والذى حمل القاضى الماوردى على المنع هو السنة التى و ردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجه . قال الامام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ أنه قال : « أخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الأملاك » . قال الزهرى : سألت أبا عمرو الشيبانى عن أخنع اسم قال : أوضع . وقد رواه البخارى عن على بن المدينى عن ابن عيينة ، وأخرجه مسلم من طريق همام عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل تسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله عز وجل ».وقال الامام أحمد : حدثنى محمد بن جعفر حدثنا عوف عن جلاس عن أبى هريرة ، قال قال رسول الله ﷺ «اشتد غضب الله على من قتله نبى ، واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الأملاك ، لاملك إلا الله عز وجل » .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الثعالبى صاحب يتيمة الدهر ﴾

أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى ، كان إماماً فى اللغة والأخبار وأيام الناس ، بارعاً مفيداً ، له التصانيف الكبار فى النظم والنثر والبلاغة والفصاحة ، وأ كبر كتبه يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر . وفيها يقول بعضهم :

أبيات أشعار اليتيمة * أبكار أفكار قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم * فلذاك سميت اليتيمة

و إنما سمى الثعالبى لأنه كان رفاء يخيط جلود الثعالب ، وله أشعار كثيرة مليحة ، ولد سنة خمسين وثلثمائة ،ومات فى هذه السنة .

﴿ الأستاذ أبو منصور ﴾

عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، البغدادى الفقيه الشافعى ، أحد الأئمة فى الأصول والفروع ، وكان ماهرا فى فنون كثيرة من العلوم ، منها علم الحساب والفرائض ، وكان ذامال وثروة أنفقه كله على أهل العلم ، وصنف ودرس فى سبعة عشر علما ، وكان اشتغاله على أبى إسحاق الاسفرائينى ، وأخذ عنه ناصر المروزى وغيره

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها التقى الملك مسعود بن محمود ، والملك طغرلبك السلجوقى ، ومعه أخوه داود ، فى شعبان ،

فهزمهما مسعود ، وقتل من أصحابهما خلقا كثيرا . وفيها خطب شبيب بن ريان للقائم العباسي بحران والرحبة وقطع خطبة الفاطمي العبيدي . وفيها خوطب أبو منصور بن جلال الدولة بالملك العزيز ، وهو مقيم بواسط ، وهذا العزيز آخر من ملك بغداد من بني بويه ، لما طغوا وتمردوا و بغوا وتسموا بملك الأملاك ، فسلبهم الله ما كان أنعم به عليهم ، وجعل الملك في غيرهم ، كما قال الله تعالى (إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الآية . وفيها خلع الخليفة على القاضي أبي عبد الله بن ما كولا خلعة تشريف . وفيها وقع ثلج عظيم ببغداد مقدار شبر . قال ابن الجوزي : وفي جمادى الآخرة تملك بنو سلجوق بلاد خراسان والجبل ، وتقسموا الأطراف ، وهو أول ملك السلجوقية ولم يحج أحد فيها من العراق وخراسان ، ولا من أهل الشام ولا مصر إلا القليل.

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ﴾

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ، أبو نعيم الأصبهاني ، الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة ، منها حلية الأولياء في مجلدات كثيرة ، دلت على اتساع روايته ، وكثرة مشايخه ، وقوة اطلاعه على مخارج الحديث ، وشعب طرقه ، وله معجم الصحابة ، وهو عندي بخطه ، وله صفة الجنة ودلائل النبوة ، وكتاب في الطب النبوي ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة . وقد قال الخطيب البغدادي : كان أبو نعيم يخلط المسموع له بالمجاز ، ولا يوضح أحدهما من الآخر . وقال عبد العزيز النخشبي : لم يسمع أبو نعيم مسند الحارث بن أبي أسامة من أبي بكر بن خلاد بتمامه ، فحدث به كله ، وقال ابن الجوزي : سمع الكثير وصنف الكثير ، وكان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد ميلا كثيراً ، توفي أبو نعيم في الثامن والعشرين من المحرم منها عن أربع وتسعين سنة رحمه الله ، لأنه ولد فيما ذكره ابن خلكان في سنة ست وثلاثين وثلثمائة . قال وله تاريخ أصبهان . وذكر أبو نعيم في ترجمة والده أن مهران أسلم ، وأن ولاءهم لعبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب . وذكر أن معنى أصبهان وأصلها بالفارسية شاهان ، أي مجمع العساكر ، وأن الاسكندر بناها

﴿ الحسن بن حفص ﴾

أبو الفتوح العلوي أمير مكة الحسن بن الحسين ، أبو علي البرجمي ، وزر لشرف الدولة سنتين ثم عزل ، وكان عظيم الجاه في زمانه ، وهو الذي بنى مارستان واسط ، ورتب فيه الأشربة والأطباء والأدوية ، ووقف عليه كفايته . توفي في هذه السنة وقد قارب الثمانين رحمه الله .

﴿ الحسين بن محمد بن الحسن ﴾

ابن علي بن عبد الله المؤدب ، وهو أبو محمد الخلال ، سمع صحيح البخاري من إسماعيل بن محمد الكشميهني ، وسمع غيره ، توفي في جمادي الأولى ودفن بباب حرب .

﴿ عبد الملك بن محمد ﴾

ابن عبد الله بن محمد بن بشر بن مهران ، أبو القاسم الواعظ ، سمع النجاد ودعلج بن أحمد والآجرى وغيرهم ، وكان ثقة صدوقا ، وكان يشهد عند الحكام فترك ذلك رغبة عنه ورهبة من الله ، ومات فى ربيع الآخر منها ، وقد جاوز التسعين ، وصلى عليه فى جامع الرصافة ، وكان الجمع كثيرا حافلا ، ودفن إلى جانب أبى طالب المكى ، وكان قد أوصى بذلك .

﴿ محمد بن الحسين بن خلف ﴾

ابن الفراء ، أبو حازم القاضى أبو يعلى الحنبلى ، سمع الدارقطنى وابن شاهين ، قال الخطيب : كان لا بأس به ، ورأيت له أصولا سماعه فيها ، ثم إنه بلغنا أنه خلط فى الحديث بمصر واشترى من الوراقين صحفا فروى منها ، وكان يذهب إلى الاعتزال . توفى بتنيس من بلاد مصر .

﴿ محمد بن عبد الله ﴾

أبو بكر الدينورى الزاهد ، كان حسن العيش ، وكان ابن القزوينى يثنى عليه ، وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره ، وقد سأله مرة أن يطلق للناس مكث الملح ، وكان مبلغه ألفى دينار فتركه من أجله ، ولما توفى اجتمع أهل بغداد لجنازته وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى .

﴿ الفضل بن منصور ﴾

أبو الرضى ، ويعرف بابن الظريف ، وكان شاعراً ظريفا ومن شعره قوله :

يا قالة الشعر قد نصحت لكم * ولست أدهى إلا من النصح
قد ذهب الدهر بالكرام * وفى ذاك أمور طويلة الشرح
أتطلبون النوال من رجل * قد طبعت نفسه على الشح
وأنتم تمدحون بالحسن والظرف * وجوهاً فى غاية القبح
من أجل ذا تحرمون رزقكم * لانكم تكذبون فى المدح
صونوا القوافى فما أرى * أحدا يغتر فيه بالنجح
فان شككتم فيما اقول لكم * فكذبونى بواحد سمح

﴿ هبة الله بن على بن جعفر ﴾

أبو القاسم بن ما كولا ، وزر لجلال الدولة مرارا ، وكان حافظا للقرآن ، عارفا بالشعر والأخبار ، خنق بهيت فى جمادى الآخرة منها .

﴿ أبو زيد الدبوسى ﴾

عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه الحنفى ، أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود . قاله

ابن خلكان، وكان يضرب به المثل، والدبوس نسبة إلى قرية من أعمال بخارى، قال: وله كتاب الأسرار والتقويم للادلة، وغير ذلك من التصانيف والتعاليق، قال وروى أنه ناظر فقيها فبقى كلما ألزمه أبو زيد إلزاماتبسم أو ضحك، فأنشد أبو زيد فى ذلك:

مالى إذا ألزمته حجة * قابلنى بالضحك والقهقهة

إن ضحك المرء من فقهه * فالدب بالصحراء ما أفقهه

﴿ الحوفى صاحب إعراب القرآن ﴾

أبو الحسن على بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفى النحوى، له كتاب فى النحو كبير، وإعراب القرآن فى عشر مجلدات، وله تفسير القرآن أيضاً، وكان إماما فى العربية والنحو والأدب وله تصانيف كثيرة، انتفع بها الناس. قال ابن خلكان: والحوفى نسبة لناحية بمصر يقال لها الشرقية، وقصبتها مدينة بلبيس، فجميع ريفها يسمون حوف، واحدهم حوفى وهو من قرية يقال لها شبرا النخلة من أعمال الشرقية المذكورة رحمه الله.

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها زادت دجلة زيادة عظيمة بحيث حملت الجسر ومن عليه فألقتهم بأسفل البلد وسلموا، وفيها وقع بين الجند و بين جلال الدولة شغب، وقتل من الفريقين خلق، وجرت شرور يطول ذكرها. ووقع فساد عريض واتسع الخرق على الراقع، ونهبت دور كثيرة جدا، ولم يبق للملك عندهم حرمة، وغلت الأسعار. وفيها زار الملك أبو طاهر مشهد الحسين، ومشى حافيا فى بعض تلك الأزوار. ولم يحج أحد من أهل العراق. وفيها بعث الملك أبو كاليجار وزيره العادل إلى البصرة فملكها له.

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ إسماعيل بن أحمد ﴾

ابن عبد الله أبو عبد الرحمن الضرير الحيرى، من أهل نيسابور، كان من أعيان الفضلاء الأذكياء، والثقات الأمناء، قدم بغداد حاجاً فى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فقرأ عليه الخطيب جميع صحيح البخارى فى ثلاث مجالس بروايته له عن أبى الهيثم الكشميهنى، عن الفربرى عن البخارى، توفى فيها وقد جاوز التسعين.

﴿ بشرى الفاتنى ﴾

وهو بشرى بن مسيس من سبى الروم، أهداه أمراء بنى حمدان الفاتن غلام المطيع، فأدبه وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ، وروى عنه الخطيب. وقال: كان صدوقا صالحا دينا، توفى يوم عيد الفطر منها رحمه الله ﴿ محمد بن على ﴾

ابن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطى، وأصله من فم الصلح، سمع الحديث وقرأ

القرآت ورواها، وقد تكلموا فى روايته فى القراءات والحديث فالله أعلم. توفى فى جمادى الآخرة منها وقد جاوز الثمانين .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها عظم شأن السلجوقية ، وارتفع شأن ملكهم طغرلبك ، وأخيه داود ، وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق بن بغاق، وقد كان جدهم بغاق هذا من مشايخ الترك القدماء ، الذين لهم رأى ومكيدة ومكانة عند ملكهم الأعظم ، ونشأ ولده سلجوق نجيبا شهماً ، فقدمه الملك ولقبه شباشى ، فأطاعته الجيوش وانقاد له الناس بحيث تخوف منه الملك وأراد قتله ، فهرب منه إلى بلاد المسلمين ، فأسلم فازداد عزا وعلوا، ثم توفى عن مائة وسبع سنين ، وخلف أرسلان وميكائيل وموسى ، فأما مكائيل فانه اعتنى بقتال الكفار من الأتراك ، حتى قتل شهيدا ، وخلف ولديه طغرلبك محمد ، وجعفر بك داود ، فعظم شأنهما فى بنى عمهما ، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين ، وهم ترك الايمان الذين يقول لهم الناس تركمان ، وهم السلاجقة بنو سلجوق جدهم هذا ، فأخذوا بلاد خراسان بكمالها بعد موت محمود بن سبكتكين ، وقد كان يتخوف منهم محمود بعض التخوف ، فلما مات وقام ولده مسعود بعده قاتلهم وقاتلوه مراراً ، فكانوا يهزمونه فى أكثر المواقف ، واستكمل لهم ملك خراسان بأسرها ، ثم قصدهم مسعود فى جنود يضيق بهم الفضاء فكسروه ، وكبسه مرة داود فانهزم مسعود فاستحوذ على حواصله وخيامه ، وجلس على سريره ، وفرق الغنائم على جيشه ، ومكث جيشه على خيولهم لا ينزلون عنها ثلاثة أيام ، خوفا من دهمة العدو ، وبمثل هذا تم لهم ما راموه ، وكمل لهم جميع ما أملوه ، ثم كان من سعادتهم أن الملك مسعود توجه نحو بلاد الهند لسبى بها وترك مع ولده مودود جيشاً كثيفا بسبب قتال السلاجقة ، فلما عبر الجسر الذى على سيحون نهبت جنوده حواصله ، واجتمعوا على أخيه محمد بن محمود ، وخلعوا مسعوداً فرجع إليهم مسعود فقاتلهم فهزموه وأسروه ، فقال له أخوه : والله لست بقاتلك على شر صنيعك إلى ، ولكن اختر لنفسك أى بلد تكون فيه أنت وعيالك ، فاختار قلعة كبرى ، وكان بها ، ثم إن الملك محمدا أخا مسعود جعل لولده الأمر من بعده ، وبايع الجيش له ، وكان ولده اسمه أحمد ، وكان فيه هوج ، فاتفق هو ويوسف بن سبكتكين على قتل مسعود ليصفو لهم الأمر ، ويتم لهم الملك ، فسار إليه أحمد من غير علم أبيه فقتله ، فلما علم أبوه بذلك غاظه وعتب على ابنه عتبا شديدا ، وبعث إلى ابن أخيه يعتذر إليه ويقسم له أنه لم يعلم بذلك، حتى كان ما كان . فكتب إليه مودود بن مسعود : رزق الله ولدك المعتوه عقلا يعيش به ، فقد ارتكب أمراً عظيما ، وقدم على إراقة دم مثل والدى الذى لقبه أمير المؤمنين بسيد الملوك والسلاطين ، وستعلمون أى حيف تورطتم ، وأى شر تأبطتم (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) ثم سار إليهم فى جنود فقاتلهم فقهرهم

وأسرهم ، فقتل عمه محمداً وابنه أحمد وبنى عمه كلهم ، إلا عبد الرحمن وخلقا من رؤس أمرائهم ، وابتنى قرية هنالك وسماها فتحا أباذا ، ثم سار إلى غزنة فدخلها فى شعبان ، فأظهر العدل وسلك سيرة جده محمود ، فأطاعه الناس ، وكتب إليه أصحاب الأطراف بالانقياد والاتباع والطاعة ، غير أنه أهلك قومه بيده ، وهذا من جملة سعادة السلاجقة .

وفيها اختلف أولاد حماد على العزيز باديس صاحب إفريقية ، فسار إليهم فحاصرهم قريباً من سنتين ، ووقع بإفريقية فى هذه السنة غلاء شديد بسبب تأخر المطر ، ووقع ببغداد فتنة عظيمة بين الروافض والسنة من أهل الكرخ ، وأهل باب البصرة ، فقتل بينهم خلق كثير من الفريقين . ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ محمد بن الحسين ﴾

ابن الفضل بن العباس ، أبو يعلى البصرى الصوفى ، أذهب عمره فى الاسفار والتغريب ، وقدم بغداد فى سنة ثنتين وثلاثين ، فحدث بها عن أبى بكر بن أبى الحديد الدمشقى ، وأبى الحسين بن جميع الغسانى ، وكان ثقة صدوقا دينا حسن الشعر .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها ملك طغرلبك جرجان وطبرستان ، ثم عاد إلى نيسابور مؤيدا منصورا . وفيها ولى ظهير الدولة بن جلال الدولة أبى جعفر بن كالويه بعد وفاة أبيه ، فوقع الخلف بينه وبين أخويه أبى كاليجار وكرسانيف . وفيها دخل أبو كاليجار همذان ودفع الغز عنها . وفيها شعثت الأكراد ببغداد لسبب تأخر العطاء عنهم . وفيها سقطت قنطرة بنى زريق على نهر عيسى ، وكذا القنطرة الكثيفة التى تقابلها . وفيها دخل بغداد رجل من البلغار يريد الحج ، وذكر أنه من كبارهم ، فأنزل بدار الخلافة وأجرى عليه الأرزاق ، وذكر أنهم مولدون من الترك والصقالبة ، وأنهم فى أقصى بلاد الترك ، وأن النهار يقصر عندهم حتى يكون ست ساعات ، وكذلك الليل ، وعندهم عيون وزروع وثمار ، على غير مطر ولا سقى . وفيها قرىء الاعتقاد القادرى الذى جمعه الخليفة القادر ، وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين ، ومن خالفه فسق وكفر ، وكان أول من كتب عليه الشيخ أبو الحسن على بن عمر القزوينى ، ثم كتب بعده العلماء ، وقد سرده الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى بتمامه فى منتظمه ، وفيه جملة جيدة من اعتقاد السلف .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ بهرام بن منافية ﴾

أبو منصور الوزير لأبى كاليجار ، كان عفيفا نزها صينا ، عادلا فى سيرته ، وقد وقف خزانة

كتب فى مدينة فيروزباذ ، تشتمل على سبعة آلاف مجلد ، من ذلك أربعة آلاف ورقة بخط أبى على وأبى عبد الله بن مقلة [1] .

﴿ محمد بن جعفر بن الحسين ﴾

المعروف بالجهرمى ، قال الخطيب : هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمعنا منهم ، وكان يجيد القول ، ومن شعره :

يا ويح قلبى من تقلبه * أبدا نحن إلى معذبه
قالوا كتمت هواه عن جلد * لو أن لى جلد لبحت به
ما بى جننت غير مكترث * عنى ولكن من تغيبه
حسبى رضاه من الحياة وما * يلقى وموتى من تغضبه

﴿ مسعود الملك بن الملك محمود ﴾

ابن الملك سبكتكين ، صاحب غزنة وابن صاحبها ، قتله ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود ، فانتقم له ابنه مودود بن مسعود ، فقتل قاتل أبيه وعمه وابن عمه وأهل بيته ، من أجل أبيه ، واستتب له الأمر وحده من غير منازع من قومه كما تقدم ﴿ بنت أمير المؤمنين المتقى بالله ﴾ تأخرت مدتها حتى توفيت فى هذه السنة فى رجب منها عن إحدى وتسعين سنة ، بالحريم الظاهر ، ودفنت بالرصافة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها أمر الملك جلال الدولة أبا طاهر بجباية أموال الجوالى ، ومنع أصحاب الخليفة من قبضها ، فانزعج لذلك الخليفة القائم بالله ، وعزم على الخروج من بغداد . وفيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز ، فهدمت قلعتها وسورها ودورها ، ومن دار الامارة عامة قصورها ، ومات تحت الهدم خمسون ألفا ، ولبس أهلها المسوح لشدة مصابهم . وفيها استولى السلطان طغرلبك على أكثر البلاد الشرقية من ذلك مدينة خوارزم ودهستان وطيس والرى وبلاد الجبل وكرمان وأعمالها ، وقزوين . وخطب له فى تلك النواحى كلها ، وعظم شأنه جدا ، واتسع صيته . وفيها ملك سماك بن صالح بن مرداس حلب ، أخذها من الفاطميين ، فبعث إليه المصريون من حاربه . ولم يحج أحد من أهل العراق وغيرها ، ولا فى اللواتى قبلها .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أبو ذر الهروى ﴾

عبد الله بن أحمد بن محمد الحافظ المالكى ، سمع الكثير ورحل إلى الاقاليم ، وسكن مكة ، ثم تزوج فى العرب ، وكان يحج كل سنة ويقيم بمكة أيام الموسم ويسمع الناس ، ومنه أخذ المغاربة منهب الأشعرى عنه ، وكان يقول إنه أخذ مذهب مالك عن الباقلانى ، كان حافظا ، توفى فى

(١) كذا فى الاصل . وابن مقلة هو أبو على محمد بن على .

ذى القعدة .

﴿ محمد بن الحسين ﴾

ابن محمد بن جعفر ، أبو الفتح الشيبانى العطار ، و يعرف بقطيط ، سافر الكثير إلى البلاد ، وسمع الكثير ، وكان شيخا ظريفا ، سلك طريق التصوف ، وكان يقول : لما ولدت سميت قطيطا على أسماء البادية ، ثم سمانى بعض أهلى محمداً .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها ردت الجوالى إلى نواب الخليفة . وفيها ورد كتاب من الملك طغرلبك إلى جلال الدولة يأمره بالاحسان إلى الرعايا والوصاة بهم ، قبل أن يحل به ما يسوءه .

﴿ ذكر ملك أبى كاليجار بغداد بعد وفاة أخيه جلال الدولة ﴾

وفيها توفى جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة ، فملك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كاليجار بن بهاء الدولة ، وخطب له بها عن ممالأة أمرائها ، وأخرجوا منها الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة ، فتنقل فى البلاد وتسرب من مملكته إلى غيرها حتى توفى سنة إحدى وأربعين ، وحمل فدفن عند أبيه بمقابر قريش . وفيها أرسل الملك مودود بن مسعود عسكرا كثيفا إلى خراسان فبرز إليهم ألب أرسلان بن داود السلجوقى فاقتتلا قتالا عظيما ، وفى صفر منها أسلم من الترك الذين كانوا يطرقون بلاد المسلمين نحو من عشرة آلاف خركاة ، وضحوا فى يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس من الغنم ، وتفرقوا فى البلاد ، ولم يسلم من خطا والتتر أحد وهم بنواحى الصين . وفيها نفى ملك الروم من القسطنطينية كل غريب له فيها دون العشرين سنة . وفيها خطب المعز أبو تميم صاحب إفريقية ببلاده للخليفة العباسى ، وقطع خطبة الفاطميين وأحرق أعلامهم ، وأرسل إليه الخليفة الخلع واللواء المنشور ، وفيه تعظيم له وثناء عليه . وفيها أرسل القائم بأمر الله أبا الحسن على بن محمد ابن حبيب الماوردى قبل موت جلال الدولة إلى الملك طغرلبك ليصلح بينه و بين جلال الدولة وأبى كاليجار ، فسار إليه فالتقاه بجرجان فتلقاه الملك على أربعة فراسخ إكراما للخليفة ، وأقام عنده إلى السنة الآتية . فلما قدم على الخليفة أخبره بطاعته و إكرامه لأجل الخليفة .

وفيها توفى من الأعيان

﴿ الحسين بن عثمان ﴾

ابن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى ، أبو سعد أحد الرحالين فى طلب الحديث إلى البلاد المتباعدة ، ثم أقام ببغداد مدة وحدث بها ، وروى عنه الخطيب ، وقال : كان صدوقا ، ثم انتقل فى آخر عمره إلى مكة فأقام بها حتى مات فى شوال منها .

﴿ عبد الله بن أبى الفتح ﴾

أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر ، أبو القاسم الأزهرى ، الحافظ المحدث المشهور ، و يعرف

بابن السوارى ، سمع من أبى بكر بن مالك وخلق يطول ذكرهم ، وكان ثقة صدوقا ، دينا ، حسن الاعتقاد والسيرة ، توفى ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر منها عن ثمانين سنة وعشرة أيام .

﴿ الملك جلال الدولة ﴾

أبو طاهر بن بهاء الدولة بن بويه الديلمى ، صاحب العراق ، كان يحب العباد و يزورهم ، و يلتمس الدعاء منهم ، وقد نكب مرات عديدة ، وأخرج من داره ، وتارة أخرج من بغداد بالكلية ، ثم يعود إليها حتى اعتراه وجع كبده فمات من ذلك فى ليلة الجمعة خامس شعبان منها ، وله من العمر إحدى وخمسين سنة وأشهر ، تولى العراق من ذلك ستة عشرة سنة و إحدى عشر شهرا والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها دخل الملك أبو كاليجار بغداد وأمر بضرب الطبل فى أوقات الصلوات الخمس ، ولم تكن الملوك تفعل ذلك ، إنما كان يضرب لعضد الدولة ثلاث أوقات ، وما كان يضرب فى الأوقات الخمس إلا للخليفة ، وكان دخوله إليها فى رمضان ، وقد فرق على الجند أموالا جزيلة ، و بعث إلى الخليفة بعشرة آلاف دينار ، وخلع على مقدمى الجيوش وهم البساسيرى ، والنشاورى ، والهمام أبو اللقاء ، ولقبه الخليفة محيي الدولة ، وخطب له فى بلاد كثيرة بأمر ملوكها ، وخطب له بهمذان ، ولم يبق لنواب طغرلبك فيها أمر . وفيها استوزر طغرلبك أبا القاسم عبد الله الجوينى ، وهو أول وزير وزر له . وفيها ورد أبو نصر أحمد بن يوسف الصاحب مصر ، وكان يهوديا فأسلم بعد موت الجرجراى . وفيها تولى نقابة الطالبيين أبو أحمد بن عدنان بن الرضى ، وذلك بعد وفاة عمه المرتضى . وفيها ولى القضاء أبو الطيب الطبرى ، قضاء الكرخ ، مضافا إلى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق ، وذلك بعد موت القاضى الصيمرى . وفيها نظر رئيس الرؤساء أبو القاسم ابن المسلم فى كتاب ديوان الخليفة ، وكان عنده بمنزلة عالية . ولم يحج فيها أحد من أهل العراق .

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ الحسين بن على ﴾

ابن محمد بن جعفر ، أبو عبد الله الصيمرى نسبة إلى نهر البصرة يقال له صيمر ، عليه عدة قرى ، أحد أئمة الحنفية ، ولى قضاء المدائن ثم قضاء ربع الكرخ ، وحدث عن أبى بكر المفيد ، وابن شاهين وغيرهما ، وكان صدوقا وافر العقل ، جميل المعاشرة ، حسن العبادة ، عارفا بحقوق العلماء . توفى فى شوال عن خمس وثمانين سنة .

﴿ عبد الوهاب بن منصور ﴾

ابن أحمد ، أبو الحسن المعروف بابن المشترى الأهوازى ، كان قاضياً بالأهواز[1] ونواحيها ،

---

(١) فى ابن الأثير : قاضى خوزستان وفارس .

شافعى المذهب ، كان له منزلة كبيرة عند السلطان ، وكان صدوقا كثير المال ، حسن السيرة .

﴿ الشريف المرتضى ﴾

على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، الشريف الموسوى ، الملقب بالمرتضى ، ذى المجدين ، كان أكبر من أخيه ذى الحسبين وكان جيد الشعر على مذهب الامامية والاعتزال ، يناظر على ذلك ، وكان يناظر عنده فى كل المذاهب ، وله تصانيف فى التشيع ، أصولا وفروعا ، وقد نقل ابن الجوزى أشياء من تفرداته فى التشيع ، فمن ذلك أنه لا يصح السجود إلا على الأرض أو ما كان من جنسها ، وأن الاستجمار إنما يجزئ فى الغائط لا فى البول ، وأن الكتابيات حرام ، وكذا ذبائح أهل الكتاب ، وما ولدوه هم وسائر الكفار من الأطعمة حرام ، وأن الطلاق لا يقع إلا بحضرة شاهدين ، والمعلق منه لا يقع وإن وجد شرطه ، ومن نام عن صلاة العشاء حتى انتصف الليل وجب قضاؤها ، ويجب عليه أن يصبح صائما كفارة لما وقع منه . ومن ذلك أن المرأة إذا جزت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ ، ومن شق ثوبه فى مصيبة وجب عليه كفارة اليمين ، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يعلمه وجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم ، وأن قطع السارق من رؤس الأصابع . قال ابن الجوزى : نقلته من خط أبى الوفاء ابن عقيل . قال : وهذه مذاهب عجيبة ، تخرق الاجماع ، وأعجب منها ذم الصحابة رضى الله عنهم . ثم سرد من كلامه شيئا قبيحاً فى تكفير عمر بن الخطاب وعثمان وعائشة وحفصة رضى الله عنهم وأخزاه الله وأمثاله من الأرجاس الأنجاس ، أهل الرفض والارتكاس ، إن لم يكن تاب ، فقد روى ابن الجوزى قال : أنبأنا ابن ناصر عن أبى الحسن بن الطيورى قال سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار وهو يقول : أبو بكر وعمر وليا فعدلا واسترحما فرحما ، فأنا أقول ارتدا بعد ما أسلما ؟ قال فقمت عنه فما بلغت عتبة داره حتى سمعت الزعقة عليه . توفى فى هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة . وقد ذكره ابن خلكان فلس عليه على عادته مع الشعراء فى الثناء عليهم ، وأورد له أشعارا رائقة . قال ويقال : إنه هو الذى وضع كتاب نهج البلاغة

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن شعيب بن عبد الله بن الفضل ، أبو منصور الرويانى ، صاحب الشيخ أبى حامد الاسفرايينى قال الخطيب : سكن بغداد وحدث بها ، وكتبنا عنه ، وكان صدوقا يسكن قطيعة الربيع . توفى فى ربيع الأول منها ، ودفن بباب حرب .

﴿ أبو الحسين البصرى المعتزلى ﴾

محمد بن على بن الخطيب ، أبو الحسين البصرى المتكلم ، شيخ المعتزلة والمنتصر لهم ، والمحامى

عن ذمهم بالتصانيف الكثيرة ، توفى فى ربيع الآخر منها ، وصلى عليه القاضى أبو عبد الله الصيمرى ، ودفن فى الشونيزى ، ولم يرو من الحديث سوى حديث واحد ، رواه الخطيب البغدادى فى تاريخه : حدثنا محمد بن على بن الطيب قرئ على هلال بن محمد بن أخى هلال الرأى ، بالبصرة وأنا أسمع ، قيل له حدثكم أبو مسلم الكجى وأبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى والغلابى والمازنى والزريقى قالوا : حدثنا القعنبى عن شعبة عن منصور عن ربعى عن أبى مسعود البدرى . قال قال رسول الله ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت » . والغلابى اسمه محمد ، والمازنى اسمه محمد بن حامد ، والزريقى أبو على محمد بن أحمد بن خالد البصرى .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها بعث السلطان طغرلبك السلجوقى أخاه إبراهيم إلى بلاد الجبل فملكها ، وأخرج عنها صاحبها كرشاسف بن علاء الدولة ، فالتحق بالأكراد ، ثم سار إبراهيم إلى الدينور فملكها أيضاً ، وأخرج صاحبها وهو أبو الشوك ، فسار إلى حلوان فتبعه إبراهيم فملك حلوان قهرا ، وأحرق داره وغنم أمواله ، فعند ذلك تجهز الملك أبو كاليجار لقتال السلاجقة الذين تعدوا على أتباعه ، فلم يمكنه ذلك لقلة الظهر ، وذلك أن الآفة اعترت فى هذه السنة الخيل فمات له فيها نحو من اثنى عشر ألف فرس ، بحيث جافت بغداد من جيف الخيل . وفيها وقع بين الروافض والسنة ثم اتفق الفريقان على نهب دور اليهود ، وإحراق الكنيسة العتيقة ، التى لهم ، واتفق موت رجل من أكابر النصارى بواسط فجلس أهله لعزائه على باب مسجد هناك وأخرجوا جنازته جهرا ، ومعها طائفة من الأتراك يحرسونها ، فحملت عليهم العامة فهزموهم وأخذوا الميت منهم واستخرجوه من أكفانه فأحرقوه ، ورموا رماده فى دجلة ، ومضوا إلى الدير فنهبوه ، وعجز الأتراك عن دفعهم . ولم يحج فيها أحد من أهل العراق .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ فارس بن محمد بن عناز ﴾

صاحب الدينور وغيرهم ، توفى فى هذا الأوان .

﴿ خديجة بنت موسى ﴾

ابن عبد الله الواعظة ، وتعرف ببنت البقال ، وتكنى أم سلمة ، قال الخطيب : كتبت عنها وكانت فقيرة صالحة فاضلة .

﴿ أحمد بن يوسف السليكى المنازى ﴾

الشاعر الكاتب ، وزير أحمد بن مروان الكردى ، صاحب ميافارقين وديار بكر ، كان فاضلا بارعا لطيفا ، تردد فى الترسل إلى القسطنطينية غير مرة ، وحصل كتبا عزيزة أوقفها على جامعى آمد

ومياقارقين ، ودخل يوما على أبي العلاء المعرى فقال له : إني معتزل الناس وهم يؤذونني ، وتركت لهم الدنيا ، فقال له الوزير : والآخرة أيضاً . فقال والآخرة يا قاضي ؟ قال : نعم. وله ديوان قليل النظير عزيز الوجود ، حرص عليه القاضي الفاضل فلم يقدر عليه ، توفي فيها . ومن شعره في وادي نزاعة .

وقانا لفحة الرمضاء واد * وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم
يراعي الشمس أني قابلته * فيحجبها ليأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

قال ابن خلكان : وهذه الأبيات بديعة في بابها .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ﴾

استهلت هذه السنة والموتان كثير في الدواب جدا ، حتى جافت بغداد . قال ابن الجوزي : وربما أحضر بعض الناس الأطباء لأجل دوابهم فيسقونها ماء الشعير ويطببونها . وفيها حاصر السلطان بن طغرلبك أصبهان فصالحه أهلها على مال يحملونه إليه ، وأن يخطب له بها ، فأجابوه إلى ذلك . وفيها ملك مهلهل قرميسين والدينور . وفيها تأمر على بني خفاجة رجل يقال له رجب بن أبي منيع بن ثمال ، بعد وفاة بدران بن سلطان بن ثمال ، وهؤلاء الأعراب أكثر من يصد الناس عن بيت الله الحرام ، فلا جزاهم الله خيرا .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ الشيخ أبو محمد الجويني ﴾

إمام الشافعية : عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيسويه الشيخ أبو محمد الجويني ، وهو والد إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن أبي محمد ، وأصله من قبيلة يقال لها سنبس ، وجوين من نواحي نيسابور ، سمع الحديث من بلاد شتى على جماعة ، وقرأ الأدب على أبيه ، وتفقه بأبي الطيب سهل ابن محمد الصعلوكي ، ثم خرج إلى مرو إلى أبي بكر عبد الله بن أحمد القفال ، ثم عاد إلى نيسابور وعقد مجلس المناظرة ، وكان مهيبا لا يجري بين يديه إلا الجد ، وصنف التصانيف الكثيرة في أنواع من العلوم وكان زاهدا شديد الاحتياط لدينه حتى ربما أخرج الزكاة مرتين . وقد ذكرته في طبقات الشافعية وذكرت ماقاله الأئمة في مدحه ، توفي في ذي القعدة منها . قال ابن خلكان : صنف التفسير الكبير المشتمل على أنواع العلوم ، وله في الفقه التبصرة والتذكرة ، وصنف مختصر المختصر ، والفرق والجمع ، والسلسلة وغير ذلك ، وكان إماماً في الفقه والاصول والأدب والعربية . توفي في هذه السنة ، وقيل سنة أربع وثلاثين . قاله السمعاني في الانساب ، وهو في سن الكهولة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها اصطلح الملك طغرلبك وأبو كاليجار ، وتزوج طغرلبك بابنته ، وتزوج أبو منصور بن كاليجار ، بابنة الملك داود أخي طغرلبك . وفيها أسرت الأكراد سرخاب أخا أبي الشوك وأحضروه بين يدى أميرهم ينال ، فأمر بقلع إحدى عينيه . وفيها استولى أبو كاليجار على بلاد البطيحة ونجا صاحبها أبو نصر بنفسه . وفيها ظهر رجل يقال له الأصفر التغلبي ، وادعى أنه من المذكورين فى الكتب ، فاستغوى خلقا ، وقصد بلادا فغنم منها أموالا تقوى بها ، وعظم أمره . ثم اتفق له أسر وحمل إلى نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر ، فاعتقله وسد عليه باب السجن . وفيها كان وباء شديد بالعراق والجزيرة ، بسبب جيف الدواب التى ماتت ، فمات فيها خلق كثير ، حتى خلت الأسواق وقلت الأشياء التى يحتاج إليها المرضى ، وورد كتاب من الموصل بأنه لا يصلى الجمعة من أهلها إلا نحو أربعمائة ، وأن أهل الذمة لم يبق منهم إلا نحو مائة وعشرين نفسا . وفيها وقع غلاء شديد أيضاً ووقعت فتنة بين الروافض والسنة ببغداد ، قتل فيها خلق كثير . ولم يحج فيها أحد من ركب العراق

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد ﴾

أبو الفضل القاضى الهاشمى ، الرشيدى ، من ولد الرشيد ، ولى القضاء بسجستان ، وسمع الحديث من الغطريفى . قال الخطيب : أنشدنى لنفسه قوله :

قالوا اقتصد فى الجود إنك منصف * عدل وذو الانصاف ليس يجور

فأجبتهم إنى سلالة معشر * لهم لواء فى الندى منشور

تالله إنى شائد ما قدموا * جدى الرشيد وقبله المنصور

﴿ عبد الواحد بن محمد ﴾ بن يحيى بن أيوب أبو القاسم الشاعر المعروف بالمطرز ، ومن شعره قوله

يا عبد كم لك من ذنب ومعصية * إن كنت ناسيها فالله أحصاها

لا بد يا عبد من يوم تقوم به * ووقفة لك يدمى القلب ذكراها

إذا عرضت على قلبى تذكرها * وساء ظنى فقلت استغفر الله

﴿ محمد بن الحسن بن على ﴾

ابن عبد الرحيم أبو سعد الوزير ، وزر للملك جلال الدولة ست مرات ، ثم كان موته بجزيرة ابن عمر فيها عن ست وخمسين سنة .

﴿ محمد بن أحمد بن موسى ﴾

أبو عبد الله الواعظ الشيرازى ، قال الخطيب : قدم بغداد وأظهر الزهد والتقشف والورع ، وعزوف النفس عن الدنيا ، فافتتن الناس به ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير ، ثم إنه بعد حين كان

يعرض عليه الشئ فيقبله ، فكثرت أمواله ، ولبس الثياب الناعمة ، وجرت له أمور ، وكثرت أتباعه وأظهر أنه يريد الغزو فاتبعه نفر كثير ، فعسكر بظاهر البلد ، وكان يضرب له الطبل فى أوقات الصلوات وسار إلى ناحية أذربيجان ، فالتف عليه خلق كثير ، وضاها أمير تلك الناحية ، وكانت وفاته هنالك فى هذه السنة . قال الخطيب : وقد حدث ببغداد وكتبت عنه أحاديث يسيرة ، وحدثنى بعض أصحابنا عنه بشئ يدل على ضعفه ، وأنشد هو لبعضهم :

إذا ما أطعت النفس فى كل لذة * نسبت إلى غير الحجى والتكرم

إذا ما أجبت الناس فى كل دعوة * دعتك إلى الأمر القبيح المحرم

﴿ المظفر بن الحسين ﴾

ابن عمر بن برهان ، أبو الحسن الغزال ، سمع محمد بن المظفر وغيره ، وكان صدوقا .

﴿ محمد بن على بن إبراهيم ﴾

أبو الخطاب الحنبلى الشاعر ، من شعره قوله :

ما حكم الحب فهو ممتثل * وما جناه الحبيب محتمل

يهوى و يشكو الضنى وكل هوى * لا ينحل الجسم فهو منتحل

وقد سافر إلى الشام فاجتاز بمعرة النعمان فامتدحه أبو العلاء المعرى بأبيات ، فأجابه مرتجلا عنها. وقد كان حسن العينين حين سافر ، فما رجع إلى بغداد إلا وهو أعمى . توفى فى ذى القعدة منها و يقال إنه كان شديد الرفض فالله أعلم .

﴿ الشيخ أبو على السنجى ﴾

الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعية فى زمانه ، أخذ عن أبى بكر القفال ، وشرح الفروع لابن الحداد ، وقد شرحها قبله شيخه ، وقبله القاضى أبو الطيب الطبرى ، وشرح أبو على السنجى كتاب التلخيص لابن القاص ، شرحا كبيرا ، وله كتاب المجموع ، ومنه أخذ الغزالى فى الوسيط . قال ابن خلكان : وهو أول من جمع بين طريقة العراقيين والخراسانيين . توفى سنة بضع وثلاثين وأربعمائة

﴿ ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة ﴾

فى هذه السنة توفى الملك أبو كاليجار فى جمادى الأولى منها ، صاحب بغداد ، مرض وهو فى برية ، فقصد فى يوم ثلاث مرات ، وحمل فى محفة فمات ليلة الخميس ، ونهبت الغلمان الخزائن ، وأحرق الجوارى الخيام ، سوى الخيمة التى هو فيها ، وولى بعده ابنه أبو نصر ، وسموه الملك الرحيم ، ودخل دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع ، وسوره وطوقه وجعل على رأسه التاج والعمامة السوداء ، ووصاه الخليفة ، ورجع إلى داره وجاء الناس ليهنئوه . وفيها دار السور على شيراز ، وكان دوره اثنى عشر

ألف ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، وعرضه ستة أذرع ، وفيه أحد عشر بابا . وفيها غزا إبراهيم ابن نيال بلاد الروم فغنم مائة ألف رأس ، وأربعة آلاف درع ، وقيل تسع عشرة ألف درع ، ولم يبق بينه و بين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوماً ، وحمل ماغنم على عشرة آلاف عجلة . وفيها خطب لذخيرة الدين أبى العباس أحمد بن الخليفة القائم بأمر الله ، على المنابر بولاية العهد بعد أبيه ، وحيى بذلك. وفيها اقتتل الروافض والسنة ، وجرت ببغداد فتن يطول ذكرها . ولم يحج أحد من أهل العراق. ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن عيسى بن المقتدر ﴾

أبو محمد العباسى ، ولد فى المحرم سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة ، وسمع من مؤدبه أحمد بن منصور السكرى ، وأبى الأزهر عبد الوهاب الكاتب ، وكان فاضلا دينا ، حافظا لأخبار الخلفاء ، عالما بأيام الناس صالحا ، أعرض عن الخلافة مع قدرته عليها ، وآثر بها القادر . توفى فيها عن سبع وتسعين سنة . وأوصى أن يدفن بباب حرب ، فدفن قريباً من قبر الامام أحمد بن حنبل .

﴿ هبة الله بن عمر بن أحمد بن عثمان ﴾

أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ، سمع من أبى بكر بن ملك ، وابن ماسى والبرقانى . قال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقا ، ولد فى سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، وتوفى فى ربيع الآخر منها ، ودفن بباب حرب ﴿ على بن الحسن ﴾

ابن محمد بن المنتاب أبو محمد القاسم ، المعروف بابن أبى عثمان الدقاق . قال الخطيب : سمع القطيعى وغيره ، وكان شيخاً صالحا ، صدوقا دينا ، حسن المذهب .

﴿ محمد بن جعفر بن أبى الفرج ﴾

الوزير الملقب بذى السعادات ، وزر لأبى كاليجار بفارس و بغداد ، وكان ذا مروءة غزيرة ، مليح الشعر والترسل ، ومن محاسنه أنه كتب إليه فى رجل مات عن ولد له ثمانية أشهر وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار ، فكتب إليه الموصى ، وقيل غيره : إن فلانا قد مات وخلف ولدا عمره ثمانية أشهر ، وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار ، فان رأى الوزير أن يقترض هذا المال إلى حين بلوغ الطفل . فكتب الوزير على ظهر الورقة : المتوفى رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال ثمره الله ، والساعى لعنه الله ، ولا حاجة بنا إلى مال الأيتام . اعتقل ثم قتل فى رمضان منها ، عن إحدى وخمسين سنة . ﴿ محمد بن أحمد بن إبراهيم ﴾

ابن غيلان بن عبد الله بن غيلان بن حليم بن غيلان ، أبو طالب البزار ، يروى عن جماعة وهو آخر من حدث عن أبى بكر الشافعى ، كان صدوقا دينا صالحا ، قوى النفس على كبر السن ، كان يملك ألف دينار ، وكان يصبها كل يوم فى حجره فيقبلها ثم يردها إلى موضعها ، وقد خرج له

الدارقطني الأجزاء الغيلانيات ، وهى سماعنا . توفى يوم الاثنين سادس شوال منها عن أربع وتسعين سنة ، ويقال إنه بلغ المائة فالله أعلم . ﴿ الملك أبو كاليجار ﴾

واسمه المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ، توفى عن أربعين سنة وأشهر ، ولى العراق نحواً من أربع سنين ، ونهبت له قلعة كان له فيها من المال ما يزيد على ألف ألف دينار ، وقام بالأمر من بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ﴾

فى عاشر المحرم تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا بدع النوح ، فجرى بينهم وبين أهل باب البصرة ما يزيد على الحد ، من الجراح والقتل ، وبنى أهل الكرخ سوراً على الكرخ ، وبنى أهل السنة سوراً على سوق القلائين ، ثم نقض كل من الفريقين أبنيته ، وحملوا الآجر إلى مواضع بالطبول والمزامير ، وجرت بينهم مفاخرات فى ذلك ، وسخف لا تنحصر ولا تنضبط ، وإنشاد أشعار فى فضل الصحابة . وثلبهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون. ثم وقعت بينهم فتن يطول ذكرها ، وأحرقوا دوراً كثيرة جدا . وفيها وقعت وحشة بين الملك طغرلبك وبين أخيه ، فجمع أخوه جموعا كثيرة فاقتتل هو وأخوه طغرلبك ، ثم أسره من قلعة قد تحصن بها ، بعد محاصرة أربعة أيام ، فاستنزله منها مقهوراً ، فأحسن إليه وأكرمه ، وأقام عنده مكرماً ، وكتب ملك الروم إلى طغرلبك فى فداء بعض ملوكهم ممن كان أسره إبراهيم بن نيال ، وبذل له مالا كثيرا ، فبعثه إليه مكرماً من غير عوض ، اشترط عليه فأرسل إليه ملك الروم هدايا كثيرة ، وأمر بعمارة المسجد الذى بالقسطنطينية ، وأقيمت فيه الصلاة والجمعة ، وخطب فيه للملك طغرلبك ، فبلغ هذا الأمر العجيب سائر الملوك فعظموا الملك طغرلبك تعظيما زائداً ، وخطب له نصر الدولة بالجزيرة . وفيها ولى مسعود بن مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين الملك بعد وفاة أبيه ، وكان صغيراً ، فمكث أياماً ثم عدل عنه إلى عمه على بن مسعود ، وهذا أمر غريب جدا . وفيها ملك المصريون مدينة حلب وأجلوا عنها صاحبها ثمال بن صالح بن مرداس . وفيها كان بين البساسيرى وبين بنى عقيل حرب . وفيها ملك البساسيرى الأنبار من يد قرواش فأصلح أمورها . وفى شعبان منها سار البساسيرى إلى طريق خراسان وقصد ناحية الدوران وملكها ، وغنم مالا كثيرا كان فيها ، وقد كان سعدى بن أبى الشوك قد حصنها ، قال ابن الجوزى : فى ذى الحجة منها ارتفعت سحابة سوداء فزادت على ظلمة الليل ، وظهر فى جوانب السماء كالنار المضيئة ، فانزعج الناس وخافوا وأخذوا فى الدعاء والتضرع ، فانكشف فى أثناء الليل بعد ساعة ، وكانت قد هبت ريح شديدة جداً قبل ذلك ، فأتلفت شيئا كثيراً من الأشجار ، وهدمت رواشن كثيرة فى دار الخلافة ودار المملكة . ولم يحج أحد من أهل العراق .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ أحمد بن محمد بن منصور ﴾

أبو الحسن المعروف بالعتيقى ، نسبة إلى جد له كان يسمى عتيقا ، سمع من ابن شاهين وغيره ، وكان صدوقا . توفى فى صفر منها وقد جاوز التسعين .

﴿ علىّ بن الحسن ﴾

أبو القاسم العلوى ويعرف بابن محى السنة . قال الخطيب : سمع من ابن مظفر وكتب عنه ، وكان صدوقا دينا حسن الاعتقاد ، يورق بالأجرة ويأكل منه ، ويتصدق . توفى فى رجب منها وقدجاوز الثمانين . ﴿ عبد الوهاب بن القاضى الماوردى ﴾

يكنى أبا الفائز شهد عند ابن ماكولا فى سنة إحدى وثلاثين فأجاز شهادته احتراما لأبيه ، توفى فى المحرم منها . ﴿ الحافظ أبو عبد الله الصورى ﴾

محمد بن على بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الصورى الحافظ ، طلب الحديث بعد ما كبر وأسن ، ورحل فى طلبه إلى الآفاق ، وكتب الكثير وصنف واستفاد على الحافظ عبد الغنى المصرى ، وكتب عن عبد الغنى شيئا من تصانيفه ، وكان من أعظم أهل الحديث ، همه فى الطلب وهو شاب ثم كان من أقوى الناس على العمل الصالح عزيمة فى حال كبره ، كان يسرد الصوم إلا يومى العيدين وأيام التشريق ، وكان مع ذلك حسن الخلق جميل المعاشرة ، وقدذهبت إحدى عينيه ، وكان يكتب بالأخرى المجلد فى جزء . قال أبو الحسن الطيورى : يقال إن عامة كتب الخطيب سوى التاريخ مستفادة من كتب أبى عبد الله الصورى ، كان قد مات الصورى وترك كتبه اثنى عشر عدلا عند أخيه ، فلما صار الخطيب أعطا أخاه شيئا وأخذ بعض تلك الكتب فحولها فى كتبه ، ومن شعره :

تولى الشباب بريعانه * وأتى المشيب بأحزانه

فقلبى لفقدان ذا مؤلم * كئيب لهذا ووجدانه

وإن كان ماجار فى حكمه * ولا جاء فى غير إبانه

ولكن أتى مؤذنا بالرحيـ * ـل فويلى من قرب إيذانه

ولولا ذنوب تحملتها * لما راعنى إتيانه

ولكن ظهرى ثقيل بما * جناه شبابى بطغيانه

فمن كان يبكى شبابا مضى * ويندب طيب زمانه

فليس بكائى وما قد ترو * ن منى لوحشة فقدانه

ولكن لما كان قد جره * علىّ بوثبات شيطانه

فويلى وويحى إن لم يجد * على مليكى برضوانه

ولم يتغمد ذنوبى وما قد * جنيت برحمته وغفرانه
ويجعل مصيرى إلى جنة * يحل بها أهل رضوانه وغفرانه
فان كنت مالى من طاعة * سوى حسن ظنى باحسانه
وإنى مقر بتوحيده * عليم بعزة سلطانه
أخالف فى ذاك أهل الهوى * وأهل الفسوق وعدوانه
وأرجو به الفوز فى منزل * معد مهيا لسكانه
ولن يجمع الله أهل الجحو * د ومن أقر بنيرانه
فهذا ينجيه إيمانه * وهذا يبوء بخسرانه
وهذا ينعم فى جنة * وذاك قرين لشيطانه

ومن شعره أيضاً :

قل لمن عاند الحديث وأضحى * عائباً أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا أبن لى * أم بجهل فالجهل خلق السفيه
أيعاب الذين هم حفظوا الد * ين من الترهات والتمويه
وإلى قولهم وما قد رووه * راجع كل عالم وفقيه

كان سبب موته أنه افتصد فورمت يده ، وذلى ما ذكر أن ريشة الفاصد كانت مسمومة لغيره فغلط ففصده بها ، فكانت فيها منيته ، فحمل إلى المارستان فمات به ، ودفن بمقبرة جامع المدينة ، وقد نيف على الستين رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها فتح السلطان طغرلبك أصبهان بعدحصار سنة ، فنقل إليها حواصله من الرى وجعلها دار إقامته ، وخرب قطعة من سورها ، وقال : إنما يحتاج إلى السور من تضعف قوته ، وإنما حصنى عسا كرى وسيفى ، وقد كان فيها أبو منصور فرامز بن علاء الدولة أبى جعفر بن كالويه ، فأخرجه منها وأقطعه بعض بلادها . وفيها سار الملك الرحيم إلى الأهواز وأطاعه عسكر فارس . وفيها استولت الخوارج على عمان وأخربوا دار الامارة ، وأسروا أبا المظفر بن أبى كاليجار . وفيها دخلت العرب بأذن المستنصر الفاطمى بلاد إفريقية ، وجرت بينهم وبين المعز بن باديس حروب طويلة ، وعاثوا فى الأرض فسادا عدة سنين . وفيها اصطلح الروافض والسنة ببغداد ، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد على ومشهد الحسين ، وترضوا فى الكرخ على الصحابة كلهم ، وترحموا عليهم ، وهـذا عجيب جدا ، إلا أن يكون من باب التقية ، ورخصت الأسعار ببغداد جدا . ولم يحج أحد من أهل العراق .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ على بن عمر بن الحسن ﴾

أبو الحسن الحربى المعروف بالقزوينى ، ولد فى مستهل المحرم فى سنة ستين وثلثمائة ، وهى الليلة التى مات فيها أبو بكر الآجرى ، وسمع أبا بكر بن شاذان وأبا حفص بن حيويه ، وكان وافر العقل ، من كبار عباد الله الصالحين ، له كرامات كثيرة ، وكان يقرأ القرآن ويروى الحديث ، ولا يخرج إلا إلى الصلاة . توفى فى شوال منها . فغلقت بغداد لموته يومئذ ، وحضر الناس جنازته ، وكان يوماً مشهوداً رحمه الله . ﴿ عمر بن ثابت ﴾

الثمانينى النحوى الضرير . شارح اللمع ، كان فى غاية العلم بالنحو ، وكان يأخذ عليه . وذكر ابن خلكان أنه اشتغل على ابن جنى ، وشرح كلامه ، وكان ماهرا فى صناعة النحو ، قال ونسبته إلى قرية من نواحى جزيرة ابن عمر عند الجبل الجودى ، يقال لها ثمانين ، باسم الثمانين الذين كانوا مع نوح عليه السلام فى السفينة . ﴿ قرواش بن مقلد ﴾

أبو المنيع ، صاحب الموصل والكوفة وغيرها ، كان من الجبارين ، وقد كاتبه الحاكم صاحب مصر فى بعض الأحيان فاستماله إليه ، فخطب له ببلاده ثم تركه ، واعتذر إلى الخليفة فعذره ، وقد جمع هذا الجبار بين أختين فى النكاح ، ولامته العرب ، فقال : وأى شئ عملته ؟ إنما عملت ما هو مباح فى الشريعة [1] وقد نكب فى أيام المعز الفاطمى ونهبت حواصله ، وحين توفى قام بالأمر بعده ابن أخيه قريش بن بدران بن مقلد . ﴿ مودود بن مسعود ﴾

ابن محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة : توفى فيها وقام بالأمر من بعده عمه عبد الرشيد بن محمود

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ﴾

فى صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب : محمد وعلى خير البشر ، فمن رضى فقد شكر ، ومن أبى فقد كفر . فأنكرت السنة إقران على مع محمد ﷺ فى هذا ، فنشبت الحرب بينهم ، واستمر القتال بينهم إلى ربيع الأول ، فقتل رجل هاشمى فدفن عند الامام أحمد ، ورجع السنة من دفنه فنهبوا مشهد موسى بن جعفر وأحرقوا ضريح موسى ومحمد الجواد ، وقبور بنى بويه ، وقبور من هناك من الوزراء وأحرق قبر جعفر بن المنصور ، ومحمد الأمين ، وأمه زبيدة ، وقبور كثيرة جداً ، وانتشرت الفتنة وتجاوزوا الحدود ، وقد قابلهم أولئك الرافضة أيضاً بمفاسد كثيرة ، وبعثروا قبوراً قديمة ، وأحرقوا من فيها من الصالحين ، حتى هموا بقبر الامام أحمد ، فمنعهم النقيب ، وخاف من غائلة ذلك ، وتسلط على الرافضة عيار يقال له القطيعى ، وكان يتبع رؤسهم وكبارهم فيقتلهم جهارا وغيلة ، وعظمت المحنة بسببه جداً ، ولم يقدر عليه أحد ، وكان فى غاية الشجاعة والبأس والمكر ، ولما بلغ ذلك دبيس بن

---

(١) وفى النجوم الزاهرة « خبرونى ، ما الذى تستعمله مما تبيحه الشريعة ؟ فهذا من ذاك » .

على بن مزيد - وكان رافضياً - قطع خطبة الخليفة ، ثم روسل فأعادها . وفى رمضان منها جاءت من الملك طغرلبك رسل شكر للخليفة على إحسانه إليه بما كان بعثه له من الخلع والتقليد ، وأرسل إلى الخليفة بعشرين ألف دينار ، وإلى الحاشية بخمسة آلاف ، وإلى رئيس الرؤساء بألفى دينار ، وقد كان طغرلبك حين عمر الرى وخرب فيها أماكن وجد فيها دفائن كثيرة من الذهب والجوهر ، فعظم شأنه بذلك ، وقوى ملكه بسببه .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ محمد بن محمد بن أحمد ﴾

أبو الحسن الشاعر البصروى ، نسبة إلى قرية دون عكبرا يقال لها بصرى باسم المدينة التى هى أم حوران ، وقد سكن بغداد ، وكان متكلماً مطبوعاً ، له نوادر ، ومن شعره قوله :

ترى الدنيا وشهوتها فتصبوا * وما يخلو من الشهوات قلب
فلا يغررك زخرف ما تراه * وعيش لين الاعطاف رطب
فضول العيش أكثرها هموم * وأكثر ما يضرك ما تحب
إذا ما بلغة جاءتك عفوا * فخذها فالغنى مرعى وشرب
إذا اتفق القليل وفيه سلم * فلا ترد الكثير وفيه حرب

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها كتبت تذكرة الخلفاء المصريين وأنهم أدعياء كذبة لا نسب لهم صحيحة إلى رسول الله ﷺ ، نسخاً كثيرة ، وكتب فيها الفقهاء والقضاة والأشراف . وفيها كانت زلازل عظيمة فى نواحى أرجان والأهواز وتلك البلاد ، تهدم بسببها شئ كثير من العمران وشرفات القصور ، وحكى بعض من يعتمد قوله أنه انفرج إيوانه وهو يشاهد ذلك ، حتى رأى السماء منه ثم عاد إلى حاله لم يتغير. وفى ذى القعدة منها تجددت الحرب بين أهل السنة والروافض ، وأحرقوا أماكن كثيرة ، وقتل من الفريقين خلائق ، وكتبوا على مساجدهم : محمد وعلى خير البشر ، وأذنوا بحى على خير العمل ، واستمرت الحرب بينهم ، وتسلط القطيعى العيار على الروافض ، بحيث كان لا يقر لهم معه قرار ، وهذا من جملة الأقدار .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ الحسن بن على ﴾

ابن محمد بن على بن أحمد بن وهب بن شنبل بن قرة بن واقد ، أبو على التميمى الواعظ ، المعروف بابن المذهب ، ولد سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وسمع مسند الامام أحمد من أبى بكر بن مالك القطيعى عن عبد الله بن الامام أحمد ، عن أبيه ، وقد سمع الحديث من أبى بكر بن ماسى وابن شاهين والدارقطنى وخلق ، وكان دينا خيراً ، وذكر الخطيب أنه كان صحيح السماع لمسند أحمد من القطيعى

غير أنه ألحق اسمه فى أجزاء . قال ابن الجوزى : وليس هذا بقدح فى سماعه ، لأنه إذا تحقق سماعه جاز أن يلحق اسمه فيما تحقق سماعه له ، وقد عاب عليه الخطيب أشياء لا حاجة إليها .

﴿ على بن الحسين ﴾

ابن محمد ، أبو الحسن المعروف بالشاشى البغدادى ، وقد أقام بالبصرة واستحوذ هو وعمه على أهلها ، وعمل أشياء من الحيل يوهم بها أنه من ذوى الأحوال والمكاشفات ، وهو فى ذلك كاذب قبحه الله وقبح عمه ، وقد كان مع هذا رافضياً خبيثاقرمطياً ، توفى فى هذا العام فلله الحمد والشكر والانعام .

﴿ القاضى أبو جعفر ﴾

محمد بن أحمد بن أحمد ، أبو جعفر السمنانى القاضى ، أحد المتكلمين على طريقة الشيخ أبى الحسن الأشعرى ، وقد سمع الدارقطنى وغيره ، كان عالما فاضلا سخيا ، تولى القضاء بالموصل ، وكان له فى داره مجلس للمناظرة ، وتوفى لما كف بصره بالموصل وهو قاضيها ، فى ربيع الأول منها وقد بلغ خمساً وثمانين سنة ، سامحه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها تجدد الشر والقتال والحريق بين السنة والروافض ، وسرى الأمر وتفاقم الحال . وفيها وردت الأخبار بأن المعز الفاطمى عازم على قصد العراق . وفيها نقل إلى الملك طغرلبك أن الشيخ أبا الحسن الأشعرى يقول بكذا وكذا ، وذكر بشيء من الأمور التى لا تليق بالدين والسنة ، فأمر بلعنه ، وصرح أهل نيسابور بتكفير من يقول ذلك ، فضج أبو القاسم القشيرى عبد الكريم بن هوازن من ذلك ، وصنف رسالة فى شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة ، واستدعى السلطان جماعة من رؤس الأشاعرة منهم القشيرى فسألهم عما أنهى إليه من ذلك . فأنكروا ذلك ، وأن يكون الأشعرى قال ذلك . فقال السلطان : نحن إنما لعنا من يقول هذا . وجرت فتنة عظيمة طويلة . وفيها استولى فولا بسور الملك أبى كاليجار على شيراز ، وأخرج منها أخاه أبا سعد ، وفى شوال سار البساسيرى إلى أكراد وأعراب أفسدوا فى الأرض فقهرهم وأخذ أموالهم . ولم يحج فيها أحد من أهل العراق . وفيها توفى من الاعيان

﴿ أحمد بن عمر بن روح ﴾

أبو الحسن النهروانى ، كان ينظر فى العيار بدار الضرب ، وله شعر حسن ، قال : كنت يوماً على شاطئ النهروان ، فسمعت رجلا يتغنى فى سفينة منحدرة يقول :

وما طلبوا سوى قتلى * فهان على ما طلبوا

قال فاستوقفته وقلت : أضف إليه غيره فقال :

على قتلى الأحبة فى التمادى بالجفا غلبوا

وبالهجران من عينى * طيب النوم قد سلبوا

وما طلبوا سوى قتلى * فهان على ما طلبوا

﴿ إسماعيل بن على ﴾

ابن الحسين بن محمد بن زنجويه ، أبو سعيد الرازى ، المعروف بالسمان ، شيخ المعتزلة ، سمع الحديث الكثير وكتب عن أربعة آلاف شيخ ، وكان عالما عارفا فاضلا مع اعتزاله ، ومن كلامه : من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الاسلام ، وكان حنفى المذهب ، عالما بالخلاف والفرائض والحساب وأسماء الرجال ، وقد ترجمه ابن عساكر فى تاريخه فأطنب فى شكره والثناء عليه .

﴿ عمر بن الشيخ أبى طالب المكى ﴾

محمد بن على بن عطية ، سمع أباه وابن شاهين ، وكان صدوقا يكنى بأبى جعفر .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن عثمان بن الفرج الأزهر ، أبو طالب المعروف بابن السوادى ، وهو أخو أبى القاسم الأزهرى توفى عن نيف وثمانين سنة .

﴿ محمد بن أبى تمام ﴾

الزينبى نقيب النقباء ، قام ببغداد بعد أبيه مقامه بالنقابة .

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها غزا السلطان طغرلبك بلاد الروم بعد أخذه بلاد أذربيجان ، فغنم من بلاد الروم وسبى وعمل أشياء حسنة ، ثم عاد سالما فأقام بأذربيجان سنة . وفيها أخذ قريش بن بدران الأنبار ، وخطب بها وبالموصل لطغرلبك ، وأخرج منها نواب البساسيرى . وفيها دخل البساسيرى بغداد مع بنى خفاجة منصرفه من الوقعة ، وظهرت منه آثار النفرة للخلافة ، فراسله الخليفة لتطييب نفسه ، وخرج فى ذى الحجة إلى الأنبار فأخذها ، وكان معه دبيس بن على بن مزيد ، وخرب أماكن وحرق غيرها ثم أذن له الخليفة فى الدخول إلى بيت النوبة ليخلع عليه ، فجاء إلى أن حاذى بيت النوبة فقبل الأرض وانصرف إلى منزله ، ولم يعبر ، فقويت الوحشة . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها .

وممن توفى فيها من الأعيان. ﴿ الحسين بن جعفر بن محمد ﴾

ابن داود ، أبو عبد الله السلماسى ، سمع ابن شاهين وابن حيويه والدارقطنى ، وكان ثقة مأمونا مشهوراً باصطناع المعروف ، وفعل الخير ، وافتقاد الفقراء ، وكثرة الصدقة ، وكان قد أريد على الشهادة فأبى ذلك ، وكان له فى كل شهر عشرة دنانير نفقة لأهله .

﴿ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ﴾

أبو عبد الله الأصبهانى، المعروف بابن اللبان، أحد تلامذة أبى حامد الاسفراينى، ولى قضاء الكرخ، وكان يصلى بالناس التراويح، ثم يقوم بعد انصرافهم فيصلى إلى أن يطلع الفجر، وربما انقضى الشهر عنه ولم يضطجع إلى الأرض رحمه الله.

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها ملك طغرلبك بغداد، وهو أول ملوك السلجوقية، ملكها وبلاد العراق. وفيها تأكدت الوحشة بين الخليفة والبساسيرى، واشتكت الأتراك منه، وأطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه، وذكر قبيح أفعاله، وأنه كاتب المصريين بالطاعة، وخلع ما كان عليه من طاعة العباسيين، وقال الخليفة وليس إلا إهلاكه. وفيها غلت الأسعار بنواحى الأهواز حتى بيع الكر بشيراز بألف دينار. وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافضة على العادة، فاقتتلوا قتالا مستمرا، ولا تمكن الدولة أن يحجزوا بين الفريقين. وفيها وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة، فقوى جانب الحنابلة قوة عظيمة، بحيث إنه كان ليس لأحد من الأشاعرة أن يشهد الجمعة ولا الجماعات.

قال الخطيب: كان أرسلان التركى المعروف بالبساسيرى قد عظم أمره واستفحل، لعدم أقرانه من مقدمى الأتراك، واستولى على البلاد وطار اسمه، وخافته أمراء العرب والعجم، ودعى له على كثير من المنابر العراقية والأهواز ونواحيها، ولم يكن للخليفة قطع ولا وصل دونه، ثم صح عند الخليفة سوء عقيدته، وشهد عنده جماعة من الأتراك أنه عازم على نهب دار الخلافة، وأنه يريد القبض على الخليفة، فعند ذلك كاتب الخليفة محمد بن ميكائيل بن سلجوق الملقب طغرلبك يستنهضه على المسير إلى العراق، فانفض أكثر من كان مع البساسيرى وعادوا إلى بغداد سريعاً، ثم أجمع رأيهم على قصد دار البساسيرى وهى فى الجانب الغربى فأحرقوها، وهدموا أبنيتها، ووصل السلطان طغرلبك إلى بغداد فى رمضان سنة سبع وأربعين، وقد تلقاه إلى أثناء الطريق الأمراء والوزراء والحجاب، ودخل بغداد فى أبهة عظيمة جداً، وخطب له بها ثم بعده للملك الرحيم، ثم قطعت خطبة الملك الرحيم، ورفع إلى القلعة معتقلا عليه، وكان آخر ملوك بنى بويه، وكانت مدة ولايتهم قريب المائة والعشر سنين، وكان ملك الملك الرحيم لبغداد ست سنين وعشرة أيام، ونزل طغرلبك دار المملكة بعد الفراغ من عمارتها، ونزل أصحابه دور الاتراك وكان معه ثمانية أفيلة، ووقعت الفتنة بين الأتراك والعامة، ونهب الجانب الشرقى بكماله، وجرت خبطة عظيمة. وأما البساسيرى فانه فر من الخليفة إلى بلاد الرحبة وكتب إلى صاحب مصر بأنه على إقامة الدعوى له بالعراق، فأرسل إليه بولاية الرحبة ونيابته بها، ليكون على أهبة الأمر الذى يريده.

وفى يوم الثلاثاء عاشر ذى القعدة قلد أبو عبد الله محمد بن على الدامغانى قضاء القضاة ، وخلع عليه به ، وذلك بعد موت ابن ما كولا ، ثم خلع الخليفة على الملك طغرلبك بعد دخوله بغداد بيوم ، ورجع إلى داره وبين يديه الدبادب والبوقات .

وفى هذا الشهر توفى ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله ، وهو ولى عهد أبيه فعظمت الرزية به . وفيها استولى أبو كامل على بن محمد الصليحى الهمدانى على أكثر أعمال اليمن ، وخطب للفاطميين ، وقطع خطبة العباسيين . وفيها كثر فساد الغز ونهبوا دواب الناس حتى بيع الثور بخمسة قراريط . وفيها اشتد الغلاء بمكة وعدمت الأقوات ، وأرسل الله عليهم جرادا فتعوضوا به عن الطعام . ولم يحج أحد من أهل العراق .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن على ﴾

ابن جعفر بن على بن محمد بن دلف بن أبى دلف العجلى قاضى القضاة ، المعروف بابن ما كولا الشافعى ، وقد ولى القضاء بالبصرة ، ثم ولى قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين وأربعمائة فى خلافة المقتدر ، وأقره ابنه القائم إلى أن مات فى هذه السنة ، عن تسع وسبعين سنة ، منها فى القضاء سبع وعشرون سنة ، وكان صينادينا لا يقبل من أحد هدية ولا من الخليفة ، وكان يذكر أنه سمع من أبى عبد الله بن منده ، وله شعر حسن فمنه :

تصابى برهة من بعد شيب * فما أغنى المشيب عن التصابى
وسود عارضيه بلون خضب * فلم ينفعه تسويد الخضاب
وأبدى للأحبة كل لطف * فمازادوا سوى فرط اجتناب
سلام الله عودا بعد بدء * على أيام ريعان الشباب
تولى عزمه يوما وأبقى * بقلبى حسرة ثم اكتئاب

﴿ على بن المحسن بن على ﴾

ابن محمد بن أبى الفهم أبو القاسم التنوخى ، قال ابن الجوزى : وتنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا بالبحرين ، وتحالفوا على التناصر والتآزر ، فسموا تنوخا . ولد بالبصرة سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وسمع الحديث سنة سبعين ، وقبلت شهادته عند الحكام فى حداثته ، وولى القضاء بالمدائن وغيرها ، وكان صدوقا محتاطا ، إلا أنه كان يميل إلى الاعتزال والرفض .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ﴾

فى يوم الخميس لثمان بقين من المحرم عقد الخليفة على خديجة بنت أخى السلطان طغرلبك على صداق مائة ألف دينار ، وحضر هذا العقد عميد الملك الكندرى ، وزير طغرلبك ، وبقية العلويين

وقاضى القضاة الدامغانى والماوردى ، ورئيس الرؤساء ابن المسلمة . فلما كان شعبان ذهب رئيس الرؤساء إلى الملك طغرلبك وقال له : أمير المؤمنين يقول لك قال الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) وقد أمرنى أن أنقل الوديعة إلى داره العزيزة ، فقال : السمع والطاعة ، فذهبت أم الخليفة لدار الملك لاستدعاء العروس ، فجاءت معها وفى خدمتها الوزير عميد الملك والحشم ، فدخلوا داره وشافه الوزير الخليفة عن عمها وسأله اللطف بها والاحسان إليها ، فلما دخلت إليه قبّلت الأرض مراراً بين يديه ، فأدناها إليه وأجلسها إلى جانبه ، وأفاض عليها خلعاً سنية وتاجا من جوهر ثمين ، وأعطاها من الغدمائة ثوب ديباجاً ، وقصبات من ذهب ، وطاسة ذهب قد نبت فيها الجوهر والياقوت والفيروزج ، وأقطعها فى كل سنة من ضياعه ما يغل اثنا عشر ألف دينار ، وغير ذلك . وفيها أمر السلطان طغرلبك ببناء دار الملك العضدية فخربت محال كثيرة فى عمارتها ، ونهبت العامة أخشابا كثيرة من دور الأتراك ، والجانب الغربى ، وباعوه على الخبازين والطباخين ، وغيرهم .

وفيهارجع غلاء شديد على الناس وخوف ونهب كثير ببغداد ، ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث دفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين ، وغلت الأشربة وما تحتاج إليه المرضى كثيرا ، واعترى الناس موت كثير ، واغبر الجو وفسد الهواء . قال ابن الجوزى : وعم هذا الوباء والغلاء مكة والحجاز وديار بكر والموصل و بلاد بكر و بلاد الروم وخراسان والجبال والدنيا كلها . هذا لفظه فى المنتظم . قال: وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى أحدهم على باب النقب ، والثانى على رأس الدرجة ، والثالث على الثياب التى كورها ليأخذها فلم يمهل .

وفيها أمر رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود فى الكرخ ، فانزعج أهلها لذلك ، وكان كثير الأذية للرافضة ، وإنما كان يدافع عنهم عميد الملك الكندرى ، وزير طغرلبك . وفيها هبت ريح شديدة وارتفعت سحابة ترابية وذلك ضحىً ، فأظلمت الدنيا ، واحتاج الناس فى الأسواق وغيرها إلى السرج. قال ابن الجوزى : وفى العشر الثانى من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر كوكب له ذؤابة طولها فى رأى العين نحو من عشرة أذرع ، وفى عرض نحو الذراع ، ولبث كذلك إلى النصف من رجب ، ثم اضمحل . وذكروا أنه طلع مثله بمصر فملكت وخطب بها للمصريين. وكذلك بغداد لما طلع فيها ملكت وخطب بها للمصريين . وفيها ألزم الروافض بترك الأذان بحى على خير العمل ، وأمروا أن ينادى مؤذنهم فى أذان الصبح ، بعد حى على الفلاح : الصلاة خير من النوم ، مرتين ، وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة : محمد وعلى خير البشر ، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ ، ينشدون بالقصائد التى فيها مدح الصحابة ، وذلك أن نوء الرافضة اضمحل ، لأن بنى بويه كانوا حكاما ، وكانوا يقوونهم وينصرونهم ، فزالوا وبادوا ، وذهبت دولتهم ، وجاء بعدهم قوم آخرون

من الأتراك السلجوقية الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم ويرفعون قدرهم ، والله المحمود ، أبداً على طول المدى . وأمر رئيس الرؤساء الوالى بقتل أبى عبدالله بن الجلاب شيخ الروافض ، لما كان تظاهر به من الرفض والغلو فيه ، فقتل على باب دكانه ، وهرب أبو جعفر الطوسى ونهبت داره .

وفيها جاء البساسيرى قبحه الله إلى الموصل ومعه نور الدولة دبيس ، فى جيش كثيف ، فاقتتل مع صاحبها قريش ونصره قتلمش بن عم طغرلبك ، وهو جد ملوك الروم ، فهزمهما البساسيرى ، وأخذ البلد قهرا ، فخطب بها للمصريين ، وأخرج كاتبه من السجن ، وقد كان أظهر الاسلام ظنا منه أنه ينفعه ، فلم ينفعه فقتل ، وكذلك خطب للمصريين فيها بالكوفة وواسط وغيرها من البلاد . وعزم طغرلبك على المسير إلى الموصل لمناجزة البساسيرى فنهاه الخليفة عن ذلك لضيق الحال وغلاء الأسعار ، فلم يقبل فخرج بجيشه قاصدا الموصل بجحافل عظيمة ، ومعه الفيلة والمنجنيقات ، وكان جيشه لكثرتهم ينهبون القرى ، وربما سطوا على بعض الحريم ، فكتب الخليفة إلى السلطان ينهاه عن ذلك ، فبعث إليه يعتذر لكثرة من معه ، واتفق أنه رأى رسول الله ﷺ فى المنام فسلم عليه فأعرض عنه ، فقال : يا رسول الله لأى شئ تعرض عنى ؟ فقال : يحكمك الله فى البلاد ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عز وجل . فاستيقظ مذعوراً وأمر وزيره أن ينادى فى الجيش بالعدل ، وأن لا يظلم أحد أحدا . ولما اقترب من الموصل فتح دونها بلادا ، ثم فتحها وسلمها إلى أخيه داود ، ثم سار منها إلى بلاد بكر ففتح أماكن كثيرة هناك .

وفيها ظهرت دولة الملثمين ببلاد المغرب ، وأظهروا إعزاز الدين وكلمة الحق واستولوا على بلاد كثيرة منها سجلماسة وأعمالها والسوس ، وقتلوا خلقا كثيرا من أهلها ، وأول ملوك الملثمين رجل يقال له أبو بكر بن عمر ، وقد أقام بسجلماسة إلى أن توفى سنة ثنتين وستين كما سيأتى بيانه ، ثم ولى بعده أبو نصر يوسف بن تاشفين ، وتلقب بأمير المؤمنين ، وقوى أمره ، وعلا قدره ببلاد المغرب .

وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار ببغداد ، عن أمر السلطان . وفيها ولد لذخيرة الدين بعد موته من جارية له ولد ذكر ، وهو أبو القاسم عبد الله المقتدى بأمر الله . وفيها كان الغلاء والفناء أيضاً مستمرين على الناس ببغداد وغيرها من البلاد ، على ما كان عليه الأمر فى السنة الماضية ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ على بن أحمد بن على بن سلك ﴾

أبو الحسن المؤدب ، المعروف بالفالى[1] ، صاحب الأمالى ، وفالة قرية قريبة من إيذج ، أقام

(١) لان صاحب الامالى اسمه أبو على اسماعيل بن القاسم ووفاته سنة ٣٥٦ فجعله صاحب الامالى خطأ بلا شك وانما هو الفالى بالفاء كما فى النجوم الزاهرة .

بالبصرة مدة ، وسمع بها من عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وكان ثقة في نفسه ، كثير الفضائل . ومن شعره الحسن :

لما تبدلت المجالس أوجهاً * غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الأولى * كانوا ولاة صدورها وفنائها
أنشدت بيتا سائرا متقدما * والعين قد شرقت بجاري مائها
أما الخيام فإنها كخيامهم * وأرى نساء الحي غير نسائها

ومن شعره أيضاً : تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا * ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

﴿ محمد بن عبد الواحد بن محمد الصباغ ﴾

الفقيه الشافعي ، وليس بصاحب الشامل ، ذاك متأخر وهذا من تلاميذ أبي حامد الاسفرايني ، كانت له حلقة للفتوى بجامع المدينة ، وشهد عند قاضي القضاة الدامغاني الحنفي فقبله ، وقد سمع الحديث من ابن شاهين وغيره ، وكان ثقة جليل القدر .

﴿ هلال بن المحسن ﴾

ابن إبراهيم بن هلال ، أبو الخير الكاتب الصابئ ، صاحب التاريخ ، وجده أبو إسحاق الصابئ صاحب الرسائل ، وكان أبوه صابئيا أيضا ، أسلم هلال هذا متأخرا ، وحسن إسلامه ، وقد سمع في حال كفره من جماعة من المشايخ ، وذلك أنه كان يتردد إليهم يطلب الأدب ، فلما أسلم نفعه ذلك ، وكان ذلك سبب إسلامه على ما ذكره ابن الجوزي : بسنده مطولا ، أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام مرارا يدعوه إلى الله عز وجل ، ويأمره بالدخول في الاسلام ، ويقول له : أنت رجل عاقل ، فلم تدع دين الاسلام الذي قامت عليه الدلائل ؟ وأراه آيات في المنام شاهدها في اليقظة ، فمنها أنه قال له : إن امرأتك حامل بولد ذكر ، فسمه محمدا ، فولدت ذكرا ، فسماه محمداً ، وكناه أبا الحسن ، في أشياء كثيرة سردها ابن الجوزي ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان صدوقا . توفي عن تسعين سنة ، منها في الاسلام نيف وأربعون سنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد ، بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها ، وأهلها موتى فيها ، ثم صار المار في الطريق لا يلقى الواحد بعد الواحد وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام ، ووجد مع امرأة فخذ كلب قد اخضر وشوى رجل صبية

فى الأتون وأكلها ، فقيل وسقط طائر ميت من حائط فاحتوشته خمسة أنفس فاقتسموه وأكلوه ، وورد كتاب من بخارى أنه مات فى يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان ، وأحصى من مات فى هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف ، وخمسمائة ألف وخمسين ألف إنسان ، والناس يمرون فى هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقا فارغة وطرقات خالية ، وأبوابا مغلقة ، و وحشة وعدم أنس . حكاه ابن الجوزى . قال : وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم ، وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا العدد اليسير جدا . قال : ووقع وباء بالأهواز و بواط وأعمالها وغيرها ، حتى طبق البلاد ، وكان أكثر سبب ذلك الجوع ، كان الفقراء يشوون الكلاب و ينبشون القبور و يشوون الموتى و يأكلونهم ، وليس للناس شغل فى الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم ، فكان يحفر الحفير فيدفن فيه العشرون والثلاثون ، وكان الانسان بينما هو جالس إذ انشق قلبه عن دم المهجة ، فيخرج منه إلى الفم قطرة فيموت الانسان من وقته ، وتاب الناس وتصدقوا بأكثر أموالهم فلم يجدوا أحدا يقبل منهم ، وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدراهم والثياب فيقول : أنا أريد كسرة أريد ما يسد جوعى ، فلا يجد ذلك ، وأراق الناس الخمور وكسروا آلات اللهو ، ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن ، وقل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم ، ودخل على مريض له سبعة أيام فى النزع فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر فأراقوها فمات من وقته بسهولة ، ومات رجل فى مسجد فوجدوا معه خمسين ألف درهم ، فعرضت على الناس فلم يقبلها أحد فتركت فى المسجد تسعة أيام لا يريدها أحد ، فلما كان بعد ذلك دخل أربعة ليأخذوها فماتوا عليها ، فلم يخرج من المسجد منهم أحد حى ، بل ماتوا جميعاً . وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد يشتغل عليه سبعمائة متفقه ، فمات وماتوا كلهم إلا اثنى عشر نفرا منهم ، ولما اصطلح السلطان دبيس بن على رجع إلى بلاده فوجدها خرابا لقلة أهلها من الطاعون ، فأرسل رسولا منهم إلى بعض النواحى فتلقاه طائفة فقتلوه وشووه وأكلوه .

قال ابن الجوزى : وفى يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة احترقت قطيعة عيسى وسوق الطعام والكنيس ، وأصحاب السقط وباب الشعير ، وسوق العطارين وسوق العروس والأنماطيين والخشابين والجزارين والتمارين ، والقطيعة وسوق مخول ونهر الزجاج وسويقة غالب والصفارين والصباغين وغير ذلك من المواضع ، وهذه مصيبة أخرى إلى ما بالناس من الجوع والغلاء والفناء ، ضعف الناس حتى طغت النار فعملت أعمالها ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها كثر العيارون ببغداد ، وأخذوا الأموال جهارا ، وكبسوا الدور ليلا ونهارا ، وكبست دار أبى جعفر الطوسى متكلم الشيعة ، وأحرقت كتبه ومآثره ، ودفاتره التى كان يستعملها فى ضلالته و بدعته ، و يدعو إليها أهل

ملته ونحلته ، ولله الحمد . وفيها دخل الملك طغرلبك بغداد عائداً إليها من الموصل فتلقاه الناس والكبراء إلى أثناء الطريق ، وأحضر له رئيس الرؤساء خلعة من الخليفة مرصعة بالجوهر فلبسها ، وقبل الأرض ثم بعد ذلك دخل دار الخلافة ، وقد ركب إليها فرسا من مراكب الخليفة ، فلما دخل على الخليفة إذا هو على سرير طوله سبعة أذرع ، وعلى كتفه البردة النبوية ، وبيده القضيب ، فقبل الأرض وجلس على سرير دون سرير الخليفة ، ثم قال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له أمير المؤمنين حامد لسعيك شاكر لفعلك ، آنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ، فاتق الله فيما ولاك ، واجتهد فى عمارة البلاد وإصلاح العباد ونشر العدل ، وكف الظلم ، ففسر له عميد الدولة ما قال الخليفة فقام وقبل الأرض وقال : أنا خادم أمير المؤمنين وعبده ، ومتصرف على أمره ونهيه ، ومتشرف بما أهلنى له واستخدمنى فيه ، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق . ثم أمره الخليفة أن ينهض للبس الخلعة فقام إلى بيت فى ذلك البهو ، فأفيض عليه سبع خلع وتاج ، ثم عاد فجلس على السرير بعد ما قبل يد الخليفة ، ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن من التاج ، فأخرج الخليفة سيفا فقلده إياه وخوطب بملك الشرق والغرب ، وأحضرت ثلاثة ألوية فعقد منها الخليفة لواء بيده ، وأحضر العهد إلى الملك ، وقرئ بين يديه بحضرة الملك وأوصاه الخليفة بتقوى الله والعدل فى الرعية ، ثم نهض فقبل يد الخليفة ثم وضعها على عينيه ، ثم خرج فى أبهة عظيمة إلى داره وبين يديه الحجاب والجيش بكماله ، وجاء الناس للسلام عليه ، وأرسل إلى الخليفة بتحف عظيمة ، منها خمسون ألف دينار ، وخمسون غلاما أتراكا ، بمراكبهم وسلاحهم ومناطقهم ، وخمسمائة ثوب أنواعا ، وأعطى رئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار ، وخمسين قطعة قماش وغير ذلك .

وفيها قبض صاحب مصر على وزيره أبى محمد الحسن بن عبد الرحمن البازرى ، وأخذ خطه بثلاثة آلاف دينار ، وأحيط على ثمانين من أصحابه ، وقد كان هذا الوزير فقيها حنفيا ، يحسن إلى أهل العلم وأهل الحرمين ، وقد كان الشيخ أبو يوسف القزوينى يثنى عليه ويمدحه .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿أحمد بن عبد الله بن سليمان﴾

ابن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أبو العلاء المعرى التنوخى الشاعر ، المشهور بالزندقة ، اللغوى ، صاحب الدواوين والمصنفات فى الشعر واللغة ، ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وأصابه جدرى وله أربع سنين أو سبع ، فذهب بصره ، وقال الشعر وله إحدى عشرة أو ثنتا عشرة سنة ، ودخل

بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم خرج منها طريدا منهزماً ، لأنه سأل سؤالا بشعر يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال :

تناقض فما لنا إلا السكوت له * وأن نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار

وهذا من إفكه يقول : اليد ديتها خمسمائة دينار ، فمالكم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار ، وهذا من قلة عقله وعلمه ، وعمى بصيرته . وذلك أنه إذا جنى عليها يناسب أن يكون ديتها كثيرة لينزجر الناس عن العدوان ، وأما إذا جنت هى بالسرقة فيناسب أن تقل قيمتها وديتها لينزجر الناس عن أموال الناس وتصان أموالهم ، ولهذا قال بعضهم : كانت ثمينة لما كانت أمينة ، فلما خانت هانت. ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب ورجع إلى بلده ، ولزم منزله فكان لايخرج منه . وكان يوماً عند الخليفة وكان الخليفة يكره المتنبي ويضع منه ، وكان أبو العلاء يحب المتنبي ويرفع من قدره ويمدحه ، فجرى ذكر المتنبي فى ذلك المجلس فذمه الخليفة ، فقال أبو العلاء : لولم يكن للمتنبي إلا قصيدته التى أولها * لك يا منازل فى القلوب منازل * لكفاه ذلك . فغضب الخليفة وأمر به فسحب برجله على وجهه وقال : أخرجوا عنى هذا الكلب . وقال الخليفة : أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة ؟ وذكره لها؟ أراد قول المتنبي فيها :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الدليل على أنى كامل

وإلا فالمتنبي له قصائد أحسن من هذه ، وإنما أراد هذا . وهذا من فرط ذكاء الخليفة ، حيث تنبه لهذا . وقد كان المعرى أيضاً من الأذكياء ، ومكث المعرى خمساً وأربعين سنة من عمره لايأكل اللحم ولا اللبن ولا البيض ، ولا شيئا من حيوان ، على طريقة البراهمة الفلاسفة ، ويقال إنه اجتمع براهب فى بعض الصوامع فى مجيئه من بعض السواحل آواه الليل عنده ، فشككه فى دين الاسلام، وكان يتقوت بالنبات وغيره ، وأكثر ما كان يأكل العدس ويتحلى بالدبس وبالتين ، وكان لا يأكل بحضرة أحد ، ويقول : أكل الاعمى عورة ، وكان فى غاية الذكاء المفرط ، على ماذكروه ، وأما ما ينقلونه عنه من الأشياء المكذوبة المختلقة من أنه وضع تحت سريره درهم فقال : إما أن تكون السماء قد انخفضت مقدار درهم أو الأرض قد ارتفعت مقدار درهم ، أى أنه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم الذى وضع تحته ، فهذا لا أصل له . وكذلك يذكرون عنه أنه مر فى بعض أسفاره بمكان فطأطأ رأسه فقيل له فى ذلك فقال : أما هنا شجرة؟ قالوا : لا ، فنظروا فاذا أصل شجرة كانت هناك فى الموضع الذى طأطأ رأسه فيه ، وقد قطعت ، وكان قد اجتاز بها قديماً مرة فأمره من كان معه بمطأطأة رأسه لما جازوا تحتها ، فلما مر بها المرة الثانية طأطأ رأسه خوفا من أن يصيبه شئ منها ، فهذا

لا يصح . وقد كان ذكيا ، ولم يكن زكيا ، وله مصنفات كثيرة أكثرها فى الشعر ، وفى بعض أشعاره ما يدل عـلى زندقته ، وانحلاله من الدين ، ومن الناس من يعتذر عنـه و يقول : إنه إنما كان يقول ذلك مجونا ولعباً ، و يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، وقـد كان باطنه مسلما . قال ابن عقيل لما بلغه : وما الذى ألجأه أن يقول فى دار الاسلام ما يكفره به الناس ؟ قال : والمنافقون مع قلة عقلهم وعلمهم أجود سياسة منه ، لأنهم حافظوا على قبائحهم فى الدنيا وستروها ، وهذا أظهر الـكفر الذى تسلط عليه به الناس و زندقوه ، والله يعلم أن ظاهره كباطنه . قال ابن الجوزى : وقـد رأيت لأبى العلاء المعرى كتابا سماه الفصول والغايات ، فى معارضة السور والآيات ، على حروف المعجم فى آخر كلماته وهو فى غاية الركاكة والبرودة ، فسبحان من أعمى بصره و بصيرته . قال : وقد نظرت فى كتابه المسمى لزوم مالا يلزم ، ثم أورد ابن الجوزى من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الاسـلام أشياء كثيرة فمن ذلك قوله :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل * وترزق مجنونا وترزق أحمقا
فلا ذنب يا رب السماء على امرئ * رأى منك مالا يشتهى فتزندقا

وقوله

ألا إن البرية فى ضلال * وقد نظر اللبيب لما اعتراها
تقدم صاحب التوراة موسى * وأوقع فى الخسار من افتراها
فقال رجاله وحى أتاه * وقال الناظرون بل افتراها
وما حجِّى إلى أحجار بيت * كروس الخمر تشرف فى ذراها
إذا رجع الحليم إلى حجاه * تهاون بالمذاهب وازدراها

وقوله

عفت الحنيفة والنصارى اهتدت * ويهود جارت والمجوس مضلله
اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا * دين وآخر ذو دين ولا عقل له

وقوله

فلا تحسب مقال الرسل حقا * ولكن قول زور سطروه
فكان الناس فى عيش رغيد * فجاؤا بالمحال فكدروه

وقلت أنا معارضة عليه :

فلا تحسب مقال الرسل زوراً * ولكن قول حق بلغوه
وكان الناس فى جهل عظيم * فجاؤا بالبيان فأوضحوه

وقوله

إن الشرائع ألقت بيننا إحنا * وأورثتنا أفانين العداوات
وهل أبيح نساء الروم عن عرض * للعرب إلا بأحكام النبوات

وقوله

وما حمدى لآدم أو بنيه * وأشهد أن كلهم خسيس

وقوله أفيقوا أفيقوا ياغواة فانما * دياناتكم مكراً من القدما

وقوله صرف الزمان مفرق الالفين * فاحكم إلهى بين ذاك وبينى

نهيت عن قتل النفوس تعمداً * وبعثت تقبضها مع الملكين

وزعمت أن لها معاداً ثانياً * ما كان أغناها عن الحالين

وقوله ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

تحطمنا الأيام حتى كأننا * زجاج ولكن لا يعود له سبك

وقوله أمور تستخف بها حلوم * وما يدرى الفتى لمن الثبور

كتاب محمد وكتاب موسى * وإنجيل ابن مريم والزبور

وقوله قالت معاشر لم يبعث إلهكم * إلى البرية عيساها ولا موسى

وإنما جعلوا الرحمن مأكلة * وصيروا دينهم فى الناس ناموسا

وذكر ابن الجوزى وغيره أشياء كثيرة من شعره تدل على كفره ، بل كل واحدة من هذه الأشياء تدل على كفره وزندقته وانحلاله ، ويقال إنه أوصى أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبى على * وما جنيت على أحد

معناه أن أباه بتزوجه لأمه أوقعه فى هذه الدار، حتى صار بسبب ذلك إلى ما إليه صار ، وهو لم يجن على أحد بهذه الجناية ، وهذا كله كفر وإلحاد قبحه الله . وقد زعم بعضهم أنه أقلع عن هذا كله وتاب منه ، وأنه قال قصيدة يعتذر فيها من ذلك كله ، ويتنصل منه ، وهى القصيدة التى يقول فيها:

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى مناط عروقها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحّل

امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الأوّل

توفى فى ربيع الأول من هذه السنة بمعرة النعمان ، عن ست وثمانين سنة إلا أربعة عشر يوماً ، وقد رثاه جماعة من أصحابه وتلامذته ، وأنشدت عند قبره ثمانون مرثاة ، حتى قال بعضهم فى مرثاة له إن كنت لم ترق الدماء زهادة * فلقد أرقت اليوم من جفنى دما

قال ابن الجوزى : وهؤلاء الذين رثوه والذين اعتقدوه : إما جهال بأمره ، وإما ضلال على مذهبه وطريقه . وقد رأى بعضهم فى النوم رجلا ضريراً على عاتقه حيتان مدليتان على صدره ، رافعتان رؤسهما إليه ، وهما ينهشان من لحمه ، وهو يستغيث ، وقائل يقول : هذا المعرى الملحد .وقد ذكره ابن خلكان فرفع فى نسبه على عادته فى الشعراء ، كما ذكرنا . وقد ذكر له من المصنفات كتباً كثيرة ، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتابه المسمى بالأيك والغصون ،

وهو المعروف بالهمز والردف ، وأنه أخذ العربية عن أبيه واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سعد النحوى ، وأخذ عنه أبو القاسم على بن المحسن التنوخى ، والخطيب أبو زكريا يحيى بن على التبريزى ، وذكر أنه مكث خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم على طريقة الحكماء ، وأنه أوصى أن يكتب على قبره : هذا جناه أبى على * وما جنيت على أحد

قال ابن خلكان : وهذا أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فانهم يقولون اتخاذ الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جناية عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات . قلت : وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده ، وهو ما يعتقده الحكماء إلى آخر وقت ، وأنه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها ، وذكر ابن خلكان أن عينه اليمنى كانت ناتئة وعليها بياض ، وعينه اليسرى غائرة ، وكان نحيفا ثم أورد من أشعاره الجيدة أبياتا فمنها قوله :

لا تطلبن بآلة لك رتبة * قلم البليغ بغير جد مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

﴿ الأستاذ أبو عثمان الصابونى ﴾

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد النيسابورى ، الحافظ الواعظ المفسر ، قدم دمشق وهو ذاهب إلى الحج فسمع بها وذكّر الناس ، وقد ترجمه ابن عساكر ترجمة عظيمة ، وأورد له أشياء حسنة من أقواله وشعره ، فمن ذلك قوله :

إذا لم أصب أموالكم ونوالكم * ولم آمل المعروف منكم ولا البرا
وكنتم عبيدا للذى أنا عبده * فمن أجل ماذا أتعب البدن الحرا ؟

وروى ابن عساكر عن إمام الحرمين أنه قال : كنت أتردد وأنا بمكة فى المذاهب فرأيت النبى ﷺ وهو يقول : عليك باعتقاد أبى عثمان الصابونى . رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة ﴾

فيها كانت فتنة الخبيث البساسيرى ، وهو أرسلان التركى ، وذلك أن إبراهيم ينال أخا الملك طغرلبك ترك الموصل الذى كان قد استعمله أخوه عليها ، وعدل إلى ناحية بلاد الجبل ، فاستدعاه أخوه وخلع عليه وأصلح أمره ، ولكن فى غضون ذلك ركب البساسيرى ومعه قريش بن بدران أمير العرب إلى الموصل فأخذها ، وأخرب قلعتها ، فسار إليه الملك طغرلبك سريعاً فاستردها وهرب منه البساسيرى وقريش خوفا منه ، فتبعهما إلى نصيبين ، وفارقه أخوه إبراهيم ، وعصى عليه ، وهرب إلى همذان ، وذلك بإشارة البساسيرى عليه ، فسار الملك طغرلبك وراء أخيه وترك عساكره وراءه فتفرقوا وقل من لحقه منهم ، ورجعت زوجته الخاتون ووزيره الكندرى إلى بغداد ، ثم جاء الخبر

بأن أخاه قد استظهر عليه ، وأن طغرلبك محصور بهمذان ، فانزعج الناس لذلك ، واضطربت بغداد ، وجاء الخبر بأن البساسيرى على قصد بغداد ، وأنه قد اقترب من الأنبار ، فقوى عزم الكندرى على الهروب ، فأرادت الخاتون أن تقبض عليه فتحول عنها إلى الجانب الغربى ، ونهبت داره وقطع الجسر الذى بين الجانبين ، وركبت الخاتون فى جمهور الجيش ، وذهبت إلى همذان لأجل زوجها ، وسار الكندرى ومعه أنوشروان بن تومان وأم الخاتون المذكورة ، ومعها بقية الجيش إلى بلاد الأهواز وبقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة ، فعزم الخليفة على الخروج منها ، وليته فعل ، ثم أحب داره والمقام مع أهله ، فمكث فيها اغترارا ودعة ، ولما خلى البلد من المقاتلة قيل للناس: من أراد الرحيل من بغداد فليذهب حيث شاء ، فانزعج الناس وبكى الرجال والنساء والأطفال ، وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربى ، وبلغت المعبرة دينارا ودينارين لعدم الجسر . قال ابن الجوزى : وطار فى تلك الليلة على دار الخليفة نحو عشر بومات مجتمعات يصحن صياحاً مزعجاً ، وقيل لرئيس الرؤساء المصلحة أن الخليفة يرتحل لعدم المقاتلة فلم يقبل ، وشرعوا فى استخدام طائفة من العوام ، ودفع إليهم سلاح كثير من دار المملكة ، فلما كان يوم الأحد الثامن من ذى القعدة من هذه السنة جاء البساسيرى إلى بغداد ومعه الرايات البيض المصرية ، وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين ، فتلقاه أهل الكرخ الرافضة وسألوه أن يجتاز من عندهم ، فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزاويا ، فخيم بها والناس إذ ذاك فى مجاعة وضر شديد ، ونزل قريش بن بدران فى نحو من مائتى فارس على مشرعة باب البصرة ، وكان البساسيرى قد جمع العيارين وأطمعهم فى نهب دار الخلافة ، ونهب أهل الكرخ دور أهل السنة بباب البصرة ، ونهبت دار قاضى القضاة الدامغانى ، وتملك أكثر السجلات والكتب الحكمية ، وبيعت للعطارين ، ونهبت دور المتعلقين بخدمة الخليفة ، وأعادت الروافض الأذان بحى على خير العمل ، وأذن به فى سائر نواحى بغداد فى الجمعات والجماعات وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدى ، على منابرها وغيرها ، وضربت له السكة على الذهب والفضة ، وحوصرت دار الخلافة ، فحاجف الوزير أبو القاسم بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء ، بمن معه من المستخدمين دونها فلم يفد ذلك شيئا ، فركب الخليفة بالسواد والبردة ، وعلى رأسه اللواء وبيده سيف مصلت ، وحوله زمرة من العباسيين والجوارى حاسرات عن وجوههن ، ناشرات شعورهن ، معهن المصاحف على رؤس الرماح ، وبين يديه الخدم بالسيوف ، ثم إن الخليفة أخذ ذماماً من أمير العرب قريش ليمنعه وأهله ووزيره ابن المسلمة ، فأمنه على ذلك كله ، وأنزله فى خيمة ، فلامه البساسيرى على ذلك ، وقال : قد علمت ما كان وقع الاتفاق عليه بينى وبينك ، من أنك لاتبت برأى دونى ، ولا أنا دونك ، ومهما ملكنا بينى وبينك . ثم إن البساسيرى أخذ القاسم بن مسلمة

فوبخه توبيخاً مفضحاً ، ولامه لوما شديدا ، ثم ضربه ضربا مبرحاً ، واعتقله مهانا عنده ، ونهبت العامة دار الخلافة ، فلا يحصى ما أخذوا منها من الجواهر والنفائس ، والديباج والذهب والفضة ، والثياب والأثاث ، والدواب وغير ذلك ، مما لا يحد ولا يوصف . ثم اتفق رأى البساسيرى وقريش على أن يسيروا الخليفة إلى أمير حديثة عانة ، وهو مهارش بن مجلى الندوى ، وهو من بنى عم قريش بن بدران ، وكان رجلا فيه دين وله مروأة . فلما بلغ ذلك الخليفة دخل على قريش أن لا يخرج من بغداد فلم يفد ذلك شيئا ، وسيّره مع أصحابهما فى هودج إلى حديثة عانة ، فكان عند مهارش حولا كاملا ، وليس معه أحد من أهله ، فحكى عن الخليفة أنه قال لما كنت بحديثة عانة قمت ليلة إلى الصلاة فوجدت فى قلبى حلاوة المناجاة ، ثم دعوت الله عز وجل بما سنح لى ، ثم قلت : اللهم أعدنى إلى وطنى ، واجمع بينى وبين أهلى وولدى ، ويسر اجتماعنا ، وأعد روض الانس زاهرا ، وربع القرب عامراً ، وفلفل العزا وبرج الجفا ، قال : فسمعت قائلا على شاطئ الفرات يقول : نعم نعم ، فقلت : هذا رجل يخاطب آخر ، ثم أخذت فى السؤال والابتهال ، فسمعت ذلك الصائح يقول : إلى الحول إلى الحول ، فقلت : إنه هاتف أنطقه الله بما جرى الأمر عليه ، وكان كذلك ، خرج من داره فى ذى القعدة من هذه السنة ، ورجع إليها فى ذى القعدة من السنة المقبلة ، وقد قال الخليفة القائم بأمر الله فى مدة مقامه بالحديثة شعرا يذكر فيه حاله فمنه :

ساءت ظنونى فيمن كنت آمله * ولم يجل ذكر من واليت فى خلدى
تعلموا من صروف الدهر كلهم * فما أرى أحدا يحنو على أحد
فما أرى من الأيام إلا موعداً * فمتى أرى ظفرى بذاك الموعد
يومى يمر وكلما قضيته * عللت نفسى بالحديث إلى غد
أقبح بنفس تستريح إلى المنى * وعلى مطامعها تروح وتغتدى

وأما البساسيرى وما اعتمده فى بغداد : فأنه ركب يوم عيد الأضحى وألبس الخطباء والمؤذنين البياض ، وكذلك أصحابه ، وعلى رأسه الألوية المصرية ، وخطب للخليفة المصرى ، والروافض فى غاية السرور ، والأذان بسائر العراق بحى على خير العمل ، وانتقم البساسيرى من أعيان أهل بغداد انتقاماً عظيما ، وغرق خلقا ممن كان يعاديه ، وبسط على آخرين الأرزاق ممن كان يحبه ويواليه ، وأظهر العدل . ولما كان يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذى الحجة أحضر إلى بين يديه الوزير ابن المسلمة الملقب رئيس الرؤساء ، وعليه جبة صوف ، وطرطور من لبد أحمر ، وفى رقبته مخنقة من جلود كالتعاويذ ، فأركب جملا أحمر وطيف به فى البلد ، وخلفه من يصفعه بقطعة جلد ، وحين اجتاز بالكرخ نثروا عليه خلقان المداسات ، وبصقوا فى وجهه ولعنوه وسبوه ، وأوقف بإزاء دار الخلافة وهو

فى ذلك يتلو قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير) ثم لما فرغوا من التطواف به جئ به إلى المعسكر فألبس جلد ثور بقرنيه ، وعلق بكلوب فى شدقيه ، ورفع إلى الخشبة ، فجعل يضطرب إلى آخر النهار فمات رحمه الله . وكان آخر كلامه أن قال : الحمد لله الذى أحيانى سعيدا ، وأماتنى شهيدا .

وفيها وقع برد بأرض العراق أهلك كثيرا من الغلات ، وقتل بعض الفلاحين ، وزادت دجلة زيادة كثيرة ، وزلزلت بغداد فى هذه السنة قبل الفتنة بشهر زلزالا شديدا ، فتهدمت دور كثيرة ، ووردت الأخبار أن هذه الزلزلة اتصلت بهمذان وواسط ، وتكريت ، وعانة ، وذكر أن الطواحين وقفت من شدتها . وفيها كثر النهب ببغداد حتى كانت العمائم تخطف عن الرؤس ، وخطفت عمامة الشيخ أبى نصر الطباع ، وطيلسانه وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة .

وفى أواخر السنة خرج السلطان طغرلبك من همذان فقاتل أخاه وانتصر عليه ، ففرح الناس وتباشروا بذلك ، ولم يظهروا ذلك خوفا من البساسيرى ، واستنجد طغرلبك بأولاد أخيه داود ـ وكان قد مات ـ على أخيه إبراهيم فغلبوه وأسروه فى أوائل سنة إحدى وخمسين ، واجتمعوا على عمهم طغرلبك ، فسار بهم نحو العراق ، فكان من أمرهم ما سيأتى ذكره فى السنة الآتية إن شاء الله .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ الحسن بن محمد أبو عبد الله الوثى ﴾

الفرضى ، وهو شيخ الحربى ، وكان شافعى المذهب ، قتل فى بغداد فى فتنة البساسيرى ، ودفن فى يوم الجمعة يوم عرفة منها . ﴿ داود أخو طغرلبك ﴾

وكان الأكبر منهم ، توفى فيها وقام أولاده مقامه .

﴿ أبو الطيب الطبرى ﴾

الفقيه ، شيخ الشافعية ، طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر ، ولد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، سمع الحديث بجرجان من أبى أحمد الغطريفى ، وبنيسابور من أبى الحسن الماسرجسى ، وعليه درس الفقه أيضاً وعلى أبى على الزجاجى ، وأبى القاسم بن كج ، ثم اشتغل ببغداد على أبى حامد الاسفراينى ، وشرح المختصر وفروع ابن الحداد ، وصنف فى الأصول والجدل ، وغير ذلك من العلوم الكثيرة النافعة ، وسمع ببغداد من الدارقطنى وغيره ، وولى القضاء بربع الكرخ بعد موت أبى عبد الله الصيمرى ، وكان ثقة دينا ورعا ، عالما بأصول الفقه وفروعه ، حسن الخلق سليم الصدر مواظبا على تعليم العلم ليلا ونهارا . وقد ترجمته فى طبقات الشافعية ، وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازى عنه ـ وكان شيخه ، وقد أجلسه بعده فى الحلقة ـ أن أبا الطيب أسلم خفا له ـ وكان متقللا من الدنيا فقيراً ـ عند خفاف ليصلحه له فأبطأ عليه فكان كلما مر عليه أخذه فغمسه فى الماء وقال : أيها الشيخ الساعة

أصلحه ، فقال الشيخ : أسلمته لتصلحه ولم أسلمه لتعلمه السباحة . وحكى ابن خلكان أنه كان له ولأخيه عمامة واحدة ، وقميص واحد ، إذا لبسهما هذا جلس الآخر فى البيت لا يخرج منه ، و إذا لبسهما هذا احتاج الآخر أن يقعد فى البيت ولا يخرج منه ، و إذا غسلاهما جلسا فى البيت إلى أن ييبسا وقد قال فى ذلك أبو الطيب :

قوم إذا غسلوا ثياب جمالهم * لبسوا البيوت إلى فراغ الغاسل

وقد توفى فى هذه السنة عن مائة سنة وسنتين ، وهو صحيح العقل ، والفهم ، والاعضاء ، يفتى و يشتغل إلى أن مات ، وقد ركب مرة سفينة فلما خرج منها قفز قفزة لا يستطيعها الشباب فقيل له : ما هذا يا أبا الطيب ؟ فقال : هذه أعضاء حفظناها فى الشبيبة تنفعنا فى الكبر رحمه الله .

﴿ القاضى الماوردى ﴾

صاحب الحاوى الكبير ، على بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردى البصرى ، شيخ الشافعية ، صاحب التصانيف الكثيرة فى الأصول والفروع والتفسير والأحكام السلطانية ، وأدب الدنيا والدين . قال : بسطت الفقه فى أربعة آلاف ورقة ، يعنى الاقناع . وقد ولى الحكم فى بلاد كثيرة ، وكان حليما وقوراً أديباً ، لم ير أصحابه ذراعه يوماً من الدهر من شدة تحرزه وأدبه ، وقد استقصيت ترجمته فى الطبقات ، توفى عن ست وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

﴿ رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة ﴾

على بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر ، وزير القائم بأمر الله ، كان أولا قد سمع الحديث من أبى أحمد الفرضى وغيره ، ثم صار أحد المعدلين ، ثم استكتبه القائم بأمر الله واستوزره ، ولقبه رئيس الرؤساء ، شرف الوزراء ، جمال الوزراء ، كان متضلعاً بعلوم كثيرة مع سداد رأى ، ووفور عقل ، وقد مكث فى الوزارة ثنتى عشرة سنة وشهرا ، ثم قتله البساسيرى بعد ما شهره كما تقدم ، وله من العمر ثنتان وخمسون سنة وخمسة أشهر .

﴿ منصور بن الحسين ﴾

أبو الفوارس الأسدى ، صاحب الجزيرة ، توفى فيها وأقاموا ولده بعده .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ﴾

استهلت هذه السنة و بغداد فى حكم البساسيرى ، يخطب فيها لصاحب مصر الفاطمى ، والخليفة العباسى بحديثة عانة ، ثم لما كان يوم الاثنين ثانى عشر صفر أحضر القضاة أبا عبد الله الدامغانى وجماعة من الوجوه والأعيان والأشراف ، وأخذ عليهم البيعة لصاحب مصر المستنصر الفاطمى ، ثم دخل دار الخلافة وهؤلاء المذكورون معه وأمر بنقض تاج دار الخلافة ، فنقض بعض الشراريف ، ثم

قيل له إن القبح فى هذا أكثر من المصلحة . فتركه ، ثم ركب إلى زيارة المشهد بالكوفة ، وعزم على عبور نهر جعفر ليسوق إلى الحائر لوفاء نذر كان عليه ، وأمر بأن تنقل جثة ابن مسلمة إلى ما يقارب الحريم الظاهرى ، وأن تنصب على دجلة . وكتبت إليه أم الخليفة ـ وكانت عجوزاً كبيرة قد بلغت التسعين وهى مختفية فى مكان ـ تشكو إليه الحاجة والفقر وضيق الحال ، فأرسل إليها من نقلها إلى الحريم ، وأخدمها جاريتين ، ورتب لها كل يوم اثنى عشر رطلا من خبز ، وأربعة أرطال من لحم .

فصل

ولما خلص السلطان طغرلبك من حصره بهمذان وأسر أخاه إبراهيم وقتله ، وتمكن فى أمره ، وطابت نفسه ، ولم يبق له فى تلك البلاد منازع ، كتب إلى قريش بن بدران يأمره بأن يعيد الخليفة إلى وطنه ، وداره وتوعده على أنه إن لم يفعل ذلك وإلا أحل به بأساً شديدا ، فكتب إليه قريش يتلطف به ويدخل عليه ، ويقول : أنا معك على البساسيرى بكل ما أقدر عليه ، حتى يمكنك الله منه ، ولكن أخشى أن أتسرع فى أمر يكون فيه على الخليفة مفسدة ، أو تبدر إليه بادرة سوء يكون على عارها ، ولكن سأعمل على ما أمرتنى به بكل ما يمكننى ، وأمر برد امرأة الخليفة خاتون إلى دارها وقرارها ، ثم إنه راسل البساسيرى بعود الخليفة إلى داره ، وخوفه من جهة الملك طغرلبك ، وقال له فيما قال : إنك دعوتنا إلى طاعة المستنصر الفاطمى ، وبيننا وبينه ستمائة فرسخ ، ولم يأتنا رسول ولا أحد من عنده ، ولم يفكر فى شئ مما أرسلنا إليه ، وهذا الملك من ورائنا بالمرصاد ، قريب منا ، وقد جاءنى منه كتاب عنوانه : إلى الأمير الجليل علم الدين أبى المعالى قريش بن بدران ، مولى أمير المؤمنين ، من شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب طغرلبك ، أبى طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، وعلى رأس الكتاب العلامة السلطانية بخط السلطان . حسبى الله ونعم الوكيل . وكان فى الكتاب : والآن قد سرت بنا المقادير إلى هلاك كل عدو فى الدين ، ولم يبق علينا من المهمات إلا خدمة سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، وإطلاع أبهة إمامته على سرير عزه ، فان الذى يلزمنا ذلك ، ولا فسحة فى التقصير فيه ساعة من الزمان ، وقد أقبلنا بجنود المشرق وخيولها إلى هذا المهم العظيم ، ونريد من الأمير الجليل علم الدين إبانة النجح الذى وفق له وتفرد به ، وهو أن يتم وفاءه من إقامته وخدمته ، فى باب سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، إما أن يأتى به مكرماً فى عزه وإمامته إلى موقف خلافته من مدينة السلام ، ويتمثل بين يديه متولياً أمره ومنفذاً حكمه ، وشاهراً سيفه وقلمه ، وذلك المراد ، وهو خليفتنا وتلك الخدمة بعض ما يجيب له ، ونحن نوليك العراق بأسرها ونصفى لك مشارع برها وبحرها ، لا يطؤها حافر خيل من خيول العجم

شبراً من أراضى تلك المملكة ، إلاملتمساً لمعاونتك ومظاهرتك ، و إما أن تحافظ على شخصه العالى بتحو يله من القلعة إلى حين تحظى بخدمته ، فليمتثل ذلك ويكون الأمير الجليل مخيراً بين أن يلقانا أو يقيم حيث شاء فنوليه العراق كلها ، ونستخلفه فى الخدمة الامامية ، ونصرف أعيننا إلى الممالك الشرقية ، فهمتنا لا تقتضى إلا هذا .

فعند ذلك كتب قريش إلى مهاوش بن مجلى الذى عنده الخليفة يقول له : إن المصلحة تقتضى تسليم الخليفة إلى ، حتى آخذ لى ولك به أماناً ، فامتنع عليه مهارش وقال قد غرنى البساسيرى و وعدنى بأشياء لم أرها ، ولست بمرسله إليك أبداً ، وله فى عنقى أيمان كثيرة لا أغدرها ، وكان مهارش هذا رجلا صالحاً ، فقال للخليفة : إن المصلحة تقتضى أن نسير إلى بلد بدر بن مهلهل ، وننظر ما يكون من أمر السلطان طغرلبك ، فان ظهر دخلنا بغداد ، و إن كانت الأخرى نظرنا لأنفسنا ، فانى أخشى من البساسيرى أن يأتينا فيحصرنا . فقال له الخليفة : افعل مافيه المصلحة . فسارا فى الحادى عشر من ذى القعدة إلى أن حصلا بقلعة تل عكبرا ، فتلقته رسل السلطان طغرلبك بالهدايا التى كان أنفذها ، وجاءت الأخبار بأن السلطان طغرلبك قد دخل بغداد ، وكان يوماً مشهوداً ، غير أن الجيش نهبوا البلد غير دار الخليفة ، وصودر خلق كثير من التجار ، وأخذت منهم أموال كثيرة ، وشرعوا فى عمارة دار الملك ، وأرسل السلطان إلى الخليفة مراكب كثيرة من أنواع الخيول وغيرها ، وسرادق وملابس ، وما يليق بالخليفة فى السفر ، أرسل ذلك مع الوزير عميد الملك الكندرى ، ولما انتهوا إلى الخليفة أرسلوا بتلك الآلات إليه قبل أن يصلوا إليه ، وقالوا : اضربوا السرادق وليلبس الخليفة ما يليق به ، ثم نجىء نحن ونستأذن عليه فلا يأذن لنا إلا بعد ساعة طويلة ، فلما فعلوا ذلك دخل الوزير ومن معه فقبلوا الأرض بين يديه ، وأخبروه بسرور السلطان بسلامته ، وبما حصل من العود إلى بغداد ، وكتب عميد الملك كتاباً إلى السلطان يعلمه بصفة ماجرى ، وأحب أن يضع الخليفة علامته فى أعلا الكتاب ليكون أقر لعين السلطان ، وأحضر الوزير دواته ومعها سيف وقال: هذه خدمة السيف والقلم ، فأعجب الخليفة ذلك ، وترحلوا من منزلهم ذلك بعد يومين ، فلما وصلوا النهروان خرج السلطان لتلقى الخليفة ، فلما وصل السلطان إلى سرادق الخليفة قبل الأرض سبع مرات بين يدى الخليفة ، فأخذ الخليفة مخدة فوضعها بين يديه فأخذها الملك فقبلها ، ثم جلس عليها كما أشار الخليفة ، وقدم إلى الخليفة الحبل الياقوت الأحمر الذى كان لبنى بويه ، فوضعه بين يديه ، وأخرج اثنتى عشرة حبة من لؤلؤ كبار ، وقال أرسلان خاتون ـ يعنى زوجة الملك ـ تخدم الخليفة ، وسأله أن يسبح بهذه المسبحة ، وجعل يعتذر من تأخره عن الحضرة بسبب عصيان أخيه فقتله ، واتفق موت أخى الأكبر أيضاً ، فاشتغلت بترتيب أولاده من بعده ، وأنا شاكر لمهارش بما كان منه من خدمة

أمير المؤمنين ، وأنا ذاهب إن شاء الله خلف الكلب البساسيرى ، فأقتله إن شاء الله ، ثم أدخل الشام وأفعل بصاحب مصر ما ينبغى أن يجازى به من سوء المقابلة ، فدعا له الخليفة ، وأعطى الخليفة للملك سيفاً كان معه ، لم يبق معه من أمور الخلافة سواه ، واستأذن الملك لبقية الجيش أن يخدموا الخليفة ، فرفعت الأستار عن جوانب الحركات ، فلما شاهد الأتراك الخليفة قبلوا الأرض ، ثم دخلوا بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة ، وكان يوماً مشهوداً : الجيش كله معه والقضاة والأعيان والسلطان آخذ بلجام بغلته ، إلى أن وصل باب الحجرة ، ثم إنه لما وصل الخليفة إلى دار مملكته استأذنه السلطان فى الذهاب وراء البساسيرى ، فأرسل جيشا من ناحية الكوفة ليمنعوه من الدخول إلى الشام ، وخرج هو والناس فى التاسع والعشرين من الشهر . وأما البساسيرى فانه مقيم بواسط فى جمع غلات وأموريهيئها لقتال السلطان ، وعنده أن الملك طغرلبك ومن عنده ليسوا بشئ يخاف منه ، وذلك لما يريده الله تعالى من إهلاكه إن شاء الله .

﴿ صفة مقتل البساسيرى وأخذه على يدى السلطان طغرلبك ﴾

لما سار السلطان وراءه وصلت السرية الأولى فلقوه بأرض واسط ومعه ابن مزيد ، فاقتتلوا هنالك وانهزم أصحابه عنه ، ونجا البساسيرى بنفسه على فرس ، فتبعه بعض الغلمان فرمى فرسه بنشابة فألقته إلى الأرض ، فجاء الغلام فضرب به على وجهه ولم يعرفه ، وأسره واحد منهم يقال له كمشكين ، فحز رأسه وحمله إلى السلطان ، وأخذت الأتراك من جيش البساسيرى من الأموال ما عجزوا عن حمله ، ولما وصل الرأس إلى السلطان أمر أن يذهب به إلى بغداد ، وأن يرفع على رمح ، وأن يطاف به فى المحال وأن يطوف معه الدبادب والبوقات والنفاطون ، وأن يخرج الناس والنساء للفرجة عليه ، ففعل ذلك ، ثم نصب على الطيارة تجاه دار الخليفة ، وقد كان مع البساسيرى خلق من البغاددة خرجوا معه ، ظانين أنه سيعود إلى بغداد ، فهلكوا ونهبت أموالهم ، ولم ينج من أصحابه إلا القليل ، وفر ابن مزيد فى ناس قليل إلى البطيحة ، ومعه أولاد البساسيرى وأمهم ، وقد سلبتهم الأعراب فلم يتركوا لهم شيئا . ثم استؤمن لابن مزيد من السلطان ودخل معه بغداد ، وقد نهبت العساكر ما بين واسط والبصرة والأهواز ، وذلك لكثرة الجيش وانتشاره وكثافته . وأما الخليفة فانه حين عاد إلى دار الخلافة جعل لله عليه أن لا ينام على وطاء ولا يأتيه أحد بطعام إذا كان صائما ، ولا يخدمه فى وضوئه وغسله أحد ، بل يتولى ذلك كله بنفسه لنفسه ، وعاهد الله أن لا يؤذى أحدا ممن آذاه ، وأن يصفح عن من ظلمه ، وقال : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وفيها تولى الملك ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن ساجوق بلاد حران بعد وفاة أبيه ، بتقرير عمه طغرلبك ، وكان له من الأخوة سليمان وقاروت بك ، وياقوتى ، فتزوج طغرلبك بأم سليمان .

وفيها كان بمكة رخص لم يسمع بمثله ، بيع التمر والبر كل مائتى رطل بدينار . ولم يحج أحـد من أهل العراق فيها

﴿ ترجمة أرسلان أبو الحارث البساسيرى التركى ﴾

كان من مماليك بهاء الدولة ، وكان أولا مملوكا لرجل من أهـل مدينة بسا ، فنسب إليه فقيل له البساسـيرى ، وتلقب بالملك المظفر ، ثم كان مقدما كبيراً عند الخليفـة القائم بأمر الله ، لا يقطع أمراً دونه ، وخطب له على منابر العراق كلها ، ثم طغى و بغى وتمرد ، وعتا وخرج على الخليفة والمسلمين ودعا إلى خلافة الفاطميين ، ثم انقضى أجله فى هذه السنة ، وكان دخوله إلى بغداد بأهله فى سادس ذى القعدة من سنة خمسين وأربعمائة ، ثم اتفق خروجهم منها فى سادس ذى القعدة أيضاً من سنة إحدى وخمسين ، بعد سنة كاملة ، ثم كان خروج الخليفة من بغـداد فى يوم الثلاثاء الثانى عشر من كانون الأول ، واتفق قتل البساسيرى فى يوم الثـلاثاء الثامن عشر من كانون الأول ، بعد سنة شمسية ، وذلك فى ذى الحجة منها .

﴿ الحسن بن الفضل ﴾

أبو على الشرمقانى المؤدب المقرى الحافظ للقرآن والقراءات ، واختلافها ، كان ضيق الحال فرآه شيخه ابن العـلاف ذات يوم وهو يأخـذ أوراق الخس من دجلة و يأكلها ، فأعـلم ابن المسلمة بحاله ، فأرسل ابن المسلمة غلاماً له وأمره أن يذهب إلى الخزانة التى له بمسجده فيتخذ لها مفتاحاً غير مفتاحه ، ثم كان كل يوم يضع فيها ثلاثة أرطال من خبز السميد ، ودجاجة ، وحلاوة السكر ، فظن أبو عـلى الشرمقانى أن ذلك كرامة أكرمه الله بها ، وأن هذا الطعام الذى يجده فى خزانته من الجنة ، فكتمه زمانا وجعل ينشد :

من أطلعوه على سر فباح به * لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلم يظفر بقربهم * وأبدلوه فكان الأنس إيحاشا

فلما كان فى بعض الأيام ذاكره ابن العلاف فى أمره ، وقال له فيما قال : أراك قد سمنت فما هذا الأمر ، وأنت رجل فقير ؟ فجعل يلوح ولا يصرح ، ويكنى ولا يفصح ، ثم ألح عليه فأخبره أنه يجد كل يوم فى خزانته من طعام الجنة مايكفيه ، وأن هذا كرامة أكرمه الله بها ، فقال له : ادع لابن المسلمة فانه الذى يفعل ذلك ، وشرح له صورة الحال ، فكسره ذلك ولم يعجبه .

﴿ على بن محمود بن إبراهيم بن ماجره ﴾

أبو الحسن الروزنى ، شيخ الصوفية ، وإليه ينسب الرباط الروزنى ، وقد كان بنى لأبى الحسن شيخه ، وقد صحب أبا عبد الرحمن السلمى ، وقال : صحبت ألف شيخ ، وأحفظ عن كل شيخ حكاية توفى فى رمضان عن خمس وثمانين سنة .

﴿ محمد بن على ﴾

ابن الفتح بن محمد بن علي بن أبي طالب الحربي ، المعروف بالعشاري ، لطول جسده ، وقد سمع الدارقطني وغيره ، وكان ثقة دينا صالحاً ، توفي في جمادى الأولى منها ، وقد نيف على الثمانين

﴿ الوني الفرضي ﴾

الحسين بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله الوني ، نسبة إلى ون قرية من أعمال جهستان ، الفرضي شيخ الحربي ، وهو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم ، كان الوني إماماً في الحساب والفرائض ، وانتفع الناس به ، توفي فيها ببغداد شهيدا في فتنة البساسيري والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ﴾

في يوم الخميس السابع عشر من صفر ، دخل السلطان بغداد مرجعه من واسط ، بعد قتل البساسيري ، وفي يوم الحادي والعشرين جاس الخليفة في داره وأحضر الملك طغرلبك ، ومد سماطا عظيما فأكل الأمراء منه والعامة ، ثم في يوم الخميس ثاني ربيع الأول عمل السلطان سماطا للناس ، وفي يوم الثلاثاء تاسع جمادى الآخرة قدم الأمير عدة الدين أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله . وعمته ، وله من العمر يومئذ أربع سنين ، صحبة أبي الغنائم ، فتلقاه الناس إجلالا لجده ، وقد ولي الخلافة بعد ذلك ، وسمي المقتدي بأمر الله . وفي رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال العتابي دار كتب ، وهي دار بشارع ابن أبي عوف من غربي بغداد ، ونقل إليها ألف كتاب ، عوضاً عن دار ازدشير التي أحرقت بالكرخ . وفي شعبان ملك محمود بن نصر حلب وقلعتها فامتدحه الشعراء . وفيها ملك عطية بن مرداس الرحبة ، وذلك كله منتزع من أيدي الفاطميين . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها ، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة وذهبوا مع الخفراء .

وممن توفي فيها من الأعيان .

﴿ أبو منصور الجيلي ﴾

من تلاميذ أبي حامد ، ولي القضاء بباب الطاق . وبحريم دار الخلافة ، وسمع الحديث من جماعة . قال الخطيب : وكتبنا عنه وكان ثقة .

﴿ الحسن بن محمد ﴾

ابن أبي الفضل أبو محمد الفسوي ، الوالي ، سمع الحديث ، وكان ذكيا في صناعة الولاية ، ومعرفة التهم والمتهومين من الغرماء ، بلطيف من الصنيع ، كما نقل عنه أنه أوقف بين يديه جماعة اتهموا بسرقة فأتي بكوز يشرب منه ، فرمى به فانزعج الواقفون إلا واحدا ، فأمر به أن يقرر ، وقال السارق يكون جريئا قوياً ، فوجد الأمر كذلك ، وقد قتل مرة رجلا في ضرب بين يديه فادعى عليه عند القاضي أبي الطيب ، فحكم عليه بالقصاص ، ثم فادى عن نفسه بمال جزيل حتى خلص .

﴿ محمد بن عبيد الله ﴾

ابن أحمد بن محمد بن عروس ، أبو الفضل البزار ، انتهت إليه رياسة الفقهاء المالكيين ببغداد، وكان من القراء المجيدين ، وأهل الحديث المسندين ، سمع ابن حبانة والمخلص وابن شاهين ، وقد قبل شهادته أبو عبد الله الدامغانى ، وكان أحد المعدلين .

﴿ قطر الندى ﴾

ويقال الدجى ، ويقال علم ، أم الخليفة القائم بأمر الله ، كانت عجوزاً كبيرة ، بلغت التسعين، وهى التى احتاجت فى زمان البساسيرى فأجرى عليها رزقا ، وأخدمها جاريتين ، ثم لم تمت حتى أقر الله عينها بولدها ، ورجوعه إليها ، واستمر أمرهم على ما كانوا عليه ، ثم توفيت فى هذه السنة ، فحضر ولدها الخليفة جنازتها ، وكانت حافلة جدا .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها خطب الملك طغرلبك ابنة الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك ، وقال : هذا شىء لم تجر العادة بمثله ، ثم طلب شيئا كثيرا كهيئة الفرار . من ذلك ما كان لزوجته التى توفيت من الاقطاعات بأرض واسط ، وثلثمائة ألف دينار ، وأن يقيم الملك ببغداد لا يرحل عنها ولا يوماً واحدا ، فوقع الاتفاق على بعض ذلك ، وأرسل إليها بمائة ألف دينار مع ابنة أخيه داود زوجة الخليفة ، وأشياء كثيرة من آنية الذهب والفضة ، والنثار والجوارى ، ومن الجواهر ألفان ومائتى قطعة ، من ذلك سبعمائة قطعة من جوهر ، وزن القطعة ما بين الثلاث مثاقيل إلى المثقال ، وأشياء أخرى. فتمنع الخليفة لفوات بعض الشروط ، فغضب عميد الملك الوزير لمخدومه السلطان ، وجرت شرور طويلة اقتضت أن أرسل السلطان كتابا يأمر الخليفة بانتزاع ابنة أخيه السيده أرسلان خاتون ، ونقلها من دار الخلافة إلى دار الملك ، حتى تنفصل هذه القضية ، فعزم الخليفة على الرحيل من بغداد ، فانزعج الناس لذلك ، وجاء كتاب السلطان إلى رئيس شحنة بغداد برشتق يأمره بعدم المراقبة وكثرة العسف فى مقابلة رد أصحابه بالحرمان ، ويعزم على نقل الخاتون إلى دار المملكة ، وأرسل من يحملها إلى البلد التى هو فيها ، كل ذلك غضباً على الخليفة . قال ابن الجوزى : وفى رمضان منها رأى إنسان من الزمنى رسول الله ﷺ فى المنام وهو قائم ومعه ثلاثة أنفس ، فجاءه أحدهم فقال له : ألا تقوم ؟ فقال : لا أستطيع ، أنا رجل مقعد ، فأخذ بيده فقال قم فقام وانتبه ، فاذا هو قد برأ وأصبح يمشى فى حوائجه . وفى ربيع الآخر استوزر الخليفة أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست الأهوازى ، وخلع عليه وجلس فى مجلس الوزارة . وفى جمادى الآخرة لليلتين بقيتا منه كسفت الشمس كسوفا عظيما ، جميع القرص غاب ، فمكث الناس أربع ساعات حتى بدت النجوم وآوت الطيور إلى أوكارها ، وتركت الطيران

لشدة الظلمة . وفيها ولى أبو تميم بن معز الدولة بلاد إفريقية . وفيها ولى ابن نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى ديار بكر . وفيها ولى قريش بن بدران بلاد الموصل ونصيبين . وفيها خلع على طراد ابن محمد الزينبى الملقب بالكامل نقابة الطالبيين ، ولقب المرتضى . وفيها ضمن أبو إسحاق بن علاء اليهودى ، ضياع الخليفة من صرصر إلى أوانى ، كل سنة ستة وثمانين ألف دينار ، وسبع عشرة ألف كر من غلة . ولم يحج أحد من أهل العراق هذه السنة .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن مروان ﴾

أبو نصر الكردى ، صاحب بلاد بكر وميافارقين ، لقبه القادر نصر الدولة ، وملك هذه البلاد ثنتين وخمسين سنة ، وتنعم تنعما لم يقع لأحد من أهل زمانه ، ولا أدركه فيه أحد من أقرانه ، وكان عنده خمسمائة سرية سوى من يخدمهن ، وعنده خمسمائة خادم ، وكان عنده من المغنيات شئ كثير كل واحدة مشتراها خمسة آلاف دينار ، وأكثر ، وكان يحضر فى مجلسه من آلات اللهو والأوانى ما يساوى مائتى ألف دينار ، وتزوج بعدة من بنات الملوك ، وكان كثير المهادنة للملوك ، إذا قصده عدو أرسل إليه بمقدار ما يصالحه به ، فيرجع عنه .

وقد أرسل إلى الملك طغرلبك بهدية عظيمة حين ملك العراق ، من ذلك حبل من ياقوت كان لبنى بويه اشتراه منهم بشىء كثير ، ومائة ألف دينار ، وغير ذلك ، وقد وزر له أبو القاسم المعرى مرتين ، ووزر له أيضاً أبو نصر محمد بن محمد بن حمير ، وكانت بلاده آمن البلاد ، وأطيبها وأكثرها عدلا ، وقد بلغه أن الطيور تجوع فتجمع فى الشتاء من الحبوب التى فى القرى فيصطادها الناس ، فأمر بفتح الاهراء وإلقاء ما يكفيها من الغلات فى مدة الشتاء ، فكانت تكون فى ضيافته طول الشتاء مدة عمره ، توفى فى هذه السنة وقد قارب الثمانين . قال ابن خلكان : قال ابن الأزرق فى تاريخه : إنه لم يصادر أحداً من رعيته سوى رجل واحد ، ولم تفته صلاة مع كثرة مباشرته للذات ، وكان له ثلاثمائة وستون حظية ، يبيت عند كل واحدة ليلة فى السنة ، وخلف أولاداً كثيرة ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى فى التاسع والعشرين من شوال منها .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها وردت الكتب الكثيرة من الملك طغرلبك يشكو من قلة إنصاف الخليفة ، وعدم موافقته له ، ويذكر ما أسداه إليه من الخير والنعم إلى ملوك الأطراف ، وقاضى القضاة الدامغانى ، فلما رأى الخليفة ذلك ، وأن الملك أرسل إلى نوابه بالاحتياط على أموال الخليفة ، كتب إلى الملك يجيبه إلى ما سأل ، فلما وصل ذلك إلى الملك فرح فرحاً شديداً ، وأرسل إلى نوابه أن يطلقوا أملاك الخليفة ، واتفقت الكلمة بعد أن كادت تتفرق ، فوكل الخليفة فى العقد . فوقع العقد بمدينة تبريز بحضرة

الملك طغرلبك ، وعمل سماطاً عظيما ، فلما جيء بالوكالة قام لها الملك وقبل الأرض عند رؤيتها ، ودعا للخليفة دعاء كثيراً ، ثم أوجب العقد على صداق أربعمائة ألف دينار ، وذلك في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، ثم بعث ابنة أخيه الخاتون زوجة الخليفة في شوال بتحف كثيرة ، وجوهر وذهب كثير ، وجواهر عديدة ثمينة ، وهدايا عظيمة لأم العروس وأهلها ، وقال الملك جهرة للناس : أنا عبد الخليفة ما بقيت ، لا أملك شيئاً سوى ما على من الثياب . وفيها عزل الخليفة وزيره واستوزر أبا نصر محمد بن محمد بن جبير ، استقدمه من ميافارقين .وفيها عم الرخص جميع الارض حتى بيع بالبصرة كل ألف رطل تمر بثمان قراريط ، ولم يحج فيها أحد.

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ ثمال بن صالح ﴾

معزالدولة ، صاحب حلب ، كان حليما كريما وقوراً . ذكر ابن الجوزى أن الفراش تقدم إليه ليغسل يده فصدمت بلبلة الابريق ثنيته فسقطت في الطست ، فعفا عنه

﴿ الحسن بن على بن محمد ﴾

أبو محمد الجوهرى ، ولد في شعبان سنة ثلاث وستين ، وسمع الحديث على جماعة ، وتفرد بمشايخ كثيرين ، منهم أبو بكر بن مالك القطيعى ، وهو آخر من حدث عنه ، توفى في ذى القعدة منها

﴿ الحسين بن أبى زيد ﴾

أبو على الدباغ . قال رأيت رسول الله ﷺ في المنام . فقلت : يارسول الله ادع الله أن يميتنى على الاسلام . فقال : وعلى السنة ﴿ سعد بن محمد بن منصور ﴾

أبو المحاسن الجرجانى ، كان رئيسا قديما ، وجه رسولا إلى الملك محمود بن سبكتكين في حدود سنة عشر ، وكان من الفقهاء العلماء ، تخرج به جماعة ، وروى الحديث عن جماعة ، وعقد له مجلس المناظرة ببلدان كثيرة ، وقتل ظلماً باستراباذ في رجب منها رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها دخل السلطان طغرلبك بغداد ، وعزم الخليفة على تلقيه ، ثم ترك ذلك وأرسل وزيره أبا نصر عوضاً عنه ، وكان من الجيش أذية كثيرة للناس في الطريق ، وتعرضوا للحريم حتى هجموا على النساء في الحمامات ، فخلصهن منهم العامة بعد جهد.فانا لله وإنا اليه راجعون .

﴿ ذكر دخول الملك طغرلبك على بنت الخليفة ﴾

لما استقر السلطان ببغداد أرسل وزيره عميد الملك إلى الخليفة يطالبه بنقل ابنته إلى دار المملكة فتمنع الخليفة من ذلك وقال : إنكم إنما سألتم أن يعقد العقد فقط بحصول التشريف والتزمتم لها بعدم المطالبة ، فتردد الناس في ذلك بين الخليفة والملك ، وأرسل الملك زيادة على النقد مائة ألف دينار

ومائة وخمسين ألف درهم ، وتحفا أخر ، وأشياء لطيفة ، فلما كان ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر زفت السيدة ابنة الخليفة إلى دار المملكة ، فضربت لهـا السرادقات من دجلة إلى دار المملـكة ، وضربت الدبادب والبوقات عند دخولها إلى الدار ، فلما دخلت أجلست على سرير مكلل بالذهب، وعلى وجهها برقع ، ودخل الملك طغرلبك فوقف بين يديها فقبـل الأرض ، ولم تقم له ولم تره ، ولم يجلس حتى انصرف إلى صحن الدار ، والحجاب والأتراك يرقصون هناك فرحاً وسروراً ، و بعث لها مع الخاتون زوجـة الخليفة عقدين فاخرين ، وقطعة ياقوت حمراء ، كبيرة هائلة ، ودخل من الغد فقبّل الأرض وجلس على سرير مكال بالفضة بازائها ساعة ، ثم خرج وأرسل لها جواهر كثيرة ثمينة وفرجية نسج بالذهب مكال بالحب ، وما زال كذلك كل يوم يدخـل ويقبل الأرض ويجلس عـلى سرير بازائها ، ثم يخرج عنها ويبعث بالتحف والهـدايا ، ولم يكن منه إليها شيء ، مقدار سبعة أيام ، ويمد كل يوم من هـذه الأيام السبعة سماطاً هائلا ، وخلع فى اليوم السابع عـلى جميع الأمراء ، ثم عرض له سفر واعتراه مرض فاستأذن الخليفة فى الانصراف بالسيدة معه إلى تلك البلاد ، ثم يعود بها، فأذن له بعد تمنع شديد ، وحزن عظيم ، فخرج بها وليس معها من دار الخلافة سوى ثلاث نسوة ، برسم خدمتها ، وقد تألمت والدتها لفقدها ألما شديدا ، وخرج السلطان وهو مريض مدنف مأيوس منه ،

فلما كانت ليلة الأحـد الرابع والعشرين من رمضان جاء الخبر بأنه توفى فى ثامن الشهر ، فثار العيارون فقتلوا العميـدى وسبعمائة من أصحابه ، ونهبوا الأموال ، وجعلوا يأكلون ويشربون عـلى القتلى نهاراً ، حتى انسلخ الشهر وأخذت البيعة بعده لولد أخيه سليمان بن داود ، وكان طغرلبك قد نص عليه وأوصى إليه ، لأنه كان قد تزوج بأمـه ، واتفقت الـكلمة عليه ، ولم يبق عليه خوف إلا من جهة أخى سليمان ، وهو الملك عضد الدولة ألب أرسلان ، محمد بن داود ، فان الجيش كانوا يميلون إليه ، وقـد خطب له أهل الجبل ومعه نظام الملك أبو على الحسن بن على بن إسحاق وزيره ، ولمـا رأى الـكندرى قوة أمره خطب له بالرى ، ثم من بعده لأخيه سليمان بن داود .

وقد كان الملك طغرلبك حليما كثير الاحتمال ، شـديد الكتمان للسر ، محافظا عـلى الصلوات ، وعلى صوم الاثنين والخميس ، مواظبا على لبس البياض ، وكان عمره يوم مات سبعين سنة ، ولم يترك ولدا ، وملك بحضرة القائم بأمر الله سبع سنين وإحـدى عشر شهرا ، واثنى عشر يوماً ، ولمـا مات اضطربت الأحوال وانتقضت بعـده جـدا ، وعاثت الأعراب فى سواد بغـداد وأرض العراق ، ينهبون ، وتعذرت الزراعة إلا على المخاطرة ، فانزعج الناس لذلك .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بواسط وأرض الشام ، فهـدمت قطعة من سور طرابلس . وفيها وقع بالناس موتان بالجدرى والفجأة ، ووقع بمصر وباء شديد ، كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة . وفيها

ملك الصليحى صاحب اليمن مكة ، وجلب الاقوات إليها ، وأحسن إلى أهلها . وفى أوائلها طلبت الست أرسلان زوجة الخليفة النقلة من عنده إلى عمها ، وذلك لما هجرها وبارت عنده ، فبعثها مع الوزير الكندرى إلى عمها ، فلما وصلت إليه كان مريضاً مدنفا ، فأرسل إلى الخليفة يعتب عليه فى تهاونه بها ، فكتب الخليفة إليه ارتجالا :

ذهبت شرتى وولى الغرام * وارتجاع الشباب مالا يرام

أذهبت منى الليالى جديدا * والليالى يضعفن والأيام

فعلى ما عهدته من شبابى * وعلى الغانيات منى السلام

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ زهير بن على بن الحسن بن حزام ﴾

أبو نصر الحزامى ، ورد بغداد وتفقه على الشيخ أبى حامد الاسفراينى ، وسمع بالبصرة سنن أبى داود على القاضى أبى عمر ، وحدث بالكثير ، وكان يرجع إليه فى الفتاوى ، وحل المشكلات ، وكانت وفاته بسرخس فيها . ﴿ سعيد بن مروان ﴾

صاحب آمد ، ويقال إنه سم ، فانتقم صاحب ميا فارقين ممن سمه ، فقطعه قطعاً .

﴿ الملك أبو طالب ﴾

محمد بن ميكائيل بن سلجوق طغرلبك ، كان أول ملوك السلاجقة ، وكان خيِّراً مصليا ، محافظا على الصلاة فى أول وقتها ، يديم صيام الاثنين والخميس ، حليما عمن أساء إليه ، كتوماً للاسرار سعيداً فى حركاته ، ملك فى أيام مسعود بن محمود عامة بلاد خراسان ، واستناب أخاه داود وأخاه لأمه إبراهيم بن نيال ، وأولاد إخوته ، على كثير من البلاد ، ثم استدعاه الخليفة إلى ملك بغداد كما تقدم ذلك كله مبسوطا . توفى فى ثامن رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبعون سنة ، وكان له فى الملك ثلاثون سنة ، منها فى ملك العراق ثمان سنين إلا ثمانية عشر يوماً .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها قبض السلطان ألب أرسلان على وزير عمه عميد الملك الكندرى ، وسجنه ببيته ثم أرسل إليه من قتله ، واعتمد فى الوزارة على نظام الملك ، وكان وزير صدق ، يكرم العلماء والفقراء ، ولما عصى الملك شهاب الدولة قتلمش ، وخرج عن الطاعة ، وأراد أخذ ألب أرسلان ، خاف منه ألب أرسلان فقال له الوزير : أيها الملك لا تخف ، فانى قد استدمت لك جندا ما بارزوا عسكرا إلا كسروه ، كائنا ما كان . قال له الملك : من هم ؟ قال : جند يدعون لك وينصرونك بالتوجه فى صلواتهم وخلواتهم ، وهم العلماء والفقراء الصلحاء . فطابت نفس الملك بذلك ، فحين التقى مع قتلمش لم ينظره أن كسره ، وقتل خلقا من جنوده ، وقتل قتلمش فى المعركة ، واجتمعت الكلمة على ألب أرسلان .

وفيها أرسل ولده ملكشاه ووزيره نظام الملك هذا فى جنود عظيمة إلى بلاد الكرخ ، ففتحوا حصونا كثيرة ، وغنموا أموالا جزيلة ، وفرح المسلمون بنصرهم ، وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم صاحب ما وراء النهر ، وزفت إليه ، وزوج ابنه الآخر بابنة صاحب غزنة ، واجتمع شمل الملكين السلجوقى والمحمودى .

وفيها أذن ألب أرسلان لابنة الخليفة فى الرجوع إلى أبيها ، وأرسل معها بعض القضاة والأمراء فدخلت بغداد فى تجمل عظيم ، وخرج الناس لينظروا إليها ، فدخلت ليلا ، ففرح الخليفة وأهلها بذلك ، وأمر الخليفة بالدعاء لألب أرسلان على المنابر فى الخطب ، فقيل فى الدعاء : اللهم وأصلح السلطان المعظم ، عضد الدولة ، وتاج الملة ، ألب أرسلان أبا شجاع محمد بن داود ، ثم أرسل الخليفة إلى الملك بالخلع والتقليد مع الشريف نقيب النقباء ، طراد بن محمد ، وأبى محمد التميمى ، وموفق الخادم واستقر أمر السلطان ألب أرسلان على العراق . قال ابن الجوزى : وفى ربيع الأول شاع فى بغداد أن قوماً من الأكراد خرجوا يتصيدون فرأوا فى البرية خياماً سودا ، سمعوا بها لطماً شديدا ، وعويلا كثيراً ، وقائلا يقول : قد مات سيدوك ملك الجن ، وأى بلد لم يلطم به عليه ، ولم يقم له مأتم فيه . قال : فخرج النساء العواهر من حريم بغداد إلى المقابر يلطمن ثلاثة أيام ، ويخرقن ثيابهن وينشرن شعورهن ، وخرج رجال من الفساق يفعلون ذلك ، وفعل هذا بواسط وخوزستان وغيرها من البلاد ، قال : وهذا من الحمق لم ينقل مثله . قال ابن الجوزى : وفى يوم الجمعة ثانى عشر شعبان هجم قوم من أصحاب عبد الصمد على أبى على بن الوليد ، المدرس للمعتزلة فسبوه وشتموه لامتناعه من الصلاة فى الجامع ، وتدريسه للناس بهذا المذهب ، وأهانوه وجروه ، ولعنت المعتزلة فى جامع المنصور ، وجلس أبو سعيد بن أبى عمامة وجعل يلعن المعتزلة . وفى شوال ورد الخبر أن السلطان غزا بلداً عظيما فيه ستمائة ألف دينار ، وألف بيعة ودير ، وقتل منهم خلقا كثيراً ، وأسر خمسمائة ألف إنسان .

وفى ذى القعدة حدث بالناس وباء شديد ببغداد وغيرها من بلاد العراق ، وغلت أسعار الأدوية ، وقل التمرهندى ، وزاد الحر فى تشارين ، وفسد الهواء ، وفى هذا الشهر خلع على أبى الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوى بنقابة الطالبيين ، وولاية الحج والمظالم ، ولقب بالظاهر ذى المناقب ، وقرئ تقليده فى الموكب . وحج أهل العراق فى هذه السنة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ ابن حزم الظاهرى ﴾

هو الإمام الحافظ العلامة ، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد ، مولى يزيد بن أبى سفيان صخر بن حرب الأموى ، أصل جده من فارس ، أسلم وخلف المذكور ، وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم ، وكانت بلدهم قرطبة ، فولد ابن

حزم هـذا بها فى سلخ رمضان ، سـنة أربع وثمانين وثلثمائة ، فقرأ القرآن واشـتغل بالعلوم النافعة الشرعية ، وبرز فيها وفاق أهل زمانه ، وصنف الكتب المشهورة ، يقال إنه صنف أربعمائة مجلد فى قريب من ثمانين ألف ورقـة ، وكان أديباً طبيباً شاعرا فصيحا ، له فى الطب والمنطق كتب ، وكان من بيت وزارة ورياسة ، ووجاهة ومال وثروة ، وكان مصاحباً للشيخ أبى عمر بن عبد البر النمرى ، وكان مناوئا للشيخ أبى الوليد سليمان بن خلف الباجى ، وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها . وكان ابن حزم كثير الوقيعة فى العلماء بلسانه وقلمه ، فأورثه ذلك حقدا فى قلوب أهل زمانه ، ومازالوا به حتى بغضوه إلى ملوكهم ، فطردوه عن بلاده ، حتى كانت وفاته فى قرية له فى شعبان من هذه السنة وقد جاوز التسعين . والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهريا حائراً فى الفروع ، لا يقول : بشئ من القياس لا الجلى ولا غيره ، وهذا الذى وضعه عند العلماء ، وأدخل عليه خطأ كبيرا فى نظره وتصرفه وكان مع هذا من أشـد الناس تأويلا فى باب الأصول ، وآيات الصفات وأحاديث الصفات ، لأنه كان أولا قد تضلع من علم المنطق ، أخـذه عن محمد بن الحسن المذحجى الكنانى القرطبى ، ذكره ابن ماكولا وابن خلكان ، ففسد بذلك حاله فى باب الصفات .

﴿ عبد الواحد بن على بن برهان ﴾

أبو القاسم النحوى ، كان شرس الأخلاق جدا ، لم يلبس سراويل قط ولا غطى رأسه ولم يقبل عطاء لأحد ، وذكر عنـه أنه كان يقبِّل المردان من غـير ريبة . قال ابن عقيل : وكان على مذهب مرجئة المعتزلة وينفى خلود الكفار فى النار ، ويقول : دوام العقاب فى حق من لايجوز عليه التشفى لا وجه له ، مع ما وصف الله به نفسه من الرحمة ، ويتأول قوله تعالى (خالدين فيها أبدا) أى أبدا من الآباد . قال ابن الجوزى: وقد كان ابن برهان يقدح فى أصحاب أحمد ويخالف اعتقاد المسلمين لأنه قد خالف الأجماع ، ثم ذكر كلامه فى هذا وغيره والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها سار جماعة من العراق إلى الحج بخفارة ، فلم يمكنهم المسير فعـدلوا إلى الكوفة ورجعوا . وفى ذى الحجة منها شرع فى بناء المدرسة النظامية ، ونقض لأجلها دور كثيرة من مشرعة الزوايا ، وباب البصرة . وفيها كانت حروب كثيرة بين تميم بن العزيز وباديس ، وأولاد حمـاد ، والعرب والمغاربة بصنهاجة وزناتة . وحج بالناس من بغداد النقيب أبو الغنائم .

وفيها كان مقتل عميـد الملك الكندرى ، وهو منصور بن محمـد أبو نصر الكندرى ، وزير طغرلبك ، وكان مسجونا سنة تامة ، ولما قتل حمل فدفن عند أبيه بقرية كندرة ، من عمل طريثيث ، وليست بكندرة التى هى بالقرب من قزوين . واستحوذ السلطان عـلى أمواله وحواصله ، وقد كان

ذكياً فصيحاً شاعراً ، لديه فضائل جمة ، حاضر الجواب سريعه . ولما أرسله طغرلبك إلى الخليفة يطلب ابنته ، وامتنع الخليفة من ذلك وأنشد متمثلا بقول الشاعر * ما كل ما يتمنى المرء يدركه * فأجابه الوزير تمام قوله * تجرى الرياح بما لا يشتهى السفن * فسكت الخليفة وأطرق . قتل عن نيف وأربعين سنة . ومن شعره قوله :

إن كان فى الناس ضيق عن منافستى * فالموت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت المغبون يتبعنى * كل لكاس المنايا شارب حاسى

وقد بعثه الملك طغرلبك يخطب له امرأة خوارزم شاه فتزوجها هو ، نخصاه الملك وأمره على عمله فدفن ذكره بخوارزم ، وسفح دمه حين قتل بمرو الروذ ، ودفن جسده بقريته ، وحمل رأسه فدفن بنيسابور ، ونقل قحف رأسه إلى كرمان ، وأنا أشهد أن الله جامع الخلائق إلى ميقات يوم معلوم أين كانوا ، وحيث كانوا ، وعلى أى صفة كانوا سبحانه وتعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ﴾

فى يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ دكاكينهم وأحضروا نساء ينحن على الحسين ، كما جرت به عادتهم السالفة فى بدعتهم المتقدمة المخالفة ، فحين وقع ذلك أنكرته العامة ، وطلب الخليفة أبا الغنائم وأنكر عليه ذلك . فاعتذر إليه بأنه لم يعلم به ، وأنه حين علم أزاله ، وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك ، وخرج التوقيع بكفر من سب الصحابة وأظهر البدع . قال ابن الجوزى : فى ربيع الأول ولدبباب الأزج صبية لها رأسان ووجهان ورقبتان وأربع أيد ، على بدن كامل ثم ماتت . قال : وفى جمادى الآخرة كانت بخراسان زلزلة مكثت أياما ، تصدعت منها الجبال ، وهلك جماعة ، وخسف بعدة قرى ، وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هنالك ، ووقع حريق بنهر معلى فاحترق مائة دكان وثلاثة دور ، وذهب للناس شئ كثير ، ونهب بعضهم بعضاً . قال ابن الجوزى وفى شعبان وقع قتال بدمشق فأحرقوا داراً كانت قريبة من الجامع ، فاحترق جامع دمشق . كذا قال ابن الجوزى : والصحيح المشهور أن حريق جامع دمشق إنما هو فى ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد ثلاث سنين مما قال ، وأن غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقيت نار بدار الامارة ، وهى الخضراء ، فاحترقت وتعدى حريقها حتى وصل إلى الجامع فسقطت سقوفه ، وبادت زخرفته ، وتلف رخامه ، وبقى كأنه خربة ، وبادت الخضراء فصارت كوماً من تراب بعد ما كانت فى غاية الاحكام والاتقان ، وطيب الفناء ، ونزهة المجالس ، وحسن المنظر ، فهى إلى يومنا هذا لا يسكنها لرداءة مكانها إلا سفلة الناس وأسقاطهم ، بعد ما كانت دار الخلافة والملك والامارة ، منذ أسسها معاوية بن أبى سفيان ، وأما الجامع الأموى فانه لم يكن على وجه الأرض

شيء أحسن منه ولا أبهى منظرا ، إلى أن احترق فبقي خرابا مدة طويلة ثم شرع الملوك في تجديده وترميمه ، حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ، ولم يزالوا في تحسين معالمه إلى زماننا هـذا ، فماثل وهو بالنسـبة إلى حاله الأول كلا شيء ، ولا زال التحسين فيـه إلى أيام الأمير سيف الدين بتكنزين عبد الله الناصري ، في حدود سنة ثلاث وسبعمائة ، وما قبلها وما بعدها بيسير .

وفيها رخصت الأسعار ببغداد رخصاً كثيرا ، ونقصت دجلة نقصا بينا . وفيها أخذ الملك ألب أرسـلان العهد بالملك من بعـده لولده ملـكشاه ، ومشى بين يديه بالغاشـية والأمراء يمشون بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً . وحج بالناس فيهـا نور الهـدى أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين الزينبي وجاور بمكة .

وفيها توفى من الأعيان .

﴿ الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي ﴾

أحمد بن الحسين بن عـلي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي ، له التصانيف التي سارت بها الركبان إلى سائر الأمصار ، ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكان أوحد أهل زمانه في الاتقان والحفظ والفقه والتصنيف ، كان فقيها محدثا أصولياً ، أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، وسمع على غيره شيئا كثيراً ، وجمع أشياء كثيرة نافعة لم يسبق إلى مثلها ، ولا يدرك فيها ، منها كتاب السنن الكبير ، ونصوص الشافعي كل في عشر مجـلدات ، والسنن الصغير ، والآثار ، والمـدخل ، والآداب وشعب الايمان ، والخلافيات ، ودلائل النبوة ، والبعث والنشور ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار المفيـدة ، التي لا تسامى ولا تدانى ، وكان زاهـدا متقللا من الدنيا ، كثير العبادة والورع ، توفي بنيسابور ، ونقل تابوته إلى بيهق في جمادى الأولى منها .

﴿ الحسن بن غالب ﴾

ابن عـلي بن غالب بن منصور بن صعلوك ، أبو عـلي التميمي ، ويعرف بابن المبارك المقرى ، صحب ابن سمعون ، وقرأ القرآن على حروف أنكرت عليـه ، وجرب عليه الكـذب ، إما عمدا و إما خطأ ، واتهم في رواية كثيرة ، وكان أبو بكر القزويني ممن ينكر عليـه ، وكتب عليه محضر بعدم الاقراء بالحروف المنكرة ، قال أبو محمد السمرقندي كان كذابا ، توفى فيها عن ثنتين وثمانين سنة ، ودفن عنـد إبراهيم الحربي . قال ابن خلـكان : أخذ الفقه عن أبي الفتح نصر بن محمـد العمري المروزي ، ثم غلب عليه الحديث واشتهر به ، ورحل في طلبه .

﴿ القاضي أبو يعلى بن الفرا الحنبلي ﴾

محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن أحمد الفرا القاضي ، أبو يعلى شيخ الحنابلة ، وممهد مذهبهم في الفروع ، ولد في محرم سنة ثمانين وثلثمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وحدث عن ابن حبابة . قال

ابن الجوزى : وكان من سادات العلماء الثقات ، وشهد عند ابن ما كولا وابن الدامغانى فقبلاه ، وتولى النظر فى الحكم بحريم الخلافة ، وكان إماماً فى الفقه ، له التصانيف الحسان الكثيرة فى مذهب أحمد ، ودرس وأفتى سنين ، وانتهت إليه رياسة المذهب ، وانتشرت تصانيفه وأصحابه ، وجمع الامامة والفقه والصدق ، وحسن الخلق ، والتعبد والتقشف والخشوع ، وحسن السمت ، والصمت عما لايعنى توفى فى العشرين من رمضان منها عن ثمان وسبعين سنة ، واجتمع فى جنازته القضاة والأعيان ، وكان يوماً حاراً ، فأفطر بعض من اتبع جنازته ، وترك من البنين عبيد الله أبا القاسم ، وأبا الحسين وأبا حازم ، ورآه بعضهم فى المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : رحمنى وغفر لى وأكرمنى ، ورفع منزلتى ، وجعل يعد ذلك بأصبعه ، فقال : بالعلم ؟ فقال : بل بالصدق .

﴿ ابن سيده ﴾

صاحب المحكم فى اللغة ، أبو الحسين على بن إسماعيل المرسى ، كان إماماً حافظا فى اللغة ، وكان ضرير البصر ، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه ، وكان أبوه ضريراً أيضاً ، واشتغل على أبى العلاء صاعد البغدادى ، وله المحكم فى مجلدات عديدة ، وله شرح الحماسة فى ست مجلدات ، وغير ذلك ، وقرأ على الشيخ أبى عمر الطلمنكى كتاب الغريب لأبى عبيد سردا من حفظه ، فتعجب الناس لذلك ، وكان الشيخ يقابل بما يقرأ فى الكتاب ، فسمع الناس بقراءته من حفظه ، توفى فى ربيع الأول منها وله ستون سنة ، وقيل إنه توفى فى سنة ثمان وأربعين ، والأول أصح ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها بنى أبو سعيد المستوفى الملقب بشرف الملك ، مشهد الامام أبى حنيفة ببغداد ، وعقد عليه قبة ، وعمل بإزائه مدرسة ، فدخل أبو جعفر بن البياضى زائرا لأبى حنيفة فأنشد :

ألم تر أن العلم كان مضيعاً * فجمّعه هذا المغيب فى اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة * فأنشرها جود العميد أبى السعد

وفيها هبت ريح حارة فمات بسببها خلق كثير ، وورد أن ببغداد تلف شجر كثير من الليمون والاترج . وفيها احترق قبر معروف الكرخى ، وكان سببه أن القيم طبخ له ماء الشعير لمرضه فتعدت النار إلى الأخشاب فاحترق المشهد . وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق وحلب وحران ، وأعمال خراسان بكمالها ، ووقع الفناء فى الدواب : كانت تنتفخ رؤسها وأعينها حتى كان الناس يأخذون حمر الوحش بالأيدى ، وكانوا يأنفون من أكلها .

قال ابن الجوزى فى المنتظم : وفى يوم السبت عاشر ذى القعدة جمع العميد أبو سعد الناس ليحضروا الدرس بالنظامية ببغداد ، وعين لتدريسها ومشيختها الشيخ أبا إسحاق الشيرازى ، فلما

تكامل اجتماع الناس وجاء أبو إسحاق ليدرس لقيـه فقيه شاب فقال : يا سيدى تذهب تدرس فى مكان مغصوب ؟ فامتنع أبو إسـحاق من الحضور ورجع إلى بيتـه ، فأقيم الشيخ أبو نصر الصباغ فدرس ، فلما بلغ نظام الملك ذلك تغيظ على العميد وأرسل إلى الشيخ أبى إسحاق فرده إلى التدريس بالنظامية ، فى ذى الحجة من هـذه السنة ، وكان لا يصـلى فيها مكتوبة ، بل كان يخرج إلى بعض المساجد فيصلى ، لما بلغه من أنها مغصوبة ، وقد كان مـدة تدريس ابن الصباغ فيها عشرين يوماً ، ثم عاد أبو إسحاق إليها . وفى ذى القعدة من هذه السنة قتل الصليحى أمير اليمن وصاحب مكة قتله بعض أمراء اليمن ، وخطب للقائم بأمر الله العباسى . وفيها حج بالناس أبو الغنائم النقيب .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ محمد بن إسماعيل بن محمد ﴾

أبو عـلى الطرسوسى ، ويقال له العراقى ، لظرفه وطول مقامه بها ، سمع الحـديث من أبى طاهر المخلص ، وتفقه على أبى محمد الباقى ، ثم على الشيخ أبى حامد الاسفراينى ، وولى قضاء بلدة طرسوس وكان من الفقهاء الفضلاء المبرزين .

﴿ ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة من الهجرة النبوية ﴾

قال ابن الجوزى : فى جمادى الأولى كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلكت بلد الرملة ، ورمت شراريف من مسجد رسول الله ﷺ ، ولحقت وادى الصفر وخيـبر ، وانشقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال ، وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة ، وجاء كتاب بعض التجار فيه ذكر هذه الزلزلة وذكر فيـه أنها خسفت الرملة جميعا حتى لم يسلم منها إلا داران فقط ، وهلك منها خمس عشرة ألف نسمة ، وانشقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت فالتأمت ، وغار البحر مسيرة يوم ، وساخ فى الأرض وظهر فى مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها ، ودخل الناس فى أرضه يلتقطون ، فرجع عليهم فأهلك كثيراً منهم ، أو أكثرهم . وفى يوم النصف من جمادى الآخرة قرئ الاعتقاد القادرى الذى فيه مذهب أهـل السنة ، والانكار على أهل البدع ، وقرأ أبو مسلم الـكجى البخارى المحـدث كتاب التوحيد لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين . وذكر بمحضر من الوزير ابن جهير وجماعة الفقهاء وأهل الـكلام ، واعترفوا بالموافقة ، ثم قرئ الاعتقاد القادرى عـلى الشريف أبى جعفر بن المقتدى بالله بباب البصرة ، وذلك لسماعه له من الخليفة القادر بالله مصنفه .

وفيها عزل الخليفة وزيره أبا نصر محمد بن محمد بن جهير ، الملقب فخر الدولة ، وبعث إليه يعاتبه فى أشياء كثيرة ، فاعتذر منها وأخـذ فى الترفق والتذلل ، فأجيب بأن يرحل إلى أى جهـة شاء ، فاختار ابن مزيد فباع أصحـابه أملاكهم وطلقوا نساءهم وأخـذ أولاده وأهله وجاء ليركب فى سـفينة لينحدر منها إلى الحلة ، والناس يتباكون حوله لبكائه ، فلما اجتاز بدار الخلافة قبل الأرض دفعات

والخليفة فى الشباك ، والوزير يقول يا أمير المؤمنين ارحم شيبتى وغربتى وأولادى ، فأعيد إلى الوزارة بشفاعة دبيس بن مزيد ، فى السنة الآتية ، وامتدحه الشعراء ، وفرح الناس برجوعه إلى الوزارة وكان يوما مشهوداً .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ عبد الملك بن محمد بن يوسف بن منصور ﴾

الملقب بالشيخ الأجل ، كان أوحد زمانه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمبادرة إلى فعل الخيرات ، واصطناع الأيادى عند أهلها ، من أهل السنة ، مع شدة القيام على أهل البدع ولعنهم ، وافتقاد المستورين بالبر والصدقة ، وإخفاء ذلك جهده وطاقته ، ومن غريب ما وقع له أنه كان يصل إنسانا فى كل يوم بعشرة دنانير ، كان يكتب بها معه إلى ابن رضوان ، فلما توفى الشيخ جاء الرجل إلى ابن رضوان فقال : ادفع إلى ما كان يصرف لى الشيخ ، فقال له ابن رضوان : إنه قد مات ولا أصرف لك شيئا ، فجاء الرجل إلى قبر الشيخ الأجل فقرأ شيئا من القرآن ودعا له وترحم عليه ، ثم التفت فاذا هو بكاغد فيه عشرة دنانير ، فأخذها وجاء بها إلى ابن رضوان فذكر له ما جرى له ، فقال : هذه سقطت منى اليوم عند قبره فخذها ولك عندى فى كل يوم مثلها . توفى فى نصف المحرم منها عن خمس وستين سنة ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً ، حضره خلق لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ، فرحمه الله تعالى .

﴿ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى ﴾

فقيه الشيعة ، ودفن فى مشهد على ، وكان مجاوراً به حين أحرقت داره بالكرخ ، وكتبه ، سنة ثمان وأربعين إلى محرم هذه السنة فتوفى ودفن هناك .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة ﴾

فى ليلة النصف من شعبان منها كان حريق جامع دمشق ، وكان سببه أن غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فألقيت نار بدار الملك ، وهى الخضراء المتاخمة للجامع من جهة القبلة ، فاحترقت ، وسرى الحريق إلى الجامع فسقطت سقوفه وتناثرت فصوصه المذهبة ، وتغيرت معالمه ، وتقلعت الفسيفساء التى كانت فى أرضه ، وعلى جدرانه ، وتبدلت بضدها ، وقد كانت سقوفه مذهبة كلها ، والجملونات من فوقها ، وجدرانه مذهبة ملونة مصور فيها جميع بلاد الدنيا ، بحيث إن الانسان إذا أراد أن يتفرج فى إقليم أو بلد وجده فى الجامع مصوراً كهيئته ، فلا يسافر إليه ولا يعنّى فى طلبه ، فقد وجده من قرب الكعبة ومكة فوق المحراب والبلاد كلها شرقا وغربا ، كل إقليم فى مكان لائق به ، ومصور فيه كل شجرة مثمرة وغير مثمرة ، مصور مشكل فى بلدانه وأوطانه ، والستور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن ، وعلى أصول الحيطان إلى مقدار الثلث منها ستور ، وباقى الجدران

بالفصوص الملونة ، وأرضه كلها بالفصوص ، ليس فيها بلاط ، بحيث إنه لم يكن فى الدنيا بناء أحسن منه ، لا قصور الملوك ولا غيرها ، ثم لما وقع هذا الحريق فيه تبدل الحال الكامل بضده ، وصارت أرضه طينا فى زمن الشتاء ، وغباراً فى زمن الصيف ، محفورة مهجورة ، ولم يزل كذلك حتى بلط فى زمن العادل أبى بكر بن أيوب ، بعد الستمائة سنة من الهجرة ، وكان جميع ما سقط منه من الرخام والفصوص والأخشاب وغيرها ، مودعاً فى المشاهد الأربعة ، حتى فرغها من ذلك كمال الدين الشهرزورى ، فى زمن العادل نور الدين محمود بن زنكى ، حين ولاه نظره مع القضاء ونظر الأوقاف كلها ، ونظر دار الضرب وغير ذلك ، ولم تزل الملوك تجدد فى محاسنه إلى زماننا هذا ، فتقارب حاله فى زمن تنكيز نائب الشام ، وقد تقدم أن ابن الجوزى أرخ ماذكرنا فى سنة ثمان وخمسين ، وتبعه ابن الساعى أيضاً فى هذه السنة ، وكذلك شيخنا الذهبى مؤرخ الاسلام ، وغير واحد . والله أعلم .

وفيها نقمت الحنابلة على الشيخ أبى الوفا بن عقيل ، وهو من كبرائهم ، بتردده إلى أبى على بن الوليد المتكلم المعتزلى ، واتهموه بالاعتزال ، وإنما كان يتردد إليه ليحيط علما بمذهبه ، ولكن شرقه الهوى فشرق شرقة كادت روحه تخرج معها ، وصارت فيه نزعة منه ، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة وتأذى بسببها جماعة منهم ، وماسكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين ، ثم اصطلحوا فيما بينهم ، بعد اختصام كبير .

وفيها زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعاً حتى دخل الماء مشهد أبى حنيفة . وفيها ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى انتهى إلى غورية ، فقتل خلقا وغنم أموالا كثيرة . وفيها كان رخص عظيم فى الكوفة حتى بيع السمك كل أربعين رطلا بحبة . وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوى ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ الفورانى صاحب الابانة ﴾

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفورانى ، المروزى ، أحد أئمة الشافعية ، ومصنف الابانة التى فيها من النقول الغريبة ، والأقوال والأوجه التى لا توجد إلا فيها ، كان بصيراً بالأصول والفروع ، أخذ الفقه عن القفال ، وحضر إمام الحرمين عنده وهو صغير ، فلم يلتفت إليه ، فصار فى نفسه منه ، فهو يخطئه كثيراً فى النهاية . قال ابن خلكان : فمتى قال فى النهاية : وقال بعض المصنفين كذا وغلط فى ذلك وشرع فى الوقوع فيه فمراده أبو القاسم الفورانى . توفى الفورانى فى رمضان منها بمرو ، عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد كتب تلميذه أبو سعد عبد الرحمن بن محمد المأمون المدرى المدرس بالنظامية بعد أبى إسحاق وقبل ابن الصباغ ، وبعده أيضاً ، كتابا على الابانة ، فسماه تتمة الابانة ، انتهى فيه إلى كتاب الحدود ومات قبل إتمامه ، فتممه أسعد العجلى وغيره ، لم يلحقوا شأوه ولاحاموا حوله ، وسموه تتمة التتمة .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة ﴾

قال ابن الجوزى : فمن الحوادث فيها أنه كان على ثلاث ساعات فى يوم الثلاثاء الحادى عشر من جمادى الأولى ، وهو ثامن عشرين أذار ، كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها ، فذهب أكثرها وانهدم سورها ، وعم ذلك بيت المقدس ونابلس ، وانخسفت إيليا ، وجفل البحر حتى انكشفت أرضه ، ومشى ناس فيه ثم عاد وتغير ، وانهدم إحدى زوايا جامع مصر ، وتبعت هذه الزلزلة فى ساعتها زلزلتان أخريان . وفيها توجه ملك الروم من قسطنطينية إلى الشام فى ثلثمائة ألف مقاتل ، فنزل على منبج وأحرق القرى ما بين منبج إلى أرض الروم ، وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأولادهم ، وفزع المسلمون بحلب وغيرها منه فزعا عظيما ، فأقام ستة عشر يوماً ثم رده الله خاسئا وهو حسير ، وذلك لقلة ما معهم من الميرة وهلاك أكثر جيشه بالجوع ، ولله الحمد والمنة .

وفيها ضاقت النفقة على أمير مكة فأخذ الذهب من أستار الكعبة والميزاب وباب الكعبة ، فضرب ذلك دراهم ودنانير ، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التى فى المسجد النبوى . وفيها كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف والميتات والكلاب ، فكان يباع الكلب بخمسة دنانير ، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها ، وأفنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس ، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب ، ونزل الوزير يوماً عن بغلته فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها فأخذوا فصلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية ، قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها ، وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويدفن رؤسهم وأطرافهم ، ويبيع لحومهم ، فقتل وأكل لحمه ، وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه فى ظاهر البلد ، لايتجاسرون يدخلون لئلا يخطف وينهب منهم ، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميته نهاراً ، وإنما يدفنه ليلا خفية ، لئلا ينبش فيؤكل . واحتاج صاحب مصر حتى باع أشياء من نفائس ما عنده ، من ذلك إحدى عشر ألف درع ، وعشرون ألف سيف محلى ، وثمانون ألف قطعة بلور كبار ، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم ، وبيعت ثياب النساء والرجال وغير ذلك بأرخص ثمن ، وكذلك الأملاك وغيرها ، وقد كان بعض هذه النفائس للخليفة ، مما نهب من بغداد فى وقعة البساسيرى .

وفيها وردت التقادم من الملك ألب أرسلان إلى الخليفة . وفيها اسم ولى العهد ابن الخليفة على الدنانير والدراهم ، ومنع التعامل بغيرها ، وسمى المضروب عليه الأميرى . وفيها ورد كتاب صاحب مكة إلى الملك ألب أرسلان وهو بخراسان يخبره بإقامة الخطبة بمكة للقائم بأمر الله وللسلطان ، وقطع خطبة المصريين ، فأرسل إليه بثلاثين ألف دينار وخلعة سنية ، وأجرى له فى كل سنة عشرة آلاف دينار . وفيها تزوج عميد الدولة ابن جهير بابنة نظام الملك بالرى . وحج بالناس أبو الغنائم العلوى ،

وفيها توفى من الأعيان والمشاهير . ﴿ الحسن بن على ﴾

ابن محمد أبو الجوائز الواسطى ، سكن بغداد دهرا طويلا ، وكان شاعرا أديباً ظريفا ، ولد سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة ، ومات فى هذه السنة عن مائة وعشر سنين . ومن مستجاد شعره قوله

واحسرتى من قولها * قد خان عهدى ولها * وحق من صيرنى * وقفا عليها ولها
ماخطرت بخاطرى * إلا كستنى ولها

﴿ محمد بن أحمد بن سهل ﴾

المعروف بابن بشران النحوى الواسطى ، ولد سنة ثمانين وثلثمائة ، وكان عالماً بالأدب ، وانتهت إليه الرحلة فى اللغة ، وله شعر حسن ، فمنه قوله :

يا شائداً للقصور مهلا * أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر * إلا قصاراهم الشتات
وإنما العيش مثل ظل * منتقل ماله ثبات

وقوله

ودعتهم ولى الدنيا مودعة * ورحت مالى سوى ذكراهم وطر
وقلت يالذتى بينى لبينهم * كأن صفو حياتى بعدهم كدر
لولا تعلل قلبى بالرجاء لهم * ألفيته إن حدوا بالعيس ينفطر
ياليت عيسهم يوم النوى نحرت * أوليتها للضوارى بالفلا جزر
ياساعة البين أنت الساعة اقتربت * يالوعة البين أنت النار تستعر

وقوله

طلبت صديقا فى البرية كلها * فأعيا طلابى أن أصيب صديقا
بلى من سمى بالصديق مجازه * ولم يك فى معنى الوداد صدوقا
فطلقت ود العالمين ثلاثة * وأصبحت من أسر الحفاظ طليقا

وفيها أقبل ملك الروم أرمانوس فى جحافل أمثال الجبال من الروم والكرخ والفرنج ، وعدد عظيم وعُدد ، ومعه خمسة وثلاثون ألفا من البطارقة ، مع كل بطريق مائتا ألف فارس ، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفا ، ومن الغزاة الذين يسكنون القسطنطينية خمسة عشر ألفا ، ومعه مائة ألف نقاب وحفار ، وألف روزجارى ، ومعه أربعمائة عجلة تحمل النعال والمسامير ، وألفا عجلة تحمل السلاح والسروج والغرادات والمناجيق ، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رجل ، ومن عزمه قبحه الله أن يبيد الاسلام وأهله ، وقد أقطع بطارقته البلاد حتى بغداد ، واستوصى نائبها بالخليفة خيرا ، فقال له : ارفق بذلك الشيخ فانه صاحبنا ، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة ، فاستعادوه من أيدى المسلمين ، والقدر يقول (لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون)

فالتقاه السلطان ألب أرسلان فى جيشه وهم قريب من عشرين ألفا ، بمكان يقال له الزهوة ، فى يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة ، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم ، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين ، فلما كان ذلك الوقت وتواقف الفريقان وتواجه الفتيان ، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عز وجل ، ومرغ وجهه فى التراب ودعا الله واستنصره ، فأنزل نصره على المسلمين ، ومنحهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقا كثيراً ، وأسر ملكهم أرمانوس ، أسره غلام رومى ، فلما أوقف بين يدى الملك ألب أرسلان ضربه بيده ثلاث مقارع وقال : لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل ؟ قال : كل قبيح ، قال : فما ظنك بى ؟ فقال : إما أن تقتل وتشهرنى فى بلادك ، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتعيدنى . قال : ما عزمت على غير العفو والفداء . فافتدى نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار . فقام بين يدى الملك وسقاه شربة من ماء وقبل الأرض بين يديه ، وقبل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالا و إكراماً ، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها ، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه فرسخاً ، وأرسل معه جيشا يحفظونه إلى بلاده ، ومعهم راية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملّكوا عليهم غيره ، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه ، و بعث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار ، وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكحله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك .

وفيها خطب محمود بن مرداس للقائم وللسلطان ألب أرسلان ، فبعث إليه الخليفة بالخلع والهدايا والتحف ، والعهد مع طراد . وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوى ، وخطب بمكة للقائم ، وقطعت خطبة المصريين منها ، وكان يخطب لهم فيها من نحو مائة سنة ، فانقطع ذلك .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ أحمد بن على ﴾

ابن ثابت بن أحمد بن مهدى ، أبو بكر الخطيب البغدادى ، أحد مشاهير الحفاظ ، وصاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات العديدة المفيدة ، نحو من ستين مصنفا ، ويقال بل مائة مصنف . فالله أعلم . ولد سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، وقيل سنة ثنتين وتسعين ، وأول سماعه سنة ثلاث وأربعمائة ، ونشأ ببغداد ، وتفقه على أبى طالب الطبرى وغيره من أصحاب الشيخ أبى حامد الاسفراينى ، وسمع الحديث الكثير ، و رحل إلى البصرة ونيسابور وأصبهان وهمذان والشام والحجاز ، وسمى الخطيب لأنه كان يخطب بدرب ريحان ، وسمع بمكة على القاضى أبى عبد الله محمد بن سلامة القضاعى ، وقرأ صحيح البخارى على كريمة بنت أحمد فى خمسة أيام ، ورجع إلى بغداد وحظى عند الوزير أبى القاسم بن مسلمة ، ولما ادعى اليهود الخيابرة أن معهم كتابا نبويا فيه إسقاط الجزية

عنهم أوقف ابن مسلمة الخطيب على هذا الكتاب . فقال : هذا كذب ، فقال له : وما الدليل على كذبه ؟ فقال : لأن فيه شهادة معاوية بن أبى سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر ، وقد كانت خيبر فى سنة سبع من الهجرة ، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس . فأعجب الناس ذلك . وقد سبق الخطيب إلى هذا النقل ، سبقه محمد بن جرير كما ذكرت ذلك فى مصنف مفرد ، ولما وقعت فتنة البساسيرى ببغداد سنة خمسين خرج الخطيب إلى الشام فأقام بدمشق بالمأذنة الشرقية من جامعها ، وكان يقرأ على الناس الحديث ، وكان جهورى الصوت ، يسمع صوته من أرجاء الجامع كلها ، فاتفق أنه قرأ على الناس يوما فضائل العباس فثار عليه الروافض من أتباع الفاطميين ، فأرادوا قتله فتشفع بالشريف الزينبى فأجاره ، وكان مسكنه بدار العقيقى ، ثم خرج من دمشق فأقام بمدينة صور ، فكتب شيئا كثيراً من مصنفات أبى عبد الله الصورى بخطه كان يستعيرها من زوجته ، فلم يزل مقيما بالشام إلى سنة ثنتين وستين ، ثم عاد إلى بغداد فحدث بأشياء من مسموعاته ، وقد كان سأل الله أن يملك ألف دينار ، وأن يحدث بالتاريخ بجامع المنصور ، فملك ألف دينار أو ما يقاربها ذهباً ، وحين احتضر كان عنده قريب من مائتى دينار ، فأوصى بها لأهل الحديث ، وسأل السلطان أن يمضى ذلك ، فانه لا يترك وارثا ، فأجيب إلى ذلك ، وله مصنفات كثيرة مفيدة ، منها كتاب التاريخ ، وكتاب الكفاية ، والجامع ، وشرف أصحاب الحديث ، والمتفق والمفترق ، والسابق واللاحق ، وتلخيص المتشابه فى الرسم ، وفضل الوصل ، ورواية الآباء عن الأبناء ، ورواية الصحابة عن التابعين ، واقتضاء العلم العمل ، والفقيه والمتفقه ، وغير ذلك . وقد سردها ابن الجوزى فى المنتظم . قال ويقال : إن هذه المصنفات أكثرها لأبى عبد الله الصورى ، أو ابتدأها فتممها الخطيب ، وجعلها لنفسه ، وقد كان الخطيب حسن القراءة فصيح اللفظ عارفا بالأدب يقول الشعر ، وكان أولا يتكلم على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، فانتقل عنه إلى مذهب الشافعى ، ثم صار يتكلم فى أصحاب أحمد ويقدح فيهم ما أمكنه ، وله دسائس عجيبة فى ذمهم ، ثم شرع ابن الجوزى ينتصر لأصحاب أحمد ويذكر مثالب الخطيب ودسائسه ، وما كان عليه من محبة الدنيا والميل إلى أهلها بما يطول ذكره ، وقد أورد ابن الجوزى من شعره قصيدة جيدة المطلع حسنة المنزع أولها قوله :

لعمرك ما شجانى رسم دار * وقفت به ولا رسم المغانى
ولا أثر الخيام أراق دمعى * لأجل تذكرى عهد الغوانى
ولا ملك الهوى يوماً قيادى * ولا عاصيته فثنى عنانى
ولم أطمعه فى وكم قتيل * له فى الناس ما تحصى دعانى

عرفت فعاله بذوى التصابى * وما يلقون من ذل الهوان

طلبت أخاً صحيح الود محظى * سليم الغيب محفوظ اللسان

فلم أعرف من الاخوان إلا * نفاقا فى التباعد والتدانى

وعالم دهرنا لا خير فيهم * ترى صوراً تروق بلامعانى

ووصف جميعهم هذا فما أن * أقول سوى فلان أوفلان

ولما لم أجد حرا يواتى * على ما ناب من صرف الزمان

صبرت تكرماً لقراع دهرى * ولم أجزع لما منه دهانى

ولم أك فى الشدائد مستكينا * أقول لها ألا كفى كفانى

ولكنى صليب العود عود * ربيط الجأش مجتمع الجنان

أبى النفس لا أختار رزقا * يجئ بغير سيفى أو سنانى

فعز فى لظى باغيه يهوى * ألذ من المذلة فى الجنان

وقد ترجمه ابن عساكر فى تاريخه ترجمة حسنة كعادته وأورد له من شعره قوله :

لا يغبطن أخا الدنيا لزخرفها * ولا للذة عيش عجلت فرحا

فالدهر أسرع شئ فى تقلبه * وفعله بين للخلق قد وضحا

كم شارب عسلا فيه منيته * وكم مقلد سيفا من قربه ذبحا

توفى يوم الاثنين ضحى من ذى الحجة منها ، وله ثنتان وسبعون سنة ، فى حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة ، جوار المدرسة النظامية ، واحتفل الناس بجنازته ، وحمل نعشه فيمن حمل الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، ودفن إلى جانب قبر بشر الحافى ، فى قبر رجل كان قد أعده لنفسه ، فسئل أن يتركه للخطيب فشح به ولم تسمح نفسه ، حتى قال له بعض الحاضرين : بالله عليك لو جلست أنت والخطيب إلى بشر أيكما كان يجلسه إلى جانبه ؟ فقال : الخطيب ، فقيل له : فاسمح له به ، فوهبه منه فدفن فيه رحمه الله وسامحه ، وهو ممن قيل فيه و فى أمثاله قول الشاعر :

ما زلت تدأب فى التاريخ مجتهداً * حتى رأيتك فى التاريخ مكتوبا

﴿ حسان بن سعيد ﴾

ابن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومى المنيعى ، كان فى شبابه يجمع بين الزهد والتجارة حتى ساد أهل زمانه ، ثم ترك ذلك ، وأقبل على العبادة والزهد والبر والصلة والصدقة وغير ذلك ، و بناء المساجد والرباطات ، وكان السلطان يأتى إليه ويتبرك به ، ولما وقع الغلاء كان يعمل كل يوم شيئا كثيراً من الخبز والأطعمة ، و يتصدق به

وكان يكسو فى كل سنة قريباً من ألف فقير ثيابا وجبابا ، وكذلك كان يكسو الأرامل وغيرهن من النساء ، وكان يجهز البنات الأيتام وبنات الفقراء ، وأسقط شيئا كثيراً من المكوس والوظائف السلطانية عن بلاد نيسابور ، وقرأها وهو مع ذلك فى غاية التبذل والثياب والأطمار ، وترك الشهوات ولم يزل كذلك إلى أن توفى فى هذه السنة ، فى بلدة مرو الروز ، تغمده الله برحمته ، ورفع درجته ، ولاخيب الله له سعيا .

﴿ أمين بن محمد بن الحسن بن حمزة ﴾

أبو على الجعفرى فقيه الشيعة فى زمانه ﴿ محمد بن وشاح بن عبد الله ﴾ أبو على مولى أبى تمام محمد بن على بن الحسن الزينبى ، سمع الحديث ، وكان أديبا شاعرا ، وكان ينسب إلى الاعتزال والرفض ، ومن شعره قوله :

حملت العصا لاالضعف أوجب حملها * على ولا أنى تحلت من الكبر
ولكننى ألزمت نفسى حملها * لأعلمها أن المقيم على سفر

﴿ الشيخ الأجل أبو عمر عبد البر النمرى ﴾

صاحب التصانيف المليحة الهائلة ، منها التمهيد ، والاستذكار ، والاستيعاب ، وغير ذلك .

﴿ ابن زيدون ﴾ الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد ، الشاعر الماهر الأندلسى القرطبى ، اتصل بالأمير المعتمد بن عباد ، صاحب إشبيلية ، فحظى عنده وصار مشاوراً فى منزلة الوزير ، ثم وزر له ولولده أبى بكر بن أبى الوليد ، وهو صاحب القصيدة الفراقية التى يقول فيها :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى علينا الاسى لولاتأسينا
حالت لبعدكم أيامنا فغدت * سودا وكانت بكم بيضا ليالينا
بالامس كنا ولا نخشى تفرقنا * واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا

وهى طويلة وفيها صنعة قوية مهيجة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها ، لأنه ما من أحد إلا فارق خلا أو حبيباً أو نسيباً ، وله أيضاً :

بينى وبينك ما لو شئت لم يضع * سر إذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائعا حظه منى ولو بذلت * لى الحياة بحظى منه لم أبع
يكفيك أنك لو حملت قلبى ما * لاتستطيع قلوب الناس يستطع
ته احتمل واستطل أصبر وعزهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

توفى فى رجب منها واستمر ولده أبو بكر وزيراً للمعتمد بن عباد ، حتى أخذ ابن ياسين قرطبة من يده فى سنة أربع وثمانين ، فقتل يومئذ . قاله ابن خلكان .

﴿ كريمة بنت أحمد ﴾

ابن محمد بن أبى حاتم المروزية ، كانت عالمة صالحة ، سمعت صحيح البخارى على الكشميهنى ، وقرأ عليها الأئمة كالخطيب وأبى المظفر السمعانى وغيرهما .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة ﴾

فيها قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازى مع الحنابلة فى الانكار على المفسدين ، والذين يبيعون الخمور ، وفى إبطال المواجرات وهن البغايا ، وكتبوا إلى السلطان فى ذلك فجاءت كتبه فى الانكار . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد ارتجت لها الأرض ست مرات . وفيها كان غلاء شديد وموتان ذريع فى الحيوانات ، بحيث إن بعض الرعاة بخراسان قام وقت الصباح ليسرح بغنمه فاذاهن قدمتن كلهن ، وجاء سيل عظيم وبرد كبار أتلف شيئا كثيرا من الزروع والثمار بخراسان . وفيها تزوج الأمير عدة الدين ولد الخليفة بابنة السلطان ألب أرسلان « سفرى خاتون » وذلك بنيسابور ، وكان وكيل السلطان نظام الملك ، ووكيل الزوج عميد الدولة ابن جهير ، وحين عقد العقد نثر على الناس جواهر نفيسة .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ زكريا بن محمد بن حيده ﴾

أبو منصور النيسابورى ، كان يزعم أنه من سلالة عثمان بن عفان ، وروى الحديث عن أبى بكر بن المذهب ، وكان ثقة . توفى فى المحرم منها وقد قارب الثمانين .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله ، أبو الحسن الهاشمى ، خطيب جامع المنصور ، كان ممن يلبس القلانس الطوال ، حدث عن ابن زرقويه وغيره ، روى عنه الخطيب ، وكان ثقة عدلا شهد عند ابن الدامغانى وابن ما كولا فقبلاه توفى عن ثمانين سنة ودفن بقرب قبر بشر الحافى .

﴿ محمد بن أحمد بن شاره ﴾

ابن جعفر أبو عبد الله الأصفهانى ، ولى القضاء بدجيل ، وكان شافعياً ، روى الحديث عن أبى عمرو بن مهدى ، توفى ببغداد ونقل إلى دجيل من عمل واسط ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة ﴾

فى يوم الخميس حادى عشر المحرم حضر إلى الديوان أبو الوفا على بن محمد بن عقيل العقيلى الحنبلى ، وقد كتب على نفسه كتابا يتضمن توبته من الاعتزال ، وأنه رجع عن اعتقاد كون الحلاج

من أهل الحق والخير ، وأنه قد رجع عن الجزء الذى عمله فى ذلك ، وأن الحلاج قد قتل باجماع علماء أهل عصره على زندقته ، وأنهم كانوا مصيبين فى قتله وما رموه به ، وهو مخطئ ، وأشهد عليه جماعة من الكتاب ، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبى جعفر فسلم عليه وصالحه واعتذر إليه ، فعظمه

﴿ وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه ﴾

كان السلطان قد سار فى أول هذه السنة يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر ، فاتفق فى بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمى ، فأوقف بين يديه فشرع يعاتبه فى أشياء صدرت منه ، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها ، فقال للسلطان : يا مخنث ومثلى يقتل هكذا ؟ فاحتد السلطان من ذلك وأمر بارساله وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطأه ، وأقبل يوسف نحو السلطان فنهض السلطان عن السرير خوفا منه ، فنزل عنه فعثر فوقع فأدركه يوسف فضربه بخنجر كان معه فى خاصرته فقتله ، وأدرك الجيش يوسف فقتلوه ، وقد جرح السلطان جرحاً منكراً ، فتوفى فى يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة ، ويقال إن أهل بخارى لما اجتاز بهم نهب عسكره أشياء كثيرة لهم ، فدعوا عليه فهلك .

ولما توفى جلس ولده ملكشاه على سرير الملك وقام الأمراء بين يديه ، فقال له الوزير نظام الملك : تكلم أيها السلطان ، فقال : الأكبر منكم أبى والأوسط أخى والأصغر ابنى ، وسأفعل معكم مالم أسبق إليه . فأمسكوا فأعاد القول فأجابوه بالسمع والطاعة . وقام بأعباء أمره الوزير نظام الملك فزاد فى أرزاق الجند سبعمائة ألف دينار ، وسار إلى مرو فدفنوا بها السلطان ، ولما بلغ موته أهل بغداد أقام الناس له العزاء ، وغلقت الأسواق وأظهر الخليفة الجزع ، وخلعت ابنة السلطان زوجة الخليفة ثيابها ، وجلست على التراب ، وجاءت كتب ملكشاه إلى الخليفة يتأسف فيها على والده ، ويسأل أن تقام له الخطبة بالعراق وغيرها . ففعل الخليفة ذلك ، وخلع ملكشاه على الوزير نظام الملك خلعاً سنية ، وأعطاه تحفا كثيرة ، من جملتها عشرون ألف دينار ، ولقبه أتابك الجيوش ، ومعناه الأمير الكبير الوالد ، فسار سيرة حسنة ، ولما بلغ قاورت موت أخيه ألب أرسلان ركب فى جيوش كثيرة قاصدا قتال ابن أخيه ملكشاه ، فالتقيا فاقتتلا فانهزم أصحاب قاورت وأسر هو ، فأنبه ابن أخيه ثم اعتقله ثم أرسل إليه من قتله .

وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلايين فاقتتلوا فقتل منهم خلق كثير ، واحترق جانب كبير من الكرخ ، فانتقم المتولى لأهل الكرخ من أهل باب البصرة ، فأخذ منهم أموالا كثيرة جناية لهم على ما صنعوا . وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس . وفيها ملك صاحب سمرقند وهو محمد التكين مدينة ترمذ . وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوى .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ السلطان ألب أرسلان ﴾

الملقب بسلطان العالم ، ابن داود جغرى بك ، بن ميكائيل بن سلجوق التركى ، صاحب الممالك المتسعة ، ملك بعد عمه طغرلبك سبع سنين وستة أشهر وأياماً ، وكان عادلا يسير فى الناس سيرة حسنة ، كريما رحيما ، شفوقا على الرعية ، رفيقا على الفقراء ، باراً بأهله وأصحابه ومماليكه ، كثير الدعاء بدوام النعم به عليه ، كثير الصدقات ، يتفقد الفقراء فى كل رمضان بخمسة عشر ألف دينار ، ولا يعرف فى زمانه جناية ولا مصادرة ، بل كان يقنع من الرعية بالخراج فى قسطين ، رفقا بهم . كتب إليه بعض السعاة فى نظام الملك وزيره وذكر ماله فى ممالكه فاستدعاه فقال له : خذ إن كان هذا صحيحاً فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك ، وإن كذبوا فاغفر له زلته ، وكان شديد الحرص على حفظ مال الرعايا ، بلغه أن غلاماً من غلمانه أخذ إزاراً لبعض أصحابه فصلبه فارتدع سائر المماليك به خوفا من سطوته ، وترك من الأولاد ملكشاه وإياز وتكشر وبورى برس وأرسلان وارغو وسارة وعائشة وبنتا أخرى ، توفى فى هذه السنة عن إحدى وأربعين سنة ، ودفن عند والده بالرى رحمه الله .

﴿ أبو القاسم القشيرى ﴾

صاحب الرسالة ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد المطلب بن طلحة ، أبو القاسم القشيرى ، وأمه من بنى سليم ، توفى أبوه وهو طفل فقرأ الأدب والعربية ، وصحب الشيخ أبا على الدقاق ، وأخذ الفقه عن أبى بكر بن محمد الطوسى ، وأخذ الكلام عن أبى بكر بن فورك وصنف الكثير ، وله التفسير والرسالة التى ترجم فيها جماعة من المشايخ الصالحين ، وحج صحبة إمام الحرمين وأبى بكر البيهقى ، وكان يعظ الناس ، توفى بنيسابور فى هذه السنة عن سبعين سنة ، ودفن إلى جانب شيخه أبى على الدقاق ، ولم يدخل أحد من أهله بيت كتبه إلا بعد سنين ، احتراما له ، وكان له فرس يركبها قد أهديت له ، فلما توفى لم تأكل علفا حتى نفقت بعده بيسير فماتت ، ذكره ابن الجوزى ، وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء كثيراً ، وذكر شيئا من شعره من ذلك قوله :

سقى الله وقتا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهوى فى روضة الأنس ضاحك
أقمنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوماً والجفون سوافك

وقوله

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا * وشهدت حين فراقنا التوديعا
أيقنت أن من الدموع محدثا * وعلمت أن من الحديث دموعا

وقوله

ومن كان فى طول الهوى ذاق سلوة * فانى من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شئ نلته من وصالها * أمانى لم تصدق كخطفة بارق

﴿ ابن صرّبعر ﴾

الشاعر اسمه على بن الحسين بن على بن الفضل ، أبو منصور الكاتب المعروف بابن صرّبعر وكان نظام الملك يقول له أنت صرّدر لا صرّبعر ، وقد هجاه بعضهم فقال :

لئن لقب الناس قدماً أباك * وسموه من شحه صر بعرا
فانك تنثر ما صره * عقوقا له وتسميه شعرا

قال ابن الجوزى : وهذا ظلم فاحش فان شعره فى غاية الحسن ، ثم أورد له أبياتا حسانا فمن ذلك :

أيه أحاديث نعمان وساكنه * أن الحديث عن الاحباب أسمار
أفتش الريح عنكم كلما نفحت * من نحو أرضكم مسكا ومعطار

قال : وقد حفظ القرآن وسمع الحديث من ابن شيران وغيره، وحدث كثيرا ، وركب يوماً دابة هو ووالدته فسقطا بالشونيزية عنها فى بئر فماتا فدفنا ببر ر ، وذلك فى صفر من هذه السنة ، قال ابن الجوزى : قرأت بخط ابن عقيل صر بعر جارنا بالرصافة ، وكان ينبذ بالالحاد ، وقدأورد له ابن خلكان شيئا من أشعاره ، وأثنى عليه فى فنه والله أعلم بحاله .

﴿ محمد بن على ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله ، أبو الحسين ، ويعرف بابن العريف ، ولد سنة سبعين وثلثمائة وسمع الدار قطنى ، وهو آخر من حدث عنه فى الدنيا ، وابن شاهين وتفرد عنه ، وسمع خلقا آخرين ، وكان ثقة دينا كثير الصلاة والصيام ، وكان يقال له راهب بنى هاشم ، وكان غزير العلم والعقل ، كثير التلاوة ، رقيق القلب غزير الدمعة ، وقد رحل إليه الطلبة من الآفاق ، ثم ثقل سمعه ، وكان يقرأ على الناس ، وذهبت إحدى عينيه ، وخطب وله ست عشرة سنة ، وشهد عند الحكام سنة ست وأربعمائة ، وولى الحكم سنة تسع وأربعمائة ، وأقام خطيبا بجامع المنصور وجامع الرصافة ستا وسبعين سنة ، وحكم ستا وخمسين سنة ، وتوفى فى سلخ ذى القعدة من هذه السنة وقد جاوز تسعين سنة ، وكان يوم جنازته يوماً مشهودا ، ورئيت له منامات صالحة حسنة ، رحمه الله وسامحه ورحمنا وسامحنا ، إنه قريب مجيب ، رحيم ودود .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة ﴾

فى صفر منها جلس الخليفة جلوساً عاماً وعلى رأسه حفيده الأمير عدة الدين ، أبو القاسم عبد الله ابن المهتدى بالله ، وعمره يومئذ ثمانى عشرة سنة ، وهو فى غاية الحسن ، وحضر الأمراء والكبراء فعقد الخليفة بيده لواء السلطان ملكشاه ، كثر الزحام يومها ، وهنأ الناس بعضهم بعضاً بالسلامة .

﴿ غرق بغداد ﴾

فى جمادى الآخرة نزل مطر عظيم وسيل قوى كثير ، وسالت دجلة وزادت حتى غرقت جانباً كبيراً من بغداد ، حتى خاص ذلك إلى دار الخلافة ، فخرج الجوارى حاسرات عن وجوههن ، حتى صرن إلى الجانب الغربى ، وهرب الخليفة من مجلسه فلم يجد طريقا يسلكه ، فحمله بعض الخدم إلى التاج ، وكان ذلك يوماً عظيما ، وأمراً هائلا ، وهلك للناس أموال كثيرة جدا . ومات تحت الردم خلق كثير من أهل بغداد والغرباء وجاء على وجه السيل من الاخشاب والأحطاب والوحوش والحيات شىء كثير جدا ، وسقطت دور كثيرة فى الجانبين ، وغرقت قبور كثيرة ، من ذلك قبر الخيزران ومقبرة أحمد بن حنبل . ودخل الماء من شبابيك المارستان العضدى وأتلف السيل فى الموصل شيئا كثيراً ، وصدم سور سنجار فهدمه : وأخذ بابه من موضعه إلى مسيرة أربعة فراسخ . وفى ذى الحجة منها جاءت ريح شديدة فى أرض البصرة فانجعف منها نحو من عشرة آلاف نخلة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسن السمنانى ﴾

الحنفى الأشعرى . قال ابن الجوزى : وهذا من الغريب ، تزوج قاضى القضاة ابن الدامغانى ابنته وولاه نيابة القضاة ، وكان ثقة نبيلا من ذوى الهيئات ، جاوز الثمانين .

﴿ عبد العزيز بن أحمد بن على ﴾

ابن سليمان ، أبو محمد الكنانى الحافظ الدمشقى ، سمع الكثير ، وكان يملى من حفظه ، وكتب عنه الخطيب حديثا واحدا ، وكان معظما ببلده ، ثقة نبيلا جليلا .

﴿ الماوردية ﴾

ذكر ابن الجوزى أنها كانت عجوزا صالحة من أهل البصرة تعظ النساء بها ، وكانت تكتب وتقرأ ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لا تفطر نهاراً ولا تنام ليلا ، وتقتات بخبز الباقلا ، وتأكل من التين اليابس لا الرطب ، وشيئا يسيرا من العنب والزيت ، وربما أكلت من اللحم اليسير ، وحين توفيت تبع أهل البلد جنازتها ودفنت فى مقابر الصالحين .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة ﴾

فى صفر منها مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضاً شديدا انتفخ منه حلقه ، وامتنع من الفصد ، فلم يزل الوزير فخر الدولة عليه حتى افتصد وانصلح الحال ، وكان الناس قد انزعجوا ففرحوا بعافيته وجاء فى هذا الشهر سيل عظيم قاسى الناس منه شدة عظيمة ، ولم تكن أكثر أبنية بغداد تكاملت من الغرق الأول ، فخرج الناس إلى الصحراء فجلسوا على رؤس التلول تحت المطر ، ووقع وباء عظيم بالرحبة ، فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف ، وكذلك وقع بواسط والبصرة وخوزستان وأرض خراسان وغيرها والله أعلم .

﴿ صفة موت الخليفة القائم بأمر الله ﴾

لما افتصد فى يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب من بواسير كانت تعتاده من عام الغرق ، ثم نام بعـد ذلك فانفجر فصاده ، فاستيقظ وقد سقطت قوته ، وحصل الاياس منه ، فاستدعى بحفيده وولى عهده عدة الدين أبى القاسم عبد الله بن محمد بن القائم ، وأحضر إليه القضاة والفقهاء وأشهدهم عليه ثانيا بولاية العهد له من بعده ، فشهدوا ، ثم كانت وفاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان عن أربع وتسعين سنة ، وثمانية أشهر ، وثمانية أيام ، وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، ولم يبلغ أحـد من العباسيين قبله هذه المدة ، وقد جاوزت خلافـة أبيه قبله أربعين سنة ، فكان مجموع أيامهما خمساً وثمانين سـنة وأشهرا ، وذلك مقاوم لدولة بنى أمية جميعها ، وقد كان القائم بأمر الله جميلا مليحا حسن الوجه ، أبيض مشربا بحمرة ، فصيحا ورعا زاهدا ، أديباً كاتبا بليغا ، شاعرا ، كما تقدم ذكر شئ من شعره ، وهو بحديثة عانة سـنة خمسين ، وكان عادلا كثير الاحسان إلى الناس رحمه الله . وغسله الشريف أبو جعفر بن أبى موسى الحنبلى عن وصية الخليفة بذلك ، فلما غسـله عرض عليه ما هنالك من الأثاث والأموال ، فلم يقبل منه شيئا ، وصـلى على الخليفة فى صبيحة يوم الخميس المذكور ، ودفن عنـد أجداده ، ثم نقل إلى الرصافة ، فقبره يزار إلى الآن وغلقت الأسواق لموته ، وعلقت المسوح ، وناحت عليه نساء الهاشميين وغـيرهم ، وجلس الوزير ابن جهير وابنه للعزاء على الأرض ، وخرق الناس ثيابهم ، وكان يوما عصيبا ، واستمر الحال كذلك ثلاثة أيام ، وقد كان من خيار بنى العباس دينا واعتقادا ودولة ، وقد امتحن من بينهم بفتنة البساسيرى التى اقتضت إخراجه من داره ومفارقته أهله وأولاده ووطنه ، فأقام بحديثة عانة سنة كاملة ثم أعاد الله تعالى عليه نعمته وخلافته . قال الشاعر :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم * إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

وقد تقدم له فى ذلك سلف صالح كما قال تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) وقد ذكرنا ملخص ما ذكره المفسرون فى سورة ص ، وبسطنا الـكلام عليه فى هذه القصة العباسية والفتنة البساسيرية فى سنة خمسين ، وإحدى وخمسين ، وأربعمائة .

﴿ خلافة المقتدى بأمر الله ﴾

وهو أبو القاسم عـدة الدين عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين أبى القاسم محمد بن الخليفة القائم بأمر الله بن القادر العباسى ، وأمه أرمنية تسمى أرجوان ، وتدعى قرة العين ، وقد أدركت خلافة ولدها هذا ، وخلافة ولديه من بعده ، المستظهر والمسترشد . وقد كان أبوه توفى وهو حمل ، فحين ولد ذكرا فرح به جده والمسلمون فرحا شديدا ، إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة فى البيت القادرى ، لأن

من عداهم كانوا يتبذلون فى الاسواق ، ويختلطون مع العوام ؛ وكانت القلوب تنفر من تولية مثل أولئك الخلافة على الناس ، ونشأ هذا فى حجر جده القائم بأمر الله يربيه بما يليق بأمثاله ، ويدربه على أحسن السجايا ولله الحمد ، وقد كان المقتدى حين ولى الخلافة عمره عشرين سنة ، وهو فى غاية الجمال خلقا وخلقا ، وكانت بيعته يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، وجلس فى دار الشجرة ، بقميص أبيض ، وعمامة بيضاء لطيفة ، وطرحة قصب أدريه ، وجاء الوزراء والأمراء والأشراف ووجوه الناس فبايعوه ، فكان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبى موسى الحنبلى ، وأنشده قول الشاعر : * إذا سيد منا مضى قام سيد *

ثم أرتج عليه فلم يدر مابعده ، فقال الخليفة * قؤول بما قال الكرام فعول *

وبايعه من شيوخ العلم الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، والشيخ أبونصر بن الصباغ ، الشافعيان ، والشيخ أبو محمد التميمى الحنبلى ، وبرز فصلى بالناس العصر ثم بعد ساعة أخرج تابوت جده بسكون ووقار من غير صراخ ولا نوح ، فصلى عليه وحمل إلى المقبرة ، وقد كان المقتدى شهما شجاعاً أيامه كلها مباركة ، والرزق دار والخلافة معظمة جدا ، وتصاغرت الملوك له ، وتضاءلوا بين يديه ، وخطب له بالحرمين وبيت المقدس والشام كلها ، واسترجع المسلمون الرها وأنطاكية من أيدى العدو ، وعمرت بغداد وغيرها من البلاد ، واستوزر ابن جهير ثم أبا شجاع ، ثم أعاد ابن جهير وقاضيه الدامغانى ، ثم أبو بكر الشاشى ، وهؤلاء من خيار القضاة والوزراء ولله الحمد .

وفى شعبان منها أخرج المفسدات من الخواطئ من بغداد ، وأمرهن أن ينادين على أنفسهن بالعار والفضيحة ، وخرب الخمارات ودور الزوانى والمغانى ، وأسكنهن الجانب الغربى مع الذل والصغار ، وخرب أبرجة الحمام ، ومنع اللعب بها ، وأمر الناس باحتراز عوراتهم فى الحمامات ومنع أصحاب الحمامات أن يصرفوا فضلاتها إلى دجلة ، وألزمهم بحفر آبار لتلك المياه القذرة صيانة لماء الشرب . وفى شوال منها وقعت نار فى أماكن متعددة فى بغداد ، حتى فى دار الخلافة ، فأحرقت شيئا كثيراً من الدور والدكاكين ، ووقع بواسط حريق فى تسعة أماكن ، واحترق فيها أربعة وثمانون داراً وستة خانات ، وأشياء كثيرة غير ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها عمل الرصد للسلطان ملكشاه اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجمين وأنفق عليه أموالا كثيرة ، وبقى دائراً حتى مات السلطان فبطل .

وفى ذى الحجة منها أعيدت الخطب للمصريين وقطعت خطبة العباسيين ، وذلك لما قوى أمر صاحب مصر بعدما كان ضعيفا بسبب غلاء بلده ، فلما رخصت تراجع الناس إليها ، وطاب العيش بها ، وقد كانت الخطبة للعباسيين بمكة منذ أربعين سنة وخمسة أشهر ، وستعود كما كانت على ماسيأتى

بيانه فى موضعه ، وفى هـذا الشهر انجفل أهل السواد من شـدة الوباء وقلة ماء دجلة ونقصها . وحج بالناس الشريف أبو طالب الحسينى بن محمد الزينبى ، وأخذ البيعة للخليفة المقتدى بالحرمين .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ الخليفة القائم بأمر الله ﴾

عبد الله ، وقد ذكرنا شيئا من ترجمته عند وفاته .

﴿ الداودى ﴾

راوى صحيح البخارى ، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود ، أبو الحسن ، بن أبى طلحة الداودى ، ولد سـنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، سمع الكثير وتفقه عـلى الشيخ أبى حامـد الاسفراينى ، وأبى بكر القفال ، وصحب أبا على الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمى ، وكتب الكثير ودرس وأفتى وصنف ، ووعظ الناس . وكانت له يد طولى فى النظم والنثر ، وكان مع ذلك كثـير الذكر ، لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى ، دخل يوماً عليه الوزير نظام الملك فجلس بين يديه فقال له الشيخ : إن الله قد سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم . وكانت وفاته ببوشنج فى هذه السنة وقد جاوز التسعين . ومن شعره الجيد القوى قوله :

كان فى الاجتماع بالناس نور * ذهب النور وادلهم الظلام

فسد الناس والزمان جميعا * فعلى الناس والزمان السلام

﴿ أبو الحسن على بن الحسن ﴾

ابن على بن أبى الطيب الباخرزى الشاعر المشهور ، اشتغل أولا على الشيخ أبى محمد الجوينى ثم ترك ذلك وعمد إلى الكتابة والشعر ، ففاق أقرانه ، وله ديوان مشهور فمنه :

وإنى لأشكو لسع أصداغك التى * عقاربها فى وجنتيك نجوم

وأبكى لدر الثغر منك ولى أب * فكيف نديم الضحك وهو يتيم

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة ﴾

قال ابن الجوزى : جاء جراد فى شعبان بعـدد الرمل والحصا ، فأكل الغلات وآذى الناس ، وجاعوا فطحن الخروب بدقيق الدخن فأكلوه ، ووقع الوباء ، ثم منع الله الجراد من الفساد ، وكان يمر ولا يضر ، فرخصت الأسعار . قال : ووقع غلاء شديد بدمشق واستمر ثلاث سنين . وفيها ملك نصر ابن محمود بن صالح بن مرداس مدينة منبج ، وأجلى عنها الروم ولله الحمد والمنة فى ذى القعدة منها . وفيها ملك الأقسيس مدينة دمشق ، وانهزم عنها المعلى بن حيدر نائب المستنصر العبيدى إلى مدينة بانياس ، وخطب فيها للمقتدى ، وقطعت خطبة المصريين عنها إلى الآن ولله الحمد والمنة . فاستدعى المستنصر نائبه فحبسه عنده إلى أن مات فى السجن .

قلت : الاقسيس هـذا هو أتسز بن أوف الخوارزمى ، ويلقب بالملك المعظم ، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدى الفاطميين ، وأزال الأذان منها بحى على خير العمل ، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام ، مائة وست سنين ؛ كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضى الله عنهم ، فأمر هـذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يترضوا عن الصحابة أجمعين ، ونشر العدل وأظهر السـنة ؛ وهو أول من أسس القلعـة بدمشق ، ولم يكن فيها قبـل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدو ، فبناها فى محلتها هذه التى هى فيها اليوم ، وكان موضعها بباب البلد يقال له باب الحديد ، وهو تجاه دار رضوان منها ، وكان ابتـداء ذلك فى السنة الآتية ، وإنما أكملها بعده الملك المظفر تتش بن ألب أرسلان السلجوقى كما سيأتى بيانه . وحج بالناس فيها مقطع الكوفة . وهو الأمير السكينى جنفل التركى ، ويعرف بالطويل ، وكان قد شرد خفاجة فى البلاد وقهرهم ، ولم يصحب معه سوى ستة عشر تركيا ، فوصل إلى مكة سالما ، ولما نزل ببعض دورها كبسه بعض العبيد . فقتل منهـم مقتلة عظيمة ، وهزمهم هزيمة شنيعة ، ثم إنه بعـد ذلك إنما كان ينزل بالزاهر . قاله ابن الساعى فى تاريخه ، وأعيدت الخطبة فى هـذه السنة للعباسيين فى ذى الحجة منها ، وقطعت خطبة المصريين ولله الحمد والمنة .

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ محمد بن على ﴾

ابن أحمد بن عيسى بن موسى ، أبو تمـام ابن أبى القاسم بن القاضى أبى على الهاشمى ، نقيب الهاشميين ، وهو ابن عم الشريف أبى جعفر بن أبى موسى الفقيه الحنبلى ، روى الحديث وسمع منه أبو بكر بن عبد الباقى ، ودفن بباب حرب .

﴿ محمد بن القاسم ﴾

ابن حبيب بن عبدوس ، أبو بكر الصفار من أهل نيسابور ، سمع الحاكم وأبا عبد الرحمن السلمى وخلقا ، وتفقه على الشيخ أبى محمد الجوينى ، وكان يخلفه فى حلقته .

﴿ محمد بن محمد بن عبد الله ﴾

أبو الحسين البيضاوى الشافعى ، ختن أبى الطيب الطبرى عـلى ابنته ، سمع الحديث وكان ثقة خيراً ، توفى فى شعبان منها ، وتقدم للصلاة عليـه الشيخ أبو نصر بن الصباغ ، وحضر جنازته أبو عبد الله الدامغانى مأموماً ، ودفن بداره فى قطيعة الكرخ .

﴿ محمد بن نصر بن صالح ﴾

ابن أمير حلب ، وكان قد ملكها فى سنة تسع وخمسين ، وكان من أحسن الناس شكلا وفعلا .

﴿ مسعود بن المحسن ﴾

ابن الحسن بن عبد الرزاق بن جعفر البياضى الشاعر ومن شعره :

ليس لى صاحب معين سوى الل * يل إذا طال بالصدود عليا
أنا أشكو بعد الحبيب إليه * وهو يشكو بعد الصباح إلينا

وله أيضاً
يامن لبست لهجره طول الضنا * حتى خفيت إذا عن العواد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت * أجفان عينى كيف كان رقادى
إن كان يوسف بالجمال مقطع الا * أيدى فأنت مفتت الأكباد

﴿ الواحدى المفسر ﴾

على بن حسن بن أحمد بن على بن بويه الواحدى ، قال ابن خلكان : ولا أدرى هذه النسبة إلى ماذا ، وهو صاحب التفاسير الثلاثة : البسيط ، والوسيط والوجيز . قال : ومنه أخذ الغزالى أسماء كتبه . قال : وله أسباب النزول ، والتحبير فى شرح الأسماء الحسنى ، وقد شرح ديوان المتنبى ، وليس فى شروحه مع كثرتها مثله . قال : وقد رزق السعادة فى تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون فى دروسهم ، وقد أخذ التفسير عن الثعالبى ، وقد مرض مدة ، ثم كانت وفاته بنيسابور فى جمادى الآخرة منها

﴿ ناصر بن محمد ﴾

ابن على أبو منصور التركى الصافرى ، وهو والد الحافظ محمد بن ناصر ، قرأ القرآن ، وسمع الكثير ، وهو الذى تولى قراءة التاريخ على الخطيب بجامع المنصور ، وكان ظريفا صبيحا ، مات شابا دون الثلاثين سنة فى ذى القعدة منها ، وقد رثاه بعضهم بقصيدة طويلة أوردها كلها فى المنتظم ابن الجوزى .

﴿ يوسف بن محمد بن الحسن ﴾

أبو القاسم الهمدانى ، سمع وجمع وصنف وانتشرت عنه الرواية ، توفى فى هذه السنة وقد قارب التسعين .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة ﴾

فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق ، وذلك أن الملك المعظم أتسز بن أوف الخوارزمى لما انتزع دمشق من أيدى العبيديين فى السنة الماضية ، شرع فى بناء هذا الحصن المنيع بدمشق فى هذه السنة وكان فى مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلد ، باب يعرف بباب الحديد ، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم ، داخل البركة البرانية منها ، وقد ارتفع بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تتش بن ألب أرسلان السلجوقى ، فأكملها وأحسن عمارتها ، وابتنى بها دار رضوان للملك ، واستمرت على ذلك البناء فى أيام نور الدين محمود بن زنكى ، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب جدد فيها شيئا ، وابتنى له نائبه ابن مقدم فيها داراً هائلة للمملكة ، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين ، اقتسم هو وأولاده أبرجتها ، فبنى كل ملك منهم برجاً منها جدده وعلاه وأطده وأكده . ثم جدد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربى القبلى ،

ثم ابتنى بعــده فى دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور ، نائبه الشجاعى، الطارمة الشمالية والقبة الزرقاء وما حولها ، وفى المحرم منها مرض الخليفة مرضا شديدا فأرجف الناس به ، فركب حتى رآه الناس جهرة فسكنوا ،وفى جمادى الآخرة منها زادت دجلة زيادة كثيرة ، إحدى وعشرين ذراعا ونصفا ، فنقل الناس أموالهــم وخيف على دار الخلافة ، فنقل تابوت القائم بأمر الله ليـلا إلى الترب بالرصافة . وفى شوال منها وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشـعرية . وذلك أن ابن القشيرى قــدم بغداد فجلس يتكلم فى النظامية وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم ، وساعده أبو سعد الصوفى ، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة ويسأله المعونة عليهم ، وذهب جماعة إلى الشريف أبى جعفر بن أبى موسى شيخ الحنابلة ، وهو فى مسجده ، فدافع عنه آخرون ، واقتتل الناس بسبب ذلك وقتل رجل خياط من سوق التبن ، وجرح آخرون ، وثارت الفتنــة ، وكتب الشيخ أبو إسحاق وأبو بكر الشاشى إلى نظام الملك فى كتابه إلى فخر الدولة ينكر ماوقع ، ويكره أن ينسب إلى المدرسة التى بناها شىء من ذلك . وعزم الشيخ أبو إسحاق على الرحلة من بغــداد غضباً ممـا وقع من الشر، فأرسل إليه الخليفة يسكنه ، ثم جمع بينه وبين الشريف أبى جعفر وأبى سعد الصوفى ، وأبى نصر بن القشيرى ، عند الوزير ، فأقبل الوزير على أبى جعفر يعظمه فى الفعال والمقال ، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق فقال : أنا ذلك الذى كنت تعرفه وأنا شاب ، وهذه كتبى فى الأصول ، ما أقول فيها خـلافا للأشعرية ، ثم قبّل رأس أبى جعفر ، فقال له أبو جعفر : صدقت ، إلا أنك لما كنت فقيراً لم تظهر لنا مافى نفسك ، فلما جاء الأعوان والسلطان وخواجـه بزك ـ يعنى نظام الملك ـ وشبعت ، أبديت ما كان مختفيا فى نفسك . وقام الشيخ أبوسعد الصوفى وقبل رأس الشريف أبى جعفر أيضاً وتلطف به ، فالتفت إليه مغضبا وقال : أيها الشيخ أما الفقهاء إذا تكلموا فى مسائل الأصول فلهم فيها مدخل ، وأما أنت فصاحب لهو وسماع وتغبير ، فمن زاحمك منا على باطلك ؟ ثم قال : أيها الوزير أنى تصلح بيننا ؟ وكيف يقع بيننا صلح ونحن نوجب مانعتقده وهم يحرمونْ ويكفرون ؟ وهذا جد الخليفة القائم والقادر قد أظهرا اعتقادهما للناس على رؤس الأشـهاد عـلى مذهب أهل السنة والجماعة والسلف ، ونحن على ذلك كما وافق عليـه العراقيون والخراسانيون ، وقرىء على الناس فى الدواوين كلها ، فأرسل الوزير إلى الخليفة يعلمه بما جرى ، فجاء الجواب بشكر الجماعة وخصوصا الشريف أبا جعفر ، ثم اسـتدعى الخليفة أبا جعفر إلى دار الخلافة للسلام عليه ، والتبرك بدعائه . قال ابن الجوزى : وفى ذى القعدة منها كثرت الأمراض فى الناس ببغداد وواسط والسواد، وورد الخبر بأن الشام كذلك . وفى هذا الشهر أزيلت المنكرات والبغايا ببغداد ، وهرب الفساق منها. وفيها ملك حلب نصر بن محمود بن مرداس بعد وفاة أبيه . وفيها تزوج

الأمير على بن أبى منصور بن قرامز بن علاء الدولة بن كالويه الست أرسلان خاتون بنت داود عم السلطان ألب أرسلان ، وكانت زوجة القائم بأمر الله . وفيها حاصر الاقسيس صاحب دمشق مصر وضيق على صاحبها المستنصر بالله ، ثم كر راجعاً إلى دمشق . وحج بالناس فيها الامير جنفل التركى [1] مقطع الكوفة .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ اسفهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمى ﴾

الشاعر ، لقى أبا عبد الله بن الحجاج وعبد العزيز بن نباتة وغيرهما من الشعراء ، وكان شيعياً فتاب ، وقال فى قصيدة له فى ذلك قوله فى اعتقاده :

و إذا سئلت عن اعتقادى قلت ما * كانت عليه مذاهب الأبرار
وأقول خير الناس بعد محمد * صديقه وأنيسه فى الغار
ثم الثلاثة بعده خير الورى * أكرم بهم من سادة أطهار
هذا اعتقادى والذى أرجو به * فوزى وعتقى من عذاب النار

﴿ طاهر بن أحمد بن بابشاذ ﴾

أبو الحسن البصرى النحوى ، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات من ساعته فى رجب من هذه السنة . قال ابن خلكان : كان بمصر إمام عصره فى النحو ، وله المصنفات المفيدة من ذلك مقدمته وشرحها وشرح الجمل للزجاجى . قال : وكانت وظيفته بمصر أنه لا تكتب الرسائل فى ديوان الانشاء إلا عرضت عليه فيصلح منها ما فيه خلل ثم تنفذ إلى الجهة التى عينت لها ، وكان له على ذلك معلوم وراتب جيد . قال فاتفق أنه كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً فجاءه قط فرموا له شيئا فأخذه وذهب سريعاً، ثم أقبل فرموا له شيئا أيضاً فانطلق به سريعا ثم جاء فرموا له شيئا أيضاً فعلموا أنه لا يأكل هذا كله فتتبعوه فاذا هو يذهب به إلى قط آخر أعمى فى سطح هناك ، فتعجبوا من ذلك ، فقال الشيخ : يا سبحان الله هذا حيوان بهيم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره أفلا يرزقنى وأنا عبده وأعبده . ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع حواشيه وأقبل على العبادة والاشتغال والملازمة فى غرفة فى جامع عمرو بن العاص ، إلى أن مات كما ذكرنا . وقد جمع تعليقه فى النحو وكان قريبا من خمسة عشر مجلدا ، فأصحابه كابن برى وغيره ينقلون منها وينتفعون بها ، ويسمونها تعليق الغرفة .

﴿ عبد الله بن محمد بن عبد الله ﴾

ابن عمر بن أحمد بن المجمع بن محمد بن يحيى بن معبد بن هزار مرد ، أبو محمد الصريفينى ، ويعرف بابن المعلم ، أحد مشايخ الحديث المسندين المشهورين ، تفرد فيه عن جماعة من المشايخ لطول

(١) يعنى هو نكل . كذا بهامش نسخة الآستانة .

عمره ، وهو آخر من حدث بالجعديات عن ابن حبابة عن أبى القاسم البغوى عن على بن الجعد ، وهو سماعنا ، ورحل إليه الناس بسببه ، وسمع عليه جماعة من الحفاظ منهم الخطيب ، وكان ثقة محمود الطريقة ، صافى الطوية ، توفى بعمريتين فى جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة .

﴿ حيان بن خلف ﴾

ابن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان أبو مروان القرطبى ، مولى بنى أمية ، صاحب تاريخ المغرب فى ستين مجلداً ، أثنى عليه الحافظ . أبو على الغسانى فى فصاحته وصدقه وبلاغته . قال : وسمعته يقول : التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة ، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة . قال ابن خلكان : توفى فى ربيع الأول منها ، ورآه بعضهم فى المنام فسأله عن حاله فقال غفر لى . وأما التاريخ فندمت عليه ، ولكن الله بلطفه أقالنى وعفا عنى .

﴿ أبو نصر السجزى الوابلى ﴾

نسبة إلى قرية من قرى سجستان يقال لها وابل ، سمع الكثير وصنف وخرج وأقام بالحرم ، وله كتاب الابانة فى الأصول ، وله فى الفروع أيضا . ومن الناس من كان يفضله فى الحفظ على الصورى

﴿ محمد بن على بن الحسين ﴾

أبو عبد الله الانماطى ، المعروف بابن سكينة ، ولد سنة تسعين وثلاثمائة ، وكان كثير السماع ، ومات عن تسع وسبعين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة من الهجرة ﴾

قال ابن الجوزى : فى ربيع الأول منها وقعت صاعقة بمحلة النوبة من الجانب الغربى ، على نخلتين فى مسجد فأحرقت أعاليهما ، وصعد الناس فأطفأوا النار ، ونزلوا بالسعف وهو يشتعل ناراً . قال : وورد كتاب من نظام الملك إلى الشيخ أبى إسحاق الشيرازى فى جواب كتابه إليه فى شأن الحنابلة ، ثم سرده ابن الجوزى ومضمونه : أنه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل أهلها عنها ، والغالب على تلك الناحية هو مذهب الامام أحمد ، ومحله معروف عند الأئمة والناس ، وقدره معلوم فى السنة . فى كلام طويل . قال : وفى شوال منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية ، وحمى لكل من الفريقين طائفة من العوام ، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلا ، وجرح آخرون ، ثم سكنت الفتنة . قال : وفى تاسع عشر شوال ولد للخليفة المقتدى ولده المستظهر أبو العباس أحمد ، وزينت البلاد وجلس الوزير للهناء ، ثم فى يوم الأحد السادس والعشرين من شوال ولد له ولد آخر وهو أبو محمد هارون . قال : وفيها ولى تاج الدولة أرسلان الشام وحاصر حلب . وحج بالناس جنفل مقطع الكوفة ، وذكر ابن الجوزى أن الوزير ابن جهير كان قد عمل منبراً هائلا لتقام عليه الخطبة بمكة ،

فحين وصل إليها إذا الخطبة قد أعيدت للمصريين ، فكسر ذلك المنبر وأحرق .

ومن توفى فيها من الاعيان ﴿ أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب ﴾

ابن أحمد أبو بكر اليربوعى المقرى آخر من حدث عن أبى الحسين بن سمعون وقد كان ثقة متعبداً حسن الطريقة ، كتب عنه الخطيب وقال : كان صدوقا . توفى فى هذه السنة عن سبع وثمانين سنة .

﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن أحمد بن عبد الله أبو الحسن ابن النقور البزاز ، أحد المسندين المعمرين تفرد بنسخ كثيرة عن ابن حبان عن البغوى عن أشياخه ، كنسخة هدبة وكامل بن طلحة وعمرو بن زرارة وأبى السكن البكرى ، وكان متكثراً متبحراً وكان يأخذ على إسماع حديث طالوت بن عبادة ديناراً ، وقد أفتاه الشيخ أبو إسحاق الشيرازى بجواز أخذ الأجرة على إسماع الحديث ، لاشتغاله به عن الكسب . توفى عن تسع وثمانين سنة .

﴿ أحمد بن عبد الملك ﴾

ابن على بن أحمد ، أبو صالح المؤذن النيسابورى الحافظ ، كتب الكثير وجمع وصنف ، كتب عن ألف شيخ ، وكان يعظ ويؤذن ، مات وقد جاوز الثمانين .

﴿ عبد الله بن الحسن بن على ﴾

أبو القاسم بن أبى محمد الخلالى ، آخر من حدث عن أبى حفص الكنانى ، وقد سمع الكثير ، روى عنه الخطيب ووثقه ، توفى عن خمس وثمانين سنة ودفن بباب حرب

﴿ عبد الرحمن بن منده ﴾

ابن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم أبو القاسم بن أبى عبد الله الامام ، سمع أباه وابن مردويه وخلقاً فى أقاليم شتى ، سافر إليها وجمع شيئاً كثيراً ، وكان ذا وقار وسمت حسن ، واتباع للسنة وفهم جيد ، كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، وكان مسعد ابن محمد الريحانى يقول : حفظ الله الاسلام به ، وبعبد الله الانصارى الهروى . توفى ابن منده هذا بأصبهان عن سبع وثمانين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل

﴿ عبد الملك بن محمد ﴾

ابن عبد العزيز بن محمد بن المظفر بن على أبو القاسم الهمدانى أحد الحفاظ الفقهاء الأولياء ، كان يلقب بيجير وقد سمع الكثير ، وكان يكثر للطلبة ويقرأ لهم ، توفى بالرى فى المحرم من هذه السنة ، ودفن إلى جانب إبراهيم الخواص .

﴿الشريف أبو جعفر الحنبلي﴾

عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي بن أبي موسى الحنبلي العباسي ، كان أحد الفقهاء العلماء العباد الزهاد المشهورين بالديانة والفضل والعبادة والقيام في الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، واشتغل على القاضي أبي يعلى بن الفراء ، وزكاه شيخه عند ابن الدامغاني فقبله ، ثم ترك الشهادة بعد ذلك ، وكان مشهوراً بالصلاح والديانة ، وحين احتضر الخليفة القائم بأمر الله أوصى أن يغسله الشريف أبو جعفر هذا وأوصى له بشيء كثير ، ومال جزيل ، فلم يقبل من ذلك شيئاً ، وحين وقعت الفتنة بين الحنابلة والاشعرية بسبب ابن القشيري اعتقل هو في دار الخلافة مكرماً معظما ، يدخل عليه الفقهاء وغيرهم ، ويقبلون يده ورأسه ، ولم يزل هناك حتى اشتكى فأذن له في المسير إلى أهله فتوفى عندهم ليلة الخميس النصف في صفر منها ، ودفن إلى جانب الأمام أحمد ، فاتخذت العامة قبره سوقا كل ليلة أربعاء يترددون إليه ويقرؤون الختمات عنده حتى جاء الشتاء ، وكان جملة ما قرىء عليه وأهدى له عشرة آلاف ختمة والله أعلم .

﴿محمد بن محمد بن عبد الله﴾

أبو الحسن البيضاوي ، أحد الفقهاء الشافعيين بربع الكرخ ودفن عند والده .

﴿ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة﴾

فيها ملك السلطان الملك المظفر تاج الملوك تتش بن ألب أرسلان السلجوقي دمشق وقتل ملكها إقسيس ، وذلك أن إقسيس بعث إليه يستنجده على المصريين ، فلما وصل إليه لم يركب لتلقيه فأمر بقتله فقتل لساعته ، ووجد في خزائنه حجر ياقوت أحمر وزنه سبعة عشر مثقالا ، وستين حبة لؤلؤ كل حبة منها أزيد من مثقال ، وعشرة آلاف دينار ومائتي سرج ذهب وغير ذلك . وقد كان إقسيس هذا هو أتسز بن أوف الخوارزمي ، كان يلقب بالمعظم ، وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، وأصحهم سريرة ، أزال الرفض عن أهل الشام ، وأبطل الأذان بحي على خير العمل ، وأمر بالترضي عن الصحابة أجمعين . وعمر بدمشق القلعة التي هي معقل الاسلام بالشام المحروس ، فرحمه الله وبل بالرحمة ثراه ، وجعل جنة الفردوس مأواه . وفيها عزل الوزير ابن جهير بإشارة نظام الملك ، بسبب ممالأته على الشافعية ، ثم كاتب المقتدى نظام الملك في إعادته فأعيد ولده وأطلق هو . وفيها قدم سعد الدولة جوهرا أميراً إلى بغداد ، وضرب الطبول على بابه في أوقات الصلوات ، وأساء الأدب على الخليفة ، وضرب طوالات الخيل على باب الفردوس ، فكوتب السلطان بأمره فجاء الكتاب من السلطان بالانكار عليه . وحج بالناس مقطع الكوفة جنفل التركي أثابه الله .

ومن توفى فيها من الاعيان ﴿ سعد بن على ﴾

ابن محمد بن على بن الحسين أبو القاسم الزنجانى ، رحل إلى الآفاق ، وسمع الكثير ، وكان إماماً حافظاً متعبداً ، ثم انقطع فى آخر عمره بمكة ، وكان الناس يتبركون به. قال ابن الجوزى : ويقبلون يده أكثر مما يقبلون الحجر الأسود .

﴿ سليم بن الجوزى ﴾

نسبة إلى قرية من قرى دجيل ، كان عابدا زاهدا يقال إنه مكث مدة يتقوت كل يوم بزبيبة ، وقد سمع الحديث وقرىء عليه رحمه الله .

﴿ عبد الله بن شمعون ﴾

أبو أحمد الفقيه المالكى القيروانى ، توفى ببغداد ودفن بباب حرب والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها ملك محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة قلاعا كثيرة حصينة من بلاد الهند ، ثم عاد إلى بلاده سالما غانماً . وفيها ولد الأمير أبو جعفر بن المقتدى بالله ، وزينت له بغداد وفيها ملك صاحب الموصل الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلى بعد وفاة أبيه . وفيها ملك منصور بن مروان بلاد بكر بعد أبيه . وفيها أمر السلطان بتغريق ابن علان اليهودى ضامن البصرة ، وأخذ من ذخائره أربعمائة ألف دينار ، فضمن خمارتكين البصرة بمائة ألف دينار ومائة فرس فى كل سنة . وفيها فتح عبيد الله بن نظام الملك تكريت . وحج بالناس جنقل التركى وقطعت خطبة المصريين بمكة وخطب للمقتدى وللسلطان ملكشاه السلجوقى .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الملك بن الحسن بن أحمد بن حيرون ﴾

أبو نصر سمع الكثير وكان زاهدا عابدا ، يسرد الصوم ، ويختم فى كل ليلة ختمة رحمه الله .

﴿ محمد بن محمد بن أحمد ﴾

ابن الحسين بن عبد العزيز بن مهران العكبرى ، سمع هلال الحفار ، وابن زرقويه والحمامى وغيرهم ، وكان فاضلا جيد الشعر ، فمن شعره قوله :

أطيل فكرى فى أى ناس * مضوا قدماً وفيمن خلفونا
هم الأحياء بعد الموت ذكرا * ونحن من الخمول الميتونا

توفى فى رمضان منها وله سبعون سنة .

﴿ هياج بن عبد الله ﴾

الخطيب الشامى ، سمع الحديث وكان أوحد زمانه زهدا وفقها واجتهادا فى العبادة ، أقام بمكة مدة

يفتى أهلها و يعتمر فى كل يوم ثلاث مرات على قدميه ، ولم يلبس نعلا منذ أقام بمكة ، وكان يزور قبر النبى ﷺ مع أهل مكة ماشيا ، وكذلك كان يزور قبر ابن عباس بالطائف ، وكان لا يدخر شيئا ، ولا يلبس إلا قميصاً واحداً ، ضربه بعض أمراء مكة فى بعض فتن الروافض فاشتكى أياماً ومات ، وقد نيف على الثمانين رحمه الله ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها استولى تكش أخو السلطان ملك شاه على بعض بلاد خراسان . وفيها أذن للوعاظ فى الجلوس للوعظ ، وكانوا قد منعوا فى فتنة ابن القشيرى . وفيها قبض على جماعة من الفتيان كانوا قد جعلوا عليهم رئيسا يقال له عبد القادر الهاشمى ، وقد كاتبوه من الأقطار ، وكان الساعى له رجلا يقال له ابن رسول ، وكانو يجتمعون عند جامع براثا ، فخيف من أمرهم أن يكونوا ممالئين للمصريين ، فأمر بالقبض عليهم . وحج بالناس جنفل .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عمر ﴾

ابن محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله بن الأخضر المحدث ، سمع على بن شاذان ، وكان على مذهب الظاهرية ، وكان كثير التلاوة حسن السيرة ، متقللا من الدنيا قنوعاً ، رحمه الله .

﴿ الصليحى ﴾

المتغلب على اليمن ، أبو الحسن على بن محمد بن على الملقب بالصليحى ، كان أبوه قاضياً باليمن ، وكان سنيا ، ونشأ هذا فتعلم العلم و برع فى أشياء كثيرة من العلوم ، وكان شيعياً على مذهب القرامطة ، ثم كان يدل بالحجيج مدة خمس عشرة سنة ، وكان اشتهر أمره بين الناس أنه سيملك اليمن ، فنجم ببلاد اليمن بعد قتله نجاح صاحب تهامة ، واستحوذ على بلاد اليمن بكمالها فى أقصر مدة ، واستوثق له الملك بها سنة خمس وخمسين ، وخطب للمستنصر العبيدى صاحب مصر ، فلما كان فى هذا العام خرج إلى الحج فى ألفى فارس ، فاعترضه سعيد بن نجاح بالموسم ، فى نفر يسير ، فقاتلهم فقتل هو وأخوه واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله ، ومن شعر الصليحى هذا قوله :

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم * فرؤسهم عرض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها * إلا بحيث تطلق الأعمار

﴿ محمد بن الحسين ﴾

ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبلى ، أبو على الشاعر البغدادى ، أسند الحديث ، وله الشعر الرائق فمنه قوله : لا تظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة * فى القلب مثل شماتة الاعداء

وله أيضاً يفنى البخيل بجمع المال مدته * وللحوادث والوراث ما يدع

كدودة القز ما تبنيه يخنقها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

﴿ يوسف بن الحسن ﴾

ابن محمد بن الحسن ، أبو القاسم العسكرى ، من أهل خراسان من مدينة زنجان ، ولد سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وتفقه على أبى إسحاق الشيرازى ، وكان من أكبر تلاميذه ، وكان عابداً ورعاً خاشعاً ، كثير البكاء عند الذكر ، مقبلا على العبادة ، مات وقد قارب الثمانين .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها ولى أبو كامل منصور بن نور الدولة دبيس ما كان يليه أبوه من الأعمال ، وخلع عليه السلطان والخليفة . وفيها ملك شرف الدولة مسلم بن قريش حران ، وصالح صاحب الرهاء . وفيها فتح تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق مدينة انطرطوس . وفيها أرسل الخليفة ابن جهير إلى السلطان ملك شاه يتزوج ابنته فأجابت أمها بذلك ، بشرط أن لا يكون له زوجة ولا سرية سواها ، وأن يكون سبعة أيام عندها ، فوقع الشرط على ذلك .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ داود بن السلطان بن ملك شاه ﴾

فوجد عليه أبوه وجداً كثيراً ، بحيث إنه كاد أوهمّ أن يقتل نفسه ، فمنعه الامراء من ذلك ، وانتقل عن ذلك البلد وأمر النساء بالنوح عليه . ولما وصل الخبر لبغداد جلس وزير الخليفة للعزاء .

﴿ القاضى أبو الوليد الباجى ﴾

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبى الأندلسى الباجى الفقيه المالكى ، أحد الحفاظ المكثيرين فى الفقه والحديث ، سمع الحديث ورحل فيه إلى بلاد المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة ، فسمع هناك الكثير ، واجتمع بأئمة ذلك الوقت ، كالقاضى أبى الطيب الطبرى ، وأبى إسحاق الشيرازى ، وجاور بمكة ثلاث سنين مع الشيخ أبى ذر الهروى ، وأقام ببغداد ثلاث سنين ، وبالموصل سنة عند أبى جعفر السمنانى قاضيها ، فأخذ عنه الفقه والأصول ، وسمع الخطيب البغدادى وسمع منه الخطيب أيضاً ، وروى عنه هذين البيتين الحسنين .

إذا كنت أعلم علماً يقينا * بأن جميع حياتى كساعة

فلم لا أكون كضيف بها * وأجعلها فى صلاح وطاعة

ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة ، وتولى القضاء هناك ، ويقال إنه تولى قضاء حلب أيضاً ، قاله ابن خلكان . قال : وله مصنفات عديدة منها المنتقى فى شرح الموطأ ، وإحكام الفصول فى أحكام الأصول ، والجرح والتعديل ، وغير ذلك ، وكان مولده سنة ثلاث وأربعمائة ، وتوفى ليلة الخميس بين

العشاءين التاسع والعشرين من رجب من هذه السنة ، رحمه الله .

﴿ أبو الأغر دبيس بن على بن مَزْيَد ﴾

المقلب نور الدولة ، توفى فى هذه السنة عن ثمانين سنة : مكث منها أميراً نيفاً وستين[1] سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده أبو كامل ، ولقب بهاء الدولة .

﴿ عبد الله بن أحمد بن رضوان ﴾

أبو القاسم البغدادى ، كان من الرؤساء ، ومرض بالشقيقة ثلاث سنين ، فمكث فى بيت مظلم لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها قدم مؤيد الملك فنزل فى مدرسة أبيه ، وضربت الطبول على بابه فى أوقات الصلوات الثلاث . وفيها نفذ الشيخ أبو إسحاق الشيرازى رسولا إلى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك ، وكان أبو إسحاق كلما مر على بلدة خرج أهلها يتلقونه بأولادهم ونسائهم ، يتبركون به ويتمسحون بركابه ، وربما أخذوا من تراب حافر بغلته . ولما وصل إلى ساوة خرج إليه أهلها ، وما مر بسوق منها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم ، حتى اجتاز بسوق الأساكفة ، فلم يكن عندهم إلا مداساة الصغار فنثروها عليه ، فجعل يتعجب من ذلك . وفيها جددت الخطبة لبنت السلطان ملكشاه من جهة الخليفة ، فطلبت أمها أربعمائة ألف دينار ، ثم اتفق الحال على خمسين ألف دينار . وفيها حارب السلطان أخاه تتش فأسره ثم أطلقه ، واستقرت يده على دمشق وأعمالها . وحج بالناس جنفل .

وتوفى فيها من الأعيان

﴿ عبد الوهاب بن محمد ﴾

ابن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ، أبو عمر الحافظ من بيت الحديث ، رحل إلى الآفاق وسمع الكثير ، وتوفى بأصبهان

﴿ ابن ما كولا ﴾

الأمير أبو نصر على بن الوزير أبى القاسم هبة الله بن على بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبى دلف التميمى ، الأمير سعد الملك ، أبو نصر ابن ما كولا ، أحد أئمة الحديث وسادات الأمراء ، رحل وطاف وسمع الكثير ، وصنف الاكمال فى المشتبه من أسماء الرجال ، وهو كتاب جليل لم يسبق إليه ، ولا يلحق فيه ، إلا ما استدرك عليه ابن نقطة فى كتاب سماه الاستدراك . قتله مماليكه فى كرمان فى هذه السنة ، وكان مولده فى سنة عشرين وأربعمائة ، وعاش خمسا وخمسين سنة . قال ابن خلكان : وقيل إنه قتل فى سنة تسع وسبعين ، وقيل فى سنة سبع وثمانين . قال : وقد كان أبوه وزير القائم بأمر الله ، وعمه عبد الله بن الحسين ولى قضاء بغداد . قال : ولم أدر لم سمى الأمير إلا أن يكون منسوبا إلى جده الأمير أبى دلف ، وأصله من جرباذقان ، وولد فى عكبرا فى شعبان سنة

(١) كذا بالأصل وفى النجوم الزاهرة أيضا . وفى الكامل لابن الأثير أن إمارته كانت سبعا وخمسين سنة .

إحدى وعشرين وأربعمائة . قال : وقد كان الخطيب البغدادى صنف كتاب المؤتنف جمع فيه بين كتابى الدارقطنى وعبد الغنى بن سعيد فى المؤتلف والمختلف ، فجاء ابن ما كولا وزاد على الخطيب وسماه كتاب الاكمال ، وهو فى غاية الافادة ورفع الالتباس والضبط . ولم يوضع مثله ، ولا يحتاج هذا الأمير بعده إلى فضيلة أخرى ، ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه وتحريره وإتقانه . ومن الشعر المنسوب إليه قوله :

قوض خيامك عن أرض تهان بها * وجانب الذل إن الذل يجتنب

وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة * فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخلافة فسار بأهله وأولاده إلى السلطان ، وقصدوا نظام الملك وزير السلطان ، فعقد لولده فخر الدولة على بلاد ديار بكر ، فسار إليها بالخلع والكوسات والعساكر ، وأمر أن ينتزعها من ابن مروان ، وأن يخطب لنفسه وأن يذكر اسمه على السكة ، فما زال حتى انتزعها من أيديهم ، وباد ملكهم على يديه كما سيأتى بيانه ، وسد وزارة الخلافة أبو الفتح مظفر ابن رئيس الرؤساء ، ثم عزل فى شعبان واستوزر أبو شجاع محمد بن الحسين ، ولقب ظهير الدين ، وفى جمادى الآخرة ولى مؤيد الملك أبا سعيد عبد الرحمن ابن المأمون ، المتولى تدريس النظامية بعد وفاة الشيخ أبى إسحاق الشيرازى . وفيها عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش ، فجاء فحاصرها ففتحها وهدم سورها وصلب قاضيها ابن حلبة وابنيه على السور . وفى شوال منها قتل أبو المحاسن بن أبى الرضا ، وذلك لأنه وشى إلى السلطان فى نظام الملك ، وقال له سلمهم إلى حتى أستخلص لك منهم ألف ألف دينار ، فعمل نظام الملك سماطا هائلا ، واستحضر غلمانه وكانوا ألوفا من الأتراك ، وشرع يقول للسلطان : هذا كله من أموالك ، وما وقفته من المدارس والربط ، وكله شكره لك فى الدنيا وأجره لك فى الآخرة ، وأموالى وجميع ما أملكه بين يديك ، وأنا أقنع بمرقعة وزاوية ، فعند ذلك أمر السلطان بقتل أبى المحاسن ، وقد كان حضياً عنده ، وخصيصاً به وجيها لديه ، وعزل أباه عن كتابة الطغراء وولاها مؤيد الملك . وحج بالناس الأمير جنفل التركى مقطع الكوفة .

وممن توفى فيها من الأعيان : ﴿ الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ﴾

إبراهيم بن على بن يوسف الفيروزابادى ، وهى قرية من قرى فارس ، وقيل هى مدينة خوارزم ، شيخ الشافعية ، ومدرس النظامية ببغداد ، ولد سنة ثلاث وقيل ست وتسعين وثلاثمائة ، وتفقه بفارس على أبى عبد الله البيضاوى ، ثم قدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، فتفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى ، وسمع الحديث من ابن شاذان والبرقانى ، وكان زاهدا عابداً ورعا ، كبير القدر معظماً محترما

إماما فى الفقه والأصول والحديث ، وفنون كثيرة ، وله المصنفات الكثيرة النافعة ، كالمهذب فى المذهب ، والتنبيه ، والنكت فى الخلاف ، واللمع فى أصول الفقه ، والتبصرة ، وطبقات الشافعية وغير ذلك . قلت : وقد ذكرت ترجمته مستقصاة مطولة فى أول شرح التنبيه ، توفى ليلة الأحد الحادى والعشرين من جمادى الآخرة فى دار أبى المظفر بن رئيس الرؤساء ، وغسله أبو الوفا بن عقيل الحنبلى وصلى عليه بباب الفردوس من دار الخلافة ، وشهد الصلاة عليه المقتدى بأمر الله ، وتقدم للصلاة عليه أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء ، وكان يومئذ لابساً ثياب الوزارة ، ثم صلى عليه مرة ثانية بجامع القصر ، ودفن بباب إبرز فى تربة مجاورة للناحية رحمه الله تعالى ، وقد امتدحه الشعراء فى حياته و بعد وفاته ، وله شعر رائق ، فما أنشده ابن خلكان من شعره قوله :

سألت الناس عن خل وفى * فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسك إن ظفرت بذيل حر * فان الحر فى الدنيا قليل

قال ابن خلكان : ولما توفى عمل الفقهاء عزاءه بالنظامية ، وعين مؤيد الملك أبا سعد المتولى مكانه ، فلما بلغ الخبر إلى نظام الملك كتب يقول : كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله ، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر بن الصباغ فى مكانه .

﴿ طاهر بن الحسين ﴾

ابن أحمد بن عبد الله القواس ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى وأفتى ودرس ، وكانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة والفتوى ، وكان ورعا زاهدا ملازما لمسجده خمسين سنة ، توفى عن ست وثمانين سنة ، ودفن قريباً من الامام أحمد ، رحمه الله و إيانا .

﴿ محمد بن أحمد بن إسماعيل ﴾

أبو طاهر الأنبارى الخطيب ، و يعرف بابن أبى الصقر ، طاف البلاد وسمع الكثير ، وكان ثقة صالحا فاضلا عابدا ، وقد سمع منه الخطيب البغدادى ، وروى عنه مصنفاته ، توفى بالأنبار فى جمادى الآخرة عن نحو من مائة سنة ، رحمه الله .

﴿ محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة ﴾

أحد الرؤساء ببغداد ، وهو من ذوى الثروة والمروءة ، كان يحزر ماله بثلاثمائة ألف دينار ، وكان أصله من عكبرا فسكن بغداد ، وكانت له بها دار عظيمة تشتمل على ثلاثين مسكنا مستقلا ، وفيها حمام و بستان ، ولها بابان ، على كل باب مسجد ، إذا أذن المؤذن فى إحداهما لا يسمع الآخر من اتساعها ، وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين وقعت فتنة البساسيرى فى سنة خمسين وأربعمائة ، نزلت عنده فى جواره ، فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار ،

ليحمى له داره ، وهو الذى بنى المسجد المعروف به ببغداد ، وقد ختم فيه القرآن ألوف من الناس ، وكان لا يفارق زى التجار . وكانت وفاته فى عاشر ذى القعدة من هذه السنة ، ودفن فى التربة المجاورة لتربة القزوينى ، رحمه الله و إيانا آمين .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها كانت الحرب بين فخر الدولة بن جهير وزير الخليفة و بين ابن مروان صاحب ديار بكر ، فاستولى ابن جهير على ملك العرب وسبى حريمهم وأخذ البلاد ومعه سيف الدولة صدقة بن منصور ابن دبيس بن على بن مزيد الأسدى ، فافتدى خلقا من العرب فشكره الناس على ذلك ، وامتدحه الشعراء . وفيها بعث السلطان عميد الدولة ابن جهير فى عسكر كثيف ومعه قسيم الدولة اقسنقر جد بنى أتابك ملوك الشام والموصل ، فسارا إلى الموصل فملكوها . وفى شعبان منها ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية ، فأراد شرف الدولة مسلم بن قريش أن يستنقذها منه ، فهزمه سليمان وقتله ، وكان مسلم هذا من خيار الملوك سيرة ، له فى كل قرية وال وقاض وصاحب خبر ، وكان يملك من السندية إلى منبج . وولى بعده أخوه إبراهيم بن قريش ، وكان مسجونا من سنين فأطلق وملك . وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه فى العشرين من رجب بسنجار . وفيها عصى تكش أخو السلطان فأخذه السلطان فسمله وسجنه . وحج بالناس فى هذه السنة الأمير جماز بكير الحسنانى ، وذلك لشكوى الناس من شدة سير جنفل بهم ، وأخذ المكوسات منهم ، سافر مرة من الكوفة إلى مكة فى سبعة عشر يوما .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن دوبست ﴾

أبو سعد النيسابورى ، شيخ الصوفية ، له رباط بمدينة نيسابور يدخل من بابه الجمل براكبه ، وحج مرات على التجريد على البحرين ، حين انقطعت طريق مكة ، وكان يأخذ جماعة من الفقراء ويتوصل من قبائل العرب حتى يأتى مكة ، توفى فى هذه السنة وقد جاوز التسعين ، رحمه الله و إيانا ، وأوصى أن يخلفه ولده إسماعيل فأجلس فى مشيخة الرباط .

﴿ ابن الصباغ ﴾

صاحب الشامل ، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر ، الامام أبو نصر ابن الصباغ ، ولد سنة أربعمائة ، وتفقه ببغداد على أبى الطيب الطبرى حتى فاق الشافعية بالعراق ، وصنف المصنفات المفيدة ، منها الشامل فى المذهب ، وهو أول من درس بالنظامية ، توفى فى هذه السنة ودفن بداره فى الكرخ ، ثم نقل إلى باب حرب رحمه الله ، قال ابن خلكان : كان فقيه العراقين ، وكان يضاهى أبا إسحاق ، وكان ابن الصباغ أعلم منه بالمذهب ، و إليه الرحلة فيه ، وقد صنف الشامل فى الفقه والعمدة فى أصول الفقه ، وتولى تدريس النظامية أولا ، ثم عزل بعد عشرين

يوماً بالشيخ أبى إسحاق ، فلما مات الشيخ أبو إسحاق تولاها أبو سعد المتولى ، ثم عزل ابن الصباغ بابن المتولى ، وكان ثقة حجة صالحا ، ولد سنة أربعمائة ، أضر فى آخر عمره ، رحمه الله وإيانا .

﴿ مسعود بن ناصر ﴾

ابن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل ، أبو سعد السجزى الحافظ ، رحل فى الحديث وسمع الكثير ، وجمع الكتب النفيسة ، وكان صحيح الخط ، صحيح النقل ، حافظا ضابطا ، رحمه الله وإيانا .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ﴾

فى المحرم منها زلزلت أرجان فهلك خلق كثير من الروم ومواشيهم . وفيها كثرت الأمراض بالحمى والطاعون بالعراق والحجاز والشام ، وأعقب ذلك موت الفجأة ، ثم ماتت الوحوش فى البرارى ثم تلاها موت البهائم ، حتى عزت الألبان واللحمان ، ومع هذا كله وقعت فتنة عظيمة بين الرافضة والسنة فقتل خلق كثير فيها . وفى ربيع الأول هاجت ريح سوداء وسفت رملا ، وتساقطت أشجار كثيرة من النخل وغيرها ، ووقعت صواعق فى البلاد حتى ظن بعض الناس أن القيامة قد قامت ، ثم انجلى ذلك ولله الحمد . وفيها ولد للخليفة ولده أبو عبد الله الحسين ، وزينت بغداد وضربت الطبول والبوقات ، وكثرت الصدقات . وفيها استولى فخر الدولة ابن جهير على بلاد كثيرة ، منها آمد وميا فارقين ، وجزيرة ابن عمر ، وانقضت بنو مروان على يده فى هذه السنة . وفى ثانى عشر رمضان منها ولى أبو بكر محمد بن مظفر الشامى قضاء القضاة ببغداد ، بعد وفاة أبى عبد الله الدامغانى ، وخلع عليه فى الديوان . وحج بالناس جنفل ، وزار النبى ﷺ ذاهباً وآيباً . قال : أظن أنها آخر حجتى . وكان كذلك . وفيها خرج توقيع الخليفة المقتدى بأمر الله بتجديد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى كل محلة ، وإلزام أهل الذمة بلبس الغيار ، وكسر آلات الملاهى ، وإراقة الخمور ، وإخراج أهل الفساد من البلاد ، أثابه الله ورحمه .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسن ﴾

ابن محمد بن إبراهيم بن أبى أيوب ، أبو بكر الفوركى ، سبط الأستاذ أبى بكر بن فورك ، استوطن بغداد وكان متكلماً يعظ الناس فى النظامية ، فوقعت بسببه فتنة بين أهل المذاهب . قال ابن الجوزى : وكان مؤثراً للدنيا لا يتحاشى من لبس الحرير ، وكان يأخذ مكس الفحم ويوقع العداوة بين الحنابلة والأشاعرة ، مات وقد ناف على الستين سنة ، ودفن إلى جانب قبر الأشعرى بمشرعة الزوايا .

﴿ الحسن بن على ﴾

أبو عبد الله المردوسى ، كان رئيس أهل زمانه ، وأكملهم مروءة ، كان خدم فى أيام بنى بويه وتأخر لهذا الحين ، وكانت الملوك تعظمه وتكاتبه بعبده وخادمه ، وكان كثير الصدقة والصلات

والبر ، و بلغ من العمر خمساً وتسعين سنة ، وأعد لنفسه قبرا وكفنا قبل موته بخمس سنين .

﴿ أبو سعد المتولى ﴾

عبد الرحمن بن المأمون بن على أبو سعد المتولى : مصنف التتمة ، ومدرس النظامية بعد أبى إسحاق الشيرازى ، وكان فصيحا بليغاً ، ماهرا بعلوم كثيرة ، كانت وفاته فى شوال من هذه السنة وله ستة وخمسون سنة ، رحمه الله و إيانا ، وصلى عليه القاضى أبو بكر الشاشى .

﴿ إمام الحرمين ﴾

عبد الملك بن [الشيخ أبى محمد] عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه ، أبو المعالى الجوينى ، وجوين من قرى نيسابور ، الملقب بامام الحرمين ، لمجاورته بمكة أربع سنين ، كان مولده فى تسع عشرة وأربعمائة ، سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبى محمد الجوينى ، ودرس بعده فى حلقته ، وتفقه على القاضى حسين ، ودخل بغداد وتفقه بها ، وروى الحديث وخرج إلى مكة فجاور فيها أربع سنين ، ثم عاد إلى نيسابور فسلم إليه التدريس والخطابة والوعظ ، وصنف نهاية المطلب فى دراية المذهب ، والبرهان فى أصول الفقه ، وغير ذلك فى علوم شتى ، واشتغل عليه الطلبة و رحلوا إليه من الأقطار ، وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة متفقه ، وقد استقصيت ترجمته فى الطبقات ، وكانت وفاته فى الخامس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، ودفن بداره ثم نقل إلى جانب والده . قال ابن خلكان : كانت أمه جارية اشتراها والده من كسب يده من النسخ ، وأمرها أن لا تدع أحدا يرضعه غيرها ، فاتفق أن امرأة دخلت عليها فأرضعته مرة فأخذه الشيخ أبو محمد فنكسه ووضع يده على بطنه ووضع أصبعه فى حلقه ولم يزل به حتى قاء مافى بطنه من لبن تلك المرأة . قال : وكان إمام الحرمين ربما حصل له فى مجلسه فى المناظرة فتور ووقفة فيقول : هذا من آثار تلك الرضعة . قال : ولما عاد من الحجاز إلى بلده نيسابور سلم إليه المحراب والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة ، وبقى ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، وصنف فى كل فن ، وله النهاية التى ما صنف فى الاسلام مثلها . قال الحافظ أبو جعفر : سمعت الشيخ أبا إسحاق الشيرازى يقول لامام الحرمين : يا مفيد أهل المشرق والمغرب ، أنت اليوم إمام الأئمة . ومن تصانيفه الشامل فى أصول الدين ، والبرهان فى أصول الفقه ، وتلخيص التقريب ، والارشاد ، والعقيدة النظامية ، وغياث الأمم [1] وغير ذلك مما سماه ولم يتمه . وصلى عليه ولده أبو القاسم وغلقت الأسواق وكسر تلامذته أقلامهم - وكانوا أربعمائة - ومحابرهم ، ومكثوا كذلك سنة ، وقد رثى بمراثى كثيرة فمن ذلك قول بعضهم :

(١) عدّ ابن خلكان من تصانيف إمام الحرمين «مغيث الخلق فى اختيار الحق» ولكن لو كان هذا الكتاب من مؤلفاته لذكره ابن كثير وهو متأخر عن ابن خلكان. فهذا الكتاب مدسوس على إمام الحرمين.

قلوب العالمين على المقالى * وأيام الورى شبه الليالى
أيثمر غصن أهل العلم يوماً * وقد مات الامام أبو المعالى

﴿ محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد ﴾

أبو على بن الوليد ، شيخ المعتزلة ، كان مدرساً لهم فأنكر أهل السنة عليه ، فلزم بيته خمسين سنة إلى أن توفى فى ذى الحجة منها ، ودفن فى مقبرة الشونيزى ، وهذا هو الذى تناظر هو والشيخ أبو يوسف القزوينى المعتزلى المفسر فى إباحة الولدان فى الجنة ، وأنه يباح لأهل الجنة وطء الولدان فى أدبارهم ، كما حكى ذلك ابن عقيل عنهما ، وكان حاضرهما ، فمال هذا إلى إباحة ذلك ، لأنه مأمون المفسدة هنالك ، وقال أبو يوسف : إن هـذا لا يكون لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ومن أين لك أن يكون لهم أدبار ؟ وهذا العضو ـ وهو الدبر ـ إنما خلق فى الدنيـا لحاجة العباد إليـه ، لأنه مخرج للأذى عنهم ، وليس فى الجنـة شىء من ذلك ، وإنما فضلات أكلهم عرق يفيض من جلودهم ، فاذا هم ضمر فلا يحتاجون إلى أن يكون لهم أدبار ، ولا يكون لهذه المسألة صورة بالكلية . وقد روى هذا الرجل حديثا واحدا عن شيخه أبى الحسين البصرى بسنده المتقدم ، من طريق شعبة عن منصور عن ربعى عن أبى مسعود البدرى أن رسول الله ﷺ قال : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وقد رواه القعنبى عن شعبة ، ولم يرو عنه سواه ، فقيل : إنه لما رحل إليه دخل عليه وهو يبول فى البالوعة فسأله أن يحدثه فامتنع ، فروى له هـذا الحديث كالواعظ له به ، والتزم أن لا يحدثه بغيره ، وقيل : لان شعبة مر عـلى القعنبى قبل أن يشتغل بعلم الحديث ـ وكان إذ ذاك يعانى الشراب ـ فسأله أن يحدثه فامتنع ، فسل سكينا وقال : إن لم تحدثنى وإلا قتلتك ، فروى له هذا الحديث ، فتاب وأناب ، ولزم مالكا ، ثم فاته السماع من شعبة فلم يتفق له عنه غير هذا الحديث فالله أعلم .

﴿ أبو عبد الله الدامغانى القاضى ﴾

محمد بن عـلى بن الحسين بن عبد الملك بن عبـد الوهاب بن حمويه الدامغانى ، قاضى القضاة ببغداد ، مولده فى سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، فتفقه بها عـلى أبى عبد الله الصيمرى ، وأبى الحسن القدورى ، وسمع الحديث منهما ومن ابن النقور والخطيب وغـيرهم ، وبرع فى الفقه ، وكان له عقل وافر ، وتواضع زائد ، وانتهت إليـه رياسة الفقهاء ، وكان فصيحاً كثير العبادة ، وقـد كان فقيراً فى ابتداء طلبه ، عليه أطمار رثة ، ثم صارت إليه الرياسة والقضاء بعد ابن ماكولا ، فى سنة تسع وأربعين وكان القائم بأمر الله يكرمه ، والسلطان طغرلبك يعظمه ، وباشر الحكم ثلاثين سنة فى أحسن سيرة ، وغاية الامانة والديانة ، مرض أياماً يسيرة ثم توفى فى الرابع والعشرين من رجب من هـذه السنة ، وقد ناهز الثمانين ، ودفن بداره بدرب العلابين ، ثم نقل إلى مشهد أبى حنيفة رحمه الله .

﴿ محمد بن على بن المطلب ﴾

أبو سعد الأديب ، كان قد قرأ النحو والأدب واللغة والسير وأخبار الناس ، ثم أقلع عن ذلك كله ، وأقبل على كثرة الصلاة والصدقة والصوم ، إلى أن توفى فى هذه السنة عن ست وثمانين سنة ، رحمه الله .

﴿ محمد بن طاهر العباسى ﴾

ويعرف بابن الرجيحى ، تفقه على ابن الصباغ ، وناب فى الحكم ، وكان محمود الطريقة ، وشهد عند ابن الدامغانى فقبله .

﴿ منصور بن دبيس ﴾

ابن على بن مزيد ، أبو كامل الأمير بعد سيف الدولة ، كان كثير الصلاة والصدقة ، توفى فى رجب من هذه السنة ، وقد كان له شعر وأدب ، وفيه فضل ، فمن شعره قوله :

فان أنا لم أحمل عظيما ولم أقد * لهاما ولم أصبر على كل معظم
ولم أحجز الجانى وأمنع جوره * غداة أنادى للفخار وأنتمى
فلا نهضت لى همة عربية * إلى المجد ترقى بى ذرى كل محرم

﴿ هبة الله بن أحمد بن السيبى ﴾

[قاضى الحريم بنهرمعلى ، و] مؤدب الخليفة المقتدى بأمر الله ، سمع الحديث ، وتوفى فى محرم هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وله شعر جيد ، فمنه قوله :

رجوت الثمانين من خالقى * لما جاء فيها عن المصطفى
فبلغنيها فشكرا له * وزاد ثلاثا بها إذ وفا
وإنى منتظر وعده * لينجزه لى فعل أهل الوفا

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة ﴾

وفيها كانت الوقعة بين تتش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتلمش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية ، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه بخنجر كانت معه ، فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب فملكها ، وملك مابين ذلك من البلاد التى مر بها ، مثل حران وارها وقلعة جعبر ، وكان جعبر شيخاً كبيراً قد عمى ، وله ولدان ، وكان قطاع الطريق يلجأون إليها فيتحصنون بها ، فراسل السلطان سابق بن جعبر فى تسليمها فامتنع عليه ، فنصب عليها المناجيق والعرادات ففتحها وأمر بقتل سابق ، فقالت زوجته : لا تقتله حتى تقتلنى معه ، فألقاه من رأسها فتكسر ، ثم أمر بتوسيطهم بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت ، فلامها بعض الناس فقالت: كرهت أن يصل إلى التركى فيبقى ذلك عارا على ، فاستحسن منها ذلك ، واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة اقسنسقر التركى وهو جد نور الدين الشهيد ، واستناب على الرحبة وحران والرقة وسروج والخابور:

محمد بن شرف الدولة مسلم وزوجه بأخته زليخا خاتون ، وعزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر ، وسلمها إلى العميد أبى على البلخى ، وخلع على سيف الدولة صدقة بن دبيس الأسدى ، وأقره على عمل أبيه ، ودخل بغداد فى ذى القعدة من هذه السنة ، وهى أول دخلة دخلها ، فزار المشاهد والقبور ودخل على الخليفة فقبل يده ووضعها على عينيه ، وخلع عليه الخليفة خلعا سنية ، وفوض إليه أمور الناس ، واستعرض الخليفة أمراءه ونظام الملك واقف بين يديه ، يعرفه بالأمراء واحدا بعد واحد ، باسمه وكم جيشه وأقطاعه ، ثم أفاض عليه الخليفة خلعاً سنية ، وخرج من بين يديه فنزل بمدرسة النظامية ، ولم يكن رآها قبل ذلك ، فاستحسنها إلا أنه استصغرها ، واستحسن أهلها ومن بها وحمد الله وسأل الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجه الكريم ، ونزل بخزانة كتبها وأملى جزأ من مسموعاته ، فسمعه المحدثون منه ، وورد الشيخ أبو القاسم على بن الحسين الحسنى الدبوسى إلى بغداد فى تجمل عظيم ، فرتبه مدرساً بالنظامية بعد أبى سعد المتولى .

وفى ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر وأذن فيها ، وفى هذه السنة كانت زلازل هائلة بالعراق والجزيرة والشام ، فهدمت شيئا كثيراً من العمران ، وخرج أكثر الناس إلى الصحراء ثم عادوا . وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسنائى ، وقطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة ، وقلعت الصفائح التى على باب الكعبة التى عليها ذكر الخليفة المصرى ، وجدد غيرها عليها ، وكتب عليها اسم المقتدى . قال ابن الجوزى : وظهر رجل بين السندية وواسط يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى ، يفتح القفل فى أسرع مدة ، ويغوص دجلة فى غوصتين ، ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعا ، ويتساق الحيطان الملس ، ولا يقدر عليه أحد ، وخرج من العراق سالما . قال : وفيها توفى فقير فى جامع المنصور فوجد فى مرقعته ستمائة دينار مغربية ، أى صحاحاً كبارا ، من أحسن الذهب . قال وفيها عمل سيف الدولة صدقة سماطا للسلطان جلال الدولة أبى الفتح ملكشاه ، اشتمل على ألف رأس من الغنم ، ومائة جمل وغيرها ، ودخله عشرون ألف منّ من السكر ، وجعل عليه من أصناف الطيور والوحوش ، ثم أردفه من السكر شئ كثير ، فتناول السلطان بيده منه شيئا يسيراً ، ثم أشار فانتهب عن آخره ، ثم انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم لم ير مثله من الحرير ، وفيه خمسمائة قطعة من الفضة ، وألوان من تماثيل الند والمسك والعنبر وغير ذلك ، فمد فيه سماطا خاصاً فأكل السلطان حينئذ ، وحمل إليه عشرين ألف دينار ، وقدم إليه ذلك السرادق بما فيه بكماله ، وانصرف والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الأمير جعفر بن سابق القشيرى ﴾

الملقب بسابق الدين ، كان قد تملك قلعة جعبر مدة طويلة فنسبت إليه ، وإنما كان يقال لها

قبل ذلك الدوشرية ، نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر ، ثم إن هذا الأمير كبر وعمى ، وكان له ولدان يقطعان الطريق ، فاجتاز به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى وهو ذاهب إلى حلب فأخذ القلمة وقتله كما تقدم .

﴿ الأمير جنفل قتلغ ﴾

أمير الحاج ، كان مقطعا للكوفة وله وقعات مع العرب أعربت عن شجاعته ، وأرعبت قلوبهم وشتتهم فى البلاد شذر مذر ، وقد كان حسن السيرة محافظا على الصلوات ، كثير التلاوة ، وله آثار حسنة بطريق مكة ، فى إصلاح المصانع والاماكن التى تحتاج إليها الحجاج وغيرهم ، وله مدرسة على الحنفية بمشهد يونس بالكوفة ، وبنى مسجدا بالجانب الغربى من بغداد على دجلة ، بمشرعة الكرخ . توفى فى جمادى الأولى منها رحمه الله ، ولما بلغ نظام الملك وفاته قال : مات ألف رجل ، والله أعلم .

﴿ على بن فضال المشاجعى ﴾

أبو على النحوى المغربى ، له المصنفات الدالة على علمه وغزارة فهمه ، وأسند الحديث . توفى فى ربيع الأول منها ودفن بباب إبرز .

﴿ على بن أحمد التسترى ﴾

كان مقدم أهل البصرة فى المال والجاه ، وله مراكب تعمل فى البحر ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفرد برواية سنن أبى داود . توفى فى رجب منها .

﴿ يحيى بن إسماعيل الحسينى ﴾

كان فقيها على منهب زيد بن على بن الحسين ، وعنده معرفة بالأصول والحديث .

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة ﴾

فى المحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى ، غالبها أوانى الذهب والفضة ، وعلى أربع وسبعين بغلة مجللة بأنواع الديباج الملكى وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة ، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة ، فيها أنواع الجواهر والحلى ، وبين يدى البغال ثلاث وثلاثون فرسا عليها مراكب الذهب ، مرصعة بالجواهر ، ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكى عليه صفائح الذهب مرصع بالجوهر ، وبعث الخليفة لتلقيهم الوزير أباشجاع ، وبين يديه نحو من ثلاثمائة موكبية غير المشاعل لخدمة الست خاتون امرأة السلطان تركان خاتون ، حماة الخليفة ، وسألها أن تحمل الوديعة الشريفة إلى دار الخلافة ، فأجابت إلى ذلك ، فحضر الوزير نظام الملك وأعيان الأمراء وبين أيديهم من الشموع والمشاعل مالا يحصى ، وجاءت نساء الأميرات كل واحدة منهن فى جماعتها وجواريها ، وبين أيديهن الشموع والمشاعل ، ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان زوجة الخليفة بعد الجميع ، فى محفة مجللة ، وعليها من الذهب والجواهر مالا

تحصى قيمته ، وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية تركية ، بالمراكب المزينة العجيبة مما يبهرن الأبصار ، فدخلت دار الخلافة على هذه الصفة ، وقد زين الحريم الطاهر وأشعلت فيه الشموع ، وكانت ليلة مشهودة للخليفة ، هائلة جدا ، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان ومد سماطا لم ير مثله ، عم الحاضرين والغائبين ، وخلع على الخاتون زوجة السلطان أم العروس ، وكان أيضاً يوماً مشهودا ، وكان السلطان متغيباً فى الصيد ، ثم قدم بعد أيام ، وكان الدخول بها فى أول السنة ، ولدت من الخليفة فى ذى القعدة ولدا ذكرا زينت له بغداد . وفيها ولد للسلطان ملكشاه ولد سماه محمودا ، وهو الذى ملك بعده . وفيها جعل السلطان ولده أباشجاع أحمد ولى العهد من بعده ، ولقبه ملك الملوك ، عضد الدولة ، وتاج الملة ، عدة أمير المؤمنين ، وخطب له بذلك على المنابر ، ونثر الذهب على الخطباء عند ذكر اسمه . وفيها شرع فى بناء التاجية فى باب إبرز وعملت بستان وغرست النخيل والفواكه هنالك وعمل سور بأمر السلطان ، والله أعلم .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ إسماعيل بن إبراهيم ﴾

ابن موسى بن سعيد ، أبو القاسم النيسابورى ، رحل فى الحديث إلى الآفاق حتى جاوز ماوراء النهر ، وكان له حظ وافر فى الأدب ، ومعرفة العربية ، توفى بنيسابور فى جمادى الأولى منها .

﴿ طاهر بن الحسين البندنيجى ﴾

أبو الوفا الشاعر ، له قصيدتان فى مدح نظام الملك إحداهما معجمة والأخرى غير منقوطة ، أولها :

لاموا ولو علموا ما اللوم ما لاموا * ورد لومهم هم وآلام

توفى ببلده فى رمضان عن نيف وسبعين سنة .

﴿ محمد بن أمير المؤمنين المقتدى ﴾

عرض له جدرى فمات فيها وله تسع سنين ، فحزن عليه والده والناس ، وجلسوا للعزاء ، فأرسل إليهم يقول : إن لنا فى رسول الله أسوة حسنة ، حين توفى ابنه إبراهيم ، وقال الله تعالى (والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم عزم على الناس فانصرفوا .

﴿ محمد بن محمد بن زيد ﴾

ابن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، أبو الحسن الحسينى ، الملقب بالمرتضى ذى الشرفين ، ولد سنة خمس وأربعمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ بنفسه على الشيوخ ، وصحب الحافظ أبا بكر الخطيب ، فصارت له معرفة جيدة بالحديث ، وسمع عليه الخطيب شيئا من مروياته ، ثم انتقل إلى سمرقند وأملى الحديث بأصبهان وغيرها ، وكان يرجع إلى عقل كامل ، وفضل ومروءة ، وكانت له أموال جزيلة ، وأملاك متسعة ، ونعمة وافرة ، يقال إنه ملك

أربعين قرية ، وكان كثير الصدقة والبر والصلة للعلماء والفقراء ، و بلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار غير العشور ، وكان له بستان ليس لملك مثله ، فطلبه منه ملك ما وراء النهر ، واسمه الخضر بن إبراهيم ، عارية ليتنزه فيه ، فأبى عليه وقال : أعيره إياه ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين ؟ فأعرض عنه السلطان وحقد عليه ، ثم استدعاه إليه ليستشيره فى بعض الأمور على العادة ، فلما حصل عنده قبض عليه وسجنه فى قلعته ، واستحوذ على جميع أملاكه وحواصله وأمواله ، وكان يقول : ما تحققت صحة نسبى إلا فى هذه المصادرة : فإنى ربيت فى النعيم فكنت أقول : إن مثلى لا بد أن يبتلى ، ثم منعوه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله .

﴿ محمد بن هلال بن الحسن ﴾

أبو الحسن الصابى ، الملقب بغرس النعمة ، سمع أباه وابن شاذان ، وكانت له صدقة كثيرة ، ومعروف ، وقد ذيل على تاريخ أبيه الذى ذيله على تاريخ ثابت بن سنان ، الذى ذيله على تاريخ ابن جرير الطبرى ، وقد أنشأ دارا ببغداد ، ووقف فيها أربعة آلاف مجلد ، فى فنون من العلوم ، وترك حين مات سبعين ألف دينار ، ودفن بمشهد على .

﴿ هبة الله بن على ﴾

ابن محمد بن أحمد بن المجلى أبو نصر ، جمع خطباً ووعظاً ، وسمع الحديث على مشايخ عديدة ، وتوفى شابا قبل أوان الرواية .

﴿ أبو بكر بن عمر أمير الملثمين ﴾

كان فى أرض فرغانة ، اتفق له من الناموس مالم يتفق لغيره من الملوك ، كان يركب معه إذا سار لقتال عدو خمسمائة ألف مقاتل ، كان يعتقد طاعته ، وكان مع هذا يقيم الحدود ويحفظ محارم الاسلام ، ويحوط الدين ويسير فى الناس سيرة شرعية ، مع صحة اعتقاده ودينه ، وموالاة الدولة العباسية ، أصابته نشابة فى بعض غزواته فى حلقه فقتلته فى هذه السنة .

﴿ فاطمة بنت على ﴾

المؤدبة الكاتبة ، وتعرف ببنت الأقرع ، سمعت الحديث من أبى عمر بن مهدى وغيره ، وكانت تكتب المنسوب على طريقة ابن البواب ، ويكتب الناس عليها ، وبخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم ، وكتبت مرة إلى عميد الملك الكندى رقعة فأعطاها ألف دينار ، توفيت فى المحرم من هذه السنة ببغداد ، ودفنت بباب إبرز .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ﴾

فيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ببغداد ، وجرت خطوب كثيرة . وفى ربيع الأول أخرجت الأتراك من حريم الخلافة ، فكان فى ذلك قوة للخلافة . وفيها ملك مسعود بن

الملك المؤيد بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد غزنة بعد أبيه . وفيها فتح ملكشاه مدينة سمرقند . وحج بالناس الأمير خمارتكين .

وممن توفى فيها من الاعيان . ﴿ أحمد بن السلطان ملكشاه ﴾

وكان ولى عهد أبيه . توفى وعمره إحدى عشرة سنة ، فمكث الناس فى العزاء سبعة أيام لم يركب أحد فرساً ، والناس ينحن عليه فى الأسواق ، وسود أهل البلاد التى لأبيه أبوابهم .

﴿ عبد الله بن محمد ﴾

ابن على بن محمد ، أبو إسماعيل الأنصارى الهروى ، روى الحديث وصنف ، وكان كثير السهر بالليل ، وكانت وفاته بهراة فى ذى الحجة عن ست وثمانين سنة . وحج بالناس فيها الوزير أبو أحمد ، واستناب ولده أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة ﴾

فى المحرم درس أبو بكر الشاشى فى المدرسة التاجية بباب إبرز ، التى أنشأها الصاحب تاج الدين أبو الغنائم على الشافعية . وفيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ، ورفعوا المصاحف ، وجرت حروب طويلة ، وقتل فيها خلق كثير ، نقل ابن الجوزى فى المنتظم من خط ابن عقيل أنه قتل فى هذه السنة قريب من مائتى رجل ، قال : وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج النبى ﷺ ، فلعنة الله على من فعل ذلك من أهل الكرخ ، وإنما حكيت هذا ليعلم ما فى طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الاسلام وأهله ، ومن العداوة الباطنة الكامنة فى قلوبهم ، لله ولرسوله وشريعته . وفيها ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وطائفة كبيرة من تلك الناحية ، بعد حروب عظيمة ، ووقعات هائلة . وفيها استولى جيش المصريين على عدة بلاد من بلاد الشام . وفيها عمرت منارة جامع حلب . وفيها أرسلت الخاتون بنت السلطان امرأة الخليفة تشكو إلى أبيها إعراض الخليفة عنها ، فبعث إليها أبوها الطواشى صواب والأمير مران ليرجعاها إليه ، فأجاب الخليفة إلى ذلك ، وبعث معها بالنقيب وجماعة من أعيان الأمراء ، وخرج ابن الخليفة أبو الفضل والوزير فشيعاها إلى النهروان وذلك فى ربيع الأول ، فلما وصلت إلى عند أبيها توفيت فى شوال من هذه السنة ، بأصبهان ، فعمل عزاها ببغداد سبعة أيام ، وأرسل الخليفة إلى السلطان أميرين لتعزيته فيها . وحج بالناس خمارتكين .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ عبد الصمد بن أحمد بن على ﴾

المعروف بطاهر النيسابورى الحافظ ، رحل وسمع الكثير ، وخرج ، وعاجله الموت فى هذه السنة بهمذان وهو شاب . ﴿ على بن أبى يَعْلَى ﴾

أبو القاسم الدبوسى ، مدرس النظامية بعد المتولى ، سمع شيئا من الحديث ، وكان فقيها ماهرا ،

وجدلياً باهرا

﴿ عاصم بن الحسن ﴾

ابن محمد بن على بن عاصم بن مهران ، أبو الحسين العاصمى ، من أهل الكرخ ، سكن باب الشعير ولد سنة سبع وتسعين وثلثمائة ، وكان من أهل الفضل والأدب ، وسمع الحديث من الخطيب وغيره ، وكان ثقة حافظا ، ومن شعره قوله :

لهفى على قوم بكاظمة * ودعتهم والركب معترض
لم تترك العبرات مذ بعدوا * لى مقلة ترنو وتغتمض
رحلوا فدمعى واكف هطل * جار وقلبى حشوه مرض
وتعوضوا لا ذقت فقدهم * عنى ومالى عنهم عوض
أقرضتهم قلبى على ثقة * منهم فاردوا الذى اقترضوا

﴿ محمد بن أحمد بن حامد ﴾

ابن عبيد ، أبو جعفر البخارى المتكلم المعتزلى ، أقام ببغداد وتعرف بقاضى حلب ، وكان حنفى المذهب فى الفروع ، معتزليا فى الأصول ، مات ببغداد فى هذه السنة ، ودفن بباب حرب .

﴿ محمد بن أحمد بن عبد الله ﴾

ابن محمد بن إسماعيل الأصبهانى ، المعروف بسلرفة ، أحد الحفاظ الجوالين الرحالين ، سمع الكثير وجمع الكتب ، وأقام بهراة ، وكان صالحا كثير العبادة ، توفى بنيسابور فى ذى الحجة من هذه السنة والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ﴾

فى المحرم منها ورد إلى الفقيه أبى عبد الله الطبرى منشور نظام الملك بتدريس النظامية ، فدرس بها ، ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازى فى ربيع الآخر منها بمنشور بتدريسها فاتفق الحال على أن يدرس هذا يوما وهذا يوماً ، وفى جمادى الأولى دهم أهل البصرة رجل يقال له بليا ، كان ينظر فى النجوم ، فاستغوى خلقا من أهلها وزعم أنه المهدى ، وأحرق من البصرة شيئا كثيراً ، من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين لم ير فى الاسلام مثلها ، وأتلف شيئاً كثيراً من الدواليب والمصانع وغير ذلك . وفيها خلع على أبى القاسم طراد الزينبى بنقابة العباسيين بعد أبيه . وفيها استفتى على معلمى الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها ، فأفتوا بمنعهم ، ولم يُستَثنَ منهم سوى رجل كان فقيها شافعيا يدرى كيف تصان المساجد ، واستدل المفتى بقوله عليه الصلاة والسلام «سدوا كل خوخة الاخوخة أبى بكر » وحج بالناس خمار تكين على العادة .

ومن توفى فيها من الأعيان

﴿ الوزير أبو نصر بن جهير ﴾

ابن محمد بن محمد بن جهير عميد الدولة أحد مشاهير الوزراء ، وزر للقائم ، ثم لولده المقتدى ، ثم

عزل ملكشاه السلطان وولى ولده فخر الدولة ديار بكر وغيرها، مات بالموصل وهى بلده التى ولد بها وفيها كان مقتل صاحب اليمن الصليحى وقد تقدم ذكره .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة ﴾

فى المحرم منها كتب المنجم الذى أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوهم إلى طاعته، ويذكر فى كتابه أنه المهدى صاحب الزمان الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويهدى الخلق إلى الحق، فان أطعتم أمنتم من العذاب، وإن عدلتم خسف بكم، فآمنوا بالله وبالامام المهدى . وفيها ألزم أهل الذمة بلبس الغيار وبشد الزنار، وكذلك نساؤهم فى الحمامات وغيرها . وفى جمادى الأولى قدم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة . قال ابن الجوزى : وكان كلامه مقبولا، وذكاؤه شديدا . وفى رمضان منها عزل الوزير أبو شجاع عن وزارة الخلافة فأنشد عند عزله :

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد، فخرج منها إلى عدة أماكن، فلم تطب له، فعزم على الحج، ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه يسأله أن يكون عديله فى ذلك، وناب ابن الموصلايا فى الوزارة، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة فى أول هذه السنة . وفى رمضان منها دخل السلطان ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك، وقد خرج لتلقيه قاضى القضاة أبو بكر الشاشى، وابن الموصلايا المسلمانى، وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه، منهم أخوه تاج الدولة تتش صاحب دمشق، وإتابكه قسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب . وفى ذى القعدة خرج السلطان ملكشاه وابنه وابن ابنته من الخليفة فى خلق كثير من الكوفة . وفيها استوزر أبو منصور بن جهير وهى النوبة الثانية لوزارته للمقتدى، وخلع عليه، وركب إليه نظام الملك فهنأه فى داره بباب العامة، وفى ذى الحجة عمل السلطان الميلاد فى دجلة، وأشعلت نيران عظيمة، وأوقدت شموع كثيرة، وجمعت المطربات فى السمريات، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا، وقد نظم فيها الشعراء الشعر، فلما أصبح النهار من هذه الليلة جئ بالخبيث المنجم الذى حرق البصرة وادعى أنه المهدى، محمولا على جمل ببغداد وجعل يسب الناس والناس يلعنونه، وعلى رأسه طرطورة بودع، والدرة تأخذه من كل جانب، فطافوا به بغداد ثم صلب بعد ذلك . وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بعمارة جامعه المنسوب إليه بظاهر السور . وفى هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بعد صاحب بلاد المغرب كثيراً من بلاد الأندلس، وأسر صاحبها المعتمد بن عباد وسجنه وأهله، وقد كان المعتمد هذا موصوفا بالكرم والأدب والحلم، حسن السيرة والعشرة والاحسان إلى الرعية، والرفق بهم، فحزن الناس

عليه ، وقال فى مصابه الشعراء فأكثروا . وفيها ملكت الفرنج مدينة صقلّيّة من بلاد المغرب ، ومات ملكهم فقام ولده مقامه فسار فى الناس سيرة ملوك المسلمين ، حتى كأنه منهم ، لما ظهر منه من الاحسان إلى المسلمين . وفيها كانت زلازل كثيرة بالشام وغيرها ، فهدمت بنيانا كثيراً ، من جملة ذلك تسعون برجاً من سور إنطاكية ، وهلك تحت الهدم خلق كثير . وحج بالناس خمارتكين .

ومن توفى فيها من الأعيان. ﴿ عبد الرحمن بن أحمد ﴾

أبو طاهر ولد بأصبهان ، وتفقه بسمرقند ، وهو الذى كان سبب فتحها على يد السلطان ملك شاه ، وكان من رؤساء الشافعية ، وقد سمع الحديث الكثير . قال عبد الوهاب بن منده : لم نر فقيها فى وقتنا أنصف منه ، ولا أعلم . وكان فصيح اللهجة كثير المروءة غزير النعمة ، توفى ببغداد ، ومشى الوزراء والكبراء فى جنازته ، غير أن النظام ركب واعتذر بكبر سنه ، ودفن إلى جانب الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وجاء السلطان إلى التربة . قال ابن عقيل : جلست بكرة العزاء إلى جانب نظام الملك والملوك قيام بين يديه ، اجترأت على ذلك بالعلم . حكاه ابن الجوزى .

﴿ محمد بن أحمد بن على ﴾

أبو نصر المروزى ، كان إماماً فى القراءات ، وله فيها المصنفات ، وسافر فى ذلك كثيراً ، واتفق له أنه غرق فى البحر فى بعض أسفاره ، فبينما الموج يرفعه ويضعه إذ نظر إلى الشمس قد زالت ، فنوى الوضوء وانغمس فى الماء ثم صعد فاذا خشبة فركبها وصلى عليها ، ورزقه الله السلامة ببركة امتثاله للأمر ، واجتهاده على العمل ، وعاش بعد ذلك دهرا ، وتوفى فى هذه السنة ، وله نيف وتسعون سنة . ﴿ محمد بن عبد الله بن الحسن ﴾

أبو بكر الناصح الفقيه الحنفى المناظر المتكلم المعتزلى ، ولى القضاء بنيسابور ، ثم عزل لجنونه وكلامه وأخذه الرشا ، وولى قضاء الرى ، وقد سمع الحديث ، وكان من أكابر العلماء . توفى فى رجب منها . ﴿ أرتق بن ألب التركمانى ﴾

جد الملوك الارتقية الذين هم ملوك ماردين ، كان شهما شجاعا عالى الهمة ، تغلب على بلاد كثيرة وقد ترجمه ابن خلكان وأرخ وفاته بهذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة ﴾

فيها أمر السلطان ملكشاه ببناء سور سوق المدينة المعروفة بطغرلبك ، إلى جانب دار الملك ، وجدد خاناتها وأسواقها ودورها ، وأمر بتجديد الجامع الذى تم على يد هارون الخادم ، فى سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ووقف على نصب قبلته بنفسه ، ومنجمه إبراهيم حاضر ، ونقلت أخشاب جامع سامرا ، وشرع نظام الملك فى بناء دار له هائلة ، وكذلك تاج الملوك أبو الغنائم ، شرع فى بناء دار

هائلة أيضاً ، واستوطنوا بغداد . وفى جمادى الأولى وقع حريق عظيم ببغداد فى أماكن شتى ، فما طفىء حتى هلك للناس شىء كثير، فما عمروا بقدر ما حرق وما غرموا . وفى ربيع الأول خرج السلطان إلى أصبهان ، وفى صحبته ولد الخليفة أبوالفضل جعفر، ثم عاد إلى بغداد فى رمضان ، فبينما هو فى الطريق يوم عاشوراء عدا صبى من الديلم على الوزير نظام الملك ، بعد أن أفطر، فضربه بسكين فقضى عليه بعدساعة ، وأخذ الصبى الديلمى فقتل ، وقد كان من كبار الوزراء وخيار الأمراء وسنذكر شيئا من سيرته عند ذكر ترجمته ، وقدم السلطان بغداد فى رمضان بنية غير صالحة ، فلقاه الله فى نفسه ما تمناه لأعدائه ،وذلك أنه لما استقر ركابه ببغداد ، وجاء الناس للسلام عليه ، والتهنئة بقدومه ، وأرسل إليه الخليفة يهنئه ، فأرسل إلى الخليفة يقول له : لا بد أن تنزل لى عن بغداد ، وتتحول إلى أى البلاد شئت . فأرسل إليه الخليفة يستنظره شهراً ، فرد عليه : ولا ساعة واحدة ، فأرسل إليه يتوسل فى إنظاره عشرة أيام ، فأجاب إلى ذلك بعد تمنع شديد ، فما استتم الأجل حتى خرج السلطان يوم عيد الفطر إلى الصيد فأصابته حمى شديدة ، فافتصد فما قام منها حتى مات قبل العشرة أيام ولله الحمد والمنة . فاستحوذت زوجته زبيدة خاتون على الجيش ، وضبطت الأموال والأحوال جيدا ،وأرسلت إلى الخليفة تسأل منه أن يكون ولدها محمود ملكا بعد أبيه ، وأن يخطب له على المنابر ، فأجابها إلى ذلك ، وأرسل إليه بالخلع ، وبعث يعزيها ويهنئها مع وزيره عميد الدولة ابن جهير ، وكان عمر الملك محمود هذا يومئذ خمس سنين ، ثم أخذته والدته فى الجيوش وسارت به نحو أصبهان ليتوطد له الملك ، فدخلوها وتم لهم مرادهم ، وخطب لهذا الغلام فى البلدان حتى فى الحرمين ، واستوزر له تاج الملك أبا الغنائم المرزبان بن خسرو ، وأرسلت أمه إلى الخليفة تسأله أن تكون ولايات العمال إليه ، فامتنع الخليفة ووافقه الغزالى على ذلك ، وأفتى العلماء بجواز ذلك ، منهم المتطبب ابن محمد الحنفى ، فلم يعمل إلا بقول الغزالى ، وانحاز أكثر جيش السلطان إلى ابنه الآخر بركيارق فبايعوه وخطبوا له بالرى ، وانفردت الخاتون وولدها ومعهم شرذمة قليلة من الجيش والخاصكية ، فأنفقت فيهم ثلاثين ألف ألف دينار لقتال بركيارق بن ملكشاه ، فالتقوا فى ذى الحجة فكانت الخاتون هى المنهزمة ومعها ولدها.وفى صحيح البخارى « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . وفى ذى القعدة اعترضت بنو خفاجة للحجيج فقاتلهم من فى الحجيج من الجند مع الأمير خمارتكين ، فهزموهم ، ونهبت أموال الأعراب ولله الحمد والمنة . وفيها جاء بَرَدٌ شديد عظيم بالبصرة ، وزن الواحدة منها خمسة أرطال ، إلى ثلاثة عشر رطلا ،فأتلفت شيئا كثيراً من النخيل والأشجار ، وجاء ريح عاصف قاصف فألقى عشرات الألوف من النخيل ، فانا لله وإنا إليه راجعون (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وفيها ملك تاج الدولة تتش صاحب دمشق مدينة حمص ،

وقلعة غزنة ، وقلعة فاميه ، ومعه قسيم الدولة أقسنقر ، وكان السلطان قد جهز سرية إلى اليمن صحبة سعد كوهرائين الدولة وأمير آخر من التركمان ، فدخلاها وأساءا فيها السيرة فتوفى سعد كوهرائين يوم دخوله إليها فى مدينة عدن ولله الحمد والمنة .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ جعفر بن يحيى بن عبد الله ﴾

أبو الفضل التميمى ، المعروف بالحكاك المكى ، رحل فى طلب الحديث إلى الشام والعراق وأصبهان وغير ذلك من البلاد ، وسمع الكثير وخرّج الأجزاء ، وكان حافظا متقنا ، ضابطا أديباً ، ثقة صدوقا ، وكان يراسل صاحب مكة ، وكان من ذوى الهيئات والمروءات ، قارب الثمانين ، رحمه الله ا

﴿ نظام الملك الوزير ﴾

الحسن بن على بن إسحاق ، أبو على ، وزر للملك ألب أرسلان وولده ملكشاه تسعا وعشرين سنة ، كان من خيار الوزراء ، ولد بطوس سنة ثمان وأربعمائة ، وكان أبوه من أصحاب محمود بن سبكتكين ، وكان من الدهاقين ، فأشغل ولده هذا ، فقرأ القرآن وله إحدى عشرة سنة ، وأشغله بالعلم والقراءات والتفقه على مذهب الشافعى ، وسماع الحديث واللغة والنحو ، وكان عالى الهمة ، فحصل من ذلك طرفا صالحا ، ثم ترقى فى المراتب حتى وزر للسلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ثم من بعده لملكشاه تسعاً وعشرين سنة ، لم ينكب فى شىء منها ، و بنى المدارس النظامية ببغداد ونيسابور وغيرهما ، وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والعلماء ، بحيث يقضى معهم غالب نهاره ، فقيل له : إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح ، فقال : هؤلاء جمال الدنيا والآخرة ، ولو أجلستهم على رأسى لما استكثرت ذلك ، وكان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيرى وأبو المعالى الجوينى قام لهما وأجلسهما معه فى المقعد ، فاذا دخل أبو على الفارندى قام وأجلسه مكانه ، وجلس بين يديه ، فعوتب فى ذلك فقال : إنهما إذا دخلا على قال : أنت وأنت ، يطرونى و يعظمونى ، و يقولوا فىّ ما ليس فىّ ، فأزداد بهما ما هو مركوز فى نفس البشر ، و إذا دخل على أبو على الفارندى ذكرنى عيوبى وظلمى ، فأنكسر فأرجع عن كثير من الذى أنا فيه . وكان محافظا على الصلوات فى أوقاتها ، لا يشغله بعد الأذان شغل عنها وكان يواظب على صيام الاثنين والخميس ، وله الأوقاف الدارّة ، والصدقات البارة

وكان يعظم الصوفية تعظيما زائداً ، فعوتب فى ذلك ، فقال : بينما أنا أخدم بعض الملوك جاءنى يوما إنسان فقال لى : إلى متى أنت تخدم من تأكله الكلاب غداً ؟ اخدم من تنفعك خدمته ، ولا تخدم من تأكله الكلاب غداً . فلم أفهم مايقول ، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة فخرج فى أثناء الليل وهو ثمل ، وكانت له كلاب تفترس الغرباء بالليل ، فلم تعرفه فمزقته ، فأصبح وقد أكلته الكلاب ، قال : فأنا أطلب مثل ذلك الشيخ . وقد سمع الحديث فى أماكن شتى ببغداد وغيرها ،

وكان يقول : إنى لأعلم بأنى لست أهلا للرواية ولكنى أحب أن أربط فى قطار نقلة حديث رسول الله ﷺ ، وقال أيضاً : رأيت ليلة فى المنام إبليس فقلت له : ويحك خلقك الله وأمرك بالسجود له مشافهة فأبيت ، وأنا لم يأمرنى بالسجود له مشافهة وأنا أسجد له فى كل يوم مرات ، وأنشأ يقول :

من لم يكن للوصال أهلا * فكل إحسانه ذنوب

وقد أجلسه المقتدى مرة بين يديه وقال له : ياحسن ، رضى الله عنك برضا أمير المؤمنين عنك ، وقد ملك ألوفا من الترك ، وكان له بنون كثيرة ، وزر منهم خمسة ، وزر ابنه أحمد للسلطان محمد بن ملك شاه ، ولأمير المؤمنين المسترشد بالله ،

وخرج نظام الملك مع السلطان من أصبهان قاصداً بغداد فى مستهل رمضان من هذه السنة ، فلما كان اليوم العاشر اجتاز فى بعض طريقه بقرية بالقرب من نهاوند ، وهو يسايره فى محفة ، فقال : قد قتل ههنا خلق من الصحابة زمن عمر ، فطوبى لمن يكون عندهم ، فاتفق أنه لما أفطر جاءه صبى فى هيئة مستغيث به ومعه قصة ، فلما انتهى إليه ضربه بسكين فى فؤاده وهرب ، وعثر بطنب الخيمة فأخذ فقتل ، ومكث الوزير ساعة ، وجاءه السلطان يعوده فمات وهو عنده ، وقد اتهم السلطان فى أمره أنه هو الذى مالأ عليه ، فلم تطل مدته بعده سوى خمسة وثلاثين يوما ، وكان فى ذلك عبرة لأولى الألباب . وكان قد عزم على إخراج الخليفة أيضاً من بغداد ، فما تم له ماعزم عليه ، ولما بلغ أهل بغداد موت النظام حزنوا عليه ، وجلس الوزير والرؤساء للعزاء ثلاثة أيام ، ورثاه الشعراء بقصائد ، منهم مقاتل بن عطية فقال :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الأيام قيمتها * فردها غيرة منه إلى الصدف

وأثنى عليه غير واحد حتى ابن عقيل وابن الجوزى وغيرهما رحمه الله .

﴿ عبد الباقى بن محمد بن الحسين ﴾

ابن داود بن ياقيا ، أبو القاسم الشاعر ، من أهل الحريم الظاهرى ، ولد سنة عشر وأربعمائة ، وكان ماهرا ، وقد رماه بعضهم باعتقاد الأوائل ، وأنكر أن يكون فى السماء نهر من ماء أو نهر من لبن ، أو نهر من خمر ، أو نهر من عسل ، يعنى فى الجنة ، وما سقط من ذلك قطرة إلى الأرض إلا هذا الذى هو يخرب البيوت ويهدم الحيطان والسقوف ، وهذا الكلام كفر من قائله ، نقله عنه ابن الجوزى فى المنتظم ، وحكى بعضهم أنه وجد فى كفنه مكتوبا حين مات هذين البيتين .

نزلت بجار لا يخيب ضيفه * أرجى نجاتى من عذاب جهنم

وإنى على خوفى من الله واثق * بانعامه والله أكرم منعم

﴿ مالك بن أحمد بن على ﴾

ابن إبراهيم ، أبو عبد الله البانياسى الشامى ، وقد كان له اسم آخر سمته به أمه «على أبو الحسن» فغلب عليه ما سماه به أبوه ، وما كناه به ، سمع الحديث على مشايخ كثيرة ، وهو آخر من حدث عن أبى الحسن بن الصلت ، هلك فى حريق سوق الريحانيين ، وله ثمانون سنة، كان ثقة عند المحدثين .

﴿ السلطان ملكشاه ﴾

جلال الدين والدولة ، أبو الفتح ملكشاه ، ابن أبى شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق تقاق التركى ، ملك بعد أبيه وامتدت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن ، وراسله الملوك من سائر الأقاليم ، حتى ملك الروم والخزر واللان ، وكانت دولته صارمة ، والطرقات فى أيامه آمنة ، وكان مع عظمته يقف للمسكين والضعيف ، والمرأة ، فيقضى حوائجهم ، وقد عمر العمارات الهائلة ، وبنى القناطر، وأسقط المكوس والضرائب ، وحفر الأنهار الكبار ، وبنى مدرسة أبى حنيفة والسوق ، وبنى الجامع الذى يقال له جامع السلطان ببغداد ، وبنى منارة القرون من صيوده بالكوفة ، ومثلها فيما وراء النهر ، وضبط ماصاده بنفسه فى صيوده فكان ذلك نحواً من عشرة آلاف صيد ، فتصدق بعشرة آلاف درهم ، وقال : إنى خائف من الله تعالى أن أكون أزهقت نفس حيوان لغير مأكله ، وقد كانت له أفعال حسنة ، وسيرة صالحة ، من ذلك أن فلاحا أنهى إليه أن غلمانا له أخذوا له حمل بطيخ ، ففتشوا فاذا فى خيمة الحاجب بطيخ فحملوه إليه ، ثم استدعى بالحاجب فقال : من أين لك هذا البطيخ ؟ قال: جاء به الغلمان ، فقال: أحضرهم ، فذهب وأمرهم بالهرب فأحضره وسلمه للفلاح ، وقال : خذ بيده فانه مملوكى ومملوك أبى ، وإياك أن تفارقه ، ثم رد على الفلاح الحمل البطيخ ، فخرج الفلاح يحمله وبيده الحاجب ، فاستنقذ الحاجب نفسه من الفلاح بثلاثمائة دينار. ولما توجه لقتال أخيه تتش اجتاز بطوس فدخلها لزيارة قبر على بن موسى الرضى، ومعه نظام الملك ، فلما خرجا قال للنظام : بم دعوت الله ؟ قال : دعوت الله أن يظفرك على أخيك . قال : لكنى قلت اللهم إن كان أخى أصلح للمسلمين فظفره بى ، وإن كنت أنا أصلح لهم فظفرنى به ، وقد سار بعسكره من أصبهان إلى أنطاكية فما عرف أن أحدا من جيشه ظلم أحدا من الرعية ، وكانوا مئين ألوف ، واستعدى إليه مرة تركمانى أن رجلا افتض بكارة ابنته وهو يريد أن يمكنه من قتله، فقال له : ياهذا إن ابنتك لو شاءت ما مكنته من نفسها ، فان كنت لابد فاعلا فاقتلها معه ، فسكت الرجل، فقال له الملك : أو تفعل خيراً من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : فان بكارتها قد ذهبت ، فزوجها من ذلك الرجل وأنا أمهرها من بيت المال كفايتهما ، ففعل . وحكى له بعض الوعاظ أن كسرى اجتاز يوماً فى بعض أسفاره بقرية وكان منفرداً من جيشه ، فوقف على باب دار فاستسقى فأخرجت إليه جارية إناء

فيه ماء قصب السكر بالثلج ، فشرب منه فأعجبه فقال : كيف تصنعون هذا ؟ فقالت : إنه سهل علينا اعتصاره على أيدينا ، فطلب منها شربة أخرى فذهبت لتأتيه بها فوقع فى نفسه أن يأخذ هذا المكان منهم ويعوضهم عنه غيره ، فأبطأت عليه ثم خرجت وليس معها شئ ، فقال : مالك ؟ فقالت : كأن نية سلطاننا تغيرت علينا ، فتعسر على اعتصاره ـ وهى لا تعرف أنه السلطان ـ فقال : اذهبى فانك الآن تقدرين عليه ، وغير نيته إلى غيرها ، فذهبت وجاءته بشربة أخرى سريعاً فشربها وانصرف . فقال له السلطان : هذه تصلح لى ولكن قص على الرعية أيضاً حكاية كسرى الأخرى حين اجتاز ببستان وقد أصابته صفراء فى رأسه وعطش ، فطلب من ناطوره عنقودا من حصرم، فقال له الناطور : إن السلطان لم يأخذ حقه منه ، فلا أقدر أن أعطيك منه شيئا . قال : فعجب الناس من ذكاء الملك وحسن استحضاره هذه فى مقابلة تلك. واستعداه رجلان من الفلاحين على الأمير خمارتكين أنه أخذ منهما مالا جزيلا وكسر ثنيتيهما ، وقالا : سمعنا بعدلك فى العالم ، فان أقدتنا منه كما أمرك الله وإلا استعدينا عليك الله يوم القيامة ، وأخذا بركابه ، فنزل عن فرسه وقال لهما : خذا بكمى واسحبانى إلى دار نظام الملك ، فهابا ذلك ، فعزم عليهما أن يفعلا ، ففعلا ما أمرهما به ، فلما بلغ النظام مجئ السلطان إليه خرج مسرعاً فقال له الملك : إنى إنما قلدتك الأمر لتنصف المظلوم ممن ظلمه، فكتب من فوره فعزل خمارتكين وحل أقطاعه ، وأن يرد إليهما أموالهما ، وأن يقلعا ثنيتيه إن قامت عليه البينة وأمر لهما الملك من عنده بمائة دينار ، وأسقط مرة بعض المكوس ، فقال له رجل من المستوفين : يا سلطان العالم ، إن هذا الذى أسقطته يعدل ستمائة ألف دينار وأكثر، فقال : ويحك إن المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والبلاد بلاده، وإنما أردت أن يبقى هذا لى عند الله ، ومن نازعنى فى هذا ضربت عنقه . وغنته امرأة حسناء فطرب وتاقت نفسه إليها ، فهم بها فقالت : أيها الملك إنى أغار على هذا الوجه الجميل من النار ، وبين الحلال والحرام كلمة واحدة ، فاستدعى القاضى فزوجه بها .

وقد ذكر ابن الجوزى عن ابن عقيل أن السلطان ملك شاه كان قد فسدت عقيدته بسبب معاشرته لبعض الباطنية ثم تنصل من ذلك وراجع الحق . وذكر ابن عقيل أنه كتب له شيئا فى إثبات الصانع ، وقد ذكرنا أنه لما رجع آخر مرة إلى بغداد فعزم على الخليفة أن يخرج منها ، فاستنظره عشرة أيام فمرض السلطان ومات قبل انقضاء العشرة أيام ، وكانت وفاته فى ليلة الجمعة النصف من شوال عن سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر ، وكان مدة ملكه من ذلك تسع عشرة سنة وأشهرا ، ودفن بالشونيزى ، ولم يصل عليه أحد لكتمان الأمر ، وكان مرضه بالحمى ، وقيل إنه سم ، والله أعلم .

﴿ بانى التاجية ببغداد ﴾

المرزبان بن خسرو ، تاج الملك ، الوزير أبو الغنائم بانى التاجية ، وكان مدرسها أبو بكر الشاشى وبنى تربة الشيخ أبى إسحاق ،وقد كان السلطان ملكشاه أراد أن يستوزره بعد نظام الملك فمات سريعاً ، فاستوزر لولده محمود ، فلما قهره أخوه بركيارق قتله غلمان النظام وقطعوه إربا إربا فى ذى الحجة من هذه السنة . ﴿ هبة الله بن عبد الوارث ﴾

ابن على بن أحمد نورى، أبو القاسم الشيرازى ، أحد الرحالين الجوالين فى الآفاق ، كان حافظاً ثقة ديناً ورعا ، حسن الاعتقاد والسيرة ، له تاريخ حسن ، ورحل إليه الطلبة من بغداد وغيرها والله أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة ﴾

فيها قدم إلى بغداد رجل يقال له أردشير بن منصور أبو الحسين العبادى ، مرجعه من الحج ، فنزل النظامية فوعظ الناس وحضر مجلسه الغزالى مدرس المكان ، فازدحم الناس فى مجلسه ، وكثروا فى المجالس بعد ذلك ، وترك كثير من الناس معايشهم ،وكان يحضر مجلسه فى بعض الاحيان أكثر من ثلاثين ألفاً من الرجال والنساء ، وتاب كثير من الناس ولزموا المساجد ، وأريقت الخمور وكسرت الملاهى ، وكان الرجل فى نفسه صالحاً ،له عبادات ،وفيه زهد وافر ، وله أحوال صالحة ، وكان الناس يزدحمون على فضل وضوئه ، وربما أخذوا من البركة التى يتوضأ منها ماء للبركة ، ونقل ابن الجوزى أنه اشتهى مرة على بعض أصحابه توتا شامياً وثلجاً فطاف البلد بكماله فلم يجده ، فرجع فوجد الشيخ فى خلوته فسأل هل جاء اليوم إلى الشيخ أحد؟ فقيل له جاءت امرأة فقالت إنى غزلت بيدى غزلا وبعته وأنا أحب أن أشترى للشيخ طرفة فامتنع من ذلك فبكت فرحمها ، وقال : اذهبى فاشترى ، فقالت ماذا تشتهى ؟ فقال : ماشئت ، فذهبت فأتته بتوت شامى وثلج فأكله . وقال بعضهم : دخلت عليه وهو يشرب مرقا فقلت فى نفسى : ليته أعطانى فضله لأشرب به لحفظ القرآن فناولنى فضله فقال : اشربها على تلك النية ، قال : فرزقنى الله حفظ القرآن . وكانت له عبادات ومجاهدات ، ثم اتفق أنه تكلم فى بيع القراضة بالصحيح فمنع من الجلوس وأخرج من البلد .

وفيها خطب تتش بن ألب أرسلان لنفسه بالسلطنة ، وطلب من الخليفة أن يخطب له بالعراق فحصل التوقف عن ذلك بسبب أخيه بركيارق بن ملكشاه ، فسار إلى الرحبة وفى صحبته وطاعته أقسنقر صاحب حلب ، وبوران صاحب الرها ، ففتح الرحبة ، ثم سار إلى الموصل فأخذها من يد صاحبها إبراهيم بن قريش بن بدران ، وهزم جيوشه من بنى عقيل ، وقتل خلقا من الامراء صبراً ، وكذلك أخذ ديار بكر ، واستوزر الكافى بن فخر الدولة بن جهير ، وكذلك أخذ همدان وخلاط ،وفتح أذربيجان واستفحل أمره ، ثم فارقه الأميران أقسنقر وبوران فسارا إلى الملك بركيارق وبقى تتش

وحده ،فطمع فيه أخوه بركيارق فرجع تتش فلحقه قسيم الدولة اقسنقر وبوران بباب حلب فكسرهما وأسر بوران واقسنقر فصلبهما و بعث برأس بوران فطيف به حران والرها وملكها من بعده .
وفيها وقعت الفتنة بين الروافض والسنة ، وانتشرت بينهم شرور كثيرة ، وفى ثانى شعبان ولد للخليفة ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبى العباس ، أحمد بن المستظهر ، ففرح الخليفة به وفى ذى القعدة دخل السلطان بركيارق بغداد ، وخرج إليه الوزير أبو منصور بن جهير ، وهنأه عن الخليفة بالقدوم . وفيها أخذ المستنصر العبيدى مدينة صور من أرض الشام . ولم يحج فيها أحد من أهل العراق .

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ جعفر بن المقتدى بالله ﴾

من الخاتون بنت السلطان ملكشاه ، فى جمادى الأولى ، وجلس الوزير للعزاء والدولة ثلاثة أيام .

﴿ سليمان بن إبراهيم ﴾

ابن محمد بن سليمان ، أبو مسعود الأصبهانى ، سمع الكثير وصنف وخرّج على الصحيحين ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، سمع ابن مردويه وأبا نعيم والبرقانى ، وكتب عن الخطيب وغيره ، توفى فى ذى القعدة عن تسع وثمانين سنة .

﴿ عبد الواحد بن أحمد بن المحسن ﴾

الدشكرى ، أبو سعد الفقيه الشافعى ، صحب أبا إسحاق الشيرازى ، وروى الحديث ، وكان مؤلفاً لأهل العلم ، وكان يقول : مامشى قدمى هاتين فى لذة قط ، توفى فى رجب منها ودفن بباب حرب

﴿ على بن أحمد بن يوسف ﴾

أبو الحسن الهكارى ، قدم بغداد ونزل برباط الدورى ، وكانت له أربطة قد أنشأها ، سمع الحديث وروى عنه غير واحد من الحفاظ ، وكان يقول : رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فى الروضة فقلت : يارسول الله أوصنى ، فقال : عليك باعتقاد أحمد بن حنبل ، ومذهب الشافعى ، وإياك ومجالسة أهل البدع . توفى فى المحرم منها .

﴿ على بن محمد بن محمد ﴾

أبو الحسن الخطيب الأنبارى ، ويعرف بابن الأخضر ، سمع أبا محمد الرضى ، وهو آخر من حدث عنه ، توفى فى شوال منها عن خمس وتسعين سنة :

﴿ أبو نصر على بن هبة الله المعروف بابن ما كولا ﴾

[ولد سنة ثنتين وأربعمائة ، وسمع الكثير وكان من الحفاظ ، وله كتاب الاكمال فى المؤتلف والمختلف ، جمع بين كتاب عبد الغنى وكتاب الدارقطنى وغيرهما ، وزاد عليهما أشياء كثيرة ، مهمة حسنة مفيدة نافعة ، وكان نحويا مبرزاً ، فصيح العبارة حسن الشعر . قال ابن الجوزى : وسمعت

شيخنا عبد الوهاب يطعن فى دينه ويقول : المعلم يحتاج إلى دين . وقتل فى خوزستان فى هذه السنة أو التى بعدها ، وقدجاوز الثمانين . كذا ذكره ابن الجوزى] [١] .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة ﴾

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدى وخلافة ولده المستظهر بالله .

﴿ صفة موته ﴾

لما قدم السلطان بركيارق بغداد ، سأل من الخليفة أن يكتب له بالسلطنة كتابا فيه العهد إليه فكتب ذلك ، وهيئت الخلع وعرضت على الخليفة ، وكان الكتاب يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم ثم قدم إليه الطعام فتناول منه على العادة وهو فى غاية الصحة ، ثم غسل يده وجلس ينظر فى العهد بعد ما وقع عليه ، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار ، قالت : فنظر إلى وقال : من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن ؟ قالت : فالتفت فلم أر أحدا ، ورأيته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه ، وانحلت قواه ، وسقط إلى الأرض . قالت : فظننت أنه غشى عليه ، فحللت أزرار ثيابه فاذا هو لا يجيب داعيا ، فأغلقت عليه الباب وخرجت فأعلمت ولى العهد بذلك ، وجاء الأمراء ورؤس الدولة يعزونه بأبيه ، ويهنئونه بالخلافة ، فبايعوه .

﴿ ذكر شىء من ترجمة المقتدى بأمر الله ﴾

هو أمير المؤمنين المقتدى بالله ، أبو عبد الله بن الذخيرة ، الأمير ولى العهد أبى العباس أحمد ، ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، بن القادر بالله العباسى ، أمه أم ولد اسمها أرجوان أرمنية ، أدركت خلافة ولدها وخلافة ولده المستظهر وولد ولده المسترشد أيضاً ، وكان المقتدى أبيض حلو الشمائل ، عمرت فى أيامه محال كثيرة من بغداد ، ونفى عن بغداد المغنيات وأرباب الملاهى والمعاصى ، وكان غيوراً على حريم الناس ، آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر ، حسن السيرة ، رحمه الله ، توفى يوم الجمعة رابع عشر المحرم من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمان شهور وتسعة أيام ، خلافته من ذلك تسع عشرة سنة وثمان شهور إلا يومين ، وأخفى موته ثلاثة أيام حتى توطدت البيعة لابنه المستظهر ، ثم صلى عليه ودفن فى تربتهم والله أعلم .

﴿ خلافة المستظهر بأمر الله أبى العباس ﴾

لما توفى أبوه يوم الجمعة أحضروه وله من العمر ست عشرة سنة وشهران ، فبويع بالخلافة ، وأول من بايعه الوزير أبو منصور ابن جهير ، ثم أخذ البيعة له من الملك ركن الدولة بركيارق بن ملكشاه ثم من بقية الأمراء والرؤساء ، وتمت البيعة تؤخذ له إلى ثلاثة أيام ، ثم أظهر التابوت يوم

(١) زيادة من المصرية .

الثلاثاء الثامن عشر من المحرم ، وصلى عليه ولده الخليفة ، وحضر الناس ، ولم يحضر السلطان ، وحضر أكثر أمرائه ، وحضر الغزالى والشاشى وابن عقيل ، وبايعوه يوم ذلك ، وقد كان المستظهر كريم الأخلاق حافظا للقرآن فصيحاً بليغا شاعرا مطيقا ، ومن لطيف شعره قوله :

أذاب حر الجوى فى القلب ما جمدا * يوماً مددت على رسم الوداع يدا
فكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق من يهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به * من بعد ما قد وفى دهرا بما وعدا
إن كنت أنقض عهد الحب فى خلدى * من بعد هذا فلا عاينته أبدا

وفوض المستظهر أمور الخلافة إلى وزيره أبى منصور عميد الدولة بن جهير ، فدبرها أحسن تدبير ، ومهد الأمور أتم تمهيد ، وساس الرعايا ، وكان من خيار الوزراء . وفى ثالث عشر شعبان عزل الخليفة أبا بكر الشاشى عن القضاء ، وفوضه إلى أبى الحسن ابن الدامغانى . وفيها وقعت فتنة بين السنة والروافض فأحرقت محال كثيرة ، وقتل ناس كثير ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولم يحج أحد لاختلاف السلاطين . وكانت الخطبة للسلطان بركيارق ركن الدولة يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم وهو اليوم الذى توفى فيه الخليفة المقتدى بعد ما علّم على توقيعه .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ آقسنقر الأتابك ﴾

الملقب قسيم الدولة السلجوقى ، ويعرف بالحاجب ، صاحب حلب وديار بكر والجزيرة . وهو جد الملك نور الدين الشهيد بن زنكى بن أقسنقر ، كان أولا من أخص أصحاب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى ، ثم ترقت منزلته عنده حتى أعطاه حلب وأعمالها باشارة الوزير نظام الملك وكان من أحسن الملوك سيرة وأجودهم سريرة ، وكانت الرعية معه فى أمن ورخص وعدل ، ثم كان موته على يد السلطان تاج الدولة تتش صاحب دمشق ، وذلك أنه استعان به وبصاحب حران والرها على قتال ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه ، ففرا عنه وتركاه ، فهرب إلى دمشق ، فلما تمكن ورجعا قاتلهما بباب حلب فقتلهما وأخذ بلادهما إلا حلب فانها استقرت لولد آقسنقر زنكى فيما بعد ، وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة كما سيأتى بيانه . وذكر ابن خلكان أنه كان مملوكا للسلطان ملكشاه ، هو وبوزان صاحب الرها ، فلما ملك تتش حلب استنابه بها فعصى عليه فقصده وكان قد ملك دمشق أيضاً فقاتله فقتله فى هذه السنة فى جمادى الأولى منها ، فلما قتل دفنه ولده عماد الدين زنكى ، وهو أبو نور الدين ، فقبره بحلب أدخله ولده إليها من فوق الصور ، فدفنه بها .

﴿ أمير الجيوش بدر الجمالى ﴾

صاحب جيوش مصر ومدبر الممالك الفاطمية ، كان عاقلا كريما محباً للعلماء ، ولهم عليه رسوم دارة

تمكن فى أيام المستنصر تمكنا عظيما ، ودارت أزمة الأمو ر على آرائه ، وفتح بلادا كثيرة ، وامتدت أيامه و بعد صيته وامتدحته الشعراء . ثم كانت وفاته فى ذى القعدة منها ، وقام بالأمر من بعده ولده الأفضل

﴿ الخليفة المقتدى ﴾

وقد تقدم شئ من ترجمته .

﴿ الخليفة المستنصر الفاطمى ﴾

سعد أبو تميم معد بن أبى الحسن على بن الحاكم ، استمرت أيامه ستين سنة ، ولم يتفق هذا لخليفة قبله ولا بعده ، وكان قد عهد بالأمر إلى ولده نزار ، فخلعه الأفضل بن بدر الجمالى بعد موت أبيه . وأمر الناس فبايعوا أحمد بن المستنصر أخاه ، ولقبه بالمستعلى ، فهرب نزار إلى الاسكندرية فجمع الناس عليه فبايعوه ، وتولى أمره قاضى الاسكندرية : جلال الدولة بن عمار ، فقصده الأفضل فحاصره وقاتلهم نزار وهزمهم الأفضل وأسر القاضى ونزار ، فقتل القاضى وحبس نزار بين حيطين حتى مات ، واستقر المستعلى فى الخلافة ، وعمره إحدى وعشرون سنة .

﴿ محمد بن أبى هاشم ﴾

أمير مكة ، كانت وفاته فيها عن نيف وتسعين سنة .

﴿ محمود بن السلطان ملكشاه ﴾

كانت أمه قد عقدت له الملك ، وأنفقت بسببه الأموال ، فقاتله بركيارق فكسره ، ولزم بلده أصبهان ، فمات بها فى هذه السنة ، وحمل إلى بغداد فدفن بها بالتربة النظامية ، كان من أحسن الناس وجها ، وأظرفهم شكلا ، توفى فى شوال منها ، وماتت أمه الخاتون تركيان شاه فى رمضان ، فانحل نظامه ، وكانت قد جمعت عليه العساكر ، وأسندت أزمة أمور المملكة إليه ، وملكت عشرة آلاف مملوك تركى ، وأنفقت فى ذلك قريباً من ثلاثة آلاف ألف دينار ، فانحل النظام ولم تحصل على طائل ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ﴾

فيها قدم يوسف بن أبق التركمانى من جهة تتش صاحب دمشق إلى بغداد لأجل إقامة الدعوى له ببغداد ، وكان تتش قد توجه لقتال أخيه بناحية الرى ، فلما دخل رسوله بغداد هابوه وخافوه واستدعاه الخليفة فقربه وقبل الأرض بين يدى الخليفة ، وتأهب أهل بغداد له ، وخافوا أن ينهبهم ، فبينما هو كذلك إذ قدم عليه رسول أخيه فأخبره أن تتش قتل فى أول من قتل فى الوقعة ، وكانت وفاته فى سابع عشر صفر من هذه السنة ، فاستفحل أمر بركيارق ، واستقل بالأمور . وكان دقاق بن تتش مع أبيه حين قتل ، فسار إلى دمشق فملكها ، وكان نائب أبيه عليها الأمير ساوتكين ،

واستوزر أبا القاسم الخوارزمى ، وملك عبد الله بن تتش مدينة حلب ، ودبر أمر مملكته جناح الدولة ابن اتكين ، ورضوان بن تتش صاحب مدينة حماه ، وإليه تنسب بنو رضوان بها . وفى يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها خطب لولى العهد أبى المنصور الفضل بن المستظهر ، ولقب بذخيرة الدين . وفى ربيع الآخر خرج الوزير ابن جهير فاختط سورا على الحريم ، وأذن للعوام فى العمل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة ، وسخافات عقول ضعيفة ، وعملوا أشياء منكرة ، فبعث إليه ابن عقيل رقعة فيها كلام غليظ ، وإنكار بغيض . وفى رمضان خرج السلطان بركيارق فعدا عليه فداوى ، فلم يتمكن منه ، فمسك فعوقب فأقر على آخرين فلم يقرا فقتل الثلاثة . وجاء الطواشى من جهة الخليفة مهنئا له بالسلامة . وفى ذى القعدة منها خرج أبو حامد الغزالى من بغداد متوجها إلى بيت المقدس تاركا لتدريس النظامية ، زاهدا فى الدنيا ، لابساً خشن الثياب بعد ناعمها ، وناب عنه أخوه فى التدريس ثم حج فى السنة التالية ثم رجع إلى بلده ، وقد صنف كتاب الإحياء فى هذه المدة ، وكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم فى الرباط فيسمعونه . وفى يوم عرفة خلع على القاضى أبى الفرج عبد الرحمن بن هبة الله بن البستى ، ولقب بشرف القضاة ، ورد إلى ولاية القضاء بالحريم وغيره . وفيها اصطلح أهل الكرخ من الرافضة والسنة مع بقية المحال ، وتزاوروا وتواصلوا وتواكلوا ، وكان هذا من العجائب ، وفيها قتل أحمد بن خاقان صاحب سمرقند ، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق وولى مكانه ابن عمه مسعود . وفيها دخل الأتراك إفريقية وغدروا بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، وقبضوا عليه ، وملكوا بلاده وقتلوا خلقا ، بعد ما جرت بينه وبينهم حروب شديدة ، وكان مقدمهم رجل يقال له شاه ملك ، وكان من أولاد بعض أمراء المشرق ، فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب ، ومعه جماعة ففعل ما ذكر . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن أحمد بن خيرون ﴾

أبو الفضل المعروف بابن الباقلانى ، سمع الكثير ، وكتب عنه الخطيب ، وكانت له معرفة جيدة ، وهو من الثقات ، وقبله الدامغانى ، ثم صار أمينا له ، ثم ولى إشراف خزانة الغلات . توفى فى رجب عن ثلثين وثمانين سنة . ﴿ تتش أبو المظفر ﴾

تاج الدولة بن ألب أرسلان ، صاحب دمشق وغيرها من البلاد ، وقد تزوج امرأة على ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه ، ولكن قدر الله وماتت ، وقد قال المتنبى :

ولله سر فى علاك وإنما * كلام العدى ضرب من الهذيان

قال ابن خلكان : كان صاحب البلاد الشرقية فاستنجده أتسز فى محاربة أمير الجيوش من جهة صاحب مصر ، فلما قدم دمشق لنجدته وخرج إليه أتسز ، أمر بمسكه وقتله ، واستحوذ هو على دمشق .

وأعمالها فى سنة إحدى وسبعين ، ثم حارب أتسز فقتله ، ثم تحارب هو وأخوه بركيارق ببلاد الرى ، فكسره أخوه وقتل هو فى المعركة ، وتملك ابنه رضوان حلب ، و إليه تنسب بنو رضوان بها ، وكان ملكه عليها إلى سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، سمته أمه فى عنقود عنب ، فقام من بعده ولده تاج الملك بورى أربع سنين ، ثم ابنه الآخر شمس الملك إسماعيل ثلاث سنين ، ثم قتلته أمه أيضا ، وهى زمرد خاتون بنت جاولى ، وأجلست أخاه شهاب الدين محمود بن بورى ، فمكث أربع سنين ، ثم ملك أخوه محمد بن بورى طغركين سنة ، ثم تملك مخير الدين أتق من سنة أربع وثلاثين إلى أن انتزع الملك منه نور الدين محمود زنكى كما سيأتى . وكان إتابك العساكر بدمشق أيام أتق معين الدين ، الذى تنسب إليه المعينية بالغور ، والمدرسة المعينية بدمشق .

﴿ رزق الله بن عبد الوهاب ﴾

ابن عبد العزيز أبو محمد التميمى أحد أئمة القراء والفقهاء على مذهب أحمد ، وأئمة الحديث ، وكان له مجلس للوعظ ، وحلقة للفتوى بجامع المنصور ، ثم بجامع القصر ، وكان حسن الشكل محببًا إلى العامة له شعر حسن ، وكان كثير العبادة ، فصيح العبارة ، حسن المناظرة . وقد روى عن آبائه حديثا مسلسلا عن على بن أبى طالب أنه قال : هتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل . وقد كان ذا وجاهة عند الخليفة ، يفد فى مهام الرسائل إلى السلطان . توفى يوم الثلاثاء النصف من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بداره بباب المراتب باذن الخليفة ، وصلى عليه ابنه أبو الفضل

﴿ أبو يوسف القزوينى ﴾

عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار الشيخ ، شيخ المعتزلة ، قرأ على عبد الجبار بن أحمد الهمدانى ، ورحل إلى مصر ، وأقام بها أربعين سنة ، وحصل كتباً كثيرة ، وصنف تفسيراً فى سبعمائة مجلد . قال ابن الجوزى : جمع فيه العجب ، وتكلم على قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) فى مجلد كامل . وقال ابن عقيل : كان طويل اللسان بالعلم تارة ، وبالشعر أخرى ، وقد سمع الحديث من أبى عمر بن مهدى وغيره ، ومات ببغداد عن ست وتسعين سنة . وما تزوج إلا فى آخر عمره .

﴿ أبو شجاع الوزير ﴾

محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم ، أبو شجاع ، الملقب ظهير الدين ، الروذراورى الأصل الأهوازى المولد ، كان من خيار الوزراء كثير الصدقة والاحسان إلى العلماء والفقهاء ، وسمع الحديث من الشيخ أبى إسحاق الشيرازى وغيره ، وصنف كتباً ، منها كتابه الذى ذيله على تجارب الأمم . ووزر للخليفة المقتدى وكان يملك ستمائة ألف دينار ، فأنفقها فى سبيل الخيرات والصدقات ، ووقف الوقوف الحسنة ، وبنى المشاهد ، وأكثر الانعام على الأرامل والأيتام . قال

له رجل : إلى جانبنا أرملة لها أربعة أولاد وهم عراة وجياع ، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعاماً ، ونزع عنه ثيابه فى البرد الشديد ، وقال : والله لا ألبسها حتى ترجع إلى بخبرهم ، فذهب الرجل مسرعا بما أرسله على يديه إليهم ، ثم رجع إليه فأخبره أنهم فرحوا بذلك ودعوا للوزير، فسر بذلك ولبس ثيابه . وجئ إليه مرة بقطائف سكرية فلما وضعت بين يديه تنغص عليه بمن لا يقدر عليها ، فأرسلها كلها إلى المساجد ، وكانت كثيرة جدا ، فأطعمها الفقراء والعميان وكان لا يجلس فى الديوان إلا وعنده الفقهاء ، فاذا وقع له أمر مشكل سألهم عنه فحكم بما يفتونه ، وكان كثير التواضع مع الناس ، خاصتهم وعامتهم ، ثم عزل عن الوزارة فسار إلى الحج وجاور بالمدينة ثم مرض ، فلما ثقل فى المرض جاء إلى الحجرة النبوية فقال : يارسول الله قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وها أنا قدجئتك أستغفر الله من ذنوبى وأرجو شفاعتك يوم القيامة ، ثم مات من يومه ذلك رحمه الله ، ودفن فى البقيع .

﴿ القاضى أبو بكر الشاشى ﴾

محمد بن المظفر بن بكران الحموى أبو بكر الشاشى ، ولد سنة أربعمائة ، وتفقه ببلده ، ثم حج فى سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وقدم بغداد فتفقه على أبى الطيب الطبرى وسمع بها الحديث ، وشهد عند ابن الدامغانى فقبله ، ولازم مسجده خمسا وخمسين سنة ، يقرئ الناس ويفقههم ، ولما مات الدامغانى أشار به أبو شجاع الوزير فولاه الخليفة المقتدى القضاء ، وكان من أنزه الناس وأعفهم ، لم يقبل من سلطان عطية ، ولا من صاحب هدية ، ولم يغير ملبسه ولا مأكله ، ولم يأخذ على القضاء أجراً ولم يستنب أحدا ، بل كان يباشر القضاء بنفسه ، ولم يحاب مخلوقا ، وقد كان يضرب بعض المنكرين حيث لا بينة ، إذا قامت عنده قرائن التهمة ، حتى يقرُّوا ، ويذكر أن فى كلام الشافعى ما يدل على هذا . وقد صنف كتابا فى ذلك ، ونصره ابن عقيل فيما كان يتعاطاه من الحكم بالقرائن ، واستشهد له بقوله تعالى (إن كان قميصه قد من قبل) الآية . وشهد عنده رجل من كبار الفقهاء والمناظرين يقال له المشطب بن أحمد بن أسامة الفرغانى ، فلم يقبله ، لما رأى عليه من الحرير وخاتم الذهب ، فقال له المدعى : إن السلطان ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير والذهب ، فقال القاضى الشاشى : والله لو شهدا عندى على باقة بقلة ما قبلتهما ، ولرددت شهادتهما . وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه فلم يقبله ، فقال : لأى شئ ترد شهادتى وهى جائزة عند كل حاكم إلا أنت ؟ فقال له : لا أقبل لك شهادة ، فانى رأيتك تغتسل فى الحمام عريانا غير مستور العورة ، فلا أقبلك . توفى يوم الثلاثاء عاشر شعبان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بالقرب من ابن شريح .

﴿ أبو عبد الله الحميدى ﴾

محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن حميد ، الأندلسى ، من جزيرة يقال لها برقة قريبة من الأندلس ، قدم بغداد فسمع بها الحديث ، وكان حافظا مكثرا أديباً ماهرا ، عفيفا نزهاً ، وهو صاحب الجمع بين الصحيحين ، وله غير ذلك من المصنفات ، وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب ، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى الحجة ، وقد جاوز التسعين ، وقبره قريب من قبر بشر الحافى ببغداد .

﴿ هبة الله ابن الشيخ أبى الوفا بن عقيل ﴾

كان قد حفظ القرآن وتفقه وظهر منه نجابة ، ثم مرض فأنفق عليه أبوه أموالا جزيلة فلم يفد شيئا فقال له ابنه ذات يوم : يا أبت إنك قد أكثرت الأدوية والأدعية ، ولله فىّ اختيار فدعنى واختيار الله فى ، قال أبوه : فعلمت أنه لم يوفق لهذا الكلام إلا وقد اختير للحظوة والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة ﴾

قال ابن الجوزى فى المنتظم : فى هذه السنة حكم جهلة المنجمين أنه سيكون فى هذه السنة طوفان قريب من طوفان نوح ، وشاع الكلام بذلك بين العوام وخافوا ، فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عشبون المنجم فسأله عن هذا الكلام فقال : إن طوفان نوح كان فى زمن اجتمع فى بحر الحوت الطوالع السبعة ، والآن فقد اجتمع فيه ستة ولم يجتمع معها زحل ، فلا بد من وقوع طوفان فى بعض البلاد ، والأقرب أنها بغداد . فتقدم الخليفة إلى وزيره باصلاح المسيلات والمواضع التى يخشى انفجار الماء منها ، وجعل الناس ينتظرون ، فجاء الخبر بأن الحجاج حصلوا بوادى المناقب بعد نخلة فأتاهم سيل عظيم ، فما نجا منهم إلا من تعلق برؤس الجبال ، وأخذ الماء الجمال والرجال والرحال ، فخلع الخليفة على ذلك المنجم وأجرى له جارية . وفيها ملك الأمير قوام الدولة أبو سعيد كرتوقا مدينة الموصل ، وقتل شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش ، وغرقه بعد حصار تسعة أشهر . وفيها ملك تميم بن المعز المغربى مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمر ، فقال خطيب سوسة فى ذلك أبياتاً .

ضحك الزمان وكان يلقى عابساً * لما فتحت بحد سيفك قابسا

وأتيتها بكرا وما أمهرتها * إلا قنا وصوارما وفوارساً

الله يعلم ما جنيت ثمارها * إلا وكان أبوك قبلا غارساً

من كان فى زرق الأسنة خاطباً * كانت له قلل البلاد عرائسا

وفى صفر منها درس الشيخ أبو عبد الله الطبرى بالنظامية ، ولاه إياها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق . وفيها أغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن مزيد بن منصور بن دبيس وقصدوا مشهد الحسين بالحائر ، وتظاهروا فيه بالمنكرات والفساد ، فكبسهم فيه الأمير صدقة المذكور ،

فقتل منهم خلقا كثيرا عنـد الضريح . ومن العجائب أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور فسلم وسلمت فرسه . وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسنانى .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله ﴾

أخو أبى حكيم الخيرى ، وخير : إحدى بلاد فارس ، سمع الحديث وتفقه على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة ، وله مصنفات ، وكان مرضى الطريقة ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده واستند وقال : والله لئن كان هذا موتا إنه لطيب ، ثم مات .

﴿ عبد المحسن بن على بن أحمد الشنجى ﴾

التاجر ، ويعرف بابن شهداء مكة ، بغدادى ، سمع الحديث الكثير ، ورحل وأكثر عن الخطيب وهو بصور ، وهو الذى حمله إلى العراق ، فلهذا أهدى إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطه ، وقد روى عنه فى مصنفاته ، وكان يسميه عبدالله ، وكان ثقة .

﴿ عبد الملك بن إبراهيم ﴾

ابن أحمد أبو الفضل المعروف بالهمدانى ، تفقه على الماوردى ، وكانت له يد طولى فى العلوم الشرعية والحساب وغير ذلك ، وكان يحفظ غريب الحديث لأبى عبيد والمجمل لابن فارس ، وكان عفيفا زاهدا ، طلبه المقتدى ليوليه قاضى القضاة فأبى أشد الاباء ، واعتذر له بالعجز وعلو السن ، وكان ظريفا لطيفا ، كان يقول : كان أبى إذا أراد أن يؤدبنى أخذ العصا بيده ثم يقول : نويت أن أضرب ولدى تأديبا كما أمر الله ، ثم يضربنى . قال : وإلى أن ينوى ويتمم النية كنت أهرب . توفى فى رجب منها ودفن عند قبر ابن شريح . ﴿ محمد بن أحمد بن عبد الباقى بن منصور ﴾

أبو بكر الدقاق ، ويعرف بابن الخاضبة ، كان معروفاً بالافادة وجودة القراءة وحسن الخط وصحة النقل ، جمع بين علم القراءات والحديث ، وأكثر عن الخطيب وأصحاب المخلص . قال : لما غرقت بغداد غرقت دارى وكتبى فلم يبق لى شئ ، فاحتجت إلى النسخ فكتبت صحيح مسلم فى تلك السنة سبع مرات ، فنمت فرأيت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت وقائل يقول أين ابن الخاضبة ؟ فجئت فأدخلت الجنة فلما دخلتها استلقيت على قفاى ووضعت إحدى رجلى على الأخرى وقلت : استرحت من النسخ ، ثم استيقظت والقلم فى يدى والنسخ بين يدى .

﴿ أبو المظفر السمعانى ﴾

منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفر السمعانى ، الحافظ ، من أهل مرو ، تفقه أولا على أبيه فى مذهب أبى حنيفة ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعى فأخذ عن أبى إسحاق وابن

الصباغ ، وكانت له يد طولى فى فنون كثيرة ، وصنف التفسير وكتاب الانتصار فى الحديث ، والبرهان والقواطع فى أصول الفقه ، والاصطلام وغير ذلك ، ووعظ فى مدينة نيسابور ، وكان يقول : ما حفظت شيئا فنسيته ، وسئل عن أخبار الصفات فقال : عليكم بدين العجائز وصبيان الكتاتيب ، وسئل عن الاستواء فقال :

جئتمانى لتعلما سر سعدى * تجدانى بسر سعدى شحيحا
إن سعدى لمنية المتمنى * جمعت عفة ووجها صبيحا

توفى فى ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن فى مقبرة مرو رحمه الله تعالى و إيانا آمين .

﴿ ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة من الهجرة ﴾

فيها كان ابتداء ملك الخوارزمية ، وذلك أن السلطان بركيارق ملك فيها بلاد خراسان بعد مقتل عمه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان وسلمها إلى أخيه المعروف بالملك سنجر ، وجعل إتابكه الأمير قماج ، ووزيره أبو الفتح على بن الحسين الطغرائى ، واستعمل على خراسان الأمير حبشى بن البرشاق ، فولى مدينة خوارزم شابا يقال له محمد بن أنوشتكين ، وكان أبوه من أمراء السلاجقة ، ونشأ هو فى أدب وفضيلة وحسن سيرة ، ولما ولى مدينة خوارزم لقب خوارزم شاه ، وكان أول ملوكهم ، فأحسن السيرة وعامل الناس بالجميل ، وكذلك ولده من بعده اتشز جرى على سيرة أبيه ، وأظهر العدل ، فحظى عند السلطان سنجر وأحبه الناس ، وارتفعت منزلته . وفيها خطب الملك رضوان ابن تاج الملك تتش للخليفة الفاطمى المستعلى ، وفى شوال قتل رجل باطنى عند باب النوبى كان قد شهد عليه عدلان أحدهما ابن عقيل أنه دعاهما إلى مذهبه فجعل يقول أتقتلوننى وأنا أقول لا إله إلا الله ؟ فقال ابن عقيل قال الله تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآية وما بعدها ، وفى رمضان منها قتل برشو أحد أكابر الأمراء وكان أول من تولى شحنة بغداد . وحج بالناس فيها خمارتكين الحسنانى ، وفى يوم عاشوراء كبست دار بهاء الدولة أبو نصر بن جلال الدولة أبى طاهر ابن بويه لأمور ثبتت عليه عند القاضى فأريق دمه ونقضت داره وعمل مكانها مسجدان للحنفية والشافعية ، وقد كان السلطان ملكشاه قد أقطعه المدائن ودير قول وغيرهما .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسن ﴾

ابن على بن زكريا بن دينار ، أبو يعلى العبدى البصرى ، ويعرف بابن الصواف ، ولد سنة أربعمائة ، وسمع الحديث ، وكان زاهدا متصوفا ، وفقيهاً مدرساً ، ذا سمت ووقار ، وسكينة ودين ، وكان علامة فى عشرة علوم ، توفى فى رمضان منها عن تسعين سنة رحمه الله .

﴿ المعمر بن محمد ﴾

ابن المعمر بن أحمد بن محمد، أبو الغنائم الحسينى ، سمع الحديث ، وكان حسن الصورة كريم الأخلاق كثير التعبد ، لا يعرف أنه آذى مسلما ولا شتم صاحباً . توفى عن نيف وستين سنة ، وكان نقيباً ثنتين وثلاثين سنة ، وكان من سادات قريش ، وتولى بعده ولده أبو الفتوح حيدرة ، ولقب بالرضى ذى الفخرين ، ورثاه الشعراء بأبيات ذكرها ابن الجوزى .

﴿ يحيى بن أحمد بن محمد بن على البستى ﴾

سمع الحديث ورحل فيه ، وكان ثقة صالحا صدوقا أديباً ، عمر مائة سنة وثنتى عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وهو مع ذلك صحيح الحواس ، يقرأ عليه القرآن والحديث، رحمه الله وإيانا آمين .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ﴾

فى جمادى الأولى منها ملك الافرنج مدينة إنطاكية بعد حصار شديد ، بمواطأة بعض المستحفظين على بعض الأبراج ، وهرب صاحبها ياغيسيان فى نفر يسير ، وترك بها أهله وماله ، ثم إنه ندم فى أثناء الطريق ندما شديدا على ما فعل ، بحيث إنه غشى عليه وسقط عن فرسه ، فذهب أصحابه وتركوه ، فجاء راعى غنم فقطع رأسه وذهب به إلى ملك الفرنج ، ولما بلغ الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل جمع عساكر كثيرة ، واجتمع عليه دقاق صاحب دمشق ، وجناح الدولة صاحب حمص ، وغيرهما ، وسار إلى الفرنج فالتقوا معهم بأرض إنطاكية فهزمهم الفرنج وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وأخذوا منهم أموالا جزيلة ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم صارت الفرنج إلى معرة النعمان فأخذوها بعد حصار فلا حول ولا قوة إلا بالله . ولما بلغ هذا الأمر الفظيع إلى الملك بركيارق شق عليه ذلك وكتب إلى الأمراء ببغداد أن يتجهزوا هم والوزير ابن جهير ، لقتال الفرنج ، فبرز بعض الجيش إلى ظاهر البلد بالجانب الغربى ثم انفسخت هذه العزيمة لأنهم بلغهم أن الفرنج فى ألف ألف مقاتل فلا حول ولا قوة إلا بالله . وحج بالناس فيها خمارتكين .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ طراد بن محمد بن على ﴾

ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الامام بن محمد بن على بن عباس ، أبو الفوارس بن أبى الحسن بن أبى القاسم بن أبى تمام ، من ولد زيد ابن بنت سليمان بن على بن عبد الله بن عباس ، وهى أم ولده عبد الله بن محمد بن إبراهيم الامام بن محمد بن عبد الله بن عباس ، سمع الحديث الكثير ، والكتب الكبار ، وتفرد بالرواية عن جماعة ، ورحل إليه من الآفاق وأملى الحديث فى بلدان شتى ، وكان يحضر مجلسه العلماء والسادات وحضر أبو عبد الله الدامغانى مجلسه ، وباشر نقابة الطالبيين مدة طويلة ، وتوفى عن نيف وتسعين سنة ، ودفن

في مقابر الشهداء رحمه الله ﴿ المظفر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم ﴾
ابن المسلمة كانت داره مجمعاً لأهل العلم والدين والأدب ، وبها توفى الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، ودفن عند الشيخ أبي إسحاق في تربته .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ﴾ ـ وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس

لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ، أخذت الفرنج لعنهم الله بيت المقدس شرفه الله ، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل ، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين ، وجاسوا خلال الديار ، وتبروا ماعلوا تتبيرا . قال ابن الجوزى : وأخذوا من حول الصخرة اثنين وأربعين قنديلا من فضة ، زنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا تنوراً من فضة زنته أربعون رطلا بالشامى ، وثلاثة وعشرين قنديلا من ذهب ، وذهب الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان ، منهم القاضى أبو سعد الهروى ، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا ، وقد نظم أبو سعد الهروى كلاما قرىء في الديوان وعلى المنابر ، فارتفع بكاء الناس ، وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد ، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس فلم يفد ذلك شيئا ، فانا لله و إنا إليه راجعون ، فقال في ذلك أبو المظفر الأبيوردى شعراً :

مزجنا دمانا بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر سلاح المرء دمع يريقه * إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فأيها بنى الاسلام إن وراءكم * وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تنام العين ملء جفونها * على هفوات أيقظت كل نائم
و إخوانكم بالشام يضحى مقيلهم * ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

ومنها قوله :

و بين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سَلَلْنَ بأيدى المشركين قواضبا * ستغمد منهم في الكلى و الجماجم
يكاد لهن المستجير بطيبة * ينادى بأعلا الصوت يا آل هاشم
أرى أمتى لا يشرعون إلى العدا * رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم

أيرضى صناديد الأعاريب بالأذى * ويغضى على ذل كماة الأعاجم
فليتهمو إذ لم يذودوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
و إن زهدوا فى الأجر إذ حمس الوغى * فهلا أتوه رغبة فى المغانم

وفيها كان ابتداء أمر السلطان محمد بن ملكشاه ، وهو أخو السلطان سنجر لأبيه وأمه ، واستفحل إلى أن خطب له ببغداد فى ذى الحجة من هذه السنة . وفيها سار إلى الرى فوجد زبيدة خاتون أم أخيه بركيارق فأمر بخنقها ، وكان عمرها إذ ذاك ثنتين وأربعين سنة ، فى ذى الحجة منها وكانت له مع بركيارق خمس وقعات هائلة . وفيها غلت الأسعار جدا ببغداد ، حتى مات كثير من الناس جوعا ، وأصابهم وباء شديد حتى عجزوا عن دفن الموتى من كثرتهم .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ السلطان إبراهيم بن السلطان محمود ﴾

ابن مسعود بن السلطان محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة وأطراف الهند ، وعدا ذلك ، كانت له حرمة وأبهة عظيمة ، وهيبة وافرة جدا ، حكى الكيا الهراسى حين بعثه السلطان بركيارق فى رسالته إليه عما شاهده عنده من أمور السلطنة فى ملبسه ومجلسه ، وما رأى عنده من الأموال والسعادة الدنيوية ، قال : رأيت شيئا عجيباً ، وقد وعظه بحديث « لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير من هذا » فبكى . قال : وكان لا يبنى لنفسه منزلا إلا بنى قبله مسجداً أو مدرسة أو رباطا . توفى فى رجب منها وقد جاوز التسعين ، وكانت مدة ملكه منها ثنتين وأربعين سنة .

﴿ عبد الباقى بن يوسف ﴾

ابن على بن صالح ، أبو تراب البراعى ، ولد سنة إحدى وأربعمائة وتفقه على أبى الطيب الطبرى وسمع الحديث عليه وعلى غيره ، ثم أقام بنيسابور ، وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والملح ، وكان صبوراً متقللا من الدنيا ، على طريقة السلف ، جاءه منشور بقضاء همدان فقال : أنا منتظر منشوراً من الله عز وجل ، على يدى ملك الموت بالقدوم عليه ، والله لجلوس ساعة فى هذه المسلة على راحة القلب أحب إلى من ملك العراقين ، وتعليم مسألة لطالب أحب إلى مما على الأرض من شئ ، والله لا أفلح قلب يعلق بالدنيا وأهلها ، و إنما العلم دليل ، فمن لم يدله علمه على الزهد فى الدنيا وأهلها لم يحصل على طائل من العلم ، ولو علم ماعلم ، فانما ذلك ظاهر من العلم ، والعلم النافع وراء ذلك ، والله لو قطعت يدى ورجلى وقلعت عينى أحب إلى من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة ، وما هو شبب فوز المتقين ، وسعادة المؤمنين . توفى رحمه الله فى ذى القعدة من هذه السنة عن ثلاث وتسعين سنة رحمه الله آمين .

﴿ أبو القاسم ابن إمام الحرمين ﴾

قتله بعض الباطنية بنيسابور رحمه الله ورحم أباه .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ﴾

فى صفر منها دخل السلطان بركيارق إلى بغداد، ونزل بدار الملك، وأعيدت له الخطبة، وقطعت خطبة أخيه محمد، و بعث إليه الخليفة هدية هائلة، وفرح به العوام والنساء، ولكنه فى ضيق من أمر أخيه محمد، لاقبال الدولة عليه، واجتماعهم إليه، وقلة ما معه من الأموال، ومطالبة الجند له بأرزاقهم، فعزم على مصادرة الوزير ابن جهير، فالتجأ إلى الخليفة فمنعه من ذلك، ثم اتفق الحال على المصالحة عنه بمائة ألف وستين ألف دينار، ثم سار فالتقى هو وأخوه محمد بمكان قريب من همدان فهزمه أخوه محمد ونجاهو بنفسه فى خمسين فارساً، وقتل فى هذه الوقعة سعد الدولة جوهر آيين الخادم، وكان قديم الهجرة فى الدولة، وقد ولى شحنة بغداد، وكان حليما حسن السيرة، لم يتعمد ظلم أحد ولم ير خادم ما رأى، من الحشمة والحرمة وكثرة الخدم، وقد كان يكثر الصلاة بالليل، ولا يجلس إلا على وضوء، و لم يمرض مدة حياته ولم يصدع قط، ولما جرى ما جرى فى هذه الوقعة ضعف أمر السلطان بركيارق، ثم تراجع إليه جيشه وانضاف إليه الأمير داود فى عشرين ألفا، فالتقى هو وأخوه مع أخيه سنجر فهزمهم سنجر أيضاً وهرب فى شرذمة قليلة، وأسر الأمير داود فقتله الأمير برغش أحد أمراء سنجر، فضعف بركيارق وتفرقت عنه رجاله، وقطعت خطبته من بغداد فى رابع عشر رجب وأعيدت خطبة السلطان محمد. وفى رمضان منها قبض على الوزير عميد الدولة بن جهير، وعلى أخويه زعيم الرؤساء أبى القاسم، وأبى البركات الملقب بالكافى، وأخذت منهم أموال كثيرة، وحبس بدار الخلافة حتى مات فى شوال منها. وفى ليلة السابع والعشرين منه قتل الأمير بلكابك سرمز رئيس شحنة أصبهان، ضربه باطنى بسكين فى خاصرته وقد كان يتحرز منهم كثيرا، وكان يدرع تحت ثيابه سوى هذه الليلة، ومات من أولاده فى هذه الليلة جماعة، خرج من داره خمس جنائز من صبيحتها. وفيها أقبل ملك الفرنج فى ثلاثمائة ألف مقاتل فالتقى معه ستكين ابن انشمند طايلو، إنابك دمشق الذى يقال له أمين الدولة، واقف الأمينية بدمشق و ببصرى، لا التى ببعلبك، فهزم الأفرنج وقتل منهم خلقا كثيرا، بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف، وأكثرهم جرحى - يعنى الثلاثة آلاف - وذلك فى ذى القعدة منها، ولحقهم إلى ملطية فملكها وأسر ملكها ولله الحمد. وحج بالناس الأمير التونتاش التركى وكان شافعى المذهب.

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الرزاق الغزنوى الصوفى ﴾

شيخ رباط عتاب، حج مرات على التجريد، مات وله نحو مائة سنة، ولم يترك كفنا، وقد قالت له امرأته لما احتضر: ستفتضح اليوم. قال: لم؟ قالت له: لأنه لا يوجد لك كفن، فقال لها: لو تركت كفنا لا فتضحت، وعكسه أبو الحسن البسطامى شيخ رباط ابن المحلبان، كان لا يلبس إلا الصوف

شتاء وصيفا ، ويظهر الزهد ، وحين توفى وجد له أربعة آلاف دينار مدفونة ، فتعجب الناس من حاليهما فرحم الله الأول وسامح الثانى .

﴿ الوزير عميد الدولة بن جهير ﴾

محمد بن أبى نصر بن محمد بن جهير الوزير ، أبو منصور ، كان أحد رؤساء الوزراء ، خدم ثلاثة من الخلفاء ، ووزر لاثنين منهم ، وكان حليما قليل العجلة ، غير أنه كان يتكلم فيه بسبب الكبر ، وقد ولى الوزارة مرات ، يعزل ثم يعاد ، ثم كان آخرها هذه المرة حبس بدار الخلافة فلم يخرج من السجن إلا ميتا ، فى شوال منها .

﴿ ابن جزلة الطبيب ﴾

يحيى بن عيسى بن جزلة صاحب المنهاج فى الطب ، كان نصرانيا ثم كان يتردد إلى الشيخ أبى على بن الوليد المغربى يشتغل عليه فى المنطق ، وكان أبو على يدعوه إلى الاسلام ويوضح له الدلالات حتى أسلم وحسن إسلامه ، واستخلفه الدامغانى فى كتب السجلات ، ثم كان يطبب الناس بعد ذلك بلا أجر ، وربما ركب لهم الأدوية من ماله تبرعا ، وقد أوصى بكتبه أن تكون وقفا بمشهد أبى حنيفة رحمه الله وإيانا آمين ،

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة ﴾

فيها عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية فقتل السلطان منهم خلقا كثيراً ، وأبيحت ديارهم وأموالهم للعامة ، ونودى فيهم إن كل من قدرتم عليه منهم فاقتلوه وخذوا ماله ، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة ، وأول قلعة ملكوها فى سنة ثلاث وثمانين ، وكان الذى ملكها الحسن بن صباح ، أحد دعاتهم ، وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين بها ، ثم صار إلى تلك النواحى ببلاد أصبهان ، وكان لا يدعو إليه من الناس إلا غبياً جاهلا ، لا يعرف يمينه من شماله ، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز ، حتى يحرق مزاجه ويفسد دماغه ، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت ، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال ، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم الذى أوجبه الله لهم ورسوله ، ثم يقول له فاذا كانت الخوارج تقاتل بنى أمية لعلى ، فأنت أحق أن تقاتل فى نصرة إمامك على بن أبى طالب ، ولا يزال يسقيه العسل وأمثاله ويرقيه حتى يستجيب له ويصير أطوع له من أمه وأبيه ، ويظهر له أشياء من المخرقة والتيرنجيات والحيل التى لا تروج إلا على الجهال ، حتى التف عليه بشر كثير ، وجم غفير ، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يتهدده وينهاه عن ذلك ، وبعث إليه بفتاوى العلماء ، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب : إنى أريد أن أرسل منكم رسولا إلى مولاه ، فاشرأبت وجوه الحاضرين ، ثم قال لشاب منهم : اقتل نفسك ، فأخرج سكينا

فضرب بها غلصمته فسقط ميتا ، وقال لآخر منهم : ألق نفسك من هذا الموضع ، فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها فتقطع . ثم قال لرسول السلطان · هذا الجواب. فمنها امتنع السلطان من مراسلته . هكذا ذكره ابن الجوزى ، وسيأتى ما جرى للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس وما جرى له مع سنان صاحب الايوان مثل هذا إن شاء الله تعالى .

[وفى شهر رمضان أمر الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وأن لا يُبيض وأن يصلى فيه التراويح وأن يجهر بالبسملة ، وأن يمنع النساء من الخروج ليلا للفرجة . وفى أول هذه السنة دخل السلطان بركيارق إلى بغداد فخطب له بها ثم لحقه أخواه محمد وسنجر فدخلاها وهو مريض فعبرا فى الجانب الغربى فقطعت خطبته وخطب لهما بها ، وهرب بركيارق إلى واسط ، ونهب جيشه ما اجتازوا به من البلاد والأراضى ، فنهاه بعض العلماء عن ذلك ووعظه فلم يفد شيئا . وفى هذه السنة ملكت الفرنج قلاعا كثيرة منها : قيسارية وسروج ، وسار ملك الفرنج كندر ـ وهو الذى أخذ بيت المقدس ـ إلى عكا لحاصرها فجاءه سهم فى عنقه فمات من فوره لعنه الله .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن عبد الواحد بن الصباح ، أبو منصور ، سمع الحديث وتفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى ثم على ابن عمه أبى نصر بن الصباح ، وكان فقيها فاضلا كثير الصلاة يصوم الدهر ، وقد ولى القضاء بربع الكرخ والحسبة بالجانب الغربى .

﴿ عبد الله بن الحسن ﴾

ابن أبى منصور أبو محمد الطبسى ، رحل إلى الآفاق وجمع وصنف ، وكان أحد الحفاظ المكثرين ثقة صدوقا عالما بالحديث ورعا حسن الخلق .

﴿ عبد الرحمن بن أحمد ﴾

ابن محمد أبو محمد الرزاز السرخسى ، نزل مرو وسمع الحديث وأملى ورحل إليه العلماء ، وكان حافظا لمذهب الشافعى متدينا ورعا ، رحمه الله .

﴿ عزيز بن عبد الملك ﴾

منصور أبو المعالى الجيلى القاضى الملقب سيدله ، كان شافعيا فى الفروع أشعريا فى الأصول ، وكان حاكما بباب الأزج ، وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شنآن كبير ، سمع رجلا ينادى على حمار له ضائع فقال : يدخل باب الأزج ويأخذ بيد من شاء . وقال يوما للنقيب طراد الزينبى : لو حلف إنسان أنه لا يرى إنسانا فرأى أهل باب الأزج لم يحنث . فقال له الشريف : من عاشر قوما أربعين يوما فهو منهم . ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيرا .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن عبد الباقى بن الحسن بن محمد بن طوق ، أبو الفضائل الربعى الموصلى ، تفقه على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وسمع من القاضى أبى الطيب الطبرى ، وكان ثقة صالحا كتب الكثير .

﴿ محمد بن الحسن ﴾

أبو عبد الله المرادى ، نزل أوان وكان مقرئا فقيها صالحا ، له كرامات ومكاشفات ، أخذ عن القاضى أبى يعلى بن الفراء الحديث وغيره . قال ابن الجوزى : بلغنى أن ابنا له صغيراً طلب منه غزالا وألح عليه ، فقال له : يا بنى غدا يأتيك غزال . فلما كان الغد أتت غزال فصارت تنطح الباب بقرنيها حتى فتحته ، فقال له أبوه : يا بنى أتتك الغزال .

﴿ محمد بن على بن عبيد الله ﴾

ابن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ، أبو نصر الموصل القاضى ، قدم بغداد سنة ثلاث وتسعين ، وحدث عن عمه بالأربعين الودعانية ، وقد سرقها عمه أبو الفتح بن ودعان من زيد بن رفاعة الهاشمى ، فركب لها أسانيد إلى من بعد زيد بن رفاعة ، وهى موضوعة كلها ، وإن كان فى بعضها معانى صحيحة والله أعلم .

﴿ محمد بن منصور ﴾

أبو سعد المستوفى شرف الملك الخوارزمى ، جليل القدر ، وكان متعصبا لأصحاب أبى حنيفة ، ووقف لهم مدرسة بمرو ، ووقف فيها كتبا كثيرة ، وبنى مدرسة ببغداد عند باب الطاق ، وبنى القبة على قبر أبى حنيفة ، وبنى أربطة فى المفاوز ، وعمل خيرا كثيراً ، وكان من آكل الناس مأكلا ومشربا ، وأحسنهم ملبسا ، وأكثرهم مالا ، ثم نزل العمالة بعد هذا كله ، وأقبل على العبادة والاشتغال بنفسه إلى أن مات .

﴿ محمد بن منصور القسرى ﴾

المعروف بعميد خراسان ، قدم بغداد أيام طغرلبك وحدث عن أبى حفص عمر بن أحمد بن مسرور ، وكان كثير الرغبة فى الخير ، وقف بمرو مدرسة على أبى بكر بن أبى المظفر السمعانى وورثته . قال ابن الجوزى : فهم يتولونها إلى الآن ، وبنى بنيسابور مدرسة ، وفيها تربته . وكانت وفاته فى شوال من هذه السنة .

﴿ نصر بن أحمد ﴾

ابن عبد الله بن البطران الخطابى البزار القارئ . ولد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وسمع الكثير وتفرد عن ابن رزقويه وغيره ، وطال عمره ، ورحل إليه من الآفاق ، وكان صحيح السماع] [1] .

(١) زيادة من المصرية .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة ﴾

فى ثالث المحرم منها قبض على أبى الحسن علـى بن محمد المعروف بالـكيا المراسى ، وعزل عن تدريس النظامية ، وذلك أنه رماه بعضهم عند السلطان بأنه باطنى ، فشهد له جماعة من العلماء ـ منهم ابن عقيل ـ ببراءته من ذلك ، وجاءت الرسالة من دار الخلافة يوم الثلاثاء بخلاصه . وفيها فى يوم الثلاثاء الحادى عشر من المحرم جلس الخليفـة المستظهر بدار الخلافـة وعلى كتفيه البردة والقضيب بيده ، وجاء الملكان الأخوان محمد وسنجر أبناء ملكشاه ، فقبـلا الأرض وخلع عليهما الخلع السلطانية ، على محمد سيفا وطوقا وسوار لؤلؤ وأفراساً من مراكبه ، وعلى سنجر دون ذلك ، وولى السلطان محمد الملك ، واستنابه فى جميع ما يتعلق بأمر الخلافة ، دون ما أغلق عليه الخليفة بابه ، ثم خرج السلطان محمد فى تاسع عشر الشهر فأرجف الناس ، وخرج بركيارق فأقبل السلطان محمد فالتقوا وجرت حروب كثيرة وانهزم محمد وجرى عليه مكروه شـديد ، كما سيأتى بيانه . وفى رجب منها قبـل القاضى أبو الحسن ابن الدامغانى شهادة أبى الحسين وأبى حازم ابنى القاضى أبى يعلى ابن الفراء . وفيها قدم عيسى بن عبد الله القونوى فوعظ الناس وكان شافعياً أشعريا ، فوقعت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد . وفيها وقع حريق عظيم ببغداد ، وحج بالناس حميد العمرى صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور ابن دبيس ، صاحب الحلة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو القاسم صاحب مصر ﴾

الخليفة الملقب بالمستعلى ، فى ذى الحجة منها ، وقام بالأمر بعده ابنه علـى وله تسع سنين ، ولقب بالآمر بأحكام الله .

﴿ محمد بن هبة الله ﴾

أبو نصر القاضى البندنيجى الضرير الفقيه الشافعى ، أخـذ عن الشيخ أبى إسحاق ثم جاور بمكة أربعين سنة ، يفتى ويدرس ويروى الحديث ويحج ، ومن شعره قوله :

عدمتك نفسى ما تملى بطالتى * وقد مر أصحابى وأهل مودتى
أعاهد ربى ثم أنقض عهده * وأترك عزمى حين تعرض شهوتى
وزادى قليل ما أراه مبلغى * ألفزاد أبكى أم لبعد مسافتى ؟

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة ﴾

فيها حاصر السلطان بركيارق أخاه محمداً بأصبهان ، فضاقت على أهلها الأرزاق ، واشتد الغلاء عندهم جداً ، وأخذ السلطان محمـد أهلها بالمصادرة والحصار حولهم من خارج البلد ، فاجتمع عليهم الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، ثم خرج السلطان محمد من أصبهان هارباً

فأرسل أخوه فى أثره مملوكه إياز، فلم يتمكن من القبض عليه، ونجا بنفسه سالما . قال ابن الجوزى : وفى صفر منها زيد فى ألقاب قاضى القضاة أبى الحسن بن الدامغانى تاج الاسلام. وفى ربيع الأول قطعت الخطبة للسلاطين ببغداد، واقتصر على ذكر الخليفة فيها، والدعاء له، ثم التقى الأخوان بركيارق ومحمد، فانهزم محمد أيضاً ثم اصطلحا . وفيها ملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة . وفيها قتل أبو المظفر الخجندى الواعظ بالرى، وكان فقيها شافعياً مدرساً، قتله رافضى علوى فى الفتنة، وكان عالما فاضلا، كان نظام الملك يزوره ويعظمه . وحج بالناس خمارتكين .

ومن توفى فيها من الأعيان

﴿ أحمد بن على ﴾

ابن عبد الله بن سوار، أبو طاهر المقرى، صاحب المصنفات فى علوم القرآن، كان ثقة ثبتا مأمونا عالما بهذا الشأن، قد جاوز الثمانين .

﴿ أبو المعالى ﴾

أحد الصلحاء الزهاد، ذوى الكرامات والمكاشفات، وكان كثير العبادة متقللا من الدنيا، لا يلبس صيفا ولا شتاء إلا قميصاً واحدا، فاذا اشتد البرد وضع على كتفه مئزرا، وذكر أنه أصابته فاقة شديدة فى شهر رمضان، فعزم على الذهاب إلى بعض الأصحاب ليستقرض منه شيئا، قال : فبينا أنا أريده إذا بطائر قد سقط على كتفى، وقال يا أبا المعالى أنا الملك الفلانى، لا تمض إليه نحن نأتيك به، قال فبكر إلى الرجل . رواه ابن الجوزى فى منتظمه من طرق عدة، كانت وفاته فى هذه السنة، ودفن قريباً من قبر أحمد .

﴿ السيدة بنت القائم بأمر الله ﴾

أمير المؤمنين التى تزوجها طغرلبك، ودفنت بالرصافة، وكانت كثيرة الصدقة، وجلس لعزائها فى بيت النوبة الوزير، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة ﴾

فيها قصد الفرنج لعنهم الله الشام فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثنى عشر ألفا، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وقد أسر فى هذه الوقعة بردويل صاحب الرها . وفيها سقطت منارة واسط وقد كانت من أحسن المنائر، كان أهل البلد يفتخرون بها وبقبة الحجاج، فلما سقطت سمع لأهل البلد بكاء وعويل شديد، ومع هذا لم يهلك بسببها أحد، وكان بناؤها فى سنة أربع وثلاثمائة فى زمن المقتدر . وفيها تأكد الصلح بين الأخوين السلطانين بركيارق ومحمد، وبعث إليه بالخلع وإلى الأمير إياز . وفيها أخذت مدينة عكا وغيرها من السواحل . وفيها استولى الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة على مدينة واسط . وفيها توفى الملك دقاق بن تتش

صاحب دمشق ، فأقام مملوكه طغتكين ولدا له صغيراً مكانه ، وأخذ البيعة له ، وصار هو أتابكه بدبر المملكة مدة بدمشق . وفيها عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطغرائى ونفاه إلى غزنة . وفيها ولى أبو نصر نظام الحضريين ديوان الأنشاء ، وفيها قتل الطبيب الماهر الحاذق أبو نعيم ، وكانت له إصابات عجيبة . وحج بالناس فيها الأمير خمارتكين .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أزدشير بن منصور ﴾

أبو الحسن العبادى الواعظ ، تقدم أنه قدم بغداد فوعظ بها فأحبته العامة فى سنة ست وثمانين وقد كانت له أحوال جيدة فيما يظهر والله أعلم .

﴿ إسماعيل بن محمد ﴾

ابن أحمد بن عثمان ، أبوالفرج القومسانى ، من أهل همدان ، سمع من أبيه وجده . وكان حافظا حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون ، مأمونا .

﴿ العلاء بن الحسن بن وهب ﴾

ابن الموصلايا ، سعد الدولة ، كاتب الانشاء ببغداد ، وكان نصرانياً فأسلم فى سنة أربع وثمانين فمكث فى الرياسة مدة طويلة ، نحوا من خمس وستين سنة ، وكان فصيح العبارة ، كثير الصدقة ، وتوفى عن عمر طويل ﴿ محمد بن أحمد بن عمر ﴾

أبو عمر النهاوندى . قاضى البصرة مدة طويلة ، وكان فقيها ، سمع من أبى الحسن الماوردى وغيره مولده فى سنة سبع ، وقيل تسع ، وأربعمائة والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ﴾

فيها توفى السلطان بركيارق وعهد إلى ولده الصغير ملكشاه ، وعمره أربع سنين وشهور ، وخطب له ببغداد ، ونثر عند ذكره الدنانير والدراهم ،وجعل أتابكه الأمير إياز ولقب جلال الدولة ، ثم جاء السلطان محمد إلى بغداد فخرج إليه أهل الدولة ليتلقوه وصالحوه ، وكان الذى أخذ البيعة بالصلح الكيا الهراسى ، وخطب له بالجانب الغربى ، ولابن أخيه بالجانب الشرقى ، ثم قتل الأمير إياز وحملت إليه الخلع والدولة والدست ، وحضر الوزير سعد الدولة عند الكيا الهراسى ، فى درس النظامية ، ليرغب الناس فى العلم ، وفى ثامن رجب منها أزيل الغيار عن أهل الذمة الذين كانوا ألزموه فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، ولا يعرف ماسبب ذلك . وفيها كانت حروب كثيرة ما بين المصريين والفرنج ، فقتلوا من الفرنج خلقا كثيرا ، ثم أديل عليهم الفرنج فقتلوا منهم خلقا .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ السلطان بركيارق بن ملكشاه ﴾

ركن الدولة السلجوقى ، جرت له خطوب طويلة وحروب هائلة ، خطب له ببغداد ست مرات ،

ثم تنقطع الخطبة له ثم تعاد ، مات وله من العمر أربع وعشرون سنة وشهوراً ، ثم قام من بعده ولده ملكشاه ، فلم يتم له الأمر بسبب عمه محمد .

﴿ عيسى بن عبد الله ﴾

القاسم أبو الوليد الغزنوى الأشعرى ، كان متعصبا للأشعرى ، خرج من بغداد قاصداً لبلده فتوفى باسفرايين .

﴿ محمد بن أحمد بن إبراهيم ﴾

ابن سلفة الأصبهانى ، أبو أحمد ، كان شيخاً عفيفا ثقة ، سمع الكثير ، وهو والد الحافظ أبى طاهر السلفى الحافظ .

﴿ أبو على الخيالى الحسين بن محمد ﴾

ابن أحمد الغسانى الأندلسى ، مصنف تقييد المهمل على الألفاظ ، وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط عالما باللغة والشعر والأدب ، وكان يسمع فى جامع قرطبة ، توفى ليلة الجمعة لثنتى عشرة خلت من شعبان ، عن إحدى وسبعين سنة .

﴿ محمد بن على بن الحسن بن أبى الصقر ﴾

أبو الحسن الواسطى ، سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وقرأ الأدب وقال الشعر . من ذلك قوله :

من قال لى جاه ولى حشمة * ولى قبول عند مولانا
ولم يعد ذاك بنفع على * صديقه لا كان ما كانا

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة ﴾

فى المحرم منها ادعى رجل النبوة بنواحى نهاوند ، وسمى أربعة من أصحابه بأسماء الخلفاء الأربعة فاتبعه على ضلالته خلق من الجهلة الرعاع ، وباعوا أملاكهم ودفعوا أثمانها إليه ، وكان كريما يعطى من قصده ما عنده ، ثم إنه قتل بتلك الناحية . ورام رجل آخر من ولد ألب أرسلان بتلك الناحية الملك فلم يتم أمره ، بل قبض عليه فى أقل من شهرين ، وكانوا يقولون ادعى رجل النبوة وآخر الملك ، فما كان بأسرع من زوال دولتهما . وفى رجب منها زادت دجلة زيادة عظيمة ، فأتلفت شيئا كثيرا من الغلات ، وغرقت دور كثيرة ببغداد . وفيها كسر طغتكين أتابك عساكر دمشق الفرنج ، وعاد مؤيداً منصوراً إلى دمشق ، وزينت البلد زينة عجيبة مليحة ، سروراً بكسره الفرنج . وفيها فى رمضان منها حاصر الملك رضوان بن تتش صاحب حلب مدينة نصيبين ، وفيها ورد إلى بغداد ملك من الملوك وصحبته رجل يقال له الفقيه ، فوعظ الناس فى جامع القصر . وحج بالناس رجل من أقرباء الأمير سيف الدولة صدقة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو الفتح الحاكم ﴾

سمع الحديث من البيهقى وغيره ، وعلق عن القاضى حسين طريقه وشكره فى ذلك ، وكان قد تفقه أولا على الشيخ أبى على السنجى ، ثم تفقه وعلق عن إمام الحرمين فى الأصول بحضرته ، واستجاده وولى بلده مدة طويلة ، وناظر ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وتلاوة القرآن . قال ابن خلكان : وبنى للصوفية رباطا من ماله ، ولزم التعبد إلى أن مات فى مستهل المحرم من هذه السنة .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن محمد بن على بن عبد الرزاق ، أبو منصور الخناط ، أحد القراء والصلحاء ، ختم ألوفا من الناس ، وسمع الحديث الكثير ، وحين توفى اجتمع العالم فى جنازته اجتماعا لم يجتمع لغيره مثله ، ولم يعهد له نظير فى تلك الأزمان . وكان عمره يوم توفى سبعاً وتسعين سنة رحمه الله ، وقد رثاه الشعراء ، ورآه بعضهم فى المنام فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفرلى بتعليمى الصبيان الفاتحة .

﴿ محمد بن عبيد الله بن الحسن ﴾

ابن الحسين ، أبو الفرج البصرى قاضيها ، سمع أبا الطيب الطبرى والماوردى وغيرهما ، ورحل فى طلب الحديث ، وكان عابداً خاشعاً عند الذكر . ﴿ مهارش بن مجلى ﴾

أمير العرب بحديثة غانة ، وهو الذى أودع عنده القائم بأمر الله ، حين كانت فتنة البساسيرى ، فأكرم الخليفة حين ورد عليه ، ثم جازاه الخليفة الجزاء الأوفى ، وكان الأمير مهارش هذا كثير الصدقة والصلاة ، توفى فى هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة خمسمائة من الهجرة ﴾

قال أبو داود فى سننه : حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثنى معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبى ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله ﷺ « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » . حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثنى صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد ابن أبى وقاص عن النبى ﷺ أنه قال : « إنى لأرجو أن لا يعجز أمتى عند ربها أن يؤخرها نصف يوم . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة سنة » . وهذا من دلائل النبوة . وذكر هذه المدة لا ينفى زيادة عليها ، كما هو الواقع ، لأنه عليه السلام ذكر شيئا من أشراط الساعة لا بد من وقوعها كما أخبر سواء بسواء . وسيأتى ذكرها فيما بعد زماننا ، وبالله المستعان .

ومما وقع فى هذه السنة من الحوادث أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر قلاعا كثيرة من حصون الباطنية ، فافتتح منها أماكن كثيرة ، وقتل خلقا منهم ، منها قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان ، فى رأس جبل منيع هنالك ، وكان سبب بنائه لها أنه كان مرة فى بعض صيوده

فهرب منه كلب فاتبعه إلى رأس الجبل فوجده ، وكان معه رجل من رسل الروم ، فقال الرومى : لو كان هذا الجبل ببلادنا لا تخذنا عليه قلعة ، فحدا هذا الكلام السلطان إلى أن ابتنى فى رأسه قلعة أنفق عليها ألف ألف دينار ، ومائتى ألف دينار ، ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبدالله بن عطاء ، فتعب المسلمون بسببها ، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها ، وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنا وقطع رأسه ، وطاف به فى الأقاليم ، ثم نقض هذه القلعة حجرا حجرا ، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت ، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة ، وكان الناس يتشاءمون بهذه القلعة ، يقولون : كان دليلها كلبا ، والمشير بها كافرا ، والمتحصن بها زنديقا .

وفيها وقعت حروب كثيرة بين بنى خفاجة و بين بنى عبادة ، فقهرت عبادة خفاجة وأخذت بثأرها المتقدم منها . وفيها استحوذ سيف الدولة صدقة على مدينة تكريت بعد قتال كثير . وفيها أرسل السلطان محمد الأمير جاولى سقاوو إلى الموصل وأقطعه إياها ، فذهب فانتزعها من الأمير جكرمش بعد ماقاتله وهزم أصحابه وأسره ، ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلا و إحسانا ، ثم أقبل قلج أرسلان بن قتلمش فحاصر الموصل فانتزعها من جاولى ، فصار جاولى إلى الرحبة ، فأخذها ثم أقبل إلى قتال قلج فكسره وألقى قلج نفسه فى النهر الذى للخابور فهلك . وفيها نشأت حروب بين الروم والفرنج فاقتتلوا قتالا عظيما ولله الحمد ، وقتل من الفريقين طائفة كبيرة ، ثم كانت الهزيمة على الفرنج ولله الحمد رب العالمين .

﴿ قتل فخر الملك أبو المظفر ﴾

وفى يوم عاشوراء منها قتل فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك ، وكان أكبر أولاد أبيه ، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور ، وكان صائماً ، قتله باطنى ، وكان قد رأى فى تلك الليلة الحسين بن على وهو يقول له : عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة ، فأصبح متعجباً ، فنوى الصوم ذلك اليوم ، وأشار إليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل ، فما خرج إلا فى آخر النهار فرأى شاباً يتظلم وفى يده رقعة فقال : ما شأنك ؟ فناوله الرقعة فبينما هو يقرؤها إذ ضربه بخنجر بيده فقتله ، فأخذ الباطنى فرفع إلى السلطان فقرره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك ، وكان كاذبا ، فقتل وقتلوا أيضاً . وفى رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم على بن جهير وخرب داره التى كان قد بناها أبوه ، من خراب بيوت الناس ، فكان فى ذلك عبرة وموعظة لذوى البصائر والنهى ، واستنيب فى الوزارة القاضى أبو الحسن الدامغانى ، ومعه آخر . وحج بالناس فيها الأمير تركمان واسمه اليرن ، من جهة الأمير محمد بن ملكشاه .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن المظفر ﴾

أبو المظفر الخوافى الفقيه الشافعى . قال ابن خلكان : كان أنظر أهل زمانه ، تفقه على إمام الحرمين ، وكان أوجه تلامذته ، وقد ولى القضاء بطوس ونواحيها ، وكان مشهوراً بحسن المناظرة وإفحام الخصوم . قال والخوافى بفتح الخاء والواو نسبة إلى خواف ، ناحية من نواحى نيسابور .

﴿ جعفر بن أحمد ﴾

ابن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج ، أبو محمد القارى البغدادى ، ولد سنة ست عشرة وأربعمائة ، وقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الكثير من الأحاديث النبويات ، من المشايخ والشيخات فى بلدان متباينات ، وقد خرج له الحافظ أبو بكر الخطيب أجزاء مسموعاته ، وكان صحيح الثبت ، جيد الذهن ، أديباً شاعراً ، حسن النظم ، نظم كتابا فى القراءات ، وكتاب التنبيه والخرقى وغير ذلك ، وله كتاب مصارع العشاق وغير ذلك ، ومن شعره قوله :

قتل الذين بجهلهم * أضحوا يعيبون المحابر
والحاملين لها من الـ * أيدى بمجتمع الأساور
لولا المحابر والمقا * لم والصحائف والدفاتر
والحافظون شريعة الـ * مبعوث من خير العشائر
والناقلون حديثه عن * كابر ثبت وكابر
لرأيت من بشع الضلا * ل عساكراً تتلوعساكر
كل يقول بجهله * والله للمظلوم ناصر
سميتهم أهل الحديث * أولى النهى وأولى البصائر
هم حشو جنات النعيم * على الأسرة والمنابر
رفقاء أحمد كلهم * عن حوضه ريان صادر

وذكر له ابن خلكان أشعاراً رائقة منها قوله :

ومدع شرخ الشباب وقد * عممه الشيب على وفرته
يخضب بالوشمة عثنونه * يكفيه أن يكذب فى لحيته

﴿ عبد الوهاب بن محمد ﴾

ابن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الشيرازى الفارسى ، سمع الحديث الكثير ، وتفقه وولاه نظام الملك تدريس النظامية ببغداد ، فى سنة ثلاث وثمانين ، فدرس بها مدة ، وكان يملى الأحاديث ، وكان كثير التصحيف ، روى مرة حديث « صلاة فى إثر صلاة كتاب فى عليين » . فقال :

كتاب فى غاس . ثم أخذ يفسر ذلك بأنه أكثر لاضاءتها .

﴿ محمد بن إبراهيم ﴾

ابن عبيد الأسدى الشاعر، التى الخنيسى التهامى ، وكان مغرماً بما يعارض شعره ، وقد أقام باليمن و بالعراق ثم بالحجاز ثم بخراسان ، ومن شعره :

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا * قال ثقلت كاهلى بالأيادى

قلت طولت قال بل تطولت * قلت مزقت قال حبل ودادى

﴿ يوسف بن على ﴾

أبو القاسم الزنجانى الفقيه ، كان من أهل الديانة ، حكى عن الشيخ أبى إسحاق الشيرازى عن القاضى أبى الطيب ، قال: كنا يوماً بجامع المنصور فى حلقة فجاء شاب خراسانى فذكر حديث أبى هريرة فى المطر فقال الشاب : غير مقبول ، فمااستتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حية فنهض الناس هاربين وتبعت الحية ذلك الشاب من بينهم ، فقيل له تب تب . فقال : تبت ، فذهبت فلا ندرى أين ذهبت . رواها ابن الجوزى عن شيخه أبى المعمر الأنصارى عن أبى القاسم هذا والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة من الهجرة ﴾

فيها جدد الخليفة الخلع على وزيره الجديد أبى المعالى هبة الله بن محمد بن المطلب ، وأكرمه وعظمه . و فى ربيع الآخر منها دخل السلطان محمد إلى بغداد فتلقاه الوزير والأعيان ، وأحسن إلى أهلها ، ولم يتعرض أحد من جيشه إلى شىء . وغضب السلطان على صدقة بن منصور الأسدى صاحب الحلة وتكريت بسبب أنه آوى رجلا من أعدائه يقال له أبو دلف سرحان الديلمى، صاحب ساوة ، و بعث إليه ليرسله إليه فلم يفعل ، فأرسل إليه جيشاً فهزموا جيش صدقة . وقد كان جيشه عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل ، وقتل صدقة فى المعركة ، وأسر جماعة من رؤس أصحابه وأخذوا من زوجته خمسمائة ألف دينار ، وجواهر نفيسة . قال ابن الجوزى : وظهر فى هذه السنة صبية عمياء تتكلم على أسرار الناس ، وما فى نفوسهم من الضمائر والنيات ، وبالغ الناس فى أنواع الحيل عليها ليعلموا حالها فلم يعلموا . قال ابن عقيل : وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام ، حتى سألوها عن نقوش الخواتم المقلوبة الصعبة ، وعن أنواع الفصوص وصفات الأشخاص وما فى داخل البنادق من المشمع والطين المختلف ، والخرق وغير ذلك فتخبر به سواء بسواء ، حتى بالغ أحدهم و وضع يده على ذكره وسألها عن ذلك فقالت : يحمله إلى أهله وعياله . وفيها قدم القاضى فخر الملك أبو عبيد على صاحب طرابلس إلى بغداد يستنفر المسلمين على الفرنج ، فأكرمه السلطان غياث الدين محمد إكراماً زائداً ، وخلع عليه و بعث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ تميم بن المعز بن باديس ﴾

صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك حلما وكرما ، وإحسانا ، ملك ستا وأربعين سنة ، وعمر تسعا وتسعين سنة ، وترك من البنين أنهد من مائة ، ومن البنات ستين بنتا ، وملك من بعده ولده يحيى ، ومن أحسن ما مدح به الأمير تميم قول الشاعر :

أصح وأعلى ما سمعناه فى الندا * من الخبر المروى منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن كف الأمير تميم

﴿ صدقة بن منصور ﴾

ابن دبيس بن على بن مزيد الأسدى ، الأمير سيف الدولة ، صاحب الحلة وتكريت وواسط وغيرها ، كان كريما عفيفا ذا ذمام ، ملجأ لكل خائف يأمن فى بلاده ، وتحت جناحه ، وكان يقرأ الكتب المشكلة ولا يحسن الكتابة ، وقد اقتنى كتباً نفيسة جداً ، وكان لا يتزوج على امرأة قط ، ولا يتسرى على سرية حفظا للذمام ، ولئلا يكسر قلب أحد ، وقد مدح بأوصاف جميلة كثيرة جداً . قتل فى بعض الحروب ، قتله غلام اسمه برغش ، وكان له من العمر تسع وخمسون سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة ﴾

فى يوم الجمعة الثانى والعشرين من شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالخاتون بنت ملكشاه أخت السلطان محمد ، على صداق مائة ألف دينار ، ونثر الذهب ، وكتب العقد بأصبهان . وفيها كانت الحروب الكثيرة بين الاتابك طغتكين صاحب دمشق وبين الفرنج . وفيها ملك سعيد بن حميد العمرى الحلة السيفية . وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة فغرقت الغلات فغلت الأسعار بسبب ذلك غلاء شديداً . وحج بالناس الأمير قيماز .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن العلوى ﴾

أبو هاشم ابن رئيس همدان ، وكان ذا مال جزيل ، صادره السلطان فى بعض الأوقات بتسعمائة ألف دينار ، فوزنها ولم يبع فيها عقاراً ولا غيره .

﴿ الحسن بن على ﴾

أبو الفوارس بن الخازن ، الكاتب المشهور بالخط المنسوب . توفى فى ذى الحجة منها . قال ابن خلكان : كتب بيده خمسمائة ختمة ، مات فجأة .

﴿ الرويانى صاحب البحر ﴾

عبد الواحد بن إسماعيل ، أبو المحاسن الرويانى ، من أهل طبرستان ، أحد أئمة الشافعية ، ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، ورحل إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر ، وحصل علوماً جمة ، وسمع

الحديث الكثير ، وصنف كتباً فى المذهب ، من ذلك البحر فى الفروع ، وهو حافل كامل شامل للغرائب وغيرها ، وفى المثل « حدث عن البحر ولاحرج » وكان يقول : لو احترقت كتب الشافعى أمليتها من حفظى ، قتل ظلما يوم الجمعة ، وهو يوم عاشوراء فى الجامع بطبرستان ، قتله رجل من أهلها رحمه الله . قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن ناصر المروزى وعلق عنه ، وكان للرويانى الجاه العظيم ، والحرمة الوافرة ، وقد صنف كتباً فى الأصول والفروع ، منها بحر المذهب ، وكتاب مناصيص الامام الشافعى ، وكتاب الكافى ، وحلية المؤمن ، وله كتب فى الخلاف أيضا .

﴿ يحيى بن على ﴾

ابن محمد بن الحسن بن بسطام ، الشيبانى التبريزى ، أبو زكريا ، أحد أئمة اللغة والنحو ، قرأ على أبى العلاء وغيره ، وتخرج به جماعة منهم منصور بن الجواليقى . قال ابن ناصر : وكان ثقة فى النقل ، وله المصنفات الكثيرة . وقال ابن خيرون : لم يكن مرضى الطريقة ، توفى فى جمادى الآخرة ودفن إلى جانب الشيخ أبى إسحاق الشيرازى بباب إبرز والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة ﴾

فيها أخذت الفرنج مدينة طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال ، وسبوا الحريم والأطفال ؛ وغنموا الأمتعة والأموال ، ثم أخذوا مدينة جبلة بعدها بعشر ليال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله الكبير المتعال . وقد هرب منهم فخر الملك بن عمار ، فقصد صاحب دمشق طغتكين فأكرمه وأقطعه بلاداً كثيرة . وفيها وثب بعض الباطنية على الوزير أبى نصر بن نظام الملك فجرحه ثم أخذ الباطنى فسقى الخمر فأقر على جماعة من الباطنية فأخذوا فقتلوا . وحج بالناس الأمير قيماز .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن على ﴾

ابن أحمد ، أبو بكر العلوى ، كان يعمل فى تجصيص الحيطان ، ولا ينقش صورة ، ولا يأخذ من أحد شيئا ، وكانت له أملاك ينتفع منها ويتقوت ، وقد سمع الحديث من القاضى أبى يعلى ، وتفقه عليه بشىء من الفقه ، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ، فاذا وصل إلى قبر الفضيل بن عياض يخط إلى جانبه خطا بعصاه ويقول يا رب ههنا . فقيل إنه حج فى هذه السنة فوقف بعرفات محرما فتوفى بها من آخر ذلك اليوم ، فغسل وكفن وطيف به حول البيت ثم دفن إلى جانب الفضيل بن عياض فى ذلك المكان الذى كان يخطه بعصاه ، وبلغ الناس وفاته ببغداد فاجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب ، حتى لو مات بين أظهرهم لم يكن عندهم مزيد على ذلك الجمع ، رحمه الله .

﴿ عمر بن عبد الكريم ﴾

ابن سعدويه الفتيان الدهقانى ، رحل فى طلب الحديث ، ودار الدنيا ، وخرّج وانتخب ، وكان

له فقه فى هذا الشأن ، وكان ثقة ، وقد صحح عليه أبو حامد الغزالى كتاب الصحيحين . كانت وفاته بسرخس فى هذه السنة .

﴿ محمد ويعرف بأخى حماد ﴾

وكان أحد الصلحاء الكبار ، كان به مرض مزمن ، فرأى النبى ﷺ فى المنام فعوفى ، فلزم مسجدا له أربعين سنة ، لا يخرج إلا إلى الجمعة ، وانقطع عن مخالطة الناس ، كانت وفاته فى هذه السنة ، ودفن فى زاوية بالقرب من قبر أبى حنيفة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة ﴾

فى أولها تجهز جماعة من البغاددة من الفقهاء وغيرهم ، ومنهم ابن الداغونى، للخروج إلى الشام لأجل الجهاد ، وقتال الفرنج ، وذلك حين بلغهم أنهم فتحوا مدائن عديدة ، من ذلك مدينة صيدا فى ربيع الأول ، وكذا غيرها من المدائن ، ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج . وفيها قدمت خاتون بنت ملكشاه زوجة الخليفة إلى بغداد فنزلت فى دار أخيها السلطان محمد ، ثم حمل جهازها على مائة واثنين وستين جملا ، وسبعة وعشرين بغلا ، وزينت بغداد لقدومها ، وكان دخولها على الخليفة فى الليلة العاشرة من رمضان ، وكانت ليلة مشهودة . وفيها درس أبو بكر الشاشى بالنظامية مع الناجية ، وحضر عنده الوزير والأعيان . وحج بالناس قيماز ، ولم يتمكن الخراسانيون من الحج من العطش وقلة الماء .

وممن توفى فيها من الأعيان

﴿ إدريس بن حمزة ﴾

أبو الحسن الشاشى الرملى العثمانى ، أحد فحول المناظرين عن مذهب الشافعى ، تفقه أولا على نصر بن إبراهيم ، ثم ببغداد على أبى إسحاق الشيرازى ، ودخل خراسان حتى وصل إلى ما وراء النهر ، وأقام بسمرقند ودرس بمدرستها إلى أن توفى فى هذه السنة .

﴿ على بن محمد ﴾

ابن على بن عماد الدين ، أبو الحسن الطبرى ، ويعرف بالكيا الهراسى ، أحد الفقهاء الكبار ، من رؤس الشافعية ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، واشتغل على إمام الحرمين ، وكان هو والغزالى أكبر التلامذة ، وقد ولى كل منهما تدريس النظامية ببغداد ، وقد كان أبو الحسن هذا فصيحاً جهورى الصوت جميلا، وكان يكرر لعن إبليس على كل مرقاة من مراقى النظامية بنيسابور سبع مرات ، وكانت المراقى سبعين مرقاة ، وقد سمع الحديث الكثير ، وناظر وأفتى ودرس ، وكان من أكابر الفضلاء وسادات الفقهاء ، وله كتاب يرد فيه على ما انفرد به الامام أحمد بن حنبل فى مجلد ، وله غيره من المصنفات ، وقد اتهم فى وقت بأنه يمالئ الباطنية ، فنزع منه التدريس ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك منهم ابن عقيل ، فأعيد إليه . توفى فى يوم الخميس مستهل محرم من هذه السنة عن أربع وخمسين سنة

ودفن إلى جانب الشيخ أبى إسحاق الشيرازى . وذكر ابن خلكان أنه كان يحفظ الحديث ويناظر به ، وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث فى ميادين الكفاح ، طارت رؤس المقاييس فى مهاب الرياح ، وحكى السلفى عنه أنه استفتى فى كتبة الحديث هل يدخلون فى الوصية للفقهاء ؟ فأجاب : نعم لقوله ﷺ « من حفظ على أمتى أربعين حديثا بعثه الله عالما » . واستفتى فى يزيد بن معاوية فذكر عنه تلاعباً وفسقا ، وجوز شتمه ، وأما الغزالى فانه خالف فى ذلك ، ومنع من شتمه ولعنه ، لأنه مسلم ، ولم يثبت بأنه رضى بقتل الحسين ، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغا للعنه ، لأن القاتل لا يلعن ، لا سيما وباب التوبة مفتوح ، والذى يقبل التوبة عن عباده غفور رحيم . قال الغزالى : وأما الترحم عليه فجائز ، بل مستحب ، بل نحن نترحم عليه فى جملة المسلمين والمؤمنين ، عموماً فى الصلوات . ذكره ابن خلكان مبسوطا بلفظه فى ترجمة الكيا هذا ، قال : والكيا كبير القدر مقدم معظم والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة ﴾

فيها بعث السلطان غياث الدين جيشا كثيفا ، صحبة الأمير مودود بن زنكى صاحب الموصل ، فى جملة أمراء ونواب ، منهم سكمان القطبى ، صاحب تبريز ، وأحمد يل صاحب مراغة ، والأمير إيلغازى صاحب ماردين ، وعلى الجميع الأمير مودود صاحب الموصل ، لقتال الفرنج بالشام ، فانتزعوا من أيدى الفرنج حصونا كثيرة ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ولله الحمد ، ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلى فيه فجاءه باطنى فى زى سائل فطلب منه شيئا فأعطاه ، فلما اقترب منه ضربه فى فؤاده فمات من ساعته ، ووجد رجل أعمى فى سطح الجامع ببغداد معه سكين مسموم فقيل إنه كان يريد قتل الخليفة . وفيها ولد للخليفة من بنت السلطان ولد فضربت الدبادب والبوقات ، ومات له ولد وهكذا الدنيا فرحى بوفاته وجلس الوزير للهناء والعزاء . وفى رمضان عزل الوزير أحمد بن النظام ، وكانت مدة وزارته أربع سنين وإحدى عشر شهرا . وفيها حاصرت الفرنج مدينة صور ، وكانت بأيدى المصريين ، عليها عز الملك الاعز من جهتهم ، فقاتلهم قتالا شديداً ، ومنعها منعا جيداً ، حتى فنى ما عنده من النشاب والعدد ، فامده طغتكين صاحب دمشق ، وأرسل إليه العدد والآلات فقوى جأشه وترحلت عنه الفرنج فى شوال منها . وحج بالناس أمير الجيوش قطز الخادم ، وكانت سنة مخصبة مرخصة .

وممن توفى فيها من الأعيان أبو حامد الغزالى .

﴿ محمد بن محمد بن محمد ﴾

أبو حامد الغزالى ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتفقه على إمام الحرمين ، وبرع فى علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة فى فنون متعددة ، فكان من أذكياء العالم فى كل ما يتكلم فيه ، وساد فى

شبيبته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد ، فى سنة أربع وثمانين ، وله أربع وثلاثون سنة ، فحضرعنده رؤس العلماء ، وكان ممن حضر عنـده أبو الخطاب وابن عقيل ، وهما من رؤس الحنابلة ، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه ، قال ابن الجوزى : وكتبوا كلامه فى مصنفاتهم ، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل عـلى العبادة وأعمال الآخرة ، وكان يرتزق من النسخ ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة ، وصنف فى هذه المـدة كتابه إحياء علوم الدين ، وهو كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، وممزوج بأشـياء لطيفة من التصوف وأعمـال القلوب ، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات ، كما يوجـد فى غيره من كتب الفروع التى يستدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرقائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره ، وقد شنع عليه أبو الفرج ابن الجوزى ، ثم ابن الصلاح ، فى ذلك تشنيعاً كثيرا ، وأراد المازرى أن يحرق كتابه إحياء علوم الدين ، وكذلك غيره من المغاربة ، وقالوا : هذا كتاب إحياء علوم دينه ، وأما ديننا فاحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله ، كما قد حكيت ذلك فى ترجمته فى الطبقات ، وقد زيف ابن شكر مواضع إحياء علوم الدين ، وبين زيفها فى مصنف مفيد ، وقد كان الغزالى يقول : أنا مزجى البضاعة فى الحديث ، ويقال إنه مال فى آخر عمره إلى سماع الحـديث والتحفظ للصحيحين ، وقد صنف ابن الجوزى كتابا عـلى الأحياء وسماه علوم الأحيا بأغاليط الاحيا ، قال ابن الجوزى : ثم ألزمـه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها ، وابتنى رباطا واتخذ داراً حسنة ، وغرس فيها بستانا أنيقا ، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح ، وكانت وفاته فى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بطوس رحمه الله تعالى ، وقد سأله بعض أصحابه وهو فى السياق فقال : أوصنى ، فقال : عليك بالاخـلاص ، ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسمائة ﴾

فى جمادى الآخرة منها جلس ابن الطبرى مدرساً بالنظاميـة وعزل عنها الشاشى . وفيها دخل الشيخ الصالح أحد العباد يوسف بن داود إلى بغـداد ، فوعظ الناس ، وكان له القبول التام ، وكان شافعياً تفقه بالشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، ثم اشـتغل بالعبادة والزهادة ، وكانت له أحوال صالحة ، جاراه رجل مرة يقال له ابن السقاف مسألة فقال : له اسكت فانى أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلك أن تموت على غير دين الاسلام ، فاتفق بعد حين أنه خرج ابن السقا إلى بلاد الروم فى حاجة فتنصر هناك ، فانا لله و إنا إليه راجعون . وقام إليه مرة وهو يعظ الناس ابنا أبى بكر الشاشى فقالا له : إن كنت تتكلم على مذهب الأشعرى و إلا فاسكت ، فقال : لامتعتما بشبابكما ، فماتا شابين ، ولم يبلغا سن الكهولة . وحج بالناس فيها أمير الجيوش يطز الخادم ، ونالهم عطش .

ومن توفى فيها من الأعيان 	﴿ صاعد بن منصور ﴾

ابن إسماعيل بن صاعد ، أبو العلاء الخطيب النيسابورى ، سمع الحديث الكثير ، وولى الخطابة بعد أبيه والتدريس والتذكير ، وكان أبو المعالى الجوينى يثنى عليه ، وقد ولى قضاء خوارزم .

﴿ محمد بن موسى بن عبد الله ﴾

أبو عبد الله البلاساغونى التركى الحنفى ، ويعرف باللامشى ، أورد عنه الحافظ ابن عساكر حديثا وذكر أنه ولى قضاء بيت المقدس ، فشكوا منه فعزل عنها ، ثم ولى قضاء دمشق ، وكان غاليا فى مذهب أبى حنيفة ، وهو الذى رتب الاقامة مثنى ، قال إلى أن أزال الله ذلك بدولة الملك صلاح الدين . قال : وكان قد عزم على نصب إمام حنفى بالجامع ، فامتنع أهل دمشق من ذلك ، وامتنعوا من الصلاة خلفه ، وصلوا بأجمعهم فى دار الخيل ، وهى التى قبل الجامع مكان المدرسة الامينية ، وما يجاورها وحدها الطرقات الأربعة ، وكان يقول : لو كانت لى الولاية لأخذت من أصحاب الشافعى الجزية ، وكان مبغضاً لأصحاب مالك أيضاً . قال : ولم تكن سيرته فى القضاء محمودة ، وكانت وفاته يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة منها . قال : وقد شهدت جنازته وأنا صغير فى الجامع .

﴿ المعمر بن المعمر ﴾

أبو سعد بن أبى عمار الواعظ ، كان فصيحاً بليغا ماجنا ظريفا ذكياً ، له كلمات فى الوعظ حسنة ورسائل مسموعة مستحسنة ، توفى فى ربيع الأول منها ، ودفن بباب حرب .

﴿ أبو على المعرى ﴾

كان عابدا زاهداً ، يتقوت بأدنى شىء ، ثم عن له أن يشتغل بعلم الكيمياء . فأخذ إلى دار الخلافة فلم يظهر له خبر بعد ذلك . 	﴿ نزهة ﴾

أم ولد الخليفة المستظهر بالله ، كانت سوداء محتشمة كريمة النفس ، توفيت يوم الجمعة ثانى عشر شوال منها . 	﴿ أبو سعد السمعانى ﴾

مصنف الأنساب وغيره ، وهو تاج الاسلام عبد الكريم بن محمد بن أبى المظفر المنصور عبد الجبار السمعانى ، المروزى ، الفقيه الشافعى ، الحافظ المحدث ، قوام الدين أحد الأئمة المصنفين رحل وسمع الكثير حتى كتب عن أربعة آلاف شيخ ، وصنف التفسير والتاريخ والأنساب والذيل على تاريخ الخطيب البغدادى ، وذكر له ابن خلكان مصنفات عديدة جدا ، منها كتابه الذى جمع فيه ألف حديث عن مائة شيخ ، وتكلم عليها إسنادا ومتنا ، وهو مفيد جدا رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة ﴾

فيها كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج فى أرض طبرية ، كان فيها ملك دمشق الاتابك

طغتكين ، ومعه صاحب سنجار وصاحب ماردين ، وصاحب الموصل ، فهزموا الفرنج هزيمة فاضحة ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وغنموا منهم أموالا جزيلة ، وملكوا تلك النواحى كلها ، ولله الحمد والمنة ، ثم رجعوا إلى دمشق فذكر ابن الساعى فى تاريخه مقتل الملك مودود صاحب الموصل فى هذه السنة ، قال صلى هو والملك طغتكين يوم الجمعة بالجامع ، ثم خرجا إلى الصحن ويد كل واحد منهما فى يد الآخر فطفر باطنى على مودود فقتله رحمه الله ، فيقال إن طغتكين هو الذى مالأ عليه فالله أعلم ، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين وفيه : إن أمة قتلت عميدها فى يوم عيدها فى بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها . وفيها ملك حلب ألب أرسلان بن رضوان بن تتش بعد أبيه ، وقام بأمر سلطنته لؤلؤ الخادم ، فلم يبق معه سوى الرسم . وفيها فتح المارستان الذى أنشأه كمشتكين الخادم ببغداد . وحج بالناس زنكى بن برشق .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿إسماعيل بن الحافظ أبى بكر بن الحسين البيهقى﴾

سمع الكثير وتنقل فى البلاد ، ودرس بمدينة خوارزم ، وكان فاضلا من أهل الحديث ، مرضى الطريقة ، وكانت وفاته ببلده بيهق فى هذه السنة .

﴿شجاع بن أبى شجاع﴾

فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهلى الحافظ ، سمع الكثير ، وكان فاضلا فى هذا الشأن وشرع فى تتميم تاريخ الخطيب ثم غسله ، وكان يكثر من الاستغفار والتوبة لأنه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرات ، توفى فى هذا العام عن سبع وسبعين سنة .

﴿محمد بن أحمد﴾

ابن محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسين بن منصور بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عنبسة بن معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب ، الأموى أبو المظفر بن أبى العباس الأبيوردى الشاعر ، كان عالما باللغة والأنساب ، سمع الكثير وصنف تاريخ أبى ورد ، وأنساب العرب ، وله كتاب فى المؤتلف والمختلف ، وغير ذلك ، وكان ينسب إلى الكبر والتيه الزائد ، حتى كان يدعو فى صلاته : اللهم ملكنى مشارق الأرض ومغاربها ، وكتب مرة إلى الخليفة الخادم المعاوى ، فكشط الخليفة الميم فبقت العاوى ، ومن شعره قوله :

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى * أعز وأحداث الزمان تهون

وظل يرينى الدهر كيف اغترازه * وبت أريه الصبر كيف يكون

﴿محمد بن طاهر﴾

ابن على بن أحمد ، أبو الفضل المقدسى الحافظ ، ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وأول سماعه

سنة ستين ، وسافر فى طلب الحديث إلى بلاد كثيرة ، وسمع كثيراً ، وكان له معرفة جيدة بهذه الصناعة ، وصنف كتباً مفيدة ، غير أنه صنف كتابا فى إباحة السماع ، وفى التصوف ، وساق فيه أحاديث منكرة جدا ، وأورد أحاديث صحيحة فى غيره وقد أثنى على حفظه غير واحد من الأئمة . وذكر ابن الجوزى فى كتابه هذا الذى سماه . « صفة التصوف » وقال عنه يضحك منه من رآه ، قال وكان داودى المذهب ، فمن أثنى عليه أثنى لأجل حفظه للحديث ، وإلا فما يجرح به أولى . قال : وذكره أبو سعد السمعانى وانتصر له بغير حجة ، بعد أن قال سألت عنه شيخنا إسماعيل بن أحمد الطلحى فأكثر الثناء عليه ، وكان سيء الرأى فيه . قال وسمعنا أبا الفضل ابن ناصر يقول : محمد بن طاهر لا يحتج به ، صنف فى جواز النظر إلى المرد ، وكان يذهب مذهب الاباحية ، ثم أورد له من شعره قوله فى هذه الأبيات .

دع التصوف والزهد الذى اشتغلت * به خوارج أقوام من الناس
وعج على دير داريا فان به الرهـ * بان ما بين قسيس وشماس
واشرب معتقة من كف كافرة * تسقيك خمرين من لحظ ومن كاس
ثم استمع رنة الأوتار من رشأ * مهفهف طرفه أمضى من الماس
غنى بشعر امرىء فى الناس مشتهر * مدون عندهم فى صدر قرطاس
لولا نسيم بدا منكم يروحنى * لكنت محترقا من حر أنفاسى

ثم قال السمعانى : لعله قد تاب من هذا كله . قال ابن الجوزى : وهذا غير مرضى أن يذكر جرح الأئمة له ثم يعتذر عن ذلك باحتمال توبته ، وقد ذكر ابن الجوزى أنه لما احتضر جعل يردد هذا البيت . وما كنتم تعرفون الجفا * فمن ترى قد تعلمتم

ثم كانت وفاته بالجانب الغربى من بغداد فى ربيع الأول منها .

﴿ أبوبكر الشاشى ﴾

صاحب المستظهرى محمد بن أحمد بن الحسين الشاشى ، أحد أئمة الشافعية فى زمانه ، ولد فى المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وسمع الحديث على أبى يعلى بن الفراء ، وأبى بكر الخطيب ، وأبى إسحاق الشيرازى ، وتفقه عليه وعلى غيره ، وقرأ الشامل على مصنفه ابن الصباغ ، واختصره فى كتابه الذى جمعه للمستظهر بالله ، وسماه حلية العلماء بمعرفة مذاهب الفقهاء ، ويعرف بالمستظهرى ، وقد درس بالنظامية ببغداد ثم عزل عنها وكان ينشد :

تعلم يا فتى والعود غض * وطينك لين والطبع قابل
فحسبك يا فتى شرفا وفخرا * سكوت الحاضرين وأنت قائل

توفى سحر يوم السبت السادس عشر من شوال منها ، ودفن إلى جانب أبى إسحاق الشيرازى بباب إبرز .

﴿ المؤتمن بن أحمد ﴾

ابن على بن الحسين بن عبيد الله ، أبو نصر الساجى المقدسى ، سمع الحديث الكثير ، وخرج وكان صحيح النقل ، حسن الخط ، مشكور السيرة لطيفاً ، اشتغل فى الفقه على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى مدة ، ورحل إلى أصبهان وغيرها ، وهو معدود من جملة الحفاظ ، لا سيما للمتون ، وقد تكلم فيه ابن طاهر . قال ابن الجوزى : وهو أحق منه بذلك ، وأين الثريا من الثرى ؟ توفى المؤتمن يوم السبت ثانى عشر صفر منها ، ودفن بباب حرب والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة ﴾

فيها وقع حريق عظيم ببغداد . وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة ، هدمت منها ثلاثة عشر برجاً ، ومن الرها بيوتا كثيرة ، وبعض دور خراسان ، ودوراً كثيرة فى بلاد شتى ، فهلك من أهلها نحو من مائة ألف ، وخسف بنصف قلعة حران وسلم نصفها ، وخسف بمدينة سميساط وهلك تحت الردم خلق كثير . وفيها قتل صاحب حلب تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان بن تتش ، قتله غلمانه ، وقام من بعده أخوه سلطان شاه بن رضوان . وفيها ملك السلطان سنجر بن ملكشاه بلاد غزنة ، وخطب له بها بعد مقاتلة عظيمة ، وأخذ منها أموالا كثيرة لم ير مثلها ، من ذلك خمس تيجان قيمة كل تاج منها ألف ألف دينار ، وسبعة عشر سريراً من ذهب وفضة ، وألف وثلاثمائة قطعة مصاغ مرصعة ، فأقام بها أربعين يوماً ، وقرر فى ملكها بهرام شاه ، رجل من بيت سبكتكين ، ولم يخطب بها لأحد من السلجوقية غير سنجر هذا ، وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وشنة ، لا يجسر أحد من الملوك عليهم ، ولا يطيق أحد مقاومتهم ، وهم بنو سبكتكين . وفيها ولى السلطان محمد للأمير آقسنقر البرشقى الموصل وأعمالها ، وأمره بمقاتلة الفرنج ، فقاتلهم فى أواخر هذه السنة فأخذ منهم الرها وحريمها وبروج وسميساط ، ونهب ماردين وأسر ابن ملكها إياز إيلغازى ، فأرسل السلطان محمد إليه من يتهدده ففر منه إلى طغتكين صاحب دمشق ، فاتفقا على عصيان السلطان محمد ، فجرت بينهما وبين نائب حمص قرجان بن قراجة حروب كثيرة ، ثم اصطلحوا . وفيها ملكت زوجة مرعش الافرنجية بعد وفاة زوجها لعنهما الله . وحج بالناس فيها أمير الجيوش أبو الخير يمن الخادم ، وشكر الناس حجهم معه .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة ﴾

فيها جهز السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه صاحب العراق جيشا كثيفا مع الأمير برشق ابن إيلغازى صاحب ماردين إلى صاحب دمشق طغتكين ، وإلى آقسنقر البرشقى ليقاتلهما ، لأجل

عصيانهما عليه ، وقطع خطبته ، وإذا فرغ منهما عمد لقتال الفرنج . فلما اقترب الجيش من بلاد الشام هربا منه وتحيزا إلى الفرنج ، وجاء الأمير برشق إلى كفرطاب ففتحها عنوة ، وأخذ ما كان فيها من النساء والذرية ، وجاء صاحب إنطاكية روجيل فى خمسمائة فارس وألفى راجل ، فكبس المسلمين فقتل منهم خلقا كثيراً ، وأخذ أموالا جزيلة وهرب برشق فى طائفة قليلة ، وتمزق الجيش الذى كان معه شذ مذر ، فانا لله و إنا إليه راجعون . و فى ذى القعدة منها قدم السلطان محمد إلى بغداد ، وجاء إليه طغتكين صاحب دمشق معتذراً إليه ، فخلع عليه ، ورضى عنه ورده إلى عمله .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ إسماعيل بن محمد ﴾

ابن أحمد بن على أبو عثمان الأصبهانى أحد الرحالين فى طلب الحديث ، وقد وعظ فى جامع المنصور ثلاثين مجلساً ، واستملى عليه محمد بن ناصر ، وتوفى بأصبهان .

﴿ منجب بن عبد الله المستظهرى ﴾

أبو الحسن الخادم ، كان كثير العبادة ، وقد أثنى عليه محمد بن ناصر ، قال : وقف على أصحاب الحديث وقفاً

﴿ عبد الله بن المبارك ﴾

ابن موسى ، أبو البركات السقطى ، سمع الكثير ورحل فيه ، وكان فاضلا عارفا باللغة ، ودفن بباب حرب

﴿ يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ﴾

صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك ، عارفاً حسن السيرة محباً للفقراء والعلماء ، وله عليهم أرزاق ، مات وله اثنتان وخمسون سنة ، وترك ثلاثين ولداً ، وقام بالأمر من بعده ولده على .

﴿ ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة ﴾

فيها وقع حريق ببغداد احترقت فيه دور كثيرة ، منها دار نور الهدى الزينبى ، و رباط نهر زور ودار كتب النظامية ، وسلمت الكتب لأن الفقهاء نقلوها . وفيها قتل صاحب مراغة فى مجلس السلطان محمد ، قتله الباطنية ، وفى يوم عاشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة بمشهد على ابن موسى الرضا بمدينة طوس ، فقتل فيها خلق كثير . وفيها سار السلطان إلى فارس بعد موت نائبها خوفا عليها من صاحب كرمان . وحج بالناس بطز الخادم ، وكانت سنة مخصبة آمنة ولله الحمد.

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ عقيل بن الامام أبى الوفا ﴾

على بن عقيل الحنبلى ، كان شاباً قد برع وحفظ القرآن وكتب وفهم المعانى جيدا ، ولما توفى صبر أبوه وشكر وأظهر التجلد ، فقرأ قارىء فى العزاء (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) الآية ، فبكى ابن عقيل بكاء شديداً .

﴿ على بن أحمد بن محمد ﴾

ابن الرزاز ، آخر من حدث عن ابن مخلد بجزء الحسن بن عرفة ، وتفرد بأشياء غيره . توفى فيها عن سبع وتسعين سنة .

﴿ محمد بن منصور ﴾

ابن محمد بن عبد الجبار ، أبو بكر السمعانى ، سمع الكثير وحدث ووعظ بالنظامية ببغداد ، وأملى بمرو مائة وأربعين مجلساً ، وكانت له معرفة تامة بالحديث ، وكان أديباً شاعرا فاضلا ، له قبول عظيم فى القلوب ، توفى بمرو عن ثلاث وأربعين سنة .

﴿ محمد بن أحمد بن طاهر ﴾

ابن أحمد بن منصور الخازن ، فقيه الامامية ومفتيهم بالكرخ ، وقد سمع الحديث من التنوخى وابن غيلان ، توفى فى رمضان منها .

﴿ محمد بن على بن محمد ﴾

أبو بكر النسوى ، الفقيه الشافعى ، سمع الحديث ، وكانت إليه تزكية الشهود ببغداد ، وكان فاضلا أديباً ورعا .

﴿ محفوظ بن أحمد ﴾

ابن الحسن ، أبو الخطاب الكلوذانى ، أحد أئمة الحنابلة ومصنفيهم ، سمع الكثير وتفقه بالقاضى أبى يعلى ، وقرأ الفرائض على الونى ، ودرس وأفتى وناظر وصنف فى الأصول والفروع ، وله شعر حسن ، وجمع قصيدة يذكر فيها اعتقاده ومذهبه يقول فيها :

دع عنك تذكار الخليط المتحد * والشوق نحو الآنسات الخرد

والنوح فى تذكار سعدى إنما * تذكار سعدى شغل من لم يسعد

واسمع معانى إن أردت تخلصاً * يوم الحساب وخذ بقولى تهتدى

وذكر تمامها وهى طويلة ، كانت وفاته فى جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، وصلى عليه بجامع القصر ، وجامع المنصور ، ودفن بالقرب من الامام أحمد .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة ﴾

فى رابع صفر منها انكسف القمر كسوفا كلياً ، وفى تلك الليلة هجم الفرنج على ربض حماه فقتلوا خلقا كثيرا ، ورجعوا إلى بلادهم . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد سقط منها دور كثيرة بالجانب الغربى وغلت الغلات بها جدا ، وفيها قتل لؤلؤ الخادم الذى كان استحوذ على مملكة حلب بعد موت أستاذه رضوان بن تتش ، قتله جماعة من الأتراك ، وكان قد خرج من حلب متوجها إلى جعبر ، فنادى جماعة من مماليكه وغيرهم أرنب أرنب ، فرموه بالنشاب موهمين أنهم يصيدون أرنباً فقتلوه . وفيها كانت وفاة غياث الدين السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن

سلجوق ، سلطان بلاد العراق وخراسان وغير ذلك من البلاد الشاسعة . و الأقاليم الواسعة . كان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، عادلا رحيما ، سهل الأخلاق ، محمود العشرة ، ولما حضرته الوفاة استدعى ولده محموداً وضمه إليه و بكى كل منهما ، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة ، وعمره إذ ذاك أربعة عشر سنة ، فجلس وعليه التاج والسواران وحكم ، ولما توفى أبوه صرف الخزائن إلى العساكر وكان فيها إحدى عشر ألف ألف دينار ، واستقر الملك له ، وخطب له ببغداد وغيرها من البلاد ، ومات السلطان محمد عن تسع وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياماً . وفيها ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر ، صاحب حلب بدمشق .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ القاضى المرتضى ﴾

أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن على بن القاسم الشهرزورى ، والد القاضى جمال الدين عبد الله الشهرزورى ، قاضى دمشق فى أيام نور الدين ، اشتغل ببغداد وتفقه بها ، وكان شافعى المذهب ، بارعا دينا ، حسن النظم ، وله قصيدة فى علم التصوف ، وكان يتكلم على القلوب ، أورد قصيدته بتمامها ابن خلكان لحسنها وفصاحتها ، وأولها :

لمعت نارهم وقد عسعس الليـ * ـل ومل الحادى وحار الدليل
فتأملتها وفكرى من البيـ * ـن عليل ولحظ عينى كليل
وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى * وغرامى ذاك الغرام الدخيل

وله
يا ليل ما جئتكم زائراً * إلا وجدت الأرض تطوى لى
ولا ثنيت العزم عن بابكم * إلا تعثرت بأذيالى

وله
يا قلب إلى متى لا يفيد النصح * دع مزحك كم جنى عليك المزح
ما جارحة منك غذاها جرح * ما تشعر بالخمار حتى تصحو

توفى فى هذه السنة . قال ابن خلكان : وزعم عماد الدين فى الخريدة أنه توفى بعد العشرين وخمسمائة فالله أعلم . ﴿ محمد بن سعد ﴾

ابن نبهان ، أبو على الكاتب ، سمع الحديث وروى وعمر مائة سنة وتغير قبل موته ، وله شعر حسن ، فمنه قوله فى قصيدة له :

لى رزق قدره الله * نعم ورزق أتوقاه
حتى إذا استوفيت منه * الذى قدر لى لا أتعداه
قال كرام كنت أغشاهم * فى مجلس كنت أغشاه
صار ابن نبهان إلى ربه * يرحمنا الله وإياه .

﴿ أمير الحاج ﴾

يمن بن عبد الله أبو الخير المستظهرى ، كان جوادا كريماً ممـدحاً ذا رأى وفطنة ثاقبة ، وقد سمع الحديث من أبى عبـد الله الحسين بن طلحـة النعالى بإفادة أبى نصر الأصـبهانى ، وكان يؤم به فى الصلوات ، ولما قدم رسولا إلى أصبهان حدث بها . توفى فى ربيع الآخر من هذه السنة ودفن بأصبهان

﴿ ثم دخلت سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ﴾

فيها خطب للسلطان محمد بن ملكشاه بأمر الخليفة المستظهر بالله ، وفيها سأل دبيس بن صدقة الأسدى من السلطان محمود أن يرده إلى الحلة وغـيرها ، مما كان أبوه يتولاه من الأعمال ، فأجابه إلى ذلك ، فعظم وارتفع شأنه .

﴿ وفاة الخليفة المستظهر بالله ﴾

هو أبو العباس أحمد بن المقتدى ، كان خيراً فاضلا ذكيا بارعا ، كتب الخط المنسوب ، وكانت أيامه ببغداد كأنها الأعياد ، وكان راغباً فى البر والخير ، مسارعا إلى ذلك ، لا يرد سائلا ، وكان جميل العشرة لا يصغى إلى أقوال الوشاة من الناس ، ولا يثق بالمباشرين ، وقد ضبط أمور الخلافة جيدا ، وأحكمها وعلمها ، وكان لديه عـلم كثير ، وله شـعر حسن . قد ذكرناه أولا عنـد ذكر خلافته ، وقد ولى غسله ابن عقيل وابن السنى ، وصلى عليه ولده أبو منصور الفضل وكبّر أربعاً ، ودفن فى حجرة كان يسكنها ، ومن العجب أنه لما مات السلطان ألب أرسلان مات بعده الخليفة القائم ، ثم لما مات السلطان ملكشاه مات بعده المقتدى ، ثم لما مات السلطان محمد مات بعده المستظهر هذا ، فى سادس عشر ربيع الآخر ، وله من العمر إحدى وأربعون سنة ، وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً .

﴿ خلافة المسترشد أمير المؤمنين ﴾

أبو منصور الفضل بن المستظهر : لما توفى أبوه كما ذكرنا بويع له بالخلافة ، وخطب له على المنابر وقد كان ولى العهد من بعده مدة ثلاث وعشرين سنة ، وكان الذى أخـذ البيعة له قاضى القضاة أبو الحسن الدامغانى ، ولمـا استقرت البيعة له هرب أخوه أبو الحسن فى سفينة ومعه ثلاثة نفر ، وقصد دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الأسدى بالحلة ، فأكرمه وأحسن إليه ، فقلق أخوه الخليفة المسترشد من ذلك ، فراسل دبيساً فى ذلك مع نقيب النقباء الزينبى ، فهرب أخو الخليفة من دبيس فأرسل إليه جيشاً فألجأوه إلى البرية ، فلحقه عطش شديد ، فلقيه بدويان فسقياه ماء وحملاه إلى بغداد ، فأحضره أخوه إليه فاعتنقا وتباكيا ، وأنزله الخليفـة داراً كان يسكنها قبـل الخلافة ، وأحسن إليه ، وطيب نفسه ، وكانت مدة غيبته عن بغداد إحدى عشر شهرا ، واستقرت الخلافة بلا منازعة للمسترشد . وفيها كان غلاء شديد ببغداد ، وانقطع الغيث وعدمت الأقوات ، وتفاقم أمر

العيارين ببغداد ، ونهبوا الدور نهارا جهاراً ، ولم يستطع الشرط دفع ذلك . وحج بالناس فى هذه السنة الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الخليفة المستظهر ﴾

كما تقدم . ثم توفيت بعده جدته أم أبيه المقتدى .

﴿ أرجوان الأرمنية ﴾

وتدعى قرة العين ، كان لها بر كثير ، ومعروف ، وقد حجت ثلاث حجات ، وأدركت خلافة ابنها المقتدى ، وخلافة ابنه المستظهر ، وخلافة ابنه المسترشد ، ورأت للمسترشد ولدا .

﴿ بكر بن محمد بن على ﴾

ابن الفضل أبو الفضل الأنصارى ، روى الحديث ، وكان يضرب به المثل فى مذهب أبى حنيفة ، وتفقه على عبد العزيز بن محمد الحلوانى ، وكان يذكر الدروس من أى موضع سئل من غير مطالعة ولا مراجعة ، وربما كان فى ابتداء طلبه يكرر المسألة أربعمائة مرة . توفى فى شعبان منها .

﴿ الحسين بن محمد بن عبد الوهاب ﴾

الزينبى ، قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفقه على أبى عبد الله الدامغانى ، فبرع وأفتى ودرس بمشهد أبى حنيفة ، ونظر فى أوقافها ، وانتهت إليه رياسة مذهب أبى حنيفة ، ولقب نور الهدى ، وسار فى الرسلية إلى الملوك ، وولى نقابة الطالبيين والعباسيين ، ثم استعفى بعد شهور فتولاها أخوه طراد . توفى يوم الاثنين الحادى عشر من صفر ، وله من العمر ثنتان وتسعون سنة ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم على ، وحضرت جنازته الأعيان والعلماء ، ودفن عند قبر أبى حنيفة داخل القبة .

﴿ يوسف بن أحمد أبو طاهر ﴾

ويعرف بابن الجزرى ، صاحب المخزن فى أيام المستظهر ، وكان لا يوفى المسترشد حقه من التعظيم وهو ولى العهد ، فلما صارت إليه الخلافة صادره بمائة ألف دينار ، ثم استقر غلاماً له فأومأ إلى بيت فوجد فيه أربعمائة ألف دينار ، فأخذها الخليفة ثم كانت وفاته بعد هذا بقليل بهذا العام .

﴿ أبو الفضل بن الخازن ﴾

كان أديبا لطيفا شاعرا فاضلا فمن شعره قوله :

وافيت منزله فلم أر صاحبا * إلا تلقانى بوجه ضاحك

والبشر فى وجه الغلام نتيجة * لمقدمات ضياء وجه المالك

ودخلت جنته وزرت جحيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ﴾

فيها كانت الحروب الشديدة بين السلطان محمود بن محمد و بين عمه السلطان سنجر بن ملكشاه وكان النصر فيها لسنجر ، فخطب له ببغداد فى سادس عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، وقطعت خطبة ابن أخيه فى سائر أعماله . وفيها سارت الفرنج إلى مدينة حلب ففتحوها عنوة وملكوها ، وقتلوا من أهلها خلقا ، فسار إليهم صاحب ماردين إيلغازى بن أرتق فى جيش كثيف ، فهزمهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا به ، فقتل منهم هنالك مقتلة عظيمة ، ولله الحمد . ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وأسر من مقدميهم نيفا وتسعين رجلا ، وقتل فيمن قتل سيرجال صاحب إنطاكية ، وحمل رأسه إلى بغداد ، فقال بعض الشعراء فى ذلك وقد بالغ مبالغة فاحشة :

قل ما تشاء فقولك المقبول * وعليك بعد الخالق التعويل
واستبشر القرآن حين نصرته * وبكى لفقد رجاله الأنجيل

وفيها قتل الأمير منكوبرس الذى كان شحنة بغداد ، وكان ظالما غاشما سيء السيرة ، قتله السلطان محمود بن محمد صبراً بين يديه لأمور : منها أنه تزوج سرية أبيه قبل انقضاء عدتها ، ونعم ما فعل وقد أراح الله المسلمين منه ما كان أظلمه وأغشمه . وفيها تولى قضاء قضاة بغداد الأكمل أبو القاسم ابن على بن أبى طالب بن محمد الزينبى ، وخلع عليه بعد موت أبى الحسن الدامغانى ، وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وقبر ولديه إسحاق و يعقوب ، وشاهد ذلك الناس ، ولم تبل أجسادهم ، وعندهم قناديل من ذهب وفضة ، ذكر ذلك ابن الخازن فى تاريخه ، وأطال نقله من المنتظم لابن الجوزى والله أعلم .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ ابن عقيل ﴾

على بن عقيل بن محمد ، أبو الوفا شيخ الحنابلة ببغداد ، وصاحب الفنون وغيرها من التصانيف المفيدة ، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وقرأ القرآن على ابن سبطا ، وسمع الحديث الكثير ، وتفقه بالقاضى أبى يعلى بن الفراء ، وقرأ الأدب على ابن برهان ، والفرائض على عبد الملك الهمدانى ، والوعظ على أبى طاهر بن العلاف ، صاحب ابن سمعون ، والأصول على أبى الوليد المعتزلى ، وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب ، فربما لامه بعض أصحابه فلا يلوى عليهم ، فلهذا برز على أقرانه وساد أهل زمانه فى فنون كثيرة ، مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال ، وقد وعظ فى بعض الأحيان فوقعت فتنة فترك ذلك ، وقد متعه الله بجميع حواسه إلى حين موته ، توفى بكرة الجمعة ثانى جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكانت جنازته حافلة جداً ، ودفن قريباً من قبر الامام أحمد ، إلى جانب الخادم مخلص رحمه الله .

﴿ أبو الحسن على بن محمد الدامغانى ﴾

قاضى القضاة ابن قاضى القضاة ، ولد فى رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة ، وولى القضاء بباب الطاق من بغداد وله من العمر ست وعشرون سنة ، ولا يعرف حاكم قضى لأربعة من الخلفاء غيره إلا شريح ، ثم ذكر إمامته وديانته وصيانته مما يدل على نخوته ، وتفوقه وقوته ، تولى الحكم أربعا وعشرين سنة وستة أشهر ، وقبره عند مشهد أبى حنيفة .

﴿ المبارك بن على ﴾

ابن الحسين أبو سعد المخرمى ، سمع الحديث وتفقه على مذهب أحمد ، وناظر وأفتى ودرس ، وجمع كتبا كثيرة لم يسبق إلى مثلها ، وناب فى القضاء ، وكان حسن السيرة جميل الطريق ، سديد الأقضية ، وقد بنى مدرسة بباب الأزج وهى المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلى الحنبلى ، ثم عزل عن القضاء وصودر بأموال جزيلة ، وذلك فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وتوفى فى المحرم من هذه السنة ودفن إلى جانب أبى بكر الخلال عند قبر أحمد .

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة ﴾

فى النصف من ربيع الأول منها كانت وقعة عظيمة بين الأخوين السلطان محمود ومسعودا بنى محمد بن ملكشاه عند عقبة اسداباذ ، فانهزم عسكر مسعود وأسر وزيره الأستاذ أبو إسماعيل وجماعة من أمرائه ، فأمر السلطان محمود بقتل الوزير أبى إسماعيل ، فقتل وله نيف وستون سنة ، وله تصانيف فى صناعة الكيمياء . ثم أرسل إلى أخيه مسعود الأمان واستقدمه عليه ، فلما التقيا بكيا واصطلحا . وفيها نهب دبيس صاحب الحلة البلاد ، وركب بنفسه إلى بغداد ، ونصب خيمته بإزاء دار الخلافة ، وأظهر ما فى نفسه من الضغائن ، وذكر كيف طيف برأس أبيه فى البلاد ، وتهدد المسترشد ، فأرسل إليه الخليفة يسكن جأشه ويعده أنه سيصلح بينه وبين السلطان محمود ، فلما قدم السلطان محمود بغداد أرسل دبيس يستأمن فأمنه وأجراه على عادته ، ثم إنه نهب جسر السلطان فركب بنفسه السلطان لقتاله واستصحب معه ألف سفينة ليعبر فيها ، فهرب دبيس والتجأ إلى إيلغازى فأقام عنده سنة ، ثم عاد إلى الحلة وأرسل إلى الخليفة والسلطان يعتذر إليهما مما كان منه ، فلم يقبلا منه ، وجهز إليه السلطان جيشا فحاصروه وضيقوا عليه قريباً من سنة ، وهو ممتنع فى بلاده لا يقدر الجيش على الوصول إليه . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الكرج والمسلمين بالقرب من تفليس ، ومع الكرج كفار القفجاق فقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا ، وغنموا أموالا جزيلة ، وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ونهب الكرج تلك النواحى وفعلوا أشياء منكرة ، وحاصروا تفليس مدة ثم ملكوها عنوة ، بعد ما أحرقوا القاضى والخطيب حين خرجوا إليهم يطلبون منهم الأمان ، وقتلوا عامة أهلها ، وسبوا الذرية واستحوذوا على الأموال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفيها أغار

جوسكين الفرنجى على خلق من العرب والتركمان فقتلهم وأخذ أموالهم ، وهـذا هو صاحب الرها .
وفيها تمردت العيارون ببغداد وأخذوا الدور جهاراً ليلا ونهاراً ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفيها كان ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب ، كان ابتداء أمر هذا الرجل أنه قدم فى حداثة سنه من بلاد المغرب فسكن النظامية ببغداد ، واشتغل بالعلم فحصل منه جانبا جيدا من الفروع والأصول ، على الغزالى وغيره ، وكان يظهر التعبد والزهـد والورع ، وربما كان ينكر على الغزالى حسن ملابسه ، ولا سيما لما لبس خلع التدريس بالنظامية ، أظهر الانكار عليه جدا ، وكذلك على غيره ، ثم إنه حج وعاد إلى بلاده ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقرىء النـاس القرآن ويشغلهم فى الفقه ، فطار ذكره فى الناس ، واجتمع به يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد إفريقية ، فعظمه وأكرمـه ، وسأله الدعاء ، فاشتهر أيضا بذلك ، وبعد صيته ، وليس معـه إلا ركوة وعصا ، ولا يسكن إلا المساجـد ، ثم جعل ينتقل من بلد إلى بلد حتى دخـل مراكش ومعه تلميـذه عبد المؤمن بن على ، وقد كان توسم النجابة والشهامة فيه ، فرأى فى مراكش من المنكرات أضعاف ما رأى فى غيرها ، من ذلك أن الرجال يتلثمون والنساء يمشين حاسرات عن وجوههن ، فأخـذ فى إنكار ذلك حتى أنه اجتازت به فى بعض الأيام أخت أمير المسلمين يوسف ملك مراكش وما حولها ، ومعها نساء مثلها راكبات حاسرات عن وجوههن ، فشرع هو وأصحابه فى الانكار عليهن ، وجعلوا يضربون وجوه الدواب فسقطت أخت الملك عن دابتها ، فأحضره الملك وأحضر الفقهاء فظهر عليهم بالحجة ، وأخذ يعظ الملك فى خاصة نفسه ، حتى أبكاه ، ومع هـذا نفاه الملك عن بلده فشرع يشنع عليه ويدعو الناس إلى قتاله ، فاتبعه على ذلك خلق كثير ، فجهز إليه الملك جيشا كثيفا فهزمهم ابن تومرت ، فعظم شأنه وارتفع أمره ، وقويت شوكته ، وتسمى بالمهـدى ، وسمى جيشه جيش الموحدين وألف كتابا فى التوحيد وعقيدة تسمى المرشـدة ، ثم كانت له وقعات مع جيوش صاحب مراكش ، فقتل منهم فى بعض الأيام نحواً من سبعين ألفا ، وذلك باشارة أبى عبدالله التومرتى ، وكان ذكر أنه نزل إليه ملك وعلمه القرآن والموطأ ، وله بذلك ملائكة يشهدون به فى بئر سماه ، فلما اجتاز به وكان قد أرصد فيه رجالا ، فلما سألهم عن ذلك والناس حضور معه على ذلك البئر شهدوا له بذلك ، فأمر حينئذ بطم البئر عليهم فماتوا عن آخرهم ، ولهذا يقال من أعان ظالما سلط عليه . ثم جهز ابن تومرت الذى لقب نفســه بالمهدى جيشاً عليهم أبو عبد الله التومرتى ، وعبـد المؤمن ، لمحاصرة مراكش ، فخرج إليهم أهلها فاقتتلوا قتالا شديدا ، وكان فى جملة من قتل أبو عبد الله التومرتى هذا الذى زعم أن الملائكة تخاطبه ، ثم افتقدوه فى القتلى فلم يجدوه ، فقالوا : إن الملائكة رفعته ، وقد كان عبدالمؤمن دفنه والناس فى المعركة ، وقتل ممن معه من أصحاب المهدى خلق كثير ، وقـد كان حين جهز الجيش

مريضاً مدنفا ، فلما جاءه الخبر ازداد مرضاً إلى مرضـه ، وساءه قتل أبى عبد الله التومرتى ، وجعل الأمر من بعده لعبد المؤمن بن على ، ولقبه أمير المؤمنين . وقد كان شابا حسنا حازماً عاقلا ، ثم مات ابن تومرت وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة ، ومدة ملكه عشر سنين ، وحين صار إلى عبد المؤمن ابن على الملك أحسن إلى الرعايا ، وظهرت له سيرة جيدة فأحبه الناس ، واتسعت ممالكه ، وكثرت جيوشه ورعيته ، ونصب العـداوة إلى تاشفين صاحب مراكش ، ولم يزل الحرب بينهما إلى سـنة خمس وثلاثين ، فمات تاشـفين فقام ولده من بعـده ، فمات فى سنة تسع وثلاثين ليلة سبع وعشرين من رمضان ، فتولى أخوه إسـحاق بن على بن يوسف بن تاشفين ، فسار إليـه عبد المؤمن فملك تلك النواحى ، وفتح مدينـة مراكش ، وقتل هنالك أمما لا يعلم عـددهم إلا الله عز وجل ، قتل ملكها إسحاق وكان صغير السن فى سنة ثنتين وأربعين ، وكان إسحاق هذا آخر ملوك المرابطين ، وكان ملكهم سبعين سنة . والذين ملكوا منهم أربعة : عـلى وولده يوسف ، وولداه أبو سفيان وإسحاق ابنا على المذكور ، فاستوطن عبد المؤمن مدينة مراكش ، واستقر ملكه بتلك الناحية ، وظفر فى سـنة ثلاث وأربعـين بدكالة وهى قبيـلة عظيمة نحو مائتى ألف راجـل وعشرين ألف فارس مقاتل ، وهم من الشجعان الأبطال ، فقتل منهم خلقا كثيرا ، وجما غفيرا ، وسبى ذراريهم وغنم أموالهم حتى إنه بيعت الجارية الحسناء بدراهم معدودة ، وقد رأيت لبعضهم فى سـيرة ابن تومرت هذا مجـلدا فى أحكامه وإمامته ، وما كان فى أيامـه ، وكيف تملك بلاد المغرب ، وما كان يتعاطاه من الأشياء التى توهم أنها أحوال برة ، وهى محالات لا تصدر إلا عن فجرة ، وما قتل من الناس وأزهق من الأنفس .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن عبد الوهاب بن السنى ﴾

أبو البركات ، أسند الحديث وكان يعلم أولاد الخليفة المستظهر ، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد ولاه المخزن ، وكان كثير الأموال والصدقات ، يتعاهد أهـل العلم ، وخلف مالا كثيرا حزر بمائتى ألف دينار ، أوصى منه بثلاثين ألف دينار لمكة والمدينة ، توفى فيها عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر ، وصلى عليه الوزير أبو على بن صدقة ، ودفن بباب حرب .

﴿ عبد الرحيم بن عبد الكبير ﴾

ابن هوازن ، أبو نصر القشيرى ، قرأ على أبيه وإمام الحرمين ، وروى الحديث عن جماعة ، وكان ذا ذكاء وفطنة ، وله خاطر حاضر جرىء ، ولسان ماهر فصيح ، وقد دخل بغداد فوعظ بها فوقع بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعيـة ، فحبس بسببها الشريف أبو جعفر بن أبى موسى ، وأخرج ابن القشيرى من بغداد لاطفاء الفتنة فعاد إلى بلده ، توفى فى هذه السنة .

﴿ عبد العزيز بن على ﴾

ابن حامد أبو حامد الدينورى ، كان كثير المال والصدقات ، ذا حشمة وثروة ووجاهة عند الخليفة ، وقد روى الحديث ووعظ ، وكان مليح الايراد حلو المنطق ، توفى بالرى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشر وخمسمائة ﴾

فيها أقطع السلطان محمود الأمير إيلغازى مدينة ميا فارقين ، فبقيت فى يد أولاده إلى أن أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فى سنة ثمانين وخمسمائة . وفيها أقطع آقسنقر البرشقى مدينة الموصل لقتال الفرنج ، وفيها حاصر ملك بن بهرام وهو ابن أخى إيلغازى مدينة الرها فأسر ملكها جوسكين الأفرنجى وجماعة من رؤس أصحابه وسجنهم بقلعة خرتبرت . وفيها هبت ريح سوداء فاستمرت ثلاثة أيام فأهلكت خلقا كثيرا من الناس والدواب . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالحجاز فتضعضع بسببها الركن اليمانى ، وتهدم بعضه ، وتهدم شئ من مسجد رسول الله ﷺ . وفيها ظهر رجل علوى بمكة كان قد اشتغل بالنظامية فى الفقه وغيره ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاتبعه ناس كثير فنفاه صاحبها ابن أبى هاشم إلى البحرين . وفيها احترقت دار السلطان بأصبهان ، فلم يبق فيها شىء من الآثار والقماش والجواهر والذهب والفضة سوى الياقوت الأحمر ، وقبل ذلك بأسبوع احترق جامع أصبهان ، وكان جامعاً عظيما ، فيه من الأخشاب مايساوى ألف دينار ، ومن جملة مااحترق فيه خمسمائة مصحف ، من جملتها مصحف بخط أبى بن كعب ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفى شعبان منها جلس الخليفة المسترشد فى دار الخلافة فى أبهة الخلافة ، وجاء الاخوان السلطان محمود ومسعود فقبلا الأرض ووقفا بين يديه ، فخلع على محمود سبع خلع وطوقا وسوارين وتاجا ، وأجلس على كرسى ووعظه الخليفة ، وتلا عليه قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وأمره بالاحسان إلى الرعايا ، وعقد له لواءين بيده ، وقلده الملك ، وخرجا من بين يديه مطاعين معظمين ، والجيش بين أيديهما فى أبهة عظيمة جداً . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها . ﴿ ابن القطاع اللغوى أبوالقاسم على بن جعفر بن محمد ﴾

ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدى الصقلى ، ثم المصرى اللغوى المصنف كتاب الأفعال ، الذى برز فيه على ابن القوطية ، وله مصنفات كثيرة ، قدم مصر فى حدود سنة خمسمائة لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية ، فأكرمه المصريون وبالغوا فى إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل فى الدين ، وله شعر جيد قوى ، مات وقد جاوز الثمانين .

﴿ أبو القاسم شاهنشاه ﴾

الأفضل بن أمير الجيوش بمصر ، مدبر دولة الفاطميين ، وإليه تنسب قيسرية أمير الجيوش

بمصر ، والعامة تقول مرجوش ، وأبوه بانى الجامع الذى بثغر الاسكندرية بسوق العطارين ، ومشهد الرأس بعسقلان أيضاً ، وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور ، وقيل على عكا ، ثم استدعاه إليه فى فصل الشتاء فركب البحر فاستنابه على ديار مصر ، فسدد الأمور بعد فسادها ، ومات فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وقام فى الوزارة ولده الأفضل هذا ، وكان كأبيه فى الشهامة والصرامة ، ولما مات المستنصر أقام المستعلى واستمرت الأمور على يديه ، وكان عادلا حسن السيرة ، موصوفا بجودة السريرة فالله أعلم ، ضربه فداوى وهو راكب فقتله فى رمضان من هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، وكانت إمارته من ذلك بعد أبيه ثمان وعشرين سنة ، وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر ، وقد وجد له أموال عديدة جدا ، تفوق العد والاحصاء ، من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، والجواهر النفائس ، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمى ، فجعل فى خزانته ، وذهب جامعه إلى سواء الحساب ، على الفتيل من ذلك والنقير والقطمير واعتاض عنه الخليفة بأبى عبد الله البطائحى ، ولقبه المأمون . قال ابن خلكان : ترك الأفضل من الذهب العين ستمائة ألف ألف دينار مكررة ، ومن الدراهم مائتين وخمسين أردبا ، وسبعين ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقى ، ودواة ذهب فيها جوهرة بإثنى عشر ألف دينار ، ومائة مسمار ذهب زنة كل مسمار مائة مثقال ، فى عشرة مجالس كان يجلس فيها ، على كل مسمار منديل مشدود بذهب ، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه ، وخمسمائة صندوق كسوة للبس بدنه ، قال : وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والمسك والطيب والحلى مالا يعلم قدره إلا الله عز وجل ، وخلف من البقر والجواميس والغنم مايستحيى الانسان من ذكره ، وبلغ ضمان ألبانها فى سنة وفاته ثلاثين ألف دينار ، وترك صندوقين كبيرين مملوءين إبر ذهب برسم النساء .

﴿ عبد الرزاق بن عبد الله ﴾

ابن على بن إسحاق الطوسى ، ابن أخى نظام الملك ، تفقه بإمام الحرمين ، وأفتى ودرس وناظر ، ووزر للملك سنجر

﴿ خاتون السفرية ﴾

حظية السلطان ملكشاه ، وهى أم السلطانين محمد وسنجر ، كانت كثيرة الصدقة والاحسان إلى الناس ، لها فى كل سنة سبيل يخرج مع الحجاج . وفيها دين وخير ، ولم تزل تبحث حتى عرفت مكان أمها وأهلها ، فبعثت الأموال الجزيلة حتى استحضرتهم ، ولما قدمت عليها أمها كان لها عنها أربعين سنة لم ترها ، فأحبت أن تستعلم فهمها فجلست بين جواريها ، فلما سمعت أمها كلامها عرفتها فقامت إليها فاعتنقا وبكيا ، ثم أسلمت أمها على يديها جزاها الله خيرا . وقد تفردت بولادة ملكين من ملوك المسلمين ، فى دولة الأتراك والعجم ، ولا يعرف لها نظير فى ذلك إلا اليسير من ذلك ، وهى

ولادة بنت العباس ، ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان ، وشاهوند ولدت للوليد يزيد وإبراهيم ، وقد وليا الخلافة أيضاً ، والخيزران ولدت للمهدى الهادى والرشيد .

﴿ الطغرائى ﴾

صاحب لامية العجم ، الحسين بن على بن عبد الصمد ، مؤيد الدين الأصبهانى ، العميد فخر الكتاب الليثى الشاعر ، المعروف بالطغرائى ، ولى الوزارة بأربل مدة ، أورد له ابن خلكان قصيدته اللامية التى ألفها فى سنة خمس وخمسمائة ، فى بغداد ، يشرح فيها أحواله وأموره ، وتعرف بلامية العجم أولها :

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
مجدى أخيراً ومجدى أولا شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل
فيم الاقامة بالزوراء ؟ لا سكنى * بها ولا ناقتى فيها ولا جملى

وقد سردها ابن خلكان بكمالها ، وأورد له غير ذلك من الشعر والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة ﴾

فى المحرم منها رجع السلطان طغرلبك إلى طاعة أخيه محمود ، بعد ما كان قد خرج عنها ، وأخذ بلاد أذربيجان . وفيها أقطع السلطان محمود مدينة واسط لآقسنقر مضافا إلى الموصل ، فسير إليها عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، فأحسن السيرة بها وأبان عن حزم وكفاية . وفى صفر منها قتل الوزير السلطان محمود أبو طالب السميرمى ، قتله باطنى ، وكان قد برز للمسير إلى همذان ، وكانت قد خرجت زوجته فى مائة جارية بمراكب الذهب ، فلما بلغهن قتله رجعن حافيات حاسرات عن وجوههن ، قد هن بعد العز ، واستوزر السلطان مكانه شمس الدين الملك عثمان بن نظام الملك . وفيها التقى آقسنقر ودبيس بن صدقة ، فهزمه دبيس وقتل خلقا من جيشه ، فأوثق السلطان منصور بن صدقة أخا دبيس وولده ، ورفعهما إلى القلعة ، فعند ذلك آذى دبيس تلك الناحية ونهب البلاد ، وجز شعره ولبس السواد ، ونهبت أموال الخليفة أيضاً ، فنودى فى بغداد للخروج لقتاله ، وبرز الخليفة فى الجيش وعليه قباء أسود وطرحة ، وعلى كتفيه البردة وبيده القضيب ، وفى وسطه منطقة حرير صينى ، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ، ونقيب النقباء على بن طراد الزينبى ، وشيخ الشيوخ صدر الدين بن إسماعيل ، وتلقاه آقسنقر البرشقى ومعه الجيش فقبلوا الأرض ورتب البرشقى الجيش ، ووقف القراء بين يدى الخليفة ، وأقبل دبيس وبين يديه الاماء يضربن بالدفوف والمخانيث بالملاهى ، والتقى الفريقان ، وقد شهر الخليفة سيفه وكبر واقترب من المعركة ، فحمل عنتر بن أبى العسكر على ميمنة الخليفة فكسرها وقتل أميرها ثم حمل مرة ثانية فكشفهم كالاولى فحمل عليه عماد

الدين زنكى ابن آقسنقر فأسر عنتر وأسر معه بديل بن زائدة ، ثم انهزم عسكر دبيس وألقوا أنفسهم في الماء ، فغرق كثير منهم ، فأمر الخليفة بضرب أعناق الأسارى صبراً بين يديه ، وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الأسر ، وعاد الخليفة إلى بغداد فدخلها في يوم عاشوراء من السنة الآتية ، وكانت غيبته عن بغداد ستة عشر يوماً ، وأما دبيس فانه نجا بنفسه وقصد غزية ثم إلى المنتفق فصحبهم إلى البصرة فدخلها ونهبها وقتل أميرها ، ثم خاف من البرشقى فخرج منها وسار على البرية والتحق بالفرنج ، وحضر معهم حصار حلب ، ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل أخى السلطان محمود . وفيها ملك السلطان سهام الدين تمراش بن إيلغازى ابن أرتق قلعة ماردين بعد وفاة أبيه ، وملك أخوه سليمان ميافارقين . وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذى القرنين . وفيها دخل جماعة من الوعاظ إلى بغداد فوعظوا بها ، وحصل لهم قبول تام من العوام . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ عبد الله بن أحمد ﴾

ابن عمر بن أبى الأشعث ، أبو محمد السمرقندى ، أخو أبى القاسم ، وكان من حفاظ الحديث ، وقد زعم أن عنده منه ماليس عند أبى زرعة الرازى ، وقد صحب الخطيب مدة وجمع وألف وصنف ورحل إلى الآفاق ، توفى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول بها عن ثمانين سنة .

﴿ على بن أحمد السميرمى ﴾

نسبة إلى قرية بأصبهان ، كان وزير السلطان محمود ، وكان مجاهراً بالظلم والفسق ، وأحدث على الناس مكوسا ، وجددها بعد ما كانت قد أزيلت من مدة متطاولة ، وكان يقول : قد استحييت من كثرة ظلم من لا ناصر له ، وكثرة ما أحدثت من السنن السيئة ، ولما عزم على الخروج إلى همذان أحضر المنجمين فضربوا له تخت رمل لساعة خروجه ليكون أسرع لعودته ، فخرج في تلك الساعة وبين يديه السيوف المسلولة ، والمماليك الكثيرة بالعدد الباهرة ، فما أغنى عنه ذلك شيئا ، بل جاءه باطنى فضربه فقتله ، ثم مات الباطنى بعده ، ورجع نساؤه بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب ، حاسرات عن وجوههن ، قد أبدلهن الله الذل بعد العز ، والخوف بعد الأمن ، والحزن بعد السرور والفرح ، جزاء وفاقا ، وذلك يوم الثلاثاء سلخ صفر ، وما أشبه حالهن بقول أبى العتاهية في الخيزران وجواريها حين مات المهدى :

رحن في الوشى عليهن المسوح * كل بطاح من الناس له يوم يطوح

لتموتن ولو عمرت ما عمر نوح * فعلى نفسك نح إن كنت لابد تنوح

﴿ الحريرى صاحب المقامات ﴾

القاسم بن على بن محمد بن محمد بن عثمان ، فخر الدولة أبو محمد الحريرى . مؤلف المقامات التى

سارت بفصاحتها الركبان ، وكاد يربو فيها على سحبان ، ولم يسبق إلى مثلها ولا يلحق ، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث واشتغل باللغة والنحو ، وصنف في ذلك كله ، وفاق أهل زمانه ، وبرز على أقرانه ، وأقام ببغداد وعمل صناعة الانشاء مع الكتاب في باب الخليفة ، ولم يكن ممن تتنكر بديهته ولاتتعكر فكرته وقريحته . قال ابن الجوزى : صنف وقرأ الأدب واللغة ، وفاق أهل زمانه بالذكاء والفطنة والفصاحة ، وحسن العبارة ، وصنف المقامات المعروفة التي من تأملها عرف ذكاء منشئها ، وقدره وفصاحته ، وعلمه . توفى في هذه السنة بالبصرة . وقد قيل إن أبا زيد والحارث بن همام المطهر لاوجود لهما ، وإنما جعل هذه المقامات من باب الأمثال ، ومنهم من يقول أبو زيد بن سلام السروجى كان له وجود ، وكان فاضلا ، وله علم ومعرفة باللغة فالله أعلم . وذكر ابن خلكان أن أبا زيد كان اسمه المطهر بن سلام ، وكان بصريا فاضلا في النحو واللغة ، وكان يشتغل عليه الحريرى بالبصرة ، وأما الحارث بن همام فانه عنى بنفسه ، لما جاء في الحديث كلكم حارث وكلكم همام. كذا قال ابن خلكان . وإنما اللفظ المحفوظ « أصدق الأسماء حارث وهمام » لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل ، أو همام من الهمة وهو العزم والخاطر ، وذكر أن أول مقامة عملها الثامنة والأربعون وهى الحرامية ، وكان سببها أنه دخل عليهم في مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان ، فاستسموه فقال أبو زيد السروجى ، فعمل فيه هذه المقامة ، فأشار عليه وزير الخليفة المسترشد جلال الدين عميد الدولة أبو على الحسن بن أبى العز بن صدقة ، أن يكمل عليها تمام خمسين مقامة . قال ابن خلكان : كذا رأيته في نسخة بخط المصنف ، على حاشيتها ، وهو أصح من قول من قال إنه الوزير شرف الدين أبو نصر أنو شروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشانى ، وهو وزير المسترشد أيضاً ، ويقال إن الحريرى كان قد عملها أربعين مقامة ، فلما قدم بغداد ولم يصدق في ذلك لعجز الناس عن مثلها ، فامتحنه بعض الوزراء أن يعمل مقامة فأخذ الدواة والقرطاس وجلس ناحية فلم يتيسر له شىء ، فلما عاد إلى بلده عمل عشرة أخرى فأتمها خمسين مقامة ، وقد قال فيه أبو القاسم على بن أفلح الشاعر ، وكان من جملة المكذبين له فيها :

شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما * رماه وسط الديوان بالخرس

ومعنى قوله بالمشان هو مكان بالبصرة ، وكان الحريرى صدر ديوان المشان ، ويقال إنه كان ذميم الخلق ، فاتفق أن رجلا رحل إليه فلما رآه ازدراه ففهم الحريرى ذلك فأنشأ يقول :

ما أنت أول سار غره قمر * ورائدا أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيرى إننى رجل * مثل المعيدى فاسمع بى ولاترنى

ويقال إن المعيدى اسم حصان جواد كان فى العرب ذميم الخلق والله أعلم .

﴿ البغوى المفسر ﴾

الحسين بن مسعود بن محمد البغوى ، صاحب التفسير وشرح السنة والتهذيب فى الفقه ، والجمع بين الصحيحين والمصابيح فى الصحاح والحسان ، وغير ذلك ، اشتغل على القاضى حسين وبرع فى هذه العلوم ، وكان علامة زمانه فيها ، وكان دينا ورعا زاهداً عابداً صالحا . توفى فى شوال منها وقيل فى سنة عشر فالله أعلم . ودفن مع شيخه القاضى حسين بالطالقان والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة ﴾

فى يوم عاشوراء منها عاد الخليفة من الحلة إلى بغداد مؤيداً منصورا من قتال دبيس . وفيها عزم الخليفة على طهور أولاد أخيه ، وكانوا اثنى عشر ذكرا ، فزينت بغداد سبعة أيام بزينة لم ير مثلها . وفى شعبان منها قدم أسعد المهيتى مدرساً بالنظامية ببغداد ، وناظراً عليها ، وصرف الباقرجى عنها ، ووقع بينه وبين الفقهاء فتنة بسبب أنه قطع منهم جماعة ، واكتفى بمائتى طالب منهم ، فلم يهن ذلك على كثير منهم . وفيها سار السلطان محمود إلى بلاد الكرج وقد وقع بينهم وبين القفجاق خلف فقاتلهم فهزمهم ، ثم عاد إلى همدان . وفيها ملك طغتكين صاحب دمشق مدينة حماه بعد وفاة صاحبها قراجا ، وقد كان ظالما غاشما . وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت داره وهو على بن أفلح ، لأنه كان عيناً لدبيس ، وأضيف إلى على بن طراد نقابة العلويين مع نقابة العباسيين .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن على بن صدقة ، التغلبى ، المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقى ، الكاتب ، له ديوان شعر مشهور . قال ابن عساكر ختم به شعر الشعراء بدمشق ، شعره جيد حسن ، وكان مكثراً لحفظ الأشعار المتقدمة وأخبارهم ، وأورد له ابن خلكان قطعة جيدة من شعره من قصيدته التى لو لم يكن له سواها لكفته وهى التى يقول فيها :

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه * فقد كاد رياها يطير بلبه
وإياكما ذاك النسيم فانه * متى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلى ، لو أحببتما لعلمتما * محل الهوى من مغرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى * يتوق ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه * وشوق على بعد المزار وقربه
وفى الركب مطوى الضلوع على جوى * متى يدعه داعى الغرام يلبه
إذا خطرت من جانب الرمل نفحة * تضمن منها داؤه دون صحبه

ومحتجب بين الأسنة معرض * وفى القلب من أعراضه مثل حجبه
أغار إذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

توفى فى رمضان منها عن سبع وتسعين سنة بدمشق .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة ﴾

فيها ظهرت الباطنية بآمد فقاتلهم أهلها فقتلوا منهم سبعمائة . وفيها ردت شحنكية بغداد إلى سعد الدولة يرنقش الزكوى وسلم إليه منصور بن صدقة أخو دبيس ليسلمه إلى دار الخلافة ، وورد الخبر بأن دبيساً قد التجأ إلى طغرلبك وقد اتفقا على أخذ بغداد ، فأخذ الناس بالتأهب إلى قتالهما ، وأمر آقسنقر بالعود إلى الموصل ، فاستناب على البصرة عماد الدين زنكى بن آقسنقر . وفى ربيع الأول دخل الملك حسام تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق صاحب حلب ، وقد ملكها بعد ملكها بلك بن بهرام ، وكان قد حاصر قلعة منبج فجاءه سهم فى حلقه فمات ، فاستناب تمرتاش بحلب ، ثم عاد إلى ماردين فأخذت منه بعد ذلك ، أخذها آقسنقر مضافة إلى الموصل ، وفيها أرسل الخليفة القاضى أبا سعد الهروى ليخطب له ابنة السلطان سنجر ، وشرع الخليفة فى بناء دار على حافة دجلة لأجل العروس . وحج بالناس جمال الدولة إقبال المسترشدى .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن على بن برهان ﴾

أبو الفتح ، ويعرف بابن الحمامى ، تفقه على أبى الوفاء بن عقيل ، وبرع فى مذهب الامام أحمد ، ثم نقم عليه أصحابه أشياء ، فحمله ذلك على الانتقال إلى مذهب الشافعى ، فاشتغل على الغزالى والشاشى ، وبرع وساد وشهد عند الزينبى فقبله ، ودرس فى النظامية شهراً . توفى فى جمادى ودفن بباب إبرز .

﴿ عبد الله بن محمد بن جعفر ﴾

أبو على الدامغانى ، سمع الحديث وشهد عند أبيه وناب فى الكرخ عن أخيه ، ثم ترك ذلك كله ، وولى حجابة باب النوبى ، ثم عزل ثم أعيد . توفى فى جمادى .

﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن إبراهيم أبو الفضل الميدانى ، صاحب كتاب الأمثال ، ليس له مثله فى بابه ، له شعر جيد ، توفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رمضان والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة ﴾

فيها قصد دبيس والسلطان طغرل بغداد ليأخذاها من يد الخليفة ، فلما اقتربا منها برز إليهما الخليفة فى جحفل عظيم ، والناس مشاة بين يديه إلى أول منزلة ، ثم ركب الناس بعد ذلك ، فلما أمست الليلة التى يقتتلون فى صبيحتها ، ومن عزمهم أن ينهبوا بغداد ، أرسل الله مطراً عظيما ،

ومرض السلطان طغرل فى تلك الليلة ، فتفرقت تلك الجموع ورجعوا على أعقابهم خائبين خائفين ، والتجأ دبيس وطغرل إلى الملك سنجر وسألاه الأمان من الخليفة ، والسلطان محمود ، فحبس دبيساً فى قلعة ووشى واش أن الخليفة يريد أن يستأثر بالملك ، وقد خرج من بغداد إلى اللان لمحاربة الأعداء ، فوقع فى نفس سنجر من ذلك وأضمر سوءً ، مع أنه قد زوج ابنته من الخليفة. وفيها قتل القاضى أبو سعد بن نصر بن منصور الهروى بهمدان ، قتلته الباطنية ، وهو الذى أرسله الخليفة إلى سنجر ليخطب ابنته . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ آقسنقر البرشقى ﴾

صاحب حلب ، قتلته الباطنية ـ وهم الفداوية ـ فى مقصورة جامعها يوم الجمعة ، وقد كان تركيا جيد السيرة ، محافظا على الصلوات فى أوقاتها ، كثير البر والصدقات إلى الفقراء ، كثير الاحسان إلى الرعايا ، وقام فى الملك بعده ولده السلطان عز الدين مسعود ، وأقره السلطان محمود على عمله .

﴿ بلال بن عبد الرحمن ﴾

ابن شريح بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح ، مؤذن رسول الله ﷺ ، رحل وجال فى البلاد ، وكان شيخاً جهورى الصوت ، حسن القراءة ، طيب النغمة توفى فى هذه السنة بسمرقند رحمه الله .

﴿ القاضى أبو سعد الهروى ﴾

أحمد [(١)] بن نصر ، أحد مشاهير الفقهاء ، وسادة الكبراء ، قتلته الباطنية بهمذان فيها .

﴿ ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة ﴾

فيها تراسل السلطان محمود والخليفة على السلطان سنجر ، وأن يكونا عليه ، فلما علم بذلك سنجر كتب إلى ابن أخيه محمود ينهاه ويستميله إليه ، ويحذره من الخليفة ، وأنه لا تؤمن غائلته ، وأنه متى فرغ منى دار إليك فأخذك ، فأصغى إلى قول عمه ورجع عن عزمه ، وأقبل ليدخل بغداد عامه ذلك ، فكتب إليه الخليفة ينهاه عن ذلك لقلة الاقوات بها ، فلم يقبل منه ، وأقبل إليه ، فلما أزف قدومه خرج الخليفة من داره وتجهز إلى الجانب الغربى فشق عليه ذلك وعلى الناس ، ودخل عيد الأضحى فخطب الخليفة الناس بنفسه خطبة عظيمة بليغة فصيحة جدا ، وكبر وراءه خطباء الجوامع ، وكان يوماً مشهودا . وقد سردها ابن الجوزى بطولها ورواها عن من حضرها ، مع قاضى القضاة الزينبى ، وجماعة من العدول ، ولما نزل الخليفة عن المنبر ذبح البدنة بيده ، ودخل السرادق وتباكى الناس ودعوا للخليفة بالتوفيق والنصر ، ثم دخل السلطان محمود إلى بغداد يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذى

(١) كذا . وفى ابن الأثير محمد بن نصر .

الحجة ، فنزلوا فى بيوت النـاس وحصل للناس منهـم أذى كثير فى حريمهم ، ثم إن السلطان راسل الخليفة فى الصلح فأبى ذلك الخليفة ، وركب فى جيشه وقاتل الأتراك ومعه شرذمة قليلة من المقاتلة ، ولكن العامة كلهم معه ، وقتل من الأتراك خلقا ، ثم جاء عماد الدين زنكى فى جيش كثيف من واسط فى سفن إلى السلطان نجدة ، فلما استشعر الخليفة ذلك دعا إلى الصلح ، فوقع الصلح بين السلطان والخليفة ، وأخذ الملك يستبشر بذلك جداً ، ويعتـذر إلى الخليفة مما وقع ، ثم خرج فى أول السنة الآتية إلى همذان لمرض حصل له . وفيها كان أول مجلس تـكلم فيه ابن الجوزى على المنبر يعظ الناس ، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، وحضره الشيخ أبو القاسم على بن يعلى العلوى البلخى ، وكان نسيبا ، علمه كلمات ثم أصعده المنبر فقالها ، وكان يوما مشهودا . قال ابن الجوزى : وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا ، والله أعلم . وفيها اقتتل طغتـكين صاحب دمشق وأعداؤه من الفرنج فقتل منهم خلقا كثيرا ، وغنم منهم أموالا جزيلة ولله الحمد والمنة ،

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن محمد ﴾

أبو الفتح الطوسى الغزالى ، أخو أبى حامد الغزالى ، كان واعظا مفوها ، ، ذا حظ من الـكلام والزهد وحسن التأنى ، وله نـكت جيدة ، ووعظ مرة فى دار الملك محمود فأطلق له ألف دينار ، وخرج فاذا على الباب فرس الوزير بسرجها الذهب ، وسلاحها وما عليها من الحلى ، فركبها ، فبلغ ذلك الوزير فقال : دعوه ولا يرد على الفرس ، فأخذها الغزالى ، وسمع مرة ناعورة تئن فألقى عليها رداءه فتمزق قطعا قطعا . قال ابن الجوزى : وقد كانت له نـكت إلا أن الغالب على كلامه التخليط والأحاديث الموضوعة المصنوعة ، والحكايات الفارغة ، والمعانى الفاسدة ، ثم أورد ابن الجوزى أشياء منكرة من كلامه فالله أعلم ، من ذلك أنه كان كلما أشكل عليـه شئ رأى رسول الله ﷺ فى اليقظة فسأله عن ذلك فدله على الصواب ، وكان يتعصب إلى بليس ويعتذر له ، وتـكلم فيه ابن الجوزى بكلام طويل كثير . قال ونسب إلى محبة المردان والقول بالمشاهدة فالله أعلم بصحة ذلك . قال ابن خلـكان : كان واعظا مليح الوعظ حسن المنظر صـاحب كرامات و إشـارات ، وكان من الفقهاء ، غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه ودرس بالنظامية نيابة عن أخيه لما تزهد ، واختصر إحياء علوم الدين فى مجلد سماه « لباب الاحيا » وله الذخيرة فى علم البصيرة ، وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مائلا إلى الانقطاع والعزلة والله أعلم بحاله .

﴿ أحمد بن على ﴾

ابن محمد الوكيل ، المعروف بابن برهان ، أبو الفتح الفقيه الشافعى ، تفقه على الغزالى وعلى الـكيا الهراسى ، وعلى الشاشى ، وكان بارعا فى الأصول ، وله كتاب الذخيرة فى أصول الفقه ، وكان يعرف

فنونا جيدة ، بعينها . وولى تدريس النظامية ببغداد دون شهر .

﴿ بهرام بن بهرام ﴾

أبو شجاع البيع ، سمع الحديث وبنى مدرسة لأصحاب أحمد بكلواذى ، ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء بها .

﴿ صاعد بن سيار ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو الأعلا الاسحاق الهروى الحافظ ، أحد المتقنين ، سمع الحديث وتوفى بعتورج قرية على باب هراة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ﴾

استهلت هذه السنة والخليفة والسلطان محمود متحاربان والخليفة فى السرادق فى الجانب الغربى ، فلما كان يوم الأربعاء رابع المحرم توصل جماعة من جند السلطان إلى دار الخلافة فحصل فيها ألف مقاتل عليهم السلاح ، فنهبوا الأموال ، وخرج الجوارى وهن حاسرات يستغثن حتى دخلن دار الخاتون . قال ابن الجوزى : وأنا رأيتهن كذلك ، فلما وقع ذلك ركب الخليفة فى جيشه وجئ بالسفن وانقلبت بغداد بالصراخ حتى كأن الدنيا قد زلزلت ، وثارت العامة مع جيش الخليفة فكسروا جيش السلطان وقتلوا خلقا من الأمراء ، وأسروا آخرين ونهبوا دار السلطان ودار وزيره ودار طبيبه أبى البركات ، وأخذوا ما كان فى داره من الودائع ، ومرت خبطة عظيمة جدا ، حتى أنهم نهبوا الصوفية ، برباط نهرجور ، وجرت أمور طويلة ، ونالت العامة من السلطان ، وجعلوا يقولون له يا باطنى تترك الفرنج والروم وتقاتل الخليفة ، ثم إن الخليفة انتقل إلى داره فى سابع المحرم ، فلما كان فى يوم عاشوراء تماثل الحال وطلب السلطان من الخليفة الأمان والصلح ، فلان الخليفة إلى ذلك ، وتباشر الناس بالصلح ، فأرسل إليه الخليفة نقيب النقباء وقاضى القضاة ، وشيخ الشيوخ وبضعاً وثلاثين شاهداً ، فاحتبسهم السلطان عنده ستة أيام فساء ذلك الناس ، وخافوا من فتنة أخرى أشد من الأولى ، وكان برنقش الزكوى شحنة بغداد يغرى السلطان بأهل بغداد لينهب أموالهم ، فلم يقبل منه ، ثم أدخل لأولئك الجماعة فأدخلوا عليه وقت المغرب فصلى بهم القاضى وقرأوا عليه كتاب الخليفة ، فقام قائما ، وأجاب الخليفة إلى جميع ما اقترح عليه ، ووقع الصلح والتحليف ، ودخل جيش السلطان وهم فى غاية الجهد من قلة الطعام عندهم فى العسكر ، وقالوا : لولم يصالح لتناجوعا ، وظهر من السلطان حلم كثير عن العوام ، وأمر الخليفة برد ما نهب من دور الجند ، وأن من كتم شيئا أبيح دمه . وبعث الخليفة على بن طراد الزينبى النقيب إلى السلطان سنجر ليبعد عن بابه دبيسا ، وأرسل معه الخلع والاكرام ، فأكرم سنجر رسول الخليفة ، وأمر بضرب الطبول على بابه فى ثلاثة

أوقات ، وظهر منه طاعة كثيرة ، ثم مرض السلطان محمود ببغداد فأمره الطبيب بالانتقال عنها إلى همذان ، فسار فى ربيع الآخر فوضع شحنكية بغداد إلى عماد الدين زنكى ، فلما وصل السلطان إلى همذان بعث على شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز ، وجعل إليه الحلة و بعث عماد الدين زنكى إلى الموصل وأعمالها . وفيها درس الحسن بن سلمان بالنظامية ببغداد . وفيها ورد أبو الفتوح الاسفرايني فوعظ ببغداد ، فأورد أحاديث كثيرة منكرة جدا ، فاستتيب منها وأمر بالانتقال منها إلى غيرها فشد معه جماعة من الأكابر وردوه إلى ما كان عليه ، فوقع بسببه فتن كثيرة بين الناس ، حتى رجمه بعض العامة بالأسواق ، وذلك لأنه كان يطلق عبارات لا يحتاج إلى إيرادها ، فنفرت منه قلوب العامة وأبغضوه ، وجلس الشيخ عبد القادر الجيلى فتكلم على الناس فأعجبهم ، وأحبوه وتركوا ذاك . وفيها قتل السلطان سنجر من الباطنية اثنا عشر ألفا . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ محمد بن عبد الملك ﴾

ابن إبراهيم بن أحمد ، أبو الحسن بن أبى الفضل الهمذانى الفرضى ، صاحب التاريخ من بيت الحديث . وذكر ابن الجوزى عن شيخه عبد الوهاب أنه طعن فيه . توفى فجأة فى شوال ، ودفن إلى جانب ابن شريح .

﴿ فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلويه ﴾

سمعت الخطيب وابن المسلمة وغيرهما ، وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات ، وقد سمع عليها ابن الجوزى مسند الشافعى وغيره .

﴿ أبو محمد عبد الله بن محمد ﴾

ابن السيد البطليوسى ، ثم التنيسى صاحب المصنفات فى اللغة وغيرها ، جمع المثلث فى مجلدين ، وزاد فيه على قطرب شيئا كثيرا جدا ، وله شرح سقط الزند لأبى العلاء ، أحسن من شرح المصنف وله شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، ومن شعره الذى أورده له ابن خلكان .

أخو العلم حى خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الاحياء وهو عديم

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ﴾

فى أولها قدم رسول سنجر إلى الخليفة يسأل منه أن يخطب له على منابر بغداد ، وكان يخطب له فى كل جمعة بجامع المنصور . وفيها مات ابن صدقة وزير الخليفة ، وجعل مكانه نقيب النقباء . وفيها اجتمع السلطان محمود بعمه سنجر واصطلحا بعد خشونة ، وسلم سنجر دبيسا إلى السلطان محمود على أن يسترضى عنه الخليفة ويعزل زنكى عن الموصل ، ويسلم ذلك إلى دبيس ، واشتهر فى ربيع الأول

ببغداد أن دبيساً أقبل إلى بغداد فى جيش كثيف ، فكتب الخليفة إلى السلطان محمود : لئن لم تكف دبيسا عن القدوم إلى بغداد و إلا خرجنا إليـه ونقضنا ما بيننا و بينـك من العهود والصلح . وفيها ملك الاتابك زنكى بن آقسنقر مدينة حلب وما حولها من البـلاد . وفيها ملك تاج الملوك بورى بن طغتكين مدينة دمشق بعـد وفاة أبيه ، وقد كان أبوه من مماليك ألب أرسلان ، وكان عاقـلا حازماً عادلاخيرا ، كثير الجهاد فى الفرنج رحمه الله . وفيها عمل ببغداد مصلى للعيد ظاهر باب الحلبة ،وحوط عليه ، وجعل فيه قبلة. وحج بالناس قطز الخادم المتقدم ذكره .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن على بن صدقة ﴾

أبو على وزير الخليفة المسترشـد ، توفى فى رجب منها . ومن شعره الذى أورده ابن الجوزى وقد بالغ فى مدح الخليفة فيه وأخطأ :

وجدت الورى كالماء طعما ورقة * وأن أمـير المؤمنين زلاله

وصورت معنى العقل شخصاً مصورا * وأن أمير المؤمنين مثاله

فلولا مكان الشرع والدين والتقى * لقلت من الاعظام جل جلاله

﴿ الحسين بن على ﴾

ابن أبى القاسم اللامشى ، من أهـل سمرقند ، روى الحديث وتفقه ، وكان يضرب به المثل فى المناظرة ، وكان خيرا دينا عـلى طريقة السلف ، مطرحاً للتـكلف أماراً بالمعروف ، قدم من عنـد الخاقان ملك ماوراء النهر فى رسالة إلى دار الخلافة ، فقيل له ألا تحج عامك هذا ؟ فقال : لاأجعل الحج تبعاً لرسالتهم ، فعاد إلى بلده فمات فى رمضان من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله .

﴿ طغتكين الاتابك ﴾

صاحب دمشق التركى ،أحد غلمان تتش ، كان من خيار الملوك وأعدلهم وأكثرهم جهاداً للفرنج ، وقام من بعده ولده تاج الملوك بورى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ﴾

فى المحرم منها دخل السلطان محمود إلى بغـداد ، واجتهد فى إرضاء الخليفـة عن دبيس ، وأن يسلم إليه بلاد الموصل ، فامتنع الخليفة من ذلك وأبى أشد الاباء ، هذا وقد تأخر دبيس عن الدخول إلى بغداد ، ثم دخلها وركب بين النـاس فلعنوه وشتموه فى وجهه ، وقـدم عماد الدين زنكى فبذل للسلطان فى كل سنة مائة ألف دينار ، وهدايا وتحفاً ،والتزم للخليفة بمثلها على أن لا يولى دبيساً شيئا وعلى أن يستمر زنكى عـلى عمله بالموصل ، فأقره على ذلك وخلع عليه ، ورجع إلى عمله فملك حلب وحماه ، وأسر صاحبها سونج بن تاج الملوك ، فافتـدى نفسه بخمسين ألف دينار . وفى يوم الاثنين

سلخ ربيع الآخر خلع السلطان على نقيب النقباء استقلالا ، ولا يعرف أحد من العباسيين باشر الوزارة غيره . وفى رمضان منها جاء دبيس فى جيش إلى الحلة فملكها ودخلها فى أصحابه ، وكانوا ثلاثمائة فارس ، ثم إنه شرع فى جمع الأموال وأخذ الغلات من القرى حتى حصل نحواً من خمسمائة ألف دينار ، واستخدم قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وتفاقم الحال بأمره ، وبعث إلى الخليفة يسترضيه فلم يرض عليه ، وعرض عليه أموالا فلم يقبلها ، وبعث إليه السلطان جيشاً فانهزم إلى البرية ثم أغار على البصرة فأخذ منها حواصل السلطان والخليفة ، ثم دخل البرية فانقطع خبره . وفى هذه السنة قتل صاحب دمشق من الباطنية ستة آلاف ، وعلق رؤس كبارهم على باب القلعة ، وأراح الله الشام منهم . وفيها حاصرت الفرنج مدينة دمشق فخرج إليهم أهلها ، فقاتلوهم قتالا شديدا ، وبعث أهل دمشق عبد الله الواعظ ومعه جماعة من التجار يستغيثون بالخليفة ، وهموا بكسر منبر الجامع ، حتى وعدهم بأنه سيكتب إلى السلطان ليبعث لهم جيشاً يقاتلون الفرنج ، فسكنت الأمور ، فلم يبعث لهم جيشاً حتى نصرهم الله من عنده ، فان المسلمين هزموهم وقتلوا منهم عشرة آلاف ، ولم يفلت منهم سوى أربعين نفساً ولله الحمد والمنة . وقتل مقدم الفرنجى صاحب إنطاكية . وفيها تخبط الناس فى الحج حتى ضاق الوقت بسبب فتنة دبيس ، حتى حج بهم برنقش الزكوى ، وكان اسمه يغاجق .

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ أسعد بن أبى نصر ﴾

الميهنى أبو الفتح ، أحد أئمة الشافعية فى زمانه ، تفقه على أبى المظفر السمعانى ، وساد أهل زمانه وبرع وتفرد من بين أقرانه ، وولى تدريس النظامية ببغداد ، وحصل له وجاهة عند الخاص والعام وعلق عنه تعليقة فى الخلاف ، ثم عزل عن النظامية فسار إلى همذان فمات بها فى هذه السنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق تهدم بسببها دور كثيرة ببغداد . ووقع بأرض الموصل مطر عظيم فسقط بعضه نارا تأجج فأحرقت دوراً كثيرة ، وخلقا من ذلك المطر وتهارب الناس . وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان ، فخاف الناس منها خوفا شديدا . وفيها ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وكان بها محمد بن خاقان . وفيها ملك عماد الدين زنكى بلاداً كثيرة من الجزيرة وهاميع الفرنج ، وجرت معهم حروب طويلة ، نصر عليهم فى تلك المواقف كلها ولله الحمد . وقتل خلقا من جيش الروم حين قدموا الشام ، ومدحه الشعراء على ذلك ،

﴿ قتل خليفة مصر ﴾

وفى ثانى ذى القعدة قتل الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله بن المستعلى صاحب مصر ، قتله الباطنية وله من العمر أربع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر

ونصفا ، وكان هو العاشر من ولد عبيد الله المهدى ، ولما قتل تغلب على الديار المصرية غلام من غلمانه أرمنى فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام حتى حضر أبو على أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالى فأقام الخليفة الحافظ أبا الميمون عبدالمجيد بن الأمير أبى القاسم بن المستنصر ، وله من العمر ثمان وخمسون سنة ، ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه وحصره فى مجلسه ، لا يدع أحدا يدخل إليه إلا من يريد هو ، ونقل الأموال من القصر إلى داره ، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد ﴾

أبو إسحاق الكلبي من أهل غزة ، جاوز الثمانين ، وله شعر جيد فى الأتراك . فمنه :

فى فتية من جيوش الترك ما تركت * للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

وله
ليت الذى بالعشق دونك خصنى * يا ظالمى قسم المحبة بيننا
ألقى الهزبر فلا أخاف وثوبه * ويروعنى نظر الغزال إذا دنا

وله
إنما هذه الحياة متاع * والسفيه الغوى من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

وله أيضاً :
قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أنه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

كانت وفاته فى هذه السنة ببلاد بلخ ودفن بها . ومما أنشده ابن خلكان له :

إشارة منك تكفينا وأحسن ما * رد السلام غداة البين بالعنم
حتى إذا طاح عنها المرط من دهش * وانحل بالضم سلك العقد فى الظلم
تبسمت فأضاء الليل فالتقطت * حبات منتثر فى ضوء منتظم

﴿ الحسين بن محمد ﴾

ابن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الدباس أبو عبد الله الشاعر المعروف بالبارع ، قرأ القراءات وسمع الحديث ، وكان عارفا بالنحو واللغة والأدب ، وله شعر حسن ، توفى فى هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

﴿ محمد بن سعدون بن مرجا ﴾

أبو عامر العبدرى القرشى الحافظ ، أصله من بيروقة من بلاد المغرب وبغداد ، وسمع بها على طراد الزينبى والحميدى وغير واحد ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، وكان يذهب فى الفروع مذهب

الظاهرية . توفى فى ربيع الآخر فى بغداد .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها ضل دبيس عن الطريق فى البرية فأسره بعض أمراء الأعراب بأرض الشام ، وحمله إلى ملك دمشق بورى بن طغتكين ، فباعه من زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل بخمسين ألف دينار فلما حصل فى يده لم يشك أنه سيهلكه ، لما بينهما من العداوة ، فأكرمه زنكى وأعطاه أموالا جزيلة وقدمه واحترمه ، ثم جاءت رسل الخليفة فى طلبه فبعثه معهم ، فلما وصل إلى الموصل حبس فى قلعتها. وفيها وقع بين الأخوين محمود ومسعود ، فتواجها للقتال ثم اصطلحا .وفيها كانت وفاة الملك محمود بن ملكشاه فأقيم فى الملك مكانه ابنه داود ، وجعل له إتابك وزير أبيه وخطب له بأكثر البلاد .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عبد القاهر الصوفى ﴾

سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، وكان شيخاً لطيفاً ، عليه نور العبادة والعلم قال ابن الجوزى أنشدنى :

على كل حال فاجعل الحزم عدة * تقدمها بين النوائب والدهر
فان نلت خيراً نلته بعزيمة * وإن قصرت عنك الامور فعن عذر

قال وأنشدنى أيضاً :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا * وقمت أشكو إلى مولاى ما أجد
وقلت يا عدتى فى كل نائبة * ومن عليه لكشف الضر أعتمد
وقد مددت يدى والضر مشتمل * إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يارب خائبة * فبحر جودك يروى كل من يرد

﴿ الحسن بن سليمان ﴾

ابن عبد الله بن عبد الغنى أبو على الفقيه مدرس النظامية ، وقد وعظ بجامع القصر ، وكان يقول ما فى الفقه منتهى ، ولا فى الوعظ مبتدى . توفى فيها وغسله القاضى أبو العباس بن الرطبى ، ودفن عند أبى إسحاق . ﴿ حماد بن مسلم ﴾

الرحبى الدباس ، كان يذكر له أحوال ومكاشفات واطلاع على مغيبات ، وغير ذلك من المقامات، ورأيت ابن الجوزى يتكلم فيه ويقول : كان عريا من العلوم الشرعية ، و إنما كان ينفق على الجهال وذكر عن ابن عقيل أنه كان ينفر منه ، وكان حماد الدباس يقول : ابن عقيل عدوى . قال ابن الجوزى : وكان الناس ينذرون له فيقبل ذلك ، ثم ترك ذلك وصار يأخذ من المنامات وينفق على أصحابه . توفى فى رمضان ودفن بالشونيزية .

﴿ على بن المستظهر بالله ﴾

أخو الخليفة المسترشد ، توفى فى رجب منها وله من العمر إحدى وعشرون سنة ، فترك ضرب الطبول وجلس الناس للعزاء أياماً . ﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن أبى الفضل الماهانى ، أحد أئمة الشافعية ، تفقه بإمام الحرمين وغيره ، ورحل فى طلب الحديث ، ودرس وأفتى وناظر . توفى فيها وقد جاوز التسعين ، ودفن بقرية ماهان من بلاد مرو ،

﴿ محمود السلطان بن السلطان ملكشاه ﴾

كان من خيار الملوك ، فيه حلم وإناة وصلابة ، وجلسوا للعزاء به ثلاثة أيام سامحه الله .

﴿ هبة الله بن محمد ﴾

ابن عبد الواحد بن العباس بن الحصين ، أبو القاسم الشيبانى ، راوى المسند عن على بن المهذب عن أبى بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، وقد سمع قديماً لأنه ولد سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وباكر به أبوه فأسمعه ، ومعه أخوه عبدالواحد ، على جماعة من علية المشايخ ، وقد روى عنه ابن الجوزى وغير واحد ، وكان ثقة ثبتاً صحيح السماع ، توفى بين الظهر والعصر يوم الأربعاء منها وله ثلاث وتسعون سنة ، رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها قدم مسعود بن محمد بن ملكشاه بغداد وقدمها قراجا الساقى ، وسلجوق شاه بن محمد ، وكل منهما يطلب الملك لنفسه ، وقدم عماد الدين زنكى لينضم إليهما فتلقاه الساقى فهزمه فهرب منه إلى تكريت ، فخدمه نائب قلعتها نجم الدين أيوب والد الملك صلاح الدين يوسف ، فاتح بيت المقدس كما سيأتى إن شاء الله ، حتى عاد إلى بلاده ، وكان هذا هو السبب فى مصير نجم الدين أيوب إليه ، وهو بحلب ، فخدم عنده ثم كان من الأمور ما سيأتى إن شاء الله تعالى . ثم إن الملكين مسعود وسلجوق شاه اجتمعا فاصطلحا وركبا إلى الملك سنجر فاقتتلا معه ، وكان جيشه مائة وستين ألفا وكان جيشهما قريباً من ثلاثين ألفاً ، وكان جملة من قتل بينهما أربعين ألفاً ، وأسر جيش سنجر قراجا الساقى فقتله صبراً بين يديه ، ثم أجلس طغرل بن محمد على سرير الملك ، وخطب له على المنابر ، ورجع سنجر إلى بلاده ، وكتب طغرل إلى دبيس وزنكى لينهبا إلى بغداد ليأخذاها ، فأقبلا فى جيش كثيف فبرز إليهما الخليفة فهزمهما ، وقتل خلقا من أصحابهما ، وأزاح الله شرهما عنه ولله الحمد . وفيها قتل أبو على الأفضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ الفاطمى ، فنقل الحافظ الأموال التى كان أخذها إلى داره واستوزر بعده أبا الفتح ، يانس الحافظى ، ولقبه أمير الجيوش ، ثم احتال فقتله واستوزر ولده حسنا وخطب له بولاية العهد . وفيها عزل المسترشد وزيره على بن طراد الزينبى

واستوزر أنوشروان بن خالد بعد تمنع . وفيها ملك دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بورى بن طغتكين بعد وفاة أبيه ، واستوزر يوسف بن فيروز ، وكان خيرا ، ملك بلادا كثيرة ، وأطاعه إخوته ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن عبيد الله ﴾

ابن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن غثنة بن يزيد السلمى ، ويعرف بابن كادش العكبرى ، أبو العز البغدادى ، سمع الحديث الكثير ، وكان يفهمه ويرويه وهو آخر من روى عن الماوردى ، وقد أثنى عليه غير واحد ، منهم أبو محمد بن الخشاب ، وكان محمد بن ناصر يتهمه ويرميه بأنه اعترف بوضع حديث فالله أعلم . وقال عبد الوهاب الأنماطى كان مخلطا ، توفى فى جمادى الأولى منها. ﴿ محمد بن محمد بن الحسين ﴾

ابن القاضى أبى يعلى بن الفراء الحنبلى ، ولد فى شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، سمع أباه وغيره ، وتفقه وناظر وأفتى ودرس ، وكان له بيت فيه مال فعدى عليه من الليل فقتل وأخذ ماله ، ثم أظهر الله عز وجل على قاتله فقتلوه .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة ﴾

فى صفر منها دخل السلطان مسعود إلى بغداد فخطب له بها وخلع عليه الخليفة وولاه السلطنة ونثر الدنانير والدراهم على الناس ، وخلع على السلطان داود بن محمود . وفيها جمع دبيس جمعاً كثيرا بواسط ، فأرسل إليه السلطان جيشاً فكسروه وفرقوا شمله ، ثم إن الخليفة عزم على الخروج إلى الموصل ليأخذها من زنكى ، فعرض عليه زنكى من الأموال والتحف شيئا كثيرا ليرجع عنه فلم يقبل ، ثم بلغه أن السلطان مسعود قد اصطلح مع دبيس وخلع عليه ، فكر راجعاً سريعاً إلى بغداد سالما معظما. وفيها مات ابن الزاغونى أحد أئمة الحنابلة ، فطلب حلقته ابن الجوزى ، وكان شابا ، فحصلت لغيره ، ولكن أذن له الوزير أنوشروان فى الوعظ ، فتكلم فى هذه السنة على الناس فى أماكن متعددة من بغداد ، وكثرت مجالسه وازدحم عليه الناس . وفيها ملك شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق مدينة حماه ، وكانت بيد زنكى . وفى ذى الحجة نهب التركمان مدينة طرابلس وخرج إليهم القومص لعنه الله الفرنجى فهزموه وقتلوا خلقا من أصحابه ، وحاصروه فيها مدة طويلة ، حتى طال الحصار ، فانصرفوا . وفيها تولى قاسم بن أبى فليتة مكة بعد أبيه . وفيها قتل شمس الملوك أخاه سونج ، وفيها اشترى الباطنية قلعة حصن القدموس بالشام فسكنوها وحاربوا من جاورهم من المسلمين والفرنج . وفيها اقتتلت الفرنج فيما بينهم قتالا شديدا فمحق الله بسبب ذلك خلقا كثيرا ، وغزاهم فيها عماد الدين زنكى فقتل منهم ألف قتيل ، وغنم أموالا جزيلة ، ويقال لها غزوة أسوار . وحج بالناس فيها قطز الخادم وكذا فى التى بعدها وقبلها .

وتوفى فيها من الاعيان ﴿ أحمد بن سلامة ﴾

ابن عبد الله بن مخلد بن إبراهيم ، أبو العباس بن الرطبى ، تفقه على أبى إسحاق وابن الصباغ ببغداد ، وبأصبهان على محمد بن ثابت الخجندى ، ثم تولى الحكم ببغداد بالحريم والحسبة ببغداد ، وكان يؤدب أولاد الخليفة ، توفى فى رجب منها ودفن عند أبى إسحاق .

﴿ أسعد بن أبى نصر بن أبى الفضل ﴾

أبو الفضل الميهنى مجد الدين أحد أئمة الشافعية ، وصاحب الخلاف والمطروقة ، وقد درس بالنظامية فى سنة سبع عشرة وخمسمائة إلى سنة ثلاث وعشرين فعزل عنها ، واستمر أصحابه هنالك وقد تقدم فى سنة سبع عشرة أنه وليها ، وأنه توفى فى سنة ثلاث وعشرين . وقال ابن خلكان : توفى سنة سبع وعشرين . ﴿ ابن الزاغونى الحنبلى ﴾

على بن عبد الله بن نصر بن السرى الزاغونى ، الامام المشهور ، قرأ القراءات وسمع الحديث واشتغل بالفقه والنحو واللغة ، وله المصنفات الكثيرة فى الأصول والفروع ، وله يد فى الوعظ ، واجتمع الناس فى جنازته ، وكانت حافلة جدا .

﴿ الحسن بن محمد ﴾

ابن إبراهيم البورباري ، من قراء أصبهان ، سمع الحديث ورحل وخرج ، وله تاريخ ، وكان يكتب حسناً ويقرأ فصيحاً ، توفى بأصبهان فى هذه السنة .

﴿ على بن يعلى ﴾

ابن عوض ، أبو القاسم العلوى الهروى ، سمع مسند أحمد من أبى الحصين ، والترمذى من أبى عامر الأزدى ، وكان يعظ الناس بنيسابور ، ثم قدم بغداد فوعظ بها ، فحصل له القبول التام ، وجمع أموالا وكتبا . قال ابن الجوزى : وهو أول من سلكنى فى الوعظ ، وتكلمت بين يديه وأنا صغير ، وتكلمت عند انصرافه .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن يحيى أبو عبد الله العثمانى الديباجى ، وكان ببغداد يعرف بالمقدسى ، كان أشعرى الاعتقاد ووعظ الناس ببغداد ، قال ابن الجوزى : سمعته ينشد فى مجلسه قوله :

دع دموعى يحق لى أن أنوحا * لم تدع لى الذنوب قلباً صحيحاً
أخلقت مهجتى أكف المعاصى * ونعانى المشيب نعياً فصيحاً
كلما قلت قد برا جرح قلبى * عاد قلبى من الذنوب جريحاً
إنما الفوز والنعيم لعبد * جاء فى الحشر آمنا مستريحاً

﴿ محمد بن محمد ﴾

ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن حازم بن أبي يعلى بن الفراء ، الفقيه ابن الفقيه ، ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، سمع الحديث وكان من الفقهاء الزاهدين الأخيار ، توفي في صفر منها .

﴿ أبو محمد عبد الجبار ﴾

ابن أبي بكر محمد بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور ، أنشد له ابن خلكان أشعاراً رائقة فنها قوله :

قم هاتها من كف ذات الوشاح * فقد نعى الليل بشير الصباح
باكر إلى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحا * ريق الغوادي من ثغور الاقاح

ومن جملة معانيه النادرة

زادت على كحل الجفون تكحلا * ونسم نصل السهم وهو قتول

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها اصطلح الخليفة وزنكي . وفيها فتح زنكي قلاعا كثيرة ، وقتل خلقا من الفرنج . وفيها فتح شمس الملوك الشقيف تيروت ، ونهب بلاد الفرنج . وفيها قدم سلجوق شاه بغداد فنزل بدار المملكة وأكرمه الخليفة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار ، ثم قدم السلطان مسعود وأكثر أصحابه ركاب على الجمال لقلة الخيل . وفيها تولى إمرة بني عقيل أولاد سليمان بن مهارش العقيلي ، إكراماً لجدهم . وفيها أعيد ابن طراد إلى الوزارة ، وفيها خلع على إقبال المسترشدي خلع الملوك ، ولقب ملك العرب سيف الدولة ، ثم ركب في الخلع وحضر الديوان . وفيها قوى أمر الملك طغرل وضعف أمر الملك مسعود .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن علي بن إبراهيم ﴾

أبو الوفا الفيروزابادي ، أحد مشايخ الصوفية ، يسكن رباط الزوزني ، وكان كلامه يستحلى ، وكان يحفظ من أخبار الصوفية وسيرهم وأشعارهم شيئا كثيراً .

﴿ أبو علي الفارقي ﴾

الحسن بن إبراهيم بن مرهون أبو علي الفارقي ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وتفقه بها على أبي عبد الله محمد بن بيان الكازروني صاحب المحاملي ، ثم على الشيخ أبي إسحاق وابن الصباغ ، وسمع الحديث وكان يكرر على المهذب والشامل ، ثم ولي القضاء بواسط ، وكان حسن السيرة جيد السريرة ، ممتعا بعقله وحواسه ، إلى أن توفي في محرم هذه السنة عن ست وسبعين سنة .

﴿ عبد الله بن محمد ﴾

ابن أحمد بن الحسن ، أبو محمد بن أبى بكر الشاشى ، سمع الحديث وتفقه على أبيه ، وناظر وأفتى وكان فاضلا واعظا فصيحا مفوهاً ، شكره ابن الجوزى فى وعظه وحسن نظمه ونثره ، ولفظه ، توفى فى المحرم وقد قارب الخمسين ، ودفن عند أبيه .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن على بن أبى بكر العطان ، ويعرف بابن الحلاج البغدادى ، سمع الحديث وقرأ القراءات ، وكان خيرا زاهداً عابداً ، يتبرك بدعائه ويزار .

﴿ محمد بن عبد الواحد الشافعى ﴾

أبو رشيد ، من أهل آمل طبرستان ، ولد سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، وحج وأقام بمكة ، وسمع من الحديث شيئا يسيراً ، وكان زاهداً منقطعاً عن الناس مشتغلا بنفسه ، ركب مرة مع تجار فى البحر فأوفوا على جزيرة . فقال : دعونى فى هذه أعبدالله تعالى ، فما نعوه فأبى إلا المقام بها . فتركوه وساروا فردتهم الريح إليه فقالوا : إنه لا يمكن المسير إلا بك ، وإذا أردت المقام بها فارجع إليها ، فسار معهم ثم رجع إليها فأقام بها مدة ثم ترحل عنها ثم رجع إلى بلده آمل فمات بها رحمه الله، ويقال إنه كان يقتات فى تلك الجزيرة بأشياء موجودة فيها ، وكان بها ثعبان يبتلع الأنسان، وبها عين ماء يشرب منها ويتوضأ منها ، وقبره مشهور بآمل يزار .

﴿ أم الخليفة ﴾

المسترشد توفيت ليلة الاثنين بعد العتمة تاسع عشر شوال منها والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وفاة المسترشد وولاية الراشد ، وكان سبب ذلك أنه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة واقع كبير ، اقتضى الحال أن الخليفة أراد قطع الخطبة له من بغداد فاتفق موت أخيه طغرل بن محمد بن ملكشاه ، فسار إلى البلاد فملكها ، وقوى جأشه ، ثم شرع يجمع العساكر ليأخذ بغداد من الخليفة ، فلما علم الخليفة بذلك انزعج واستعد لذلك ، وفقز جماعة من رؤس الأمراء إلى الخليفة خوفا على أنفسهم من سطوة الملك محمود ، وركب الخليفة من بغداد فى جحافل كثيرة ، فيهم القضاة ورؤس الدولة من جميع الأصناف ، فمشوا بين يديه أول منزلة حتى وصل إلى السرادق ، وبعث بين يديه مقدمة وأرسل الملك مسعود مقدمة عليهم دبيس بن صدقة بن منصور ، فجرت خطوب كثيرة ، وحاصل الأمر أن الجيشين التقيا فى عاشر رمضان يوم الاثنين فاقتتلوا قتالا شديداً ، ولم يقتل من الصفين سوى خمسة أنفس ، ثم حمل الخليفة على جيش مسعود فهزمهم ، ثم تراجعوا فحملوا على جيش الخليفة فهزموهم

وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا الخليفة ، ثم نهبت أموالهم وحواصلهم ، من جملة ذلك أربعة آلاف ألف دينار، وغير ذلك من الأثاث والخام والآنية والقماش ، فانا لله و إنا إليه راجعون . وطار الخبر فى الأقاليم بذلك ، وحين بلغ الخبر إلى بغداد انزعج الناس لذلك ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، صورة ومعنى ، وجاءت العامة إلى المنابر فكسروها وامتنعوا من حضور الجماعات ، وخرج النساء فى البلد حاسرات ينحن على الخليفة ، وما جرى عليه من الأسر ، وتأسى بأهل بغداد فى ذلك خلق كثير من أهل البلاد ، وتمت فتنة كبيرة وانتشرت فى الأقاليم ، واستمر الحال على ذلك شهر ذى القعدة والشناعة فى الأقاليم منتشرة ، فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يحذره غب ذلك عاقبة ما وقع فيه من الأمر العظيم ، ويأمره أن يعيد الخليفة إلى مكانه ودار خلافته ، فامتثل الملك مسعود ذلك وضرب للخليفة سرادق عظيم ، ونصب له فيه قبة عظيمة وتحتها سرير هائل ،وألبس السواد على عادته وأركبه بعض ما كان يركبه من مراكبه ، وأمسك لجام الفرس ومشى فى خدمته ، والجيش كلهم مشاة حتى أجلس الخليفة على سريره ، ووقف الملك مسعود فقبل الأرض بين يديه وخلع الخليفة عليه ، وجئ بدبيس مكتوفا وعن يمينه أميران ، وعن يساره أميران ، وسيف مسلول ونسعة بيضاء ، فطرح بين يدى الخليفة ماذا برسم تطبيباً لقلبه ، فأقبل السلطان فشفع فى دبيس وهو ملقى يقول العفو يا أمير المؤمنين ، أنا أخطأت والعفو عند المقدرة . فأمر الخليفة باطلاقه وهو يقول : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم . فنهض قائما والتمس أن يقبل يد الخليفة فأذن له فقبلها ، وأمرها على وجهه وصدره . وسأل العفو عنه وعما كان منه ، واستقر الأمر على ذلك، وطار هذا الخبر فى الآفاق وفرح الناس بذلك ، فلما كان مستهل ذى الحجة جاءت الرسل من جهة الملك سنجر إلى ابن أخيه يستحثه على الاحسان إلى الخليفة ، وأن يبادر إلى سرعة رده إلى وطنه ، وأرسل مع الرسل جيشا ليكونوا فى خدمة الخليفة إلى بغداد ، فصحب الجيش عشرة من الباطنية ،فلما وصل الجيش حملوا على الخليفة فقتلوه فى خيمته وقطعوه قطعاً ، ولم يلحق الناس منه إلا الرسوم، وقتلوا معه أصحابه منهم عبيد الله بن سكينة ، ثم أخذ أولئك الباطنية فأحرقوا قبحهم الله ، وقيل إنهم كانوا مجهزين لقتله فالله أعلم . وطار هذا الخبر فى الآفاق فاشتد حزن الناس على الخليفة المسترشد ، وخرجت النساء فى بغداد حاسرات عن وجوههن ينحن فى الطرقات ، قتل على باب مراغة فى يوم الخميس سابع عشر ذى الحجة وحملت أعضاؤه إلى بغداد ، وعمل عزاؤه ثلاثة أيام بعد ما بويع لولده الراشد ، وقد كان المسترشد ، شجاعا مقداما بعيد الهمة فصيحاً بليغا ، عذب الكلام حسن الايراد ، مليح الخط ، كثير العبادة محببا إلى العامة والخاصة ، وهو آخر خليفة رؤى خطيباً ، قتل وعمره خمس وأربعون سنة ، وثلاثة أشهر، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوما ، وكانت أمه أم ولد من الأتراك

رحمه الله .

﴿ خلافة الراشد بالله ﴾

أبى جعفر منصور بن المسترشد ، كان أبوه قد أخذ له العهد ثم أراد أن يخلعه فلم يقدر على ذلك لأنه لم يغدر . فلما قتل أبوه بباب مراغة فى يوم الخميس السابع عشر من ذى القعدة من سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، بايعه الناس والأعيان ، وخطب له على المنابر ببغداد ، وكان إذ ذاك كبيرا له أولاد ، وكان أبيض جسيما حسن اللون ، فلما كان يوم عرفة من هذه السنة جيء بالمسترشد وصلى عليه ببيت التوبة ، وكثر الزحام ، وخرج الناس لصلاة العيد من الغد وهم فى حزن شديد على المسترشد ، وقد ظهر الرفض قليلا فى أول أيام الراشد .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسين ﴾

ابن عمرو ، أبو المظفر بن أبى بكر الشاشى ، تفقه بأبيه واخترمته المنية بعد أخيه ولم يبلغ سن الرواية

﴿ إسماعيل بن عبد الله ﴾

ابن على أبو القاسم الحاكم ، تفقه بإمام الحرمين ، وكان رفيق الغزالى يحترمه ويكرمه ، وكان فقيها بارعا ، وعابدا ورعا ، توفى بطوس ودفن إلى جانب الغزالى .

﴿ دبيس بن صدقة ﴾

ابن منصور بن دبيس بن على بن مزيد ، أبو الأعز الأسدى الأمير من بيت الامرة وسادة الاعراب ، كان شجاعا بطلا ، فعل الأفاعيل وتمرق فى البلاد من خوفه من الخليفة ، فلما قتل الخليفة عاش بعده أربعة وثلاثين يوما ، ثم اتهم عند السلطان بأنه قد كاتب زنكى ينهاه عن القدوم إلى السلطان ، ويحذره منه ، ويأمره أن ينجو بنفسه ، فبعث إليه السلطان غلاماً أرمنياً فوجده منكساً رأسه يفكر فى خيمته ، فما كلمه حتى شهر سيفه فضربه فأبان رأسه عن جثته ، ويقال بل استدعاه السلطان فقتله صبراً بين يديه فالله أعلم .

﴿ طغرل السلطان بن السلطان محمد بن ملكشاه ﴾

توفى بهمذان يوم الأربعاء ثالث المحرم منها .

﴿ على بن محمد النروجانى ﴾

كان عابدا زاهداً ، حكى ابن الجوزى عنه أنه كان يقول بأن القدرة تتعلق بالمستحيلات ، ثم أنكر ذلك وعذره لعدم تعقله لما يقول ، ولجهله .

﴿ الفضل أبو منصور ﴾

أمير المؤمنين المسترشد ، تقدم شيء من ترجمته والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها وقع بين الخليفة الراشد و بين السلطان مسعود بسبب أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه ما كان كتبه له والده المسترشد حين أسره ، التزم له بأربعمائة ألف دينار ، فامتنع من ذلك وقال : ليس بيننا و بينكم إلا السيف ، فوقع بينهما الخلف ، فاستجاش السلطان بالعساكر ، واستنهض الخليفة الأمراء ، وأرسل إلى عماد الدين زنكي فجاء والتف على الخليفة خلائق ، وجاء في غضون ذلك السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، فخطب له الخليفة ببغداد ، وخلع عليه وبايعه على الملك ، فتأكدت الوحشة بين السلطان والخليفة جدا ، و برز الخليفة إلى ظاهر بغداد ومشى الجيش بين يديه ، كما كانوا يعاملون أباه ، وذلك يوم الأربعاء سلخ شعبان ، وخرج السلطان داود من جانب آخر ، فلما بلغهم كثرة جيوش السلطان محمود حسن عماد الدين زنكي للخليفة أن يذهب معه إلى الموصل ، واتفق دخول مسعود إلى بغداد في غيبتهم يوم الاثنين رابع شوال ، فاستحوذ على دار الخلافة بما فيها جميعه ، ثم استخلص من نساء الخليفة وحظاياه الحلي والمصاغ والثياب التي للزينة ، وغير ذلك ، وجمع القضاة والفقهاء ، وأبرز لهم خط الراشد أنه متى خرج من بغداد لقتال السلطان فقد خلع نفسه من الخلافة ، فأفتى من أفتى من الفقهاء بخلعه ، فخلع في يوم الاثنين سادس عشر شهر ذي القعدة بحكم الحاكم وفتيا الفقهاء ، وكانت خلافته إحدى عشر شهرا و إحدى عشر يوماً ، واستدعى السلطان بعمه المقتفي بن المستظهر فبويع بالخلافة عوضا عن ابن أخيه الراشد بالله .

﴿ خلافة المقتفي لأمر الله ﴾

أبي عبد الله بن المستظهر ، وأمه صفراء تسمى نسيا ، و يقال لها ست السادة ، وله من العمر يومئذ أربعون سنة ، بويع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين ، وخطب له على المنابر يوم الجمعة لعشرين من ذي القعدة ، ولقب بالمقتفي لأنه يقال إنه رأى رسول الله ﷺ وهو في المنام وهو يقول له سيصل هذا الأمر إليك فاقتف بي ، فصار إليه بعد ستة أيام فلقب بذلك

﴿ فائدة حسنة ينبغي التنبه لها ﴾

ولي المقتفي والمسترشد الخلافة وكانا أخوين ، وكذلك السفاح والمنصور ، وكذلك الهادي والرشيد ، ابنا المهدي ، وكذلك الواثق والمتوكل ابنا المعتصم أخوان ، وأما ثلاثة إخوة فالأمين والمأمون والمعتصم بنو الرشيد ، والمنتصر والمعتز والمعتمد بنو المتوكل ، والمكتفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد ، والراضي والمتقي والمطيع بنو المقتدر ، وأما أربعة إخوة فلم يكن إلا في بني أمية وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان ، ولما استقر المقتفي بالخلافة استمر الراشد ذاهبا إلى الموصل صحبة صاحبها عماد الدين زنكي ، فدخلها في ذي الحجة من هذه السنة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ محمد بن حمويه ﴾

ابن محمد بن حمويه أبو عبد الله الجوينى ، روى الحديث وكان صدوقا مشهورا بالعلم والزهد،وله كرامات ، دخل إلى بغداد فلما ودعهمْ بالخروج منها أنشدهم :

لئن كان لى من بعد عود إليكم * نصيب لبانات الفؤاد إليكم

و إن تكن الأخرى وفى الغيب غيره * قضاه و إلا فالسلام عليكم

﴿ محمد بن عبد الله ﴾

ابن أحمد بن حبيب ، أبو بكر العامرى ، المعروف بابن الخباز ، سمع الحديث وكان يعظ الناس على طريق التصوف ، وكان ابن الجوزى فيمن تأدب به ، وقد أثنى عليه وأنشد عنه من شعره :

كيف احتيالى وهذا فى الهوى حالى * والشوق أملك لى من عذل عذالى

وكيف أشكو وفى حبى له شغل * يحول بين مهماتى وأشغالى

وكانت له معرفة بالفقه والحديث ، وقد شرح كتاب الشهاب ، وقد ابتنى رباطا ، وكان عنده فيه جماعة من المتعبدين والزهاد ، ولما احتضر أوصاهم بتقوى الله عز وجل والاخلاص لله والدين ، فلما فرغ شرع فى النزع وعرق جبينه فمد يده وقال بيتا لغيره :

هاقد بسطت يدى إليك فردها * بالفضل لا بشماتة الأعداء

ثم قال : أرى المشايخ بين أيديهم الأطباق وهم ينتظروننى ، ثم مات ، وذلك ليلة الأربعاء نصف رمضان ودفن برباطه ، ثم غرق رباطه وقبره فى سنة أربعين وخمسمائة ،

﴿ محمد بن الفضل ﴾

ابن أحمد بن محمد بن أبى العباس أبو عبد الله الصاعدى الفراوى ، كان أبوه من ثغر فراوه ، وسكن نيسابور ، فولد له بها محمد هذا ، وقد سمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ بالآفاق ، وتفقه وأفتى وناظر ووعظ ، وكان ظريفا حسن الوجه جميل المعاشرة كثير التبسم ، وأملى أكثر من ألف مجلس ، و رحل إليه الطلبة من الآفاق حتى يقال للفراوى ألف راوى ، وقيل إن ذلك كان مكتوبا فى خاتمه ، وقد أسمع صحيح مسلم قريباً من عشرين مرة ، توفى فى شوال منها عن تسعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها كثر موت الفجأة بأصبهان فمات ألوف من الناس ، وأغلقت دور كثيرة . وفيها تزوج الخليفة بالخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه على صداق مائة ألف دينار ، فحضر أخوها السلطان مسعود العقد وجماعة من أعيان الدولة والوزراء والأمراء ، ونثر على الناس أنواع النثار . وفيها صام أهل بغداد رمضان ثلاثين يوماً ولم يروا الهلال ليلة إحدى وثلاثين ، مع كون السماء كانت مصحية .

قال ابن الجوزى : وهـذا شئ لم يقع مثـله . وفيها هرب وزير صـاحب مصر وهو تاج الدولة بهرام النصرانى ، وقـد كان تمـكن فى البلاد وأسـاء السيرة ، فتطلبه الخليفة الحافظ حتى أخذه فسجنه ثم أطلقه فترهب وترك العمل ،فاستوزر بعـده رضوان بن الريحينى ولقبه الملك الأفضـل ، ولم يلقب وزير قبله بهذا،ثم وقع بينه و بين الخليفة الحافظ ، فلم يزل به الخليفة حتى قتله واستقل بتدبير أموره وحده . وفيها ملك عماد الدين زنـكى عدة بلدان . وفيها طلع بالشام سحاب أسود أظلمت له الدنيا ، ثم ظهر بعده سحاب أحمر كأنه نار أضاءت له الدنيا ، ثم جاءت ريح عاصف ألقت أشجاراً كثيرة ، ثم وقع مطر شديد ،وسقط برد كبار . وفيها قصد ملك الروم بلاد الشام فأخذ بلاداً كثيرة من أيدى الفرنج ، وأطاعه ابن اليون ملك الأرمن .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن محمد بن ثابت ﴾

ابن الحسن أبو سعد الخجندى ، تفقه عـلى والده الامام أبى بكر الخجندى الأصبهانى ، وولى تدريس النظامية ببغداد مراراً ، ويعزل عنها ، وقد سمع الحديث ووعظ ، وتوفى فى شعبان منها ، وقد قارب التسعين . ﴿ هبة الله بن أحمد ﴾

ابن عمر الحريرى ، يعرف بابن الطبر ، سمع الـكثير وهو آخر من روى عن أبى الحسن ابن زوج الحرة ، وقد حدث عنه الخطيب ، وكان ثبتا كثير السماع ، كثير الذكر والتلاوة ، ممتعاً بحواسه وقواه ، إلى أن توفى فى جمادى الأولى عن ست وتسعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها قتل الخليفة الراشد المخلوع ، وذلك أنه اجتمع معه الملك داود وجماعة من كبار الأمراء ، فقصـدوا قتال مسعود بأرض مراغة فهزمهم و بدد شملهم ، وقتـل منهم خلقا صبراً ، منهم صدقة بن دبيس ، وولى أخاه محمداً مكانه على الحلة ، وهرب الخليفة الراشد المخلوع ، فـدخل أصبهان فقتله رجل ممن كان يخدمه من الخراسانيـة ، وكان قد برأ من وجع أصابه ، فقتلوه فى الخامس والعشرين من رمضان ، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان . وقد كان حسن اللون مليح الوجه شديد القوة مهيباً ، أمه أم ولد . وفيها كسى الـكعبة رجل من التجار يقال له راست الفارسى ، بثمانية عشر ألف دينار ، وذلك لأنه لم تأتها كسوة فى هذا العام لأجل اختلاف الملوك . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة والعراق ، فانهـدم شىء كثير من البيوت ، ومات تحت الهـدم خلق كثير . وفيها أخـذ الملك عماد الدين زنـكى مدينة حمص فى المحرم ، وتزوج فى رمضان بالست زمرد خاتون ، أم صاحب دمشق ، وهى التى تنسب إليها الخاتونية البرانية . وفيها ملك صاحب الروم مدينة بزاعة ، وهى على ستة فراسخ من حلب ، فجاء أهلها الذين نجوا من القتل والسبى يستغيثون بالمسلمين ببغداد ، فمنعت

الخطبة ببغداد ، وجرت فتن طويلة . وفيها تزوج السلطـان مسعود بسفرى بنت دبيس بن صدقة و زينت بغداد لذلك سبعة أيام . قال ابن الجوزى : فحصل بسبب ذلك فساد عريض طويل منتشر ، ثم تزوج ابنة عمه فزينت بغداد ثلاثة أيام أيضا . وفيها ولد للسلطان الناصر صلاح يوسف بن أيوب ابن شارى بقلعة تكريت .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

أبو بكر بن أبى الفتح الدينورى الحنبلى ، سمع الحديث وتفقه على أبى الخطاب الكلوذانى وأفتى ودرس وناظر ، كان أسعد الميهنى يقول عنه : ما اعترض أبو بكر الدينورى على دليل أحد إلا ثلمه ، وقد تخرج به ابن الجوزى وأنشد :

تمنيت أن يمسى فقيها مناظرا * بغير عياء والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة * تلقيتها ، فالعلم كيف يكون ؟

﴿ عبد المنعم بن عبد الكريم ﴾

ابن هوازن ، أبو المظفر القشيرى ، آخر من بقى منهم ، سمع أباه وأبا بكر البيهقى وغيرهما ، وسمع منه عبد الوهاب الانماطى ، وأجاز ابن الجوزى ، وقارب التسعين .

﴿ محمد بن عبد الملك ﴾

ابن محمد بن عمر ، أبو الحسن الكرخى ، سمع الكثير فى بلاد شتى ، وكان فقيها مفتياً ، تفقه بأبى إسحاق وغيره من الشافعيـة ، وكان شاعرا فصيحـاً ، وله مصنفـات كثيرة منها الفصول فى اعتقاد الأئمة الفحول ، يذكر فيه مذاهب السلف فى باب الاعتقاد ، ويحكى فيه أشياء غريبة حسنة ، وله تفسير وكتاب فى الفقه ، وكان لا يقنت فى الفجر ، ويقول : لم يصح ذلك فى حديث ، وقد كان إمامنا الشافعى يقول : إذا صح الحديث فهومذهبى ، واضربوا بقولى الحائط . وقد كان حسن الصورة جميل المباشرة ، ومن شعره قوله :

تناءت داره عنى ولكن * خيال جماله فى القلب ساكن
إذا امتلأ الفؤاد به فماذا * يضر إذا خلت منه الأماكن

توفى وقد قارب التسعين . ﴿ الخليفة الراشد ﴾

منصور بن المسترشد ، قتل بأصبهان بعد مرض أصابه ، فقيل إنه سم ، وقيل قتلته الباطنية ، وقيل قتله الفراشون الذين كانوا يلون أمره فالله أعلم . وقد حكى ابن الجوزى عن أبى بكر الصولى أنه قال الناس يقولون كل سـادس يقوم بأمر الناس من أول الاسـلام لا بد أن يخلع . قال ابن الجوزى : فتأملت ذلك فرأيته عجباً قيام رسول الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم الحسن فخلعه معاوية

ثم يزيد ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك ، ثم عبد الله بن الزبير نخلع وقتل ، ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام ثم الوليد بن يزيد نخلع وقتل ، ولم ينتظم لبنى أمية بعده أمر حتى قام السفاح العباسى ثم أخوه المنصور ثم المهدى ثم الهادى ثم الرشيد ثم الأمين نخلع وقتل ، ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر ثم المستعين نخلع ثم قتل ، ثم المعتز والمهتدى والمعتمد والمعتضد والمكتفى ثم المقتدر نخلع ثم أعيد فقتل ، ثم القاهر والراضى والمتقى والمكتفى والمطيع ثم الطائع نخلع ، ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد ثم الراشد نخلع وقتل .

﴿ أنوشروان بن خالد ﴾

ابن محمد القاشانى القينى ، من قرية قين من قاشان ، الوزير أبو نصر ، وزر للسلطان محمود وللخليفة المسترشد ، وكان عاقلا مهيباً عظيم الخلقة ، وهو الذى ألزم أبا محمد الحريرى بتكميل المقامات ، وكان سبب ذلك أن أبا محمد كان جالساً فى مسجد بنى حرام فى محلة من محال البصرة ، فدخل عليه شيخ ذو طمرين فقالوا : من أنت ؟ قال أنا رجل من سروج ، يقال لى أبو زيد . فعمل الحريرى المقامة الحرامية واشتهرت فى الناس ، فلما طالعها الوزير أنوشروان أعجب بها وكلف أبا محمد الحريرى أن يزيد عليها غيرها فزاد عليها غيرها إلى تمام خمسين مقامة ، فهى هذه المشهورة المتداولة بين الناس ، وقد كان الوزير أنوشروان كريما ، وقد مدحه الحريرى صاحب المقامات .

ألا ليت شعرى والتمنى لعله * وإن كان فيه راحة لأخى الكرب
أتدرون أنى مذ تناءت دياركم * وشط اقترابى من جنابكم الرحب
أكابد شوقا ما أزال أداره * يقلبنى فى الليل جنباً على جنب
وأذكر أيام التلاقى فأنثنى * لتذكارها بادى الاسى طائر اللب
ولى حنة فى كل وقت إليكم * ولا حنة الصادى إلى البارد العذب
فو الله لو أنى كتمت هواكم * لما كان مكتوماً بشرق ولا غرب
ومما شجا قلبى المعنّى وشفّه * رضاكم باهمال الاجابة عن كتبى
وقد كنت لا أخشى مع الذنب جفوة * فقد صرت أخشاها ومالى من ذنب
ولما سرى الوفد العراق نحوكم * وأعوزنى المسرى إليكم مع الركب
جعلت كتابى نائباً عن ضرورتى * ومن لم يجد ماء تيمم بالترب
ويعضد أيضاً بضعة من جوارحى * تنبيكم عن سر حالى وتستنبى
ولست أرى اذكاركم بعد خيركم * بمكرمة ، حسبى اعتذاركم حسبى

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة جبرت فمات بسببها مائتا ألف وثلاثون ألفا ، وصار مكانها ماء أسود عشرة فراسخ فى مثلها ، وزلزل أهل حلب فى ليلة واحدة ثمانين مرة . وفيها وضع السلطان محمود مكوسا كثيرة عن الناس ، وكثرت الأدعية له . وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه ، فهزمه سنجر وقتل ولده فى المعركة ، فحزن عليه والده حزنا شديداً . وفيها قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى بن طغتكين ، قتله ثلاثة من خواصه ليلا وهربوا من القلعة ، فأدرك اثنان فصلبا وأفلت واحد . وفيها عزل اليهود والنصارى عن المباشرات ثم أعيدوا قبل شهر وحج بالناس فيها قطز الخادم .

وفيها توفى منا لأعيان ﴿ زاهر بن طاهر ﴾

ابن محمد ، أبو القاسم بن أبى عبد الرحمن بن أبى بكر السحامى المحدث المكثر ، الرحال الجوال ، سمع الكثير وأملى بجامع نيسابور ألف مجلس ، وتكلم فيه أبو سعد السمعانى ، وقال : إنه كان يخل بالصلوات . وقد رد ابن الجوزى على السمعانى بعذر المرض ويقال : إنه كان به مرض يكثر بسببه جمع الصلوات فالله أعلم ، بلغ خمساً وثمانين سنة توفى بنيسابور فى ربيع الآخر ، ودفن بمقبرته .

﴿ يحيى بن يحيى بن على ﴾

ابن أفلح ، أبو القاسم الكاتب ، وقد خلع عليه المسترشد ولقبه جمال الملك ، وأعطاه أربعة دور ، وكانت له دار إلى جانبهن فهدمهن كلهن واتخذ مكانهن داراً هائلة ، طولها ستون ذراعا فى عرض أربعين ذراعا ، وأطلق له الخليفة أخشابها وآجرها وطرازاتها ، وكتب عليها أشعارا حسنة من نظمه ونظم غيره ، فمن ذلك ما هو على باب دارها :

إن أعجب الراؤن من ظاهرى * فباطنى لو علموا أعجب
شد بانى من كفه مزنة * يخجل منها العارض الصيب
ونحت روضة أخلاقه * فى ديار نورها منهب
صدر كسى صدرى من نوره * شمساً على الأيام لا تغرب

وعلى الطرز مكتوب :

ومن المروءة للفتى * ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره
هاتيك وافيت بما * وعدت وهاتى باتره

وفى موضع آخر مكتوب :

وناد كأن جنان الخـ * لد أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما * ن أن لا يلم به موبقا
فأضحى ينبئه على كل ما * بنى مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا * وتمسى الضيوف به طرّقا
بقيت له يا جمال الملو * ك وذا الفضل مهما أردت البقا
وساله فيك ريب الزما * ن ووقيت فيه الذى يتقى

فما والله صدقت هذه الأمانى ، بل عما قريب اتهمه الخليفة بأنه يكاتب دبيساً فأمر بخراب داره تلك فلم يبق فيها جدار ، بل صارت خربة بعد ما كانت قرة العيون من أحسن المقام والقرار ، وهذه حكمة الله من تقلب الليل والنهار ، وما تجرى بمشيئة الأقدار ، وهى حكمته فى كل دار بنيت بالأشر والبطر ، وفى كل لباس لبس على التيه والكبر والأشر . وقد أورد له ابن الجوزى أشعاراً حسنة من نظمه ، وكلمات من نثره فمن ذلك قوله :

دع الهوى لأناس يعرفون به * قد مارسوا الحب حتى أصعبه
أدخلت نفسك فيما لست تجربه * والشئ صعب على من لا يجربه
أمن اصطبار وإن لم تستطع جلدا * فرب مدرك أمر عز مطلبه
أحن الضلوع على قلب يخيرنى * فى كل يوم يعيينى تقلبه
تأرج الريح من نجد يهيجه * ولامع البرق من نغمات يطربه

وقوله

هذه الخيف وهاتيك منى * فترفق أيها الحادى بنا
واحبس الركب علينا ساعة * تندب الدار ونبكى الدنا
فلذا الموقف أعددت البكا * ولذا اليوم الدموع تقتنى
زماننا كان وكنا جيرة * فأعاد الله ذاك الزمنا
بيننا يوم ائتلاف نلتقى * كان من غير تراضى بيننا

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها حاصر زنكى دمشق فحصنها الأتابك معين الدين بن مملوك طغتكين ، فاتفق موت ملكها جمال الدين محمود بن بورى بن طغتكين ، فأرسل معين الدين إلى أخيه مجير الدين أتق ، وهو ببعلبك فملكه دمشق ، فذهب زنكى إلى بعلبك فأخذها واستناب عليها نجم الدين أيوب صلاح الدين . وفيها دخل الخليفة على الخاتون فاطمة بنت السلطان مسعود ، وأغلقت بغداد أياما . وفيها نودى للصلاة على رجل صالح فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر فاتفق أن الرجل عطس فأفاق ،

وحضرت جنازة رجل آخر غيره فصلى عليه ذلك الجمع الكثير . وفيها نقصت المياه من سائر الدنيا وفيها ولد صاحب حماه تقى الدين عمر شاهنشاه بن أيوب بن شارى .

ومن توفى فيها من الأعيان .

﴿ أحمد بن جعفر ﴾

ابن الفرج أبو العباس الحربى ، أحد العباد الزهاد ، سمع الحديث وكانت له أحوال صالحة ، حتى كان يقال : إنه كان يرى فى بعض السنين بعرفات ، ولم يحج فى تلك السنة .

﴿ عبد السلام بن الفضل ﴾

أبو القاسم الجيلى ، سمع الحديث وتفقه على الكيا الهراسى ، وبرع فى الاصول والفروع ، وغير ذلك ، وولى قضاء البصرة وكان من خيار القضاة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها وصلت البردة والقضيب إلى بغداد ، وكانا مع المسترشد حين هرب سنة تسع وعشرين ، وخمسمائة فحفظهما السلطان سنجر عنده حتى ردهما فى هذه السنة . وفيها كملت المدرسة الكمالية المنسوبة إلى كمال الدين ، أبى الفتوح حمزة بن طلحة ، صاحب المخزن ، ودرس فيها الشيخ أبو الحسن الحلى ، وحضر عنده الأعيان .

ومن توفى فيها من الأعيان

﴿ إسماعيل بن محمد ﴾

ابن على ، أبو القاسم الطلحى الأصبهانى ، سمع الكثير ، ورحل وكتب وأملى بأصبهان ، قريبا من ثلاثة آلاف مجلس ، وكان إماما فى الحديث والفقه والتفسير واللغة ، حافظا متقنا ، توفى ليلة عيد الأضحى وقد قارب الثمانين ، ولما أراد الغاسل تنحية الخرقة عن فرجه ردها بيده ، وقيل : إنه وضع يده على فرجه

﴿ محمد بن عبد الباقى ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مسجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، سمع الحديث وتفرد عن جماعة من المشايخ ، وأملى الحديث فى جامع القصر ، وكان مشاركا فى علوم كثيرة ، وقد أسر فى صغره فى أيدى الروم فأرادوه على أن يتكلم بكلمة الكفر فلم يفعل ، وتعلم منهم خط الروم ، وكان يقول من خدم المحابر خدمته المنابر ، ومن شعره الذى أورده له ابن الجوزى عنه وسمعه منه قوله :

احفظ لسانك لا تبح بثلاثة * سن ومال ، إن سئلت ، ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة * بمكفر وبحاسد ومكذب

وقوله : لى مدة لا بد أبلغها * فاذا انقضت مت

لو عاندتنى الاسد ضارية * ما ضرنى ما لم يجى الوقت

قال ابن الجوزى: بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة، لم تتغير حواسه ولا عقله، توفى ثانى رجب منها. وحضر جنازته الأعيان وغيرهم، ودفن قريبا من قبر بشر.

﴿ يوسف بن أيوب ﴾

ابن الحسن بن زهرة، أبو يعقوب الهمذانى، تفقه بالشيخ أبى إسحاق، وبرع فى الفقه والمناظرة ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة، وصحب الصالحين، وأقام بالجبال، ثم عاد إلى بغداد فوعظ بها، وحصل له قبول. توفى فى ربيع الأول ببعض قرى هراة.

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها كانت حروب كثيرة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه، فاستحوذ خوارزم على مرو بعد هزيمة سنجر ففتك بها، وأساء التدبير بالنسبة إلى الفقهاء الحنفية الذين بها، وكان جيش خوارزم ثلاثمائة ألف مقاتل. وفيها تحمل عمل دمشق النهروز، وخلع نهروز شحنة بغداد على حباب صباغ الحرير الرومى، وركب هو والسلطان مسعود فى سفينة فى ذلك النهر، وفرح السلطان بذلك، وكان قد صرف السلطان على ذلك النهر سبعين ألف دينار. وفيها حج كمال الدين طلحة صاحب المخزن، وعاد فتزهد وترك العمل ولزم داره. وفيها عقدت الجمعة بمسجد العباسيين باذن الخليفة. وحج بالناس قطز.

ومن توفى فيها من الأعيان. ﴿ إسماعيل بن أحمد بن عمر ﴾

ابن الأشعث، أبو القاسم بن أبى بكر السمرقندى الدمشقى ثم البغدادى، سمع الكثير وتفرد بمشايخ، وكان سماعه صحيحاً، وأملى بجامع المنصور مجالس كثيرة نحو ثلاثمائة مجلس، توفى وقد جاوز الثمانين

﴿ يحيى بن على ﴾

ابن محمد بن على، أبو محمد بن الطراح المدبر، ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وسمع الكثير وأسمع، وكان شيخاً حسنا مهيباً كثير العبادة، توفى فى رمضان منها.

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها ملك عماد الدين زنكى الحديثة، ونقل آل مهارش منها إلى الموصل، ورتب فيها نوابا من جهته.

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها تجهز السلطان مسعود ليأخذ الموصل والشام من زنكى، فصالحه على مائة ألف دينار، فدفع إليه منها عشرين ألف دينار، وأطلق له الباقى، وسبب ذلك أن ابنه سيف الدين غازى كان لا يزال فى خدمة السلطان مسعود. وفيها ملك زنكى بعض بلاد بكر. وفيها حصر الملك سنجر خوارزم شاه، ثم أخذ منه مالا وأطلقه. وفيها وجد رجل يفسق بصبى فألقى من رأس منارة، وفى ليلة الثلاثاء الرابع

والعشرين من ذى القعدة زلزلت الأرض . وحج بالناس قطز .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الوهاب بن المبارك ﴾

ابن أحمد ، أبو البركات الأنماطى ، الحافظ الكبير ، كان ثقة دينا ورعا ، طليق الوجه ، سهل الأخلاق ، توفى فى المحرم عن ست وتسعين سنة .

﴿ على بن طراد ﴾

ابن محمد الزينبى ، الوزير العباسى ، أبو القاسم نقيب النقباء على الطائفتين ، فى أيام المستظهر ، ووزر للمسترشد ، وتوفى فى رمضان عن ست وسبعين سنة .

﴿ الزمخشرى محمود ﴾

ابن عمر بن محمد بن عمر ، أبو القاسم الزمخشرى ، صاحب الكشاف فى التفسير ، والمفصل فى النحو وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، وقد سمع الحديث وطاف البلاد ، وجاور بمكة مدة ، وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك فى تفسيره ، ويناظر عليه ، وكانت وفاته بخوارزم ليلة عرفة منها ، عن ست وسبعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها أخذ العماد زنكى الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدى الفرنج ، وقتل منهم خلقا كثيراً وسبى نساء كثيرة ، وغنم أموالا جزيلة ، وأزال عن المسلمين كربا شديدا . وحج بالناس قطز الخادم وتنافس هو وأمير مكة فنهب الحجيج وهم يطوفون .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ إبراهيم بن محمد بن منصور ﴾

ابن عمر أبو الوليد الكرخى ، تفقه بأبى إسحاق وأبى سعد المتولى ، حتى صار أوحد زمانه فقها وصلاحاً ، مات فى هذه السنة . ﴿ سعد بن محمد ﴾

ابن عمر أبو منصور البزار ، سمع الحديث وتفقه بالغزالى والشاشى والمتولى والكيا ، وولى تدريس النظامية ، وكان له سمت حسن ، ووقار وسكون ، وكان يوم جنازته مشهوداً ، ودفن عند أبى إسحاق .

﴿ عمر بن إبراهيم ﴾

ابن محمد بن أحمد بن على بن الحسين بن على بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، القرشى العلوى ، أبو البركات الكوفى ، ثم البغدادى ، سمع الكثير وكتب كثيراً ، وأقام بدمشق مدة ، وكان له معرفة جيدة بالفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب ، وله تصانيف فى النحو ، وكان خشن العيش ، صابراً محتسباً ، توفى فى شعبان من هذه السنة عن سبع وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة ﴾

فيها حصر على بن دبيس أخاه محمداً ولم يزل يحاصره حتى اقتلع من يده الحلة وملكها ، وفى رجب منها دخل السلطان مسعود بغداد خوفا من اجتماع عباس صاحب الرى ، ومحمد شاه بن محمود ، ثم خرج منها فى رمضان ، وحج بالناس أرجوان مملوك أمير الجيوش بسبب ما كان وقع بين قطز وأمير مكة فى السنة الماضية .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن الحسن بن على بن أحمد بن سليمان ، أبو سعد الأصبهانى ، ثم البغدادى ، سمع الحديث وكان على طريقة السلف ، حلو الشمائل ، مطرح الكلفة ، ربما خرج إلى السوق بقميص وقلنسوة . وحج أحد عشر حجة ، وكان يملى الحديث ويكثر الصوم ، توفى بنهاوند فى ربيع الأول من هذه السنة ، وقد قارب الثمانين .

﴿ على بن أحمد ﴾

ابن الحسين بن أحمد ، أبو الحسن اليزدى ، تفقه بأبى بكر الشاشى ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان له ولأخيه قميص واحد ، إذا خرج هذا لبسه وجلس الآخر فى البيت عريانا ، وكذا الآخر .

﴿ موهوب بن أحمد ﴾

ابن محمد بن الخضر ، أبو منصور الجواليقى ، شيخ اللغة فى زمانه ، باشر مشيخة اللغة بالنظامية بعد شيخه أبى زكريا التبريزى ، وكان يؤم بالمقتفى ، وربما قرأ الخليفة عليه شيئا من الكتب ، وكان عاقلا متواضعاً فى ملبسه ، طويل الصمت كثير الفكر ، وكانت له حلقة بجامع القصر أيام الجمع ، وكان فيه لكنة ، وكان يجلس إلى جانبه المغربى معبر المنامات ، وكان فاضلا لكنه كان كثير النعاس فى مجلسه ، فقال فيهما بعض الأدباء :

بغداد عندى ذنبها لن يغفرا * عيوبها مكشوفة لن تسترا
كون الجواليقى فيها ممليا * لغة وكون المغربى معبرا
ما سور لكنته يقول فصاحة * ويوم يقظته يعبر فى الكرا

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ﴾

فى ليلة مستهل ربيع الأول منها احترق القصر الذى بناه المسترشد ، وكان فى غاية الحسن ، وكان الخليفة المقتفى قد انتقل بجواريه وحظاياه إليه ليقيم فيه ثلاثة أيام ، فما هو إلا أن ناموا احترق عليهم القصر بسبب أن جارية أخذت فى يدها شمعة فعلق لهبها ببعض الأخشاب ، فاحترق القصر وسلم الله الخليفة وأهله ، فأصبح فتصدق بأشياء كثيرة ، وأطلق خلقا من المحبسين . وفى رجب منها وقع بين الخليفة والسلطان مسعود واقع فبعث الخليفة إلى الجوامع والمساجد فأغلقت ثلاثة أيام ، حتى

اصطلحا . وفى يوم الجمعة نصف ذى القعدة جلس ابن العبادى الواعظ فتكلم والسلطان مسعود حاضر ، وكان قد وضع على الناس فى البيع مكسا فاحشا ، فقال فى جملة وعظه : ياسلطان العالم ، أنت تطلق فى بعض الأحيان للمغنى إذا طربت قريباً مما وضعت على المسلمين من هذا المكس ، فهبنى مغنياوقد طربت فهب لى هذا المكس شكراً لنعم الله عليك . فأشار السلطان بيده أن قد فعلت ، فضج الناس بالدعاء له ، وكتب بذلك سجلات ، ونودى فى البلد باسقاط ذلك المكس ، ففرح الناس بذلك ولله الحمد والمنة . وفيها قل المطر جدا ، وقلت مياه الأنهار ، وانتشر جراد عظيم ، وأصاب الناس داء فى حلوقهم ، فمات بذلك خلائق كثيرة فانا لله و إنا إليه راجعون . وفيها قتل الملك عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة التركى صاحب الموصل ، وحلب وغيرها من البلاد الشامية والجزيرة ، وكان محاصرا قلعة جعبر ، وفيها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلى ، فبرطل بعض مماليك زنكى حتى قتلوه فى الليلة الخامسة من ربيع الأول من هذه السنة . قال العماد الكاتب : كان سكرانا فالله أعلم . وقد كان زنكى من خيار الملوك وأحسنهم سيرة وشكلا ، وكان شجاعا مقداما حازماً ، خضعت له ملوك الأطراف ، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية ، وأجود الملوك معاملة ، وأرفقهم بالعامة ، وقام بالأمر من بعده بالموصل ولده سيف الدولة ، وبحلب نور الدين محمود ، فاستعاد نور الدين هذا مدينة الرها ، وكان أبوه قد فتحها . فلما مات عصوا فقهرهم نور الدين . وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب وخادم ابن تومرت جزيرة الأندلس ، بعد حروب طويلة . وفيها ملكت الفرنج مدينة طرابلس الغرب ، وفيها استعاد صاحب دمشق مدينة بعلبك . وفيها جاء نجم الدين أيوب إلى صاحب دمشق فسلمه القلعة وأعطاه أمرية عنده بدمشق . وفيها قتل السلطان مسعود حاجبه عبد الرحمن بن طغرلبك وقتل عباساً صاحب الرى ، وألقى رأسه إلى أصحابه فانزعج الناس ونهبوا خيام عباس هذا ، وقد كان عباس من الشجعان المشهورين ، قاتل الباطنية مع مخدومه جوهر ، فلم يزل يقتل منهم حتى بنى مأذنة من رؤسهم بمدينة الرى . وفيها مات نقيب النقباء ببغداد محمد بن طراد الزينبى ، فتولى بعده على بن طلحة الزينبى . وفيها سقط جدار على ابنة الخليفة ، وكانت قد بلغت مبالغ النساء ، فماتت فحضر جنازتها الأعيان . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ زنكى بن آقسنقر ﴾

تقدم ذكر شىء من ترجمته ، وهو أبو نور الدين محمود الشهيد ، وقد أطنب الشيخ أبو شامة فى الروضتين فى ترجمته ، وما قيل فيه من نظم ونثر رحمه الله .

﴿ سعد الخير ﴾

محمد بن سهل بن سعد ، أبو الحسن المغربى الأندلسى الأنصارى ، رحل وحصل كتباً نفيسة ،

وروى عنه ابن الجوزى وغيره ، وقد أوصى عند وفاته أن يصلى عليه الغزنوى ، وأن يدفن عند قبر عبد الله بن الأمام أحمد ، وحضر جنازته خلائق من الناس .

﴿ شافع بن عبد الرشيد ﴾

ابن القاسم ، أبو عبد الله الجيلى الشافعى ، تفقه على الكيا وعلى الغزالى ، وكان يسكن الكرخ ، وله حلقة بجامع المنصور فى الرواق . قال ابن الجوزى وكنت أحضر حلقته .

﴿ عبد الله بن على ﴾

ابن أحمد بن عبد الله ، أبو محمد سبط أبى منصور الزاهد ، قرأ القراءات وصنف فيها ، وسمع الحديث الكثير ، واقتنى الكتب الحسنة ، وأم فى مسجده نيفا وخمسين سنة ، وعلم خلقاً القرآن . قال ابن الجوزى : ما سمعت أحداً أحسن قراءة منه ، وحضر جنازته خلق كثير .

﴿ عباس شحنة الرى ﴾

توصل إلى أن ملكها ثم قتله مسعود ، وقد كان كثير الصدقات والاحسان إلى الرعية ، وقتل من الباطنية خلقا حتى بنى من رؤسهم منارة بالرى ، وتأسف الناس عليه .

﴿ محمد بن طراد ﴾

ابن محمد الزينبى ، أبو الحسن نقيب النقباء ، وهو أخو على بن طراد الوزير ، سمع الكثير من أبيه ومن عمه أبى نصر وغيرهما ، وقارب السبعين .

﴿ وجيه بن طاهر ﴾

ابن محمد بن محمد ، أبو بكر الشحامى ، أخو زاهر ، وقد سمع الكثير من الحديث ، وكانت له معرفة به ، وكان شيخا حسن الوجه ، سريع الدمعة ، كثير الذكر ، جمع السماع إلى العمل إلى صدق اللهجة توفى ببغداد فى هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها ملكت الفرنج عدة حصون من جزيرة الأندلس . وفيها ملك نور الدين بن محمود زنكى عدة حصون من يد الفرنج بالسواحل . وفيها خطب للمستنجد بالله بولاية العهد من بعد أبيه المقتفى . وفيها تولى عون بن يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ، وولى زعيم الدين يحيى بن جعفر صدرية المخزن المعمورة . وفيها اشتد الغلاء بافريقية وهلك بسببه أكثر الناس حتى خلت المنازل ، وأقفلت المعاقل . وفيها تزوج سيف الدين غازى بنت صاحب ماردين حسام الدين تمرتاش بن أرتق ، بعد أن حاصره فصالحه على ذلك ، فحملت إليه إلى الموصل بعد سنتين ، وهو مريض قد أشرف على الموت ، فلم يدخل بها حتى مات ، فتولى بعده على الموصل أخوه قطب بن مودود فتزوجها . قال ابن الجوزى :

وفى صفر رأى رجل فى المنام قائلا يقول له :من زار أحمد بن حنبل غفر له . قال فلم يبق خاص ولا عام إلا زاره . قال ابن الجوزى : وعقدت يومئذ ثم مجلسا فاجتمع فيه ألوف من الناس .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أسعد بن عبد الله ﴾

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله ، أبو منصور ، سمع الحديث الكثير ، وكان خيراً صالحا ممتعا بحواسه وقواه ، إلى حين الوفاة . وقد جاوز المائة بنحو من سبع سنين

﴿ أبو محمد عبد الله بن محمد ﴾

ابن خلف بن أحمد بن عمر اللخمى الأندلسى ، الرباطى الحافظ ، مصنف كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار ، فى أنساب الصحابة و رواة الآثار ، وهو من أحسن التصانيف الكبار ، قتل شهيداً صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى بالبرية .

﴿ نصر الله بن محمد ﴾

ابن عبد القوى ، أبو الفتح اللاذقى المصيصى الشافعى ، تفقه بالشيخ نصر بن إبراهيم المقدسى ، بصور ، وسمع بها منه ومن أبى بكر الخطيب ، وسمع ببغداد والأنبار ، وكان أحد مشايخ الشام ، فقيهاً فى الأصول والفروع ، توفى فيها وقد جاوز التسعين بأربع سنين .

﴿ هبة الله بن على ﴾

ابن محمد بن حمزة أبو السعادات ابن الشجرى النحوى ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وسمع الحديث وانتهت إليه رياسة النحاة . قال سمعت بيتا فى الذم أبلغ من قول مكوبه :

وما أنا إلا المسك قد ضاع عندكم * يضيع وعند الأكثرين يضوع

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها استغاث مجير الدين بن أتابك دمشق بالملك نور الدين صاحب حلب على الفرنج ، فركب سريعاً فالتقى معهم بأرض بصرى فهزمهم ، ورجع فنزل على الكسوة ، وخرج ملك دمشق مجير الدين أرتق نخدمه واحترمه وشاهد الدماشقة حرمة نور الدين حتى تمنوه . وفيها ملكت الفرنج المهدية وهرب منها صاحبها الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن منصور بن يوسف بن بليكين بأهله وخاف على أمواله فتمزقت فى البلاد ، وتمزق هو أيضاً فى البلاد ، وأكلتهم الأقطار ، وكان آخر ملوك بنى باديس ، وكان ابتداء ملكهم فى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، فدخل الفرنج إليها وخزائنها مشحونة بالحواصل والأموال والعدد وغير ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها حاصرت الفرنج وهم فى سبعين ألف مقاتل ، ومعهم ملك الألمان فى خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، دمشق وعليها مجير الدين أرتق وأتابكه معين الدين ، وهو مدبر المملكة ، وذلك يوم السبت سادس ربيع

الأول ، فخرج إليهم أهلها فى مائة ألف وثلاثين ألفا ، فاقتتلوا معهم قتالا شديداً ، قتل من المسلمين فى أول يوم نحو من مائتى رجل ، ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون ، واستمر الحرب مدة ، وأخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن الجامع ، واجتمع الناس حوله يدعون الله عز وجل ، والنساء والأطفال مكشفى الرؤس يدعون ويتباكون ، والرماد مفروش فى البلد ، فاستغاث أرتق بنورالدين محمود صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل ، فقصداه سريعاً فى نحو من سبعين ألفا بمن انضاف إليهم من الملوك وغيرهم ، فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيش تحولوا عن البلد ، فلحقهم الجيش فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وجماً غفيرا ، وقتلوا قسيساً معهم اسمه إلياس ، وهو الذى أغراهم بدمشق ، وذلك أنه افترى مناماً عن المسيح أنه وعده فتح دمشق ، فقتل لعنه الله ، وقد كادوا يأخذون البلد ، ولكن الله سلم ، وحماها بحوله وقوته . قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع و بيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) ومدينة دمشق لاسبيل للأعداء من الكفرة عليها ، لأنها المحلة التى أخبر رسول الله ﷺ عنها أنها معقل الاسلام عند الملاحم والفتن ، و بها ينزل عيسى ابن مريم ، وقد قتل الفرنج خلقا كثيرا من أهل دمشق ، وممن قتلوا الفقيه الكبير الملقب حجة الدين شيخ المالكية بها ، أبو الحجاج يوسف بن درناس الفندلاوى ، بأرض النيرب ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وكان مجير الدين قد صالح الفرنج عن دمشق ببانياس ، فرحلوا عنها وتسلموا بانياس . وفيها وقع بين السلطان مسعود وأمرائه ففارقوه ، وقصدوا بغداد فاقتتلوا مع العامة ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا من الصغار والكبار ، ثم اجتمعوا قبال التاج وقبلوا الأرض واعتذروا إلى الخليفة مما وقع ، وساروا نحو النهروان فتفرقوا فى البلاد ، ونهبوا أهلها ، فغلت الأسعار بالعراق بسبب ذلك . وفيها ولى قضاء القضاة ببغداد أبو الحسن على بن أحمد بن على بن الدامغانى ، بعد وفاة الزينبى . وفيها ملك سولى بن الحسين ملك الثغور مدينة غزنة ، فنهب صاحبها بهرام شاه بن مسعود من أولاد سبكتكين إلى فرغانة فاستغاث بملكها ، فجاء بجيوش عظيمة فاقتلع غزنة من سولى ، وأخذه أسيراً فصلبه ، وقد كان كريماً جوادا ، كثير الصدقات .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ إبراهيم بن محمد ﴾

ابن نهار بن محرز الغنوى الرقى ، سمع الحديث وتفقه بالشاشى والغزالى ، وكتب شيئا كثيرا من مصنفاته ، وقرأها عليه ، وصحبه كثيرا ، وكان مهيباً كثير الصمت ، توفى فى ذى الحجة منها وقد جاوز الثمانين.

﴿ شاهان شاه بن أيوب ﴾

ابن شادى ، استشهد مع نور الدين ، وهو والد الست عذار ، واقفة المذارية ، وتقى الدين عمر واقف التقوية .

﴿ على بن الحسين ﴾

ابن محمد بن على الزينبي ، أبو القاسم الأكمل بن أبى طالب نور الهدى بن أبى الحسن نظام الحضرتين ابن نقيب النقباء أبى القاسم بن القاضى أبى تمام العباسى ، قاضى القضاة ببغداد وغيرها ، سمع الحديث ، وكان فقيهاً رئيساً ، وقورا حسن الهيئة والسمت ، قليل الكلام ، سافر مع الخليفة الراشد إلى الموصل ، وجرت له فصول ثم عاد إلى بغداد فمات بها فى هذه السنة ، وقد جاوز الستين ، وكانت جنازته حافلة

﴿ أبو الحجاج يوسف بن درباس ﴾

الفندلاوى ، شيخ المالكية بدمشق ، قتل يوم السبت سادس ربيع الأول قريباً من الربوة فى أرض النيرب ، هو والشيخ عبد الرحمن الحلحولى ، أحد الزهاد رحمهما الله تعالى ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وفاة القاضى عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى ، قاضيها أحد مشايخ العلماء المالكية ، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة ، منها الشفا ، وشرح مسلم ، ومشارق الأنوار ، وغير ذلك ، وله شعر حسن ، وكان إماما فى علوم كثيرة ، كالفقه واللغة والحديث والأدب ، وأيام الناس ، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة ، ومات يوم الجمعة فى جمادى الآخرة ، وقيل فى رمضان من هذه السنة ، بمدينة سبتة . وفيها غزا الملك نور الدين محمود بن زنكى صاحب حلب بلاد الفرنج ، فقتل منهم خلقا ، وكان فيمن قتل البرنس صاحب إنطاكية ، وفتح شيئا كثيرا من قلاعهم ولله الحمد . وكان قد استنجد بمعين الدين بن أتابك دمشق ، فأرسل إليه بفريق من جيشه صحبة الأمير مجاهد الدين بن مروان بن ماس ، نائب صرخد فأبلوا بلاء حسنا ، وقد قال الشعراء فى هذه الغزوة أشعارا كثيرة ، منهم ابن القيسرانى وغيره ، وقد سردها أبو شامة فى الروضتين . وفى يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر استوزر للخلافة أبو المظفر يحيى بن هبيرة ، ولقب عون الدين ، وخلع عليه . وفى رجب قصد الملك شاه بن محمود بغداد ومعه خلق من الأمراء ، ومعه على بن دبيس وجماعة من التركمان وغيرهم ، وطلبوا من الخليفة أن يخطب له فامتنع من ذلك ، وتكررت المكاتبات ، وأرسل الخليفة إلى السلطان مسعود يستحثه فى القدوم ، فتمادى عليه وضاق النطاق ، واتسع الخرق على الراقع ، وكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يتوعده إن لم يسرع إلى الخليفة ، فما جاء إلا فى أواخر السنة ، فانقشعت تلك الشرور كلها ، وتبدلت سرورا أجمعها . وفى هذه السنة زلزلت الأرض زلزالا شديداً ، وتموجت الأرض عشر مرات ، وتقطع جبل بحلوان ، وانهدم الرباط النهر جورى ، وهلك خلق كثير بالبرسام ، لا يتكلم المرضى به حتى يموتوا . وفيها مات سيف الدين غازى بن زنكى صاحب الموصل ، وملك بعده أخوه قطب الدين مودود بن

زنكي ، وتزوج بامرأة أخيه التي لم يدخل بها ، الخاتون بنت تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق ، صاحب ماردين ، فولدت له أولادا كلهم ملكوا الموصل ، وكانت هذه المرأة تضع خمارها بين خمسة عشر ملكا. وفيها سار نور الدين إلى سنجار ففتحها ، فجهز إليه أخوه قطب الدين مودود جيشا ليرده عنها ، ثم اصطلحا فعوضه منها الرحبة وحمص ، واستمرت سنجار لقطب الدين ، وعاد نور الدين إلى بلده . ثم غزا فيها الفرنج فقتل منهم خلقا وأسر البرنس صاحب إنطاكية ، فمدحه الشعراء منهم الفتح القيسرانى بقصيدة يقول فى أولها :

هذى العزائم لا ما تنعق القضب * وذى المكارم لا ما قالت الكتب

وهذه الهمم اللاتى متى خطبت * تعثرت خلفها الأشعار والخطب

صافحت يا ابن عماد الدين ذروتها * براحة للمساعى دونها تعب

ما زال جدك يبنى كل شاهقة * حتى بنى قبة أوتادها الشهب

وفيها فتح نور الدين حصن فاميا وهو قريب من حماه . وفيها مات صاحب مصر الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبى القاسم بن المستنصر ، فقام بالأمر من بعده ولده الظافر إسماعيل ، وقد كان أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش قد استحوذ على الحافظ وخطب له بمصر ثلاثا ، ثم آخر الأمر أذن بحى على خير العمل ، والحافظ هذا هو الذى وضع طبل القولنج الذى إذا ضرب به من به القولنج يخرج منه القولنج والريح الذى به ، وخرج بالحجاج الأمير قطز الخادم فرض بالكوفة فرجع واستخلف على الحجاج مولاه قيماز ، وحين وصوله إلى بغداد توفى بعد أيام ، فطمعت العرب فى الحجاج فوقفوا لهم فى الطريق وهم راجعون ، فضعف قيماز عن مقاومتهم فأخذ لنفسه أمانا وهرب وأسلم إليهم الحجيج ، فقتلوا أكثرهم وأخذوا أموال الناس ، وقل من سلم فيمن نجا ، فانا لله و إنا إليه راجعون . وفيها مات معين الدين بن أتابك العساكر بدمشق ، وكان أحد مماليك طغتكين ، وهو والد الست خاتون زوجة نور الدين ، وهو واقف المدرسة المعينية ، داخل باب الفرج ، وقبره فى قبة قتلى الشامية البرانية ، بمحلة العونية ، عند دار البطيخ . ولما مات معين الدين قويت شوكة الوزير الرئيس مؤيد الدولة على ابن الصوفى وأخيه زين الدولة حيدرة ، ووقعت بينهما وبين الملك مجير الدين أرتق وحشة ، اقتضت أنهما جندا من العامة والغوغاء ما يقاومه فاقتتلوا فقتل خلق من الفريقين . ثم وقع الصلح بعد ذلك .

ومن توفى فيها من الأعيان

﴿ أحمد بن نظام الملك ﴾

أبو الحسن على بن نصر الوزير للمسترشد ، والسلطان محمود ، وقد سمع الحديث ، وكان من خيار الوزراء .

﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن الحسين الارجانى ، قاضى تستر ، روى الحديث وكان له شعر رائق يتضمن معانى حسنة

فمن ذلك قوله :

ولما بلوت الناس أطلب عندهم * أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطعمت فى حالى رخاء وشدة * وناديت فى الأحياء هل من مساعد؟
فلم أر فيما ساءنى غير شامت * ولم أر فيما سرنى غير حاسد
فطلقت ود العالمين جميعهم * ورحت فلا ألوى على غير واحد
تمتعتما يا ناظرى بنظرة * وأوردتما قلبى أمر الموارد
أعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

﴿ والقاضى عياض بن موسى السبتى ﴾ صاحب التصانيف المفيدة ومن شعره قوله :

الله يعلم أنى منذ لم أركم * كطائر خانه ريش الجناحين
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم * فان بعدكم عنى جنى حينى

وقد ترجمه ابن خلكان ترجمة حسنة .

﴿ عيسى بن هبة الله ﴾

ابن عيسى ، أبو عبد الله النقاش ، سمع الحديث ، مولده سنة سبع وخمسين وأربعمائة . قال ابن الجوزى : وكان ظريفا خفيف الروح ، له نوادر حسنة رأى الناس ، وعاشر الأكياس ، وكان يحضر مجلسى ويكاتبنى وأكاتبه ، كتبت إليه مرة فعظمته فى الكتاب فكتب إلى : قد زدتنى فى الخطاب حتى خشيت نقصاً من الزيادة ، وله :

إذا وجد الشيخ فى نفسه * نشاطا فذلك موت خفى
ألست ترى أن ضوء السرا * ج له لهب قبل أن ينطفى

﴿ غازى بن آقسنقر ﴾

الملك سيف الدين صاحب الموصل ، وهو أخو نور الدين محمود ، صاحب حلب ثم دمشق فيما بعد ، وقد كان سيف الدين هذا من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، وأجودهم سريرة ، وأصبحهم صورة ، شجاعا كريماً ، يذبح كل يوم لجيشه مائة من الغنم ، ولمماليكه ثلاثين رأساً ، وفى يوم العيد ألف رأس سوى البقر والدجاج ، وهو أول من حمل على رأسه سنجق من ملوك الأطراف ، وأمر الجند أن لا يركبوا إلا بسيف ودبوس ، وبنى مدرسة بالموصل ورباطا للصوفية وامتدحه الحيص بيص فأعطاه ألف دينار عيناً ، وخلعة . ولما توفى بالحمى فى جمادى الآخرة دفن فى مدرسته المذكورة ، وله من العمر أربعون سنة ، وكانت مدة ملكه بعد أبيه ثلاث سنين وخمسين يوماً ، رحمه الله .

﴿ قطز الخادم ﴾

أمير الحاج مدة عشرين سنة وأكثر ، سمع الحديث وقرأ على ابن الزاغونى ، وكان يحب العلم والصدقة ، وكان الحاج معه فى غاية الدعة والراحة والأمن ، وذلك لشجاعته ووجاهته عند الخلفاء والملوك ، توفى ليلة الثلاثاء الحادى عشر من ذى القعدة ودفن بالرصافة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها فتح نور الدين محمود حصن فامية ، وهو من أحصن القلاع ، وقيل فتحه فى التى قبلها . وفيها قصد دمشق ليأخذها فلم يتفق له ذلك ، فخلع على ملكها مجير الدين أرتق ، وعلى وزيره ابن الصوفى ، وتقررت الخطبة له بها بعد الخليفة والسلطان ، وكذلك السكة . وفيها فتح نور الدين حصن إعزاز وأسر ابن ملكها ابن جوسليق ، ففرح المسلمون بذلك ، ثم أسر بعده والده جوسليق الفرنجى ، فتزايدت الفرحة بذلك ، وفتح بلاداً كثيرة من بلاده . وفى المحرم منها حضر يوسف الدمشقى تدريس النظامية ، وخلع عليه ، ولما لم يكن ذلك بإذن الخليفة بل بمرسوم السلطان وابن النظام ، منع من ذلك فلزم بيته ولم يعد إلى المدرسة بالكلية ، وتولاها الشيخ أبو النجيب بإذن الخليفة ومرسوم السلطان . قال ابن الجوزى : فى هذه السنة وقع مطر باليمن كله دم ، حتى صبغ ثياب الناس .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن ذى النون ﴾

ابن أبى القاسم ، بن أبى الحسن ، أبو المفاخر النيسابورى ، قدم بغداد فوعظ بها ، وجعل ينال من الأشاعرة فأحبته الحنابلة ، ثم اختبروه فإذا هو معتزلى ففتروا عنه ، وجرت بسببه فتنة ببغداد ، وقد سمع منه ابن الجوزى شيئا من شعره ، من ذلك :

ماتَ الكرامُ ومرُّوا وانقضوا ومضوا * وماتَ من بعدهم تلك الكراماتُ
وخلّفونى فى قومٍ ذوى سفهٍ * لو أبصروا طيفَ ضيفٍ فى الكرى ماتوا

﴿ عبد الملك بن عبد الوهاب ﴾

الحنبلى القاضى بهاء الدين ، كان يعرف مذهب أبى حنيفة وأحمد ، ويناظر عنهما ، ودفن مع أبيه وجده بقبور الشهداء .

﴿ عبد الملك بن أبى نصر بن عمر ﴾

أبو المعالى الجيلى ، كان فقيها صالحا متعبدا فقيرا ، ليس له بيت يسكنه ، وإنما يبيت فى المساجد المهجورة ، وقد خرج مع الحجيج فأقام بمكة يعبد ربه ويفيد العلم ، فكان أهلها يثنون عليه خيرا

﴿ الفقيه أبو بكر بن العربى ﴾

المالكى ، شارح الترمذى ، كان فقيها عالما ، وزاهدا عابدا ، وسمع الحديث بعد اشتغاله فى

الفقه ، وصحب الغزالى وأخذ عنه ، وكان يتهمه برأى الفلاسفة ، ويقول دخل فى أجوافهم فلم يخرج منها والله سبحانه أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها أغار جيش السلطان على بلاد الاسماعيلية ، فقتلوا خلقا ورجعوا سالمين . وفيها حاصر نور الدين دمشق شهورا ثم ترحل عنها إلى حلب ، وكان الصلح على يدى البرهان البلخى . وفيها اقتتل الفرنج وجيش نور الدين فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولما وقع هذا الأمر شق ذلك على نور الدين وترك الترفه وهجر اللذة حتى يأخذ بالثار ، ثم إن أمراء التركمان ومعهم جماعة من أعوانهم ترصدوا الملك جوسليق الافرنجى ، فلم يزالوا به حتى أسروه فى بعض متصيداته فأرسل نور الدين فكبس التركمان وأخذ منهم جوسليق أسيراً ، وكان من أعيان الكفرة ، وأعظم الفجرة ، فأوقفه بين يديه فى أذل حال ، ثم سجنه . ثم سار نور الدين إلى بلاده فأخذها كلها بما فيها. وفى ذى الحجة جلس ابن العبادى فى جامع المنصور وتكلم ، وعنده جماعة من الأعيان ، فكادت الحنابلة يثيرون فتنة ذلك اليوم ، ولكن لطف الله وسلم . وحج بالناس فيها قيماز الأرجوانى .

وممن توفى فيها من الأعيان الشيخ .

﴿ برهان الدين أبو الحسن بن على البلخى ﴾

شيخ الحنفية بدمشق ، درس بالبلخية ثم بالخاتونية البرانية ، وكان عالما عاملا ، ورعا زاهدا ، ودفن بمقابر باب الصغير .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها توفى السلطان مسعود وقام بالأمر من بعده أخوه ملكشاه بن محمود ، ثم جاء السلطان محمد وأخذ الملك واستقر له ، وقتل الأمير خاص بك ، وأخذ أمواله وألقاه للكلاب ، وبلغ الخليفة أن واسط قد تخبطت أيضا ، فركب إليها فى الجيش فى أبهة عظيمة ، وأصلح شأنها ، وكر على الكوفة والحلة ، ثم عاد إلى بغداد فزينت له البلد . وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب بجاية وهى بلاد بنى حماد ، فكان آخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيز بن حماد ، ثم جهز عبد المؤمن جيشاً إلى صنهاجة فحاصرها ، وأخذ أموالها . وفيها كانت وقعة عظيمة بين نور الدين الشهيد وبين الفرنج ، فكسرهم وقتل منهم خلقا ولله الحمد . وفيها اقتتل السلطان سنجر وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحسن أول ملوكهم ، فكسره سنجر وأسره ، فلما أحضره بين يديه قال له : ماذا كنت تصنع بى لو أسرتنى؟ فأخرج قيدا من فضة وقال : كنت أقيدك بهذا . فعفى عنه وأطلقه إلى بلاده ، فسار إلى غزنة فانتزعها من يد صاحبها بهرام شاه السبكتكينى ، واستخلف عليها أخاه سيف الدين فغدر به أهل البلد وسلموه إلى بهرام شاه فصلبه ، ومات بهرام شاه قريباً فسار إليه علاء الدين فهرب خسرو بن بهرام

شاه عنها، فدخلها علاء الدين فنهبها ثلاثة أيام، وقتل من أهلها بشراً كثيرا، وسخر أهلها فحملوا ترابا فى مخالى إلى محلة هنالك بعيدة عن البلد، فعمر من ذلك التراب قلعة معروفة إلى الآن، وبذلك انقضت دولة بنى سبكتكين عن بلاد غزنة وغيرها، وقد كان ابتداء أمرهم فى سنة ست وستين وثلثمائة إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وكانوا من خيار الملوك، وأكثرهم جهادا فى الكفرة، وأكثرهم أموالا ونساء وعددا وعددا، وقد كسروا الأصنام وأبادوا الكفار، وجمعوا من الأموال مالم يجمع غيرهم من الملوك، مع أن بلادهم كانت من أطيب البلاد وأكثرهم ريفاو مياها ففنى جميعه وزال عنهم (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير) ثم ملك الغور والهند وخراسان، واتسعت ممالكهم وعظم سلطان علاء الدين بعد الأسر، وحكى ابن الجوزى أن فى هذه السنة باض ديك بيضة واحدة، ثم باض بازى بيضتين، وباضت نعامة من غير ذكر، وهذا شئ عجيب.

ومن توفى فيها من الأعيان. ﴿ المظفر بن أردشير ﴾

أبو منصور العبادى، الواعظ، سمع الحديث ودخل إلى بغداد فأملى ووعظ، وكان الناس يكتبون ما يعظ به، فاجتمع له من ذلك مجلدات. قال ابن الجوزى: لا تكاد تجد فى المجلد خمس كلمات جيدة، وتكلم فيه وأطال الحط عليه، واستحسن من كلامه قوله: وقد سقط مطر وهو يعظ الناس، وقد ذهب الناس إلى تحت الجدران، فقال لا تفروا من رشاش ماء رحمة قطر من سحاب نعمة، ولكن فروا من رشاش نار اقتدح من زناد الغضب. توفى وقد جاوز الخمسين بقليل.

﴿ مسعود السلطان ﴾

صاحب العراق وغيرها، حصل له من التمكن والسعادة شىء كثير لم يحصل لغيره، وجرت له خطوب طويلة، كما تقدم بعض ذلك، وقد أسر فى بعض حروبه الخليفة المسترشد كما تقدم، توفى يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة منها.

﴿ يعقوب الخطاط الكاتب ﴾

توفى بالنظامية، فجاء ديوان الحشر ليأخذوا ميراثه فمنعهم الفقهاء فجرت فتنة عظيمة آل الحال إلى عزل المدرس الشيخ أبى النجيب وضربه فى الديوان تعزيراً.

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها وقع الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك، فقتل الأتراك من جيشه خلقا كثيرا بحيث صارت القتلى مثل التلول العظيمة، وأسروا السلطان سنجر وقتلوا من كان معه من الأمراء صبرا، ولما أحضروه قاموا بين يديه وقبلوا الأرض له، وقالوا نحن عبيدك، وكانوا عدة من الأمراء الكبار

من مماليكهم ، فأقام عندهم شهرين ثم أخذوه وساروا به فدخلوا مرو ، وهى كرسى مملكة خراسان ، فسأله بعضهم أن يجعلها له إقطاعا ، فقال سنجر هذا لا يمكن ، هذه كرسى المملكة ، فضحكوا منه وخرطوا به فنزل عن سرير المملكة ودخل خانقاه ، وصار فقيرا من جملة أهلها ، وتاب عن الملك واستحوذ أولئك الأتراك على البلاد فنهبوها وتركوها قاعا صفصفا ، وأفسدوا فى الارض فسادا عريضاً ، وأقاموا سليمان شاه ملكا ، فلم تطل أيامه حتى عزلوه ، وولوا ابن أخت سنجر الخاقان محمود ابن كوخان ، وتفرقت الأمور واستحوذ كل إنسان منهم على ناحية من تلك الممالك ،وصارت الدولة دولا . وفيها كانت حروب كثيرة بين عبد المؤمن و بين العرب ببلاد المغرب . وفيها أخذت الفرنج مدينة عسقلان من ساحل غزة . وفيها خرج الخليفة إلى واسط فى جحفل فأصلح شأنها وعاد إلى بغداد. وحج بالناس فيها قيماز الأرجوانى .

وفيها كانت وفاة الشاعرين القرينين الشهيرين فى الزمان الأخير .

﴿ بالفرزدق وجرير ﴾

وهما أبو الحسن أحمد بن منير الجونى بحلب ، وأبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسرانى الحلبى بدمشق ، وعلى بن السلار الملقب بالعادل وزير الظاهر صاحب مصر ، وهو بانى المدرسة بالاسكندرية للشافعية للحافظ أبى طاهر السلفى ، وقد كان العادل هذا ضد اسمه ، كان ظلوماً غشوماً حطوماً ، وقد ترجمه ابن خلكان

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها ركب الخليفة المقتفى فى جيش كثيف إلى تكريت فحاصر قلعتها ، ولقى هناك جمعاً من الأتراك والتركمان ، فأظفره الله بهم ، ثم عاد إلى بغداد .

﴿ ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق ﴾

وجاءت الأخبار بأن مصر قد قتل خليفتها الظافر ، ولم يبق منهم إلا صبى صغير ابن خمس شهور ، قد ولوه عليهم ولقبوه الفائز ، فكتب الخليفة عهدا إلى نور الدين محمود بن زنكى بالولاية على بلاد الشام والديار المصرية ، وأرسله إليها . وفيها هاجت ريح شديدة بعد العشاء فيها نار فخاف الناس أن تكون الساعة ، وزلزلت الأرض وتغير ماء دجلة إلى الحمرة ، وظهر بأرض واسط بالأرض دم لا يعرف ما سببه ، وجاءت الأخبار عن الملك سنجر أنه فى أسر الترك ، وهو فى غاية الذل والاهانة ، وأنه يبكى على نفسه كل وقت . وفيها انتزع نور الدين محمود دمشق من يد ملكها نور الدين أرتق ، وذلك لسوء سيرته وضعف دولته ، ومحاصرة العامة له فى القلعة ، مع وزيره مؤيد الدولة على بن الصوفى ، وتغلب الخادم عطاء على المملكة مع ظلمه وغشمه ، وكان الناس يدعون ليلا ونهارا أن يبدلهم بالملك نور الدين ، واتفق مع ذلك أن الفرنج أخذوا عسقلان فحزن نور الدين على ذلك ،

ولا يمكنه الوصول إليهم ، لأن دمشق بينه وبينهم ، ويخشى أن يحاصروا دمشق فيشق على أهلها ، ويخاف أن يرسل مجير الدين إلى الفرنج فيخذلونه كما جرى غير مرة ، وذلك أن الفرنج لا يريدون أن يملك نور الدين دمشق فيقوى بها عليهم ولا يطيقونه ، فأرسل بين يديه الأمير أسد الدين شيركوه فى ألف فارس فى صفة طلب الصلح ، فلم يلتفت إليه مجير الدين ولاعده شيئا ، ولا خرج إليه أحد من أعيان أهل البلد ، فكتب إلى نور الدين بذلك ، فركب الملك نور الدين فى جيشه فنزل عيون الفاسريا من أرض دمشق ، ثم انتقل إلى قريب من الباب الشرقى ، ففتحها قهرا ودخل من الباب الشرقى بعد حصار عشرة أيام ، وكان دخوله فى يوم الأحد عاشر صفر من هذه السنة وتحصن مجير الدين فى القلعة فأنزله منها وعوضه مدينة حمص ودخل نور الدين إلى القلعة واستقرت يده على دمشق ولله الحمد . ونادى فى البلد بالأمان والبشارة بالخير ، ثم وضع عنهم المكوس وقرئت عليهم التواقيع على المنابر ، ففرح الناس بذلك وأكثروا الدعاء له ، وكتب ملوك الفرنج إليه يهنونه بدمشق ويتقربون إليه ، ويخضعون له .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ الرئيس مؤيد الدولة

على بن الصوفى وزير دمشق لمجير الدين ، وقد ثار على الملك غير مرة ، واستفحل أمره ، ثم يقع الصلح بينهما كما تقدم . ﴿ عطاء الخادم ﴾

أحد أمراء دمشق ، ، وقد تغلب على الأمور بأمر مجير الدين، وكان ينوب على بعلبك فى بعض الأحيان ، وقد كان ظالما غاشما وهوالذى ينسب إليه مسجدعطاء خارج باب شرقى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة هجرية ﴾

فيها خرج الخليفة فى تجمل إلى دموقا فحاصرها فخرج إليه أهلها أن يرحل عنهم فان أهلها قد هلكوا من الجيشين ، فأجابهم ورحل عنهم ، وعاد إلى بغداد بعد شهرين ونصف، ثم خرج نحو الحلة والكوفة والجيش بين يديه ، وقال له سليمان شاه أناولى عهد سنجر ، فان قررتنى فى ذلك وإلا فأنا كأحد الأمراء ، فوعده خيراً ، وكان يحمل الغاشية بين يدى الخليفة على كاهله ، فمهد الأمور ووطدها ، وسلم على مشهد على إشارة بأصبعه ، وكأنه خاف عليه غائلة الروافض أوأن يعتقد فى نفسه من القبر شيئا أو غير ذلك ، والله أعلم .

﴿ فتح بعلبك بيد نور الدين الشهيد ﴾

وفيها افتتح نور الدين بعبك عودا على بدء وذلك أن نجم الدين أيوب كان نائباً بها على البلد والقلعة فسلمها إلى رجل يقال له الضحاك البقاعى ، فاستحوذ عليها وكاتب نجم الدين لنور الدين ، ولم يزل نور الدين يتلطف حتى أخذ القلعة أيضا واستدعى بنجم الدين أيوب إليه إلى دمشق فأقطعه

إقطاعاحسنا ، وأكرمه من أجل أخيه أسد الدين ، فانه كانت له اليد الطولى فى فتح دمشق ، وجعل الأمير شمس الدولة بوران شاه بن نجم الدين شحنة دمشق ، ثم من بعده جعل أخاه صلاح الدين يوسف هو الشحنة ، وجعله من خواصه لا يفارقه حضرا ولا سفرا ، لأنه كان حسن الشكل حسن اللعب بالكرة ، وكان نور الدين يحب لعب الكرة لتمرين الخيل وتعليمها الكر والفر ، وفى شحنة صلاح الدين يوسف يقول عرقلة [وهو حسان بن نمير الكلبى] الشاعر :

روبدكم يالصوص الشام * فانى لكم ناصح فى مقالى

فاياكم وسمى النبى يوسف * رب الحجا والكمال

فذاك مقطع أيدى النسا * وهذا مقطع أيدى الرجال

وقد ملك أخاه بوران شاه بلاد اليمن فيما بعد ذلك ، وكان يلقب شمس الدولة .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ محمد بن ناصر ﴾

ابن محمد بن على الحافظ ، أبو الفضل البغدادى. ولد ليلة النصف من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وسمع الكثير ، وتفرد بمشايخ ، وكان حافظا ضابطا مكثرا من السنة كثير الذكر ، سريع الدمعة . وقد تخرج به جماعة منهم أبو الفرج ابن الجوزى ، سمع بقراءته مسند أحمد وغيره من الكتب الكبار ، وكان يثنى عليه كثيرا ، وقد رد على أبى سعد السمعانى فى قوله : محمد بن ناصر يحب أن يقع فى الناس . قال ابن الجوزى : والكلام فى الناس بالجرح والتعديل ليس من هذا القبيل ، وإنما ابن السمعانى يحب أن يتعصب على أصحاب الامام أحمد ، نعوذ بالله من سوء القصد والتعصب. توفى محمد بن ناصر ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شعبان منها ، عن ثلاث وثمانين سنة ، وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب .

﴿ مجلى بن جميع أبو المعالى ﴾

المخزومى الأرسوفى ثم المصرى قاضيها ، الفقيه الشافعى ، مصنف الذخائر وفيها غرائب كثيرة وهى من الكتب المفيدة . ﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ﴾

فى المحرم دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه إلى بغداد وعلى رأسه الشمسية ، فتلقاه الوزير ابن هبيرة وأدخله على الخليفة ، فقبل الأرض وحلفه على الطاعة وصفاء النية والمناصحة والمودة ، وخلع عليه خلع الملوك ، وتقرر أن للخليفة العراق ولسليمان شاه ما يفتحه من خراسان ، ثم خطب له ببغداد بعد الملك سنجر ، ثم خرج منها فى ربيع الأول فاقتتل هو والسلطان محمد بن محمود بن ملكشاه ، فهزمه محمد وهزم عسكره ، فذهب مهزوما فتلقاه نائب قطب الدين مودود بن زنكى ، صاحب الموصل ، فأسره وحبسه بقلعة الموصل ، وأكرمه مدة حبسه وخدمه ، وهذا من أغرب

الاتفاقات . وفيها ملكت الفرنج المهدية من بلاد المغرب بعد حصار شديد . وفيها فتح نور الدين محمود بن زنكى قلعة تل حازم واقتلعها من أيدى الفرنج ، وكانت من أحصن القلاع وأمنع البقاع ، وذلك بعد قتال عظيم ووقعة هائلة كانت من أكبر الفتوحات ، وامتدحه الشعراء عند ذلك . وفيها هرب الملك سنجر من الأسر وعاد إلى ملكه بمرو ، وكان له فى يد أعدائه نحو من خمس سنين . وفيها ولى عبد المؤمن ملك الغرب أولاده على بلاده ، استناب كل واحد منهم على بلد كبير ، وإقليم متسع .

﴿ ذكر حصار بغداد ﴾

وسبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل إلى المقتفى يطلب منه أن يخطب له فى بغداد ، فلم يجبه إلى ذلك ، فسار من همذان إلى بغداد ليحاصرها ، فانجفل الناس وحصن الخليفة البلد ، وجاء السلطان محمد فحصر بغداد ، ووقف تجاه التاج من دار الخلافة فى جحفل عظيم ، ورموا نحوه النشاب ، وقاتلت العامة مع الخليفة قتالا شديدا بالنفط وغيره ، واستمر القتال مدة ، فبينما هم كذلك إذ جاءه الخبر أن أخاه قد خلفه فى همذان ، فانشمر عن بغداد إليها فى ربيع الأول من سنة اثنتين وخمسين ، وتفرقت عنه العساكر الذين كانوا معه فى البلاد ، وأصاب الناس بعد ذلك القتال مرض شديد ، وموت ذريع ، واحترقت محال كثيرة من بغداد ، واستمر ذلك فيها مدة شهرين . وفيها أطلق أبو الوليد البدر بن الوزير بن هبيرة من قلعة تكريت ، وكان معتقلا فيها من مدة ثلاث سنين ، فتلقاه الناس إلى أثناء الطريق ، وامتدحه الشعراء ، وكان من جملتهم الأبله الشاعر ، أنشد الوزير قصيدة يقول فى أولها :

بأى لسان للوشاة ألام ✽ وقد علموا أنى سهرت وناموا ؟

إلى أن قال :

ويستكثرون الوصل لى ليلة ✽ وقد مر عام بالصدود وعام

فطرب الوزير عند ذلك . وخلع عليه ثيابه وأطلق له خمسين دينارا ، وحج بالناس قيماز . وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ على بن الحسين ﴾

أبو الحسن الغزنوى الواعظ ، كان له قبول كثير من العامة ، وبنت له الخاتون زوجة المستظهر رباطا بباب الأزج ، ووقفت عليه أوقافا كثيرة ، وحصل له جاه عريض وزاره السلطان . وكان حسن الايراد مليح الوعظ ، يحضر مجلسه خلق كثير وجم غفير من أصناف الناس . وقد ذكر ابن الجوزى أشياء من وعظه ، قال وسمعته يوماً يقول : حزمة حزن خير من أعدال أعمال . ثم أنشد :

كم حسرة لى فى الحشا ✽ من ولد إذا نشا ✽ أملت فيه رشده ✽ فما يشاء كما نشا

قال وسمعته يوما ينشد :

يحسدنى قومى على صنعتى * لأننى فى صنعتى فارس
سهرت فى ليلى واستنعسوا * وهل يستوى الساهر والناعس ؟

قال : وكان يقول : تولون اليهود والنصارى فيسبون نبيكم فى يوم عيدكم ، ثم يصبحون يجلسون إلى جانبكم ؟ ثم يقول : ألا هل بلغت ؟ قال : وكان يتشيع ، ثم سعى فى منعه من الوعظ ثم أذن له ، ولكن ظهر للناس أمر العبادى ، وكان كثير من الناس يميلون إليه ، وقد كان السلطان يعظمه و يحضر مجلسه ، فلما مات السلطان مسعود ولى الغزنوى بعده ، وأهين إهانة بالغة ، فمرض ومات فى هذه السنة . قال ابن الجوزى : و بلغنى أنه كان يعرق فى نزعه ثم يفيق وهو يقول : رضى وتسليم ، ولما مات دفن فى رباطه الذى كان فيه .

﴿ محمود بن إسماعيل بن قادوس ﴾

أبو الفتح الدمياطى ، كاتب الانشا بالديار المصرية ، وهو شيخ القاضى الفاضل ، كان يسميه ذا البلاغتين ، وذكره العماد الكاتب فى الجريدة . ومن شعره فيمن يكرر التكبير و يوسوس فى نية الصلاة فى أولها :

وفاتر النية عنينها * مع كثرة الرعدةوالهمزة
يكبر التسعين فى مرة * كأنه يصلى على حمزة

﴿ الشيخ أبو البيان ﴾

بنا بن محمد المعروف بابن الحورانى ، الفقيه الزاهد العابد الفاضل الخاشع ، قرأ القرآن وكتاب التنبيه على مذهب الشافعى ، وكان حسن المعرفة باللغة ، كثير المطالعة ، وله كلام يؤثر عنه ، ورأيت له كتابا بخطه فيه النظائم التى يقولها أصحابه وأتباعه بلهجة غريبة ، وقد كان من نشأته إلى أن توفى على طريقة صالحة ، وقد زاره الملك نور الدين محمود فى رباطه داخل درب الحجر ، ووقف عليه شيئا ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بمقابر الباب الصغير ، وكان يوم جنازته يوماً مشهودا . وقد ذكرته فى طبقات الشافعية رحمه الله .

﴿ عبد الغافر بن إسماعيل ﴾

ابن عبد القادر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن سعيد ، الفارسى الحافظ ، تفقه بإمام الحرمين وسمع الكثير على جده لأمه أبى القاسم القشيرى ، ورحل إلى البلاد وأسمع ، وصنف المفهم فى غريب مسلم وغيره ، وولى خطابة نيسابور ، وكان فاضلا دينا حافظا .

﴿ ثم دخلت سنة ثلثين وخمسين وخمسمائة ﴾

استهلت هذه السنة ومحمد شاه بن محمود محاصر بغداد والعامة والجند من جهة الخليفة المقتفى

يقاتلون أشد القتال ، والجمة لاتقام لعذر القتال ، والفتنة منتشرة ، ثم يسر الله بذهاب السلطان، كما تقدم فى السنة التى قبلها ، وقد بسط ذلك ابن الجوزى فى هذه السنة فطول . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ، هلك بسببها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وتهدم أكثر حلب وحماه وشيزر وحمص وكفر طاب وحصن الأكراد واللاذقية والمعرة وفاميه و إنطاكية وطرابلس . قال ابن الجوزى : وأما شيزر فلم يسلم منها إلا امرأة وخادم لها ، وهلك الباقون ، وأما كفر طاب فلم يسلم من أهلها أحد ، وأما فاميه فساخت قلعتها ، وتل حران انقسم نصفين فابدى نواويس و بيوتا كثيرة فى وسطه . قال : وهلك من مدائن الفرنج شىء كثير ، وتهدم أسوار أكثر مدن الشام ، حتى أن مكتبا من مدينة حماه انهدم على من فيه من الصغار فهلكوا عن آخرهم ، فلم يأت أحديسأل عن أحد منهم، وقد ذكر هذا الفصل الشيخ أبو شامة فى كتاب الروضتين مستقصى ، وذكر ما قاله الشعراء من القصائد فى ذلك . وفيها ملك السلطان محمود بن محمد بعد خاله سنجر جميع بلاده . وفيها فتح السلطان محمود بن زنكى حصن شيزر بعد حصار ، وأخذ مدينة بعلبك ، وكان بها الضحاك البقاعى ، وقد قيل إن ذلك كان فى سنة خمسين كما تقدم فالله أعلم ، وقد تقدم ذلك . وفيها مرض نورالدين فرض الشام بمرضه ثم عوفى ففرح المسلمون فرحاً شديدا ، واستولى أخوه قطب الدين مودود صاحب الموصل على جزيرة ابن عمر . وفيها عمل الخليفة بابا للكعبة مصفحا بالذهب ، وأخذ بابها الأول فجعله لنفسه تابوتا . وفيها أغارت الاسماعيلية على حجاج خراسان فلم يبقوا منهم أحدا ، لا زاهدا ولا عالما . وفيها كان غلاء شديد بخراسان حتى أكلوا الحشرات ، وذبح إنسان منهم رجلا علويا فطبخه وباعه فى السوق ، فحين ظهر عليه قتل . [وذكر أبو شامة أن فتح بانياس كان فى هذه السنة على يد نور الدين بنفسه ، وقد كان معين الدين سلمها إلى الفرنج حين حاصروا دمشق ، فعوضهم بها ، وقيل ملكها وغنم شيئا كثيراً] . وفيها قدم الشيخ أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السنجرى ، فسمعوا عليه البخارى فى دار الوزير ببغداد ، وحج بالناس قيماز .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ، أبو الليث النسفى من أهل سمرقند ، سمع الحديث وتفقه و وعظ ، وكان حسن السمت ، قدم بغداد فوعظ الناس ، ثم عاد إلى بلده فقتله قطاع الطريق رحمه الله تعالى

﴿ أحمد بن بختيار ﴾

ابن على بن محمد ، أبو العباس المارداني الواسطى قاضيها ، سمع الحديث وكانت له معرفة تامة فى الأدب واللغة ، وصنف كتبا فى التاريخ وغيرذلك ، وكان ثقة صدوقا توفى ببغداد وصلى عليه بالنظامية

﴿ السلطان سنجر ﴾

ابن الملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، أبو الحارث واسمه أحمد ، ولقب بسنجر ، مولده فى رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وأقام فى الملك نيفا وستين سنة ، من ذلك استقلالا إحدى وأربعين سنة ، وقد أسره الغز نحوا من خمس سنين ، ثم هرب منهم وعاد إلى ملكه بمرو ، ثم توفى فى ربيع الأول من هذه السنة ودفن فى قبة بناها سماها دار الآخرة رحمه الله .

﴿ محمد بن عبد اللطيف ﴾

ابن محمد بن ثابت ، أبو بكر الخجندى الفقيه الشافعى ، ولى تدريس النظامية ببغداد ، وكان يناظر حسنا ويعظ الناس وحوله السيوف مسللة . قال ابن الجوزى : ولم يكن ماهرا فى الوعظ ، وكانت حاله أشبه بالوزراء من العلماء ، وتقدم عند السلاطين حتى كانوا يصدرون عن رأيه ، توفى بأصبهان فجأة فيها.

﴿ محمد بن المبارك ﴾

ابن محمد بن الخل أبو الحسن بن أبى البقاء ، سمع الحديث وتفقه على الشاشى ، ودرس وأفتى ، وتوفى فى محرم هذه السنة ، وتوفى أخوه الشيخ أبو الحسين بن الخل الشاعر فى ذى القعدة منها .

﴿ يحيى بن عيسى ﴾

ابن إدريس أبو البركات الأنبارى الواعظ ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه ووعظ الناس على طريقة الصالحين ، وكان يبكى من أول صعوده إلى حين نزوله ، وكان زاهدا عابدا ورعا آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر ، ورزق أولاداً صالحين سماهم بأسماء الخلفاء الأربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلى. وحفظهم القرآن كلهم بنفسه ، وختم خلقا كثيرا ، وكان هو وزوجته يصومان الدهر ، ويقومان الليل ، ولا يفطران إلا بعد العشاء ، وكانت له كرامات ومنامات صالحة ، ولما مات قالت زوجته: اللهم لاتحيينى بعده ، فماتت بعده بخمسة عشر يوما ، وكانت من الصالحات رحمهما الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها كثر فساد التركمان من أصحاب ابن برجم الايوانى ، فجهز إليهم الخليفة منكورس[1] المسترشدى فى جيش كثيف ، فالتقوا معهم فهزمهم أقبح هزيمة ، وجاؤا بالأسارى والرؤس إلى بغداد . وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان محمود وبين الغز ، فكسروه ونهبوا البلاد ، وأقاموا بمرو ثم طلبوه إليهم فخاف على نفسه فأرسل ولده بين يديه فأكرموه ، ثم قدم السلطان عليهم فاجتمعوا عليه وعظموه . وفيها وقعت فتنة كبيرة بمرو بين فقيه الشافعية المؤيد بن الحسين ، وبين نقيب العلويين بها أبى القاسم زيد بن الحسن ، فقتل منهم خلق كثير ، وأحرقت المدارس والمساجد والأسواق ، وانهزم المؤيد

(١) كذا فى الأصل وفى ابن الأثير « خطلوبرس » .

الشافعى إلى بعض القلاع . وفيها ولد الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضئ بأمر الله ، وفيها خرج المقتفى نحو الأنبار متصيداً وعبر الفرات وزار الحسين ومضى إلى واسط وعاد إلى بغداد ، ولم يكن معه الوزير . وحج بالناس فيها قيماز الأرجوانى . وفيها كسر جيش مصر الفرنج بأرض عسقلان كسروهم كسرة فجيعة صحبة الملك صالح أبو الغارات ، فارس الدين طلائع بن رزيك ، وامتدحه الشعراء . وفيها قدم الملك نور الدين من حلب إلى دمشق وقد شفى من المرض ففرح به المسلمون ، وخرج إلى قتال الفرنج ، فانهزم جيشه و بقى هو فى شرذمة قليلة من أصحابه فى نحر العدو ، فرموهم بالسهام الكثيرة ، ثم خاف الفرنج أن يكون وقوفه فى هذه الشرذمة القليلة خديعة لمجئ كمين إليهم ، ففروا منهزمين ولله الحمد .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الأول بن عيسى ﴾

ابن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق ، أبو الوقت السجزى الصوفى الهروى ، راوى البخارى ومسند الدارمى ، والمنتخب من مسند عبد بن حميد ، قدم بغداد فسمع عليه الناس هذه الكتب ، وكان من خيار المشايخ وأحسنهم سمتا وأصبرهم على قراءة الحديث . قال ابن الجوزى : أخبرنى أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتى الصوفى قال أسندته إلى فمات ، وكان آخر ماتكلم به أن قال (ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) .

﴿ نصر بن منصور ﴾

ابن الحسين بن أحمد بن عبد الخالق العطار ، أبو القاسم الحرانى كان كثير المال ، يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القربات الحسنة ، ويكثر تلاوة القرآن ، ويحافظ على الصلوات فى الجماعة ، ورؤيت له منامات صالحة ، وقارب الثمانين رحمه الله .

﴿ يحيى بن سلامة ﴾

ابن الحسين أبو الفضل الشافعى ، الحصكفى نسبة إلى حصن كيفا ، كان إماماً فى علوم كثيرة من الفقه والآداب ، ناظما ناثرا ، غير أنه كان ينسب إلى الغلو فى التشيع ، وقد أورد له ابن الجوزى قطعة من نظمه ، فمن ذلك قوله فى جملة قصيدة له :

تقاسموا يوم الوداع كبدى * فليس لى منذ تولوا كبد
على الجفون رحلوا وفى الحشا * نزلوا وماء عينى وردوا
وأدمعى مسفوحة وكبدى * مقروحة وعلتى ماقد بدوا
وصبوتى دائمة ومقلتى * دامية ونومها مشرد
تيمنى منهم غزال أغيد * يا حبذا ذاك الغزال الأغيد

حسامه مجرد وصرحه * ممرد وخده مورد
وصدغه فوق احمرار خده * مبلبل معقرب مجعد
كأنما نكهته وريقه * مسك وخمر والثنايا برد
يقعده عند القيام ردفه * وفى الحشا منه المقيم المقعد
له قوام كقضيب بانة * يهتز قصداً ليس فيه أود

وهى طويلة جدا ، ثم خرج من هذا التغزل إلى مدح أهل البيت والأئمة الاثنى عشر رحمهم الله

وسائلى عن حب أهل البيت * هل أقر إعلانا به أم أجحد ؟
هيهات ممزوج بلحمى ودمى * حبهم وهو الهدى والرشد
حيدرة والحسنان بعده * ثم على وابنه محمد
وجعفر الصادق وابن جعفر * موسى ويتلوه على السيد
أعنى الرضى ثم ابنه محمد * ثم على وابنه المسدد
والحسن الثانى ويتلو تلوه * محمد بن الحسن المفتقد
فإنهم أئمتى وسادتى * وإن لحانى معشر وفندوا
أئمة أكرم بهم أئمة * أسماؤهم مسرودة تطرد
هم حجج الله على عباده * وهم إليه منهج ومقصد
قوم لهم فضل ومجد باذخ * يعرفه المشرك والموحد
قوم لهم فى كل أرض مشهد * لا بل لهم فى كل قلب مشهد
قوم منى والمشعران لهم * والمروتان لهم والمسجد
قوم لهم مكة والأبطح والخـ * ـيف وجمع والبقيع الغرقد

ثم ذكر بلطف مقتل الحسين بألطف عبارة إلى أن قال :

يا أهل بيت المصطفى يا * عدتى ومن على حبهم أعتمد
أنتم إلى الله غداً وسيلتى * وكيف أخشى وبكم أعتضد
وليكم فى الخلد حى خالد * والضد فى نار لظى مخلد
ولست أهواكم ببغض غيركم * إنى إذاً أشقى بكم لا أسعد
فلا يظن رافضى أننى * وافقته أو خارجى مفسد
محمد والخلفاء بعده * أفضل خلق الله فيما أجد
هم أسسوا قواعد الدين لنا * وهم بنوا أركانه وشيدوا

ومن يخن أحمد فى أصحابه * نخصمه يوم المعاد أحمد
هذا اعتقادى فالزموه تفلحوا * هذا طريقى فاسلكوه تهتدوا
والشافعى منهبى مذهبه * لأنه فى قوله مؤيد
اتبعته فى الأصل والفرع معا * فليتبعنى الطالب المرشد
إنى بإذن الله ناج سابق * إذا ونى الظالم ثم المفسد

ومن شعره أيضاً :

إذا قل مالى لم تجدنى جازعا * كثير الأسى معرى بعض الانامل
ولا بطراً إن جدد الله نعمة * ولو أن ما أوتى جميع الناس لى

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها مرض الخليفة المقتفى مرضاً شديدا ، ثم عوفى منه فزينت بغداد أياما ، وتصدق بصدقات كثيرة . وفيها استعاد عبد المؤمن مدينة المهدية من أيدى الفرنج ، وقد كانوا أخذوها من المسلمين فى سنة ثلاث وأربعين . وفيها قاتل عبد المؤمن خلقا كثيرا من الغرب حتى صارت عظام القتلى هناك كالتل العظيم ، وفى صفر منها سقط برد بالعراق كبار ، زنة البردة قريب من خمسة أرطال ، ومنها ما هو تسعة أرطال بالبغدادى ، فهلك بذلك شئ كثير من الغلات ، وخرج الخليفة إلى واسط فاجتاز بسوقها ورأى جامعها ، وسقط عن فرسه فشج جبينه ، ثم عوفى . وفى ربيع الآخر زادت دجلة زيادة عظيمة ، فغرق بسبب ذلك محال كثيرة من بغداد ، حتى صار أكثر الدور بها تلولا ، وغرقت تربة أحمد ، وخسفت هناك القبور ، وطفت الموتى على وجه الماء . قاله ابن الجوزى : وفى هذه السنة كثر المرض والموت ، وفيها أقبل ملك الروم فى جحافل كثيرة قاصداً بلاد الشام فرده الله خائبا خاسئا ، وذلك لضيق حالهم من الميرة ، وأسر المسلمون ابن أخته ولله الحمد . وحج بالناس فيها قيماز الأرجوانى .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن معالى ﴾

ابن بركة الحربى ، تفقه بأبى الخطاب الكلوذانى الحنبلى ، وبرع وناظر ودرس وأفتى ، ثم صار بعد ذلك شافعياً ، ثم عاد حنبلياً ، ووعظ ببغداد وتوفى فى هذه السنة ، وذلك أنه دخلت به راحلته فى مكان ضيق فدخل قربوس سرجه فى صدره فمات .

﴿ السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه ﴾

لما رجع من محاصرة بغداد إلى همذان أصابه مرض السل فلم ينجح منه ، بل توفى فى ذى الحجة منها ، وقبل وفاته بأيام أمر أن يعرض عليه جميع ما يملكه ويقدر عليه ، وهو جالس فى المنظرة ،

فركب الجيش بكماله وأحضرت أمواله كلها ، ومماليكه حتى جواريه وحظاياه ، فجعل يبكي ويقول : هذه العساكر لا يدفعون عني مثقال ذرة من أمر ربي ، ولا يزيدون في عمري لحظة ، ثم ندم وتأسف على ما كان منه إلى الخليفة المقتفي ، وأهل بغداد وحصارهم وأذيتهم ، ثم قال : وهذه الخزائن والأموال والجواهر لو قبلهم ملك الموت مني فداء لجدت بذلك جميعه له ، وهذه الحظايا والجواري الحسان والمماليك لو قبلهم فداء مني لكنت بذلك سمحاً له . ثم قال : (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه) ثم فرق شيئا كثيراً من ذلك من تلك الحواصل والأموال ، وتوفي عن ولد صغير ، واجتمعت العساكر والأمراء على عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان مسجونا بالموصل فأفرج عنه وانعقدت له السلطنة ، وخطب له على منابر تلك البلاد سوى بغداد والعراق . والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وفاة الخليفة المقتفي بأمر الله .

﴿ أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ﴾

مرض بالتراقي وقيل بدمل خرج بحلقه ، فمات ليلة الأحد ثاني ربيع الأول منها عن ست وستين سنة ، إلا ثمانية وعشرين يوما ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى الترب ، وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة وعشرين يوما ، وكان شهما شجاعا مقداما ، يباشر الأمور بنفسه ، ويشاهد الحروب ويبذل الأموال الكثيرة لأصحاب الأخبار ، وهو أول من استبد بالعراق منفردا عن السلطان ، من أول أيام الديلم إلى أيامه ، وتمكن في الخلافة وحكم على العسكر والأمراء ، وقد وافق أباه في أشياء : من ذلك مرضه بالتراقي ، وموته في ربيع الأول ، وتقدم موت السلطان محمد شاه قبله بثلاثة أشهر ، وكذلك أبوه المستظهر مات قبله السلطان محمود بثلاثة أشهر ، وبعد غرق بغداد بسنة مات أبوه ، وكذلك هذا . قال عفيف الناسخ: رأيت في المنام قائلا يقول : إذا اجتمعت ثلاث خاآت مات المقتفي - يعني خمساً وخمسين وخمسمائة .

﴿ خلافة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفي ﴾

لما توفي أبوه كما ذكرنا بويع بالخلافة في صبيحة يوم الأحد ثاني ربيع الأول من هذه السنة ، بايعه أشراف بني العباس ، ثم الوزير والقضاة والعلماء والأمراء وعمره يومئذ خمس وأربعون سنة ، وكان رجلا صالحا ، وكان ولي عهد أبيه من مدة متطاولة ، ثم عمل عزاء أبيه ، ولما ذكر اسمه يوم الجمعة في الخطبة نثرت الدراهم والدنانير على الناس ، وفرح المسلمون به بعد أبيه ، وأقر الوزير ابن هبيرة على منصبه ووعده بذلك إلى الممات ، وعزل قاضي القضاة ابن الدامغاني وولى مكانه أبا جعفر بن عبد الواحد ، وكان شيخاً كبيراً ، له سماع بالحديث ، وباشر الحكم بالكوفة ، ثم توفي في

ذى الحجة منها . وفى شوال من هذه السنة اتفق الأتراك بباب همذان على سليمان شاه ، وخطبوا لأرسلان شاه بن طغرل ، وفيها توفى .

﴿ الفائز خليفة مصر الفاطمى ﴾

وهو أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر ، توفى فى صفر منها وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة ، ومدة ولايتـه من ذلك ست سنين وشهران ، وكان مدبر دولته أبو الغارات . ثم قام بعده العاضد آخر خلفائهم ، وهو أبو محمـد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ، ولم يكن أبوه خليفة ، وكان يومئذ قـد ناهز الاحتلام ، فقام بتدبير مملكته الملك الصالح طلائع بن رزيك الوزير ، أخذ له البيعة وزوجه بابنته ، وجهزها بجهاز عظيم يعجز عنه الوصف ، وقد عمرت بعد زوجها العاضد و رأت زوال دولة الفاطميين على يد الملك صلاح الدين بن يوسف ، فى سنة أربع وستين كما سيأتى . وفيها كانت وفاة السلطان الكبير صاحب غزنة .

﴿ خسرو شاه بن ملكشاه ﴾

ابن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين ، من بيت ملك ورياسـة باذخة ، يرثونها كابرا عن كابر ، وكان من سادات الملوك وأحسنهم سيرة ، يحب العلم وأهله ، توفى فى رجب منها ، وقام بعده ولده ملكشاه ، فسار إليه علاء الدين الحسين بن الغور فحاصر غزنة فلم يقدر عليها ، و رجع خائبا . وفيها مات .

﴿ ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ﴾

السلجوقى بأصبهان مسموما ، فيقال إن الوزير عون الدين بن هبيرة دس إليه من سقاه إياه والله أعلم . وفيها مات أمير الحاج .

﴿ قيماز بن عبد الله الأرجوانى ﴾

سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة بميدان الخليفـة ، فسال دماغه من أذنه فمات من ساعته ، وقد كان من خيار الأمراء ، فتأسف الناس عليه ، وحضر جنازته خلق كثير ، مات فى شعبان منها ، فحج بالناس فيها الأمير برغش مقطع الكوفة . وحج الأمير الكبير شيركوه بن شاذى ، مقدم عساكر الملك نور الدين ، وتصدق بأموال كثيرة . وفيها استعفى القاضى زكى الدين أبو الحسن على بن محمد ابن يحيى أبو الحسن القرشى من القضاء بدمشق ، فأعفاه نور الدين ، وولى مكانه القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى ، وكان من خيار القضاة وأكثرهم صـدقة ، وله صدقات جارية بعده ، وكان عالماً ، وإليه ينسب الشباك الكمالى الذى يجلس فيـه الحـكام بعـد صلاة الجمعة من المشهد الغربى بالجامع الأموى ، والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ الأمير مجاهد الدين ﴾

نزار بن ماهين الكردى ، أحد مقدمى جيش الشام ، قبل نور الدين و بعده ، وقد ناب فى مدينة صرخد ، وكان شهما شجاعا كثير البر والصدقات ، وهو واقف المدرسة المجاهدية بالقرب من الغورية جوار الخيميين ، وله أيضا المدرسة المجاهدية داخل باب الفراديس البرانى ، وبها قبره . وله السبع المجاهدى داخل باب الزيادة من الجامع بمقصورة الخضر ، توفى بداره فى صفر منها ، فحمل إلى الجامع وصلى عليه ثم أعيد إلى مدرسته ودفن بها داخل باب الفراديس ، وتأسف الناس عليه .

﴿ الشيخ عدى بن مسافر ﴾

ابن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكارى ، شيخ الطائفة العدوية ، أصله من البقاع غربى دمشق ، من قرية بيت نار ، ثم دخل إلى بغداد فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر والشيخ حماد الدباس ، والشيخ عقيل المنبجى ، وأبى الوفا الحلوانى ، وأبى النجيب السهروردى وغيرهم ، ثم انفرد عن الناس وتخلى بجبل هكار و بنى له هناك زاوية واعتقده أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغا ، حتى أن منهم من يغلو غلوا كثيرا منكراً ومنهم من يجعله إلها أو شريكا ، وهذا اعتقاد فاحش يؤدى إلى الخروج من الدين جملة . مات فى هذه السنة بزاويته وله سبعون سنة رحمه الله .

﴿ عبد الواحد بن أحمد ﴾

ابن محمد بن حمزة ، أبو جعفر الثقفى ، قاضى قضاة بغداد ، وليها بعد أبى الحسن الدامغانى فى أول هذه السنة ، وكان قاضياً بالكوفة قبل ذلك ، توفى فى ذى الحجة منها وقد ناهز الثمانين ، وولى بعده ابنه جعفر . والفائز صاحب مصر ، وقيماز تقدما فى الحوادث .

﴿ محمد بن يحيى ﴾

ابن على بن مسلم أبو عبد الله الزبيدى ، ولد بمدينة زبيد باليمن سنة ثمانين تقريباً ، وقدم بغداد سنة تسع وخمسمائة ، فوعظ وكانت له معرفة بالنحو والأدب ، وكان صبورا على الفقر لا يشكو حاله إلى أحد ، وكانت له أحوال صالحة رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان عنده استهزاء وقلة مبالاة بالدين ، مدمن شرب الخمر فى رمضان ، فثار عليه مدبر مملكته بزديار الخادم فقتله ، وبايع بعده السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه . وفيها قتل الملك الصالح فارس الدين أبو الغارات طلائع ابن رزيك الأرمنى ، وزير العاضد صاحب مصر ، ووالد زوجته ، وكان قد حجر على العاضد لصغره واستحوذ على الأمور والحاشية ، ووزر بعده ولده رزيك ، ولقب بالعادل ، وقد كان أبوه الصالح

كريماً أديباً ، يحب أهل العلم و يحسن إليهم ، كان من خيار الملوك والوزراء ، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء. قال ابن خلكان : كان أولا متولياً بمنية بنى الخصيب ، ثم آل به الحال إلى أن صار وزير العاضد والفائز قبله ، ثم قام فى الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع ، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سيأتى . قال : والصالح هذا هو بانى الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة ، قال : ومن العجائب أنه ولى الوزارة فى تاسع عشر شهر ونقل من دار الوزارة إلى القرافة فى تاسع عشر شهر ، وزالت دولتهم فى تاسع عشر شهر آخر . قال ومن شعره ما رواه عنه زين الدين على بن نجا الحنبلى

مشيبك قد محى صنع الشباب * وحل الباز فى وكر الغراب
تنام ومقلة الحدثان يقظى * وما ناب النوائب عنك ناب
وكيف نفاد عمرك وهو كنز * وقد أنفقت منه بلاحساب

وله

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه * عبراً وفينا الصد والاعراض
ننسى الممات وليس يجرى ذكره * فينا فتذكرنا به الأمراض

ومن شعره أيضاً قوله :

أبى الله إلا أن يدوم لنا الدهر * ويخدمنا فى ملكنا العز والنصر
علمنا بأن المال تفنى ألوفه * ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر
خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا * سحاب لديه البرق والرعد والقطر

وله أيضاً وهو مما نظمه قبل موته بثلاث ليال :

[نحن فى غفلة ونوم وللمو * ت عيون يقظانة لا تنام]
قد رحلنا إلى الحمام سنينا * ليت شعرى متى يكون الحمام؟

ثم قتله غلمان العاضد فى النهار غيلة وله إحدى وستون سنة ، وخلع على ولده العادل بالوزارة ورثاه عمارة اليمنى بقصائد حسان ، ولما نقل إلى تربته بالقرافة سار العاضد معه حتى وصل إلى قبره فدفنه فى التابوت . قال ابن خلكان : فعمل الفقيه عمارة فى التابوت قصيدة فجار فيها فى قوله :

وكأنه تابوت موسى أودعت * فى جانبيه سكينة ووقار

وفيها كانت وقعة عظيمة بين بنى خفاجه وأهل الكوفة ، فقتلوا من أهل الكوفة خلقا ، منهم الأمير قيصر وجرحوا أمير الحاج برغش جراحات ، فنهض إليهم وزير الخلافة عون الدين بن هبيرة ، فتبعهم حتى أوغل خلفهم فى البرية فى جيش كثيف ، فبعثوا يطلبون العفو . وفيها ولى مكة الشريف عيسى بن قاسم بن أبى هاشم ، وقيل قاسم ، بن أبى فليتة بن قاسم بن أبى هاشم . وفيها أمر الخليفة بازالة الدكاكين التى تضيق الطرقات ، وأن لا يجلس أحد من الباعة فى عرض الطريق ،

لئلا يضر ذلك بالمارة . وفيها وقع رخص عظيم ببغـداد جدا . وفيها فتحت المدرسة التى بناها ابن الشمحل فى المأمونية ودرس فيها أبو حكيم إبراهيم بن دينار النهروانى الحنبلى ، وقد توفى من آخر هذه السنة ، ودرس بعده فيها أبو الفرج ابن الجوزى ، وقـد كان عنده معيداً ، ونزل عن تدريس آخر بباب الأزج عند موته .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ حمزة بن على بن طلحة ﴾

أبو الفتوح الحاجب ، كان خصيصاً عند المسترشد والمقتفى ، وقد بنى مدرسة إلى جانب داره ، وحج فرجع متزهدا ولزم بيته معظما نحواً من عشرين سنة ، وقد امتدحه الشعراء فقال فيه بعضهم :

يا عضد الاسلام يا من سمت * إلى العلا همته الفاخره

كانت لك الدنيا فلم ترضها * ملكا فأخلدت إلى الآخره

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها دخلت الكرج بلاد المسلمين فقتلوا خلقا من الرجال وأسروا من الذرارى ، فاجتمع ملوك تلك الناحية : ايلدكز صاحب أذربيجان وابن سكمان صاحب خلاط ، وابن آقسنقر صاحب مراغة ، وساروا إلى بلادهم فى السنة الآتيـة فنهبوها ، وأسروا ذراريهم ، والتقوا معهـم فكسروهم كسرة فظيعة منكرة ، مكثوا يقتلون فيهـم ويأسرون ثلاثة أيام . وفى رجب أعيـد يوسف الدمشقى إلى تدريس النظامية بعـدعزل ابن نظام الملك بسبب أن امرأة ادعت أنه تزوجها فأنكر ثم اعترف ، فعزل عن التدريس . وفيها كملت المدرسة التى بناها الوزير ابن هبيرة بباب البصرة ، ورتب فيها مدرساً وفقيهاً ، وحج بالناس أمير الكوفة برغش .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ شجاع شيخ الحنفية ﴾

ودفن عند المشهد ، وكان شيخ الحنفية بمشهد أبى حنيفة ، وكان جيد الكلام فى النظر ، أخذ عنه الحنفية . ﴿ صدقة بن وزير الواعظ ﴾

دخل بغداد ووعظ بها وأظهر تقشفا ، وكان يميل إلى التشيع وعلم الكلام ، ومع هذا كله راج عند العوام وبعض الأمراء ، وحصل له فتوح كثير ، ابتنى منه رباطا ودفن فيه سامحه الله تعالى .

﴿ زمرد خاتون ﴾

بنت جاولى أخت الملك دقاق بن تتش لأمه ، وهى بانية الخاتونية ظاهر دمشق عند قرية صنعاء بمكان يقال له تل الثعالب ، غربى دمشق ، علـى جانب الشرق القبلى بصنعاء الشـام ، وهى قرية معروفة قديما ، وأوقفتها على الشيخ برهان الدين على بن محمد البلخى الحنفى المتقدم ذكره ، وكانت زوجة الملك بورى بن طغتكين ، فولدت له ابنيـه شمس الملوك إسماعيل المذكور ، وقـد ملك بعد

أبيه وسار سيرته ، ومالأ الفرنج على المسلمين وهمّ بتسليم البلد والأموال إليهم فقتلوه ، وتملك أخوه وذلك بعد مراجعتها ومساعدتها ، وقدكانت قرأت القرآن ، وسمعت الحديث ، وكانت حنفية المذهب تحب العلماء والصالحين ، وقد تزوجها الاتابكى زنكى صاحب حلب طمعاً فى أن يأخذ بسببها دمشق فلم يظفر بذلك ، بل ذهبت إليه إلى حلب ثم عادت إلى دمشق بعد وفاته ، وقد دخلت بغداد وسارت من هناك إلى الحجاز ، وجاورت بمكة سنة ،ثم جاءت فأقامت بالمدينة النبوية حتى ماتت بها ودفنت بالبقيع فى هذه السنة ، وقد كانت كثيرة البر والصدقات والصلاة والصوم ، قال السبط ولم تمت حتى قل ما بيدها ، وكانت تغربل القمح والشعير وتتقوت بأجرته ، وهذا من تمام الخير والسعادة وحسن الخاتمة رحمها الله تعالى ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها مات صاحب المغرب عبد المؤمن بن على التومرتى ، وخلفه فى الملك من بعده ابنه يوسف وحمل أباه إلى مراكش على صفة أنه مريض ، فلما وصلها أظهر موته فعزاه الناس وبايعوه على الملك من بعد أبيه ، ولقبوه أمير المؤمنين ، وقد كان عبدالمؤمن هذا حازما شجاعا ، جواداً معظماللشريعة ، وكان من لا يحافظ على الصلوات فى زمانه يقتل ، وكان إذا أذن المؤذن وقبل الأذان يزدحم الخلق فى المساجد ، وكان حسن الصلاة ذا طمأنينة فيها ، كثير الخشوع ، ولكن كان سفاكا للدماء ، حتى على الذنب الصغير ، فأمره إلى الله يحكم فيه بما يشاء . وفيها قتل سيف الدين محمد بن علاء الدين الغزى ، قتله الغز ، وكان عادلا . وفيها كبست الفرنج نور الدين وجيشه فانهزم المسلمون لا يلوى أحد على أحد ، ونهض الملك نور الدين فركب فرسه والشبحة فى رجله فنزل رجل كردى فقطعها فسار نور الدين فنجا ، وأدركت الفرنج ذلك الكردى فقتلوه رحمه الله ، فأحسن نور الدين إلى ذريته ، وكان لا ينسى ذلك له . وفيها أمر الخليفة باجلاء بنى أسد عن الحلة وقتل من تخلف منهم ، وذلك لافسادهم ومكاتبتهم السلطان محمد شاه ، وتحريضهم له على حصار بغداد ، فقتل من بنى أسد أربعة آلاف ، وخرج الباقون منها ، وتسلم نواب الخليفة الحلة . وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير .

وممن توفى فيها من الأعيان السلطان الكبير .

﴿ أبو محمد عبد المؤمن بن على ﴾

القيسى الكوفى تلميذ ابن التومرت ، كان أبوه يعمل فى الطين فاعلا ، فحين وقع نظر ابن التومرت عليه أحبه وتفرس فيه أنه شجاع سعيد ، فاستصحبه فعظم شأنه ، والتفت عليه العساكر التى جمعها ابن التومرت من المصامدة وغيرهم ، وحاربوا صاحب مراكش على بن يوسف بن تاشفين ، ملك الملثمين ، واستحوذ عبد المؤمن على وهران وتلمسان وفاس وسلا وسبتة ، ثم حاصر مراكش أحد

عشر شهراً فافتتحها فى سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة ، وتمهدت له الممالك هنالك ، وصفا له الوقت وكان عاقلا وقورا شكلا حسنا محباً للخير ، توفى فى هذه السنة ومكث فى الملك ثلاثا وثلاثين سنة ، وكان يسمى نفسه أمير المؤمنين رحمه الله .

﴿ طلحة بن على ﴾

ابن طراد ، أبو أحمد الزينبى ، نقيب النقباء ، مات فجأة وولى النقابة بعده ولده أبو الحسن على وكان أمرد فعزل وصودر فى هذه السنة .

﴿ محمد بن عبدالكريم ﴾

ابن إبراهيم ، أبو عبد الله المعروف بابن الأنبارى كاتب الانشاء ببغداد ، كان شيخاً حسنا ظريفا وانفرد بصناعة الانشاء ، وبعث رسولا إلى الملك سنجر وغيره ، وخدم الملوك والخلفاء ، وقارب التسعين . ومن شعره فى محبى الدنيا والصور :

يا من هجرت ولا تبالى * هل ترجع دولة الوصال
هل اطمع يا عذاب قلبى * أن ينعم فى هواك بالى
ما ضرك أن تعللينى * فى الوصل بموعد المحال
أهواك وأنت حظ غيرى * يا قاتلتى فما احتيالى
أيام عنائى قبل سود * ما أشبههن بالليالى
العذل فيك يعذلونى * عن حبك مالهم ومالى
يا ملزمنى السلو عنها * الصب أنا وأنت سالى
والقول بتركها صواب * ما أحسنه لو استوى لى
طلقت تجلدى ثلاثا * والصبوة بعد فى خيالى

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها قدم شاور بن مجير الدين أبو شجاع السعدى الملقب بأمير الجيوش ، وهو إذ ذاك وزير الديار المصرية بعد آل رزيك ، لما قتل الناصر رزيك بن طلائع ، وقام فى الوزارة بعده ، واستفحل أمره فيها ، ثار عليه أمير يقال له الضرغام بن سوار ، وجمع له جموعا كثيرة ، واستظهر عليه وقتل ولديه طيباً وسليمان ، وأسر الثالث وهو الكامل بن شاور ، فسجنه ولم يقتله ، ليد كانت لأبيه عنده ، واستوزر ضرغام ولقب بالمنصور ، فخرج شاور من الديار المصرية هاربا من العاضد ومن ضرغام ، ملتجئا إلى نور الدين محمود ، وهو نازل بجوسق الميدان الأخضر ، فأحسن ضيافته وأنزله بالجوسق المذكور ، وطلب شاور منه عسكراً ليكونوا معه ليفتح بهم الديار المصرية ، وليكون لنور الدين

ثلث مثلها ، فأرسل معه جيشا عليه أسد الدين شيركوه بن شادى ، فلما دخلوا بلاد مصر خرج إليهم الجيش الذين بها فاقتتلوا أشد القتال ، فهزمهم أسد الدين وقتل منهم خلقا ، وقتل ضرغام بن سوار وطيف برأسه فى البلاد ، واستقر أمر شاور فى الوزارة ، وتمهد حاله ، ثم اصطلح العاضد وشاور على أسد الدين ، و رجع عما كان عاهد عليه نور الدين ، وأمر أسد الدين بالرجوع فلم يقبل منه ، وعاث فى البلاد ، وأخذ أموالا كثيرة ، وافتتح بلدانا كثيرة من الشرقية وغيرها ، فاستغاث شاور عليهم بملك الفرنج الذى بعسقلان ، واسمه مرى ، فأقبل فى خلق كثير فتحول أسد الدين إلى بلبيس وقد حصنها وشحنها بالعدد والآلات وغير ذلك ، فحصروه فيها ثمانية أشهر ، وامتنع أسد الدين وأصحابه أشد الامتناع ، فبينما هم على ذلك إذ جاءت الأخبار بأن الملك نور الدين قد اغتنم غيبة الفرنج فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقا كثيرا ، وفتح حارم وقتل من الفرنج بها خلقا ، وسار إلى بانياس ، فضعف صاحب عسقلان الفرنجى ، وطلبوا من أسد الدين الصلح فأجابهم إلى ذلك ، وقبض من شاور ستين ألف دينار ، وخرج أسد الدين وجيشه فساروا إلى الشام فى ذى الحجة .

﴿ وقعة حارم ﴾

فتحت فى رمضان من هذه السنة ، وذلك أن نور الدين استغاث بعساكر المسلمين فجاؤه من كل فج ليأخذ ثأره من الفرنج ، فالتقى معهم على حارم فكسرهم كسرة فظيعة ، وأسر البرنس بيمند صاحب إنطاكية ، والقومص صاحب طرابلس ، والدوك صاحب الروم ، وابن جوسليق ، وقتل منهم عشرة آلاف ، وقيل عشرين ألفا . وفى ذى الحجة منها فتح نور الدين مدينة بانياس ، وقيل إنه إنما فتحها فى سنة ستين فالله أعلم . وكان معه أخوه نصر الدين أمير أميران ، فأصابه سهم فى إحدى عينيه فأذهبها ، فقال له الملك نور الدين : لو نظرت لما أعد الله لك من الأجر فى الآخرة لأحببت أن تذهب الأخرى . وقال لابن معين الدين : إنه اليوم بردت جلدة والدك من نار جهنم ، لأنه كان سلمها الفرنج ، فصالحه عن دمشق . وفى شهر ذى الحجة احترق قصر جيرون حريقا عظيما ، فحضر فى تلك الليلة الأمراء منهم أسد الدين شيركوه ، بعد رجوعه من مصر ، وسعى سعياً عظيما فى إطفاء هذه النار وصون حوزة الجامع منها .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ جمال الدين ﴾

وزير صاحب الموصل ، قطب الدين مودود بن زنكى ، كان كثير المعروف ، واسمه محمد بن على ابن أبى منصور ، أبو جعفر الأصبهانى ، الملقب بالجمال ، كان كثير الصدقة والبر ، وقد أثر آثارا حسنة بمكة والمدينة ، من ذلك أنه ساق عينا إلى عرفات ، وعمل هناك مصانع ، وبنى مسجد الخيف ودرجه ، وعملها بالرخام ، و بنى على المدينة النبوية سوراً ، و بنى جسراً على دجلة عند جزيرة ابن

عمر بالحجر المنحوت ، والحديد والرصاص، و بنى الر بط الكثيرة ، وكان يتصدق فى كل يوم فى بابه بمائة دينار ، ويفتدى من الأسارى فى كل سنة بعشرة آلاف دينار ، وكان لا تزال صدقاته وافدة إلى الفقهاء والفقراء ، حيث كانوا من بغداد وغيرها من البلاد ، وقد حبس فى سنة ثمان وخمسين ، فذكر ابن الساعى فى تاريخه عن شخص كان معه فى السجن أنه نزل إليه طائر أبيض قبل موته فلم يزل عنده وهو يذكر الله حتى توفى فى شعبان من هذه السنة ، ثم طار عنه ودفن فى رباط بناه لنفسه بالموصل ، وقد كان بينه و بين أسد الدين شيركوه بن شادى مواخاة وعهد أيهما مات قبل الآخر أن يحمله إلى المدينة النبوية ، فحمل إليها من الموصل على أعناق الرجال ، فما مروا به على بلدة إلا صلوا عليه وترحموا عليه ، وأثنوا خيرا ، فصلوا عليه بالموصل وتكريت و بغداد والحلة والكوفة وفيد ومكة وطيف به حول الكعبة ، ثم حمل إلى المدينة النبوية فدفن بها فى رباط بناه شرقى مسجد النبي ﷺ قال ابن الجوزى وابن الساعى : ليس بينه و بين حرم النبى ﷺ وقبره سوى خمسة عشر ذراعا . قال ابن الساعى : ولما صلى عليه بالحلة صعد شاب نشزاً فأنشد :

سرى نعشه على الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله

يمر على الوادى فتثنى رماله * عليه وبالنادى فتثنى أرامله

ومن توفى بعد الخمسين ﴿ ابن الخازن الكاتب ﴾

أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق أبو الفضل المعروف بابن الخازن الكاتب البغدادى الشاعر . كان يكتب جيداً فائقا ، اعتنى بكتابة الختمات ، وأكثر ابنه نصر الله من كتابة المقامات ، وجمع لابنه ديوان شعر أورد منه ابن خلكان قطعة كبيرة .

﴿ ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة ﴾

فى صفر منها وقعت بأصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء بسبب المذاهب دامت أياماً ، وقتل فيها خلق كثير . وفيها كان حريق عظيم ببغداد فاحترقت محال كثيرة جدا ، وذكر ابن الجوزى أن فى هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات فى بطن واحد ، وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عمر بن بهليقا ﴾

الطحان الذى جدد جامع العقيبة ببغداد ، واستأذن الخليفة فى إقامة الجمعة فيه ، فأذن له فى ذلك ، وكان قد اشترى ما حوله من القبور فأضاف ذلك إليه ، ونبش الموتى منها ، فقيض الله له من نبشه من قبره بعد دفنه ، جزاء وفاقا .

﴿ محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد ﴾

أبو عبد الله الحرانى ، كان آخر من بقى من الشهود المقبولين عند أبى الحسن الدامغانى ، وقد

سمع الحديث ، وكان لطيفا ظريفا،جمع كتابا سماه روضة الأدباء ، فيها نتف حسنة .قال ابن الجوزى زرته يوماً فأطلت الجلوس عنده فقلت : أقوم فقد ثقلت ، فأنشدنى :

لئن سئمت إبراما وثقلا * زيارات رفعت بهن قدرى

فما أبرمت إلا حبل ودى * ولا ثقلت إلا ظهر شكرى

﴿ مرجان الخادم ﴾

كان يقرأ القراءات ، وتفقه لمذهب الشافعى ، وكان يتعصب على الحنابلة و يكرههم ، و يعادى الوزير ابن هبيرة وابن الجوزى معاداة شديدة ، و يقول لابن الجوزى : مقصودى قلع مذهبكم ، وقطع ذكركم . ولما توفى ابن هبيرة فى هذه السنة قوى على بن الجوزى وخافه ابن الجوزى ، فلما توفى فى هذه السنة فرح ابن الجوزى فرحا شديداً ، توفى [فى ذى القعدة منها .

﴿ ابن التلميذ ﴾

الطبيب الحاذق الماهر ، اسمه هبة الله بن صاعد توفى] عن خمس وتسعين سنة ، وكان موسعاً عليه فى الدنيا ، وله عند الناس وجاهة كبيرة ، وقد توفى قبحه الله على دينه ، ودفن بالبيعة العتيقة ، لا رحمه الله إن كان مات نصرانياً ، فانه كان يزعم أنه مسلم ، ثم مات على دينه .

﴿ الوزير ابن هبيرة ﴾

يحيى بن محمد بن هبيرة ، أبو المظفر الوزير للخلافة عون الدين ، مصنف كتاب الافصاح ، وقد قرأ القرآن وسمع الحديث ، وكانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة والعروض ، وتفقه على مذهب الامام أحمد ، وصنف كتباً جيدة مفيدة ، من ذلك الافصاح فى مجلدات ، شرح فيه الحديث وتكلم على مذاهب العلماء ، وكان على مذهب السلف فى الاعتقاد ، وقد كان فقيرا لا مال له ، ثم تعرض للخدمة إلى أن وزر للمقتفى ثم لابنه المستنجد ، وكان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة ، وأبعدهم عن الظلم ، وكان لا يلبس الحرير ، وكان المقتفى يقول ما وزر لبنى العباس مثله ، وكذلك ابنه المستنجد ، وكان المستنجد معجباً به ، قال مرجان الخادم سمعت أمير المؤمنين المستنجد ينشد لابن هبيرة وهو بين يديه من شعره .

صفت نعمتان خصتاك وعمتا * فذكرهما حتى القيامة يذكر

وجودك والدنيا إليك فقيرة * وجودك والمعروف فى الناس ينكر

فلو رام يا يحيى مكانك جعفر * ويحيى لكفا عنه يحيى وجعفر

ولم أر من ينوى لك السوء يا أبا * المظفر إلا كنت أنت المظفر

وقد كان يبالغ فى إقامة الدولة العباسية ، وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن ،

حتى استقرت الخلافة فى العراق كله ؛ ليس للملوك معهم حكم بالكلية ولله الحمد . وكان يعقد فى داره للعلماء مجلساً للمناظرة يبحثون فيه ويناظرون عنده ، يستفيدمنهم ويستفيدون منه ،فاتفق يوماً أنه كلم رجلا من الفقهاء كلمة فيها بشاعة قال له : يا حمار ، ثم ندم فقال : أريد أن تقول لى كما قلت لك ، فامتنع ذلك الرجل ، فصالحه على مائتى دينار . مات فجأة ، ويقال إنه سمه طبيب فسم ذلك الطبيب بعد ستة أشهر ، وكان الطبيب يقول سممته فسممت . مات يوم الأحد الثانى عشر من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن إحدى وستين سنة ، وغسله ابن الجوزى ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير جدا ، وغلقت الأسواق ، وتباكى الناس عليه ، ودفن بالمدرسة التى أنشأها بباب البصرة رحمه الله . وقد رثاه الشعراء بمراثى كثيرة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة ﴾

فيها فتح نور الدين محمود حصن المنيطرة [من الشام] وقتل عنده خلق كثير من الفرنج ، وغنم أموالا جزيلة . وفيها هرب عز الدين بن الوزير ابن هبيرة من السجن ، ومعه مملوك تركى ، فنودى عليه فى البلد من رده فله مائة دينار ، ومن وجد عنده هدمت داره وصلب على بابها ، وذبحت أولاده بين يديه ، فدلهم رجل من الأعراب عليه فأخذ من بستان فضرب ضربا شديداً وأعيد إلى السجن وضيق عليه . وفيها أظهر الروافض سب الصحابة وتظاهروا بأشياء منكرة ، ولم يكونوا يتمكنون منها فى هذه الأعصار المتقدمة ، خوفا من ابن هبيرة ، ووقع بين العوام كلام فيما يتعلق بخلق القرآن . وحج بالناس برغش .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن العباس ﴾

ابن أبى الطيب بن رستم ، أبو عبد الله الأصبهانى ، كان من كبار الصالحين البكائين ، قال : حضرت يوماً مجلس ماشاده وهو يتكلم على الناس فرأيت رب العزة فى هذه الليلة وهو يقول لى : وقفت على مبتدع وسمعت كلامه ؟ لأحرمنك النظر فى الدنيا ، فأصبح لايبصر وعيناه مفتوحتان كأنه بصير

﴿ عبد العزيز بن الحسن ﴾

ابن الحباب الأغلبى السعدى القاضى ، أبو المعالى البصرى ، المعروف بابن الجليس ، لأنه كان يجالس صاحب مصر ، وقد ذكره العماد فى الجريدة ، وقال : كان له فضل مشهور وشعر مأثور فمن ذلك قوله :

ومن عجب أن السيوف لديهم * تحيض دما والسيوف ذكور
وأعجب من ذا أنها فى أكفهم * تأجج ناراً والأكف بحور

﴿ الشيخ عبد القادر الجيلي ﴾

ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي ، ولد سنة سبعين وأربعمائة ، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي ، وقد كان بني مدرسة ففوضها إلى الشيخ عبد القادر ، فكان يتكلم على الناس بها ، ويعظهم ، وانتفع به الناس انتفاعا كثيرا ، وكان له سمت حسن ، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان فيه تزهد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات ، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالا وأفعالا ومكاشفات أكثرها مغالاة ، وقد كان صالحا ورعا ، وقد صنف كتاب الغنية وفتوح الغيب ، وفيهما أشياء حسنة ، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة ، وبالجملة كان من سادات المشايخ ، [توفى] وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسمائة ﴾

فيها أقبلت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية ، وساعدهم المصريون فتصرفوا في بعض البلاد ، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها ، وكان كثير الحنق على الوزير شاور ، فأذن له فسار إليها في ربيع الآخر ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد وقع في النفوس أنه سيملك الديار المصرية ، وفي ذلك يقول عرقلة المسمى بحسان الشاعر :

والأتراك قد أزمعت * مصر إلى حرب الأعاريب
رب كما ملكها يوسف * الصديق من أولاد يعقوب
فملكها في عصرنا يوسف * الصادق من أولاد أيوب
من لم يزل ضراب هام العدا * حقا وضراب العراقيب

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بعث إلى الفرنج فجاؤا من كل فج إليه ، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم ، وإنما معه ألفا فارس ، فاستشار من معه من الأمراء فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين ، لكثرة الفرنج ، إلا أميراً واحدا يقال له شرف الدين برغش ، فانه قال : من خاف القتل والأسر فليقعد في بيته عند زوجته ، ومن أكل أموال الناس فلا يسلم بلادهم إلى العدو ، وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فعزم الله لهم فساروا نحو الفرنج فاقتتلوا هم وإياهم قتالا عظيما ، فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة ، وهزموهم ، ثم قتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ولله الحمد .

﴿ فتح الاسكندرية على يدي أسد الدين شيركوه ﴾

ثم أشار أسد الدين بالمسير [إلى الاسكندرية] فملكها وجبى أموالها ، واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف وعاد إلى الصعيد فملكه ، وجمع منه أموالا جزيلة جدا ، ثم إن الفرنج

والمصريين اجتمعوا على حصار الاسكندرية ثلاثة أشهر لينتزعوها من يد صلاح الدين ، وذلك فى غيبة عمه فى الصعيد ، وامتنع فيها صلاح الدين أشد الامتناع ، ولكن ضاقت عليهم الأقوات وضاق عليهم الحال جداً ، فسار إليهم أسد الدين فصالحه شاور الوزير عن الاسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأجابه إلى ذلك ،وخرج صلاح الدين منها وسلمها إلى المصريين ،وعاد إلى الشام فى منتصف شوال ، وقرر شاور للفرنج على مصر فى كل سنة مائة ألف دينار ، وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة ، وعادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين أعقبهم فى بلادهم ، وفتح من بلادهم حصونا كثيرة ، وقتل منهم خلقا من الرجال ، وأسر جماً غفيرا من النساء والأطفال ، وغنم شيئا كثيراً من الأمتعة والأموال ولله الحمد . وكان معه أخوه قطب الدين مودود فأطلق له الرقة فسار فتسلمها . وفيها فى شعبان منها كان قدوم العماد الكاتب من بغداد إلى دمشق ، وهو أبو حامد محمد بن محمد الأصبهانى ، صاحب الفتح القدسى ، والبرق الشامى ، والجريدة ، وغير ذلك من المصنفات ، فأنزله قاضى القضاة كمال الدين الشهرزورى بالمدرسة النورية الشافعية داخل باب الفرج ، فنسبت إليه لسكناه بها ، فيقال لها العمادية ، ثم ولى تدريسها فى سنة سبع وستين بعد الشيخ الفقيه ابن عبد [1] وأول من جاء للسلام عليه نجم الدين أيوب كانت له وبه معرفة من تكريت ، فامتدحه العماد بقصيدة ذكرها أبو شامة ، وكان أسد الدين وصلاح الدين بمصر فبشره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصرية حيث يقول :

ويستقر بمصر يوسف وبه * تقر بعد التنائى عين يعقوب
ويلتقى يوسف بها باخوته * والله يجمعهم من غير تثريب

ثم تولى عماد الدين كتابة الانشاء للملك نور الدين محمود .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ برغش أمير الحاج سنين متعددة ﴾

كان مقدما على العساكر ، خرج من بغداد لقتال شملة التركمانى فسقط عن فرسه فمات .

﴿ أبو المعالى الكاتب ﴾

محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون ، صاحب التذكرة الحمدونية ، وقد ولى ديوان الزمام مدة ، توفى فى ذى القعدة ودفن بمقابر قريش .

﴿ الرشيد الصدفى ﴾

كان يجلس بين يدى العبادى على الكرسى ، كانت له شيبة وسمت ووقار ، وكان يدمن حضور السماعات ، ويرقص ، فاتفق أنه مات وهو يرقص فى بعض السماعات .

---

(١) بياض بنسخة الاستانة ولم يكن بالمصرية بياض .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة ﴾

في صفر منها وصل شرف الدين أبو جعفر بن البلدى من واسط إلى بغداد ، فخرج الجيش لتلقيه والنقيبان والقاضى ، ومشى الناس بين يديه إلى الديوان فجلس فى دست الوزارة ، وقرئ عهده ولقب بالوزير شرف الدين جلال الاسلام معز الدولة سيد الوزراء صدر الشرق والغرب . وفيها أفسدت خفاجة فى البلاد ونهبوا القرى ، فخرج إليهم جيش من بغداد فهربوا فى البرارى فانحسر الجيش عنهم خوفا من العطش ، فكروا على الجيش فقتلوا منهم خلقا وأسروا آخرين ، وكان قد أسر الجيش منهم خلقا فصلبوا على الأسوار . وفى شوال منها وصلت امرأة الملك نور الدين محمود ابن زنكى إلى بغداد تريد الحج من هناك ، وهى الست عصمت الدين خاتون بنت معين الدين ، ومعها الخدم والخدام ، وفيهم صندل الخادم ، وحملت لها الامامات وأكرمت غاية الاكرام . وفيها مات قاضى قضاة بغداد جعفر ، فشغر البلد عن حاكم ثلاثا وعشرين يوما ، حتى ألزموا روح بن الحدثنى قاضى القضاة فى رابع رجب .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ جعفر بن عبد الواحد ﴾

أبو البركات الثقفى ، قاضى قضاة بغداد بعد أبيه ، ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وسبب وفاته أنه طلب منه مال وكلمه الوزير ابن البلدى كلاما خشنا فخاف فرمى الدم ومات .

﴿ أبو سعد السمعانى ﴾

عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أبو سعد السمعانى ، رحل إلى بغداد فسمع بها وذيل على تاريخها الخطيب البغدادى ، وقد ناقشه ابن الجوزى فى المنتظم ، وذكر عنه أنه كان يتعصب على أهل مذهبه ، ويطعن فى جماعة منهم ، وأنه يترجم بعبارة عامية ، مثل قوله عن بعض الشيخات إنها كانت عفيفة . وعن الشاعر المشهور بحيص بيص إنه كانت له أخت يقال لها دخل خرج ، وغير ذلك .

﴿ عبد القاهر بن محمد ﴾

ابن عبد الله أبو النجيب السهروردى ، كان يذكر أنه من سلالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه سمع الحديث وتفقه وأفتى ودرس بالنظامية وابتنى لنفسه مدرسة ورباطا ، وكان مع ذلك متصوفا يعظ الناس ، ودفن بمدرسته . ﴿ محمد بن عبد الحميد ﴾

ابن أبى الحسين أبو الفتح الرازى ، المعروف بالعلاء العالم ، وهو من أهل سمرقند ، وكان من الفحول فى المناظرة ، وله طريقة فى الخلاف والجدل ، يقال لها التعليقة العالمية . قال ابن الجوزى وقد قدم بغداد وحضر مجلسى ، وقال أبو سعد السمعانى : كان يدمن شرب الخمر . قال وكان يقول ليس فى الدنيا أطيب من كتاب المناظرة وباطية من خمر أشرب منها . قال ابن الجوزى : ثم بلغنى عنه

أنه أقلع عن شرب الخمر والمناظرة وأقبل على النسك والخير .

﴿ يوسف بن عبد الله ﴾

ابن بندار الدمشقي ، مدرس النظامية ببغداد ، تفقه عـلى أسعد الميهني ، وبرع في المناظرة وكان يتعصب للأشعرية ، وقد بعث رسولا في هذه السنة إلى شملة التركماني فمات في تلك البلاد .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة ﴾

فيها كان فتح مصر عـلى يدي الأمير أسد الدين شيركوه وفيها طغت الفرنج بالديار المصرية ، وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها ، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجاً أفواجاً ، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين ، وقد سكنها أكثر شجعانهم ، فلما سمع الفرنج بذلك جاؤا إليها من كل فج وناحية صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة ، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس وقتلوا من أهلها خلقا وأسروا آخرين ، ونزلوا بها وتركوا بها أثقالهـم ، وجعلوها موئلا ومعقلا لهم ، ثم ساروا فنزلوا على القاهرة من ناحية باب البرقيـة ، فأمر الوزير شاور النـاس أن يحرقوا مصر ، وأن ينتقل الناس منها إلى القاهرة ، فنهبوا البلد وذهب للناس أموال كثيرة جدا ، وبقيت النار تعمل في مصر أربعـة وخمسين يوما ، فعند ذلك أرسل صاحبها العاضـد يستغيث بنور الدين ، وبعث إليه بشعور نسائه يقول أدركني واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج ، والتزم له بثلث خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيما بها عندهم ، والتزم له بأقطاعات زائدة على الثلث ، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى مصر ، فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين أرسل إلى ملك الفرنج يقول قد عرفت محبتي ومودتي لكم ، ولكن العاضد والمسلمين لا يوافقوني على تسليم البلد ، وصالحهم ليرجعوا عن البلد بألف ألف دينار ، وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف دينار ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم خوفا من عساكر نور الدين ، وطمعاً في العودة إليها مرة ثانية ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . ثم شرع الوزير شاور في مطالبـة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج وتحصيله ، وضيق عـلى الناس مع ما نالهم من الضيق والحريق والخوف ، فجبر الله مصابهم بقدوم عساكر المسلمين عليهم وهلاك الوزير على يديهم ، وذلك أن نور الدين استدعى الأمير أسد الدين من حمص إلى حلب فساق إليه هذه المسافة وقطعها في يوم واحـد ، فانه قام من حمص بعد أن صلى الصبح ثم دخل منزله فأصاب فيه شيئا من الزاد ، ثم ركب وقت طلوع الشمس فدخل حلب على السلطان نور الدين من آخر ذلك اليوم ، ويقال إن هذا لم يتفق لغيره إلا للصحابة ، فسر بذلك نور الدين فقدمه على العساكر وأنعم عليه بمائتي ألف دينار وأضاف إليه من الأمراء الأعيان ، كل منهم يبتغي بمسـيره رضى الله والجهاد في سبيله ، وكان من جملة الأمراء ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يكن منشرحاً لخروجه هذا بل كان كارهاً

له ، وقد قال الله تعالى (قل اللهم مالك الملك) الآية ، وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان ، وجعل أسد الدين مقدماً على هذه العساكر كلها ، فسار بهم من حلب إلى دمشق ونور الدين معهم ، فجهزه من دمشق إلى الديار المصرية ، وأقام نور الدين بدمشق ، ولما وصلت الجيوش النورية إلى الديار المصرية وجدوا الفرنج قد انشمروا عن القاهرة راجعين إلى بلادهم بالصفقة الخاسرة ، وكان وصوله إليها فى سابع ربيع الآخر ، فدخل الأمير أسد الدين على العاضد فى ذلك اليوم فخلع عليه خلعة سنية فلبسها وعاد إلى مخيمه بظاهر البلد ، وفرح المسلمون بقدومه ، وأجريت عليهم الجرايات ، وحملت إليهم التحف والكرامات ، وخرج وجوه الناس إلى المخيم خدمة لأسد الدين ، وكان فيمن جاء إليه المخيم الخليفة العاضد متنكراً ، فأسر إليه أموراً مهمة منها قتل الوزير شاور ، وقرر ذلك معه وأعظم أمر الأمير أسد الدين ، ولكن شرع يماطل بما كان التزمه للملك نور الدين ، وهو مع ذلك يتردد إلى أسد الدين ، ويركب معه ، وعزم على عمل ضيافة له فنهاه أصحابه عن الحضور خوفاً عليه من غائلته ، وشاوروه فى قتل شاور فلم يمكنهم الأمير أسد الدين من ذلك ، فلما كان فى بعض الأيام جاء شاور إلى منزل أسد الدين فوجده قد ذهب لزيارة قبر الشافعى ، وإذا ابن أخيه يوسف هنالك فأمر صلاح الدين يوسف بالقبض على الوزير شاور ، ولم يمكنه قتله إلا بعد مشاورة عمه أسد الدين وانهزم أصحابه فأعلموا العاضد لعله يبعث ينقذه ، فأرسل العاضد إلى الأمير أسد الدين يطلب منه رأسه ، فقتل شاور وأرسلوا برأسه إلى العاضد فى سابع عشر ربيع الآخر ، ففرح المسلمون بذلك وأمر أسد الدين بنهب دار شاور ، فنهبت ، ودخل أسد الدين على العاضد فاستوزره وخلع عليه خلعة عظيمة ، ولقبه الملك المنصور ، فسكن دار شاور وعظم شأنه هنالك ، ولما بلغ نور الدين خبر فتح مصر فرح بذلك وقصدته الشعراء بالتهنئة ، غير أنه لم ينشرح لكون أسد الدين صار وزيراً للعاضد ، وكذلك لما انتهت الوزارة إلى ابن أخيه صلاح الدين ، فشرع نور الدين فى إعمال الحيلة فى إزالة ذلك فلم يتمكن ، ولا قدر عليه ، ولا سيما أنه بلغه أن صلاح الدين استحوذ على خزائن العاضد كما سيأتى بيانه إن شاء الله ، والله أعلم . وأرسل أسد الدين إلى القصر يطلب كاتباً فأرسلوا إليه القاضى الفاضل رجاء أن يقبل منه إذا قال وأفاض فيما كانوا يؤملون ، وبعث أسد الدين العمال فى الأعمال وأقطع الاقطاعات ، وولى الولايات ، وفرح بنفسه أياما معدودات ، فأدركه حمامه فى يوم السبت الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام ، فلما توفى أسد الدين رحمه الله أشار الأمراء الشاميون على العاضد بتولية صلاح الدين يوسف الوزارة بعد عمه ، فولاه العاضد الوزارة وخلع عليه خلعة سنية ، ولقبه الملك الناصر .

﴿ صفة الخلعة التى لبسها صلاح الدين يومئذ ﴾

مما ذكره أبو شامة فى الروضتين عمامة بيضاء تنيسى بطرف ذهب ، وثوب ديبقى بطراز ذهب وجبة بطراز ذهب ، وطيلسان بطراز مذهبة ، وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار ، وسيف محلى بخمسة آلاف دينار ، وحجزة بثمانية آلاف دينار ، وعليها طوق ذهب وسر فسار ذهب مجوهر ، وفى رأسها مائتا حبة جوهر ، وفى قوائمها أربعة عقود جوهر ، وفى رأسها قصبة ذهب فيها تندة بيضاء بأعلام بيض ومع الخلعة عدة بقج ، وخيل وأشياء أخر ، ومنشور الوزارة ملفوف بثوب أطلس أبيض ، وذلك فى يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة ، من هذه السنة ، وكان يوما مشهوداً ، وسار الجيش بكماله فى خدمته ، لم يتخلف عنه سوى عين الدولة الياروقى ، وقال : لا أخدم يوسف بعد نور الدين ، ثم سار بجيشه إلى الشام فلامه نور الدين على ذلك ، وأقام الملك صلاح الدين بمصر بصفة نائب للملك نور الدين ، يخطب له على المنابر بالديار المصرية ، ويكاتبه بالأمير الاسفهلار صلاح الدين ويتواضع له صلاح الدين فى الكتب والعلامة ، لكن قد التفت عليه القلوب ، وخضعت له النفوس ، واضطهد العاضد فى أيامه غاية الاضطهاد ، وارتفع قدر صلاح الدين بين العباد بتلك البلاد ، و زاد فى إقطاعات الذين معه فأحبوه واحترموه وخدموه ، وكتب إليه نور الدين يعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومه ، وأمره أن يقيم حساب الديار المصرية ، فلم يلتفت صلاح الدين إلى ذلك وجعل نور الدين يقول فى غضون ذلك : ملك ابن أيوب . وأرسل [صلاح الدين] إلى نور الدين يطلب منه أهله و إخوته وقرابته ، فأرسلهم إليه وشرط عليهم السمع والطاعة له ، فاستقر أمره بمصر وتوطأت دولته بذلك ، وكمل أمره وتمكن سلطانه وقويت أركانه. وقد قال بعض الشعراء فى قتل صلاح الدين لشاور الوزير

هيا لمصر حور يوسف ملكها * بأمر من الرحمن كان موقوتا

وما كان فيها قتل يوسف شاورا * يماثل إلاقتل داود جالوتا

قال أبو شامة : وقتل العاضد فى هذه السنة أولاد شاور وهم شجاع الملقب بالكامل والطارى الملقب بالمعظم ، وأخوهما الآخر الملقب بفارس المسلمين ، وطيف برؤسهم ببلاد مصر .

﴿ ذكر قتل الطواشى ﴾

مؤتمن الخلافة وأصحابه على يدى صلاح الدين ، وذلك أنه كتب من دار الخلافة بمصر إلى الفرنج ليقدموا إلى الديار المصرية ليخرجوا منها الجيوش الاسلامية الشامية ، وكان الذى يفد بالكتاب إليهم الطواشى مؤتمن الخلافة ، مقدم العساكر بالقصر ، وكان حبشياً ، وأرسل الكتاب مع إنسان أمن إليه ، فصادفه فى بعض الطريق من أنكر حاله ، فحمله إلى الملك صلاح الدين فقرره ، فأخرج الكتاب ففهم صلاح الدين الحال فكتمه ، واستشعر الطواشى مؤتمن الدولة أن صلاح الدين قد اطلع على الأمر

فلازم القصر مدة طويلة خوفا على نفسه ، ثم عنّ له فى بعض الأيام أن خرج إلى الصيد ، فأرسل صلاح الدين إليه من قبض عليه وقتله وحمل رأسه إليه ، ثم عزل جميع الخدام الذين يلون خدمة القصر ، واستناب على القصر عوضهم بهاء الدين قراقوش ، وأمره أن يطالعه بجميع الأمور ، صغارها وكبارها

﴿ وقعة السودان ﴾

وذلك أنه لما قتل الطواشى مؤتمن الخلافة الحبشى ، وعزل بقية الخدام غضبوا لذلك ، واجتمعوا قريباً من خمسين ألفا ، فاقتتلوا هم وجيش صلاح الدين بين القصرين ، فقتل خلق كثير من الفريقين ، وكان العاضد ينظر من القصر إلى المعركة ، وقد قذف الجيش الشامى من القصر بحجارة ، وجاءهم منه سهام فقيل كان ذلك بأمر العاضد ، وقيل لم يكن بأمره . ثم إن أخا الناصر نور شاه شمس الدولة ـ وكان حاضراً للحرب قد بعثه نور الدين لأخيه ليشد أزره ـ أمر باحراق منظرة العاضد ، ففتح الباب ونودى إن أمير المؤمنين يأمركم أن تخرجوا هؤلاء السودان من بين أظهركم ، ومن بلادكم ، فقوى الشاميون وضعف جأش السودان جداً ، وأرسل السلطان إلى محلة السودان المعروفة بالمنصورة ، التى فيها دورهم وأهلوهم بباب زويلة فأحرقها ، فولوا عند ذلك مدبرين ، وركبهم السيف فقتل منهم خلقا كثيراً ، ثم طلبوا الأمان فأجابهم إلى ذلك ، وأخرجهم إلى الجيزة ، ثم خرج لهم شمس الدولة نور شاه أخو الملك صلاح الدين فقتل أكثرهم أيضاً ، ولم يبق منهم إلا القليل ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

وفيها افتتح نور الدين قلعة جعبر وانتزعها من يد صاحبها شهاب الدين مالك بن على العقيلى وكانت فى أيديهم من أيام السلطان ملكشاه . وفيها احترق جامع حلب فجدده نور الدين . وفيها مات ما روق الذى تنسب إليه المحلة بظاهر حلب .

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجى ﴾

أبو الحسن الواعظ الحنبلى ، ولد سنة ثمانين وأربعمائة ، وسمع الحديث وتفقه ووعظ ، وكان لطيف الوعظ ، وقد أثنى عليه ابن الجوزى فى ذلك ، وذكر أنه سئل مرة عن أحاديث الصفات فنهى عن التعرض لذلك وأنشد :

أبى الغائب الغضبان يا نفس أن ترضى * وأنت الذى صيرت طاعته فرضا
فلا تهجرى من لا تطيقين هجره * وإن هم بالهجران خديك والأرضا

وذكر ابن الجوزى عنه أنه قال : خفت مرة من الخليفة فهتف بى هاتف فى المنام وقال لى اكتب

ادفع بصبرك حادث الأيام * وترج لطف الواحد العلام
لا تيأسن وإن تضايق كربها * ورماك ريب صروفها بسهام

فلله تعالى بين ذلك فرجة * تخفى على الافهام والأوهام
كم من نجا من بين أطراف القنا * وفريسة سلمت من الضرغام

توفى فى شعبان منها عن أربع وثمانين سنة ، ودفن عند رباط الزورى ثم نقل إلى مقبرة الامام أحمد

﴿ شاور بن مجير الدين ﴾

أبو شجاع السعدى ، الملقب أمير الجيوش ، وزير الديار المصرية أيام العاضد ، وهو الذى انتزع الوزارة من يدى رزيك ، وهو أول من استكتب القاضى الفاضل ، استدعى به من اسكندرية من باب السدرة فحظى عنده وانحصر منه الكتاب بالقصر ، لما رأوا من فضله وفضيلته . وقد امتدحه الشعراء منهم عمارة اليمنى حيث يقول :

ضجر الحديد من الحديد وشاور * من نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بمثله * حنثت يمينك يا زمان فكفر

ولم يزل أمره قائما إلى أن ثار عليه الأمير ضرغام بن سوار فالتجأ إلى نور الدين فأرسل معه الأمير أسد الدين شيركوه فنصروه على عدوه ، فنكث عهده فلم يزل أسد الدين حنقا عليه حتى قتله فى هذه السنة ، على يدى ابن أخيه صلاح الدين ، ضرب عنقه بين يدى الأمير جردنك فى السابع عشر من ربيع الآخر ، واستوزر بعده أسد الدين ، فلم تطل مدته بعده إلا شهرين وخمسة أيام . قال ابن خلكان : هو أبو شجاع شاور بن مجير الدين بن نزار بن عشائر بن شاس بن مغيث ابن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن مخيس بن أبى ذؤيب عبد الله وهو والد حليمة السعدية ، كذا قال ، وفيما قال نظر لقصر هذا النسب لبعد المدة والله أعلم .

﴿ شيركوه بن شادى ﴾

أسد الدين الكردى الزرزارى وهم أشرف شعوب الأكراد ، وهو من قرية يقال لها درين من أعمال أذربيجان ، خدم هو وأخوه نجم الدين أيوب ـ وكان الأكبر ـ الأمير مجاهد الدين نهروز الخادم شحنة العراق ، فاستناب نجم الدين أيوب على قلعة تكريت ، فاتفق أن دخلها عماد الدين زنكى هاربا من قراجا الساقى ، فأحسنا إليه وخدماه ، ثم اتفق أنه قتل رجلا من العامة فأخرجهما نهروز من القلعة فصارا إلى زنكى بحلب فأحسن إليهما ، ثم حظيا عند ولده نور الدين محمود ، فاستناب أيوب على بعلبك ، وأقره ولده نور الدين ، وصار أسد الدين عند نور الدين أكبر أمرائه ، وأخصهم عنده وأقطعه الرحبة وحمص مع ماله عنده من الاقطاعات ، وذلك لشهامته وشجاعته وصرامته وجهاده فى الفرنج ، فى أيام معدودات ووقعات معتبرات ، ولا سيما يوم فتح دمشق ، وأعجب من ذلك ما فعله بديار مصر ، بل الله بالرحمة ثراه وجعل الجنة مأواه ، وكانت وفاته يوم السبت فجأة بخانوق حصل له ، وذلك

فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة رحمه الله . قال أبو شامة : وإليه تنسب الخانقاة الأسدية بالشرق القبلى ، ثم آل الأمر من بعده إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، ثم استوسق له الملك والممالك هنالك .

﴿ محمد بن عبدالله بن عبد الواحد ﴾

ابن سليمان المعروف بابن البطى ، سمع الحديث الكثير ، وأسمع و رحل إليه وقارب التسعين .

﴿ محمد الفارقى ﴾

أبو عبد الله الواعظ ، يقال إنه كان يحفظ نهج البلاغة و يعبر ألفاظه ، وكان فصيحاً بليغاً يكتب كلامه و يروى عنه كتاب يعرف بالحكم الفارقية .

﴿ المعمر بن عبد الواحد ﴾

ابن رجار أبو أحمد الأصبهانى أحد الحفاظ الوعاظ ، روى عن أصحاب أبى نعيم ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، توفى وهو ذاهب إلى الحج بالبادية رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسمائة ﴾

فى صفر منها حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر خمسين يوماً ، بحيث ضيقوا على أهلها ، وقتلوا أمماً كثيرة ، جاءوا إليها من البر والبحر رجاء أن يملكوا الديار المصرية وخوفاً من استيلاء المسلمين على القدس ، فكتب صلاح الدين إلى نور الدين يستنجده عليهم ، و يطلب منه أن يرسل إليه بامداد من الجيوش ، فانه إن خرج من مصر خلفه أهلها بسوء ، و إن قعد عن الفرنج أخذوا دمياط وجعلوها معقلا لهم يتقوون بها على أخذ مصر . فأرسل إليه نور الدين ببعوث كثيرة ، يتبع بعضها بعضاً . ثم إن نور الدين اغتنم غيبة الفرنج عن بلدانهم فصمد إليهم فى جيوش كثيرة فجاس خلال ديارهم ، وغنم من أموالهم وقتل وسبى شيئاً كثيراً ، وكان من جملة من أرسله إلى صلاح الدين أبوه الأمير نجم الدين أيوب ، فى جيش من تلك الجيوش ، ومعه بقية أولاده ، فتلقاه الجيش من مصر ، وخرج العاضد لتلقيه إكراماً لولده ، وأقطعه اسكندرية ودمياط ، وكذلك لبقية أولاده ، وقد أمد العاضد صلاح الدين فى هذه الكائنة بألف ألف دينار حتى انفصلت الفرنج عن دمياط ، وأجلت الفرنج عن دمياط لأنه بلغهم أن نور الدين قد غزا بلادهم ، وقتل خلقاً من رجالهم ، وسبى كثيراً من نسائهم وأطفالهم وغنم من أموالهم ، فجزاه الله عن المسلمين خيراً . ثم سار نور الدين فى جمادى الآخرة إلى الكرخ ليحاصرها ــ وكانت من أمنع البلاد ــ وكاد أن يفتحها ولكن بلغه أن مقدمين من الفرنج قد أقبلا نحو دمشق ، فخاف أن يلتف عليهما الفرنج فترك الحصار وأقبل نحو دمشق فحصنها ، ولما انجلت الفرنج عن دمياط فرح نور الدين فرحاً شديداً ، وأنشد الشعراء كل منهم فى ذلك قصيداً ، وقد كان

الملك نور الدين شديد الاهتمام قوى الاغتمام بذلك ، حتى قرأ عليه بعض طلبة الحديث جزءاً فى ذلك فيه حديث مسلسل بالتبسم ، فطلب منه أن يتبسم ليصل التسلسل ، فامتنع من ذلك ، وقال : إنى لأستحى من الله أن يرانى متبسما والمسلمون يحاصرهم الفرنج بثغر دمياط . وقد ذكر الشيخ أبو شامة أن إمام مسجد أبى الدرداء بالقلعة المنصورة رأى فى تلك الليلة التى أجلى فيها الفرنج عن دمياط رسول الله ﷺ وهو يقول : سلم على نور الدين و بشره بأن الفرنج قد رحلوا عن دمياط ، فقلت : يا رسول الله بأى علامة ؟ فقال : بعلامة ما سجد يوم تل حارم وقال فى سجوده : اللهم انصر دينك ومن هو محمود الكلب ؟. فلما صلى نور الدين عنده الصبح بشره بذلك وأخبره بالعلامة ، فلما جاء إلى عند ذكر « من هو محمود الكلب » انقبض من قول ذلك ، فقال له نور الدين : قل ما أمرك به رسول الله ﷺ . فقال ذلك : فقال : صدقت ، و بكى نور الدين تصديقا وفرحاً بذلك ، ثم كشفوا فاذا الأمر كما أخبر فى المنام .

قال العماد الكاتب : وفى هذه السنة عمر الملك نور الدين جامع داريا ، وعمر مشهد أبى سليمان الدارانى بها ، وشتى بدمشق . وفيها حاصر الكرك أربعة أيام ، وفارقه من هناك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، متوجهاً إلى ابنه بمصر ، وقد وصاه نور الدين أن يأمر ابنه صلاح الدين أن يخطب بمصر للخليفة المستنجد بالله العباسى ، وذلك أن الخليفة بعث يعاتبه فى ذلك . وفيها قدم الفرنج من السواحل ليمنعوا الكرك مع ثبيب بن الرقيق وابن القنفرى ، وكانا أشجع فرسان الفرنج ، فقصدهما نور الدين ليقابلهما فحادا عن طريقه . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وعمت أكثر الأرض ، وتهدمت أسوار كثيرة بالشام ، وسقطت دور كثيرة على أهلها ، ولا سيما بدمشق وحمص وحماه وحلب و بعلبك ، سقطت أسوارها وأكثر قلعتها ، فجدد نور الدين عمارة أكثر ماوقع بهذه الأماكن .

وفيها توفى ﴿ الملك قطب الدين مودود بن زنكى ﴾

أخو نور الدين محمود صاحب الموصل ، وله من العمر أربعون سنة ، ومدة ملكه منها إحدى وعشرون سنة ، وكان من خيار الملوك ، محبباً إلى الرعية ، عطوفا عليهم ، محسنا إليهم ، حسن الشكل . وتملك من بعده ولده سيف الدين غازى من الست خاتون بنت تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق أصحاب ماردين ، وكان مدبر مملكته والمتحكم فيها فخر الدين عبد المسيح ، وكان ظالما غاشما . وفيها كانت حروب كثيرة بين ملوك الغرب بجزيرة الأندلس ، وكذلك كانت حروب كثيرة بين ملوك الشرق أيضاً . وحج بالناس فيها وفيما قبلها الأمير برغش الكبير ، ولم أر أحداً من أكابر الأعيان توفى فيها.

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وفاة المستنجد وخلافة ابنه المستضيء ، وذلك أن المستنجد كان قد مرض في أول هذه السنة ، ثم عوفي فيما يبدو للناس ، فعمل ضيافة عظيمة بسبب ذلك ، وفرح الناس بذلك ، ثم أدخله الطبيب إلى الحمام وبه ضعف شديد فمات في الحمام ، ويقال : إن ذلك كان باشارة بعض الدولة على الطبيب ، استعجالا لموته ، توفي يوم السبت بعد الظهر ثاني ربيع الآخر عن ثمان وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً ، وكان من خيار الخلفاء وأعدلهم وأرفقهم بالرعايا ، ومنع عنهم المكوس والضرائب ، ولم يترك بالعراق مكسا ، وقد شفع إليه بعض أصحابه في رجل شرير ، وبذل فيه عشرة آلاف دينار ، فقال له الخليفة أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وائتني بمثله لأريح المسلمين من شره ، وكان المستنجد أسمر طويل اللحية ، وهو الثاني والثلاثين من العباسيين وذلك في الجمل لام باء ولهذا قال فيه بعض الأدباء :

أصبحت لب بني العباس جملتها * إذا عددت حساب الجمل الخلفا

وكان أمارا بالمعروف نهاء عن المنكر ، وقد رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول له : قل اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، دعاء القنوت بتمامه . وصلى عليه يوم الأحد قبل الظهر ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى الترب من الرصافة رحمه الله تعالى .

﴿ خلافة المستضيء ﴾

وهو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي ، وأمه أرمنية تدعى غضضت ، وكان مولده في شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة . بويع بالخلافة يوم مات أبوه بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر ، وبايعه الناس ، ولم يل الخلافة أحد اسمه الحسن بعد الحسن بن علي غير هذا ، ووافقه في الكنية أيضاً ، وخلع يومئذ على الناس أكثر من ألف خلعة ، وكان يوما مشهودا ، وولى قضاء قضاة بغداد الروح ابن الحديثي يوم الجمعة حادي عشرين ربيع الآخر ، وخلع على الوزير وهو الأستاذ عضد الدولة ، وضربت على بابه الدبابات ثلاثة أوقات الفجر والمغرب والعشاء ، وأمر سبعة عشر أميراً من المماليك وأذن للوعاظ فتكلموا بعد ما منعوا مدة طويلة ، لما كان يحدث بسبب ذلك من الشرور الطويلة ، ثم كثر احتجابه ، ولما جاءت البشارة بولايته إلى الموصل قال العماد الكاتب :

قد أضاء الزمان بالمستضيء * وارث البرد وابن عم النبي
جاء بالحق والشريعة والعد * ل فيا مرحبا بهذا المجي
فهنيئا لأهل بغداد فازوا * بعد بؤس بكل عيش هني
ومضى إن كان في الزمن المظ * لم بالعود في الزمان المضي

وفيها سار الملك نور الدين إلى الرقة فأخذها ، وكذا نصيبين والخابور وسنجار ، وسلمها إلى زوج ابنته ابن أخيه مودود بن عماد الدين ، ثم سار إلى الموصل فأقام بها أربعة وعشرين يوما ، وأقرها على ابن أخيه سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود ، مع الجزيرة ، وزوجه ابنته الأخرى ، وأمر بعمارة جامعها وتوسعته ، ووقف على تأسيسه بنفسه ، وجعل له خطيباً ودرسا للفقه ، وولى التدريس للفقيه أبي بكر البرقانى ، تلميذ محمد بن يحيى تلميذ الغزالى ، وكتب له منشوراً بذلك ، ووقف على الجامع قرية من قرى الموصل ، وذلك كله بإشارة الشيخ الصالح العابد عمر الملا ، وقد كانت له زاوية يقصد فيها ، وله فى كل سنة دعوة فى شهر المولد ، يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك ، وقد كان الملك نور الدين صاحبه ، وكان يستشيره فى أموره ، وممن يعتمده فى مهماته وهو الذى أشار عليه فى مدة مقامه فى الموصل بجميع مافعله من الخيرات ، فلهذا حصل بقدومه لأهل الموصل كل مسرة ، واندفعت عنهم كل مضرة ، وأخرج من بين أظهرهم الظالم الغاشم فخر الدين عبد المسيح ، وسماه عبد الله ، وأخذه معه إلى دمشق فأقطعه إقطاعا حسنا ، وقد كان عبد المسيح هذا نصرانياً فأظهر الاسلام ، وكان يقال إن له كنيسة فى جوف داره ، وكان سيء السيرة خبيث السريرة فى حق العلماء والمسلمين خاصة ، ولما دخل نور الدين الموصل كان الذى استأمن له نور الدين الشيخ عمر الملا، وحين دخل نور الدين الموصل خرج إليه ابن أخيه فوقف بين يديه فأحسن إليه وأكرمه ، وألبسه خلعة جاءته من الخليفة فدخل فيها إلى البلد فى أبهة عظيمة ، ولم يدخل نور الدين الموصل حتى قوى الشتاء فأقام بها كما ذكرنا ، فلما كان فى آخر ليلة من إقامته بها رأى رسول الله ﷺ يقول له : طابت لك بلدك وتركت الجهاد وقتال أعداء الله ؟ فنهض من فوره إلى السفر ، وما أصبح إلا سائراً إلى الشام ، واستقضى الشيخ ابن أبي عصرون ، وكان معه على سنجار ونصيبين والخابور ، فاستناب فيها ابن أبي عصرون نوابا وأصحابا .

وفيها عزل صلاح الدين قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة ، وولى قضاء القضاة بها لصدر الدين عبد الملك بن درباس الماردانى الشافعى ، فاستناب فى سائر المعاملات قضاة شافعية ، وبنى مدرسة للشافعية ، وأخرى للمالكية ، واشترى ابن أخيه تقى الدين عمر داراً تعرف بمنازل العز ، وجعلها مدرسة للشافعية ووقف عليها الروضة وغيرها . وعمر صلاح الدين أسوار البلد ، وكذلك أسوار اسكندرية ، وأحسن إلى الرعايا إحسانا كثيراً ، وركب فأغار على بلاد الفرنج بنواحى عسقلان وغزة وضرب قلعة كانت لهم على أيلة ، وقتل خلقا كثيرا من مقاتلتهم ، وتلقى أهله وهم قادمون من الشام ، واجتمع شمله بهم بعد فرقة طويلة . وفيها قطع صلاح الدين الأذان بحى على خير العمل من ديار مصر كلها ، وشرع فى تمهيد الخطبة لبنى العباس على المنابر .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ طاهر بن محمد بن طاهر ﴾

أبو زرعة المقدسى الأصل ، الرازى المولد ، الهمدانى الدار ، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وأسمعه والده الحافظ محمد بن طاهر الكثير ، ومما كان يرويه مسند الشافعى ، توفى بهمدان يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر ، وقد قارب التسعين .

﴿ يوسف القاضى ﴾

أبو الحجاج بن الخلال صاحب ديوان الانشاء بمصر ، وهو شيخ القاضى الفاضل فى هذا الفن ، اشتغل عليه فيه فبرع حتى قدر أنه صار مكانه حين ضعف عن القيام بأعباء الوظيفة لكبره ، وكان القاضى الفاضل يقوم به وبأهله حتى مات ، ثم كان بعد موته كثير الاحسان إلى أهله رحمهم الله .

﴿ يوسف بن الخليفة ﴾

المستنجد بالله بن المقتفى بن المستظهر ، تقدم ذكر وفاته وترجمته ، وقد توفى بعده عمه أبو نصر ابن المستظهر بأشهر ، ولم يبق بعده أحد من ولد المستظهر ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ذى القعدة منها . ﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسمائة ﴾

« فيها كانت وفاة العاضد صاحب مصر »

فى أول جمعة منها ، فأمر صلاح الدين باقامة الخطبة لبنى العباس بمصر وأعمالها فى الجمعة الثانية ، وكان يوماً مشهودا ، ولما انتهى الخبر إلى الملك نور الدين أرسل إلى الخليفة يعلمه بذلك ، مع ابن أبى عصرون شهاب الدين أبى المعالى ، فزينت بغداد وغلقت الأسواق ، وعملت القباب وفرح المسلمون فرحاً شديدا ، وكانت قد قطعت الخطبة لبنى العباس من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة فى خلافة المطيع العباسى ، حين تغلب الفاطميون على مصر أيام المعز الفاطمى ، بانى القاهرة ، إلى هذا الآن ، وذلك مائتا سنة وثمان سنين . قال ابن الجوزى : وقد ألفت فى ذلك كتابا سميته النصر على مصر . ﴿ موت العاضد آخر خلفاء العبيديين ﴾

والعاضد فى اللغة القاطع ، « لايعضد شجرها » لا يقطع ، وبه قطعت دولتهم ، واسمه عبد الله ويكنى بأبى محمد بن يوسف الحافظ بن المستنصر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور القاهرى ، أبى الغنائم بن المهدى أولهم ، كان مولد العاضد فى سنة ست وأربعين ، فعاش إحدى وعشرين سنة وكانت سيرته مذمومة ، وكان شيعياً خبيثا ، لو أمكنه قتل كل من قدر عليه من أهل السنة ، واتفق أنه لما استقر أمر الملك صلاح الدين رسم بالخطبة لبنى العباس عن مرسوم الملك نور الدين ، وذلك أن الخليفة بعث إلى نور الدين فعاتبه فى ذلك قبل وفاته ، وكان المستنجد إذ ذاك مدنفا مريضا ، فلما مات تولى بعده ولده ، فكانت الخطبة بمصر له ، ثم إن العاضد مرض فكانت وفاته فى يوم

عاشوراء ، فحضر الملك صلاح الدين جنازته وشهد عزاه ، وبكى عليه وتأسف ، وظهر منه حزن كثير عليه ، وقد كان مطيعاً له فيما يأمره به ، وكان العاضد كريماً جواداسامحه الله . ولما مات استحوذ صلاح الدين على القصر بما فيه ، وأخرج منه أهل العاضد إلى دار أفردها لهم ، وأجرى عليهم الأرزاق والنفقات الهنية ، والعيشة الرضية ، عوضاً عما فاتهم من الخلافة ، وكان صلاح يتندم على إقامة الخطبة لبنى العباس بمصر قبل وفاة العاضد ، وهلا صبر بها إلى بعد وفاته ، ولكن كان ذلك قدرا مقدوراً .
ومما نظمه العماد فى ذلك :

توفى العاضد الدعى فما * يفتح ذو بدعة بمصر فما
وعصرفرعونها انقضى وغدا * يوسفها فى الأمور محتكما
قد طفئت جمرة الغواة وقد * داخ من الشرك كل ما اضطرما
وصار شمل الصلاح ملتئماً * بها وعقد السداد منتظما
لما غدا مشعراً شعار بنى ال * عباس حقا والباطل اكتتما
وبات داعى التوحيد منتظرا * ومن دعاة الاشراك منتقما
وظل أهل الضلال فى ظلل * داجية من غباثة وعمى
وارتكس الجاهلون فى ظلم * لما أضاءت منابر العلما
وعاد بالمستضئ معتليا * بناء حق بعد ما كان منهدما
أعيدت الدولة التى اضطهدت * وانتصر الدين بعدما اهتضما
واهتز عطف الاسلام من جلل * وافتر ثغر الاسلام وابتسما
واستبشرت أوجه الهدى فرحا * فليقرع الكفر سنه ندما
عاد حريم الاعداء منتهك الـ * ـحمى وفى الطغاة منقسما
قصور أهل القصور أخربها * عامر بيت من الكمال سما
أزعج بعد السكوت ساكنها * ومات ذلا وأنفه رغما

ومما قيل من الشعر ببغداد يبشر الخليفة المستضئ بالخطبة له بمصر وأعمالها :

ليهنيك يا مولاى فتح تتابعت * إليك به خوض الركائب توجف
أخذت به مصراً وقد حال دونها * من الشرك يأس فى لها الحق يقذف
فعادت بحمد الله باسم إمامنا * تتيه على كل البلاد وتشرف
ولا غرو إن ذلت ليوسف مصره * وكانت إلى عليائه تتشوف
فشابهه خلقا وخلقا وعفة * وكل عن الرحمن فى الأرض يخلف

كشفت بها عن آل هاشم سبة * وعاراً أبى إلا بسيفك يكشف

وقد ذكر ذلك أبوشامة فى الروضتين ، وهى أطول من هذه ، وذكر أن أبا الفضائل الحسين بن محمد بن بركات الوزير أنشدهاالخليفة عند موته بعد منام رآه ،وأراد بيوسف الثانى المستنجد ، وهكذا ذكر ابن الجوزى : أنها أنشدت فى حياة المستنجد ، ولم يخطب بها إلا لابنه المستضىء ، فجرى المقال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد أرسل الخليفة إلى الملك نور الدين معظمة لما بشر بالخطبة له بمصر ، وكذلك للملك صلاح الدين إلى الديار المصرية ومعها أعلام سود ولواء معقود ، ففرقت على الجوامع بالشام و بمصر . قال ابن أبى طى فى كتابه : ولما تفرغ صلاح الدين من توطيد المملكة و إقامة الخطبة والتعزية ، استعرض حواصل القصرين فوجد فيهما من الحواصل والأمتعة والآلات والملابس والمفارش شيئا باهرا ، وأمراً هائلا ، من ذلك سبعمائة يتيمة من الجوهر ، وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الابهام ، وحبل من ياقوت ، و إبريق عظيم من الحجر المانع ، وطبل للقولنج إذا ضرب عليه أحد فيه ريح غليظة أو غيرها خرج منه ذلك الريح من دبره ، و ينصرف عنه مايجده من القولنج ، فاتفق أن بعض أمراء الأكراد أخذه فى يده ولم يدر ما شأنه ، فضرب عليه فحبق ـ أى ضرط ـ فألقاه من يده على الأرض فكسره فبطل أمره . وأما القضيب الزمرد فان صلاح الدين كسره ثلاث فلق فقسمه بين نسائه ، وقسم بين الأمراء شيئا كثيرا من قطع البلخش والياقوت والذهب والفضة والأثاث والأمتعة وغير ذلك ، ثم باع ما فضل عن ذلك وجمع عليه أعيان التجار ، فاستمر البيع فيما بقى هنالك من الأثاث والأمتعة نحوا من عشر سنين ، وأرسل إلى الخليفة ببغداد من ذلك هدايا سنية نفيسة ، وكذلك إلى الملك نور الدين ، أرسل إليه من ذلك جانباً كثيراً صالحا ، ولم يدخر لنفسه شيئا مما حصل له من الأموال ، بل كان يعطى ذلك من حوله من الأمراء وغيرهم ، فكان مما أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع بلخش زنة الواحدة إحدى وثلاثون مثقالا ، والأخرى ثمانية عشر مثقالا ، والثالثة عشرة مثاقيل ، وقيل أكثر مع لآلىء كثيرة ، وستون ألف دينار ، وعطر لم يسمع بمثله ، ومن ذلك حمارة وفيل عظيم جدا ، فأرسلت الحمارة إلى الخليفة فى جملة هدايا . قال ابن أبى طى : ووجد خزانة كتب ليس لها فى مدائن الاسلام نظير ، تشتمل على ألفى ألف مجلد ، قال ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبرى ، وكذا قال العماد الكاتب : كانت الكتب قريبة من مائة وعشرين ألف مجلد . وقال ابن الأثير : كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد ، وقد تسلمها القاضى الفاضل ، فأخذ منها شيئا كثيراً مما اختاره وانتخبه ، قال وقسم القصر الشمالى بين الأمراء فسكنوه ، وأسكن أباه نجم الدين أيوب فى قصر عظيم على الخليج ، يقال له اللؤلؤة ، الذى فيه بستان الكافورى

وأسكن أكثر الأمراء فى دور من كان ينتمى إلى الفاطميين ، ولا يلقى أحد من الأتراك أحداً من أولئك الذين كانوا بها من الأكابر إلا شلحوه ثيابه ونهبوا داره ، حتى تمزق كثير منهم فى البلاد ، وتفرقوا شذرمذر وصاروا أيدى سبا .

وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسراً ، فصاروا كأمس الذاهب كأن لم يغنوا فيها ! وكان أول من ملك منهم المهدى ، وكان من سلمية حدادا اسمه عبيد ، وكان يهوديا ، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله ، وادعى أنه شريف علوى فاطمى ، وقال عن نفسه إنه المهدى كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعمائة كما قد بسطنا ذلك فيما تقدم ، والمقصود أن هذا الدعى الكذاب راج له ما افتراه فى تلك البلاد ، ووازره جماعة من الجهلة ، وصارت له دولة وصولة ، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهدية نسبة إليه ، وصار ملكا مطاعا ، يظهر الرفض وينطوى على الكفر المحض ، ثم كان من بعده ابنه القائم محمد ، ثم ابنه المنصور إسماعيل ، ثم ابنه المعز معد ، وهو أول من دخل ديار مصر منهم ، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران ، ثم ابنه العزيز نزار ، ثم ابنه الحاكم منصور ، ثم ابنه الظاهر على ، ثم ابنه المستنصر معد ، ثم ابنه المستعلى أحمد ، ثم ابنه الآمر منصور ، ثم ابن عمه الحافظ عبد المجيد ، ثم ابنه الظافر إسماعيل ، ثم الفائز عيسى ، ثم ابن عمه العاضد عبد الله وهو آخرهم ، فجملتهم أربعة عشر ملكا ، ومدتهم مائتان ونيف وثمانون سنة ، وكذلك عدة خلفاء بنى أمية أربعة عشر أيضاً ، ولكن كانت مدتهم نيفا وثمانين سنة ، وقد نظمت أسماء هؤلاء وهؤلاء بأرجوزة تابعة لأرجوزة بنى العباس عند انقضاء دولتهم ببغداد ، فى سنة ست وخمسين وستمائة ، كما سيأتى . وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالا ، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم ، وأنجس الملوك سيرة ، وأخبثهم سريرة ، ظهرت فى دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية ، وتغلب الفرنج على سواحل الشام بكماله ، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وإنطاكية وجميع ما والى ذلك ، إلى بلاد إياس وسيس ، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك ، وقتلوا من المسلمين خلقا وأمما لا يحصيهم إلا الله ، وسبوا ذرارى المسلمين من النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف ، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام ، وأخذوا من أموال المسلمين مالا يحد ولا يوصف ، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم ، وحين زالت أيامهم وانتقض إبرامهم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته ، وقد قال الشاعر المعروف عرقلة :

أصبح الملك بعد آل على * مشرقا بالملوك من آل شادى
وغدا الشرق يحسد الغر * ب للقوم فمصر تزهو على بغداد
ما حووها إلا بعزم وحزم * وصليل الفولاذ فى الأكباد
لا كفرعون والعزيز ومن * كان بها كالخطيب والاستاد

قال أبو شامة : يعنى بالأستاذ كافور الاخشيدى، وقوله آل على يعنى الفاطميين على زعمهم ولم يكونوا فاطميين، وإنما كانوا ينسبون إلى عبيد، وكان اسمه سعيداً، وكان يهوديا حداداً بسلمية، ثم ذكر ما ذكرناه من كلام الأئمة فيهم وطعنهم فى نسبهم . قال وقد استقصيت الكلام فى مختصر تاريخ دمشق فى ترجمة عبد الرحمن بن إلياس، ثم ذكر فى الروضتين فى هذا الموضع أشياء كثيرة فى غضون ما سقته من قبائحهم، وما كانوا يجهرون به فى بعض الأحيان من الكفريات، وقد تقدم من ذلك شئ كثير فى تراجمهم، قال أبو شامة: وقد أفردت كتابا سميته « كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد » وكذا صنف العلماء فى الرد عليهم كتباً كثيرة، من أجل ما وضع فى ذلك كتاب القاضى أبو بكر الباقلانى، الذى سماه « كشف الأسرار وهتك الاستار » وما أحسن ما قاله بعض الشعراء فى بنى أيوب يمدحهم على ما فعلوه بديار مصر :

أبدتم من بلى دولة الكفر من * بنى عبيد بمصر إن هذا هو الفضل
زنادقة شيعية باطنية * مجوس وما فى الصالحين لهم أصل
يسرون كفرا يظهرون تشيعاً * ليستروا سابور عمهم الجهل

وفيها أسقط الملك صلاح الدين عن أهل مصر المكوس والضرائب، وقرىء المنشور بذلك على رؤس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر . وفيها حصلت نفرة بين نور الدين وصلاح الدين، وذلك أن نور الدين غزا فى هذه السنة بلاد الفرنج فى السواحل فأحل بهم بأساً شديداً، وقرر فى أنفسهم منه نقمة ووعيداً، ثم عزم على محاصرة الكرك وكتب إلى صلاح الدين يلتقيه بالعساكر المصرية إلى بلاد الكرك، ليجتمعا هنالك ويتفقا على المصالح التى يعود نفعها على المسلمين، فتوهم من ذلك صلاح الدين وخاف أن يكون لهذا الأمر غائلة يزول بها ما حصل له من التمكن من بلاد مصر، ولكنه مع ذلك ركب فى جيشه من مصر لأجل امتثال المرسوم، فسار أياماً، ثم كر راجعاً معتلا بقلة الظهر، والخوف على اختلال الأمور إذا بعد عن مصر واشتغل عنها، وأرسل يعتذر إلى نور الدين . فوقع فى نفسه منه، واشتد غضبه عليه، وعزم على الدخول إلى مصر وانتزاعها من صلاح الدين وتوليتها غيره، ولما بلغ هذا الخبر صلاح الدين ضاق بذلك ذرعه، وذكر ذلك بحضرة الأمراء والكبراء، فبادر ابن أخيه تقى الدين عمر وقال : والله لو قصدنا نور الدين لنقاتلنه، فشتمه الأمير

نجم الدين أيوب والد صلاح الدين وسبه وأسكته ، ثم قال لابنه : اسمع ما أقول لك ، والله ما ههنا أحد أشفق عليك منى ومن خالك هذا - يعنى شهاب الدين الحارمى - ولو رأينا نور الدين لبادرنا إليه ولقبلنا الأرض بين يديه ، وكذلك بقية الأمراء والجيش ، ولو كتب إلى أن أبعثك إليه مع نجاب لفعلت ، ثم أمر من هنالك بالانصراف والذهاب ، فلما خلى بابنه قال له : أمالك عقل ؟ تذكر مثل هذا بحضرة هؤلاء فيقول عمر مثل هذا الكلام فتقره عليه ، فلا يبقى عند نور الدين أهم من قصدك وقتالك وخراب ديارنا ، وأعمارنا ، ولو قد رأى الجيش كلهم نور الدين لم يبق معك واحد منهم ، ولذهبوا كلهم إليه ، ولكن ابعث اليه وترفق له وتواضع عنده ، وقل له : وأى حاجة إلى مجىء مولانا السلطان إلى قتالى ؟ ابعث إلى بنجاب أو جمال حتى أجىء معه إلى بين يديك . فبعث إليه بذلك فلما سمع نور الدين مثل هذا الكلام لان قلبه له ، وانصرفت همته عنه ، واشتغل بغيره ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وفيها اتخذ نور الدين الحمام الهوادى ، وذلك لامتداد مملكته واتساعها ، فانه ملك من حد النوبة إلى همذان لايتخللها إلا بلاد الفرنج ، وكلهم تحت قهره وهدنته ، ولذلك اتخذ فى كل قلعة وحصن الحمام التى تحمل الرسائل إلى الآفاق فى أسرع مدة ، وأيسر عدة ، وما أحسن ما قال فيهن القاضى الفاضل الحمام ملائكة الملوك ، وقد أطنب ذلك العماد الكاتب ، وأطرب وأعجب وأغرب .

وممن توفى فيها من الأعيان . ﴿ عبد الله بن أحمد ﴾

ابن أحمد بن أحمد أبو محمد بن الخشاب ، قرأ القرآن وسمع الحديث ، واشتغل بالنحو حتى ساد أهل زمانه فيهما ، وشرح الجمل لعبد القاهر [الجرجانى] ، وكان رجلا صالحا متطوعا ، وهذا نادر فى النحاة ، توفى فى شعبان من هذه السنة ودفن قريبا من الامام أحمد ، ورؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال غفر لى وأدخلنى الجنة إلا أنه أعرض عنى وعن جماعة من العلماء تركوا العمل واشتغلوا بالقول ، قال ابن خلكان : كان مطرحاً للكلفة فى مأكله وملبسه ، وكان لا يبالى بمن شرق أو غرب .

﴿ محمد بن محمد بن محمد ﴾

أبو المظفر الدوى ، تفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالى ، وناظر ووعظ ببغداد ، وكان يظهر مذهب الأشعرى ، ويتكلم فى الحنابلة مات فى رمضان منها .

﴿ ناصر بن الجوفى الصوفى ﴾

كان يمشى فى طلب الحديث حافيا ، توفى ببغداد . قال أبو شامة : وفيها توفى .

﴿ نصر الله [بن عبد الله] أبو الفتوح ﴾

الاسكندرى المعروف بابن قلاقس الشاعر بعيذاب ، توفى عن خمس وأربعين سنة .

والشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبى ، نزيل الموصل المقرى النحوى ، قال : وفيها ولد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين ، والمنصور محمد بن تقى الدين عمر .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة ﴾

فيها أرسل نور الدين إلى صلاح الدين ـ وكان الرسول الموفق خالد بن القيسرانى ـ ليقيم حساب الديار المصرية ، وذلك لأن نور الدين استقل الهدية التى أرسل بها إليه من خزائن العاضد ، ومقصوده أن يقرر على الديار المصرية خراجاً منها فى كل عام . وفيها حاصر صلاح الدين الكرك والشوبك فضيق على أهلها ،وخرب أماكن كثيرة من معاملاتها ، ولكن لم يظفر بها عامه ذلك . وفيها اجتمعت الفرنج بالشام لقصد زرع [1] ، فوصلوا إلى سمسكين فبرز إليهم نور الدين فهربوا منه إلى الغور ، ثم إلى السواد ، ثم إلى الشلالة ، فبعث سرية إلى طبرية فعاثوا هنالك وسبوا وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين ، و رجع الفرنج خائبين . وفيها أرسل السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة نور شاه إلى بلاد النوبة فافتتحها ، واستحوذ على معقلها وهو حصن يقال له إبريم ، ولما رآها بلدة قليلة الجدوى لايفى خراجها بكلفتها ، استخلف على الحصن المذكور رجلا من الأكراد يقال له إبراهيم ، فجعله مقدماً مقرراً بحصن إبريم ،وانضاف إليه جماعة من الأكراد البطالين ، فكثرت أموالهم وحسنت أحوالهم هنالك وشنوا الغارات وحصلوا على الغنائم .

وفيها كانت وفاة الأمير نجم الدين أيوب بن شادى والد صلاح الدين ، سقط عن فرسه فمات وسنأتى على ترجمته فى الوفيات . وفيها سار الملك نور الدين إلى بلاد عز الدين قلج أرسلان بن مسعود ابن قلج أرسلان بن سليمان السلجوقى ، وأصلح ماوجده فيها من الخلل . ثم سار فافتتح مرعش وبهسنا ، وعمل فى كل منهما بالحسنى . قال العماد : وفيها وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابورى ، وهو فقيه عصره ونسيج وحده ، فسر به نور الدين وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق ، ثم أتى به إلى دمشق فدرس بزاوية جامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسى ، ثم نزل بمدرسة الجاروق ، ثم شرع نور الدين بانشاء مدرسة كبيرة للشافعية، فأدركه الأجل قبل ذلك . قال أبو شامة : وهى العادلية الكبيرة التى عمرها بعد ذلك الملك العادل أبو بكر بن أيوب.وفيها رجع شهاب الدين بن أبى عصرون من بغداد وقد أدى الرسالة بالخطابة العباسية بالديار المصرية ، ومعه توقيع من الخلافة باقطاع درب هارون وصريفين لنور الدين ، وقد كانتا قديماً لأبيه عماد الدين زنكى ، فأراد نور الدين أن ينشئ ببغداد مدرسة على حافة الدجلة، و يجعل هذين المكانين وقفاعليها فعاقه القدر عن ذلك.وفيها وقعت بناحية خوارزم حروب كثيرة بين سلطان شاه و بين أعدائه ، استقصاها ابن الأثير وابن الساعى .

(١) كذا فى الاصل. وفى ابن الأثير :قصدوا بلاد حوران من أعمال دمشق .

وفيها هزم ملك الأرمن مليح بن ليون عساكر الروم، وغنم منهم شيئا كثيراً ، و بعث إلى نور الدين بأموال كثيرة ، وثلاثين رأساً من رؤس كبارهم ، فأرسلها نور الدين إلى الخليفة المستضيء . وفيها بعث صلاح الدين سرية صحبه قراقوش مملوك تقي الدين عمر ابن شاهنشاه إلى بلاد إفريقية ، فملكوا طائفة كثيرة منها ، من ذلك مدينة طرابلس الغرب وعدة مدن معها .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ إيلدكز التركى الاتابكى ﴾

صاحب أذربيجان وغيرها ، كان مملوكا للكمال السميرمى ، وزير السلطان محمود ، ثم علا أمره وتمكن وملك بلاد أذربيجان و بلاد الجبل وغيرها ، وكان عادلا منصفا شجاعا محسنا إلى الرعية ، توفى بهمدان ﴿ الأمير نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادى ﴾

ابن مروان ، زاد بعضهم بعد مروان بن يعقوب ، والذى عليه جمهورهم أنه لا يعرف بعد شادى أحد فى نسبهم ، وأغرب بعضهم وزعم أنهم من سلالة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وهذا ليس بصحيح ، والذى نسب اليه ادعاء هذا هو أبو الفداء إسماعيل بن طغتكين بن أيوب بن شادى و يعرف بابن سيف الاسلام ، وقد ملك اليمن بعد أبيه فتعاظم فى نفسه وادعى الخلافة وتلقب بالامام الهادى بنور الله ولهجوا بذلك وقال هو فى ذلك :

وأنا الهادى الخليفة والذى * أدوس رقاب الغلب بالضمر الجرد
ولا بد من بغداد أطوى ربوعها * وأنشرها نشر السماس على البرد
وأنصب أعلامى على شرفاتها * وأحيي بها ما كان أسه جدى
ويخطب لى فيها على كل منبر * وأظهر أمر الله فى الغور والنجد

وما ادعاه ليس بصحيح ، ولا أصل له يعتمد عليه ، ولا مستند يستند إليه ، والمقصود أن الأمير نجم الدين كان أسن من أخيه أسد الدين شيركوه ، ولد بأرض الموصل ، كان الأمير نجم الدين شجاعا ، خدم الملك محمد بن ملكشاه فرأى فيه شهامة وأمانة ، فولاه قلعة تكريت ، فحكم فيها فعدل ، وكان من أكرم الناس ، ثم أقطعها الملك مسعود لمجاهد الدين نهروز شحنة العراق ، فاستمر فيها ، فاجتاز به فى بعض الأحيان الملك عماد الدين زنكى منهزماً من قراجا الساقى فآواه وخدمه خدمة بالغة تامة ، وداوى جراحاته وأقام عنده مدة خمسة عشر يوماً ، ثم ارتحل إلى بلده الموصل ، ثم اتفق أن نجم الدين أيوب عاقب رجلا نصرانياً فقتله ، وقيل إنما قتله أخوه أسد الدين شيركوه ، وهذا بخلاف الذى ذكره ابن خلكان ، فانه قال : رجعت جارية من بعض الخدم فذكرت له أنه تعرض لها اسفهسلار الذى بباب القلعة ، فخرج إليه أسد الدين فطعنه بحربة فقتله ، فحبسه أخوه نجم الدين وكتب إلى مجاهد الدين نهروز يخبره بصورة الحال ، فكتب إليه يقول : إن أباكما كانت

له على خدمة ، وكان قد استنابه فى هذه القلعة قبل ابنه نجم الدين أيوب ، وإنى أكره أن أسوء كما ، ولكن انتقلا منها . فأخرجهما بهروز من قلعته . وفى ليلة خروجه منها ولد له الملك الناصر صلاح الدين يوسف . قال فتشاءمت به لفقدى بلدى ووطنى ، فقال له بعض الناس : قد ترى ما أنت فيه من التشاؤم بهذا المولود فما يؤمنك أن يكون هذا المولود ملكا عظيما له صيت ؟ فكان كما قال ، فاتصلا بخدمة الملك عماد الدين زنكى أبى نور الدين ، ثم كانا عند نور الدين متقدمان عنده ، وارتفعت منزلتهما وعظما ، فاستناب نور الدين نجم الدين أيوب على بعلبك ، وكان أسد الدين من أكبر أمرائه ، ولما تسلم بعلبك أقام مدة طويلة ، وولد له فيها أكثر أولاده ، ثم كان من أمره ما ذكرناه فى دخوله الديار المصرية . ثم إنه فى ذى الحجة سقط عن فرسه فمات بعد ثمانية أيام فى اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وكان ابنه صلاح الدين محاصر الكرك غائباً عنه ، فلما بلغه خبر موته تألم لغيبته عن حضوره ، وأرسل يتحرق ويتحزن ، وأنشد :

وتخطفه يد الردى فى غيبتى * هبنى حضرت ، فكنت ماذا أصنع ؟

وقد كان نجم الدين أيوب كثير الصلاة والصدقة والصيام ، كريم النفس جوادا ممدحا . قال ابن خلكان : وله خانقاه بالديار المصرية ، ومسجد وقناة خارج باب النصر من القاهرة ، وقفها فى سنة ست وستين . قلت : وله بدمشق خانقاه أيضاً ، تعرف بالنجمية ، وقد استنابه ابنه على الديار المصرية حين خرج إلى الكرك ، وحكمه فى الخزائن ، وكان من أكرم الناس ، وقد امتدحه الشعراء كالعماد وغيره ورثوه بمراث كثيرة ، وقد ذكر ذلك مستقصًى الشيخ أبو شامة فى الروضتين ، ودفن مع أخيه أسد الدين بدار الامارة ، ثم نقلا إلى المدينة النبوية فى سنة ثمانين ، فدفنا بتربة الوزير جمال الدين الموصلى ، الذى كان مواخياً لأسد الدين شيركوه ، وهو الجمال المتقدم ذكره ، الذى ليس بين تربته ومسجد النبى ﷺ إلا مقدار سبعة عشر ذراعا ، فدفنا عنده . قال أبو شامة : وفى هذه السنة توفى ملك الرافضة والنحاة .

﴿ الحسن بن ضافى بن بزدن التركى ﴾

كان من أكابر أمراء بغداد المتحكمين فى الدولة ، ولكنه كان رافضياً خبيثا متعصباً للروافض ، وكانوا فى خفارته وجاهه ، حتى أراح الله المسلمين منه فى هذه السنة فى ذى الحجة منها ، ودفن بداره ثم نقل إلى مقابر قريش فلله الحمد والمنة . وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحاً شديدا ، وأظهروا الشكر لله ، فلا تجد أحداً منهم إلا يحمد الله ، فغضب الشيعة من ذلك ، ونشأت بينهم فتنة بسبب ذلك . وذكر ابن الساعى فى تاريخه أنه كان فى صغره شابا حسنا مليحاً معشوقا للأكابر من الناس . قال ولشيخنا أبى اليمن الكندى فيه ، وقد رمدت عينه :

بكل صباح لى وكل عشية * وقوف على أبوابكم وسلام
وقدقيل لى يشكوسقاما بعينه * فها نحن منها نشتكى ونضام

﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة ﴾

قال ابن الجوزى فى المنتظم : إنه سقط عندهم ببغداد برد كبار كالنارنج ، ومنه ما وزنه سبعة أرطال ، ثم أعقب ذلك سيل عظيم ، وزيادة عظيمة فى دجلة ، لم يعهد مثلها أصلا ، فخرب أشياء كثيرة من العمران والقرى والمزارع ، حتى القبور ، وخرج الناس إلى الصحراء ، وكثر الضجيج والابتهال إلى الله حتى فرج الله عز وجل ، وتناقصت زيادة الماء بحمد الله ومنّه ، قال : وأما الموصل فانه كان بها نحو ما كان ببغداد وانهدم بالماء نحو من ألفى دار ، واستهدم بسببه مثل ذلك ، وهلك تحت الردم خلق كثير ، وكذلك الفرات زادت زيادة عظيمة ، فهلك بسببها شئ كثير من القرى ، وغلت الأسعار بالعراق فى هذه السنة فى الزروع والثمار ، ووقع الموت فى الغنم ، وأصيب كثير ممن أكل منها بالعراق وغيرها . قال ابن الساعى : وفى شوال منها توالت الأمطار بديار بكر والموصل أربعين يوما وليلة لم يروا الشمس سوى مرتين لحظتين يسيرتين ، ثم تستتر بالغيوم ، فتهدمت بيوت كثيرة ، ومساكن على أهلها ، وزادت الدجلة بسبب ذلك زيادة عظيمة ، وغرق كثير من مساكن بغداد والموصل ، ثم تناقص الماء باذن الله . قال ابن الجوزى : وفى رجب وصل ابن الشهرزورى من عند نور الدين ومعه ثياب مصرية ، وحمارة ملونة جلدها مخطط مثل الثوب العتابى . وفيها عزل ابن الشامى عن تدريس النظامية وولبها أبو الخير القزوينى . قال : وفى جمادى الآخرة اعتقل المجير الفقيه ونسب إلى الزندقة والانحلال وترك الصلاة والصوم ، فغضب له ناس وزكوه وأخرج ، وذكر أنه وعظ بالحدثية فاجتمع عنده قريباً من ثلاثين ألفا . قال ابن الساعى : وفيها سقط أحمد بن أمير المؤمنين المستضئ من قبة شاهقة إلى الأرض فسلم ، ولكن نبت يده اليمنى وساعده اليسرى ، وانسلخ شئ من أنفه ، وكان معه خادم أسود يقال له نجاح ، فلما رأى سيده قد سقط ألقى هو نفسه أيضاً خلفه ، وقال : لا حاجة لى فى الحياة بعده ، فسلم أيضاً ، فلما صارت الخلافة إلى أبى العباس الناصر ـ وهو هذا الذى قد سقط ـ لم ينسها لنجاح هذا ، فحكمه فى الدولة وأحسن إليه ، وقد كانا صغيرين لما سقطا . وفيها سار الملك نور الدين نحو بلاد الروم وفى خدمته الجيش وملك الأرمن وصاحب ملطية ، وخلق من الملوك والأمراء ، وافتتح عدة من حصونهم ، وحاصر قلعة الروم فصالحه صاحبها بخمسين ألف دينار جزية ، ثم عاد إلى حلب وقد وجد النجاح فى كل ماطلب ، ثم أتى دمشق مسروراً محبوراً . وفيها كان فتح بلاد اليمن للملك صلاح الدين ، وكان سبب ذلك أن صلاح الدين بلغه أن بها رجلا يقال له عبد النبى بن مهدى ، وقد تغلب عليها ودعا إلى نفسه وتسمى بالامام ، وزعم أنه

سيملك الأرض كلها ، وقد كان أخوه على بن مهدى قد تغلب قبله عليها ، وانتزعها من أيدى أهل زبيد، ومات سنة ستين فملكها بعده أخوه هذا ، وكل منهما كان سيىء السيرة والسريرة ، فعزم صلاح الدين لكثرة جيشه وقوته على إرسال سرية إليه ، وكان أخوه الأكبر شمس الدولة شجاعا مهيباً بطلا وكان ممن يجالس عمارة اليمنى الشاعر ، وكان عمارة ينعت له بلاد اليمن وحسنها وكثرة خيرها ، فحداه ذلك على أن خرج في تلك السرية في رجب من هذه السنة ، فورد مكة فاعتمر بها ثم سار منها إلى زبيد ، فخرج إليه عبد النبي فقاتله فهزمه توران شاه ، وأسره وأسر زوجته الحرة ، وكانت ذات أموال جزيلة فاستقرها على أشياء جزيلة ، وذخائر جليلة ، ونهب الجيش زبيد ، ثم توجه إلى عدن فقاتله ياسر ملكها فهزمه وأسره ، وأخذ البلد بيسير من الحصار ، ومنع الجيش من نهبها ، وقال ما جئنا لنخرب البلاد ، وإنما جئنا لعمارتها وملكها ، ثم سار في الناس سيرة حسنة عادلة فأحبوه ، ثم تسلم بقية الحصون والمعاقل والمخالف ، واستوسق له ملك اليمن بحذافيره وألقى إليه أفلاذ كبده ومطاميره ، وخطب للخليفة العباسي المستضئ ، وقتل الدعي المسمى بعبد النبي ، وصفت اليمن من أكدارها ، وعادت إلى ما سبق من مضمارها ، وكتب بذلك إلى أخيه الملك الناصر يخبره بما فتح الله عليه ، وأحسن إليه ، فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين ، فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة يبشره بفتح اليمن والخطبة بها له . وفيها خرج الموفق خالد بن القيسراني من الديار المصرية ، وقد أقام بها الملك الناصر حساب الديار المصرية وما خرج من الحواصل حسب ما رسم به الملك نور الدين كما تقدم ، وقد كاد صلاح الدين لما جاءته الرسالة بذلك يظهر شق العصا ويواجه بالمخالفة والإباء ، لكنه عاد إلى طباعه الحسنة وأظهر الطاعة المستحسنة ، وأمر بكتابة الحساب وتحرير الكتاب والجواب ، فبادر إلى ذلك جماعة الدواوين والحساب والكتاب ، وبعث مع ابن القيسراني بهدية سنية وتحف هائلة هنية ، فمن ذلك خمس ختمات شريفات مغطات بخطوط مستويات ، ومائة عقد من الجواهر النفيسات ، خارجاً عن قطع البلخش واليواقيت ، والفصوص والثياب الفاخرات ، والأواني والأباريق والصحاف الذهبيات والفضيات ، والخيول المسومات ، والغلمان والجوارى الحسان والحسنات ، ومن الذهب عشرة صناديق مقفلات مختومات ، مما لا يدرى كم فيها من مئين ألوف ومئات ، من الذهب المصرى المعد للنفقات . فلما فصلت العير من الديار المصرية لم تصل إلى الشام حتى أن نور الدين مات رحمه الله رب الأرضين والسموات ، فأرسل صلاح الدين من ردها إليه وأعادها عليه ، ويقال إن منها ما عدى عليه وعلم بذلك حين وضعت بين يديه .

﴿ مقتل عمارة بن أبي الحسن ﴾

ابن زيدان الحكمى من قحطان ، أبو محمد الملقب بنجم الدين اليمنى الفقيه الشاعر الشافعى ،

وسبب قتله أنه اجتمع جماعة من رؤس الدولة الفاطمية الذين كانوا فيها حكاماً فاتفقوا بينهم أن يردوا الدولة الفاطمية ، فكتبوا إلى الفرنج يستدعونهم إليهم ، وعينوا خليفة من الفاطميين ، ووزيرا وأمراء وذلك في غيبة السلطان ببلاد الكرك ، ثم اتفق مجيئه لحرض عمارة اليمنى شمس الدولة توران شاه على المسير إلى اليمن ليضعف بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج ، إذا قدموا لنصرة الفاطميين ، فخرج توران شاه ولم يخرج معه عمارة ، بل أقام بالقاهرة يفيض في هذا الحديث ، ويداخل المتكلمين فيه ويصافيهم ، وكان من أكابر الدعاة إليه والمحرضين عليه ، وقد أدخلوا معهم فيه بعض من ينسب إلى صلاح الدين ، وذلك من قلة عقولهم وتعجيل دمارهم ، فخانهم أحوج ما كانوا إليه وهو الشيخ زين الدين على بن نجا الواعظ ، فانه أخبر السلطان بما تمالؤا وتعاقدوا عليه ، فأطلق له السلطان أموالا جزيلة ، وأفاض عليه حللا جميلة ، ثم استدعاهم السلطان واحدا واحداً فقررهم فأقروا بذلك ، فاعتقلهم ثم استفتى الفقهاء في أمرهم فأفتوه بقتلهم ، ثم عند ذلك أمر بقتل رؤسهم وأعيانهم ، دون أتباعهم وغلمانهم ، وأمر بنفي من بقي من جيش العبيدين إلى أقصى البلاد ، وأفرد ذرية العاضد وأهل بيته في دار ، فلا يصل إليهم إصلاح ولا إفساد ، وأجرى عليهم ما يليق بهم من الأرزاق والثياب ، وكان عمارة معاديا للقاضى الفاضل ، فلما حضر عمارة بين يدى السلطان قام القاضى الفاضل إلى السلطان ليشفع فيه عنده فتوهم عمارة أنه يتكلم فيه ، فقال : يا مولانا السلطان لا تسمع منه ، فغضب الفاضل وخرج من القصر ، فقال له السلطان : إنه إنما كان يشفع فيك ، فندم ندماً عظيما . ولما ذهب به ليصلب مر بدار الفاضل فطلبه فتغيب عنه فأنشد :

عبد الرحيم قد احتجب * إن الخلاص هو العجب

قال ابن أبي طي : وكان الذين صلبوا الفضل بن الكامل القاضى ، وهو أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل قاضى قضاة الديار المصرية زمن الفاطميين ، ويلقب بفخر الأمناء ، فكان أول من صلب فيما قاله العماد ، وقد كان ينسب إلى فضيلة وأدب ، وله شعر رائق ، فمن ذلك قوله في غلام رفاء

يارافيا خرق كل ثوب * وما رفاحبه اعتقادى

عسى بكف الوصال ترفو * ما مزق الهجر من فؤادى

وابن عبد القوى داعى الدعاة ، وكان يعلم بدفائن القصر فعوقب ليدل عليها ، فامتنع من ذلك فمات واندرست . والعويرس وهو ناظر الديوان ، وتولى مع ذلك القضاء . وشبريا وهو كاتب السر . وعبد الصمد الكاتب وهو أحد أمراء المصريين ، ونجاح الحمامى ومنجم نصرانى كان قد بشرهم بأن هذا الأمر يتم بعلم النجوم .

﴿ وعمارة اليمنى الشاعر ﴾

وكان عمارة شاعراً مطيقا بليغاً فصيحاً ، لا يلحق شأوه فى هذا الشأن ، وله ديوان شعر مشهور وقد ذكرته فى طبقات الشافعية لأنه كان يشتغل بمذهب الشافعى ، وله مصنف فى الفرائض ، وكتاب الوزراء الفاطميين ، وكتاب جمع سيرة نفيسة التى كان يعتقدها عوام مصر ، وقد كان أديبا فاضلا فقيهاً ، غير أنه كان ينسب إلى موالاة الفاطميين ، وله فيهم و فى وزرائهم وأمرائهم مدائح كثيرة جدا وأقل ما كان ينسب إلى الرفض ، وقد اتهم بالزندقة والكفر المحض ، وذكر العماد فى الجريدة أنه قال فى قصيدته التى يقول فى أولها :

العلم مذ كان محتاج إلى العلم * وشفرة السيف تستغنى عن القلم

وهى طويلة جدا ، فيها كفر وزندقة كثيرة . قال وفيها :

قد كان أول هذا الدين من رجل * سعى إلى أن دعوه سيد الأمم

قال العماد فأفتى أهل العلم من أهل مصر بقتله ، وحرضوا السلطان على المثلة به و بمثله ، قال ويجوز أن يكون هذا البيت معمولا عليه والله أعلم . وقد أورد ابن الساعى شيئا من رقيق شعره فمن ذلك قوله يمدح بعض الملوك :

إذا قابلت بشرى جبينه * فارقته والبشر فوق جبينى

و إذا لثمت يمينه وخرجت من * بابه لثم الملوك يمينى

ومن ذلك قوله :

لى فى هوى الرشا العذرى إعذار * لم يبق لى مذا قسر الدمع إنكار

لى فى القدود وفى لثم الخدو * د وفى ضم النهود لبانات وأوطار

هذا اختيارى فوافق إن رضيت به * وإلا فدعنى لما أهوى وأختار

ومما أنشده الكندى فى عمارة اليمنى حين صلب :

عمارة فى الاسلام أبدى جناية * وبايع فيها بيعة وصليبا

وأمسى شريك الشرك فى بعض أحمد * وأصبح فى حب الصليب صليبا

سيلقى غدا ما كان يسعى لنفسه * ويسقى صديدا فى لظى وصليبا

قال الشيخ أبو شامة : فالأول صليب النصارى ، والثانى بمعنى مصلوب ، والثالث بمعنى القوى ، والرابع ودك العظام . ولما صلب الملك الناصر هؤلاء يوم السبت الثانى من شهر رمضان من هذه السنة بين القصرين من القاهرة ، كتب إلى الملك نور الدين يعلمه بما وقع منهم وبهم من الخزى والنكال ، قال العماد : فوصل الكتاب بذلك يوم توفى الملك نور الدين رحمه الله تعالى ،

وكذلك قتل صلاح الدين رجلا من أهل الاسكندرية يقال له قديد القفاجى ، كان قد افتتن به الناس ، وجعلوا له جزءاً من أكسابهم ، حتى النساء من أموالهن ، فأحيط به فأراد القفاجى الخلاص ولات حين مناص ، فقتل أسوة فيمن سلف ، ومما وجد من شعر عمارة يرثى العاضد ودولته وأيامه .

أسفى على زمان الامام العاضد * أسف العقيم على فراق الواحد
لهفى على حجرات قصرك إذ خلت * يا ابن النبى من ازدحام الوافد
وعلى انفرادك من عساكرك التى * كانوا كأمواج الخضم الراكد
قلدت مؤتمن أمرهم فكبا * وقصر عن صلاح الفاسد
فعسى الليالى أن ترد إليكم * ما عودتكم من جميل عوائد

وله من جملة قصيدة :

يا عاذلى فى هوى ابناء فاطمة * لك الملامة إن قصرت فى عذلى
بالله زر ساحة القصرين وابك معى * لا على صفين [البكا] ولا الجمل
وقل لاهلهما والله ما التحمت * فيكم قروحى ولا جرحى بمندمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * فى نسل ابنى أمير المؤمنين على

وقد أورد له الشيخ أبو شامة فى الروضتين أشعاراً كثيرة من مدائحه فى الفاطميين ، وكذا ابن خلكان .

﴿ ابن قسرول ﴾

صاحب كتاب مطالع الأنوار ، وضعه على كتاب مشارق الأنوار للقاضى عياض ، وكان من علماء بلاده وفضلائهم المشهورين ، مات فجأة بعد صلاة الجمعة سادس شوال منها عن أربع وستين سنة قاله ابن خلكان والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

« فى وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر التركى السلجوقى
فى هذه السنة وذكر شىء من سيرته العادلة الكاملة »

هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الاتابك قسيم الدولة عماد الدين أبى سعيد زنكى الملقب بالشهيد بن الملك آقسنقر الاتابك الملقب بقسيم الدولة التركى السلجوقى مولاهم ، ولد وقت طلوع الشمس من يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة بحلب ، ونشأ فى كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرهما من البلدان الكثيرة الكبيرة ، وتعلم القرآن

والفروسية والرمى ، وكان شهماً شجاعاً ذا همة عالية ، وقصد صالح، وحرمة وافرة وديانة بينة ، فلما قتل أبوه سنة إحدى وأربعين وهو محاصر جعبر كما ذكرنا ، صار الملك بحلب إلى ابنه نور الدين هذا ، وأعطاه أخوه سيف الدين غازى الموصل ، ثم تقدم ، ثم افتتح دمشق فى سنة تسع وأربعين فأحسن إلى أهلها و بنى لهم المدارس والمساجد والربط ، و وسع لهم الطرق على المارة ، و بنى عليها الرصافات ووسع الأسواق ، ووضع المكوس بدار الغنم والبطيخ والعرصد ، وغير ذلك ، وكان حنفى المذهب يحب العلماء والفقراء ويكرمهم ويحترمهم ، ويحسن إليهم ، وكان يقوم فى أحكامه بالمعدلة الحسنة ، واتباع الشرع المطهر ، ويعقد مجالس العدل و يتولاها بنفسه ، و يجتمع إليه فى ذلك القاضى والفقهاء والمفتيون من سائر المذاهب ، ويجلس فى يوم الثلاثاء بالمسجد المعلق ، الذى بالكشك ، ليصل إليه كل واحد من المسلمين وأهل الذمة ، حتى يساويهم ، وأحاط السور على حارة اليهود ، وكان خراباً ، وأغلق باب كسان وفتح باب الفرج ، ولم يكن هناك قبله باب بالكلية ، وأظهر ببلاده السنة وأمات البدعة ، وأمر بالتأذين بحى على الصلاة حى على الفلاح ، ولم يكن يؤذن بهما فى دولتى أبيه وجده ، و إنما كان يؤذن بحى على خير العمل لأن شعار الرفض كان ظاهراً بها، وأقام الحدود وفتح الحصون ، وكسر الفرنج مراراً عديدة ، واستنقذ من أيديهم معاقل كثيرة من الحصون المنيعة ، التى كانوا قد استحوذوا عليها من معاقل المسلمين ، كما تقدم بسط ذلك فى السنين المتقدمة ، وأقطع العرب إقطاعات لئلا يتعرضوا للحجيج ، وبنى بدمشق مارستاناً لم يبن فى الشام قبله مثله ولا بعده أيضاً ، و وقف وقفاً على من يعلم الأيتام الخط والقراءة ، وجعل لهم نفقة وكسوة ، وعلى المجاورين بالحرمين وله أوقاف دارة على جميع أبواب الخير ، وعلى الأرامل والمحاويج ، وكان الجامع داثراً فولى نظره القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله الشهزورى الموصلى ، الذى قدم به فولاه قضاء قضاة دمشق ، فأصلح أموره وفتح المشاهد الأربعة ، وقد كانت حواصل الجامع بها من حين احترقت فى سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وأضاف إلى أوقاف الجامع المعلومة الأوقاف التى لا يعرف واقفوها ، ولا يعرف شروطهم فيها، وجعلها قلماً واحداً ،وسمى مال المصالح، ورتب عليه لذوى الحاجات والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وما أشبه ذلك . وقد كان رحمه الله حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية ، متبعاً للآثار النبوية ، محافظاً على الصلوات فى الجماعات ، كثير التلاوة محباً لفعل الخيرات ، عفيف البطن والفرج مقتصداً فى الانفاق على نفسه وعياله فى المطعم والملبس ، حتى قيل : إنه كان أدنى الفقراء فى زمانه أعلا نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا ، ولم يسمع منه كلمة فحش قط ، فى غضب ولا رضى ، صموتاً وقوراً . قال ابن الأثير : لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين ، ولا أكثر تحرياً للعدل والانصاف منه ، وكانت له دكاكين بحمص قد اشتراها مما يخصه من المغانم ،

فكان يقتات منها ، و زاد امرأته من كراها على نفقتها عليها ، واستفتى العلماء فى مقدار ما يحل له من بيت المال فكان يتناوله ولا يزيد عليه شيئا ، ولو مات جوعاً ، وكان يكثر اللعب بالكرة فعاتبه رجل من كبار الصالحين فى ذلك فقال : إنما الأعمال بالنيات ، و إنما أريد بذلك تمرين الخيل على الكر والفر ، وتعليمها ذلك ، ونحن لا نترك الجهاد ، وكان لا يلبس الحرير ، وكان يأكل من كسب يده بسيفه ورمحه ، وركب يوما مع بعض أصحابه والشمس فى ظهورهما والظل بين أيديهما لا يدركانه ثم رجعا فصار الظل وراءهما ثم ساق نور الدين فرسه سوقا عنيفا وظله يتبعه ، فقال لصاحبه : أتدرى ما شبهت هذا الذى نحن فيه ؟ شبهته بالدنيا تهرب ممن يطلبها ، وتطلب من يهرب منها ، وقد أنشد بعضهم فى هذا المعنى :

مثل الرزق الذى تطلبه * مثل الظل يمشى معك
أنت لا تدركه مستعجلا * فاذا وليت عنه تبعك

وكان فقيها على مذهب أبى حنيفة ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب :

جمع الشجاعة والخشوع لديه * ما أحسن الشجعان فى المحراب

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الاتابك معين الدين تكثر القيام فى الليل فنامت ذات ليلة عن وردها فأصبحت وهى غضبى ، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذى فوت عليها وردها ، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة فى القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل ، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجراً جزيلا ، وجراية كثيرة

فألبس الله هاتيك العظام وإن * بلين تحت الثرى عفوا وغفرانا
سقى ثرى أودعوه رحمة ملأت * مثوى قبورهم روحاً وريحانا

وذكر ابن الأثير أن الملك نور الدين بينما هو ذات يوم يلعب بالكرة إذ رأى رجلا يحدث آخر و يومئ إلى نور الدين ، فبعث الحاجب ليسأله ما شأنه ، فاذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم ، وهو يزعم أن له على نور الدين حقاً يريد أن يحاكمه عند القاضى ، فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك ألقى الجوكان من يده ، وأقبل مع خصمه ماشيا إلى القاضى الشهرزورى ، وأرسل نور الدين إلى القاضى أن لا تعاملنى إلا معاملة الخصوم ، فحين وصلا وقف نور الدين مع خصمه بين يدى القاضى ، حتى انفصلت الخصومة والحكومة ، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق ، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل ، فلما تبين ذلك قال السلطان إنما جئت معه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دعى إليه ، فانما نحن معاشر الحكام أعلانا وأدنانا شحنكية لرسول الله ﷺ ولشرعه

فنحن قائمون بين يديه طوع مراسيمه ، فما أمر به امتثلناه ، وما نهانا عنه اجتنبناه ، وأنا أعلم أنه لاحق للرجل عندى ، ومع هذا أشهدكم أنى قد ملكته ذلك الذى ادعى به ووهبته له . قال ابن الأثير : وهو أول من ابتنى داراً للعدل ، وكان يجلس فيها فى الأسبوع مرتين ، وقيل أربع مرات ، وقيل خمس . ويحضر القاضى والفقهاء من سائر المذاهب ، ولا يحجبه يومئذ حاجب ولا غيره بل يصل إليه القوى والضعيف ، فكان يكلم الناس و يستفهمهم ويخاطبهم بنفسه ، فيكشف المظالم ، و ينصف المظلوم من الظالم ، وكان سبب ذلك أن أسد الدين شيركوه بن شادى كان قد عظم شأنه عند نور الدين ، حتى صار كأنه شريكه فى المملكة ، واقتنى الأملاك والأموال والمزارع والقرى ، وكان ربما ظلم نوابه جيرانه فى الأراضى والأملاك العدل ، وكان القاضى كمال الدين ينصف كل من استعداه على جميع الأمراء إلا أسد الدين هذا فما كان يهجم عليه ، فلما ابتنى نور الدين دار العدل تقدم أسد الدين إلى نوابه أن لا يدعوا لأحد عنده ظلامة ، و إن كانت عظيمة ، فان زوال ماله عنده أحب إليه من أن يراه نور الدين بعين ظالم ، أو يوقفه مع خصم من العامة ، ففعلوا ذلك ، فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة ولم ير أحدا يستعدى على أسد الدين ، سأل القاضى عن ذلك فأعلمه بصورة الحال ، فسجد نور الدين شكراً لله ، وقال الحمد لله الذى أصحابنا ينصفون من أنفسهم.

وأما شجاعته فيقال : إنه لم ير على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه ، وكان حسن اللعب بالكرة وكان ربما ضربها ثم يسوق وراءها ويأخذها من الهوى بيده ، ثم يرميها إلى آخر الميدان ، ولم يز جوكانه يعلو على رأسه ، ولا يرى الجوكان فى يده ، لأن الكم سائر لها ، ولكنه استهانة بلعب الكرة ، وكان شجاعا صبوراً فى الحرب ، يضرب المثل به فى ذلك ، وكان يقول : قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لى ذلك ، ولو كان فى خير ولى عند الله قيمة لرزقنيها ، والأعمال بالنية . وقال له يوماً قطب الدين النيسابورى : بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك فانك لو قتلت قتل جميع من معك ، وأخذت البلاد ، وفسد حال المسلمين . فقال : له اسكت يا قطب الدين فان قولك إساءة أدب على الله ، ومن هو محمود ؟ من كان يحفظ الدين والبلاد قبلى غير الذى لا إله إلا هو ؟ ومن هو محمود ؟ قال فبكى من كان حاضرا رحمه الله .

وقد أسر بنفسه فى بعض الغزوات بعض ملوك الافرنج فاستشار الأمراء فيه هل يقتله أو يأخذ ما يبذل له من المال ؟ وكان قد بذل له فى فداء نفسه مالا كثيرا ، فاختلفوا عليه ثم حسن فى رأيه إطلاقه وأخذ الفداء منه ، فبعث إلى بلده من خلاصته من يأتيه بما افتدى به نفسه ، فجاء به سريعا فأطلقه نور الدين ، فحين وصل إلى بلاده مات ذلك الملك ببلده ، فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه ، و بنى من ذلك المال المارستان الذى بدمشق ، وليس له فى البلاد نظير ، ومن شرطه أنه على الفقراء والمساكين

و إذا لم يوجد بعض الأدوية التى يعز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ، ومن جاء إليه فلا يمنع من شرابه ، ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شرابه رحمه الله .

قلت : ويقول بعض الناس إنه لم تخمد منه النار منذ بنى إلى زماننا هذا فالله أعلم . وقد بنى الخانات الكثيرة فى الطرقات والأبراج ، ورتب الخفراء فى الأماكن المخوفة ، وجعل فيها الحمام الهوادى التى تطلعه على الأخبار فى أسرع مدة ، و بنى الربط والخانقات ، وكان يجمع الفقهاء عنده والمشايخ والصوفية ويكرمهم و يعظمهم ، وكان يحب الصالحين ، وقد نال بعض الأمراء مرة عنده من بعض الفقهاء ، وهو قطب الدين النيسابورى ، فقال له نور الدين : ويحك إن كان ما تقول حقا فله من الحسنات الكثيرة الماحية لذلك ما ليس عندك مما يكفر عنه سيئات ما ذكرت إن كنت صادقا ، على أنى والله لا أصدقك ، و إن عدت ذكرته أو أحدا غيره عندى بسوء لأوذينك ، فكف عنه ولم يذكره بعد ذلك . وقد ابتنى بدمشق داراً لاستماع الحديث و إسماعه . قال ابن الأثير : وهو أول من بنى دار حديث ، وقد كان مهيبا وقوراً شديد الهيبة فى قلوب الأمراء ، لايتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا باذنه ، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس بلا إذن سوى الأمير نجم الدين أيوب ، وأما أسد الدين شيركوه ومجد الدين بن الداية نائب حلب ، وغيرهما من الأكابر فكانوا يقفون بين يديه ، ومع هذا كان إذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام له ومشى خطوات وأجلسه معه على سجادته فى وقار وسكون ، و إذا أعطى أحداً منهم شيئا مستكثرا يقول : هؤلاء جند الله و بدعائهم ننصر على الأعداء ، ولهم فى بيت المال حق أضعاف ما أعطيهم ، فاذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنة علينا. وقد سمع عليه جزء حديث وفيه « خرج رسول الله ﷺ متقلدا السيف » فجعل يتعجب من تغيير عادات الناس لما ثبت عنه عليه السلام ، وكيف يربط الاجناد والأمراء على أوساطهم ولا يفعلون كما فعل رسول الله ﷺ ، ثم أمر الجند بأن لا يحملوا السيوف إلا متقلديها ، ثم خرج هو فى اليوم الثانى إلى الموكب وهو متقلد السيف وجميع الجيش كذلك ، يريد بذلك الاقتداء برسول الله ﷺ فرحمه الله.

وقص عليه وزيره موفق الدين خالد بن محمد بن نصر القيسرانى الشاعر أنه رأى فى منامه كأنه يغسل ثياب الملك نور الدين ، فأمره بأن يكتب مناشير بوضع المكوس والضرائب عن البلاد ، وقال له هذا تأويل رؤياك . وكتب إلى الناس ليكون منهم فى حل مما كان أخذ منهم ، ويقول لهم إنما صرف ذلك فى قتال أعدائكم من الكفرة والذب عن بلادكم ونسائكم وأولادكم . وكتب بذلك إلى سائر ممالكه و بلدان سلطانه ، وأمر الوعاظ أن يستحلوا له من التجار ، وكان يقول فى سجوده : اللهم ارحم المكاس العشار الظالم محمود الكلب ، وقيل إن برهان الدين البلخى أنكر على الملك نور الدين فى استعانته فى حروب الكفار بأموال المكوس ، وقال له مرة : كيف تنصرون وفى عساكركم

الخمور والطبول والزمور ؟ ويقال إن سبب وضعه المكوس عن البلاد أن الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبى محمد الواسطى ــ وكان من الصالحين الكبار ، وكان هذا الرجل ليس له شىء ولا يقبل من أحد شيئا ، إنما كانت له جبة يلبسها إذا خرج إلى مجلس وعظه ، وكان يجتمع فى مجلس وعظه الألوف من الناس ــ أنشد نور الدين أبياتا تتضمن ما هو متلبس به فى ملكه ، وفيها تخويف وتحذير شديد له : —

مثل وقوفك أيها المغرور * يوم القيامة والسماء تمور
إن قيل نور الدين رحت مسلما * فاحذر بأن تبقى ومالك نور
أنهيت عن شرب الخمور وأنت فى * كأس المظالم طائش مخمور
عطلت كاسات المدام تعففا * وعليك كاسات الحرام تدور
ماذا تقول إذا نقلت إلى البلى * فرداً وجاءك منكر ونكير؟
ما ذا تقول إذا وقفت بموقف * فرداً ذليلا والحساب عسير؟
وتعلقت فيك الخصوم وأنت فى * يوم الحساب مسلسل مجرور
وتفرقت عنك الجنود وأنت فى * ضيق القبور موسد مقبور
ووددت أنك ما وليت ولاية * يوماً ولا قال الانام أمير
وبقيت بعد العز رهن حفيرة * فى عالم الموتى وأنت حقير
وحشرت عريانا حزيناً باكياً * قلقا ومالك فى الأنام مجير
أرضيت أن تحيا وقلبك دارس * عافى الخراب وجسمك المعمور
أرضيت أن يحظى سواك بقربه * أبداً وأنت معذب مهجور
مهد لنفسك حجة تنجو بها * يوم المعاد ويوم تبدو العور

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاء شديداً ، وأمر بوضع المكوس والضرائب فى سائر البلاد . وكتب إليه الشيخ عمر الملا من الموصل ــ وكان قد أمر الولاة والأمراء بها أن لا يفصلوا بها أمراً حتى يعلموا الملا به ، فما أمرهم به من شىء امتثلوه ، وكان من الصالحين الزاهدين ، وكان نور الدين يستقرض منه فى كل رمضان مايفطر عليه ، وكان يرسل إليه بفتيت ورقاق فيفطر عليه جميع رمضان ــ فكتب إليه الشيخ عمر بن الملا هذا : إن المفسدين قد كثروا ، ويحتاج إلى سياسة ومثل هذا لايجىء إلا بقتل وصلب وضرب ، وإذا أخذ إنسان فى البرية من يجىء يشهد له ؟ فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه : إن الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم ، ولو علم أن فى الشريعة زيادة فى المصلحة لشرعها لنا ، فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ماشرعه الله تعالى

فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته ، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه ، والعقول المظلمة لا تهتدى ، والله سبحانه يهدينا و إياك إلى صراط مستقيم . فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عمر الملاجمع الناس بالموصل وقرأ عليهم الكتاب وجعل يقول : انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك ، وكتاب الملك إلى الزاهد ،

وجاء إليه أخو الشيخ أبي البيان يستعديه على رجل أنه سبه و رماه بأنه برائى وأنه وأنه ، وجعل يبالغ فى الشكاية عليه ، فقال له السلطان : أليس الله تعالى يقول (و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) وقال (وأعرض عن الجاهلين) فسكت الشيخ ولم يحرجوابا . وقد كان نور الدين يعتقده و يعتقد أخاه أبا البيان ، وأتاه زائرا مرات ، و وقف عليه وقفا . وقال الفقيه أبو الفتح الأشرى معيدالنظامية ببغداد ، وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين ، قال : وكان نور الدين محافظا على الصلوات فى أوقاتها فى جماعة بتمام شروطها والقيام بها بأركانها والطمأنينة فى ركوعها وسجودها ، وكان كثير الصلاة بالليل ، كثير الابتهال فى الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل فى أموره كلها . قال : و بلغنا عن جماعة من الصوفية ممن يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام أخذ القدس الفرنج فسمعهم يقولون : إن القسيم ابن القسيم - يعنون نور الدين - له مع الله سر ، فانه لم يظفر و ينصر علينا بكثرة جنده وجيشه ، و إنما يظفر علينا و ينصر بالدعاء وصلاة الليل ، فانه يصلى بالليل و يرفع يده إلى الله و يدعو فانه يستجيب له و يعطيه سؤله فيظفر علينا . قال : فهذا كلام الكفار فى حقه .

وحكى الشيخ أبو شامة أن نور الدين وقف بستان الميدان سوى الغيضة التى تليه نصفه على تطييب جامع دمشق ، والنصف الآخر يقسم عشرة أجزاء جزآن على تطييب المدرسة التى أنشأها للحنفية ، والثمانية أجزاء الأخرى على تطييب المساجد التسعة ، وهى مسجد الصالحين بجبل قيسون وجامع القلعة ، ومسجد عطية ، ومسجد ابن لبيد بالعسقار ، ومسجد الرماحين المعلق ، ومسجد العباس بالصالحية ، ومسجد دار البطيخ المعلق ، والمسجد الذى جدده نور الدين جوار بيعة اليهود ، لكل من هذه المساجد جزء من إحدى عشر جزء من النصف . ومناقبه ومآثره كثيرة جداً . وقد ذكرنا نبذة من ذلك يستدل بها على ما وراءها .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين فى أول الروضتين كثيرا من محاسنه ، وذكر ما مدح به من القصائد ، وذكر أنه لما فتح أسد الدين الديار المصرية ثم مات ، ثم تولى صلاح الدين هم بعزله عنها واستنابة غيره فيها غير مرة ، ولكن يعوقه عن ذلك و يصده قتال الفرنج ، واقتراب أجله ، فلما كان فى هذه السنة - وهى سنة تسع وستين وخمسمائة - وهى آخر مدته ، أضمر على الدخول إلى الديار المصرية وصمم عليه ، وأرسل إلى عساكر بلاد الموصل وغيرها ليكونوا ببلاد الشام حفظا لها من الفرنج فى غيبته

ويركب هو فى جمهور الجيش إلى مصر ، وقدخاف منه الملك صلاح الدين خوفا شديداً ، فلما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة ركب إلى الميدان الأخضر القبلى وصلى فيه صلاة عيد الفطر ، وكان ذلك نهار الأحد ، ورمى العتق فى الميدان الأخضر الشمالى ، والقدر يقول له : هذا آخر أعيادك ، ومد فى ذلك اليوم سماطا حافلا ، وأمر بانتهابه ، وطهر ولده الملك الصالح إسماعيل فى هذا اليوم ، وزينت له البلد ، وضربت البشائر للعيد والختان ، ثم ركب فى يوم الاثنين وأكب على العادة ثم لعب بالكرة فى ذلك اليوم ، فحصل له غيظ من بعض الأمراء ـ ولم يكن ذلك من سجيته ـ فبادر إلى القلعة وهو كذلك فى غاية الغضب ، وانزعج ودخل فى حيز سوء المزاج ، واشتغل بنفسه وأوجاعه ، وتنكرت عليه جميع حواسه وطباعه ، واحتبس أسبوعا عن الناس ، والناس فى شغل عنه بما هم فيه من اللعب والانشراح فى الزينة التى نصبوها لأجل طهور ولده ، فهذا يجود بروحه ، وهذا يجود بموجوده ، سروراً بذلك ، فانعكست تلك الافراح بالأتراح ، ونسخ الجدذلك المزاح ، وحصلت للملك خوانيق فى حلقه منعته من النطق ، وهذا شأن أوجاع الحلق ، وكان قد أشير عليه بالفصد فلم يقبل ، وبالمبادرة إلى المعالجة فلم يفعل ، وكان أمر الله قدرا مقدوراً . فلما كان يوم الأربعاء الحادى عشر من شوال من هذه السنة قبض إلى رحمة الله تعالى عن ثمان وخمسين سنة ، مكث منها فى الملك ثمان وعشرين سنة رحمه الله ، وصلى عليه بجامع القلعة بدمشق ، ثم حول إلى تربته التى أنشأها للحنفية بين باب الخواصين ، وباب الخيميين على الدرب ، وقبره بها يزار ، ويحلق بشباكه ، ويطيب ويتبرك به كل مار ، فيقول قبر نور الدين الشهيد ، لما حصل له فى حلقه من الخوانيق ، وكذا كان يقال لابنه الشهيد ويلقب بالقسيم ، وكانت الفرنج تقول له القسيم ابن القسيم . وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة قد أوردها أبو شامة ، وما أحسن ما قاله العماد :

عجبت من الموت لما أتى * إلى ملك فى سجايا ملك

وكيف ثوى الفلك المستدير * برى الأرض وسط فلك

وقال حسان الشاعر الملقب بالعرقلة فى مدرسة نور الدين لما دفن بها رحمه الله تعالى .

ومدرسة ستدرس كل شئ * وتبقى فى حمى علم ونسك

تضوع ذكرها شرقا وغربا * بنور الدين محمود بن زنكى

يقول وقوله حق وصدق * بغير كناية وبغير شك

دمشق فى المدائن بيت ملكى * وهذى فى المدارس بنت ملكى

﴿ صفة نور الدين رحمه الله تعالى ﴾

كان طويل القامة أسمر اللون حلو العينين واسع الجبين ، حسن الصورة ، تركى الشكل ، ليس له لحية إلا فى حنكه ، مهيباً متواضعاً عليه جلالة ونور ، يعظم الاسلام وقواعد الدين ، ويعظم الشرع

فصل

فلما مات نور الدين فى شوال من هذه السنة بويع من بعده بالملك لولده الصالح إسماعيل ، وكان صغيراً ، وجعل أتابكه الأمير شمس الدين بن مقدم ، فاختلف الأمراء وحادت الآراء وظهرت الشرور ، وكثرت الخمور ، وقد كانت لاتوجد فى زمنه ولا أحد يجسر أن يتعاطى شيئا منها ، ولامن الفواحش ، وانتشرت الفواحش وظهرت حتى أن ابن أخيه سيف الدين غازى بن مودود صاحب الموصل لما تحقق موته - وكان محصوراً منه - نادى مناديه بالبلد بالمسامحة باللعب واللهو والشراب والمسكر والطرب ، ومع المنادى دف وقدح ومزمار الشيطان ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد كان ابن أخيه هذا وغيره من الملوك والأمراء الذين له حكم عليهم ، لا يستطيع أحد منهم أن يفعل شيئا من المناكر والفواحش ، فلما مات مرج أمرهم وعاثوا فى الأرض فسادا وتحقق قول الشاعر :

ألا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا وقد أمكن الجهر

وطمعت الأعداء من كل جانب فى المسلمين ، وعزم الفرنج على قصد دمشق وانتزاعها من أيدى المسلمين ، فبرز إليهم ابن مقدم الأتابك فواقعهم عند بانياس فضعف عن مقاومتهم ، فهادنهم مدة ، ودفع إليهم أموالا جزيلة عجلها لهم ، ولولا أنه خوفهم بقدوم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما هادنوه . ولما بلغ ذلك صلاح الدين كتب إلى الأمراء وخاصة ابن مقدم يلومهم على ما صنعوا من المهادنة ودفع الأموال إلى الفرنج ، وهم أقل وأذل ، وأخبرهم أنه على عزم قصد البلاد الشامية ليحفظها من الفرنج ، فردوا إليه كتابا فيه غلظة ، وكلام فيه بشاعة ، فلم يلتفت إليهم ، ومن شدة خوفهم منه كتبوا إلى سيف الدين غازى صاحب الموصل ليملكوه عليهم ليدفع عنهم كيد الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر ، فلم يفعل لأنه خاف أن يكون مكيدة منهم له ، وذلك أنه كان قد هرب منه الطواشى سعد الدولة مستكين الذى كان قد جعله الملك نور الدين عينا عليه ، وحافظا له من تعاطى مالا يليق من الفواحش والخمر واللعب واللهو . فلما مات نور الدين ونادى فى الموصل تلك المناداة القبيحة خاف منه الطواشى المذكور أن يمسكه فهرب منه سرا ، فلما تحقق غازى موت عمه بعث فى إثر هذا الخادم ففاته فاستحوذ على حواصله ، ودخل الطواشى حلب ثم سار إلى دمشق فاتفق مع الأمراء على أن يأخذوا ابن نور الدين الملك الصالح إسماعيل إلى حلب فيربيه هنالك مكان ربى والده ، وتكون دمشق مسلمة إلى الأتابك شمس الدولة بن مقدم ، والقلعة إلى الطواشى جمال الدين ريحان. فلما سار الملك الصالح من دمشق خرج معه الكبراء والأمراء من دمشق إلى حلب ، وذلك فى الثالث والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وحين وصلوا حلب جلس الصبى على سرير ملكها

واحتاطوا على بنى الداية شمس الدين بن الداية أخو مجد الدين الذى كان رضيع نورالدين ، وإخوته الثلاثة ، وقد كان شمس الدين على بن الداية يظن أن ابن نور الدين يسلم إليه فيربيه ، لأنه أحق الناس بذلك ، فخيبوا ظنه وسجنوه وإخوته فى الجب ، فكتب الملك صلاح الدين إلى الامراء [يلومهم] على ما فعلوا من نقل الولد من دمشق إلى حلب ، ومن حبسهم بنى الداية وهم من خيار الأمراء ورؤس الكبراء ، ولم لا يسلموا الولد إلى مجد الدين بن الداية الذى هو أحظى عند نور الدين وعند الناس منهم . فكتبوا إليه يسيئون الأدب عليه ، وكل ذلك يزيده حنقا عليهم ، ويحرضه على القدوم إليهم ، ولكنه فى الوقت فى شغل شاغل لما دهمه ببلاد مصر من الأمر الهائل ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى فى أول السنة الآتية

وممن توفى فيها من الأعيان والمشاهير .

﴿ الحسن بن الحسن ﴾

ابن أحمد بن محمد العطار ، أبو العلاء الهمدانى الحافظ ، سمع الكثير ورحل إلى بلدان كثيرة ، اجتمع بالمشايخ وقدم بغداد وحصل الكتب الكثيرة ، واشتغل بعلم القراءات واللغة ، حتى صار أوحد زمانه فى علمى الكتاب والسنة ، وصنف الكتب الكثيرة المفيدة ، وكان على طريقة حسنة سخياً عابدا زاهدا صحيح الاعتقاد حسن السمت ، له ببلده المكانة والقبول التام ، وكانت وفاته ليلة الخميس الحادى عشر من جماد الآخرة من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين بأربعة أشهر وأيام . قال ابن الجوزى : وقد بلغنى أنه رؤى فى المنام أنه فى مدينة جميع جدرانها كتب وحوله كتب لا تعد ولا تحصى ، وهو مشتغل بمطالعتها ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال سألت الله أن يشغلنى بما كنت أشتغل به فى الدنيا فأعطانى . وفيها توفى ﴿ الأهوازى ﴾

خازن كتب مشهد أبى حنيفة ببغداد ، توفى فجأة فى ربيع الأول من هذه السنة .

﴿ محمود بن زنكى بن آقسنقر ﴾

السلطان الملك العادل نور الدين ، صاحب بلاد الشام وغيرها من البلدان الكثيرة الواسعة ، كان مجاهدا فى الفرنج ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، محباً للعلماء والفقراء والصالحين ، مبغضاً للظلم ، صحيح الاعتقاد ، مؤثرا لأفعال الخير ، لا يجسر أحد أن يظلم أحدا فى زمانه ، وكان قد قمع المناكر وأهلها ، ورفع العلم والشرع ، وكان مدمنا لقيام الليل يصوم كثيرا ، ويمنع نفسه عن الشهوات ، وكان يحب التيسير على المسلمين ، ويرسل البر إلى العلماء والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ، وليست الدنيا عنده بشئ رحمه الله وبل ثراه بالرحمة والرضوان . قال ابن الجوزى : استرجع نورالدين محمود بن زنكى رحمه الله تعالى من أيدى الكفار نيفا وخمسين مدينة ، وقد كان يكاتبنى وأكاتبه ، قال : ولما

حضرته الوفاة أخذ العهد على الأمراء من بعده لولده - يعنى الصالح إسماعيل - وجدد العهد مع صاحب طرابلس أن لا يغير على الشام فى المدة التى كان ماده فيها ، وذلك أنه كان قد أسره فى بعض غزواته وأسر معه جماعة من أهل دولته ، فافتدى نفسه منه بثلاثمائة ألف دينار وخمسمائة حصان وخمسمائة وردية ومثلها برانس ، أى لبوس ، وقنطوريات وخمسمائة أسير من المسلمين ، وعاهده أن لا يغير على بلاد المسلمين لمدة سبعة سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام ، وأخذ منه رهائن على ذلك مائة من أولاده وأولاد أكابر الفرنج و بطارقتهم ، فان نكث أراق دماءهم ، وكان قد عزم على فتح بيت المقدس شرفه الله ، فوافته المنية فى شوال من هذه السنة ، والأعمال بالنيات ، فحصل له أجر ما نوى ، وكانت ولايته ثمان وعشرين سنة وأشهرا ، وقد تقدم ذلك . وهذا مقتضى ما ذكره ابن الجوزى ومعناه .

﴿ الخضر بن نصر ﴾

على بن نصر الأربلى الفقيه الشافعى ، أول من درس بأربل فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وكان فاضلا دينا ، انتفع به الناس ، وكان قد اشتغل على الكيا الهراسى وغيره ببغداد ، وقدم دمشق فأرخه ابن عساكر فى هذه السنة ، وترجمه ابن خلكان فى الوفيات ، وقال قبره يزار ، وقد زرته غير مرة ، ورأيت الناس ينتابون قبره ويتبركون به ، وهذا الذى قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور . وفيها هلك ملك الفرنج مرى لعنه الله ، وأظنه ملك عسقلان ونحوها من البلاد ، وقد كان قارب أن يملك الديار المصرية لولا فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين .

﴿ ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة ﴾

استهلت [هذه السنة] والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام لأجل حفظه من الفرنج ، ولكن دهمه أمر شغله عنه ، وذلك أن الفرنج قدموا إلى الساحل المصرى فى أسطول لم يسمع بمثله ، وكثرة مراكب وآلات من الحرب والحصار والمقاتلة ، من جملة ذلك مائتى شينى فى كل منها مائة وخمسون مقاتلا ، وأربعمائة قطعة أخرى ، وكان قدومهم من صقلية إلى ظاهر اسكندرية قبل رأس السنة بأربعة أيام ، فنصبوا المنجنيقات والدبابات حول البلد ، وبرز إليهم أهلها فقاتلوهم دونها قتالا شديدا أياماً ، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ، ثم اتفق أهل البلد على حريق المنجانيق والدبابات ففعلوا ذلك ، فأضعف ذلك قلوب الفرنج ، ثم كبسهم المسلمون فقتلوا منهم جماعة وغنموا منهم ما أرادوا ، فانهزم الفرنج فى كل وجه ، ولم يكن لهم ملجأ إلا البحر أو القتل أو الأسر ، واستحوذ المسلمون على أموالهم وعلى خيولهم وخيامهم ، وبالجملة قتلوا خلقا من الرجال وركب من بقى منهم فى أسطول إلى بلادهم خائبين .

ومما عوق الملك الناصر عن الشام أيضاً أن رجلا يعرف بالكنز سماه بعضهم عباس بن شادى

وكان من مقدمى الديار المصرية والدولة الفاطمية ، كان قد استند إلى بلد يقال له أسوان ، وجعل يجمع عليه الناس ، فاجتمع عليه خلق كثير من الرعاع من الحاضرة والغربان والرعيان ، وكان يزعم إليهم أنه سيعيد الدولة الفاطمية ، ويدحض الأتابكة التركية ، فالتف عليه خلق كثير ، ثم قصدوا قوص وأعمالها ، وقتل طائفة من أمرائها ورجالها ، فجرد إليه صلاح الدين طائفة من الجيش وأمر عليهم أخاه الملك العادل أبا بكر الكردى ، فلما التقيا هزمه أبو بكر وأسر أهله وقتله .

فصل

فلما تمهدت البلاد ولم يبق بها رأس من الدولة العبيدية ، برز السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى الجيوش التركية قاصدا البلاد الشامية ، وذلك حين مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكى وأخيف سكانها وتضعضعت أركانها ، واختلف حكامها ، وفسد نقضها وإبرامها ، وقصده جمع شملها والاحسان إلى أهلها ، وأمن سهلها وجبلها ، ونصرة الاسلام ودفع الطغام وإظهار القرآن وإخفاء سائر الأديان ، وتكسير الصلبان فى رضى الرحمن ، وإرغام الشيطان . فنزل البركة فى مستهل صفر وأقام بها حتى اجتمع عليه العسكر واستناب على مصر أخاه أبا بكر ، ثم سار إلى بلبيس فى الثالث عشر من ربيع الأول ، فدخل مدينة دمشق فى يوم الاثنين سلخ ربيع الأول ، ولم ينتطح فيها عنزان ، ولا اختلف عليه سيفان ، وذلك أن نائبها شمس الدين بن مقدم كان قد كتب إليه أولا فأغلظ له فى الكتاب ، فلما رأى أمره متوجها جعل يكاتبه ويستحثه على القدوم إلى دمشق ، ويعده بتسليم البلد ، فلما رأى الجد لم يمكنه المخالفة ، فسلم البلد إليه بلا مدافعة ، فنزل السلطان أولا فى دار والده دار العقيلى التى بناها الملك الظاهر بيبرس مدرسة ، وجاء أعيان البلد للسلام عليه فرأوا منه غاية الاحسان ، وكان نائب القلعة إذ ذاك الطواشى ريحان ، فكاتبه وأجزل نواله حتى سلمها إليه ، ثم نزل إليه فأكرمه واحترمه ، ثم أظهر السلطان أنه أحق الناس بتربية ولد نور الدين ، لما لنور الدين عليهم من الاحسان المتين ، وذكر أنه خطب لنور الدين بالديار المصرية ، ثم إن السلطان عامل الناس بالاحسان وأمر بإبطال ما أحدث بعد نور الدين من المكوس والضرائب ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور .

فصل

فلما استقرت له دمشق بحذافيرها نهض إلى حلب مسرعا لما فيها من التخبيط والتخليط ، واستناب على دمشق أخاه طغتكين بن أيوب الملقب بسيف الاسلام ، فلما اجتاز حمص أخذ ربضها

ولم يشتغل بقلعتها ، ثم سار إلى حماه فتسلمها من صاحبها عز الدين بن جبريل ، وسأله أن يكون سفيره بينه و بين الحلبيين ، فأجابه إلى ذلك ، فسار إليهم فحذرهم بأس صلاح الدين فلم يلتفتوا إليه ، بل أمروا بسجنه واعتقاله ، فأبطأ الجواب على السلطان ، فكتب إليهم كتابا بليغا يلومهم فيه على ما هم فيه من الاختلاف ، وعدم الائتلاف ، فردوا عليه أسوأ جواب ، فأرسل إليهم يذكرهم أيامه وأيام أبيه وعمه فى خدمة نور الدين فى المواقف المحمودة التى يشهد لهم بها أهل الدين ، ثم سار إلى حلب فنزل على جبل جوشن ، ثم نودى فى أهل حلب بالحضور فى ميدان باب العراق ، فاجتمعوا فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين فتودد إليهم وتباكى لديهم وحرضهم على قتال صلاح الدين ، وذلك عن إشارة الأمراء المقدمين ، فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد ، وشرط عليه الروافض منهم أن يعاد الأذان بحى على خير العمل ، وأن يذكر فى الأسواق ، وأن يكون لهم فى الجامع الجانب الشرقى ، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثنى عشر بين يدى الجنائز ، وأن يكبروا على الجنازة خمساً ، وأن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف أبى طاهر بن أبى المكارم حمزة بن زاهر الحسينى ، فأجيبوا إلى ذلك كله ، فأذن بالجامع وسائر البلد بحى على خير العمل ، وعجز أهل البلد عن مقاومة الناصر ، وأعملوا فى كيده كل خاطر ، فأرسلوا أولا إلى شيبان صاحب الحسبة فأرسل نفراً من أصحابه إلى الناصر ليقتلوه فلم يظفر منه بشىء ، بل قتلوا بعض الأمراء ، ثم ظهر عليهم فقتلوا عن آخرهم ، فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجى ، ووعدوه بأموال جزيلة إن هو رحل عنهم الناصر ، وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين ، ثم افتدى نفسه بمائة ألف دينار وألف أسير من المسلمين ، وكان لاينساها لنور الدين ، بل قصد حمص ليأخذها فركب إليه السلطان الناصر ، وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس سرية فقتلوا وأسروا وغنموا ، فلما اقترب الناصر منه نكص على عقبيه راجعاً إلى بلده ، ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا منه ، فلما فصل الناصر إلى حمص لم يكن قد أخذ قلعتها فتصدى لأخذها ، فنصب عليها المنجنيقات فأخذها قسرا وملكها قهرا ، ثم كر راجعاً إلى حلب ، فأناله الله فى هذه الكرّة ما طلب ، فلما نزل بها كتب إليهم القاضى الفاضل على لسان السلطان كتابا بليغاً فصيحاً فائقا رائقا ، على يدى الخطيب شمس الدين يقول فيه : « فاذا قضى التسليم حق اللقا فاستدعى الاخلاص جهد الدعا ، فليعُد وليعِد حوادث ما كان حديثا يفترى ، وحوارى أمور إن قال فيها كثيرا فأكثر منه ما قد جرى ، وليشرح صدر منها لعله يشرح منها صدرا ، وليوضح الأحوال المستبشرة فان الله لا يعبد سرا .

ومن العجائب أن تسير غرائب * فى الأرض لم يعلم بها المأمول
كالعيس أقتل ما يكون لها الصدى * والماء فوق ظهورها محمول

فأنا كنا نقتبس النار بأكفنا ، وغيرنا يستنير ، ونستنبط الماء بأيدينا وسوانا يستمير ، ونلتقى السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير ، والآبدان تسترد بضاعتنا بموقف العدل الذى يرد به المغصوب ونظهر طاعتنا فنأخذ بحظ كما أخذ بحظ القلوب ، وكان أول أمرنا أنا كنا فى الشام نفتح الفتوح بمباشرتنا أنفسنا ، ونجاهد الكفار متقدمين بعساكرنا ، نحن ووالدنا وعمنا ، فأى مدينة فتحت أوأى معقل للعدو أو عسكر أو مصاف للاسلام معه ضرب ؟ فما يجهل أحد صنعنا ، ولا يجحد عدونا أن يصطلى الجمرة ونملك الكرة ، ونقدم الجماعة ونرتب المقاتلة ، وندبر التعبئة ، إلى أن ظهرت فى الشام الآثار التى لنا أجرها ، ولايضرنا أن يكون لغيرنا ذكرها » ثم ذكر ما صنعوا بمصر من كسر الكفر وإزالة المنكر وقمع الفرنج وهدم البدع ، وما بسط من العدل ونشر من الفضل ، وما أقامه من الخطب العباسية ببلاد مصر واليمن والنوبة وإفريقية وغير ذلك ، بكلام بسيط حسن .

فلما وصلهم الكتاب أساؤا الجواب ، وقد كانوا كاتبوا صاحب الموصل سيف الدين غازى بن مودود أخى نور الدين محمود بن زنكى ، فبعث إليهم أخاه عز الدين فى عساكره ، وأقبل إليهم فى دساكره ، وانضاف إليهم الحلبيون وقصدوا حماه فى غيبة الناصر واشتغاله بقلعة حمص وعمارتها ، فلما بلغه خبرهم سار إليهم فى قل من الجيش ، فانتهى إليهم وهم فى جحافل كثيرة ، فواقفوه وطمعوا فيه لقلة من معه ، وهموا بمناجزته فجعل يداريهم ويدعوهم إلى المصالحة لعل الجيش يلحقونه ، حتى قال لهم فى جملة ما قال : أنا أقنع بدمشق وحدها وأقيم بها الخطبة للملك الصالح إسماعيل ، وأترك ما عداها من أرض الشام ، فامتنع من المصالحة الخادم سعد الدولة كمشتكين ، إلا أن يجعل لهم الرحبة التى هى بيد ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين ، فقال ليس لى ذلك ، ولا أقدر عليه ، فأبوا الصلح وأقدموا على القتال ، فجعل جيشه كردوساً واحداً ، وذلك يوم الأحد التاسع عشر من رمضان عند قرون حماه ، وصبر صبراً عظيما ، وجاء فى أثناء الحال ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه ومعه أخوه فروخ شاه فى طائفة من الجيش ، وقد ترجح دسته عليهم ، وخلص رعبه إليهم ، فولوا هنالك هاربين ، وتولوا منهزمين ، فأسر من أسر من رؤسهم ، ونادى أن لا يتبع مدبر ولايذفف على جريح ثم أطلق من وقع فى أسره وسار على الفور إلى حلب ، وقد انعكس عليهم الحال وآلوا إلى شر مآل فبالأمس كان يطلب منهم المصالحة والمسالمة ، وهم اليوم يطلبون منه أن يكف عنهم ويرجع ، على أن المعرة وكفر طاب وماردين له زيادة على ما بيده من أراضى حماه وحمص ، فقبل ذلك وكف عنهم وحلف على أن لا يغزو بعدها الملك الصالح ، وأن يدعو له على سائر منابر بلاده ، وشفع فى بنى الداية أخوه مجد الدين ، على أن يخرجوا ، ففعل ذلك ثم رجع مؤيدا منصوراً .

فلما كان بحماه وصلت إليه رسل الخليفة المستضئ بأمر الله بالخلع السنية والتشريفات العباسية

والأعلام السود ، والتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام ، وأفيضت الخلع على أهله وأقاربه وأصحابه وأعوانه ، وكان يوما مشهودا . واستناب على حماه ابن خاله وصهره الأمير شهاب الدين محمود ، ثم سار إلى حمص فأطلقها إلى ابن عمه ناصر الدين ، كما كانت من قبله لأبيه شيركوه أسد الدين ، ثم بعلبك على البقاع إلى دمشق فى ذى القعدة .

وفيها ظهر رجل من قرية مشغرا من معاملة دمشق وكان مغربياً فادعى النبوة ، وأظهر شيئا من المخاريق والمحاييل والشعبذة والأبواب النارنجية ، فافتتن به طوائف من الهمج والعوام ، فتطلبه السلطان فهرب إلى معاملة حلب ، فالف عليه كل مقطوع الذنب ، وأضل خلقا من الفلاحين ، وتزوج امرأة أحبها ، وكانت من أهل تلك البطائح فعلمها أن ادعت النبوة ، فأشبها قصة مسيلمة وسجاح . وفيها هرب وزير الخليفة ونهبت داره . وفيها درس أبو الفرج ابن الجوزى بمدرسة أنشئت للحنابلة فحضر عنده قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى والفقهاء والكبراء ، وكان يوما مشهودا ، وخلعت عليه خلعة سنية . وفيها توفى من الأعيان

﴿ روح بن أحمد ﴾

أبو طالب الحدثنى قاضى القضاة ببغداد فى بعض الأحيان ، وكان ابنه فى أرض الحجاز ، فلما بلغه موت أبيه مرض بعده فمات بعد أيام ، وكان ينبذ بالرفض .

﴿ شملة التركمانى ﴾

كان قد تغلب على بلاد فارس واستحدث قلاعا وتغلب على السلجوقية ، وانتظم له الدست نحواً من عشرين سنة ، ثم حاربه بعض التركمان فقتلوه .

﴿ قيماز بن عبد الله ﴾

قطب الدين المستنجدى ، وزر للخليفة المستضئ ، وكان مقدماً على العساكر كلها ، ثم خرج على الخليفة وقصد أن ينهب دار الخلافة فصعد الخليفة فوق سطح فى داره وأمر العامة بنهب دار قيماز ، فنهبت ، وكان ذلك بافتاء الفقهاء ، فهرب فهلك هو ومن معه فى المهامه والقفار .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ﴾

فيها طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين وهو مقيم بمرج الصفر أن يهادنهم فأجابهم إلى ذلك ، لأن الشام كان مجدبا ، وأرسل جيشه صحبة القاضى الفاضل إلى الديار المصرية ليستغلوا المغل ثم يقبلوا ، وعزم هو على المقام بالشام ، واعتمد على كاتبه العماد عوضاً عن القاضى ، ولم يكن أحد أعز عليه منه :

وما عن رضى كانت سليمى بديلة * ولكن للضرورات أحكام

وكانت إقامة السلطان بالشام و إرسال الجيش صحبة القاضى الفاضل غاية الحزم والتدبير ، ليحفظ ما استجد من الممالك خوفا عليه مما هنالك ، فلما أرسل الجيوش إلى مصر و بقى هو فى طائفة يسيرة والله قد تكفل له بالنصر ، كتب صاحب الموصل سيف الدين غازى ابن أخى نور الدين إلى جماعة الحلبيين يلومهم على ما وقع بينهم و بين الناصر من المصالحة ، وقد كان إذ ذاك مشغولا بمحاربة أخيه ومحاصرته ، وهو عماد الدين زنكى بسنجار ، وليست هذه بفعلة صالحة ، وما كان سبب قتاله لأخيه إلا لكونه أبى طاعة الملك الناصر ، فاصطلح مع أخيـه حين عرف قوة الناصر وناصريه ، ثم حرض الحلبيين على نقض العهود ونبذها إليه ، فأرسلوا إليه بالعهود التى عاهدوه عليها ودعوه إليها ، فاستعان عليهم بالله وأرسل إلى الجيوش المصرية ليقدموا عليه ، فأقبل صاحب الموصل بعساكره ودساكره ، واجتمع بابن عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وسار فى عشرين ألف مقاتل على الخيول المضمرة الجرد الأبابيل ، وسار نحوهم الناصر وهو كالهزبر الكاسر ، و إنما معه ألف فارس من الحماة ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، ولكن الجيوش المصرية قد خرجوا إليه قاصدين ، وله ناصرين فى جحافل كالجبال ، فاجتمع الفريقان وتداعوا إلى النزال ، وذلك فى يوم الخميس العاشر من شـوال فاقتتلوا قتالا شديدا ، حتى حمل الملك الناصر بنفسه الكريمة ، وكانت باذن الله الهزيمة ، فقتلوا خلقا من الحلبيين والمواصلة ، وأخذوا مضارب الملك سيف الدين غازى وحواصله ، وأسروا جماعة من رؤسهم فأطلقهم الناصر بعد ما أفاض الخلع على أبدانهم و رؤسهم ، وقد كانوا استعانوا بجماعة من الفرنج فى حال القتال ، وهذا ليس من أفعال الأبطال ، وقد وجد السلطان فى مخيم السلطان غازى سبتا من الأقفاص التى فيها الطيور المطربة ، وذلك فى مجلس شرابه المسكر ، وكيف من هذا حاله ومسلكه ينتصر ، فأمر السلطان بردها عليه وتسييرها إليـه ، وقال للرسول قل له بعد وصولك إليه وسلامك عليه : اشتغالك بهذه الطيور أحب إليك مما وقعت فيه من المحذور ، وغنم منهم شيئا كثيرا ففرقه على أصحابه غيباً وحضوراً ، وأنعم بخيمة سيف الدين غازى على ابن أخيه عزالدين فروخ شاه بن نجم الدين ، و رد ما كان فى وطاقه من الجوارى والمغنيات ، وقد كان معه أكثر من مائة مغنية ، و رد آلات اللهو واللعب إلى حلب ، وقال قولوا لهم هذه أحب إليكم من الركوع والسجود ، و وجد عسكر المواصلة كالحانة من كثرة الخمور والبرابط والملاهى ، وهذه سبيل كل فاسق ساه لاهى .

فصل

فلما رجعت الجيوش إلى حلب وقد انقلبوا شر منقلب ، وندموا على مانقضوا من الايمان ، وشقهم العصا على السلطان ، حصنوا البلد ، خوفا من الأسد ، وأسرع صاحب الموصل فوصلها ، وماصدق حتى

دخلها ، فلما فرغ الناصر مما غنم أسرع المسير إلى حلب وهو فى غاية القوة ، فوجدهم قد حصنوها ، فقال المصلحة أن نبادر الى فتح الحصون التى حول البلد ، ثم نعود إليهم فلا يمتنع علينا منهم أحد ، فشرع يفتحها حصنا حصنا ، ويهدم أركان دولتهم ركنا ركنا ، ففتح مراغة ومنبج ثم سار إلى إعزاز فأرسل الحلبيون إلى سنان فأرسل جماعة لقتل السلطان ، فدخل جماعة منهم فى جيشه فى زى الجند فقاتلوا أشد القتال ،حتى اختلطوا بهم فوجدوا ذات يوم فرصة والسلطان ظاهر للناس فحمل عليه واحد منهم فضربه بسكين على رأسه فاذا هو محترس منهم باللأمة ، فسلمه الله ،غير أن السكين مرت على خده فجرحته جرحا هيناً ، ثم أخذ الفداوى رأس السلطان فوضعه إلى الأرض ليذبحه ، ومن حوله قد أخذتهم دهشة ، ثم ثاب إليهم عقلهم فبادروا إلى الفداوى فقتلوه وقطعوه ، ثم هجم عليه آخر فى الساعة الراهنة فقتل ، ثم هجم آخر على بعض الأمراء فقتل أيضاً ، ثم هرب الرابع فأدرك فقتل ، وبطل القتال ذلك اليوم ، ثم صمم السلطان على البلد ففتحها وأقطعها ابن أخيه تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وقد اشتد حنقه على أهل حلب . لما أرسلوا إليه من الفداوية وإقدامهم على ذلك منه ، فجاء فنزل تجاه البلد على جبل جوشن ، وضربت خيمته على رأس البادوقية ، وذلك فى خامس عشر ذى الحجة ، وجبى الأموال وأخذ الخراج من القرى ، ومنع أن يدخل البلد شىء أو يخرج منه أحد ،واستمر محاصرا لها حتى انسلخت السنة .

وفى ذى الحجة من هذه السنة عاد نور الدولة أخو السلطان من بلاد اليمن إلى أخيه شوقا إليه ، وقد حصل أموالا جزيلة ، ففرح به السلطان ، فلما اجتمعا قال السلطان البر التقى: أنا يوسف وهذا أخى ، وقد استناب على بلاد اليمن من ذوى قرابته ، فلما استقر عند أخيه استنابه على دمشق وأعمالها ، وقيل إن قدومه كان قبل وقعة المواصلة ، وكان من أكبر أسباب الفتح والنصر ، لشجاعته وفروسيته . وفيها أنفذ تقى الدين عمر بن أخى الناصر مملوكه بهاء الدين قراقوش فى جيشه إلى بلاد المغرب ففتح بلاداً كثيرة ، وغنم أموالا جزيلة ، ثم عاد إلى مصر . وفيها قدم إلى دمشق أبو الفتوح الواعظ عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد التنوخى الدمشقى الأصل ، البغدادى المنشأ ، ذكره العماد فى الجريدة . قال : وكان صاحبى ، وجلس للوعظ وحضر عنده السلطان صلاح الدين ، وأورد له مقطعات أشعار ، فمن ذلك ما كان يقول :

يا مالكا مهجتى يا منتهى أملى * ياحاضراً شاهداً فى القلب والفكر
خلقتنى من تراب أنت خالقه * حتى إذا صرت تمثالا من الصور
أجريت فى قالبى روحاً منورة * تمر فيه كجرى الماء فى الشجر
جمعتنى من صفا روح منورة * وهيكل صغته من معدن كدر

إن غبت فيك فيافخرى ويا شرفى * وإن حضرت فيا سمعى ويا بصرى
أو احتجبت فسرى فيك فى وله * وإن خطرت فقلبي منك فى خطر
تبدو فتمحو رسومى ثم تثبتها * وإن تغيب عنى عشت بالأثر

وفيها توفى من الأعيان الحافظ أبو القاسم ابن عساكر .

﴿ على بن الحسن بن هبة الله ﴾

ابن عساكر أبو القاسم الدمشقى ، أحد أكابر حفاظ الحديث ومن عنى به سماعا وجمعاً وتصنيفاً واطلاعا وحفظاً لأسانيده ومتونه ، وإتقانا لأساليبه وفنونه ، صنف تاريخ الشام فى ثمانين مجلدة ، فهى باقية بعده مخلدة ، وقد ندر على من تقدمه من المؤرخين ، وأتعب من يأتى بعده من المتأخرين ، فحاز فيه قصب السبق ، ومن نظر فيه وتأمله رأى ما وصفه فيه وأصله ، وحكم بأنه فريد دهره ، فى التواريخ ، وأنه الذروة العليا من الشماريخ ، هذا مع ماله فى علوم الحديث من الكتب المفيدة ، وما هو مشتمل عليه من العبادة والطرائق الحميدة ، فله أطراف الكتب الستة ، والشيوخ النبل ، وتبيين كذب المفترى على أبى الحسن الأشعرى ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار ، والأجزاء والأسفار ، وقد أكثر فى طلب الحديث من الترحال والأسفار ، وجاز المدن والأقاليم والأمصار ، وجمع من الكتب مالم يجمعه أحد من الحفاظ نسخاً واستنساخاً ، ومقابلة وتصحيح الألفاظ ، وكان من أكابر سروات الدماشقة ، ورياسته فيهم عالية باسقة ، من ذوى الأقدار والهيئات ، والأموال الجزيلة ، والصلاة والهبات ، كانت وفاته فى الحادى عشر من رجب ، وله من العمر ثنتان وسبعون سنة ، وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى . وكان الذى صلى عليه الشيخ قطب الدين النيسابورى . قال ابن خلكان وله أشعار كثيرة منها :

أيا نفس ويحك جاء المشيب * فماذا التصابى وما ذا الغزل ؟
تولى شبابى كأن لم يكن * وجاء المشيب كأن لم يزل
كأنى بنفسى على غرة * وخطب المنون بها قد نزل
فيالت شعرى ممن أكون * وما قدر الله لى فى الأزل

قال : وقد التزم فيها بما لم يلزم وهو الزاى مع اللام . قال : وكان أخوه صائن الدين هبة الله ابن الحسن محدثا فقيها ، اشتغل ببغداد على أسعد الميهنى ، ثم قدم دمشق فدرس بالغزالية ، وتوفى بها عن ثلاث وستين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة ﴾

استهلت هذه السنة والناصر محاصر حلب ، فسألوه وتوسلوا إليه أن يصالحهم فصالحهم على أن

تكون حلب وأعمالها للملك الصالح فقط ، فكتبوا بذلك الكتاب ، فلما كان المساء بعث السلطان الصالح إسماعيل يطلب منه زيادة قلعة اعزاز ، وأرسل بأخت له صغيرة وهى الخاتون بنت نور الدين ليكون ذلك أدعى له بقبول السؤال ، وأنجع فى حصول النوال ، فحين رآها السلطان قام قائما ، وقبل الأرض وأجابها إلى سؤالها ، وأطلق لها من الجواهر والتحف شيئا كثيراً ، ثم ترحل عن حلب فقصد الفداوية الذين اعتدوا عليه فحاصر حصنهم مصيات فقتل وسبى وحرق وأخذ بقارهم وخرب ديارهم ، ثم شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تتش صاحب حماه ، لأنهم جيرانه ، فقبل شفاعته ، وأحضر إليه نائب بعلبك الأمير شمس الدين محمد بن الملك مقدم ، الذى كان نائب دمشق ، جماعة من أسارى الفرنج الذين عاثوا فى البقاع فى غيبته ، فجدد ذلك له الغزو فى الفرنج ، فصالح الفداوية الاسماعيلية أصحاب سنان ، ثم كر راجعاً إلى دمشق فتلقاه أخوه شمس الدولة . توران شاه ، فلقبه الملك المعظم ، وعزم الناصر على دخول مصر ، وكان القاضى كمال الدين محمد الشهرزورى قد توفى فى السادس من المحرم من هذه السنة ، وقد كان من خيار القضاة وأخص الناس بنور الدين الشهيد ، فوض إليه نظر الجامع ودار الضرب وعمارة الأسوار والنظر فى المصالح العامة . ولما حضرته الوفاة أوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهرزورى ، مع أنه كان يجد عليه ، لما كان بينه وبينه حين كان صلاح الدين سجنه بدمشق ، وكان يعاكسه ويخالفه ، ومع هذا أمضى وصيته لابن أخيه ، فجلس فى مجلس القضاء على عادة عمه وقاعدته ، وبقى فى نفس السلطان من تولية شرف الدين أبى سعيد عبد الله بن أبى عصرون الحلبى ، وكان قد هاجر إلى السلطان إلى دمشق فوعده أن يوليه قضاءها ، وأسر بذلك إلى القاضى الفاضل ، فأشار الفاضل على الضياء أن يستعفى من القضاء فاستعفى فأعفى ، وترك له وكالة بيت المال ، وولى السلطان ابن أبى عصرون على أن يستنيب القاضى محيى الدين أبى المعالى محمد بن زكى الدين ، ففعل ذلك ، ثم بعد ذلك استقل بالحكم محيى الدين أبو حامد بن أبى عصرون عوضاً عن أبيه شرف الدين ، بسبب ضعف بصره .

وفى صفر منها وقف السلطان الناصر قرية حزم على الزاوية الغزالية ، ومن يشتغل بها بالعلوم الشرعية ، وما يحتاج إليه الفقيه ، وجعل النظر لقطب الدين النيسابورى مدرسها . وفى هذا الشهر تزوج السلطان الملك الناصر بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أُنُر ، وكانت زوجة نور الدين محمود ، وكانت مقيمة بالقلعة ، وولى تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين بن أُنُر ، وحضر القاضى ابن عصرون العقد ومن معه من العدول ، وبات الناصر عندها تلك الليلة والتى بعدها ، ثم سافر إلى مصر بعد يومين ، ركب يوم الجمعة قبل الصلاة فنزل مرج الصفر ، ثم سافر فمشا قريباً من الصفين ، ثم سار فدخل مصر يوم السبت سادس عشر ربيع الأول من هذه السنة ، وتلقاه

أخوه ونائبه عليها الملك العادل سيف الدين أبو بكر إلى عند بحر القلزم ، ومعه من الهدايا شيء كثير من المآكل المتنوعة وغيرها ، وكان فى صحبة السلطان العماد الكاتب ، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك ، فجعل يذكر محاسنها وما اختصت به من بين البلدان ، وذكر الاهرام وشبههما بأنواع من التشبيهات ، وبالغ فى ذلك حسب ما ذكر فى الروضتين .

وفى شعبان منها ركب الناصر إلى الاسكندرية فأسمع ولديه الفاضل على والعزيز عثمان على الحافظ السلفى ، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان ، وعزم الناصر على تمام الصيام بها ، وقد كمل عمارة السور على البلد ، وأمر بتجديد الاسطول وإصلاح مراكبه وسفنه وشحنه بالمقاتلة وأمرهم بغزو جزائر البحر ، وأقطعهم الاقطاعات الجزيلة على ذلك ، وأرصد للاسطول من بيت المال ما يكفيه لجميع شئونه ، ثم عاد إلى القاهرة فى أثناء رمضان فأكمل صومه .

وفيها أمر الناصر ببناء مدرسة للشافعية على قبر الشافعى ، وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشانى مدرسها وناظرها . وفيها أمر ببناء المارستان بالقاهرة ووقف عليه وقوفا كثيرة . وفيها بنى الأمير مجاهد الدين قيماز نائب قلعة الموصل جامعاً حسنا ورباطا ومدرسة ومارستانا متجاورات بظاهر الموصل وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمس وتسعين وخمسمائة رحمه الله . وله عدة مدارس وخوانقات وجوامع غير ما ذكرنا ، وكان دينا خيرا فاضلا حنفى المذهب ، يذاكر فى الأدب والأشعار والفقه ، كثير الصيام وقيام الليل . وفيها أمر الخليفة باخراج المجذومين من بغداد لناحية منها ليتميزوا عن أهل العافية ، نسأل الله العافية . وذكر ابن الجوزى فى المنتظم عن امرأة قالت : كنت أمشى فى الطريق وكأن رجلا يعارضنى كلما مررت به ، فقلت له : إنه لا سبيل إلى هذا الذى ترومه منى إلا بكتاب وشهود ، فتزوجنى عند الحاكم ، فمكثت معه مدة ثم اعتراه انتفاخ ببطنه فكنا نظن أنه استسقاء فنداويه لذلك ، فلما كان بعد مدة ولد ولدا كما تلد النساء ، وإذا هو خنثى مشكل ، وهذا من أغرب الأشياء .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ على بن عساكر ﴾

ابن المرحب بن العوام أبو الحسن البطائحى المقرى اللغوى ، سمع الحديث وأسمعه ، وكان حسن المعرفة بالنحو واللغة ، ووقف كتبه بمسجد ابن جرارة ببغداد ، توفى فى شعبان وقد نيف على الثمانين

﴿ محمد بن عبد الله ﴾

ابن القاسم أبو الفضل ، قاضى القضاة بدمشق ، كمال الدين الشهرزورى ، الموصلى ، وله بها مدرسة على الشافعية ، وأخرى بنصيبين ، وكان فاضلا دينا أمينا ثقة ، ولى القضاء بدمشق لنور الدين الشهيد محمود بن زنكى ، واستوزره أيضاً فيما حكاه ابن الساعى . قال وكان يبعثه فى الرسائل ، كتب

ثرة على قصة إلى الخليفة المتقى : محمد بن عبد الله الرسول ، فكتب الخليفة تحت ذلك : ﷺ .
قلت : وقد فوض إليه نور الدين نظر الجامع ودار الضرب والأسوار ، وعمر له المارستان والمدارس وغير ذلك وكانت وفاته فى المحرم من هذه السنة بدمشق .

﴿ الخطيب شمس الدين ﴾

ابن الوزير أبو الضياء خطيب الديار المصرية ، وابن وزيرها ، كان أول من خطب بديار مصر للخليفة المستضىء بأمر الله العباسى ، بأمر الملك صلاح الدين ، ثم حظى عنده حتى جعله سفيرا بينه وبين الملوك والخلفاء ، وكان رئيساً مطاعا كريماً ممدحاً ، يقرأ عليه الشعراء والادباء . ثم جعل الناصر مكانه الشهرزورى المتقدم بمرسوم السلطان ، وصارت وظيفة مقررة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ﴾

فيها أمر الملك الناصر ببناء قلعة الجبل وإحاطة السور على القاهرة ومصر ، فسمر قلعة للملك لم يكن فى الديار المصرية مثلها ولا عـلى شكلها ، وولى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش مملوك تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب . وفيها كانت وقعة الرملة على المسلمين ، وفى جمادى الأولى منها سار السلطان الناصر صلاح الدين من مصر قاصـدا غزو الفرنج ، فانتهى إلى بلاد الرملة فسبى وغنم ، ثم تشاغل جيشـه بالغنائم وتفرقوا فى القرى والمحال ، وبقى هو فى طائفـة من الجيش منفرداً فهجمت عليه الفرنج فى جحفل من المقاتلة فما سلم إلا بعد جهد جهيد ، ثم تراجع الجيش إليه واجتمعوا عليه بعد أيام ، ووقعت الأراجيف فى الناس بسبب ذلك ، وما صـدق أهل مصر حتى نظروا إليه وصار الأمر كما قيل * رضيت من الغنيمة بالاياب * ومع هذا دقت البشائر فى البلدان فرحاً بسلامة السلطان ، ولم تجبر هذه الوقعة إلا بعد عشر سنين ، وذلك يوم حطين ، وقد ثبت السلطان فى هذه الوقعـة ثباتا عظيما ، وأسر للملك المظفر تقى الدين عمر بن أخى السلطان ولده شـاهنشاه ، فبقى عندهم سبع سنين ، وقتل ابنه الآخر ، وكان شابا قد طرّ شاربه ، فحزن على المقتول والمفقود ، وصبر تأسياً بأيوب ، وناح كما ناح داود ، وأسر الفقيهان الأخوان ضياء الدين عيسى وظهيرالدين فافتداهما السلطان بعد سنتين بتسعين ألف دينار .

وفيها تخبطت دولة حلب وقبض السلطان الملك الصالح إسماعيـل بن نور الدين عـلى الخادم كمشتكين ، وألزمه بتسليم قلعة حارم ، وكانت له ، فأبى من ذلك فعلقه منكوساً ودخن تحت أنفه حتى مات من ساعته . وفيها جاء ملك كبير من ملوك الفرنج يروم أخذ الشام لغيبة السلطان واشتغال نوابه ببلدانهم . قال العماد الكاتب : ومن شرط هدنة الفرنج أنه متى جاء ملك كبير من ملوكهم لا يمكنهم دفعه أنهم يقاتلون معه ويؤازرونه وينصرونه ، فاذا انصرف عنهـم عادت الهدنة كما كانت ، فقصد

هذا الملك وجملة الفرنج مدينة حماه وصاحبها شهاب الدين محمود خال السلطان مريض ، ونائب دمشق ومن معه من الأمراء مشغولون ببلدانهم ، فكادوا يأخذون البلد ولكن هزمهم الله بعد أربعة أيام ، فانصرفوا إلى حارم فلم يتمكنوا من أخذها وكشفهم عنها الملك الصالح صاحب حلب ، وقد دفع إليهم من الأموال والأسرا ما طلبوه منه .وتوفى صاحب حماه شهاب الدين محمود خال السلطان الناصر ، وتوفى قبله ولده تتش بثلاثة أيام ، ولما سمع الملك الناصر بنزول الفرنج على حارم خرج من مصر قاصدا بلاد الشام ، فدخل دمشق فى رابع عشر شوال ، وصحبته العماد الكاتب ، وتأخر القاضى الفاضل بمصر لأجل الحج .

وفيها جاء كتاب القاضى الفاضل الناصر يهنئه بوجود مولود وهو أبو سليمان داود ، و به كمل له اثنى عشر ذكرا ، وقد ولد له بعده عدة أولاد ذكور ، فانه توفى عن سبعة عشر ذكرا وابنة صغيرة اسمها مؤنسة ، التى تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل ، كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها جرت فتنة عظيمة بين اليهود والعامة ببغداد ، بسبب أن مؤذنا أذن عند كنيسة فنال منه بعض اليهود بكلام أغلظ له فيه ، فشتمه المسلم فاقتتلا ، فجاء المؤذن يشتكى منه إلى الديوان ، فتفاقم الحال ، وكثرت العوام ، وأكثروا الضجيج ، فلما حان وقت الجمعة منعت العامة الخطباء فى بعض الجوامع ، وخرجوا من فورهم فنهبوا سوق العطارين الذى فيه اليهود ، وذهبوا إلى كنيسة اليهود فنهبوها ، ولم يتمكن الشرط من ردهم ، فأمر الخليفة بصلب بعض العامة ، فأخرج فى الليل جماعة من الشطار الذين كانوا فى الحبوس وقد وجب عليهم القتل فصلبوا ، فظن كثير من الناس أن هذا كان بسبب هذه الكائنة ، فسكن الناس . وفيها خرج الوزير الخليفة عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء ابن المسلمة قاصدا الحج ، وخرج الناس فى خدمته ليودعوه ، فتقدم إليه ثلاثة من الباطنية فى صورة فقراء ومعهم قصص ، فتقدم أحدهم ليناوله قصة فاعتنقه وضربه بالسكين ضربات ، وهجم الثانى وكذلك الثالث عليه فهبروه وجرحوا جماعة حوله ، وقتل الثلاثة من فورهم ، ورجع الوزير إلى منزله محمولا فمات من يومه ، وهذا الوزير هو الذى قتل ولدى الوزير ابن هبيرة وأعدمهما ، فسلط الله عليه من قتله ، وكما تدين تدان، جزاء وفاقا .

وممن توفى فيها من الأعيان ﴿ صدقة بن الحسين ﴾

أبو الفرج الحداد ، قرأ القرآن وسمع الحديث ، وتفقه وأفتى ، وقال الشعر وقال فى الكلام ، وله تاريخ ذيل على شيخه ابن الزاغونى ، وفيه غرائب وعجائب . قال ابن الساعى : كان شيخاً عالما فاضلا وكان فقيراً يأكل من أجرة النسخ ، وكان يأوى إلى مسجد ببغداد عند البدرية يؤم فيه، وكان يعتب

على الزمان وبنيه ، ورأيت ابن الجوزى فى المنتظم يذمه ويرميه بالعظائم ، وأورد له من أشعاره ما فيه مشابهة لابن الراوندى فى الزندقة فالله أعلم . توفى فى ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وسبعين سنة ، ودفن بباب حرب ، ورؤيت له منامات غير صالحة ، نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة .

﴿ محمد بن أسعد بن محمد ﴾

أبو منصور العطار ، المعروف بحفدة ، سمع الكثير وتفقه وناظر وأفتى ودرس ، وقدم بغداد فمات بها

﴿ محمود بن تنش شهاب الدين الحارمى ﴾

خال السلطان صلاح الدين ، كان من خيار الأمراء وشجعانهم ، أقطعه ابن أخته حماه ، وقد حاصره الفرنج وهو مريض فأخذوا حماه وقتلوا بعض أهلها ، ثم تناخى أهلها فردوهم خائبين .

﴿ فاطمة بنت نصر العطار ﴾

كانت من سادات النساء ، وهى من سلالة أخت صاحب المخزن ، كانت من العابدات المتورعات المخدرات ، يقال إنها لم تخرج من منزلها سوى ثلاث مرات ،وقد أثنى عليها الخليفة وغيره والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة ﴾

فيها ورد كتاب من القاضى الفاضل من مصر إلى الناصر وهو بالشام يهنيه بسلامة أولاده الملوك الاثنى عشر، يقول : وهم بحمد الله بهجة الحياة وزينتها ، وريحانة القلوب والأرواح وزهرتها ، إن فؤادا وسع فراقهم لواسع ، وإن قلباً قنع بأخبارهم لقانع ، وإن طرفا نام عن البعد عنهم لهاجع ، وإن ملكا ملك صبره عنهم لحازم ، وإن نعمة الله بهم لنعمة بها العيش ناعم ، أما يشتاق جيد المولى أن تطوق بدررهم ؟ أما تظمأ عينه أن تروى بنظرهم ؟ أما يحن قلبه للقيهم ؟ أما يلتقط هذا الطائر بفتيلهم ؟ وللمولى أبقاه الله أن يقول :

وما مثل هذا الشوق يحمل بعضه * ولكن قلبى فى الهوى يتقلب

وفيها أسقط صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة ، وقد كان يؤخذ من حجاج الغرب شئ كثير ، ومن عجز عن أدائه حبس فربما فاته الوقوف بعرفة ، وعوض أمير مكة بمال أقطعه إياه بمصر ، وأن يحمل إليه فى كل سنة ثمانية آلاف أردب إلى مكة ، ليكون عونا له ولأتباعه ، ورفقا بالمجاورين ، وقررت للمجاورين أيضاً غلات تحمل إليهم رحمه الله . وفيها عصى الأمير شمس الدين بن مقدم ببعلبك ، ولم يجئ إلى خدمة السلطان ، وهو نازل على حمص ، وذلك أنه بلغه أن أخا السلطان توران شاه طلب بعلبك منه فأطلقها له ، فامتنع ابن المقدم من الخروج منها حتى جاء السلطان بنفسه فحصره فيها من غير قتال ، ثم عوض ابن المقدم عنها بتعويض كثير خير مما كان بيده ، فخرج منها وتسلمها وسلمها توران شاه . قال ابن الأثير : وكان فى هذه السنة غلاء شديد بسبب

قلة المطر ، عم العراق والشام وديار مصر ، واستمر إلى سنة خمس وسبعين ، فجاء المطر و رخصت الأسعار ثم عقب ذلك وباء شديد ، وعم البلاد مرض آخر وهوالسرسام ، فما ارتفع إلا فى سنة ست وسبعين ، فمات بسبب ذلك خلق كثير ، وأمم لا يعلم عددهم إلا الله . وفى رمضان منها وصلت خلع الخليفة إلى الملك صلاح الدين وهو بدمشق ، وزيد فى ألقابه معز أمير المؤمنين ، وخلع على أخيه توران شاه ولقب بمصطفى أمير المؤمنين .

وفيها جهز الناصر ابن أخيه فروخ شاه بن شاهنشاه بين يديه لقتال الفرنج الذين عاثوا فى نواحى دمشق ، فنهبوا ما حولها ، وأمره أن يداريهم حتى يتوسطوا البلاد ولا يقاتلهم حتى يقدم عليه ، فلما رأوه عاجلوه بالقتال فكسرهم وقتل من ملوكهم صاحب الناصرة الهنفرى ، وكان من أكابر ملوكهم وشجعانهم ، لا ينهنهه اللقاء ، فكبته الله فى هذه الغزوة ، ثم ركب الناصر فى إثر ابن أخيه فما وصل إلى الكسوة حتى تلقته الرؤس على الرماح ، والغنائم والأسارى . وفيها بنت الفرنج قلعة عند بيت الأحزان للداوية فجعلوها مرصد الحرب المسلمين ، وقطع طريقهم ، ونقضت ملوكهم العهود التى كانت بينهم وبين صلاح الدين ، وأغاروا على نواحى البلدان من كل جانب ، ليشغلوا المسلمين عنهم ، وتفرقت جيوشهم فلا تجتمع فى بقعة واحدة ، فرتب السلطان ابن أخيه عمر على حماه ومعه ابن مقدم وسيف الدين على بن أحمد المشطوب بنواحى البقاع وغيرها ، وبثغر حمص ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه ، وبعث إلى أخيه الملك أبى بكر العادل نائبه بمصر أن يبعث إليه ألفا وخمسمائة فارس يستعين بهم على قتال الفرنج ، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بتخريب هذا الحصن الذى بنوه للداوية فامتنعوا إلا أن يبذل لهم ما غرموه عليه ، فبذل لهم ستين ألف دينار فلم يقبلوا ، ثم أوصلهم إلى مائة ألف دينار، فقال له ابن أخيه تقى الدين عمر : ابذل هذا إلى أجناد المسلمين وسر إلى هذا الحصن نخربه ، فأخذ بقوله فى ذلك وخربه فى السنة الآتية كما سنذكره .

وفيها أمر الخليفة المستضىء بكتابة لوح على قبر الامام أحمد بن حنبل ، فيه آية الكرسى ، وبعدها هذا قبر تاج السنة وحبر الأمة العالى الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد ، وذكروا تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

وفيها احتيط ببغداد على شاعر ينشد للروافض أشعاراً فى ثلب الصحابة وسبهم ، وتهجين من يحبهم ، فعقد له مجلس بأمر الخليفة ثم استنطق فاذا هورافضى خبيث داعية إليه ، فأفتى الفقهاء بقطع لسانه ويديه ، ففعل به ذلك ، ثم اختطفته العامة فما زالوا يرمونه بالآجر حتى ألقى نفسه فى دجلة فاستخرجوه منها فقتلوه حتى مات ، فأخذوا شريطاً وربطوه فى رجله وجروه على وجهه حتى طافوا به البلد وجميع الأسواق ، ثم ألقوه فى بعض الاتونة مع الآجر والكلس ، وعجز الشرط عن تخليصه منهم

وفيها توفى من الأعيان ﴿ أسعد بن بلدرك الجبريلى ﴾

سمع الحديث وكان شيخاً ظريف المذاكرة جيد المبادرة ، توفى عن مائة سنة وأربع سنين .

﴿ الحيص بيص ﴾

سعد بن محمد بن سعد [الملقب] شهاب الدين ، أبو الفوارس المعروف بحيص بيص ، له دوان شعر مشهور ، توفى يوم الثلاثاء خامس شهر شعبان من هذه السنة ، وله ثنتان وثمانون سنة ، وصلى عليه بالنظامية ، ودفن بباب التبن ، ولم يعقب ، ولم يكن له فى المراسلات بديل ، كان يتقعر فيها و يتفاصح جداً ، فلا تواتيه إلا وهى معجرفة ، وكان يزعم أنه من بنى تميم ، فسئل أبوه عن ذلك فقال ما سمعته إلا منه ، فقال بعض الشعراء يهجوه فيما ادعاه من ذلك :

كم تبادى وكم تطيل طرطو * رك وما فيك شعرة من تميم
فكل الضب وأقرط الحنظل اليا * بس واشرب ان شئت بول الظليم
فليس ذا وجه من يضيف ولا يقـ * ـرى ولا يدفع الأذى عن حريم

ومن شعر الحيص بيص الجيد :

سلامة المرء ساعة عجب * وكل شىء لحتفه سبب
يفر والحادثات تطلبه * يفر منها ونحوها الهرب
وكيف يبقى على تقلبه * مسلما من حياته العطب

ومن شعره أيضاً :

لا تلبس الدهر على غرة * فما لموت الحى من بد
ولا يخادعك طول البقا * فتحسب التطويل من خلد
يقرب ما كان آخراً * ما أقرب المهد من اللحد

ويقرب من هذا ما ذكره صاحب العقد أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى فى عقده :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة * إذا اخضر منها جانب جف جانب
وما الدهر والآمال إلا فجائع * عليها وما اللذات إلا مصائب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

وقد ذكر أبو سعد السمعانى حيص بيص هذا فى ذيله وأثنى عليه ، وسمع عليه ديوانه ورسائله ، وأثنى على رسائله القاضى ابن خلكان ، وقال : كان فيه تيه وتعاظم ، ولا يتكلم إلا معربا ، وكان فقيها شافعى المذهب ، واشتغل بالخلاف وعلم النظر ، ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر ، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب ، واختلاف لغاتهم . قال : وإنما قيل له الحيص بيص ، لأنه رأى الناس فى حركة

واختلاط ، فقال : ما الناس فى حيص بيص ، أى فى شر وهرج ، فغلب عليه هذه الكلمة ، وكان يزعم أنه من ولد أكثم بن صيفى طبيب العرب ، ولم يترك عقبا . كانت له حوالة بالحلة فذهب يتقاضاها فتوفى ببغداد فى هذه السنة .

﴿ محمد بن نسيم ﴾

أبو عبد الله الخياط ، عتيق الرئيس أبى الفضل بن عيسون ، سمع الحديث وقارب الثمانين ، سقط من درجة فمات . قال : أنشدنى مولى الدين يعنى ابن علام الحكيم بن عبسون .

للقارئ المحزون أجدر بالتقى * من راهب فى ديره متقوس
ومراقب الأفلاك كانت نفسه * بعبادة الرحمن أحرى الأنفس
والماسح الأرضين وهى فسيحة * أولى بمسح فى أكف الملمس
أولى بخشية ربه من جاهل * بمثلث ومربع ومخمس

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة ﴾

وفيها كانت وقعة مرج عيون استهلت هذه السنة والسلطان صلاح الدين الناصر نازل بجيشه على تل القاضى ببانياس ، ثم قصده الفرنج بجمعهم فنهض إليهم فما هو إلا أن التقى الفريقان واصطدم الجندان ، فأنزل الله نصره وأعز جنده ، فولت ألوية الصلبان ذاهبة وخيل الله لركابهم راكبة ، فقتل منهم خلق كثير ، وأسر من ملوكهم جماعة ، وأنابوا إلى السمع والطاعة ، منهم مقدم الداوية ومقدم الاسبتارية وصاحب الرملة وصاحب طبرية وقسطلان يافا وآخرون من ملوكهم ، وخلق من شجعانهم وأبطالهم ، ومن فرسان القدس جماعة كثيرون تقريباً من ثلاثمائة أسير من أشرافهم ، فصاروا يهانون فى القيود . قال العماد : فاستعرضهم السلطان فى الليل حتى أضاء الفجر ، وصلى يومئذ الصبح بوضوء العشاء ، وكان جالساً ليلتئذ فى نحو العشرين والفرنج كثير ، فسلمه الله منهم ، ثم أرسلهم إلى دمشق ليعتقلوا بقلعتها ، فافتدى ابن البارزانى صاحب الرملة نفسه بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية ، وإطلاق ألف أسير من بلاده ، فأجيب إلى ذلك ، وافتدى جماعة منهم أنفسهم بأموال جزيلة ، ومنهم من مات فى السجن ، واتفق أنه فى اليوم الذى ظفر فيه السلطان بالفرنج بمرج عيون ، ظهر أسطول المسلمين على بطشة للفرنج فى البحر وأخرى معها فغنموا منها ألف رأس من السبى ، وعاد إلى الساحل مؤيداً منصوراً ، وقد امتدح الشعراء السلطان فى هذه الغزوة بمدائح كثيرة ، وكتب بذلك إلى بغداد فدقت البشائر بها فرحاً وسروراً ، وكان الملك المظفر تقى الدين عمر غائباً عن هذه الوقعة مشتغلا بما هو أعظم منها ، وذلك أن ملك الروم قرارسلان بعث يطلب حصن رعنان ، وزعم أن نور الدين اغتصبه منه ، وأن ولده قد عصى ، فلم يجبه إلى ذلك السلطان ، فبعث صاحب الروم

عشرين ألف مقاتل يحاصرونه ، فأرسل السلطان تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس منهم سيف الدين علي بن أحمد المشطوب ، فالتقوا معهم فهزموهم بإذن الله ، واستقرت يد صلاح الدين على حصن رعنان ، وقد كان مما عوض به ابن مقدم عن بعلبك ، وكان تقي الدين عمر يفتخر بهذه الوقعة ويرى أنه قد هزم عشرين ألفا ، وقيل ثلاثين ألفا بثمانمائة ، وكان السبب في ذلك أنه بيتهم وأغار عليهم ، فما لبثوا بل فروا منهزمين عن آخرهم ، فأكثر فيهم القتل واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم ، ويقال إنه كسرهم يوم كسر السلطان الفرنج بمرج عيون والله أعلم .

﴿ ذكر تخريب حصن الاحزان ﴾

وهو قريب من صفد . ثم ركب السلطان إلى الحصن الذي كانت الفرنج قد بنوه في العام الماضي وحفروا فيه بئراً وجعلوه لهم عيناً ، وسلموه إلى الداوية ، فقصده السلطان فحاصره ونقبه من جميع جهاته ، وألقى فيه النيران وخربه إلى الأساس ، وغنم جميع ما فيه ، فكان فيه مائة ألف قطعة من السلاح ، ومن المأكل شيء كثير ، وأخذ منه سبعمائة أسير فقتل بعضاً وأرسل إلى دمشق الباقي ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، غير أنه مات من أمرائه عشرة بسبب ما نالهم من الحر والوباء في مدة الحصار ، وكانت أربعة عشر يوماً ، ثم إن الناس زاروا مشهد يعقوب على عادتهم ، وقد امتدحه الشعراء فقال بعضهم :

بجدك أعطاف القنا قد تعطفت * وطرف الأعادي دون مجدك يطرف
شهاب هدى في ظلمة الليل ثاقب * وسيف إذا ما هزه الله مرهف
وقفت على حصن المخاض وإنه * لموقف حق لا يوازيه موقف
فلم يبد وجه الأرض بل حال دونه * رجال كآساد الثرى وهي ترجف
وجرد سلهوب ودرع مضاعف * وأبيض هندي ولدن مهفهف
وما رجعت أعلامك البيض ساعة * إلا غدت أكبادها السود ترجف
كنائس أغياد صليب وبيعة * وشاد به دين حنيف ومصحف
صليب وعباد الصليب ومنزل * لنوال قد غادرته وهو صفصف
أتسكن أوطان النبيين عصبة * تمين لدى أيمانها وهي تحلف
نصحتكم والنصح في الدين واجب * ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

وقال آخر :

هلاك الفرنج أتى عاجلا * وقد آن تكسير صلبانها
ولو لم يكن قد دنا حتفها * لما عمرت بيت أحزانها

من كتاب كتبه القاضى الفاضل إلى بغداد فى خراب هذا الحصن . وقد قيس عرض حائطه فزاد على عشرة أذرع وقطعت له عظام الحجارة كل فص منها سبعة أذرع ، إلى مافوقها ومادونها ،وعدتها تزيد على عشرين ألف حجر ، لايستقر الحجر فى بنيانه إلا بأربعة دنانير فما فوقها ، وفيما بين الحائطين حشو من الحجارة الضخمة الصم ، أتوابها من رؤس الجبال الشم ، وقد جعلت شعبيته بالكلس الذى إذا أحاطت بالحجر مازجه بمثل جسمه ، ولايستطيع الحديد أن يتعرض إلى هدمه . وفيها أقطع صلاح الدين ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بعلبك . وأغار فيها على صفت وأعمالها ، فقتل طائفة كبيرة من مقاتليها ، وكان فروخ شاه من الصناديد الأبطال .

وفيها حج القاضى الفاضل من دمشق وعاد إلى مصر فقاسى فى الطريق أهوالا ، ولقى ترحاً وتعباً وكلالا ، وكان فى العام الماضى قد حج من مصر وعاد إلى الشام ، وكان ذلك العام فى حقه أسهل من هذا العام .وفيها كانت زلزلة عظيمة انهدم بسببها قلاع وقرى ، ومات خلق كثير فيها من الورى، وسقط من رؤس الجبال صخور كبار ، وصادمت بين الجبال فى البرارى والقفار ، مع بعد ما بين الجبال من الأقطار . وفيها أصاب الناس غلاء شديد وفناء شريد وجهد جهيد ، فمات خلق كثير بهذا وهذا ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

﴿ ذكر وفاة المستضىء بأمر الله وشىء من ترجمته ﴾

كان ابتداء مرضه أواخر شوال فأرادت زوجته أن تكتم ذلك فلم يمكنها ، ووقعت فتنة كبيرة ببغداد ونهبت العوام دوراً كثيرة ، وأموالا جزيلة ، فلما كان يوم الجمعة الثانى والعشرين من شوال خطب لولى العهد أبى العباس أحمد بن المستضىء ، وهو الخليفة الناصر لدين الله ، وكان يوماً مشهوداً نثر الذهب فيه على الخطباء والمؤذنين ، ومن حضر ذلك ، عند ذكر اسمه على المنبر . وكان مرضه بالحمى ابتدأفيها يوم عيد الفطر ، ولم يزل الأمر يتزايد به حتى استكمل فى مرضه شهرا ، ومات سلخ شوال ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً ، وغسل وصلى عليه من الغد . ودفن بدار النصر التى بناها ، وذلك عن وصيته التى أوصاها ، وترك ولدين أحدهما ولى عهده وهو عدة الدنيا والدين ،أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، والآخر أبو منصور هاشم ، وقد وزر له جماعة من الرؤساء ، وكان من خيار الخلفاء ، آمرا بالمعروف ناهياً عن المنكر ، مزيلا عن الناس المكوسات والضرائب ، مبطلا للبدع والمعائب ، وكان حليما وقوراً كريماً ، وبويع بالخلافة من بعده لولده الناصر .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ إبراهيم بن على ﴾

أبو إسحاق الفقيه الشافعى ، المعروف بابن الفراء الأموى ثم البغدادى ، كان فاضلا مناظراً

فصيحاً بليغاً شاعراً ، توفى عن أربع وسبعين سنة ، وصلى عليه أبو الحسن القزوينى مدرس النظامية

﴿ إسماعيل بن موهوب ﴾

ابن محمد بن أحمد الخضر أبو محمد الجوالبقى ، حجة الاسلام ، أحد أئمة اللغة فى زمانه والمشار إليه من بين أقرانه بحسن الدين وقوة اليقين ، وعلم اللغة والنحو ، وصدق اللهجة وخلوص النية ، وحسن السيرة فى مرباه ومنشاه ومنتهاه ، سمع الحديث وسمع الأثر واتبع سبيله ومرماه ، رحمه الله تعالى .

﴿ المبارك بن على بن الحسين ﴾

أبو محمد ابن الطباخ البغدادى ، نزيل مكة ومجاورها ، وحافظ الحديث بها والمشار إليه بالعلم فيها . كان يوم جنازته يوماً مشهودا .

﴿ ذكر خلافة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضئ بأمر الله ﴾

لما توفى أبوه فى سلخ شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، بايعه الأمراء والوزراء والكبراء والخاصة والعامة ، وكان قد خطب له على المنابر فى حياة أبيه قبل موته بيسير ، فقيل إنه إنما عهد له قبل موته بيوم ، وقيل بأسبوع ، ولكن قدر الله أنه لم يختلف عليه اثنان بعد وفاة أبيه ، ولقب بالناصر ، ولم يل الخلافة من بنى العباس قبله أطول مدة منه ، فانه مكث خليفة إلى سنة وفاته فى ثلاث وعشرين وستمائة ، وكان ذكيا شجاعا مهيبا كما سيأتى ذكر سيرته عند وفاته . وفى سابع ذى القعدة من هذه السنة عزل صاحب المخزن ظهير الدين أبو بكر بن العطار ، وأهين غاية الاهانة ، هو وأصحابه وقتل خلق منهم ، وشهر فى البلد ، وتمكن أمر الخليفة الناصر وعظمت هيبته فى البلاد ، وقام قائم الخلافة فى جميع الأمور . ولما حضر عيد الأضحى أقيم على ما جرت به العادة والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة ﴾

فيها هادن السلطان صلاح الدين الفرنج وسار إلى بلاد الروم فأصلح بين ملوكها ، من بين أرتق وكرّ على بلاد الأرمن فأقام عليها وفتح بعض حصونها ، وأخذ منها غنائم كثيرة جدا ، من أوانى الفضة والذهب ، لأن ملكها كان قد غدر بقوم من التركمان ، فرده إلى بلاده ثم صالحه على مال يحمله إليه وأسارى يطلقهم من أسره ، وآخرين يستنقذهم من أيدى الفرنج ، ثم عاد مؤيداً منصورا فدخل حماه فى أواخر جمادى الآخرة ، وامتدحه الشعراء على ذلك ، ومات صاحب الموصل سيف الدين غازى بن مودود ، وكان شابا حسنا مليح الشكل تام القامة ، مدور اللحية ، مكث فى الملك عشر سنين ، ومات عن ثلاثين سنة ، وكان عفيفا فى نفسه ، مهيبا وقورا ، لا يلتفت إذا ركب وإذا جلس ، وكان غيورا لا يدع أحدا من الخدم الكبار يدخل على النساء ، وكان لا يقدم على سفك الدماء ، وكان ينسب إلى شىء من البخل سامحه الله ، توفى فى ثالث صفر ، وكان قد عزم على أن يجعل

الملك من بعده لولده عزالدين سنجرشاه ، فلم يوافقه الأمراء خوفا من صلاح الدين لصغرسنه ، فاتفقوا كلهم على أخيه فأجلس مكانه فى المملكة ، وكان يقال له عزالدين مسعود ، وجعل مجاهد الدين قايماز نائبه ومدبر مملكته . وجاءت رسل الخليفة يلتمسون من صلاح الدين أن يبقى سروج والرها والرقة ، وحران والخابور ونصيبين فى يده كما كانت فى يد أخيه ، فامتنع السلطان من ذلك ، وقال : هذه البلاد هى حفظ ثغور المسلمين ، وإنما تركتها فى يده ليساعدنا على غزو الفرنج ، فلم يفعل ذلك ، وكتب إلى الخليفة يعرفه أن المصلحة فى ترك ذلك عونا للمسلمين .

﴿ وفاة السلطان توران شاه ﴾

فيها توفى السلطان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، أخى الملك صلاح الدين ، وهو الذى افتتح بلاد اليمن عن أمر أخيه ، فمكث فيها حينا واقتنى منها أموالا جزيلة ، ثم استناب فيها وأقبل إلى الشام شوقا إلى أخيه ، وقد كتب إليه فى أثناء الطريق شعرا عمله له بعض الشعراء ، يقال له ابن المنجم ، وكانوا قد وصلوا إلى تيما :ـ

هل لأخى بل مالكى علم بالذى * إليه وإن طال التردد راجع
وإنى بيوم واحد من لقائه * على وإن عظم الموت بايع
ولم يبق إلا دون عشرين ليلة * ويحيى اللقا أبصارنا والمسامع
إلى ملك تعنو الملوك إذا بدا * وتخشع إعظاما له وهو خاشع
كتبت وأشواقى إليك ببعضها * تعلمت النوح الحمام السواجع
وما الملك إلا راحة أنت زندها * تضم على الدنيا ونحن الأصابع

وكان قدومه على أخيه سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، فشهد معه مواقف مشهودة محمودة ، واستنابه على دمشق مدة ، ثم سار إلى مصر فاستنابه على الاسكندرية فلم توافقه ، وكانت تعتريه القوالنج فمات فى هذه السنة ، ودفن بقصر الامارة فيها ، ثم نقلته أخته ست الشام بنت أيوب فدفنته بتربتها التى بالشامية البرانية ، فقبره القبلى ، والوسطانى قبر زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ، صاحب حماه والرحبة ، والموخر قبرها ، والتربة الحسامية منسوبة إلى ولدها حسام الدين عمر بن لاشين ، وهى إلى جانب المدرسة من غربها ، وقد كان توران شاه هذا كريما شجاعا عظيم الهيبة كبير النفس ، واسع النفقة والعطاء ، قال فيه ابن سعدان الحلبى :

هو الملك إن تسمع بكسرى وقيصر * فانهما فى الجود والباس عبداه
وما حاتم ممن يقاس بمثله * فخذ ما رأيناه ودع ما رويناه
ولذ بعلاه مستجيرا فانه * يجيرك من جور الزمان وعدواه

ولا تحمل للسحائب منه إذا * هطلت جودا سحائب كفاه

فترسل كفاه بما اشتق منهما * فلليمن يمناه ولليسر يسراه

ولما بلغ موته أخاه صلاح الدين بن أيوب وهو مخيم بظاهر حمص ، حزن عليه حزنا شديدا ، وجعل ينشد باب المراثى من الحماسة وكانت محفوظة .

وفى رجب منها قدمت رسل الخليفة الناصر وخلع وهدايا إلى الناصر صلاح الدين ، فلبس خلعة الخليفة بدمشق ، وزينت له البلد ، وكان يوماً مشهوداً . وفى رجب أيضاً منها سار السلطان إلى مصر لينظر فى أحوالها ويصوم بها رمضان ، ومن عزمه أن يحج عامه ذلك ، واستناب على الشام ابن أخيه عز الدين فروخ شاه ، وكان عزيز المثل غزير الفضل ، فكتب القاضى الفاضل عن الملك العادل أبى بكر إلى أهل اليمن والبقيع ومكة يعلمهم بعزم السلطان الناصر على الحج ، ومعه صدر الدين أبو القاسم عبد الرحيم شيخ الشيوخ ببغداد، الذى قدم من جهة الخليفة فى الرسالة ، وجاء بالخلع ليكون فى خدمته إلى الديار المصرية ، وفى صحبته إلى الحجاز ، فدخل السلطان مصر وتلقاه الجيش ، وأما شيخ الشيوخ فانه لم يقم بها إلا قليلا حتى توجه إلى الحجاز فى البحر ، فأدرك الصيام فى المسجد الحرام .

وفيها سار قراقوش التقوى إلى المغرب فحاصر بها فاس وقلاعا كثيرة حولها ، واستحوذ على أكثرها ، واتفق له أنه أسر من بعض الحصون غلاما أسود فأراد قتله فقال له أهل الحصن لا تقتله وخذ لك ديته عشرة آلاف دينار ، فأبى فأوصله إلى مائة ألف ، فأبى إلا قتله فقتله ، فلما قتله نزل صاحب الحصن وهو شيخ كبير ومعه مفاتيح ذلك الحصن ، فقال له خذ هذه فانى شيخ كبير ، وإنما كنت أحفظه من أجل هذا الصبى الذى قتلته ، ولى أولاد دأخ أكره أن يملكوه بعدى ، فأقره فيه وأخذ منه أموالا كثيرة .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ الحافظ أبو طاهر السلفى ﴾

أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفة الحافظ الكبير المعمر ، أبو طاهر السلفى الأصبهانى ، وإنما قيل له السلفى لجده إبراهيم سلفة ، لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين ، وكان له ثلاث شفاه فسمته الأعاجم لذلك . قال ابن خلكان : وكان يلقب بصدر الدين ، وكان شافعى المذهب ، ورد بغداد واشتغل بها على الكيا الهراسى ، وأخذ اللغة عن الخطيب أبى زكريا . يحيى بن على التبريزى سمع الحديث الكثير ورحل فى طلبه إلى الآفاق ثم نزل ثغر الاسكندرية فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وبنى له العادل أبو الحسن على بن السلار وزير الخليفة الظافر مدرسة ، وفوضها إليه ، فهى معروفة به إلى الآن . قال ابن خلكان : وأما أماليه وكتبه وتعاليقه فكثيرة جدا ، وكان مولده فيما ذكر المصريون سنة ثلثين وسبعين وأربعمائة ، ونقل الحافظ عبد الغنى عنه أنه قال اذكر مقتل نظام الملك فى سنة

خمس وثمانين وأربعمائة ببغداد ، وأنا ابن عشر تقريباً ، ونقل أبو القاسم الصفراوى أنه قال : مولدى بالتخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين ، فيكون مبلغ عمره ثمانيا وتسعين سنة ، لأنه توفى ليلة الجمعة خامس ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بثغر الاسكندرية والله أعلم ، ودفن بوعلة ، وفيها جماعة من الصالحين . وقد رجح ابن خلكان قول الصفراوى ، قال ولم يبلغنا من ثلاثمائة أن أحدا جاوز المائة إلا القاضى أبا الطيب الطبرى ، وقد ترجمه ابن عساكر فى تاريخه ترجمة حسنة ، وإن كان قد مات قبله بخمس سنين ، فذكر رحلته فى طلب الحديث ودورانه فى الأقاليم ، وأنه كان يتصوف أولا ثم أقام بثغر الاسكندرية وتزوج بامرأة ذات يسار ، فحسنت حاله ، وبنت عليه مدرسة هناك ، وذكر طرفا من أشعاره منها قوله :

أتأمن إلمام المنية بغتة * وأمن الفتى جهل وقد خبر الدهرا
وليس يحابى الدهر فى دورانه * أراذل أهليه ولا السادة الزهرا
وكيف وقد مات النبى وصحبه * وأزواجه طرا وفاطمة الزهرا

وله أيضا: يا قاصدا علم الحديث لدينه * إذ ضل عن طرق الهداية وهمه
إن العلوم كما علمت كثيرة * وأجلها فقه الحديث وعلمه
من كان طالبه وفيه تيقظ * فأتم سهم فى المعالى سهمه
لولا الحديث وأهله لم يستقم * دين النبى وشذ عنا حكمه
وإذا استراب بقولنا متحذلق * ما كل فهم فى البسيطة فهمه

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة ﴾

استهلت وصلاح الدين مقيم بالقاهرة مواظب على سماع الحديث ، وجاءه كتاب من نائبه بالشام عز الدين فروخ شاه يخبره فيه بما من الله به على الناس من ولادة النساء بالتوأم جبراً لما كان أصابهم من الوباء بالعام الماضى والفناء ، وبأن الشام مخصبة بإذن الله لما كان أصابهم من الغلاء . وفى شوال توجه الملك صلاح الدين إلى الاسكندرية لينظر ما أمر به من تحصين سورها وعمارة أبراجها وقصورها ، وسمع بها موطأ مالك على الشيخ أبى طاهر بن عوف ، عن الطرطوشى ، وسمع معه العماد الكاتب ، وأرسل القاضى الفاضل رسالة إلى السلطان يهنئه بهذا السماع .

﴿ ذكر وفاة الملك الصالح بن نور الدين الشهيد ﴾

« صاحب حلب وما جرى بعده من الأمور »

كانت وفاته فى الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة بقلعة حلب ، ودفن بها ، وكان سبب وفاته فيما قيل أن الأمير علم الدين سليمان بن حيدر سقاه سما فى عنقود عنب فى الصيد ، وقيل

بل سقاه ياقوت الأسدى فى شراب فاعتراه قولنج فما زال كذلك حتى مات وهو شاب حسن الصورة ، بهى المنظر ، ولم يبلغ عشرين سنة ، وكان من أعف الملوك ومن أشبه أباه فما ظلم ، وصف له الأطباء فى مرضه شرب الخمر فاستفتى الفقهاء فى شربها تداويا فأفتوه بذلك ، فقال : أيزيد شربها فى أجلى أو ينقص منه تركها شيئا ؟ قالوا : لا قال : فوالله لا أشربها وألقى الله وقد شربت ما حرمه على . ولما يئس من نفسه استدعا الأمراء فحلفهم لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل ، لقوة سلطانه وتمكنه ، ليمنعها من صلاح الدين ، وخشى أن يبايع لابن عمه الآخر عماد الدين زنكى ، صاحب سنجار ، وهو زوج أخته وتربية والده ، فلا يمكنه حفظها من صلاح الدين ، فلما مات استدعى الحلبيون عز الدين مسعود بن قطب الدين ، صاحب الموصل ، فجاء إليهم فدخل حلب فى أبهة عظيمة ، وكان يوما مشهودا ، وذلك فى العشرين من شعبان ، فتسلم خزائنها وحواصلها . وما فيها من السلاح ، وكان تقى الدين عمه فى مدينة منبج فهرب إلى حماه فوجد أهلها قد نادوا بشعار صاحب الموصل وأطمع الحلبيون مسعوداً بأخذ دمشق لغيبة صلاح الدين عنها ، وأعلموه محبة أهل الشام لهذا البيت الاتابكى نور الدين ، فقال لهم : بيننا وبين صلاح الدين أيمان وعهود ، وأنا لا أغدر به ، فأقام بحلب شهوراً وتزوج بأم الملك الصالح فى شوال ، ثم سار إلى الرقة فنزلها وجاءه رسل أخيه عماد الدين زنكى يطلب منه أن يقايضه من حلب إلى سنجار ، وألح عليه فى ذلك ، وتمنع أخوه ثم فعل على كره منه ، فسلم إليه حلب وتسلم عز الدين سنجار والخابور والرقة ونصيبين وسروج وغير ذلك من البلاد .

ولما سمع الملك صلاح الدين بهذه الأمور ركب من الديار المصرية فى عساكره فسار حتى أتى الفرات فعبرها ، وخامر إليه بعض أمراء صاحب الموصل ، وتقهقر صاحب الموصل عن لقائه ، واستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكمالها ، وهم بمحاصرة الموصل فلم يتفق له ذلك ، ثم جاء إلى حلب فتسلمها من عماد الدين زنكى لضعفه عن ممانعتها ، ولقلة ما ترك فيها عز الدين من الأسلحة ، وذلك فى السنة الآتية .

وفيها عزم البرنس صاحب الكرك على قصد تيماء من أرض الحجاز ، ليتوصل منها إلى المدينة النبوية ، فجهز له صلاح الدين سرية من دمشق تكون حاجزة بينه وبين الحجاز ، فصده ذلك عن قصده . وفيها ولى السلطان صلاح الدين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب نيابة اليمن ، وأرسله إليها ، وذلك لاختلاف نوابها واضطراب أصحابها ، بعد وفاة المعظم أخى السلطان ، فسار إليها طغتكين فوصلها فى سنة ثمان وسبعين ، فسار فيها أحسن سيرة ، واحتاط على أموال حطان بن منقذ صاحب زبيد ، وكانت تقارب ألف ألف دينار أو أكثر ، وأما نائب عدن فخر الدين عثمان [الزنجبيلى] فانه خرج من اليمن قبل قدوم طغتكين فسكن الشام ، وله أوقاف مشهورة

باليمن ومكة ، وإليه تنسب المدرسة الزنجبيلية ، خارج باب توما ، تجاه دار المطعم ، وكان قد حصل من اليمن أموالا عظيمة جداً .

وفيها غدرت الفرنج ونقضت عهودها ، وقطعوا السبل على المسلمين برا وبحرا وسرا وجهرا ، فأمكن الله من لطيشة عظيمة فيها نحو من ألفين وخمسمائة من مقاتلتهم المعدودين ، ألقاها الموج إلى ثغر دمياط قبل خروج السلطان من مصر ، فأحيط بها فغرق بعضهم وحصل فى الأسر نحو ألف وسبعمائة . وفيها سار قراقوش إلى بلاد إفريقية ففتح بلادا كثيرة ، وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن صاحب المغرب ، واستفحل أمره هناك ، وقراقوش مملوك تقى الدين عمر بن أخى السلطان صلاح الدين ، ثم عاد إلى مصر فأمره صلاح الدين أن يتم السور المحيط بالقاهرة ومصر ، وذلك قبل خروجه منها فى هذه السنة ، وكان ذلك آخر عهده بها حتى توفاه الله بعد أن أناله الله بلوغ مناه ، ففتح عليه بيت المقدس وما حوله ، ولما خيم بارزاً ، من مصر وأولاده حوله جعل يشمهم ويقبلهم ويضمهم فأنشد بعضهم فى ذلك :

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وكان الأمر كما قال ، لم يعد إلى مصر بعد هذا العام ، بل كان مقامه بالشام . وفيها ولد للسلطان ولدان أحدهما المعظم توران شاه ، والملك المحسن أحمد ، وكان بين ولادتهما سبعة أيام ، فزينت البلاد واستمر الفرح أربعة عشر يوماً .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ الشيخ كمال الدين أبو البركات ﴾

عبد الرحمن بن محمد بن أبى السعادات ، عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الأنبارى النحوى الفقيه العابد الزاهد ، كان خشن العيش ، ولا يقبل من أحد شيئا ، ولا من الخليفة ، وكان يحضر نوبة الصوفية بدار الخلافة ، ولا يقبل من جوائز الخليفة ولا فلسا ، وكان مثابرا على الاشتغال ، وله تصانيف مفيدة ، توفى فى شعبان من هذه السنة . قال ابن خلكان : له كتاب أسرار العربية مفيد جدا ، وطبقات النحاة ، مفيد جدا ، وكتاب الميزان فى النحو أيضاً ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ﴾

فى خامس محرمها كان بروز السلطان من مصر قاصداً دمشق لأجل الغزو والاحسان إلى الرعايا وكان ذلك آخر عهده بمصر ، وأغار بطريقه على بعض نواحى بلاد الافرنج ، وقد جعل أخاه تاج الملوك بورى بن أيوب على الميمنة ، فالتقوا على الأزرق بعد سبعة أيام ، وقد أغار عز الدين فروخ شاه على بلاد طبرية وافتتح حصونا جيدة ، وأسر منهم خلقاً ، واغتنم عشرين ألف رأس من الأنعام ، ودخل الناصر دمشق سابع صفر ثم خرج منها فى العشر الأول من ربيع الأول ، فاقتتل مع الفرنج

فى نواحى طبرية و بيسان تحت حصن كوكب ، فقتل خلق من الفريقين ، وكانت النصرة للمسلمين على الفرنج ، ثم رجع إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، ثم ركب قاصداً حلب و بلاد الشرق ليأخذها وذلك أن المواصلة والحلبيين كاتبوا الفرنج على حرب المسلمين ، فثارت الفرنج على بعض أطراف البلاد ليشغلوا الناصر عنهم بنفسه ، فجاء إلى حلب فحاصرها ثلاثا ، ثم رأى العدول عنها إلى غيرها أولى ، فسار حتى بلغ الفرات ، واستحوذ على بلاد الجزيرة والرها والرقة ونصيبين ، وخضعت له الملوك ، ثم عاد إلى حلب فتسلمها من صاحبها عماد الدين زنكى ، فاستوثقت له الممالك شرقا وغربا ، وتمكن حينئذ من قتال الفرنج .

فصل

ولما عجز ابرنس الكرك عن إيصال الأذى إلى المسلمين فى البر ، عمل مراكب فى بحر القلزم ليقطعوا الطريق على الحجاج والتجار ، فوصلت أذيتهم إلى عيذاب ، وخاف أهل المدينة النبوية من شرهم ، فأمر الملك العادل الأمير حسام الدين لؤلؤ صاحب الأسطول أن يعمل مراكبه فى بحر القلزم ليحارب أصحاب الابرنس ، ففعل ذلك فظفر بهم فى كل موطن ، فقتلوا منهم وحرقوا وغرقوا وسبوا فى مواطن كثيرة ، ومواقف هائلة ، وأمن البر والبحر باذن الله تعالى ، وأرسل الناصر إلى أخيه العادل ليشكر ذلك عن مساعيه ، وأرسل إلى ديوان الخليفة يعرفهم بذلك .

﴿ فصل فى وفاة المنصور عز الدين ﴾

فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك ونائب دمشق لعمه الناصر ، وهو والد الأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك بعد أبيه ، و إليه تنسب المدرسة الفروخ شاهية بالشرق الشمالى بدمشق ، و إلى جانبها التربة الأمجدية لولده ، وهما وقف على الحنفية والشافعية ، وقد كان فروخ شاه شجاعاً شهماً عاقلا ذكيا كريما ممدحاً ، امتدحه الشعراء لفضله وجوده ، وكان من أكبر أصحاب الشيخ تاج الدين أبى اليمن الكندى ، عرفه من مجلس القاضى الفاضل ، فانتمى إليه ، وكان يحسن إليه ، وله وللعماد الكاتب فيه مدائح ، وكان ابنه الأمجد شاعراً جيدا، ولاه عم أبيه صلاح الدين بعلبك بعد أبيه ، واستمر فيها مدة طويلة ، ومن محاسن فروخ شاه صحبته لتاج الدين الكندى،وله شعر رائق:

أنا فى أسر السقام * وهو فى هذا المقام * رشا يرشق عينا * ه فؤادى بسهام
كلما أرشفنى فا * ه على حر الأوام * ذقت منه الشـ * ـهد المصفى فى المدام

وقد دخل يوما الحمام فرأى رجلا كان يعرفه من أصحاب الأموال ، وقد نزل به الحال حتى إنه كان يستتر ببعض ثيابه لئلا تبدو عورته ، فرق له وأمر غلامه أن ينقل بقجة و بساطا إلى موضع الرجل ،

وأمره فأحضر ألف دينار و بغلة وتوقيعا له فى كل شهر بعشرين ألف دينار ، فدخل الرجل الحمام فقيرا وخرج منه غنيا ، فرحمة الله على الأجواد الجياد

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ الشيخ أبو العباس ﴾

أحمد بن أبى الحسن على بن أبى العباس أحمد المعروف بابن الرفاعى ، شيخ الطائفة الأحمدية الرفاعية البطائحية ، لسكناه أم عبيـدة من قرى البطائح ، وهى بين البصرة و واسط ، كان أصله من العرب فسكن هذه البلاد ، والتف عليه خلق كثير ، ويقال : إنه حفظ التنبيه فى الفقه على مذهب الشافعى . قال ابن خلكان : ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهى حية ، والدخول فى النار فى التنانير وهى تضطرم ، و يلعبون بها وهى تشتعـل ، و يقال إنهم فى بلادهم يركبون الأسـود . وذكر ابن خلكان أنه قال وليس للشيخ أحمد عقب ، و إنما النسل لأخيه وذريته يتوارثون المشيخة بتلك البلاد . وقال : ومن شعره على ما قيل :

إذا جن ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقى سحاب يمطر الهم والأسى * وتحتى بحار بالأسى تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففى القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيطلق

ومن شعره قوله :

أغار عليها من أبيها وأمها * ومن كل من يدنو إليها و ينظر
وأحسد للمرآة أيضا بكفها * إذا نظرت مثل الذى أنا أنظر

قال : ولم يزل على تلك الحـال إلى أن توفى يوم الخميس الثانى والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة . ﴿ خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال ﴾

أبو القاسم القرطبى الحافظ المحدث المؤرخ ، صاحب التصانيف ، له كتاب الصلة جعله ذيلا على تاريخ أبى الوليد بن الفرضى ، وله كتاب المستغيثين بالله ، وله مجـلدة فى تعيين الأسماء المبهمة على طريق الخطيب ، وله أسماء من روى الموطأ على حروف المعجم ، بلغوا ثلاثة وسـبعين رجلا ، مات فى رمضان عن أربع وثمانين سنة .

﴿ العلامة قطب الدين أبو المعالى ﴾

مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى ، تفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالى ، قدم دمشق ودرس بالغزالية والمجاهدية ، و بحلب بمدرسة نور الدين وأسد الدين ، ثم بهمدان ، ثم رجع إلى دمشق ودرس بالغزالية وانتهت إليه رياسة المذهب ، ومات بها فى سلخ رمضان يوم العيد سنة ثمان وسبعين

وخمسمائة ، عن ثلاث وتسعين سنة ، وعنه أخذ الفخر ابن عساكر وغيره ، وهو الذى صلى على الحافظ ابن عساكر والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة ﴾

فى رابع عشر محرمها تسلم السلطان الناصر مدينة آمد صلحا بعد حصار طويل ، من يد صاحبها ابن بيسان ، بعد حمل ما أمكنه من حواصله وأمواله مدة ثلاثة أيام ، ولما تسلم البلد وجد فيه شيئا كثيرا من الحواصل وآلات الحرب ، حتى إنه وجد برجا مملوءاً بنصول النشاب ، وبرجا آخر فيه مائة ألف شمعة ، وأشياء يطول شرحها ، ووجد فيها خزانة كتب ألف ألف مجلد ، وأربعين ألف مجلد ، فوهبها كلها للقاضى الفاضل ، فانتخب منها حمل سبعين حمارة . ثم وهب السلطان البلد بما فيه لنور الدين محمد بن قرا أرسلان ـ وكان قد وعده بها ـ فقيل له : إن الحواصل لم تدخل فى الهبة ، فقال : لا أبخل بها عليه ، وكان فى خزائنها ثلاثة آلاف ألف دينار ، فامتدحه الشعراء على هذا الصنيع . ومن أحسن ذلك قول بعضهم :

قل للملوك تنحوا عن ممالككم * فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها

ثم سار السلطان فى بقية المحرم إلى حلب فحاصرها وقاتله أهلها قتالا شديداً ، فجرح أخو السلطان تاج الملوك بورى بن أيوب جرحاً بليغاً ، فمات منه بعد أيام ، وكان أصغر أولاد أيوب ، لم يبلغ عشرين سنة ، وقيل إنه جاوزها بثنتين ، وكان ذكيا فهما ، له ديوان شعر لطيف ، فحزن عليه أخوه صلاح الدين حزنا شديداً ، ودفنه بحلب ، ثم نقله إلى دمشق ، ثم اتفق الحال بين الناصر وبين صاحب حلب عماد الدين زنكى بن آقسنقر على عوض أطلقه له الناصر ، بأن يرد عليه سنجار ويسلمه حلب ، فخرج عماد الدين من القلعة إلى خدمة الناصر وعزاه فى أخيه ونزل عنده فى المخيم ، ونقل أثقاله إلى سنجار ، وزاده السلطان الخابور والرقة ونصيبين وسروج واشترط عليه إرسال العسكر فى الخدمة لأجل الغزاة فى الفرنج ، ثم سار وودعه السلطان ومكث السلطان فى المخيم يرى حلب أياماً غير مكترث بحلب ولا وقعت منه موقعاً ، ثم صعد إلى قلعتها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر ، وعمل له الأمير طهمان وليمة عظيمة ، فتلا هذه الآية وهو داخل فى بابها (قل اللهم مالك الملك) الآية . ولما دخل دار الملك تلا قوله تعالى (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) الآية ، ولما دخل مقام إبراهيم صلى فيه ركعتين وأطال السجود به ، والدعاء والتضرع إلى الله ، ثم شرع فى عمل وليمة ، وضربت البشائر ، وخلع على الأمراء ، وأحسن إلى الرؤساء والفقراء ، ووضعت الحرب أوزارها ، وقد امتدحه الشعراء بمدائح حسان . ثم إن القلعة وقعت منه بموقع عظيم ، ثم قال : ما سررت بفتح قلعة أعظم سرورا من فتح مدينة حلب ، وأسقطت عنها وعن سائر بلاد الجزيرة المكوس

والضرائب ، وكذلك عن بلاد الشام ومصر ، وقد عاث الفرنج فى غيبته فى الأرض فساداً ، فأرسل إلى عساكره فاجتمعوا إليه ، وكان قد بشر بفتح بيت المقدس حين فتح حلب ، وذلك أن الفقيه مجد الدين بن جهبل الشافعى رأى فى تفسير أبى الحكم العربى عند قوله : (آلم غلبت الروم فى أدنى الأرض) الآية ، البشارة بفتح بيت المقدس فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، واستدل على ذلك بأشياء ، فكتب ذلك فى ورقة وأعطاها للفقيه عيسى الهكارى ، ليبشر بها السلطان ، فلم يتجاسر على ذلك خوفاً من عدم المطابقة ، فأعلم بذلك القاضى محى الدين بن الزكى ، فنظم معناها فى قصيدة يقول فيها :

وفتحكم حلب الشهباء فى صفر * قضى لكم بافتتاح القدس فى رجب (١)

وقدمها إلى السلطان فتاقت نفسه إلى ذلك ، فلما افتتحها كما سيأتى أمر ابن الزكى فخطب يومئذ وكان يوم الجمعة ، ثم بلغه بعد ذلك أن [ابن] جهبل هو الذى قال ذلك أولا ، فأمره فدرس على نفس الصخرة درساً عظيما ، فأجزل له العطاء ، وأحسن عليه الثناء .

فصل

ثم رحل من حلب فى أواخر ربيع الآخر واستخلف على حلب ولده الظاهر غازى ، وولى قضاءها لابن الزكى ، فاستناب له فيها نائباً ، وسار مع السلطان ، فدخلوا دمشق فى ثالث جمادى الأولى وكان ذلك يوما مشهودا ، ثم برز منها خارجا إلى قتال الفرنج فى أول جمادى الآخرة قاصدا نحو بيت المقدس ، فانتهى إلى بيسان فنهبها ، ونزل على عين جالوت ، وأرسل بين يديه سرية هائلة فيها بردويل وطائفة من النورية ، وجاء مملوك عمه أسد الدين فوجدوا جيش الفرنج قاصدين إلى أصحابهم نجدة ، فالتقوا معهم فقتلوا من الفرنج خلقا وأسروا مائة أسير ، ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد ، ثم عاد فى آخر ذلك اليوم ، وبلغ السلطان أن الفرنج قد اجتمعوا لقتاله ، فقصدهم وتصدى لهم لعلهم يصافونه ، فالتقى معهم فقتل منهم خلقا كثيرا ، وجرح مثلهم فرجعوا ناكصين على أعقابهم خائفين منه غاية المخافة ، ولا زال جيشه خلفهم يقتل ويأسر حتى غزوا فى بلادهم فرجعوا عنهم ، وكتب القاضى الفاضل إلى الخليفة يعلمه بما منّ الله عليه وعلى المسلمين من نصرة الدين ، وكان لا يفعل شيئا ولا يريد أن يفعله إلا أطلع عليه الخليفة أدبا واحتراما وطاعة واحتشاما .

فصل

وفى رجب سار السلطان إلى الكرك فحاصرها وفى صحبته تقى الدين عمر بن أخيه ، وقد كتب لأخيه العادل ليحضر عنده ليوليه حلب وأعمالها وفق ما كان طلب ، واستمر الحصار على الكرك

(١) وفى النجوم الزاهرة : * وفتحه حلبا بالسيف فى صفر مبشر بفتوح القدس فى رجب .

مدة شهر رجب ، ولم يظفر منها بطلب ، و بلغه أن الفرنج قد اجتمعوا كلهم ليمنعوا منه الكرك فكرّ راجعاً إلى دمشق ـ وذلك من أكبر همته ـ وأرسل ابن أخيه تقى الدين إلى مصر نائباً ، و فى صحبته القاضى الفاضل ، و بعث أخاه على مملكة حلب وأعمالها ، واستقدم ولده الظاهر إليه ، وكذلك نوابه ومن يعز عليه ، و إنما أعطى أخاه حلب ليكون قريباً منه ، فانه كان لا يقطع أمراً دونه ، واقترض السلطان من أخيه العادل مائة ألف دينار ، وتألم الظاهر بن الناصر على مفارقة حلب ، وكانت إقامته بها ستة أشهر ، ولكن لايقدر أن يظهر مافى نفسه لوالده ، لكن ظهر ذلك على صفحات وجهه ولفظات لسانه

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة هجرية ﴾

فيها أرسل الناصر إلى العساكر الحلبية والجزيرية والمصرية والشامية أن يقدموا عليه لقتال الفرنج ، فقدم عليه تقى الدين عمر من مصر ومعه الفاضل ، ومن حلب العادل ، وقدمت ملوك الجزيرة وسنجار وغيرها ، فأخذ الجميع وسار نحو الكرك فأحدقوا بها فى رابع عشر جمادى الأولى ، وركب عليها المنجنيقات ، وكانت تسعة ، وأخذ فى حصارها ، وذلك أنه رأى أن فتحها أنفع للمسلمين من غيرها ، فان أهلها يقطعون الطريق على الحجاج ، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الفرنج قد اجتمعوا له كلهم فارسهم و راجلهم ، ليمنعوا منه الكرك ، فانشمر عنها وقصدهم فنزل على حسان تجاههم ، ثم صار إلى ما عر ، فانهزمت الفرنج قاصدين الكرك ، فأرسل وراءهم من قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأمر السلطان بالاغارة على السواحل لخلوها من المقاتلة ، فنهبت نابلس وما حولها من القرى والرساتيق ، ثم عاد السلطان إلى دمشق فأذن للعساكر فى الانصراف إلى بلادهم ، وأمر ابن أخيه عمر الملك المظفر أن يعود إلى مصر ، وأقام هو بدمشق ليؤدى فرض الصيام ، وليجل الخيل و يحد الحسام ، وقدم على السلطان خلع الخليفة فلبسها ، وألبس أخاه العادل ، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ، ثم خلع خلعته على ناصر الدين بن قرا أرسلان ، صاحب حصن كيفا وآمد التى أطلقها له السلطان . وفيها مات صاحب المغرب ﴿ يوسف بن عبد المؤمن بن على ﴾ وقام فى الملك بعده ولده يعقوب . و فى أواخرها بلغ صلاح الدين أن صاحب الموصل نازل أربل فبعث صاحبها يستصرخ به ، فركب من فوره إليه ، فسار إلى بعلبك ثم إلى حماه ، فأقام بها أياماً ينتظر وصول العماد إليه ، وذلك لانه حصل له ضعف فأقام ببعلبك ، وقد أرسل إليه الفاضل من دمشق طبيباً يقال له أسعد بن المطران ، فعالجه مداواة من طب لمن حب .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ﴾

استهلت والسلطان مخيم بظاهر حماه ، ثم سار إلى حلب ، ثم خرج منها فى صفر قاصدا الموصل فجاء إلى حران فقبض على صاحبها مظفر الدين ، وهو أخو زين الدين صاحب إربل ، ثم رضى عنه

وأعاده إلى مملكته حتى يتبين خبث طويته ، ثم سار إلى الموصل فتلقاه الملوك من كل ناحية ، وجاء إلى خدمتــه عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان ، وسار السلطان فنزل على الاسماعيليات قريباً من الموصل ، وجاءه صاحب إربل نور الدين الذى خضعت له ملوك تلك الناحية ، ثم أرسل صلاح الدين ضياء الدين الشهرزورى إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل ، و إنما مقصوده ردهم إلى طاعة الخليفة ، ونصرة الاسلام ، فحاصرها مدة ثم رحل عنها ولم يفتحها ، وسار إلى خلاط واستحوذ عـلى بلدان كثيرة ، وأقاليم جمة ببلاد الجزيرة وديار بكر ، وجرت أمور استقصاها ابن الأثير فى كامله ، وصاحب الروضتين ، ثم وقع الصلح بينه و بين المواصلة ، على أن يكونوا من جنده إذا ندبهم لقتال الفرنج ، وعلى أن يخطب له وتضرب له السكة ، ففعلوا ذلك فى تلك البلاد كلها ، وانقطعت خطبة السلاجقة والازيقية بتلك البلاد كلها ، ثم اتفق مرض السلطان بعد ذلك مرضاً شديدا ، فكان يتجلد ولا يظهر شيئا من الألم حتى قوى عليه الأمر وتزايد الحال ، حتى وصل إلى حران فخيم هنالك من شدة ألمه ، وشاع ذلك فى البلاد ، وخاف الناس عليه وأرجف الكفرة والملحدون بموته ، وقصده أخوه العادل من حلب بالأطباء والأدوية ، فوجده فى غاية الضعف ، وأشار عليه بأن يوصى ، فقال : ما أبالى وأنا أترك من بعــدى أبا بكر وعمر وعثمان وعليا ـ يعنى أخاه العادل وتقى الدين عمر صاحب حمـاه وهو إذ ذاك نائب مصر ، وهو بها مقيم ، وابنيه العزيز عثمان والأفضـل علياً ـ ثم نذر لئن شفاه الله من مرضه هـذا ليصرفن همته كلها إلى قتال الفرنج ، ولا يقاتل بعــد ذلك مسلما ، وليجعل أكبر همــه فتح بيت المقدس ، ولو صرف فى سـبيل الله جميع ما يملـكه من الأموال والذخائر ، وليقتلن البرنس صاحب الكرك بيــده ، لأنه نقض العهد وتنقص الرسول ﷺ ، وذلك أنه أخـذ قافلة ذاهبة من مصر إلى الشام ، فأخذ أموالهم وضرب رقابهم ، وهو يقول : أين محمدكم ؟ دعوه ينصركم ، وكان هذا النذر كله باشارة القاضى الفاضل ، وهو أرشده إليه وحثه عليه ، حتى عقده مع الله عز وجل ، فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض الذى كان فيه ، كفارة لذنوبه ، وجاءت البشارات بذلك من كل ناحية ، فدقت البشائر وزينت البـلاد ، وكتب الفاضل من دمشق وهو مقيم بها إلى المظفر عمر أن العافية الناصرية قد استقامت واستفاضت أخبارها ، وطلعت بعد الظلمة أنوارها ، وظهرت بعد الاختفاء آثارها ، وولت العلة ولله الحمد والمنة ، وطفئت نارها ، وانجلى غبارها ، وخمد شرارها ، وما كانت إلا فلتة وقى الله شرها وشنارها ، وعظمية كفى الله الاسلام عارها ، وتوبة امتحن الله بها نفوسنا ، فرأى أقل ما عندها صبرنا ، وما كان الله ليضيع الدعاء وقد أخلصته القلوب ، ولا تتوقف الاجابة وإن سدت طريقها الذنوب ، ولا ليخلف وعد فرج وقد أيس الصاحب والمصحوب :

نعمى زاد فيه الدهر ميا * فأصبح بعد بؤساه نعيا

وما صدق النذير به لأنى * رأيت الشمس تطلع والنجوما

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر غضة جديدة ، والعزمة ماضية حديدة ، والنشاط إلى الجهاد ، والتوبة لرب العباد ، والجنة مبسوطة البساط ، وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط ، وعرضنا نحن على الأهوال التى من خوفها كاد الجمل يلج بسم الخياط . ثم ركب السلطان من حران بعد العافية فدخل حلب ، ثم ركب فدخل دمشق ، وقد تكاملت عافيته ، وقد كان يوماً مشهودا .

وفيها توفى من الأعيان الفقيه مهذب الدين .

﴿ عبد الله بن أسعد الموصلى ﴾

مدرس حمص ، وكان بارعا فى فنون ، ولا سيما فى الشعر والأدب ، وقد أثنى عليه العماد ، والشيخ شهاب الدين أبو شامة .

﴿ الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه ﴾

صاحب حمص والرحبة ، وهو ابن عم صلاح الدين ، وزوج أخته ست الشام بنت أيوب ، توفى بحمص فنقلته زوجته إلى تربتها بالشامية البرانية ، وقبره الأوسط بينها و بين أخيها المعظم توران شاه صاحب اليمن ، وقد خلف من الأموال والذخائر شيئا كثيرا ، ينيف على ألف ألف دينار توفى يوم عرفة فجأة فولى بعده مملكة حمص ولده أسد الدين شيركوه بأمر صلاح الدين .

﴿ المحمودى بن محمد بن على بن إسماعيل ﴾

ابن عبد الرحيم الشيخ جمال الدين أبو الثناء محمودى بن الصابونى ، كان أحد الأئمة المشهورين ، و إنما يقال له المحمودى لصحبة جده السلطان محمود بن زنكى ، فأكرمه ثم سار إلى مصر فنزلها ، وكان صلاح الدين يكرمه ، وأوقف عليه وعلى ذريته أرضاً ، فهى لهم إلى الآن .

﴿ الأمير الكبير سعد الدين مسعود ﴾

ابن معين الدين ، كان من كبار الأمراء أيام نور الدين وصلاح الدين ، وهو أخو الست خاتون وحين تزوجها صلاح الدين زوجه بأخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب ، التى تنسب إليها المدرسة الصاحبية بسفح قيسون على الحنابلة ، وقد تأخرت مدتها فتوفيت فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وكانت آخر من بقى من أولاد أيوب لصلبه ، و كانت وفاته بدمشق فى جمادى الآخرة من جرح أصابه وهو فى حصار ميا فارقين .

﴿ الست خاتون عصمت الدين ﴾

بنت معين الدين ، نائب دمشق ، وأتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم ، وقد كانت زوجة نور الدين ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وكانت من أحسن النساء وأعفهن وأكبرهن صدقة ، وهى واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب ،

وخانقات خاتون ظاهر باب النصر فى أول الشرف القبلى على بانياس ، ودفنت بتربتها فى سفح قايسون قريباً من قباب السركسية ، و إلى جنبها دار الحديث الأشرفية والاتابكية ، ولها أوقاف كثيرة غير ذلك ، وأما الخاتونية البرانية التى على القنوات بمحلة صنعاء الشام ، و يعرف ذلك المكان التى هى فيه بتل الثعالب ، فهى من إنشاء الست زمرد خاتون بنت جاولى ، وهى أخت الملك دقاق لأمه ، وكانت زوجة زنكى والد نور الدين محمود ، صاحب حلب ، وقد ماتت قبل هذا الحين كما تقدمت وفاتها

﴿ الحافظ الكبير أبو موسى المدينى ﴾

محمد بن عمر بن محمد الأصبهانى الحافظ الموسوى المدينى ، أحد حفاظ الدنيا الرحالين الجوالين له مصنفات عديدة ، وشرح أحاديث كثيرة رحمه الله .

﴿ السهيلى أبو القاسم ﴾

وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبى محمد عبد الله بن الخطيب أبى عمر أحمد بن أبى الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح ـ هو الداخل إلى الأندلس ـ الخثعمى السهيلى ، حكى القاضى ابن خلكان أنه أملى عليه نسبه كذلك ، قال والسهيلى نسبة إلى قرية بالقرب من مالقة اسمها سهيل ، لأنه لايرى سهيل النجم فى شىء من تلك البلاد إلا منها من رأس جبل شاهق عندها ، وهى من قرى المغرب ، ولد السهيلى سنة ثمان وخمسمائة ، وقرأ القراءات واشتغل وحصل حتى برع وساد أهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصنيف ، وذلك من فضل الله تعالى ورحمته ، وكان ضريراً مع ذلك ، له الروض الأنف يذكر فيه نكتاً حسنة على السيرة لم يسبق إلى شىء منها أو إلى أكثرها ، وله كتاب الاعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء الاعلام ، وكتاب نتائج الفكر ، ومسألة فى الفرائض بديعة ، ومسألة فى سركون الدجال أعور ، وأشياء فريدة كثيرة بديعة مفيدة ، وله أشعار حسنة ، وكان عفيفاً فقيراً ، وقد حصل له مال كثير فى آخر عمره من صاحب مراكش ، مات يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من هذه السنة ، وله قصيدة كان يدعو الله بها و يرتجى الاجابة فيها وهى :

يامن يرى مافى الضمير و يسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه فى قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى إليك وسيلة * فبالافتقار إليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب أقرع ؟
ومن الذى أرجو وأهتف باسمه * إن كان فضلك عن فقيرك يمنع ؟

حاشا لمجدك أن تقنط عاصياً ❊ الفضل أجزل والمواهب أوسع

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ﴾

فى ثانى ربيع الأول منها كان دخول الناصر دمشق بعد عافيته ، وزار القاضى الفاضل ، واستشاره ، وكان لا يقطع أمراً دونه ، وقرر فى نيابة دمشق ولده الأفضل على ، ونزل أبو بكر العادل عن حلب لصهره زوج ابنته الملك الظاهر غازى بن الناصر ، وأرسل السلطان أخاه العادل صحبة ولده عماد الدين عثمان الملك العزيز على ملك مصر ، ويكون الملك العادل أتابكه ، وله إقطاع كبيرة جداً ، وعزل عن نيابتها تقى الدين عمر ، فعزم على الدخول إلى إفريقية ، فلم يزل الناصر يتلطف به ويترفق له حتى أقبل بجنوده نحوه ، فأكرمه واحترمه وأقطعه حماه وبلاداً كثيرة معها ، وقد كانت له قبل ذلك ، وزاد له على ذلك مدينة ميافارقين ، وامتدحه العماد بقصيدة ذكرها فى الروضتين .

وفيها هادن قومس طرابلس السلطان وصالحه وصافاه ، حتى كان يقاتل ملوك الفرنج أشد القتال وسبى منهم النساء والصبيان ، وكاد أن يسلم ولكن صده السلطان فمات على الكفر والطغيان ، وكانت مصالحته من أقوى أسباب النصر على الفرنج ، ومن أشد ما دخل عليهم فى دينهم . قال العماد الكاتب : وأجمع المنجمون على خراب العالم فى شعبان ، لأن الكواكب الستة تجتمع فيه فى الميزان ، فيكون طوفان الريح فى سائر البلدان ، وذكر أن ناساً من الجهلة تأهبوا لذلك بحفر مغارات فى الجبال ومدخلات وأسراب فى الأرض خوفاً من ذلك ، قال: فلما كانت تلك الليلة التى أشاروا إليها وأجمعوا عليها لم ير ليلة مثلها فى سكونها وركودها وهدوئها ، وقد ذكر ذلك غير واحد من الناس فى سائر أقطار الأرض ، وقد نظم الشعراء فى تكذيب المنجمين فى هذه الواقعة وغيرها أشعاراً كثيرة حسنة منها :

مزق التقويم والزيج فقد بان الخطا ❊ إنما التقويم والزيج هباء وهوا
قلت للسبعة إبرام ومنع وعطا ❊ ومتى ينزلن فى الميزان يستولى الهوا
ويثور الرمل حتى يمتلى منه الصفا ❊ ويعم الأرض رجف وخراب وبلى
ويصير القاع كالقف وكالطود العدا ❊ وحكمتم فأبى الحاكم إلا ما يشا
ما أتى الشرع ولا جاءت بهذا الأنبيا ❊ فبقيتم ضحكة يضحك منها العلما
حسبكم خزيا وعاراً مايقول الشعرا ❊ ما أطمعكم فى الحكم إلا الأمرا
ليت إذ لم يحسنوا فى الدين ظنا ما أسا ❊ فعلى اصطرلاب بطليموس والزيج العفا

وعليه الخزى ما جادت على الأرض السما

وممن توفى فيها من الأعيان .

﴿ أبو محمد عبد الله بن أبى الوحش ﴾

برى بن عبد الجبار بن برى المقدسى ثم المصرى ، أحد أئمة اللغة والنحو فى زمانه ، وكان عليه

تعرض الرسائل بعد ابن بابشاد ، وكان كثير الاطلاع عالما بهذا الشأن ، مطرحا للتكليف فى كلامه ، لا يلتفت ولا يعرج على الاعراب فيه إذا خاطب الناس ، وله التصانيف المفيدة ، توفى وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين رحمه الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وقعة حطين التى كانت أمارة وتقدمة وإشارة لفتح بيت المقدس ، واستنقاذه من أيدى الكفرة . قال ابن الأثير: كان أول يوم منها يوم السبت ، وكان يوم النيروز ، وذلك أول سنة الفرس ، واتفق أن ذلك كان أول سنة الروم ، وهو اليوم الذى نزلت فيه الشمس برج الحمل ، وكذلك كان القمر فى برج الحمل أيضاً ، وهذا شىء يبعد وقوع مثله ، وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم فى جيشه ، فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك فى طائفة من الجيش وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى نخيم على قصر أبى سلام ، ينتظر قدوم الحجاج ، وفيهم أخته ست الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين ، ليسلموا من معرة برنس الكرك ، فلما جاز الحجيج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار ، ورعى الزرع وأكلوا الثمار ، وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية ، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس الماء ، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت ، فبشر بمقدمات الفتح والنصر ، وجاء السلطان بجحافله فالتفت عليه جميع العساكر ، فرتب الجيوش وسار قاصداً بلاد الساحل ، وكان جملة من معه من المقاتلة اثنى عشر ألفا غير المتطوعة ، فتسامعت الفرنج بقدومه فاجتمعوا كلهم وتصالحوا فيما بينهم ، وصالح قومس طرابلس وبرنس الكرك الفاجر ، وجاءوا بحدهم وحديدهم واستصحبوا معهم صليب الصلبوت يحمله منهم عباد الطاغوت ، وضلال الناسوت ، فى خلق لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل ، يقال كانوا خمسين ألفا وقيل ثلاثا وستين ألفا ، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك فقال له لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم ، وسترى غب ما أقول لك ، فتقدموا نحو المسلمين وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الأطعمة والأمتعة وغير ذلك ، وتحصنت منه القلعة فلم يعبأ بها ، وحاز البحيرة فى حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة ، حتى صاروا فى عطش عظيم ، فبرز السلطان إلى سطح الجبل الغربى من طبرية عند قرية يقال لها حطين ، التى يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام ، وجاء العدو المخذول ، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم ، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان ، وأسفر وجه الايمان واغبر وأقتم وأظلم وجه الكفر والطغيان ، ودارت دائرة السوء على عبدة الصلبان ، وذلك عشية يوم

الجمعة ، فبات الناس على مصافهم وأصبح صباح يوم السبت الذى كان يوماً عسيراً على أهل الأحد وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر ، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوى بهم العطش ، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشيما ، وكان ذلك عليهم مشئوماً ، فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط ، فرموه فتأجج ناراً تحت سنابك خيولهم ، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال ، وتبارز الشجعان ، ثم أمر السلطان بالتكبير والحملة الصادقة فحملوا وكان النصر من الله عز وجل ، فمنحهم الله أكتافهم فقتل منهم ثلاثون ألفا فى ذلك اليوم ، وأسر ثلاثون ألفا من شجعانهم وفرسانهم ، وكان فى جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قومس طرابلس فانه انهزم فى أول المعركة ، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم ، وهو الذى يزعمون أنه صلب عليه المصلوب ، وقد غلفوه بالذهب واللآلئ والجواهر النفيسة ، ولم يسمع بمثل هذا اليوم فى عز الاسلام وأهله ، ودمغ الباطل وأهله ، حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفاً وثلاثين أسيراً من الفرنج ، قد ربطهم بطنب خيمة ، وباع بعضهم أسيراً بنعل ليلبسها فى رجله ، وجرت أمور لم يسمع بمثلها إلا فى زمن الصحابة والتابعين ، فلله الحمد دائماً كثيراً طيباً مباركا .

فلما تمت هذه الوقعة ووضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم ، وجلس فيه على سرير المملكة وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها ، وجيء بالأسارى تتهادى بقيودها ، فأمر بضرب أعناق جماعة من مقدمى الداوية ـ والأسارى بين يديه ـ صبراً ، ولم يترك أحداً منهم ممن كان يذكر الناس عنه شراً ، ثم جيء بملوكهم فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم ، فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه ، وأجلس أرياط برنس الكرك وبقيتهم عن شماله ، ثم جيء إلى السلطان بشراب من الجلاب مثلوجاً ، فشرب ثم ناول الملك فشرب ، ثم ناول أرياط صاحب الكرك فغضب السلطان وقال له : إنما ناولتك ولم آذن لك أن تسقيه ، هذا لا عهد له عندى ، ثم تحول السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة واستدعى بأرياط صاحب الكرك ، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعاه إلى الاسلام فامتنع ، فقال له : نعم أنا أنوب عن رسول الله ﷺ فى الانتصار لأمته ، ثم قتله وأرسل برأسه إلى الملوك وهم فى الخيمة ، وقال : إن هذا تعرض لسب رسول الله ﷺ ، ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والأستثارية صبراً وأراح المسلمين من هذين الجنسين الخبيثين ، ولم يسلم ممن عرض عليه الاسلام إلا القليل ، فيقال إنه بلغت القتلى ثلاثين ألفا ، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفا ، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفا ، وكان من سلم مع قلتهم وهرب أكثرهم جرحى فماتوا ببلادهم ، وممن مات كذلك قومس طرابلس ، فانه انهزم جريحاً فمات بها بعد مرجعه ، ثم أرسل السلطان برؤس أعيان الفرنج ومن لم يقتل من رؤسهم ، وبصليب

الصلبوت صحبة القاضى ابن أبى عصرون إلى دمشق ليودعوا فى قلعتها ، فدخل بالصليب منكوساً وكان يوما مشهودا .

ثم سار السلطان إلى قلعة طبرية فأخذها ، وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران والبلقاء وما حولها من الجولان وتلك الأراضى كلها بالنصف ، فأراح الله المسلمين من تلك المقاسمة ، ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى أقليم الأردن ، فتسلم تلك البلاد كلها ، وهى قرى كثيرة كبار وصغار ، ثم سار إلى عكا فنزل عليها يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر ، فافتتحها صلحا يوم الجمعة ، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوك وأموالهم وذخائرهم ومتاجر وغيرها ، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين ، فوجد فيها أربعة آلاف أسير ، ففرج الله عنهم ، وأمر باقامة الجمعة بها ، وكانت أول جمعة أقيمت بالساحل بعد أخذه الفرنج ، نحوا من سبعين سنة . ثم سار منها إلى صيدا و بيروت وتلك النواحى من السواحل يأخذها بلدا بلدا ، لخلوها من المقاتلة والملوك ، ثم رجع سائرا نحو غزة وعسقلان ونابلس و بيسان وأراضى الغور ، فملك ذلك كله ، واستناب على نابلس ابن أخيه حسام الدين عمر بن محمد بن لاشين ، وهو الذى افتتحها ، وكان جملة ما افتتحه السلطان فى هذه المدة القريبة خمسين بلدا كبارا كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة ، وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شيئا كثيرا ، وسبوا خلقا .

ثم إن السلطان أمر جيوشه أن ترتع فى هذه الاماكن مدة شهور ليستريحوا وتجمو أنفسهم وخيولهم لفتح بيت المقدس ، وطار فى الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس ، فقصده العلماء والصالحون تطوعا ، وجاؤا إليه ، و وصل أخوه العادل بعد وقعة حطين وفتح عكا ففتح بنفسه حصونا كثيرة ، فاجتمع من عباد الله ومن الجيوش شئ كثير جدا ، فعند ذلك قصد السلطان القدس بمن معه كما سيأتى . وقد امتدحه الشعراء بسبب وقعة حطين فقالوا وأكثروا ، وكتب إليه القاضى الفاضل من دمشق ـ وهو مقيم بها لمرض اعتراه ـ « ليهن المولى أن الله أقام به الدين ، وكتب المملوك هذه الخدمة والرؤس لم ترفع من سجودها ، والدموع لم تمسح من خدودها ، وكلما ذكر المملوك أن البيع تعود مساجد ، والمكان الذى كان يقال فيه إن الله ثالث ثلاثة يقال فيه اليوم إنه الواحد ، جدد لله شكرا تارة يفيض من لسانه ، وتارة يفيض من جفنه سرورا بتوحيد الله ، تعالى الملك الحق المبين ، وأن يقال محمد رسول الله الصادق الأمين ، وجزى الله يوسف خيرا عن إخراجه من سجنه ، والمماليك ينتظرون المولى وكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد عزم على دخول حمام طبرية .

تلك المكارم لاقعبان من لبن * وذلك السيف لا سيف ابن ذى يزن

ثم قال : وللألسنة بعد فى هذا الفتح تسبيح طويل وقول جميل جليل » .

﴿ ذكر فتح بيت المقدس فى هذه السنة ﴾

« واستنقاذه من أيدى النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وتسعين سنة »

لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدم، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس، فنزل غربى بيت المقدس فى الخامس عشر من رجب من هذه السنة ـ أعنى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ـ فوجد البلد قد حصنت غاية التحصين، وكانوا ستين ألف مقاتل، دون بيت المقدس أو يزيدون، وكان صاحب القدس يومئذ رجلا يقال له بالبان بن بازران، ومعه من سلم من وقعة حطين يوم التقى الجمعان، من الداوية والاستثارية أتباع الشيطان، وعبدة الصلبان، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه، ثم تحول السلطان إلى ناحية الشام لأنه رآها أوسع للمجال، والجلاد والنزال، وقاتل الفرنج دون البلد قتالا هائلا، وبذلوا أنفسهم وأموالهم فى نصرة دينهم وقمامهم، واستشهد فى الحصار بعض أمراء المسلمين، فحنق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين، واجتهدوا فى القتال ونصب المناجنيق والعرادات على البلد، وغنت السيوف والرماح الخطيات، والعيون تنظر إلى الصلبان منصوبة فوق الجدران، وفوق قبة الصخرة صليب كبير، فزاد ذلك أهل الايمان حنقا وشدة التشمير، وكان ذلك يوماً عسيراً على الكافرين غير يسير، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وعلقها وحشاها وأحرقها، فسقط ذلك الجانب وخر البرج برمته فاذا هو واجب، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع، والخطب المؤلم الوجيع، قصد أكابرهم السلطان وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان، فامتنع من ذلك وقال: لا أفتحها إلا عنوة، كما افتتحتموها أنتم عنوة، ولا أترك بها أحدا من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين، فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمنه، فلما حضر ترقق للسلطان وذل ذلا عظيما، وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم، فقالوا إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا ـ وكانوا قريبا من أربعة آلاف ـ وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا، وخربنا الدور والأماكن الحسنة، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما نقدر عليه، ولا نبقى ممكنا فى إتلاف ما نقدر عليه، وبعد ذلك نخرج فنقاتل قتال الموت، ولا خير فى حياتنا بعد ذلك، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعدادا منكم، فماذا ترتجى بعد هذا من الخير؟

فلما سمع السلطان ذلك أجاب إلى الصلح وأناب، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل صغير وصغيرة دينارين، ومن عجز عن ذلك كان أسيراً للمسلمين، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين، وأنهم يتحولون منها إلى مأمنهم

وهى مدينة صور . فكتب الصاح بذلك ، وأن من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يوماً فهو أسير ، فكان جملة من أسر بهذا الشرط ستة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان ، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل ، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب . قال العماد :وهى ليلة الاسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . قال أبو شامة : وهو أحد الأقوال فى الاسراء ، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافاً لمن زعم أنها أقيمت يومئذ ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد ، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت ، و إنما أقيمت فى الجمعة المقبلة ، وكان الخطيب محى الدين بن محمد بن على القرشى ابن الزكى كما سيأتى قريباً .

ولكن نظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير ، وخربت دور الداوية وكانوا قد بنوها غربى المحراب الكبير ، واتخذوا المحراب مشتاً لعنهم الله ، فنظف من ذلك كله ، وأعيد إلى ما كان عليه فى الأيام الاسلامية ، وغسلت الصخرة بالماء الطاهر ، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك الفاخر ، وأبرزت للناظرين ، وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين ، ووضع الصليب عن قبتها ، وعادت إلى حرمتها ، وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعاً فباعوها من أهل البحور الجوانية بزنتها ذهباً ، فتعذر استعادة ما قطع منها .

ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال ، وأطلق السلطان خلقا منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال ، ووقعت المسامحة فى كثير منهم ، وشفع فى أناس كثير فعفا عنهم ، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب فى العسكر ، ولم يأخذ منه شيئا مما يقتنى ويدخر ، وكان رحمه الله حليما كريماً مقداماً شجاعا رحيما .

﴿ ذكر أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه فى الدولة الصلاحية ﴾

لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان والقساقس ، ودخله أهل الايمان ، ونودى بالأذان وقرئ القرآن ، ووحد الرحمن ، كان أول جمعة أقيمت فى اليوم الرابع من شعبان ، بعد يوم الفتح بثمان ، فنصب المنبر إلى جانب المحراب ، و بسطت البسط وعلقت القناديل وتلى التنزيل ، وجاء الحق و بطلت الأباطيل ، وصفت السجادات وكثرت السجدات ، وتنوعت العبادات ، وارتفعت الدعوات ، ونزلت البركات ، وانجلت الكربات ، وأقيمت الصلوات ، وأذن المؤذنون ، وخرس القسيسون ، وزال البوس وطابت النفوس ، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس ، وعبد الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وكبره الراكع والساجد ، والقائم والقاعد ، وامتلأ الجامع وسالت لرقة القلوب المدامع ، ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال كادت

القلوب تطير من الفرح فى ذلك الحال ، ولم يكن عين خطيب فبرز من السلطان المرسوم الصلاحى وهو فى قبة الصخرة أن يكون القاضى محيى الدين بن الزكى اليوم خطيباً ، فلبس الخلعة السوداء وخطب الناس خطبة سنية فصيحة بليغة ، ذكر فيها شرف البيت المقدس ، وما ورد فيه من الفضائل والترغيبات ، وما فيه من الدلائل والأمارات . وقد أورد الشيخ أبو شامة الخطبة فى الروضتين بطولها وكان أول ما قال (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

ثم أورد تحميدات القرآن كلها ، ثم قال : « الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، ومزيد النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذى قدر الأيام دولا بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على العباد من طله وهطله ، [الذى] أظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره ، ومطهر بيت المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك ، ورافض الافك ، الذى أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، ما زاغ البصر وما طغى ، ﷺ وعلى خليفته الصديق السابق إلى الايمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب مزلزل الشرك ، ومكسر الأصنام ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان » .

ثم ذكر الموعظة وهى مشتملة على تغبيط الحاضرين بما يسّره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس ، الذى من شأنه كذا وكذا ، فذكر فضائله ومآثره ، وأنه أول القبلتين ، وثانى المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ، وإليه أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام ، وصلى فيه بالأنبياء والرسل الكرام ، ومنه كان المعراج إلى السموات ، ثم عاد إليه ثم سار منه إلى المسجد الحرام على البراق ، وهو أرض المحشر والمنشر يوم التلاق ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، وقد أسس على التقوى من أول يوم .

قلت : ويقال إن أول من أسسه يعقوب عليه السلام بعد أن بنى الخليل المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء فى الصحيحين ، ثم جدد بناءه سليمان بن داود عليهما السلام ، كما ثبت فيه الحديث

بالمسند والسنن ، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم ، وسأل سليمان عليه السلام الله عند فراغه منه خلالا ثلاثا ، حكما يصادف حكمه ، وملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، وأنه لا يأتى أحد هذا المسجد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

ثم ذكر تمام الخطبتين ، ثم دعا للخليفة الناصر العباسى ، ثم دعا للسلطان الناصر صلاح الدين . وبعد الصلاة جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن بن على نجا المصرى على كرسى الوعظ بإذن السلطان ، فوعظ الناس ، واستمر القاضى ابن الزكى يخطب بالناس فى أيام الجمع أربع جمعات ، ثم قرر السلطان للقدس خطيباً مستقرا ، وأرسل إلى حلب فاستحضر المنبر الذى كان الملك العادل نور الدين الشهيد قد استعمله لبيت المقدس ، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه ، فما كان إلا على يدى بعض أتباعه صلاح الدين بعد وفاته

﴿ نكتة غريبة ﴾

قال أبو شامة فى الروضتين : وقد تكلم شيخنا أبو الحسن على بن محمد السخاوى فى تفسيره الأول فقال : وقع فى تفسير أبى الحكم الأندلسى ـ يعنى ابن برجان ـ فى أول سورة الروم أخبار عن فتح بيت المقدس ، وأنه ينزع من أيدى النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . قال السخاوى : ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف ، وإنما أخذه فيما زعم من قوله (آلم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون ، فذكر أنهم يغلبون فى سنة كذا وكذا ، ويُغلبون فى سنة كذا كذا ، على ما تقتضيه دوائر التقدير ، ثم قال : وهذه نجابة وافقت إصابة ، إن صح ، قال ذلك قبل وقوعه ، وكان فى كتابه قبل حدوثه ، قال : وليس هذا من قبيل علم الحروف ، ولا من باب الكرامات والمكاشفات ، ولا ينال فى حساب ، قال : وقد ذكر فى تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذى نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذى يرفع فيه .

قلت : ابن برجان ذكر هذا فى تفسيره فى حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، ويقال إن الملك نور الدين أوقف على ذلك فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، لأن مولده فى سنة إحدى عشر وخمسمائة ، فتهيأ لأسباب ذلك حتى إنه أعد منبراً عظيما لبيت المقدس إذا فتحه والله أعلم .

وأما الصخرة المعظمة فان السلطان أزال ما حولها من المنكرات والصور والصلبان ، وطهرها بعد ما كانت جيفة ، وأظهرها بعد ما كانت خفية مستورة غير مرئية ، وأمر الفقيه عيسى الهكارى أن يعمل حولها شبابيك من حديد ، ورتب لها إماماً راتبا ، وقف عليه رزقا جيدا ، وكذلك إمام الأقصى ، وعمل للشافعية مدرسة يقال لها الصلاحية والناصرية أيضاً ، وكان موضعها كنيسة على قبر حنة أم مريم ، ووقف على الصوفية رباطا كان للبترك إلى جنب القمامة ، وأجرى على الفقهاء والفقراء الجوامك ، وأرصد الختم والربعات فى أرجاء المسجد الأقصى والصخرة ، ليقرأ فيها المقيمون والزائرون

وتنافس بنوا أيوب فيما يفعلونه ببيت المقدس وغيره من الخيرات إلى كل أحـد ، وعزم السلطان على هدم القمامة وأن يجعلها دكا لتنحسم مادة النصارى من بيت المقدس ، فقيل [له] إنهم لا يتركون الحج إلى هذه البقعة ، ولو كانت قاعا صفصفا ، وقد فتح هذه البلاد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وترك هذه الكنيسة بأيديهم ، ولك فى ذلك أسوة . فأعرض عنها وتركها على حالها تأسيا بعمر رضى الله عنه ، ولم يترك من النصارى فيها سـوى أربعة يخدمونها ، وحال بين النصارى و بينها ، وهدم المقابر التى كانت لهم عند باب الرحمة ، وعفا آثارها ، وهدم ما كان هناك من القباب .

وأما أسارى المسلمين الذين كانوا بالقدس فانه أطلقهـم جميعهم ، وأحسن إليهم ، وأطلق لهم إعطاءات سنية ، وكساهم وانطلق كل منهم إلى وطنه : وعاد إلى أهله ومسكنه ، فلله الحمد على نعمه ومننه

فصل

فلما فرغ السلطان صلاح الدين من القدس الشريف انفصـل عنها فى الخامس والعشرين من شعبان قاصدا مدينة صور بالساحل ، وكان فتحها قد تأخر ، وقد استحوذ عليها بعد وقعة حطين رجل من تجـار الفرنج يقال له المركيس ، فحصنها وضبط أمرها وحفر حولها خنـدقا من البحر إلى البحر ، فجاء السلطان فحاصرها مـدة ، ودعا بالأسطول من الديار المصرية فى البحر ، فأحاط بها برا و بحرا ، فمدت الفرنج فى بعض الليالى عـلى خمس شوانى من أسطول المسلمين فملكتها ، فأصبح المسلمون واجمين حزنا وتأسفا ، وقد دخل عليهم فصل البرد وقلت الأزواد ، وكثرت الجراحات وكلّ الأمراء من المحاصرات ، فسألوا السلطان أن ينصرف بهم إلى دمشق حتى يستريحوا ثم يعودوا إليها بعد هذا الحين ، فأجابهم إلى ذلك على تمنع منه ، ثم توجه بهم نحو دمشق واجتاز فى طريقه على عكا ، وتفرقت العساكر إلى بلادها . وأما السلطان فانه لـما وصل إلى عكا نزل بقلعتها وأسكن ولده الافضـل برج الداوية ، وولى نيابتها عز الدين حرديبل ، وقد أشار بعضهم عـلى السلطان بتخريب مدينة عكا خوفا من عود الفرنج إليها ، فكاد ولم يفعل وليته فعل ، بل وكل بعمارتها وتجديد محاسنها بهاء الدين قراقوش التقوى ، ووقف دار الاستتارية بصفين على الفقهاء والفقراء ، وجعل دار الأسقف مارستانا و وقف على ذلك كله أوقافا دارة ، وولى نظر ذلك إلى قاضيها جمال الدين ابن الشيخ أبى النجيب .

ولما فرغ من هذه الأشياء عاد إلى دمشق مؤيدا منصوراً ، وأرسل إليه الملوك بالتهانى والتحف والهدايا من سائر الأقطار والأمصار ، وكتب الخليفة إلى السلطان يعتب عليه فى أشياء ، منها أنه بعث إليه فى بشارة الفتح بوقعة حطين شابا بغداديا كان وضيعاً عندهم ، لا قدر له ولا قيمة ، وأرسل بفتح القـدس مع نجاب ، ولقب نفسه بالناصر مضاهاة للخليفة . فتلقى ذلك بالبشر واللطف والسمع

والطاعة ، وأرسل يعتـذر مما وقع . وقال : الحرب كانت شغلته عن التروى فى كثير من ذلك ، وأما لقبه بالناصر فهو من أيام الخليفة المستضىء ، ومع هـذا فهما لقبنى أمير المؤمنين فلا أعدل عنـه ، وتأدب مع الخليفة غاية الأدب مع غناه عنه .

وفيها كانت وقعـة عظيمة ببلاد الهند بين الملك شهاب الدين الغورى صاحب غزنة ، وبين ملك الهنـد الكبير ، فأقبلت الهنود فى عـدد كثير من الجنود ، ومعهم أربعـة عشر فيلا ، فالتقوا واقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم ، وقيل للملك أنج بنفسك ، فما زاده ذلك إلا إقداماً ، فحمل عـلى الفيلة فجرح بعضها ـ وجرح الفيل لا يندمل ـ فرماه بعض الفيالة بحربة فى ساعده فخرجت من الجانب الآخر فخر صريعاً ، فحملت عليه الهنود ليأخذوه فجاحف عنه أصحابه فاقتتلوا عنده قتالا شديدا ، وجرت حرب عظيمـة لم يسمع بمثلهـا بموقف ، فغلب المسلمون الهنود وخلصوا صاحبهم وحملوه على كواهلهم فى محفة عشرين فرسخاً ، وقد نزفه الدم ، فلما تراجع إليه جيشه أخذ فى تأنيب الأمراء ، وحلف ليأكلن كل أمير عليق فرسه ، وما أدخلهم غزنة إلا مشاة .

وفيها ولدت امرأة من سواد بغداد بنتاً لها أسنان . وفيها قتل الخليفة الناصر أستاذ داره أبا الفضل بن الصاحب ، وكان قد استحوذ على الأمور ولم يبق للخليفة معه كلمة تطاع ، ومع هـذا كان عفيفاً عن الأموال ، جيد السيرة ، فأخذ الخليفة منـه شيئاً كثيراً من الحواصل والأموال . وفيها استوزر الخليفة أبا المظفر جلال الدين ، ومشى أهل الدولة فى ركابه حتى قاضى القضاة ابن الدامغانى وقد كان ابن يونس هذا شاهداً عند القاضى ، وكان يقول وهو يمشى فى ركابه لعن الله طول العمر ، فمات القاضى فى آخر هذه السنة .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربى ﴾

كان من صلحاء الحنابلة ، وكان يزار ، وله مصنف فى فضل يزيد بن معاوية ، أتى فيه بالغرائب والعجائب ، وقد رد عليه أبو الفرج ابن الجوزى فأجاد وأصاب ، ومن أحسن ما اتفق لعبد المغيث هذا أن بعض الخلفاء ـ وأظنه الناصر ـ جاءه زائراً مستخفياً ، فعرفه الشيخ عبـد المغيث ولم يعلمه بأنه قد عرفه ، فسأله الخليفة عن يزيد أيلعن أم لا ؟ فقال لا أسوغ لعنه لأنى لو فتحت هذا الباب لأفضى الناس إلى لعن خليفتنا . فقال الخليفة : ولم ؟ قال : لأنه يفعل أشياء منكرة كثيرة ، منها كذا وكذا ، ثم شرع يعـدد عـلى الخليفة أفعاله القبيحة ، وما يقع منـه من المنكر لينزجر عنها ، فتركه الخليفة وخرج من عنده وقد أثر كلامه فيه ، وانتفع به . مات فى المحرم من هذه السنة . وفيها توفى الشيخ

﴿ على بن خطاب بن خلف ﴾

العابد الناسك ، أحد الزهاد ، وذوى الكرامات ، وكان مقامه بجزيرة ابن عمر . قال ابن الأثير

فى الكامل : ولم أر مثله فى حسن خلقه وسمته وكراماته وعبادته .

﴿ الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مقدم ﴾

أحد نواب صلاح الدين ، لما افتتح الناصر بيت المقدس أحرم جماعة فى زمن الحج منه إلى المسجد الحرام ، وكان ابن مقدم أمير الحاج فى تلك السنة ، فلما وقف بعرفة ضرب الدبادب ونشر الألوية ، وأظهر عز السلطان صلاح الدين وعظمته ، فغضب طاشتكين أمير الحاج من جهة الخليفة ، فزجره عن ذلك فلم يسمع ، فاقتتلا فجرح ابن مقدم ومات فى اليوم الثانى بمنى ، ودفن هنالك ، وجرت خطوب كثيرة ، وليم طاشتكين على ما فعل ، وخاف معرة ذلك من جهة صلاح الدين والخليفة ، وعزله الخليفة عن منصبه .

﴿ محمد بن عبيد الله ﴾

ابن عبد الله سبط بن التعاويذى الشاعر ، ثم أضر فى آخر عمره وجاز الستين توفى فى شوال

﴿ نصر بن فتيان بن مطر ﴾

الفقيه الحنبلى المعروف بابن المنى ، كان زاهدا عابدا ، مولده سنة إحدى وخمسمائة ، وممن تفقه عليه من المشاهير الشيخ موفق الدين بن قدامة ، والحافظ عبد الغنى ، ومحمد بن خلف بن راجح ، والناصر عبد الرحمن بن المنجم بن عبد الوهاب ، وعبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلى وغيرهم توفى خامس رمضان . وفيها توفى قاضى القضاة .

﴿ أبو الحسن الدامغانى ببغداد ﴾

وقد حكم فى أيام المقتفى ثم المستنجد ثم عزل وأعيد فى أيام المستضىء ، وحكم للناصر حتى توفى فى هذه السنة

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة ﴾

فى محرمها حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب فرآه منيعاً صعباً ، فوكل به الأمير قايماز البجمى فى خمسمائة فارس يضيقون عليهم المسالك ، وكذلك وكل لصفت [الصفد] وكانت للداوية خمسمائة فارس مع طغرلبك الجامدار يمنعون الميرة والتقاوى أن تصل إليهم ، و بعث إلى الكرك الشوبك يضيقون على أهلها ويحاصرونهم ، ليفرغ من أموره لقتال هذه الأماكن ، ولما رجع السلطان من هذه الغزوة إلى دمشق وجد الصفى بن الفايض وكيل الخزانة قد بنى له دارا بالقلعة هائلة مطلة على الشرف القبلى ، فغضب عليه وعزله وقال : إنا لم نخلق للمقام بدمشق ولا بغيرها من البلاد ، وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد فى سبيله ، وهذا الذى عملته مما يثبط النفوس ويقعدها عما خلقت له . وجلس السلطان بدار العدل فحضرت عنده القضاة وأهل الفضل ، وزار القاضى الفاضل فى بستانه على الشرف فى جوسق ابن الفراش ، وحكى له ماجرى من الأمور ، واستشاره فيما يفعل فى المستقبل من المهمات والغزوات ، ثم خرج من دمشق فسلك على بيوس وقصد البقاع ، وسار إلى حمص وحماه

وجاءت الجيوش من الجزيرة وهو على العاصى ، فسار إلى السواحل الشمالية ففتح أنطر طوس وغيرها من الحصون ، وجبلة واللاذقية ، وكانتا من أحصن المدن عمارة و رخاماً ومحالا ، وفتح صهيون و بكاس والشغر وهما قلعتان على العاصى حصينتان ، فتحهما عنوة ، وفتح حصن بدرية وهى قلعة عظيمة على جبل شاهق منيع ، تحتها أودية عميقة يضرب بها المثل فى سائر بلاد الفرنج والمسلمين ، فحاصرها أشد حصار وركب عليها المجانيق الكبار ، وفرق الجيش ثلاث فرق ، كل فريق يقاتل ، فاذا كلوا وتعبوا خلفهم الفريق الآخر ، حتى لايزال القتال مستمرا ليلا ونهارا ، فكان فتحها فى نوبة السلطان أخذها عنوة فى أيام معدودات ، ونهب جميع ما فيها ، واستولى على حواصلها وأموالها ، وقتل حماتها ورجالها ، واستخدم نساءها وأطفالها ، ثم عدل عنها ففتح حصن در بساك وحصن بغراس، كل ذلك يفتحه عنوة فيغنم و يسلم ، ثم سمت به همته العالية إلى فتح أنطاكية ، وذلك لأنه أخذ جميع ماحولها من القرى والمدن ، واستظهر عليها بكثرة الجنود ، فراسله صاحب أنطاكية يطلب منه الهدنة على أن يطلق من عنده من أسرى المسلمين ، فأجابه إلى ذلك لعلمه بتضجر من معه من الجيش ، فوقعت الهدنة على سبعة أشهر ، ومقصود السلطان أن يستريح من تعبها ، وأرسل السلطان من تسلم منه الأسارى وقد ذلت دولة النصارى ، ثم سار فسأله ولده الظاهر أن يجتاز بحلب فأجابه إلى ذلك ، فنزل بقلعتها ثلاثة أيام ، ثم استقدمه ابن أخيه تقى الدين إليه إلى حماه فنزل عنده ليلة واحدة ، وأقطعه جبلة واللاذقية ، ثم سار فنزل بقلعة بعلبك ، ودخل حمامها ، ثم عاد إلى دمشق فى أوائل رمضان ، وكان يوما مشهودا ، وجاءته البشائر بفتح الكرك و إنقاذه من أيدى الفرنج ، وأراح الله منهم تلك الناحية ، وسهل حزنها على السالكين من التجار والغزاة والحجاج (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

﴿ فصل فى فتح صفد وحصن كوكب ﴾

لم يقم السلطان بدمشق إلا أياماً حتى خرج قاصدا صفد فنازلها فى العشر الأوسط من رمضان ، وحاصرها بالمجانيق ، وكان البرد شديدا يصبح الماء فيه جليدا ، فما زال حتى فتحها صلحا فى ثامن شوال ، ثم سار إلى صور فألقت إليه بقيادها ، وتبرأت من أنصارها وأجنادها وقوادها ، وتحققت لما فتحت صفد أنها مقرونة معها فى أصفادها ، ثم سار منها إلى حصن كوكب - وهى معقل الاسبتارية كما أن صفد كانت معقل الداوية - وكانوا أبغض أجناس الفرنج إلى السلطان ، لايكاد يترك منهم أحدا إلا قتله إذا وقع فى المأسورين ، فحاصر قلعة كوكب حتى أخذها ، وقتل من بها وأراح المارة من شر ساكنيها ، وتمهدت تلك السواحل واستقر بها منازل قاطنيها . هذا والسماء تصب ، والرياح تهب ، والسيول تعب ، والأرجل فى الأوحال تخب ، وهو فى كل ذلك صابر مصابر ، وكان القاضى

الفاضل معه فى هذه الغزوة ، وكتب القاضى الفاضل إلى أخى السلطان صاحب اليمن يستدعيه إلى الشام لنصرة الاسلام ، وأنه قد عزم على حصار أنطاكية ، و يكون تقى الدين عمر محاصرا طرابلس إذا انسلخ هذا العام ، ثم عزم القاضى الفاضل على الدخول إلى مصر، فودعه السلطان فدخل القدس فصلى به الجمعة وعيد فيـه عيد الأضحى ، ثم سار ومعه أخوه السلطان العادل إلى عسقلان ، ثم أقطع أخاه الكرك عوضاً عن عسقلان ، وأمره بالانصراف ليكون عونا لابنه العزيز عـلى حوادث مصر ، وعاد السلطان فأقام بمدينة عكا حتى انسلخت هذه السنة .

وفيها خرجت طائفـة بمصر من الرافضـة ليعيدوا دولة الفاطميين ، واغتنموا غيبة العادل عن مصر ، واستخفوا أمر العزيز عثمان بن صلاح الدين ، فبعثوا اثنى عشر رجلا ينادون فى الليل يا آل على ،يا آل على ، بنيابهم على أن العامة تجيبهم فلم يجبهم أحد ، ولا التفت إليهم ، فلما رأوا ذلك انهزموا فأدركوا وأخـذوا وقيدوا وحبسوا ، ولما بلغ أمرهم السلطان صـلاح الدين ساءه ذلك واهتم له ، وكان القاضى الفاضل عنده بعد لم يفارقه ، فقال له : أيها الملك ينبغى أن تفرح ولا تحزن ، حيث لم يصغ إلى هؤلاء الجهلة أحد من رعيتك ، ولو أنك بعثت جواسيس من قبلك يختبرون الناس لسرّك ما بلغك عنهم ، فسرى عنه ما كان يجد ، و رجع إلى قوله وأرسله إلى مصر ليكون له عينا وعونا .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ الأمير الكبير سلالة الملوك والسلاطين ﴾

الشيزرى مؤيد الدولة أبو الحارث وأبو المظفر أسامة بن مرشد بن على بن [مقلد بن نصر بن] منقذ أحـد الشعراء المشهورين ، المشكورين ، بلغ من العمر ستا وتسعين سنة ، وكان عمره تاريخاً مستقلا وحـده ، وكانت داره بدمشق ، مكان العزيزية ، وكانت معقلا للفضلاء ، ومنزلا للعلماء وله أشعار رائقة ، ومعان فائقة ، ولديه علم غزير ، وعنده جود وفضل كثير ، وكان من أولاد ملوك شيزر ، ثم أقام بمصر مدة فى أيام الفاطميين ، ثم عاد إلى الشام فقـدم على الملك صلاح الدين فى سنة سبعين وأنشده : حمدت على طول عمرى المشيبا * وإن كنت أكثرت فيه الذنوبا

لأنى حييت إلى أن لقيت * بعد العدو صديقا حبيبا

وله فى سن قلعها وقد نفعها :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته * يشقى لنفعى و يسعى سعى مجتهد

لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا * لناظرى افترقنا فرقة الأبد

وله ديوان شعر كبير، وكان صلاح الدين يفضله على سائر الدواوين ، وقد كان مولده فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وكان فى شبيبته شهماً شجاعا ، قتل الأسد وحده مواجهة ، ثم عمر إلى أن توفى فى هذه السنة ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان ، ودفن شرقى جبل قايسون . قال و زرت قبره

وأنشدت له : لا تستعر جلدا على هجرانهم * فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم * طوعا وإلا عدت عودة نادم

وله أيضاً واعجب لضعف يدى عن حملها قلما * من بعد حطم القنا فى لبة الأسد
وقل لمن يتمنى طول مدته * هذى عواقب طول العمر والمدد

قال ابن الأثير : وفيها توفى شيخه .

﴿ أبو محمد عبد الله بن على ﴾

ابن عبد الله بن سويد التكريتى ، كان عالماً بالحديث وله تصانيف حسنة .

﴿ الحازمى الحافظ ﴾

قال أبو شامة : وفيها توفى الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمى الهمدانى ببغداد ، صاحب التصانيف ، على صغر سنه ، منها العجالة فى النسب ، والناسخ والمنسوخ وغيرها ومولدها سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة ، وتوفى فى الثامن والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة ﴾

فيها قدم من جهة الخليفة رسل إلى السلطان يعلمونه بولاية العهد لأبى نصر الملقب بالظاهر بن الخليفة الناصر ، فأمر السلطان خطيب دمشق أبا القاسم عبد الملك بن زيد الدولعى أن يذكره على المنبر ، ثم جهز السلطان مع الرسل تحفا كثيرة ، وهدايا سنية ، وأرسل بأسارى من الفرنج على هيئتهم فى حال حربهم ، وأرسل بصليب الصلبوت فدفن تحت عتبة باب النوى ، من دار الخليفة ، فكان بالأقدام يداس ، بعد ما كان يعظم ويباس ، والصحيح أن هذا الصليب كان منصوبا على الصخرة وكان من نحاس مطلياً بالذهب ، فحطه الله إلى أسفل العتب .

﴿ قصة عكا وما كان من أمرها ﴾

لما كان شهر رجب اجتمع من كان بصور من الفرنج وساروا إلى مدينة عكا ، فأحاطوا بها يحاصرونها فتحصن من فيها من المسلمين ، وأعدوا للحصار ما يحتاجون إليه ، وبلغ السلطان خبرهم فسار إليهم من دمشق مسرعاً ، فوجدهم قد أحاطوا بها إحاطة الخاتم بالخنصر ، فلم يزل يدافعهم عنها ويمانعهم منها ، حتى جعل طريقا إلى باب القلعة يصل إليه كل من أراده ، من جندى وسوقى ، وامرأة وصبى ، ثم أدخل إليها ما أراد من الآلات والأمتعة ، ودخل هو بنفسه ، فعلا على سورها ونظر إلى الفرنج وجيشهم وكثرة عددهم وعددهم ، والميرة تفد إليهم فى البحر ، فى كل وقت ، وكل ما لهم فى ازدياد ، وفى كل حين تصل إليهم الأمداد ، ثم عاد إلى مخيمه والجنود تفد إليه ، وتقدم عليه من كل جهة ومكان ، منهم رجال وفرسان ، فلما كان فى العشر الأخير من شعبان برزت الفرنج من مراكبها إلى

موا كبها ، فى نحو من ألفى فارس وثلاثين ألف راجل ، فبرز إليهم السلطان فيمن معه من الشجعان فاقتتلوا بمرج عكا قتالا عظيما ، وهزم جماعة من المسلمين فى أول النهار ، ثم كانت الدائرة على الفرنج فكانت القتلى بينهم أزيد من سبعة آلاف قتيل ، ولما تناهت هذه الوقعة تحول السلطان عن مكانه الأول إلى موضع بعيد من رائحة القتلى ، خوفا من الوخم والأذى ، وليستريح الخيالة والخيل ، ولم يعلم أن ذلك كان من أكبر مصالح العدو المخذول ، فإنهم اغتنموا هذه الفرصة فحفروا حول مخيمهم خندقا من البحر محدقا بجيشهم ، واتخذوا من ترابه سوراً شاهقا ، وجعلوا له أبوابا يخرجون منها إذا أرادوا وتمكنوا فى منزلهم ذلك الذى اختاروا وارتادوا ، وتفارط الأمر على المسلمين ، وقوى الخطب وصار الداء عضالا ، وازداد الحال وبالا ، اختباراً من الله وامتحانا ، وكان رأى السلطان أن يناجزوا بعد الكرة سريعاً ، ولا يتركوا حتى يطيب البحر فتأتيهم الأمداد من كل صوب ، فتعذر عليه الأمر بإملال الجيش والضجر ، وكل منهم لأمر الفرنج قد احتقر ، ولم يدر ما قد حتم فى القدر ، فأرسل السلطان إلى جميع الملوك يستنفر ويستنصر ، وكتب إلى الخليفة بالبث ، وبث الكتب بالتحضيض والحث السريع ، فجاءته الأمداد جماعات وآحادا ، وأرسل إلى مصر يطلب أخاه العادل ويستعجل الأسطول ، فقدم عليه فوصل إليه خمسون قطعة فى البحر مع الأمير حسام الدين لؤلؤ ، وقدم العادل فى عسكر المصريين ، فلما وصل الأسطول حادت مراكب الفرنج عنه يمنة ويسرة ، وخافوا منه ، واتصل بالبلد الميرة والعدد والعدد ، وانشرحت الصدور بذلك ، وانسلخت هذه السنة والحال ماحال بل هو على ما هو عليه ولا ملجأ من الله إلا إليه .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ القاضى شرف الدين أبو سعد ﴾

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبى عصرون أحد أئمة الشافعية ، له كتاب الانتصاف ، وقد ولى قضاء القضاة بدمشق ، ثم أضر قبل موته بعشر سنين ، فجعل ولده نجم الدين مكانه بطيب قلبه وقد بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة ونصفا ، ودفن بالمدرسة العصرونية ، التى أنشأها عند سويقة باب البريد ، قبالة داره ، بينهما عرض الطريق ، وكان من الصالحين والعلماء العاملين . وقد ذكره ابن خلكان فقال : كان أصله من حديثة عانة الموصل ، ورحل فى طلب العلم إلى بلدان شتى ، وأخذ عن أسعد الميهنى وأبى على الفارقى وجماعة ، وولى قضاء سنجار وحران ، وباشر فى أيام نور الدين تدريس الغزالية ، ثم انتقل إلى حلب فبنى له نور الدين بحلب مدرسة وبحمص أخرى ، ثم قدم دمشق فى أيام صلاح الدين ، فولى قضاءها فى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة إلى أن توفى فى هذه السنة ، وقد جمع جزءاً فى قضاء الأعمى ، وأنه جائز ، وهو خلاف المذهب ، وقد حكاه صاحب البيان وجها لبعض الأصحاب . قال : ولم أره فى غيره ، ولكن حبك الشىء يعمى ويصم ، وقد صنف كتباً كثيرة ،

منها صفوة المذهب فى نهاية المطلب ، فى سبع مجلدات ، والانتصاف فى أربعة ، والخلاف فى أربعة ، والذريعة [فى معرفة الشريعة] والمرشد وغير ذلك ، و [كتابا سماه مأخذ النظر ، ومختصراً] فى الفرائض ، وقد ذكره ابن عساكر فى تاريخه والعماد فأثنى عليه ، وكذلك القاضى الفاضل . وأورد له العماد أشعاراً كثيرة وابن خلكان ، منها :

أؤمل أن أحيا وفى كل ساعة * تمر بى الموتى يهز نعوشها
وهل أنا إلا مثلهم غير أن لى * بقايا ليال فى الزمان أعيشها

﴿ أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان ﴾

أبو العباس المعروف بابن أفضل الزمان ، قال ابن الأثير : كان عالماً متبحراً فى علوم كثيرة من الفقه ، والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك ، وقد جاور بمكة وأقام بها إلى أن مات بها ، وكان من أحسن الناس صحبة وخلقاً .

﴿ الفقيه الأمير ضياء الدين عيسى الهكارى ﴾

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، دخل معه إلى مصر ، وحظى عنده ، ثم كان ملازماً للسلطان صلاح الدين حتى مات فى ركابه بمنزلة الخروبة قريباً من عكا ، فنقل إلى القدس فدفن به ، كان ممن تفقه على الشيخ أبى القاسم بن البرزى الجزرى ، وكان من الفضلاء والأمراء الكبار .

﴿ المبارك بن المبارك الكرخى ﴾

مدرس النظامية ، تفقه بابن الخل [وحظى] بمكانة عند الخليفة والعامة ، وكان يضرب بحسن خطه المثل . ذكرته فى الطبقات .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة ﴾

استهلت والسلطان محاصر لحصن عكا ، وأمداد الفرنج تفد إليهم من البحر فى كل وقت ، حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال ، ومنهن من تأتى بنية راحة الغرباء لينكحوها فى الغربة ، فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطر ، قدم إليهم مركب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء وأجملهن بهذه النية ، فاذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والغربة ، حتى أن كثيرا من فسقة المسلمين تحيزوا إليهم من أجل هذه النسوة ، واشتهر الخبر بذلك . وشاع بين المسلمين والفرنج بأن ملك الألمان قد أقبل بثلاثمائة ألف مقاتل ، من ناحية القسطنطينية ، يريد أخذ الشام وقتل أهله ، انتصاراً لبيت المقدس فعند ذلك حمل السلطان والمسلمون هما عظيما ، وخافوا غاية الخوف ، مع ما هم فيه من الشغل والحصار الهائل ، وقويت قلوب الفرنج بذلك ، واشتدوا للحصار والقتال ، ولكن لطف الله وأهلك عامة جنده فى الطرقات بالبرد والجوع والضلال فى المهالك ، على ما سيأتى بيانه . وكان سبب قتال الفرنج وخروجهم

من بلادهم ونفيرهم ما ذكره ابن الأثير فى كامله أن جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا ببيت المقدس وغيره ، ركبوا من صور فى أربعة مراكب ، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية ، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى ، يحرضون الفرنج ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس ، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس ، وأهل السواحل من القتل والسبى وخراب الديار ، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربى آخر يضربه ويؤذيه ، فاذا سألوهم من هذا الذى يضرب المسيح؟ قالوا هذا نبى العرب يضربه وقد جرحه ومات ، فينزعجون لذلك ويحمون ويبكون ويحزنون فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيهم ، وموضع حجهم على الصعب والذلول ، حتى النساء المخدرات والزوانى والزانيات الذين هم عند أهليهم من أعز الثمرات .

وفى نصف ربيع الأول تسلم السلطان شعيف أربون بالأمان ، وكان صاحبه مأسوراً فى الذل والهوان ، وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس ، وربما قرأ فى كتب الحديث وتفسير القرآن ، وكان مع هذا غليظ الجلد قاسى القلب ، كافر النفس . ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع جاءت ملوك الاسلام من بلدانها بخيولها وشجعانها ، ورجالها وفرسانها ، وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالا من النفط والرماح ، ونفاطة ونقابين ، كل منهم متقن فى صنعته غاية الاتقان ، ومرسوما بعشرين ألف دينار ، وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة ، لأجل نصرة أصحابهم ، يمدونهم بالقوة والميرة ، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد ، عليها جلود مسقاة بالخل لئلا يعمل فيها النفط ، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل ، وهى أعلا من أبرجة البلد ، وهى مركبة على عجل بحيث يديرونها كيف شاءوا ، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير ، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا ، وحصل لهم ضيق منها ، فأعمل السلطان فكره باحراقها ، وأحضر النفاطين ووعدهم بالأموال الجزيلة إن هم أحرقوها ، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلى بن عريف النحاسين ، والتزم باحراقها ، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية يعرفها ، وغلى ذلك فى ثلاثة قدور من نحاس حتى صار ناراً تأجج ، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا ، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت ناراً باذن الله ، لها ألسنة فى الجو متصاعدة ، واحترق من كان فيها ، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل ، واحترق فى كل برج منها سبعون كفوراً ، وكان يوماً على الكافرين عسيرا ، وذلك يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وكان الفرنج قد تعبوا فى عملها سبعة أشهر ، فاحترقت فى يوم واحد (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنية ، وأموال كثيرة فامتنع أن يقبل شيئا من ذلك ، وقال : إنما عملت ذلك ابتغاء وجه الله ، ورجاء

ما عنده سبحانه ، فلا أريد منكم جزاء ولا شكورا .

وأقبل الأسطول المصرى وفيه الميرة الكثيرة لأهل البلد ، فعبى الفرنج أسطولهم ليقاتلوا أسطول المسلمين ، نهض السلطان بجيشه ليشغلهم عنهم ، وقاتلهم أهل البلد أيضاً واقتتل الأسطولان فى البحر ، وكان يوما عسيرا ، وحربا فى البر والبحر ، فظفرت الفرنج بشبينى واحد من الأسطول الذى للمسلمين ، وسلم الله الباقى فوصل إلى البلد بما فيه من الميرة ، وكانت حاجتهم قد اشتدت إليها جدا ، بل إلى بعضها .

وأما ملك الألمان المتقدم ذكره فانه أقبل فى عدد وعدد كثير جداً ، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل ، من نيته خراب البلد وقتل أهلها من المسلمين ، والانتصار لبيت المقدس ، وأن يأخذ البلاد إقليما بعد إقليم ، حتى مكة والمدينة ، فما نال من ذلك شيئا بعون الله وقوته ، بل أهلكهم الله عز وجل فى كل مكان وزمان ، فكانوا يتخطفون كما يتخطف الحيوان ، حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية فدعته نفسه أن يسبح فيه ، فلما صار فيه حمله الماء إلى شجرة فشجت راسه ، وأخمدت أنفاسه ، وأراح الله منه العباد والبلاد ، فأقيم ولده الأصغر فى الملك ، وقد تمزق شملهم ، وقلت منهم العدة ، ثم أقبلوا لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه ، فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا فى ألف فارس ، فلم يرفعوا بهم رأساً ولا لهم قدراً ولا قيمة بينهم ، ولا عند أحد من أهل ملتهم ولا غيرهم ، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور الله وإذلال دين الاسلام . وزعم العماد فى سياقه أن الألمان وصلوا فى خمسة آلاف ، وأن ملوك الافرنج كلهم كرهوا قدومهم عليهم ، لما يخافون من سطوة ملكهم ، وزوال دولتهم بدولته ، ولم يفرح به إلا المركيس صاحب صور ، الذى أنشأ هذه الفتنة وأثار هذه المحنة ، فانه تقوى به وبكيده ، فانه كان خبيرا بالحروب ، وقد قدم بأشياء كثيرة من آلات الحرب لم تخطر لأحد ببال نصب دبابات أمثال الجبال ، تسير بعجل ولها زلوم من حديد ، تنطح السور فتخرقه ، وتثلم جوانبه ، فمنّ الله العظيم باحراقها ، وأراح الله المسلمين منها ، ونهض صاحب الألمان بالعسكر الفرنجى فصادم به جيش المسلمين [فجاءت جيوش المسلمين] برمتها إليه ، فقتلوا من الكفرة خلقا كثيراً وجما غفيرا ، وهجموا مرة على مخيم السلطان بغتة فنهبوا بعض الأمتعة ، فنهض الملك العادل أبو بكر - وكان رأس الميمنة - فركب ، فى أصحابه وأهل الفرنج حتى توغلوا بين الخيام ، ثم حمل عليهم بالرماح والحسام ، فهربوا بين يديه فمازال يقتل منهم جماعة بعد جماعة ، وفرقة بعد فرقة ، حتى كسوا وجه الأرض منهم حللا أزهى من الرياض الباسمة ، وأحب إلى النفوس من الخدود الناعمة ، وأقل ماقيل إنه قتل منهم خمسة آلاف ، وزعم العماد أنه قتل منهم فيما بين الظهر إلى العصر عشرة آلاف والله أعلم .

هذا وطرف الميسرة لم يشعر بما جرى ولادرى ، بل نائمون وقت القائلة فى خيامهم ، وكان

الذين ساقوا وراءهم أقل من ألف ، وإنما قتل من المسلمين عشرة أو دونهم ، وهذه نعمة عظيمة ، وقد أوهن هذا جيش الفرنج وأضعفهم ، وكادوا يطلبون الصلح وينصرفون عن البلد ، فاتفق قدوم مدد عظيم إليهم من البحر مع ملك يقال له كيد هرى ، ومعه أموال كثيرة فأنفق فيهم وغرم عليهم وأمرهم أن يبرزوا معه لقتال المسلمين ، ونصب على عكا منجنيقين ، غرم على كل واحد منهما ألفاً وخمسمائة دينار ، فأحرقهما المسلمون من داخل البلد ، وجاءت كتب صاحب الروم من القسطنطينية يعتذر لصلاح الدين من جهة ملك الألمان ، وأنه لم يتجاوز بلده باختياره ، وأنه تجاوزه لكثرة جنوده ، ولكن ليبشر السلطان بأن الله سيهلكهم فى كل مكان ، وكذلك وقع ، وأرسل إلى السلطان يخبره بأنه يقيم للمسلمين عنده جمعة وخطباً ، فأرسل السلطان مع رسله خطيباً ومنبرا ، وكان يوم دخولهم إليه يوما مشهودا ، ومشهدا محموداً ، فأقيمت الخطبة بالقسطنطينية ، ودعا للخليفة العباسى ، واجتمع فيها من هناك من المسلمين من التجار والمسلمين الأسرى والمسافرين إليها والحمد لله رب العالمين .

فصل

وكتب متولى عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش ، فى العشر الأول من شعبان إلى السلطان : إنه لم يبق عندهم فى المدينة من الأقوات إلا ما يبلغهم إلى ليلة النصف من شعبان ، فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم ، خوفا من إشاعة ذلك فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين ، وتضعف القلوب ، وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية أن يقدم بالميرة إلى عكا ، فتأخر سيره ، ثم وصلت ثلاث بطش ليلة النصف ، فيها من الميرة ما يكفى أهل البلد طول الشتاء ، وهى صحبة الحاجب لؤلؤ ، فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد ، ويتلف ما فيها ، فاقتتلوا فى البحر قتالا شديدا ، والمسلمون فى البر يبتهلون إلى الله عز وجل فى سلامتها ، والفرنج أيضاً تصرخ براً وبحراً ، وقد ارتفع الضجيج ، فنصر الله المسلمين وسلم مراكبهم ، وطابت الريح للبطش فسارت فأحرقت المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء ، ودخلت البلد سالمة ، ففرح بها أهل البلد والجيش فرحا شديدا ، وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت ، فيها أربعمائة غرارة ، وفيها من الجبن والشحم والقديد والنشاب والنفط شىء كثير ، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة ، وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زى الفرنج حتى أنهم حلقوا لحاهم ، وشدوا الزنانير ، واستصحبوا فى البطشة معهم شيئا من الخنازير ، وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهى سائرة كأنها السهم إذا خرج من كبد القوس ، فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية البلد ، فاعتذروا

بأنهم مغلوبون عنهـا ، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح ، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهـم من الميرة ، والحرب خدعة ، فعبرت المنياء فامتـلأ الثغر بها خـيراً ، فكفتهـم إلى أن قدمت عليهـم تلك البطش الثلاث المصرية . وكانت البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما برج الديان ، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمـة لها خرطوم وفيه محركات إذا أرادوا أن يضعوه على شئ من الأسوار والابرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا ، فعظم أمر هذه البطشة على المسلمين ، ولم يزالوا فى أمرها محتالين ، حتى أرسل الله عليها شواظا من نار فأحرقها وأغرقها ، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نفطا كثيرا وحطباً جزلا ، وأخرى خلفها فيها حطب محض ، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهى سائرة بين بطاش المسلمين ، واحترقت الأخرى ، وكان فى بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها ، فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى ، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة ، فما تعدت النار بطشتهم فاحترقت ، وتعدى الحريق إلى الأخرى فغرقت ، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت ، وهلك من فيها ، فاشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين ، فى قوله تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) .

فصل

وفى ثالث رمضان اشـتد حصار الفرنج المدينة حتى نزلوا إلى الخندق ، فبرز إليهم أهـل البلد فقتلوا منهم خلقا كثيراً ، وتمكنوا من حريق الـكيس والأسوار ، وسرى حريقـه إلى السقوف ، وارتفعت له لهبـة عظيمة فى عنان السماء ، ثم اجتـذبه المسلمون إليهـم بكلاليب من حـديد فى سلاسل ، فحصل عنـدهم وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام ، فكان فيه من الحـديد مائة قنطار بالدمشقى ، ولله الحمد والمنة .

وفى الشـامن والعشرين من رمضان توفى الملك زين الدين صـاحب أربل فى حصار عـكا مع السلطان ، فتأسف الناس عليه لشبابه وغربته وجودته ، وعزى أخاه مظفر الدين فيه ، وقام بالملك من بعـده وسأل من صلاح الدين أن يضيف إليه شهرزور وحران والرها وسميساط وغيرها ، وتحمل مع ذلك خمسين ألف دينار نقدا ، فأجيب إلى ذلك ، وكتب له تقليداً ، وعقـد له لواء ، وأضيف ماتركه إلى الملك المظفر تقى الدين ابن أخى السلطان صلاح الدين .

فصل

وكان القاضى الفاضل بمصر يدبر الممالك بها ، ويجهز إلى السلطان ما يحتاج إليه من الأموال ،

وعمل الأسطول والكتب السلطانية ، فنها كتاب يذكر فيه أن سبب هذا التطويل فى الحصار كثرة الذنوب ، وارتكاب المحارم بين الناس ، فان الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته ، ولا يفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه ، وامتثال أمره ، فكيف لا يطول الحصار والمعاصى فى كل مكان فاشية ، وقد صعد إلى الله منها مايتوقع بعده الاستعاذة منه ، وفيه أنه قد بلغه أن بيت المقدس قد ظهر فيه المنكرات والفواحش والظلم فى بلاده مالا يمكن تلافيه إلا بكلفة كثيرة . ومنها كتاب يقول فيه إنما أتينا من قبل أنفسنا ، ولو صدقنا لعجل الله لنا عواقب صدقنا ، ولو أطعناه لما عاقبنا بعدونا ، ولو فعلنا مانقدر عليه من أمره لفعل لنا مالا نقدر عليه إلا به ، فلا يختصم أحد إلا نفسه وعمله ، ولا يرج إلا ربه ولا يغتر بكثرة العساكر والأعوان ، ولا فلان الذى يعتمد عليه أن يقاتل ولا فلان ، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها ، وإنما النصر من عند الله ، ولا نأمن أن يكلنا الله إليها ، والنصر به واللطف منه ، ونستغفر الله تعالى من ذنوبنا ، فلولا أنها تسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل ، وفيض دموع الخاشعين قد غسل ، ولكن فى الطريق عائق ، خار الله لمولانا فى القضاء السابق واللاحق . ومن كتاب آخر يتألم فيه لما عند السلطان من الضعف فى جسمه بسبب ما حمل على قلبه مما هو فيه من الشدائد ، أثابه الله بقوله : وما فى نفس المملوك شائنة إلا بقية هذا الضعف الذى فى جسم مولانا فانه بقلوبنا ، ونفديه بأسماعنا وأبصارنا ثم قال :

بنا معشر الخدام ما بك من أذى ❊ وإن أشفقوا مما أقول فبى وحدى

وقد أورد الشيخ شهاب الدين صاحب الروضتين هاهنا كتباً عدة من الفاضل إلى السلطان ، فيها فصاحة و بلاغة ومواعظ وتحضيض على الجهاد ، فرحمه الله من إنسان ما أفصحه ، ومن وزير ما كان أنصحه ، ومن عقل ما كان أرجحه .

فصل

وكتب الفاضل كتابا على لسان السلطان إلى ملك الغرب أمير المسلمين ، وسلطان جيش الموحدين ، يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، يستنجده فى إرسال مراكب فى البحر تكون عونا للمسلمين على المراكب الفرنجية فى عبارة طويلة فصيحة بليغة مليحة ، حكاها أبو شامة بطولها . و بعث السلطان صلاح الدين مع الكتاب سنية من التحف والألطاف ، صحبة الأمير الكبير شمس الدين أبى الحزم عبدالرحمن بن منقذ ، وسار فى البحر فى ثامن ذى القعدة ، فدخل على سلطان المغرب فى العشرين من ذى الحجة ، فأقام عنده إلى عاشوراء من المحرم من سنة ثمان وثمانين ، ولم يفد هذا الارسال شيئا ، لأنه تغضب إذ لم يلقب بأمير المؤمنين ، وكانت إشارة الفاضل إلى عدم الارسال إليه ، ولكن وقع ما وقع بمشيئة الله .

فصل

وفيها حصل للناصر صلاح الدين سوء مزاج من كثرة ما يكابده من الأمور ، فطمع العدو المخذول فى حوزة الاسلام ، فتجرد جماعة منهم للقتال ، وثبت آخرون على الحصار ، فأقبلوا فى عدد كثير وعدد ، فرتب السلطان الجيوش يمنة ويسرة ، وقلباً وجناحين ، فلما رأى العدو الجيش الكثيف فروا فقتلوا منهم خلقا كثيراً وجماً غفيراً .

فصل

ولما دخل فصل الشتاء وانشمرت مراكب الفرنج عن البلد خوفاً من الهلاك بسبب اغتلام البحر ، سأل من بالبلد من المسلمين من السلطان أن يريحهم مما هم فيه من الحصر العظيم ، والقتال ليلا ونهاراً ، وأن يرسل إلى البلد بدلهم ، فرق لهم السلطان ، وعزم على ذلك ، وكانوا قريباً من عشرين ألف مسلم ما بين أمير ومأمور ، فجهز جيشاً آخر غيرهم ، ولم يكن ذلك برأى جيد ، ولكن ما قصد السلطان إلا خيراً ، وأن هؤلاء يدخلون البلد بهمم حدة شديدة ، ولهم عزم قوى ، وهم فى راحة بالنسبة إلى ما أولئك ولكن أولئك الذين كانوا بالبلد وخرجوا منه كانت لهم خبرة بالبلد وبالقتال وكان لهم صبر ، وجلد وقد تمونوا فيها مؤنة تكفيهم سنة ، فامتحنت بسبب ذلك ، وقدم بطش من مصر فيه ميرة تكفى أهل البلد سنة كاملة ، فقدر الله العظيم ــ وله الأمر من قبل ومن بعد ــ أنها لما توسطت البحر واقتربت من المينا هاجت عليها ريح عظيمة فانقلبت تلك البطش وتغلبت على عظمها فاختبطت واضطربت وتصادمت فتكسرت وغرقت ، وغرق ما كان فيها من الميرة والبحارة ، فدخل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين ، واشتد الأمر جداً ، ومرض السلطان وازداد مرضاً إلى مرضه ، فانا لله و إنا إليه راجعون . وكان ذلك عونا للعدو المخذول على أخذ البلد ، ولا قوة إلا بالله ، وذلك فى ذى الحجة من هذه السنة ، وكان المقدم على الداخلين إلى عكا الأمير سيف الدين على بن أحمد بن المشطوب .

وفى اليوم السابع من ذى الحجة سقطت ثلمة عظيمة من سور عكا ، فبادر الفرنج إليها فسبقهم المسلمون إلى سدها بصدورهم ، وقاتلوا دونها بنحورهم ، وما زالوا يمانعون عنها حتى بنوها أشد مما كانت ، وأقوى وأحسن . ووقع فى هذه السنة وباء عظيم فى المسلمين والكافرين ، فكان السلطان يقول فى ذلك :

اقتلونى ومالكا * واقتلوا مالكا معى

واتفق موت ابن ملك الألمان لعنه الله فى ثانى ذى الحجة ، وجماعة من كبراء الكندهرية ، وسادات الفرنج لعنهم الله ، فحزن الفرنج على ابن ملك الألمان وأوقدوا ناراً عظيمة فى كل خيمة ، وصار كل يوم يهلك من الفرنج المائة والمائتان ، واستأمن السلطان جماعة منهم من شدة ما هم فيه من الجوع والضيق والحصر ، وأسلم خلق كثير منهم . وفيها قدم القاضى الفاضل من مصر على السلطان ، وكان قد طال شوق كل منهما إلى صاحبه ، فأفضى كل منهما إلى صاحبه ما كان يسره ويكتمه من الآراء التى فيها مصالح المسلمين .

وفيها توفى من الأعيان .

﴿ ملك الألمان ﴾

وقد تقدم أنه قدم فى ثلاثمائة ألف مقاتل ، فهلكوا فى الطرقات ، فلم يصل إلى الفرنج إلا فى خمسة آلاف وقيل فى ألفى مقاتل ، وكان قد عزم على دمار الاسلام ، واستنقاذ البلاد بكمالها من أيدى المسلمين ، انتصاراً فى زعمه إلى بيت المقدس ، فأهلكه الله بالغرق كما أهلك فرعون ، ثم ملك بعده ولده الأصغر فأقبل بمن بقى معه من الجيش إلى الفرنج ، وهم فى حصار عكا ، ثم مات فى هذه السنة فلله الحمد والمنة .

﴿ محمد بن محمد بن عبد الله ﴾

أبو حامد قاضى القضاة بالموصل ، كمال الدين الشهرزورى الشافعى ، أثنى عليه العماد وأنشد له من شعره قوله :

قامت بإثبات الصفات أدلة * قصمت ظهور أئمة التعطيل
وطلائع التنزيه لما أقبلت * هزمت ذوى التشبيه والتمثيل
فالحق ما صرنا إليه جميعنا * بأدلة الأخبار والتنزيل
من لم يكن بالشرع مقتديا فقد * ألقاه فرط الجهل فى التضليل

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة ﴾

فيها قدم ملك الفرنسيس وملك انكلترا وغيرهما من ملوك البحر الفرنج ، على أصحابهم الفرنج إلى عكا ، وتمالؤا على أخذ عكا فى هذه السنة كما سيأتى تفصيله ، وقد استهلت هذه السنة والحصار الشديد على عكا من الجانبين ، وقد استكمل دخول العدو إلى البلد والملك العادل مخيم إلى جانب البحر ، ليتكامل دخولهم ودخول ميرتهم ، وفى ليلة مستهل ربيع الأول منها خرج المسلمون من عكا فهجموا على مخيم الفرنج فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وسبوا وغنموا شيئا كثيرا ، سبوا اثنى عشرا مرأة ، وانكسر مركب عظيم للفرنج فغرق ما فيه منهم وأسر باقيهم ، وأغار صاحب حمص أسد الدين بن شيركوه على سرح الفرنج بأراضى طرابلس ، فاستاق منهم شيئا كثيرا من الخيول والأبقار والأغنام ، وظفر الترك بخلق كثير من الفرنج فقتلوهم ، ولم يقتل من المسلمين سوى طواش

صغير عثر به فرسه . وفى ثانى عشر ربيع الأول وصل إلى الفرنج ملك الفرنسيين فى قريب من ستين بطش ملمونة مشحونة بعبدة الصليب ، فحين وصل إليهم وقدم عليهم لم يبق لأحد من ملوكهم معه كلام ولا حكم ، لعظمته عندهم ، وقدم معه باز عظيم أبيض وهو الأشهب ، هائل ، فطار من يده فوقع على سور عكا فأخذه أهلها و بعثوه إلى السلطان صلاح الدين ، فبذل الفرنجى فيه ألف دينار فلم يجبه إلى ذلك ، وقدم بعده كيد فر بر وهو من أكابر ملوكهم أيضاً ، ووصلت سفن ملك الانكليز ، ولم يجىء ملكهم لاشتغاله بجزيرة قبرص وأخذها من يد صاحبها ، وتواصلت ملوك الاسلام أيضاً من بلدانها فى أول فصل الربيع ، لخدمة الملك الناصر . قال العماد : وقد كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام الفرنج فيسرقون ، حتى أنهم كانوا يسرقون الرجال ، فاتفق أن بعضهم أخذ صبياً رضيعاً من مهده ابن ثلاثة أشهر ، فوجدت عليه أمه وجداً شديداً ، واشتكت إلى ملوكهم فقالوا لها: إن سلطان المسلمين رحيم القلب ، وقد أذنا لك أن تنهى إليه فتشتكى أمرك إليه ، قال العماد فجاءت إلى السلطان فأنهت إليه حالها ، فرق لها رقة شديدة حتى دمعت عينه . ثم أمر باحضار ولدها فاذا هو قد بيع فى السوق ، فرسم بدفع ثمنه إلى المشترى ، ولم يزل واقفاً حتى جىء بالغلام فأخذته أمه وأرضعته ساعة وهى تبكى من شدة فرحها وشوقها إليه ، ثم أمر بحملها إلى خيمتها على فرس مكرمة رحمه الله تعالى وعفا عنه .

فصل

﴿ فى كيفية أخذ العدو المخذول عكا من يدى السلطان قسرا ﴾

لما كان شهر جمادى الأولى اشتد حصار الفرنج لعنهم الله لمدينة عكا ، وتمالؤا عليها من كل فج عميق ، وقدم عليهم ملك الانكليز فى جم غفير وجمع كثير ، فى خمسة وعشرين قطعة مشحونة بالمقاتلة وابتلى أهل الثغر منهم ببلاء لا يشبه ما قبله ، فعند ذلك حركت الكوسات فى البلد ، وكانت علامة ما بينهم و بين السلطان ، فحرك السلطان كوساته فاقترب من البلد وتحول إلى قريب منه ، ليشغلهم عن البلد ، وقد أحاطوا به من كل جانب ، ونصبوا عليه سبعة منجانيق ، وهى تضرب فى البلد ليلا ونهارا ، ولا سيما على برج عين البقر ، حتى أثرت به أثرا بينا ، وشرعوا فى ردم الخندق بما أمكنهم من دواب ميتة ، ومن قتل منهم ، ومن مات أيضاً ردموا به ، وكان أهل البلد يلقون ما ألقوه فيه إلى البحر . وتلقى ملك الانكليز بطشة عظيمة للمسلمين قد أقبلت من بيروت مشحونة بالأمتعة والأسلحة فأخذها ، وكان واقفا فى البحر فى أربعين مركبا لا يترك شيئا يصل إلى البلد بالكلية ، وكان بالبطشة ستمائة من المقاتلين الصناديد الأبطال ، فهلكوا عن آخرهم رحمهم الله . فانه لما أحيط

بهـم وتحققوا إما الغرق أو القتل ، خرقوا جوانبها كلها فغرقت ، ولم يقـدر الفرنج على أخذ شيء منها لا من الميرة ولا من الأسلحة ، وحزن المسلمون على هـذا المصاب حزنا عظيما ، فانا لله و إنا إليـه راجعون ، ولـكن جبر الله سبحانه هـذا البلاء بأن أحرق المسلمون فى هذا اليوم دبابة كانت أربع طبقات ، الأولى من الخشب ، والثانية من رصاص ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس ، وهى مشرفة على السور والمقاتلة فيها ، وقد قلق أهل البلد منها بحيث حدثتهـم أنفسهم من خوفهـم من شرها بأن يطلبوا الأمان من الفرنج ، و يسلموا البلد ، ففرج الله عن المسلمين وأمكنهـم من حريقها ، اتفق لهم ذلك فى هذا اليوم الذى غرقت فيه البطشة المذكورة ، فأرسل أهل البلد يشكون إلى السلطان شدة الحصار وقوته عليهم ، منذ قام ملك الانكليز لعنه الله ، ومع هـذا قد مرض هو وجرح ملك الافرنسيين أيضاً ولا يزيدهم ذلك إلا شدة وغلظة ، وعتواً و بغياً ، وفارقهم المركيس وسار إلى بلده صور خوفاً منهـم أن يخرجوا ملكها من يده . و بعث ملك الانكليز إلى السلطان صلاح الدين يذكر له أن عنـده جوارح قد جاء بها من البحر ، وهو على نية إرسالها إليه ، ولـكنها قـد ضعفت وهو يطلب دجاجاً وطيرا لتقوى به ، فعرف أنه إنما يطلب ذلك لنفسه يلطفها به ، فأرسل إليه شيئا كثيرا من ذلك كرماً ، ثم أرسل يطلب منه فاكهة وثلجاً فأرسل إليه أيضاً ، فلم يفد معه الاحسان ، بل لما عوفى عاد إلى شر مما كان ، واشـتد الحصار ليلا ونهارا ، فأرسل أهل البلد يقولون للسلطان إما أن تعملوا معنا شيئا غـدا و إلا طلبنا من الفرنج الصلح والأمان ، فشق ذلك على السلطان ، وذلك لأنه كان قـد بعث إليها أسلحة الشام والديار المصرية وسائر السواحل ، وما كان غنمه من وقعة حطين ومن القدس ، فهى مشحونة بذلك ، فعند ذلك عزم السلطان على الهجوم على العدو ، فلما أصبح ركب فى جيشه فرأى الفرنج قد ركبوا من وراء خندقهم ، والرجالة منهـم قد ضربوا سوراً حول الفرسان ، وهم قطعة من حديد صماء لا ينفذ فيهم شيء ، فأحجم عنهم لما يعلم من نكول جيشه عما يريده ، وتحدوه عليه شجاعته رحمه الله .

هذا وقد اشـتد الحصار على البـلد ودخلت الرجالة منهـم إلى الخندق وعلقوا بدنة فى السور وحشوها وأحرقوها ، فسقطت ودخلت الفرنج إلى البلد ، فما نعهم المسلمون وقاتلوهم أشد القتال ، وقتلوا من رؤسهم سـتة أنفس ، فاشتد حنق الفرنج على المسلمين جدا بسبب ذلك ، وجاء الليل فحال بين الفريقين ، فلما أصبح الصباح خرج أمير المسلمين بالبلد أحمد بن المشطوب فاجتمع بملك الافرنسيين وطلب منهم الأمان على أنفسهم ، ويتسلمون منـه البلد ، فلم يجبهم إلى ذلك ، وقال له : بعد ما سقط السور جئت تطلب الأمان ؟ فأغلظ له ابن المشطوب فى الكلام ، ورجع إلى البلد فى حالة الله بها عليم ، فلما أخبر أهل البلد بما وقع خافوا خوفا شديدا ، وأرسلوا إلى السلطان يعلمونه بما وقع ، فأرسل

إليهم أن يسرعوا الخروج من البلد فى البحر ولا يتأخروا عن هذه الليلة ، ولا يبقى بها مسلم ، فتشاغل كثير ممن كان بها لجمع الأمتعة والأسلحة ، وتأخروا عن الخروج تلك الليلة ، فما أصبح الخبر إلا عند الفرنج من مملوكين صغيرين سمعا بما رسم به السلطان ، فهربا إلى قومهما فأخبروهم بذلك ، فاحتفظوا على البحر احتفاظا عظيما ، فلم يتمكن أحد من أهل البلد أن يتحرك بحركة ، ولا خرج منها شىء بالكلية ، وهذان المملوكان كانا أسيرين قد أسرهما السلطان من أولاد الفرنج ، وعزم السلطان على كبس العدو فى هذه الليلة ، فلم يوافقه الجيش على ذلك ، وقالوا لا نخاطر بعسكر المسلمين ، فلما أصبح بعث إلى ملوك الفرنج يطلب منهم الأمان لأهل البلد على أن يطلق عدتهم من الأسرى الذين تحت يده من الفرنج ، ويزيدهم صليب الصلبوت ، فأبوا إلا أن يطلق لهم كل أسير تحت يده ، ويطلق لهم جميع البلاد الساحلية التى أخذت منهم ، وبيت المقدس ، فأبى ذلك ، وترددت المراسلات فى ذلك ، والحصار يتزايد على أسوار البلد . وقد تهدمت منه ثلم كثيرة ، وأعاد المسلمون كثيراً منها ، وسدوا ثغر تلك الأماكن بنحورهم رحمهم الله ، وصبروا صبراً عظيما ، وصابروا العدو ، ثم كان آخر الأمر وصولهم إلى درجة الشهادة ، وقد كتبوا إلى السلطان فى آخر أمرهم يقولون له : يامولانا لاتخضع لهؤلاء الملاعين ، الذين قد أبوا عليك الاجابة إلى ما دعوتهم فينا ، فانا قد بايعنا الله على الجهاد حتى نقتل عن آخرنا ، وبالله المستعان .

فلما كان وقت الظهر فى اليوم السابع من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ما شعر الناس إلا وأعلام الكفار قد ارتفعت ، وصلبانهم ونارهم على أسوار البلد ، وصاح الفرنج صيحة واحدة ، فعظمت عند ذلك المصيبة على المسلمين ، واشتد حزن الموحدين ، وانحصر كلام الناس فى إنا لله وإنا إليه راجعون ، وغشى الناس بهتة عظيمة ، وحيرة شديدة ، ووقع فى عسكر السلطان الصياح والعويل ، ودخل المركيس لعنه الله وقد عاد إليهم من صور بهدايا فأهداها إلى الملوك ، فدخل فى هذا اليوم عكا بأربعة أعلام الملوك فنصبها فى البلد ، واحداً على المأذنة يوم الجمعة ، وآخر على القلعة ، وآخر على برج الداوية ، وآخر على برج القتال ، عوضاً عن أعلام السلطان ، وتحيز المسلمون الذين بها إلى ناحية من البلد معتقلين ، محتاط بهم مضيق عليهم ، وقد أسروا النساء والأبناء ، وغنمت أموالهم ، وقيدت الابطال وأهين الرجال ، والحرب سجال ، والحمد لله على كل حال .

فعند ذلك أمر السلطان الناس بالتأخر عن هذه المنزلة ، وثبت هو مكانه لينظر ما ذا يصنعون وما عليه يعولون ، والفرنج فى البلد مشغولون مدهوشون ، ثم سار السلطان إلى العسكر وعنده من الهم مالا يعلمه إلا الله ، وجاءت الملوك الاسلامية ، والأمراء وكبراء الدولة يعزونه فيما وقع ، ويسلونه على ذلك ، ثم راسل ملوك الفرنج فى خلاص من بأيديهم من الأسارى فطلبوا منه عدتهم من أسراهم

ومائة ألف دينار ، وصليب الصلبوت إن كان باقياً ، فأرسل فأحضر المال والصليب ، ولم يتهيأ له من الأسارى إلا ستمائة أسير ، فطلب الفرنج منه أن يريهم الصليب من بعيد ، فلما رفع سجدوا له وألقوا أنفسهم إلى الأرض ، و بعثوا يطلبون منه ما أحضره من المال والأسارى ، فامتنع إلا أن يرسلوا إليه الأسارى أو يبعثوا له برهائن على ذلك ، فقالوا : لا ولكن أرسل لنا ذلك وارض بأمانتنا ، فعرف أنهم يريدون الغدر والمكر ، فلم يرسل إليهم شيئا من ذلك ، وأمر برد الأسارى إلى أهليهم بدمشق ، ورد الصليب إلى دمشق مهانا ، وأبرزت الفرنج خيامهم إلى ظاهر البلد وأحضروا ثلاثة آلاف من المسلمين فأوقفوهم بعد العصر وحملوا عليهم حملة رجل واحد فقتلوهم عن آخرهم فى صعيد واحد ، رحمهم الله وأكرم مثواهم ، ولم يستبقوا بأيديهم من المسلمين إلا أميرا أو صبيا ، أو من يرونه فى عملهم قويا أو امرأة . وجرى الذى كان ، وقضى الأمر الذى فيه تستفتيان . وكان مدة إقامة صلاح الدين على عكا صابراً مصابراً مرابطاً سبعة وثلاثين شهراً ، وجملة من قتل من الفرنج خمسين ألفا .

فصل

﴿ فيما حدث بعد أخذ الفرنج عكا ﴾

ساروا برمتهم قاصدين عسقلان ، والسلطان بجيشه يسايرهم و يعارضهم منزلة منزلة ، والمسلمون يتخطفونهم و يسلبونهم فى كل مكان ، وكل أسير أتى به إلى السلطان يأمر بقتله فى مكانه ، وجرت خطوب بين الجيشين ، و وقعات متعددات ، ثم طلب ملك الانكليز أن يجتمع بالملك العادل أخى السلطان يطلب منه الصلح والأمان ، على أن يعاد لأهلها بلاد السواحل ، فقال له العادل : إن دون ذلك قتل كل فارس منكم وراجل ، فغضب اللعين ونهض من عنده غضبان ، ثم اجتمعت الفرنج على حرب السلطان عند غابة أرسوف ، فكانت النصرة للمسلمين ، فقتل من الفرنج عند غابة أرسوف ألوف بعد ألوف ، وقتل من المسلمين خلق كثير أيضاً ، وقد كان الجيش فرعن السلطان فى أول الوقعة ، ولم يبق معه سوى سبعة عشر مقاتلا ، وهو ثابت صابر ، والكؤسات لا تفتر ، والأعلام منشورة ، ثم تراجع الناس فكانت النصرة للمسلمين ، ثم تقدم السلطان بعساكره فنزل ظاهر عسقلان ، فأشار ذوو الرأى على السلطان بتخريب عسقلان خشية أن يتملكها الكفار ، و يجعلونها وسيلة إلى أخذ بيت المقدس ، أو يجرى عندها من الحرب والقتال نظير ما كان عند عكا ، أو أشد ، فبات السلطان ليلته مفكرا فى ذلك ، فلما أصبح وقد أوقع الله فى قلبه أن خرابها هو المصلحة ، فذكر ذلك لمن حضره ، وقال لهم والله لموت جميع أولادى أهون على من تخريب حجر واحد منها ،

ولكن إذا كان خرابها فيـه مصلحة للمسلمين فـلابأس به ، ثم طلب الولاة وأمرهم بتخريب البـلد سريعاً ، قبل وصول العدو إليها ، فشرع الناس فى خرابه ، وأهله ومن حضره يتبا كون على حسنه وطيب مقيله ، وكثرة زروعه وثمـاره ، ونضارة أنهاره وأزهاره ، وكثرة رخامه وحسن بنـائه . وألقيت النار فى سقوفه وأتلف ما فيه من الغلات التى لا يمكن تحويلها ، ولا نقلها ، ولم يزل الخراب والحريق فيه من جمادى الآخرة إلى سلخ شعبان من هذه السنة .

ثم رحل السلطان منها فى ثانى رمضان وقـد تركها قاعا صفصفاً ليس فيها معلمة لأحد ، ثم اجتاز بالرملة فخرب حصنها وخرب كنيسـة لد ، وزار بيت المقـدس وعاد إلى المخيم سريعاً ، و بعث ملك الانكليز إلى السلطان إن الأمر قـد طال وهلك الفرنج والمسلمون ، و إنما مقصودنا ثلاثة أشـياء لا سواها ، رد الصليب و بلاد الساحل و بيت المقدس ، لا نرجع عن هـذه الثلاثة ومناعين تطرف ، فأرسل إليه السلطان أشـد جواب ، وأسد مقال ، فعزمت الفرنج على قصد بيت المقـدس ، فتقدم السلطان بجيشه إلى القـدس ، وسكن فى دار القساقس قريباً من قمامة ، فى ذى القعـدة ، وشرع فى تحصين البلد وتعميق خنادقـه ، وعمل فيه بنفسـه وأولاده ، وعمل فيـه الأمراء والقضاة والعلماء والصالحون ، وكان وقتا مشهودا ، واليزك حول البلد من ناحية الفرنج و فى كل وقت يستظهرون على الفرنج ويقتلون ويأسرون ويغنمون ، ولله الحمد والمنة . وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك .

وفيها على ما ذكره العماد تولى القضاء محى الدين محمد بن الزكى بدمشق . وفيها عدى أمير مكة داود بن عيسى بن فليتة بن هاشم بن محمـد بن أبى هاشم الحسنى ، فأخذ أموال الكعبة حتى انتزع طوقا من فضة كان على دائرة الحجر الأسود ، كان قـد لم شعثه حين ضرب به ذلك القرمطى بالدبوس ، فلما بلغ السلطان خبره من الحجيج عزله وولى أخاه بكيرا ، ونقض القلعة التى كان بناها أخوه على أبى قبيس ، وأقام داود بنخلة حتى توفى بها سنة سبع وثمانين .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ الملك المظفر ﴾

تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كان عزيزا على عمه صلاح الدين ، استنابه بمصر وغيرها من البلاد ، ثم أقطعه حماه ومدنا كثيرة حولها فى بلاد الجزيرة ، وكان مع عمه السلطان على عكا ، ثم استأذنه أن يذهب ليشرف على بلاده المجاورة للجزيرة والفرات ، فلما صار إليها اشتغل بها وامتدت عينه إلى أخذ غيرها من أيدى الملوك المجاورين له ، فقاتلهـم فاتفق موته وهو كذلك ، والسلطان عمه غضبان عليـه بسبب اشتغاله بذلك عنه ، وحملت جنازته حتى دفنت بحماه ، وله مدرسة هنالك هائلة كبيرة ، وكذلك له بدمشق مدرسة مشهورة ، وعليها أوقاف كثيرة ، وقد أقام بالملك بعده ولده المنصور ناصر الدين محمـد ، فأقره صلاح الدين عـلى ذلك بعد جهد جهيد ، ووعد ووعيد ، ولولا

السلطان العادل أخو صلاح الدين تشفع فيه لما أقره فى مكان أبيه ، ولكن سلم الله ، توفى يوم الجمعة تاسع عشر رمضان من هذه السنة ، وكان شجاعا فاتكا .

{ الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين }

أمه ست الشام بنت أيوب ، واقفة الشاميتين بدمشق ، توفى ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان أيضاً فنجع السلطان بابن أخيه وابن أخته فى ليلة واحدة ، وقد كانا من أكبر أعوانه ، ودفن بالتربة الحسامية ، وهى التى أنشأتها أمه بمحلة العونية ، وهى الشامية البرانية .

{ الأمير علم الدين سليمان بن حيدر الحلبى }

كان من أكابر الدولة الصلاحية ، وفى خدمة السلطان حيث كان ، وهو الذى أشار على السلطان بتخريب عسقلان ، واتفق مرضه بالقدس فاستأذن فى أن يمرض بدمشق ، فأذن له ، فسار منها فلما وصل إلى غباغب مات بها فى أواخر ذى الحجة . وفى رجب منها توفى الأمير الكبير نائب دمشق .

{ الصفى بن القائض }

وكان من أكبر أصحاب السلطان قبل الملك ، ثم استنابه على دمشق حتى توفى بها فى هذه السنة .

وفى ربيع الأول توفى { الطبيب الماهر أسعد بن المطران }

وقد شرف بالاسلام ، وشكره على طبه الخاص والعام .

{ الجيوشانى الشيخ نجم الدين }

الذى بنى تربة الشافعى بمصر بأمر السلطان صلاح الدين ، ووقف عليها أوقافا سنية ، وولاه تدريسها ونظرها ، وقد كان السلطان يحترمه ويكرمه ، وقد ذكرته فى طبقات الشافعية ، وما صنفه فى المذهب من شرح الوسيط وغيره ، ولما توفى الجيوشانى طلب التدريس جماعة فشفع الملك العادل عند أخيه فى شيخ الشيوخ أبى الحسن محمد بن حمويه ، فولاه إياه ، ثم عزله عنها بعد موت السلطان ، واستمرت عليه أيدى بنى السلطان واحداً بعد واحد ، ثم عادت إليها الفقهاء والمدرسون بعد ذلك .

{ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة }

استهلت والسلطان صلاح الدين مخيم بالقدس ، وقد قسم السور بين أولاده وأمرائه ، وهو يعمل فيه بنفسه ، ويحمل الحجر بين القربوسين وبينه ، والناس يقتدون بهم ، والفقهاء والقراء يعملون ، والفرنج لعنهم الله حول البلد من ناحية عسقلان وما والاها ، لا يتجاسرون أن يقربوا البلد من الحرس واليزك الذين حول القدس ، إلا أنهم على نية محاصرة القدس مصممون ، ولكيد الاسلام مجمعون ، وهم والحرس تارة يغلبون وتارة يغلبون ، وتارة ينهبون وتارة ينهبون . وفى ربيع الآخر

وصل إلى السلطان الأمير سيف الدين المشطوب من الأسر ، وكان نائبا على عكا حين أخذت ، فافتدى نفسه منهم بخمسين ألف دينار ، فأعطاه السلطان شيئاً كثيرا منها ، واستنابه على مدينة نابلس ، فتوفى بها فى شوال من هذه السنة . وفى ربيع الآخر قتل المركيس صاحب صور لعنه الله ، أرسل إليه ملك الانكليز اثنين من الفداوية فقتلوه: أظهرا التنصر ولزما الكنيسة حتى ظفرا به فقتلاه وقتلا أيضاً ، فاستناب ملك الانكليز عليها ابن أخيه بلام الكندهر ، وهو ابن أخت ملك الافرنسيين لأبيه ، فهما خالاه ، ولما صار إلى صور بنى بزوجة المركيس بعد موته بليلة واحدة ، وهى حبلى أيضاً ، وذلك لشدة العداوة التى كانت بين الانكليز وبينه ، وقد كان السلطان صلاح الدين يبغضهما ، ولكن المركيس كان قد صانعه بعض شىء ، فلم يهن عليه قتله .

وفى تاسع جمادى الأولى استولى الفرنج لعنهم الله على قلعة الداروم فخربوها ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأسروا طائفة من الذرية ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أقبلوا جملة نحو القدس فبرز إليهم السلطان فى حزب الايمان ، فلما ترأى الجمعان نكص حزب الشيطان راجعين ، فراراً من القتال والنزال ، وعاد السلطان إلى القدس . (وقد رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزا)

ثم إن ملك الانكليز لعنه الله ــ وهو أكبر ملوك الفرنج ذلك الحين ــ ظفر ببعض فلول المسلمين فكبسهم ليلا فقتل منهم خلقا كثيراً ، وأسر منهم خمسمائة أسير ، وغنم منهم شيئا كثيراً من الأموال والجمال ، والخيل والبغال ، وكان جملة الجمال ثلاثة آلاف بعير ، فتقوى الفرنج بذلك ، وساء ذلك السلطان مساءة عظيمة جدا ، وخاف من غائلة ذلك ، واستخدم الانكليز الجمالة على الجمال ، والخربندية على البغال ، والسياس على الخيل ، وأقبل وقد قويت نفسه جداً ، وصمم على محاصرة القدس ، وأرسل إلى ملوك الفرنج الذين بالساحل ، فاستحضرهم ومن معهم من المقاتلة ، فتعبأ السلطان لهم وتهيأ ، وأكمل السور وعمر الخنادق ، ونصب المنجانيق ، وأمر بتغوير ما حول القدس من المياه ، وأحضر السلطان أمراءه ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة : أبا الهيجاء المبسمين ، والمشطوب ، والأسدية ، فاستشارهم فيما قد دهمه من هذا الأمر الفظيع ، الموجع المؤلم ، فأفاضوا فى ذلك ، وأشاروا كل برأيه ، وأشار العماد الكاتب بأن يتحالفوا على الموت عند الصخرة ، كما كان الصحابة يفعلون ، فأجابوا إلى ذلك . هذا كله والسلطان ساكت واجم مفكر ، فسكت القوم كأنما على رؤسهم الطير ، ثم قال : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله : اعلموا أنكم جند الاسلام اليوم ومنعته ، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراريهم فى ذممكم معلقة ، والله عز وجل سائلكم يوم القيامة عنهم ، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن العباد والبلاد غيركم ،

فان وليتم والعياذ بالله طوى البلاد وأهلك العباد ، وأخذ الأموال والأطفال والنساء ، وعبد الصليب في المساجد ، وعزل القرآن منها والصلاة ، وكان ذلك كله في ذممكم ، فانكم أنتم الذين تصديتم لهذا كله ، وأكلتم بيت مال المسلمين لتدفعوا عنهم عدوهم ، وتنصروا ضعيفهم ، فالمسلمون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام .

فانتدب لجوابه سيف الدين المشطوب وقال : يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك ، وأنت الذي أعطيتنا وكبرتنا وعظمتنا ، وليس لنا إلا رقابنا ونحن بين يديك ، والله مايرجع أحد منا عن نصرك حتى يموت . فقال الجماعة مثل ماقال ، ففرح السلطان بذلك وطاب قلبه ، ومد لهم سماطا حافلا ، وانصرفوا من بين يديه على ذلك . ثم بلغه بعد ذلك أن بعض الأمراء قال : إنا نخاف أن يجرى علينا في هذا البلد مثل ما جرى على أهل عكا ، ثم يأخذون بلاد الاسلام بلداً بلداً ، والمصلحة أن نلتقيهم بظاهر البلد ، فان هزمناهم أخذنا بقية بلادهم ، و إن تكن الأخرى سلم العسكر ومضى بحاله ، ويأخذون القدس ونحفظ بقية بلاد الاسلام بدون القدس مدة طويلة ، و بعثوا إلى السلطان يقولون له : إن كنت تريدنا نقيم بالقدس تحت حصار الفرنج ، فكن أنت معنا أو بعض أهلك ، حتى يكون الجيش تحت أمرك ، فان الأكراد لاتطيع الترك ، والترك لا تطيع الأكراد . فلما بلغه ذلك شق عليه مشقة عظيمة ، وبات ليلته أجمع مهموماً كئيبا يفكر فيما قالوا ، ثم انجلى الامر واتفق الحال على أن يكون الملك الأمجد صاحب بعلبك مقيما عندهم نائباً عنه بالقدس ، وكان ذلك نهار الجمعة ، فلما حضر إلى صلاة الجمعة وأذن المؤذن للظهر قام فصلى ركعتين بين الأذانين ، وسجد وابتهل إلى الله تعالى ابتهالا عظيما ، وتضرع إلى ربه ، وتمسكن وسأله فيما بينه و بينه كشف هذه الضائقة العظيمة .

فلما كان يوم السبت من الغد جاءت الكتب من الحرس الذين حول البلد بأن الفرنج قد اختلفوا فيما بينهم ، فقال ملك الافرنسيين إنا إنما جئنا من البلاد البعيدة وأنفقنا الأموال العديدة في تخليص بيت المقدس ورده إلينا ، وقد بقي بيننا و بينه مرحلة ، فقال الانكليز إن هذا البلد شق علينا حصاره ، لأن المياه حوله قد عدمت ، و إلى أن يأتينا الماء من المشقة البعيدة يعطل الحصار ، ويتلف الجيش ، ثم اتفق الحال بينهم على أن حكموا منهم عليهم ثلاثمائة منهم ، فردوا أمرهم إلى اثنى عشر منهم ، فردوا أمرهم إلى ثلاثة منهم ، فباتوا ليلتهم ينظرون ثم أصبحوا وقد حكموا عليهم بالرحيل ، فلم يمكنهم مخالفتهم فسحبوا راجعين لعنهم الله أجمعين ، فساروا حتى نزلوا على الرملة وقد طالت عليهم الغربة والزملة ، وذلك في بكرة الحادي والعشرين من جمادى الآخرة ، وبرز السلطان بجيشه إلى خارج القدس ، وسار نحوهم خوفا أن يسيروا إلى مصر ، لكثرة مامعهم من الظهر والأموال ، وكان الانكليز يلهج بذلك كثيرا ، فخذلهم الله عن ذلك ، وترددت الرسل من الانكليز إلى السلطان

فى طلب الأمان ووضع الحرب بينه و بينهم ثلاث سنين ، وعلى أن يعيد لهم عسقلان ويهب له كنيسة بيت المقدس وهى القمامة ، وأن يمكن النصارى من زيارتها وحجها بلا شىء ، فامتنع السلطان من إعادة عسقلان وأطلق لهم قمامة ، وفرض على الزوار مالا يؤخذ من كل منهم ، فامتنع الانكليز إلا أن تعادلهم عسقلان ، و يعمر سورها كما كانت ، فصمم السلطان على عدم الاجابة . ثم ركب السلطان حتى وافى يافا فحاصرها حصاراً شديدا ، فافتتحها وأخذوا الأمان لكبيرها وصغيرها ، فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم مراكب الانكليز على وجه البحر ، فقويت رؤسهم واستمصت نفوسهم ، فهجم اللعين فاستعاد البلد وقتل من تأخر بها من المسلمين صبراً بين يديه ، وتقهقر السلطان عن منزلة الحصار إلى ما وراءها خوفا على الجيش من معرة الفرنج ، فجعل ملك الانكليز يتعجب من شدة سطوة السلطان ، وكيف فتح مثل هذا البلد العظيم فى يومين ، وغيره لا يمكنه فتحه فى عامين ، ولكن ماظننت أنه مع شهامته وصرامته يتأخر من منزلته بمجرد قدومى ، وأنا ومن معى لم نخرج من البحر إلا جرائد بلا سلاح ، ثم ألح فى طلب الصلح وأن تكون عسقلان داخلة فى صلحهم ، فامتنع السلطان ، ثم إن السلطان كبس فى تلك الليالى الانكليز وهو فى سبعة عشر مقاتلا ، وحوله قليل من الرجالة فأكب بجيشه حوله وحصره حصرا لم يبق معه نجاة ، لو صمم معه الجيش ، ولكنهم نكلوا كلهم عن الحملة ، فلا قوة إلا بالله ، وجعل السلطان يحرضهم غاية التحريض ، فكلهم يمتنع كما يمتنع المريض من شرب الدواء .

هذا وملك الانكليز قد ركب فى أصحابه وأخذ عدة قتاله ، وأهبة نزاله ، واستعرض الميمنة إلى آخر الميسرة ، يعنى ميمنة المسلمين وميسرتهم ، فلم يتقدم إليه أحد من الفرسان ، ولا نهره بطل من الشجعان ، فعند ذلك كر السلطان راجعاً ، وقد أحزنه أنه لم ير من الجيش مطيعا ، فانا لله و إنا إليه راجعون . ولو أن له بهم قوة لما ترك أحدا منهم يتناول من بيت المال فلسا . ثم حصل لملك الانكليز بعد ذلك مرض شديد ، فبعث إلى السلطان يطلب فاكهة وثلجا فأمده بذلك من باب الكرم ، ثم عوفى لعنه الله وتكررت الرسل منه يطلب من السلطان المصالحة لكثرة شوقه إلى أولاده و بلاده ، وطاوع السلطان على ما يقول وترك طلب عسقلان ، ورضى بما رسم به السلطان ، وكتب كتاب الصلح بينهما فى سابع عشر شعبان ، وأكدت العهود والمواثيق من كل ملك من ملوكهم ، وحلف الأمراء من المسلمين وكتبوا خطوطهم ، واكتفى من السلطان بالقول المجرد كما جرت به عادة السلاطين ، وفرح كل من الفريقين فرحاً شديدا ، وأظهروا سرورا كثيرا ، ووقعت الهدنة على وضع الحرب ثلاثين سنة وستة أشهر ، وعلى أن يقرهم على ما بأيديهم من البلاد الساحلية ، وللمسلمين ما يقابلها من البلاد الجبلية ، وما بينهما من المعاملات تقسم على المناصفة ، وأرسل السلطان مائة نقاب صحبة

أمير لتخريب سور عسقلان و إخراج من بها من الفرنج .

وعاد السلطان إلى القدس فرتب أحواله ووطدها ، وسدد أموره وأكدها ، وزاد وقف المدرسة سوقا بدكاكينها وأرضا بيساتينها ، وزاد وقف الصوفية ، وعزم على الحج عامه ذلك ، فكتب إلى الحجاز واليمن ومصر والشام ليعلموا بذلك ، ويتأهبوا له ، فكتب إليه القاضى الفاضل ينهاه عن ذلك خوفا على البلاد من استيلاء الفرنج عليها ، ومن كثرة المظالم بها ، وفساد الناس والعسكر وقلة نصحهم وأن النظر فى أحوال المسلمين خير لك عامك هذا ، والعدو مخيم بعد بالشام ، وأنت تعلم أنهم يهادنون ليتقووا ويكثروا ، ثم يمكروا ويغدروا ، فسمع السلطان منه وشكر نصحه وترك ما عزم عليه وكتب به إلى سائر الممالك ، واستمر مقيما بالقدس جميع شهر رمضان فى صيام وصلاة وقرآن ، وكلما وفد أحد من رؤساء الفرنج للزيارة فعل معه غاية الاكرام ، تأليفا لقلوبهم ، ولم يبق أحد من ملوكهم إلا جاء لزيارة القمامة متنكرا ، ويحضر سماط السلطان فيمن حضر من جمهورهم ، بحيث لايرى . والسلطان لا يعلم ذلك جملة ولا تفصيلا ، ولهذا كان يعاملهم بالاكرام ، ويريهم صفحا جميلا ، وبرا جزيلا .

فلما كان فى خامس شوال ركب السلطان فى العساكر فبرز من القدس قاصداً دمشق ، واستناب على القدس عز الدين جوردبك ، وعلى قضائها بهاء الدين بن يوسف بن رافع بن تميم الشافعى ، فاجتاز على وادى الجيب وبات على بركة الداوية ، ثم أصبح فى نابلس فنظر فى أحوالها ، ثم ترحل عنها ، فجعل يمر بالقلاع والحصون والبلدان فينظر فى أحوالها ويكشف المظالم عنها ، وفى أثناء الطريق جاء إلى خدمته بيمند صاحب إنطاكية فأكرمه وأحسن إليه ، وأطلق له أموالا جزيلة وخلعا ، وكان العماد الكاتب فى صحبته ، فأخبر عن منازله منزلة منزلة إلى أن قال : وعبر يوم الاثنين عين الجر إلى مرج بيوس ، وقد زال البوس ، وهناك وفد عليه أعيان دمشق وأماثلها ، ونزل يوم الثلاثاء على العرادة ، وجاءه هناك التحف والمتلقون على العادة ، وأصبحنا يوم الأربعاء سادس عشر شوال بكرة بجنة دمشق داخلين ، بسلام آمنين ، وكانت غيبة السلطان عنها أربع سنين ، فأخرجت دمشق أثقالها ، وأبرزت نساءها وأطفالها ورجالها ، وكان يوم الزينة ، وخرج أكثر أهل المدينة ، واجتمع أولاده الكبار والصغار ، وقدم عليه رسل الملوك من سائر الأمصار ، وأقام بقية عامه فى اقتناص الصيد وحضور دار العدل ، والعمل بالاحسان والفضل . ولما كان عيد الأضحى امتدحه بعض الشعراء بقصيدة يقول فيها :

وأبيها لولا تغزل عينها * لما قلت فى التغزل شعرا
ولكانت مدائح الملك النا * صر وإلى ما فيه أعمل فكرا
ملك طبق الممالك بالعد * ل مثلما أوسع البرية برا

فيحل الأعياد صوماً وفطرا * ويلقى المنا براً وبحرا
يأمر بالطاعات لله إن * أضحى مليك على المناهى مصرا
نلت ما تسعى من الدين والدنيا * فتهنا على الملوك وفخرا
قد جمعت المجدين أصلا وفرعا * وملكت الدارين دنيا وأخرى

ومما وقع فى هذه السنة من الحوادث غزوة عظيمة بين صاحب غزنة شهاب الدين ملكها السبكتكينى و بين ملك الهند وأصحابه الذين كانوا قد كسروه فى سنة ثلاث وثمانين ، فأظفره الله بهم هذه السنة ، فكسرهم وقتل خلقا منهم وأسر خلقا ، وكان من جملة من أسره ملكهم الأعظم ، وثمانية عشر فيلا ، من جملتها الذى كان جرحه ، ثم أحضر الملك بين يديه فأهانه ولم يكرمه ، واستحوذ على حصنه وأخبر بما فيه من كل جليل وحقير ، ثم قتله بعد ذلك ، وعاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً ، مسروراً محبوراً .

وفيها اتهم أمير الحج ببغداد وهو طاشتكين ، وقد كان على إمرة الحج من مدة عشرين سنة ، وكان فى غاية حسن السيرة ، واتهم بأنه يكاتب صلاح الدين بن أيوب فى أخذ بغداد ، فانه ليس بينه و بينها أحد يمانعه عنها ، وقد كان مكذوبا عليه ، ومع هذا أهين وحبس وصودر .

فصل

وممن توفى فيها من الأعيان القاضى شمس الدين .

﴿ محمد بن محمد بن موسى ﴾

المعروف بابن الفراش ، كان قاضى العساكر بدمشق ، و يرسله السلطان إلى ملوك الآفاق ، ومات بملطية .

﴿ سيف الدين على بن أحمد المشطوب ﴾

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، حضر معه الوقعات الثلاث بمصر ، ثم صار من كبراء أمراء صلاح الدين ، وهو الذى كان نائبا على عكا لما أخذوها الفرنج ، فأسروه فى جملة من أسروا فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار ، وجاء إلى السلطان وهو بالقدس فأعطاه أكثرها ، وولاه نابلس . توفى يوم الأحد ثالث وعشرين شوال بالقدس ، ودفن فى داره .

﴿ صاحب بلاد الروم عز الدين قلج أرسلان بن مسعود ﴾

ابن قلج أرسلان ، وكان قد قسم جميع بلاده بين أولاده ، طمعا فى طاعتهم له ، فخالفوه وتجبروا وعتوا عليه ، وخفضوا قدره وارتفعوا ، ولم يزل كذلك حتى توفى فى عامه هذا . وفى ربيع الآخر توفى الشاعر أبو المرهف .

﴿ نصر بن منصور النميرى ﴾

سمع الحديث واشتغل بالأدب ، أصابه جدرى وهو ابن أربعة عشرة سنة فنقص بصره جداً، وكان لا يبصر الأشياء البعيدة ، ويرى القريب منه ، ولكن كان لا يحتاج إلى قائد ، فارتحل إلى العراق لمداواة عينيه فآيسته الأطباء من ذلك ، فاشتغل بحفظ القرآن ومصاحبة الصالحين فأفلح ، وله ديوان شعر كبير حسن ، وقد سئل مرة عن مذهبه واعتقاده فأنشأ يقول :

أحب عليا والبتول وولدها * ولاأجحد الشيخين فضل التقدم

وأبرأ ممن نال عثمان بالأذى * كما أتبرا من ولاء ابن ملجم

ويعجبنى أهل الحديث لصدقهم * فلست إلى قوم سواهم بمنتمى

توفى ببغداد ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب رحمه الله تعالى .

بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء الثانى عشر من البداية والنهاية للعلامة ابن كثير
ويليه الجزء الثالث عشر وأوله سنة تسع وثمانين وخمسمائة هجرية
على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية

فهرس الجزء الثانى عشر من البداية والنهاية

﴿تم الفهرس والحمد لله﴾

